من خطب المسجد الحرام

توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

من خطب المسجد الحرام

توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

"المجموعة الاولى"

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

توجيهات وذكرى

حُقوقُ الطّبعِ محفُوظَة

الطبعة الثالثة

١٤١٩ هـ.

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

كلمات في اعداد خطبة الجمعة[1]

من المعلوم أن الخطيب له دور كبير، وأثر بالغ في بيئته، ومجتمعه، وسامعيه، وقومه، فهو قرين المربيِّ والمعلمِ، ورجلِ الحسبة والموجِّه، وبقدر إحسانه وإخلاصه يتبوأ من قلوب الناس مكاناً، ويضع الله له قبولاً، قد لا يزاحمه فيه أصحاب الوجاهات، ولا يدانيه فيه ذوو المقامات، ومردُّ ذلك إلى حسن الإجادة، وجودة الإفادة، والقدرة على التأثير المكسوِّ بلباس التقوى، والمُدَثَّرِ بدثار الإخلاص والورع.

وهذه كلمات في إعداد الخطبة وصفات الخطيب حرصت أن تكون شاملة لخصائص الخطيب، والخطبة، ووجوه التأثير في الخطبة، وإحسان إعدادها، مقدماً لذلك بمقدمة في مهمة الخطيب وتعريف الخطبة وأنواعها وبيان أثرها.

والله وحده الموفق والمعين وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على خير خلقه نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أصل هذه المقدمة بحث قد للملتقى الأول للأئمة والخطباء في المملكة العربية السعودية في الرياض في الفترة: ١٤ ـ ١٨ من شهر شوال١٤١٤هـ تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

مقدمة

مهمة الخطيب مهمة شاقة ولا ريب، مشقة تحتم عليه أن يستعد الاستعداد الكافي في صواب الفكر، وحسن التعبير، وطلاقة اللسان، ووجودة الإلقاء.

مطلوب من الخطيب أن يُحدِّثَ الناس بما يمَسُّ حياتهم ولا ينقطع عن ماضيهم، ويردُّهم إلى قواعد الدين ومبادئه، يبصِّرهم بِحِكَمِهِ وأحكامه برفق، ويُعرفُهم آثار التقوى والصلاحِ في الآخرة والأولىٰ. مهمته البعد عن المعاني المكرورة وجالباتِ الملل.

والدعوة إلى التجديد والتحديث والبعد عن المكرور لا تغير من الحقيقة الثابتة شيئاً، وهي أن حياة الناس وأحوالهم في كل زمان ومكان صورةٌ واحدة من تصارع الغرائز، واضطراب النفوس، وغليان الأحقاد، وفي مقابل ذلك تلقى أحوالاً من البرود، والانصراف، والغفلة وعدم المبالاة.

والخطيب عليه أن يُهدِّيءَ الثائر، ويبعثَ الفاتر، ويطفيءَ ثورة الغريزة، ويخفض حدة الأحقاد، ويشيع روح المودة، ويبث الإخلاص والتعاون.

نعم إن حياة الناس صورة معادة، وتغيُّراتٌ متناوبة؛ فأحداث اليوم هي أحداث الأمس، والبواعث والمثيرات في الماضي هي ذاتها في الحاضر.

فإنسان الغابة وإنسان المدنيَّة سواء، غير أن الأول يحارب

بحجر والثاني يرمي بقنبلة، والأول قد يقتل واحداً أو اثنين، والثاني يقتل عشرات ومئات، القوي في الغابة يستولي على مرعى أو بئر، أما قوي المدنية فيستولي على قطر بأكمله، ويأكل قوت شعب بجملته بل شعوب برمتها، ويستبدُّ بمصادر طاقة، وموارد حياة مصيرية.

إذا كان ذلك كذلك فكيف يكون الحال لو نجح الدعاة المصلحون في تهذيب الغرائز والتسامي بها.

إنَّ خطيبَ المسجد وواعظَ الجماعة قد يكون أشدَّ فاعلية في نفوس الجماهير من كثير من أجهزة التوجيه في المجتمع. إن الخطيب بلسانه ورقة جنانه وتجرده ـ بإذن الله ـ يقتلع جذور الشر في نفس المجرم ويبعث في نفسه خشية الله، وحب الحق، وقبول العدل، ومعاونة الناس، إن عمله إصلاح الضمائر، وجمع الكلمة، وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمة، وبناء الضمائر الحية، وتربية النفوس العالية في عمل خالص وجهد متجرد، يرجو ثواب الله ويروم نفع الناس.

ومن هذا فإنك ترى أن أداء الخطيب عمله على وجهه يكسوه بهاءً وشرفاً، ويرفعه إلى مكان عَلِيٍّ عند الناس.

ولتعلم أن هذا ليس إطراءً ولا مديحاً، ولكنه تنبيه إلى شرف العمل ومشقته وعظم مسؤليته وثقل رسالته، وما تتطلبه من حسن استعداد وشعور صادق بالمسئولية.

وكيف لا يكون ذلك وهذه هي رسالة الأنبياء والصدِّيقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ولا غرابة أن يواجه إيذاءً

وعداءً، وحسبه أن يكون مقبولاً عند الله والصفوةِ من عباد الله.

مدخـــل:

لا يقصد من الكتابة عن الخطابة وأسسها ومبادئها وآدابها، أن تكون مادة يَدْرُسُهَا الدارس لتجعل منه خطيباً مفوهاً ومتحدثاً مصقعاً، إن الكتابة والأبحاث والمناهج لا تجعل من العَيِيِّ فصيحاً، ولا اللسان المعقود طليقاً، ولكن هذه الكتابات والدراسات والبحوث نبراس ومنار يضيء لصاحب الموهبة والاستعداد، ومِشْعَلٌ يُنمي الموهبة، ومصباح ينير السبيل فلا يكون حاطب ليل.

هذه الكتابات والبحوث يتكون منها علم ينير الطريق، ولا يحمل[1] على السلوك، ويرشد إلى الدرب، ولا يقسر على السير.

وأنت خبير بأن السراج المنير لا يستفيد منه غير البصير، أما ذو الرمد فغير منتفع، ويكفيك إشارة بأن الكاتب في علم الاقتصاد والعَالِم في أسسه وقواعده قد يكون أقل الناس مالاً، وأضعفهم مورداً.

ومن حِكَم أفلاطون: «لكل أمر حقيقة، ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليقة؛ فالتمس من الأمور حقائقها، وأجْرِ الأزمنة على طرائقها، وعامل الناس على خلائقها».

تعريـف:

الخُطبة ـ بضم الخاء ـ كلام منثور مسجوع ومرسل أو مزدوج بينهما، غايته التأثير والإقناع.

---

(١) أي لا يجبر.

ويقصد بها هنا الخُطَب التي تلقَىٰ على المنابر يوم الجمعة والعيدين، بقصد حمل الناس على الخير، وترغيبهم فيه، وصرفهم عن الشر ودواعيه، وتبصيرهم بأحوالهم وواقع أمرهم حسب ما يقتضيه أمر الشرع.

والخطبة ـ من جانب الخطيب ـ مقدرة على التصرف في فنون الكلم، مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه.

أغراضها:

الدعوة إلى الصلاح والإصلاح، ونشر العقائد الصحيحة وتثبيتها، والاستمساك بأمور الشريعة، وإقامة الحق والعدل، ونشر الفضائل، وتسكين الفتن، وفضّ المشكلات، وتهدئة النفوس الثائرة، وإحياء النفوس الفاترة، ترفع الحق، وتخفض الباطل، هي صوت المظلومين، وواعظ الظالمين، ولسان الهداية، ولقد نادى موسى عليه السلام ربه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨] فجاءه الجواب الرباني: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٣٦].

والغرض هنا الإشارات إلى مجمل الأغراض، وسوف يزداد الأمر بياناً من خلال الحديث عن أنواع الخطب وخصائص الخطب المنبرية.

والفقرة التالية في أثر الخطبة تعطي مزيد بسط في المقصود.

أثرها:

لا يكاد ينجح صاحب فكرة، أو ينتصر ذو حق، أو يفوز داعية إصلاح، إلا بالكلمة البليغة، والحجة الظاهرة، والخطبة الباهرة.

الخطيب المفوَّه يلحق بحجته، ويسبق إلى غايته، فيعلو سلطانه، ويتسع ميدانه.

ولهذا فإنَّ القائد المحنَّك في الجيش يتميز - فيما يتميز به - بذرابة لسانه، وحسن خطابه، فيكون خطيباً مصقعاً ولسِناً مفوَّهاً، ولا يُذْكَرُ حين يُذْكَرُ إلا منذرُ الجيش، نبيُّنا محمد ﷺ ومن بعده خطباء الصحابة: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، ثم من بعدهم من صالح سلف الأمة وأئمتها رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم قد اعتلوا المنابر فأصغت لهم الآذان، ودانت لهم الرقاب.

ولئن كانت الخطبة في بعض مساربها[1] ومساراتها طريقاً للمجد الشخصي، فإنها في نبل غايتها وعظيم أثرها طريق للنفع العام والإصلاح الشامل.

والخطابة مظهر حضاري للمجتمع الراقي المستنير، يعلو قدرها، ويروج سوقها برقي المجتمع وانتشار الثقافة فيه، كما أنها تخبو حين ضعفه وغلبة جهله.

وثَمَّةَ جانب آخر في التأثير ينبغي مراعاته، وهو أن تأثير الخطيب في سامعيه ليس بالإلزام أو بالإفحام، بل مردُّه إلى إثارة العاطفة، وحملهم على الإذعان والتسليم، ولا يكون ذلك بالدلائل المنطقية تُساق جافَّة، ولا بالبراهين العقلية تقدم عارية، لكن بإثارة العاطفة واستجاشة الوجدان.

ومن هنا فإنَّ الخطيب قد يستغني عن الدلائل العقلية ولكنه

---

(١) المسارب: جمع مسرب وهي الطريق والمسلك.

لا يمكن أن يستغني عن المثيرات العاطفية، ولعلَّك تدرك أن أكثر ما يعتمد عليه الخطيب في حمل السامعين على المراد مخاطبة وجدانهم والتأثير في عواطفهم.

إنَّ الخطيب المرموق ـ كما هو معلوم ـ يأخذ سامعيه باستدراجه اللبق، وكلماته الساحرة، وصوته العذب المتردد، انخفاضاً وارتفاعاً، وإثارة وهدوءاً، يُنشىء جوًّا عاطفياً مشحوناً، وهذا مَعين في التأثير لا ينضب ولا يُمَلُّ.

أما البراهين العقلية وحدها فجافة تجلب السآمة.

وحينما يذكر خطاب العاطفة وأثرها فلا يخطر بالبال أن ذلك يعني دغدغة العواطف بالكذب والتزييف، ومخالفة الأقوال للأفعال فهذا حَبْلُهُ قصير بل ضعيف واهٍ، وهذا ما سيبدو واضحاً في صفات الخطيب إن شاء الله.

أنواع الخطبة:

الناظر في أغراض الخطبة ومقاصدها ومتطلبات المجتمع من ذلك يستطيع إدراك أنواعها، وهذا سردٌ لأهم أنواعها:

١ـ الخطب النيابية:

وهي الخطب التي تكون في دور النيابة والشورى عاكسة ما يجري داخل هذه القاعات من مناقشات ومداولات وأسئلة واستجوابات مؤيدة ومعارضة.

٢ـ الخطب الانتخابية:

وهي خطب تعد وتلقى من أجل الترشيح والتزكية لشخص أو حزب أو مبادىء، مع ما يشتمل عليه ذلك من ردٍّ على المعارضين.

٣ـ الخطب الثقافية:

وهي ما يلقى في النوادي الثقافية والأنشطة العلمية والجامعية، وهي في العادة تتخذ مساراً ثقافياً وأدبياً وعلمياً واجتماعياً وتوجيهياً بما يبتعد عن الأغراض السياسية والقضائية والوعظية، وتعلو النبرة فيه بما يعرف بالمعارك الأدبية بين المنتدين حسب اتجاهاتهم الأدبية، شعراً ونثراً، وتليداً وجديداً، وهو في العادة خطاب لطبقة مثقفة متأدبة ذات تميز ثقافي خاص.

٤ـ الخطب القضائية:

ويظهر هذا النوع في دور القضاء وقاعات المحاكم حين ينبري المدَّعون بإلقاء حججهم والسعي في إثبات دعواهم، فيقابلهم المحامون بالدفاع عن موكليهم بأسلوب خطابي بليغ مؤثر، ذي ألفاظ منتقاة، وإلقاء متميز، وحركات مدروسة.

٥ـ الخطب العسكرية:

وهي ما يلقيه قائد العسكر في جنده وزملائه بغرض بث الروح المعنوية والقتالية فيهم، وبيان شرف موقعهم، وكرم موقفهم، وشرح خططه العسكرية والميدانية بأسلوب انفعالي مؤثر.

٦ـ خطب المنبر والمواعظ:

وهذا هو محل البحث والنظر والتفصيل هنا، وذلك النوع يتجلى في أبهى صورته وكامل هيئته وانتظام شكله في خطب الجمعة المنبرية، وهي خطب أسبوعية دورية تتخذ أغراضاً عدة، وترمي إلى مقاصد متنوعة. نشير في هذا التعريف إلى نماذج منها، ويشترك معها في طبيعتها وأغراضها خطب العيدين، إذ من

المعلوم أن هذه المقاصد والأغراض تتجدد وتتنوع حسب حاجات الناس، وتغير الأحوال وتقلُّب الظروف، ودواعي التذكير.

من هذه الأغـراض:

أ ـ تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان.

ب ـ الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه وبيان مزاياه.

ج ـ خطب الإصلاح ومحاربة المنكرات.

د ـ خطب ذات موضوع خاص أو مسألة مفردة من مسائل الإسلام كالصلاة، والصوم، وحقوق الوالدين، والجوار، وحرمة الزنا، والخمر، والسرقة، ونحو ذلك مما مقصده التذكير والوعظ والتعليم ونحو ذلك.

هـ ـ معالجة القضايا المستجدة بنظرة شرعية، وأسلوب وعظي تذكيري.

٧ـ أنواع أخرى:

الأنواع السابقة ليست أنواعاً حاصرة ولكنها تشير إلى الأنواع البارزة السائدة المتميزة في موضوعاتها ومقاصدها، وثمة أنواع أخرى غير شهيرة ذات موضوعات ومقاصد أخرى، كخطب النكاح، والصلح، والمدائح، والمراثي، والمناسبات الاجتماعية، والمحافل الشعبية.

إعداد الخطبة وبناؤها:

بعد ما سبق من مقدمات وممهدات في تعريف الخطبة وغرضها وأنواعها وأثرها فإنه يتبع هذا دخول في جزء مهم من مقاصد هذا البحث، ذلكم هو جزء الإعداد والبناء، وسوف ينتظم ذلك الحديث عن: عناصر البناء وطريقة البناء.

توطئـــة:

لا يتوهم متوهم أن إعداد الخطبة وتحضيرها مما يعيب القدرة أو يشكك في الأهلية، فإنه بدون الإعداد يتفوه المتصدر للخطابة وحديث الناس بكلام مبتذلٍ لا قيمة له، هزيلٍ في معناه، متهدمٍ في مبناه.

فعلى الخطيب أن يعلم أنه كالخائض غمار معركة، عليه أن يتدرَّع بدروعها، ويتترَّس بتروسها، ويلبس لها لأْمتها[1]، ولا يكون ذلك إلا بالاستعداد والتهيؤ وأخذ العدة لكل موقف.

إن ذا الاطلاع الواسع والعلم الغزير إن لم يراجع نفسه حيناً بعد حين، ويُفكر طويلاً فيما يعتزم قوله، ويُزوِّق في نفسه أو قرطاسه من الألفاظ والعبارات المناسبة ـ سوف يهتز موقفه ويضعف أسلوبه ويتراخى أداؤه، ويتناقص عطاؤه، وينحدر في منجرف الابتذال السحيق، وتكون معالجاته سطحية تفقد تأثيرها، وتخسر جمهورها.

عناصـر البنـاء:

من المعلوم مما سبق ويتأكد فيما سيأتي أن الخطبة وسائر الأعمال العلمية والأدبية تعتمد على أسس ثلاثة:

قلب مفكر، وبيان مصور، ولسان معبر.

فالأول يكون به إيجاد الموضوع وابتكاره وتوليده، وبالثاني تنسيقه وترتيبه ورصُّه، وبالثالث عرضه والتعبير به.

وهذا بسط لهذه العناصر:

---

(١) اللأمة: هي درع الحرب.

١ـ الإيجاد والابتكار (القلب المفكر):

وقد يعبر عنه بالاختيار (اختيار الموضوع)

من المعلوم أن بواعث الاختيار متعددة، والخطيب كلما كان صادقاً في قصده، مهتمَّاً بجمهوره وسامعيه، جادَّاً في طرحه، محترماً لنفسه؛ فسوف يحسن الاختيار، ويقدح زناد فكره بجدية نحو الابتكار، يُضاف إلى ذلك الظروف المحيطة والأحوال المستجدَّة والأغراض الباعثة التي تستدعي الحديث عن بعض الوقائع والتعليق على بعض الأحداث، والتفسير لبعض المواقف، وتصحيح بعض المفاهيم، ونظر الخطيب الحصيف يدله على تقديم بعض، وتأخير بعض، وحسن التفسير، ونوع التعليق.

٢ـ التنسيق والترتيب (البيان المصور):

لا يخفى أن طريق البيان المصور هو الأسلوب.

للأسلوب سلطان لا يضعفه العقل، وأثر لا يمحوه الدليل، الأسلوب ألفاظ وجمل ينطق بها المتكلم، ويتحدث بها الخطيب، لا تكاد تخرج من فيه حتى تعلو الهيبة وجوه السامعين، وتَشْرَئِبُّ الأعناق له احتراماً، ألفاظٌ وجمل تثير في النفوس صوراً لا حدَّ لها ولا انحصار، محفوفةً بالتقدير والإكبار.

إذا كان هذا هو بعضَ أثر الأسلوب وتأثيره فكيف يكون الشأن في المعنى المحكَم وقد كسى بلفظ جميل، وأُلقي بلفظ منسجم، وعبارات تثير في النفس أخيلة وأمانيَّ.

وينبغي أن يلحظ أن ثمةَ فرقاً بين أسلوب الخطابة وغيرها من ألوان الكتابة والأدب، فالمستمع يتوجه نحو الخطيب بسمعه

وذوقه وفكره، فللكلمات أثر على السمع، وللجرس في النفس وقع، وللعقل فيه إدراك.

ومن أجل هذا فينبغي أن تكون ألفاظ الخطبة سهلة النطق لا يتعثر اللسان في إبرازها، ولا تتزاحم حروفها فلا تتقارب مخارجها ولا تتباعد، كما ينبغي أن تكون ذات جرس خاص يهز النفس ويثير الشعور، وتكون الجمل ذات مقاطع قصيرة؛ كل جملة كاملة في معناها.

إن من أهم خصائص الأسلوب الخطابي عنصر الشعور والوجدان والإثارة والتشويق، وإذا فقد ذلك فُقِد أكبر خصائصه.

وأسلوب التكرار والتفنن في التعبير عنصر هام في الخطابة، فالخطيب محتاج إلى تكرار فكرته، ومغايرة تصويره، فمرة بالتقرير، ومرة بالاستفهام، وأخرى بالاستنكار، ورابعة بالتهكُّم. أما فن الإيجاز والإطناب فيختلف من حال إلى حال، فيراعى حال السامعين في إقبالهم، ومللهم، ونوع الموضوع، وظروف الإلقاء، وردود الفعل عند السامعين.

أما ألفاظ الخطبة وعباراتها فينبغي أن تتَّسم بالوضوح والبيان لتكون سهلة الإدراك من السامعين سريعة الإيصال إلى المقصود بعيدة عن الوحشِيِّ والتكلف.

وفي ذات الوقت تبقى محترمة غير مبتذلة تحفظ للخطيب وخطبته الهيبة والوقار، وللموقف مكانته وجلالته.

فهي ألفاظ منتقاه في غير إغراب في أسلوب سهل ممتنع يفهمه الدهماء ولا يجفو عنه الأكْفَاء.

ومن الحذق في المعرفة أن يُدرك الخطيب أن خطاب الحماس غير خطاب التألم، وحديث الترغيب غير حديث الترهيب، وأسلوب تعداد المفاخر وزرع الثقة غير أسلوب التواضع وذم الكبر والمتكبرين، والخطيب المتمرِّس هو الذي يضع كل نوع في موضعه، ويختار لكل كلمة قالبها وميدانها.

أما السجع فيجمل منه ما ليس بمتكلف، قصير الفقرات، سهل المأخذ، يخف على السمع، ويحرك المشاعر بحسن جرسه، ويكون خفيفاً سهلاً إذا سلم من الغثاثة وجانب الركاكة، اللفظ فيه تابع للمعنى وليس المعنى تابعاً للفظ، ذلك أن السجع حلية، والحلية لا تحقق غرضها في الجمال إلا إذا كانت قليلة غير متكلفة، حسنة التوزيع؛ تبرز المحاسن ولا تغطيها.

ويرتبط بالسجع رعاية المقاطع والفواصل فتكون جملاً قصيرة مكتملة الفائدة عند الوقف في آخرها، والجملة إذا طالت وتأخرت إفادتها للسامع أدركه الثقل والملل، وضاعت عليه الفائدة وحسن المتابعة.

٣ـ اللسان المعبر:

ويقصد به الإلقاء وحسن الإجادة فيه. وقبل أن نبسط القول فيه يحسن التطرق لحديث مقارنة بين الارتجال والكتابة.

بين الارتجال والكتابة:

كثير من الكاتبين والناقدين يستحسنون في الخطيب أن يلقي خطبه ارتجالاً. فهذا عندهم أعظم أثراً، وأكثر انفعالاً، وأقدر على إعطاء الموقف متطلباته من خفض، ورفع، وتهدئة، وزجر،

وقد يدوِّن المرتجل عناصر مقولته في كلمات أو جمل يعاود النظر فيها بين فينة وفينة.

وقد يوجد في الخطباء من يعد الخطبة ويحسن تحبيرها ثم يحفظها حفظاً عن ظهر قلب.

والارتجال بأنواعه وطرقه لا يكون مؤثراً ما لم يسبقه إعداد محكم وحبك للعناصر في النفس على نحو ما سبق في الكلام على الإسلوب.

وثمة فئة من الناس تكتب الخطبة وتلقيها من القرطاس، وهو مسلك مقبول ولكن ذلك لا يؤتي ثمرته ولا يحقق غايته، ما لم يكن الخطيب قد أحسن الإعداد وتأمل فيما كتب وأعاد النظر فيه تأملاً وقراءة وإصلاحاً وتخيراً للألفاظ وانتقاءً للعبارات، بحيث يكون في إلقائه متفاعلاً مع ما يقول مستوعباً لما يلقي ليُحرك المشاعر ويثير العواطف، ويستحسن أن يكون في قراءته وإلقائه مشرفاً على السامعين بنظره بين فترة وأخرى ليعرف حالهم ويسبر مشاعرهم وانفعالاتهم.

الإلقـاء:

هو الغاية التي ينتهي إليها الإعداد والبناء، وهو الصورة التي يتلقى بها السامع حصيلة ما جاد به خطيبه؛ فلا يبقى للخطبة أثرها، ولا لحسن الأسلوب وقعه، ولا لجودة التحضير ثمرته ما لم يُصَبَّ في قالب من الإلقاء يحفظ الجهد، ويبقي المهابة، ويشنِّف الأسماع، ومن أجل تحقيق ذلك يحسن مراعاة ما يلي:

جـودة النطـق:

فيخرج الحروف من مخارجها من غير تشدُّق أو تكلف فيلقيها حسنة صحيحة واضحة في يسر وترفُّق وتدفُّق.

مجانبـة اللحـن:

ينبغي للخطيب أن يعتني عناية تامة باللغة العربية صرفاً ونحواً فينطق لغة عربية صحيحة فصيحة، فاللحن يفسد المعنى، ويقلب المقصود.

وإذا فسد المعنى أو التبس ذهب رونق الخطبة وبهاؤها وحُسْن وَقْعِها، إضافة إلى فساد المعنى من حيث يدري أو لا يدري.

التمهل في الإلقاء:

النطق السريع المتعجل يُفقِد المتابعة، كما أنه قد يشوه إخراج الحروف فيختلط بعضها ببعض، وتتداخل المعاني، وتلتبس العبارات، وقد يؤدي به التعجل إلى إهمال الوقوف عند المقاطع ورعاية الفواصل.

ومن جهة أخرى فإن التمهل والترسل في الأداء من أدل الدلائل على رباطة الجأش، فيجتمع للخطيب الهدوء في الكلام، والأناة في النطق، والجزالة في الصوت.

وهذا التمهل الذي ندعو إليه لا ينبغي أن يقود إلى هدوء بارد، وتثاقل مميت، ولكنه تمهل لا يعارض ما يُطلب من الخطيب من خفض ورفع وعلو نبرات مما يبعث على الحياة، وحسن المتابعة، ودفع السآمة.

الحركـات والإشـارات:

للإشارات والحركات أثرها أثناء الحديث والخطابة، ومن هذه الحركات ما هو غير إرادي فالغاضب يقطب جبينه ويعبس وجهه، وذو الحماس تنتفخ أوداجه وتحمرُّ عيناه، ومنهم من تنقبض أصابعه وتنبسط، ومنهم من يبكي خشوعاً ورقة، ويعلو صوته حماساً وتفاعلاً.

وبعضها إرادي من إشارات توجيهية يحتاج إليها في تنبيه لبعيد أو قريب، إشارات تعكس الانفعال والمشاعر، وتعين على مزيد من المتابعة والتوضيح.

وينبغي أن تكون إشارات منضبطة بقدر معقول، وانفعال غير متكلف، ومتساوية مع الشعور الحقيقي.

طريقـة البنـاء:

تبنىٰ الخطبة عادة من ثلاثة أجزاء: المقدمة، والموضوع، والخاتمة. وهي عناصر لا يصرح بها في أثناء الكتابة أو الإلقاء، كما أنها عناصر متداخلة متناسقة، يبلغ الترابط بينها جودته حسب مقدرة الخطيب، وغزارة علمه، وخبرته؛ فتنتظم أجزاء الخطبة ويحكم تركيبها.

وهذا الانتظام والإحكام يجعل المعاني واضحة، والمقاصد ظاهرة، ويضمن للمتحدث حسن الإصغاء من سامعيه وكمال الانتباه من جالسيه.

وقد لا يلزم مراعاة هذه الأجزاء في كل خطبة لكن خطبة الجمعة غالباً ما تحتاج إليها نظراً لأنها خطبة طويلة غير قصيرة.

المقدمـــة:

ينبغي أن يهتم الخطيب بمقدمته وافتتاحيته، فيأتي بعبارات الاستهلال التي توحي للسامع بمقصود الخطبة، مما يشدُّ الانتباه ويهيىء النفوس، وقد يكون ذلك بآيات قرآنية زاجرة أو مرغبة، أو بعضِ الحكم البليغة، والافتتاحية هي أول ما يلقيه الخطيب على جمهوره، فإذا ما فاجأهم بحسن التقديم استطاع متابعة بقية خطبته بانطلاق ونشوة، وعاش مع جمالها اللفظي، وسبكها الفني، ومعناها الدقيق.

وإن الناظر في افتتاحيات أوائل السور في القرآن الكريم، يدرك ما تثيره في النفس من الإجلال والشوق والرغبة في المتابعة، فترى الافتتاح حيناً بالثناء على الله عز وجل وتسبيحه وتنزيهه، وحيناً بالنداء أو الاستفهام أو القسم مما يُولِّد الرغبة في المتابعة ويُولِّد اللهفة في الاستكشاف لدى كل ذي ذوق رفيع وحس مرهف.

والمقصود أن يكون في صدر الكلام ما يدل على غاية المتحدث، على أن من المعلوم أن خطبة الجمعة تفتتح بحمد الله والثناء عليه والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ويكون في هذه الألفاظ من حسن الانتقاء ما يدل على موضوع الخطبة ومقصودها.

ومعروف عند المتقدمين من السلف ـ رحمهم الله ـ أن ما لا يبتدأ بالحمد فهو الأجذم الأبتر، وما لم يزين بالصلاة على رسول الله ﷺ فهو المشوَّه.

الموضـــوع:

وهو مقصود الخطبة الأعظم، وقد أشرنا في الكلام على أنواع الخطب إلى معظم مقاصد خطبة الجمعة.

وقد يكون من المناسب التصريح به في مبتدإ الخطبة كأن يقول: أريد أن أحدثكم عن كذا.. إذا كان من قضايا الساعة التي يخوض فيها المجتمع ويتطلع إلى كلام شاف فيها.

وقد لا يحسن التصريح به، إما لأنه شائك أو يوجب انقسام الناس، وفي هذه الحالة ينبغي أن يدخل إليه الخطيب دخولاً متدرجاً، ويتناوله تناولاً غير مباشر، ليأخذ السامعين بتسلسل منطقي فيصل إلى مبتغاه باعتدال وتوازن متحاشياً الإثارة والانقسام، ومن ثمَّ يبلغ الخطيب غايته من تهيئة النفوس إن كانت عنه معرضة، وإليه غير مقبلة، أو كان حديثاً في غير ما تألفه نفوسهم.

وموضوع الخطبة عادة ما يبتني على ركنين أساسيين هما: التعريف والإيضاح، والاستدلال.

أما التعريف والإيضاح:

فلا يقصد به ما يعتني به الباحثون المتخصصون من اللغة والإصطلاح، ولكنه يكون بذكر الصفات والخواص والمزايا لذات الموضوع، وقد يكون بذكر الاستعارات والتشبيهات وضرب الأمثال والإجمال ثم التفصيل والتضادِّ والتقابل. وانظر إلى هذا التعريف من علي رضي الله عنه للمتَّقين من خلال أوصافهم ونعوتهم فهو يقول: «المتَّقون هم أهل الفضائل، منطقهم

الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضُّوا أبصارهم عن الحرام، ووقفوا أسماعهم على النافع من العلم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كُتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب».

أما الاستدلال:

فغالبا ما يحتاج الموضوع إلى ما يدعمه بالأدلة والحجج والبراهين والشواهد، وهي عادة ما تكون من الكتاب والسنة وأقوال السلف، وإيراد بعض الوقائع والأحداث من باب القياس والاعتبار، بل إن زيادة الإيضاح والبسط والبيان نوع من التدليل وكسب إقناع المستمعين بصدقها أو أهميتها أو خطورتها، ومما يدخل في هذا الباب دخولاً أولياً ربط الحاضر بالماضي وبخاصة تاريخ السلف الماضين، فإن النفوس تحفظ تقديراً وإكباراً لسلفها المجيد وأصحابه الأماجد ولأمر ما قال الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] وقالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ويُفيد في هذا الباب النقل عن مشاهير الأئمة وحكمائها ممن عرفوا بالصلاح والإمامة والمروءة والزهد والشجاعة والورع حسب ما يقتضي المقام ويناسب المقال.

الخاتمة:

بعد أن يفرغ الخطيب من عرض موضوعه، وسوق أدلته، وضرب أمثلته وبيان دروسه وعبره وترغيبه وترهيبه، يحسن أن يُنهي خطبته بخاتمة مناسبة تجمع أفكاره، وتلخص موضوعه،

بعبارات مغايرة، وطريقة مختصرة، لأن الإطالة في هذه الحالة تجلب الملل وتشتت الفكر.

ولا ينبغي أن تحتوي على أفكار جديدة وأدلة جديدة؛ لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما جزء من الخطبة وامتداد لها.

وتكون الخاتمة قوية في تعبيرها وتأثيرها؛ لأنها آخر ما يطرق سمع السامع ويبقى في ذهنه، وإذا كانت ضعيفة في تركيبها فاترة في إلقائها، ذهبت فائدة الخطبة، ذلك أنَّ من نجاح الخطيب أن يلقي خاتمته بثقة وطريقة مؤثرة ومقنعة، وكأنه يشعر جمهوره بأنه قد انتهى إلى رأي ومسألة لا تقبل الجدل ولا تحتمل النظر.

وقد تكون الخاتمة آيات قرآنية لم يسقها من قبل تجمع موضوعه في الترغيب أو الترهيب أو التدليل والإثبات، وقد تكون حديثاً نبوياً يفيد ما تفيده الآيات القرآنية.

وقد يكون إعادة لعناصر الخطبة بأسلوب مغاير ـ كما أسلفت ـ وبطريقة جامعة واضحة ذات تأثير قوي. هذا ما يتعلق في بناء الخطبة.

وثمَّة مسائل لا يسع الكاتب إغفالها من أجل استكمال التصور الشامل عن الخطبة وحسن إعدادها وهي مسائل ثلاث: وحدة الموضوع، الجدة والتغيير، طول الخطبة.

١ـ وحدة الموضوع:

ينبغي الاقتصار على موضوع واحد تستوفي عناصره وتُحبَّر كلماته وتعمق معالجته؛ لأنَّ تَشَعُّبَ الموضوعات وتعدُّد القضايا في المقام الواحد يُشتِّت الأذهان، ويُنسي بعضها بعضاً،

ويقود إلى الإطالة المملة والصورة الباهتة وسطحية المعالجة.

٢ـ الجـدة والتغييـر:

ويعني ذلك ألا يلتزم الخطيب طريقة واحدة أو وتيرة واحدة في أسلوبه وطريقة إلقائه، بل يكون استفهامياً تارة، وتقريرياً أخرى، وضرباً للأمثال، وتلمُّساً للحكم والأسرار، مع ما يطلب من معايشة الأحداث، ومتابعة المتغيرات، وتلمُّس حاجات الناس وتوجيههم وتبصيرهم تمشياً مع أثر هذه المتغيرات عليهم.

على أنَّ الخطب المنبرية بطبيعتها قد تستدعي تكراراً لبعض مواضيعها إن لم يكن كثيرٌ منها، لأن من أعظم أغراضها ومقاصدها الدعوة والتذكير. والتذكير في حقيقته يعني الحديث عن شيء سبق علم السامع به فهو تنبيه لغافل، وحثٌّ لمقصر، مما يستدعي التجديد في الطرق والأسلوب والمعالجة، كالتوحيد والعبادة والصلاة والصوم والزكاة وبرّ الوالدين والمحرمات من الربا والزنا والخمر والزور وأكل أموال الناس بالباطل وأمثالها، مما يجب مراعاة التجديد في طرقها والتغيير في عرضها.

طـول الخطبـة:

من المعلوم أن معالجة الموضوعات تختلف باختلاف محتواها وظروفها وسامعيها. ففي بعض الظروف يحسن البسط والإطناب، ويكون السامعون مستعدين للاستماع، كما هو مشاهد في ظروف الأزمات والأوضاع ذات النقاشات الحادة والأحوال المتوتِّرة، كما أن بعض الخطباء عنده من الجاذبية، وحسن العرض، والإلقاء، ولطف التودد، والأخذ بالألباب، ومجامع العقول؛ ما يجعلهم يطلبون المكوث حول خطيبهم ويقبلون منه الإطالة، إن هذه

ظروفٌ وأوضاعٌ لا تنكر، ولكنَّ الحال الأغلب والواقع الأعم أن النفوس لها حد تحسن فيه الاستماع وتدرك فيه المعاني، بعده تتشبع وتقف ويصبح الكلام عندها مملولاً، والكلام ثقيلاً، وينسي بعضه بعضاً، فالوصية العامة للخطباء أن يجتنبوا الإطالة ويجنحوا إلى الاعتدال وتغليب جانب الاختصار على الإطناب في أعم الأحوال، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه**».

ويحسن من الخطيب أن يعوِّد سامعيه على زمن معتدل ثابت يلتزمه، فإنهم إذا خبروه بانضباطه ودقة التزامه أحبوه ولازموا حضوره.

ومن الخير للخطيب وجمهوره أن ينفضوا وهم متعلقون بخطيبهم من غير ملل أو سآمة.

صفات الخطيب وآدابه:

لكل خطيب متميز خصوصيته مهما كانت الأفكار بديعة، والابتكارات متميزة، والاختيارات قوية، والأسلوب رصيناً، والإلقاء عالياً، فلن تتحقق المثالية والأنموذجية للخطبة بهذه العناصر وحدها؛ لأن هناك عاملاً مهماً لا يجوز إغفاله، إنه خصوصية الخطيب وانفراديته، وبعبارة أخرى انصهارية هذه العناصر وانسجامها، وهذا لا يتأتَّى إلا من خلال الخطيب وشخصيته وتكامل موهبته وخصائصه العلمية والفنية.

إن الخطبة كاللباس المفصَّل على القامة لا يظهر جماله ولا يتكامل بناؤه إلا بقدر انسجامه على بدن اللابس.

إنَّ جودة اللباس وحسن لونه ونوع خياطته ودقة تفصيله لا تكفي في إعطاء الملبس الحسن إلا بعد اتساق ذلك مع قامة اللابس وبدنه، ولهذا فإن الخطبة الجيدة مستوفية العناصر لو ألقاها غير صاحبها لما ظهرت بذات القوة والتأثير والجمال والتأثر.

إذا كان الأمر كذلك فينبغي للخطيب المتطلع للنبوغ والإبداع أن يعرف مواهبه الخاصة ويحسن صقلها وتنميتها، ويستقل بالابتكار والاختيار والأسلوب والإلقاء؛ لأن المداومة على التقليد والمحاكاة وإطالة الاقتباس لا تنتج خطيباً متميزاً ذا خطب مثالية، والله المستعان على الإحسان والإخلاص.

وهذا عرض لما ينبغي أن يكون عليه الخطيب من صفات وما يتحلى به من آداب.

صفات الخطيب:

تنقسم الصفات المبتغاة في الخطيب إلى نوعين: صفات فطرية وصفات مكتسبة.

الصفات الفطرية:

ويقصد بها الصفات الذاتية لدى الخطيب من الاستعداد الفطري، والسليقة الطبيعية، من طلاقة اللسان، وفصاحة المنطق، وثبات الجنان وصوت جهوري، وأداء متوثِّب، ولسان مبين سليم من عيوب الكلام كالفأفأة والتأتأة لتكون مخارج الحروف عنده صحيحة.

والخطيب كغيره من المربين والموجهين يحتاج إلى عقل راجح

يقوده إلى البحث المركَّز، والملاحظة الدقيقة، وحسن المقارنة، والمعرفة بطبائع الأشياء، وسلامة الاستنتاج، مع يقظة حية وبديهة نيِّرة، يُضمُّ إلى ذلك الجرأة والشجاعة والثقة بالنفس ورباطة الجأش، وهذه الصفات تتوثق مع قوة التكوين العلمي وجودة التحضير وطول الخبرة.

الصفات المكتسبة:

وهي صفات ينالها الخطيب بالدراسة والمران والدربة، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

١ـ القراءة والاطلاع والتحصيل الكافي من العلم:

لابدَّ للخطيب صاحب الموهبة الفطرية من تهذيب فطرته هذه وصقلها بالعلم والدراسة، ويتركز ذلك في عدة مسارات:

أ ـ علوم القرآن والسنة:

وهذا هو لبُّ بضاعته، والسبيل إلى تحقيق غايته، ينضمُّ إلى ذلك إلمام بالسيرة وتاريخ الأمة وأئمتها ودراية بأحكام الشريعة، وقد تحسن العناية بأنواع من العلوم التي تفيد في معرفة أحوال الأمم وسنن الله في التغيير كالعلم بنشأة الأمم ومراحل التاريخ وعلم الأخلاق والنفس والاجتماع.

ب ـ الإكثار من الاطلاع على الكلام البليغ:

النظر في أقوال البلغاء متأملاً في مناحي التأثير وأسرار البلاغة، متذوقاً جمال الأسلوب وحسن التعبير، فهذا مما يشحذ القريحة ويذكي الفطنة.

ج ـ تحصيل ثروة كثيرة من الألفاظ والأساليب:

الخطيب يحتاج إلى عبارات وأساليب متنوعة للمعنى الواحد ليتمكن من إيصال المعنى لطبقات السامعين ودفع السآمة عن نفوسهم، ولا يخدمه في ذلك إلا ثروة لغوية، ثروة من أجل أن يأخذ بنواصي البيان، فيلقي جُملاً تُثير خيال النفس، وتهزُّ مشاعر الوجدان، فتنشِّط الأسماع وتشرئبُّ لها الأعناق وتتفتح القلوب للعبارات المحكمة والمعاني المتقنة، وبهذا ينطلق اللسان ويظهر البيان، وتتشنف الأسماع.

٢ـ الدربة والمران:

الخطابة ملكة لا تتكون دفعة واحدة بل إنها معاناة وممارسة ومران، وإذا كانت الخطابة فكرة وأسلوباً وإلقاءً محكماً فإن المران ينبغي أن ينتظمها كلها. ففي باب الفكرة عليه أن يتعود ضبط أفكاره ووزن آرائه وحسن الربط بينها ليأخذ بعضها برقاب بعض ويوصل بعضها إلى بعض بتسلسل منطقي مرتب.

وفي باب الأسلوب ـ كما سبق ـ الإحاطة بالقول البليغ وحفظ كثير من عيونه وحسن استخدامها.

أما الإلقاء ـ فكما سبق أيضاً ـ يجمل بالخطيب إجادة الدقة في مخارج الحروف وحسن أدائها بترسُّل وتخيُّر نبرات الصوت الملائمة انخفاضاً وارتفاعاً غير هيَّاب ولا وجِل.

وإذا ما تمَّ له ذلك اصبح واثق العلم رصين الأسلوب، رابط الجأش، مطمئن النفس، ثابت الجنان، ولو حصل عكس ذلك أو قلَّ مرانه لأحاط به الاضطراب والضعف وهان في أعين الحضور

واضمحل تأثيره وذهب كلامه هباءً وتصبب عرقاً وغرق في الحيرة والدهشة وعلاه الإرتاج والإفحام.

إضـافـات:

هذه أساسيات التحصيل العلمي والدربة، وهناك ملاحظات متعلقة بها يحسن بالخطيب رعايتها، منها:

٣ـ تجنب الخوض فيما لا يعلم:

على الخطيب الابتعاد عن الخوض فيما لا يعلم فإن هذا مُوقعٌ في الارتباك والحديث غير المفهوم، فتضيع الهيبة والوقار ويصبح محل التندر مما يمنع الاستفادة والقبول وينفر الجمهور.

٤ـ مخاطبة الناس بما يعرفون:

من الخطأ وقلة الفقه في خطاب الناس الخوض في دقائق العلوم والمعارف، وتفاصيل المباحث إثباتاً أو نفياً ونقاشاً علمياً والغوص في الخلافات العلمية والفقهية مما مجاله حلق العلم وقاعات الدراسة، ناهيك بمن يخوض في العلوم التجريبية والعلوم البحتة من طب وتشريح وفلك ودقائق خلق الإنسان والحيوان ومكونات الأرض والصخور مما لا تدركه فهوم عموم المستمعين فهذا يمنع الفائدة ويُجرِّىء على الاستهانة بالخطيب وموضوعه.

٥ـ مراعاة مقتضى الحال وأحوال السامعين:

لكل مقام مقال، ولكل جماعة لسان، فالحديث إلى العلماء غير الحديث إلى الأغنياء، والحديث إلى العامة غير الحديث إلى العِلْية، خطاب الأميين غير خطاب المثقفين، والكلام في حالات

الأمن يختلف عنه في حالات الخوف، وقل مثل ذلك في اختلاف الظروف وتقلبات الأحوال من غنى وفقر وصحة ومرض ورخاء وجدب، ومخاطبة الثائرين غير مخاطبة الفاترين، فالثائر يقمع والفاتر يوقظ.

والمتكلم الجيد يعرف أقدار المعاني ويُوازن بينها وبين أقدار السامعين وأقدار الأحوال، فيجعل لكل طبقة كلاماً ولكل حال مقاماً، فيقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني وأقدار المعاني على أقدار المقامات.

ناهيك بمراعاة الفروق بين خطاب أهل القرية النائية والمدينة المكتظة، فصخب المدينة وأحداثها غير عزلة القرية ومحدوديتها.

آداب يلتـزم بهـا:

يضاف إلى ما سبق من الصفات فطريها ومكتسبها بعض آداب تفيد في تحقيق النفع وبلوغ الأثر وحصول القول.

١ـ صدق اللهجـة:

لابد أن يظهر الخطيب مخلصاً صادقاً حريصاً على قول الحق والعمل به والدعوة إليه، فهذا ينبت الثقه فلا يُسرف في مدح ولا ذم ولا وعد ولا وعيد، يبتعد عن فاحش القول وبذيئه يستغني بالكناية عن التصريح فيما يستهجن فيه الإفصاح، فعفة اللسان ونزاهته دليل على نزاهة القلب وصفائه.

٢ـ التودد للسامعين:

ينبغي للخطيب أن ينحو منحى الرفق والتبشير والتيسير قدر المستطاع، ومن أظهر المحبة كان أجدر بأن يُستجاب له، ومن

أغضب واستثار كان أحرى بأن يُردَّ قوله.

ومما يدخل في هذا الباب البعد عن العُجْب والحديث عن النفس وتجنب الأغراض الشخصية، فظهور الغرض الشخصي يجعل للريبة مدخلاً، فحقُّه أن يسبقهم في المكارم، ويَقْدُمُهم في المغارم، ويُقَدِّمهم في المغانم.

٣ـ الورع والصلاح:

الورع والتدين والعفة والصلاح من أدلَّ الدلائل على الصدق والإخلاص وتجرد الإيمان والبعد عن الأغراض والأهواء، فعلى الخطيب أن يتسربل بسربال التقوى، ويتدثر بدثار الاستقامة.

٤ـ اليقين العميق والاقتناع الشخصي:

يجب أن يكون الخطيب شديد الثقة بما يقول، صادق اليقين بما تفيض به نفسه وينطق به لسانه، إذ لا يُؤثِّر إلا المتأثر، وما كان من القلب فهو يصل إلى القلب.

إن قوة الاعتقاد وصحة اليقين تُكسب الكلام حرارة، والصوت تأثيراً، والألفاظ قوة، والمعاني روحاً، وكل ذلك يُولِّد جواً عاطفياً حول الخطيب يجعل كلامه متصلاً بوجدانه.

٥ـ صفات وآداب عامة:

ما سبق لم يكن حصراً للصفات والآداب، ولكنها إشارات بينها ترابط وفي ثناياها أمارات إلى غيرها مما قد تراه مبسوطاً في مراجع أخرى، فالحديث في مثل هذه الصفات والآداب يعمق ويتشعب، وبخاصة في مثل الخطيب والموجه والمربي والمعلم ورجل الدعوة، فهم أمثلة تحتذى ويوجهون بأعمالهم وصفاتهم

قبل أقوالهم وعلومهم، وهاك سرداً لبعض الصفات لتدلَّك على ما قلنا، مما لا ينبغي أن يغفل عنه الخطيب وأمثاله ويتعاهد نفسه بفحصها وتجديد تقويتها في ذاته والالتزام بها من الحلم، وسعة الصدر، والتواضع، والصبر، والقوة، والحنو على الناس، وخدمتهم وإظهار الشفقة عليهم، وتجنيبهم الجدل والخصام، وأثر ذلك على عمله ومهمته وقومه لا يخفى إيجاباً في الالتزام وسلباً في الخلل والتقصير، والله المستعان.

مصادر الخطبة:

يتم إعداد الخطب المنبرية وجمع عناصرها من المصادر والمراجع الإسلامية، والكتابات الاجتماعية والتربوية والثقافية، وإليك استعراض إجمالي لبعض هذه المصادر وكيفية الاستفادة منها:

١ـ القرآن الكريم وتفسيره:

يمكن أن تكون الاستفادة في تقديري على طريقين:

أحدهما: باستعراض النصوص القرآنية وجمعها وحسن ترتيبها، ويكون هذا في موضوعات الخطب التي عرض لها القرآن بتفصيل واسع، كالإيمان والتوحيد والتقوى وأحوال القيامة واليوم الآخر والجنة والنار وقصص الأنبياء وأشباه ذلك، فجمع الآيات واستعراضها يعطي تكاملاً وشمولاً وبياناً لدى السامع، قد لا يدركه لو قرأ الآيات في مواضعها من المصحف.

ويتبع الجمعَ الاطلاعُ على تفسير هذه الآيات ألفاظاً وإجمالاً، ومن ثمَّ الربط بين هذه الآيات، ومن المعلوم أن حسن الربط

يعطي مزيد إيضاح وبيان حتى كأنَّ السامع لم يقرأ الآيات من قبل.

ثانيها: إذا كان موضوع الخطبة مما لم يرد تفصيله في القرآن الكريم ولكن يستدل له بآيات من القرآن.

فهذه يفيد فيها استعراض المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ليكون الاستيعاب أتم وأوفى، فاللفظة ترد في القرآن الكريم على وجوه وتصريفات متعددة، ومن المفيد جداً استعراض هذه الوجوه وتدقيق النظر فيها وربطها بنظائرها، ومراجعة أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم، ولسوف يجد الخطيب إشارات قرآنية بليغة وفهوماً للعلماء دقيقة وأسراراً من المعاني عميقة تجعل خطبته تحتلُّ مكاناً مرموقاً لدى سامعيه ومتابعيه.

وغني عن البيان أنَّ كتب التفسير تتنوَّع في تناولها وطرائق تفسيرها، فمنها ما يهتم بالمأثور ومنها ما يعتني بالرأي وفيها اللغوي والإجمالي وغير ذلك من اتجاهات التفسير في كتب التفسير قديمها وحديثها.

٢ـ الحديث الشريف وشروحه:

ما قيل في القرآن الكريم يُقال في الحديث الشريف، فهو المصدر الثاني من مصادر الإسلام، والحديث النبوي أكثر تفصيلاً وسعة من القرآن الكريم فهو شارح للقرآن ومبيِّنه، وقد حوى من التفصيل والبيان ما زخرت به مدونات السنة يضمُّ إلى ذلك شروح أهل العلم وفهومهم واستنباطاتهم، مما يوفر للخطيب معيناً

لا ينضب فيما يتوجه إليه من موضوعات.

٣ـ مصادر إسلامية قديمة:

وهي ما عدا التفسير وشروح السنة من كتب العقائد والأحكام والمواعظ والأخلاق والرقائق وغيرها، يختار منها الخطيب ما يُناسب موضوعه تأصيلاً واستدلالاً وأسلوباً، ويُذكر على سبيل المثال مدارج السالكين، وزاد المعاد لابن القيم ـ رحمه الله ـ، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، وصيد الخاطر لابن الجوزي، وأدب الدنيا والدين للماوردي وروضة العقلاء للبستي، وجامع العلوم والحكم لابن رجب.

٤ـ كتب الأدب القديم والحديث:

وهذه يعتني بها الخطيب من أجل رقيِّ الأسلوب، وتخيُّر الألفاظ، وانتقاء الكلمات والعبارات الجزلة الأخاذة ذات الوقع المتميز على السامع، ومن هذه الكتب القديمة البيان والتبيين للجاحظ، وصبح الأعشى للقلقشندي، فأسلوبها متميز والصناعة اللفظية فيها عالية، على ما يتعين على الخطيب من ملاحظة المعاني الصحيحة التي لا تُخالف مقاصد الشرع وأصوله.

ومن الكتب الحديث مؤلفات الرافعي، والخضر حسين، ومحمد محمد حسين، والعقاد، وأحمد حسن الزيات، والسيد أحمد الهاشمي وأمثالها.

٥ـ الكتب المؤلفة في الإسلام والقضايا المعاصرة:

تزخر الساحة العلمية والأدبية بكتب إسلامية معاصرة جيدة، توفر للخطيب ثروة هائلة في إعداد مواضيعه وبخاصة الاجتماعية

منها والتربوية وقضايا العصر وأحداث الوقت، فهي تتحدث بلغة معاصرة جيدة وبمعالجات مناسبة، يحسن من الخطيب كثرة المطالعة فيها، مثل : محمد سالم البيحاني وكتابه إصلاح المجتمع، وسلسلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

٦ـ المؤلفات في الخطب:

وهي مؤلفات خاصة تشتمل على خطب الجمعة والعيدين، ألقاها مؤلفوها في مواضيع متنوعة، والسوق المكتبية مليئة بهذا النوع من المؤلفات يجدر بالخطيب وبخاصة في بدايات عمله الخطابي أن يطَّلع عليها، وهذه المؤلفات غالباً ما تحتوي على مواضيع متشابهة في الطرح من الإيمانيات والمواعظ والقضايا الاجتماعية، مما يُتيح للخطيب المبتدىء فرصة المقارنة بين مناهج الخطباء وطرق عرضهم وأساليب طرحهم مما يعينه على رسم خط متميز لنفسه، ولهذا ينبغي الاطلاع على هذه المؤلفات في بدايات الممارسة الخطابية حتى إذا اشتد عوده واتسعت مداركه ومعارفه استقل بنفسه، وتوجَّه إلى المصادر الأصلية، فصار ينشىء الخطب ويرسم لنفسه خطاً خاصاً وطريقاً منفرداً، ومن المؤلفات في هذا الباب خطب المراغي والبيحاني والشيخ عبدالله خياط، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان والشيخ محمد بن سبيِّل.

٧ـ الصحف والمجلات:

يجدر بالخطيب مواكبة الأحداث ومسايرة الوقائع، وقد يفيده في ذلك الإطلاع على الصحف والمجلات ليُتابع الأحداث

المستجدَّة، ويُمعن النظر في المقالات والتعليقات التي تواكب الحدث، ففيها ثراء وتوسيع لمدارك المتابع، وبصر بتفسير الأحداث، مما يهدي الخطيب إلى النظرة المتوازنه وبخاصة إذا كثر اطِّلاعه على الكتابات والتعليقات الصحفية للكُتَّابِ المرموقين.

وقد تكون المجلات أكثر إفادة لأنها تعالج بعمق أكبر، فإذا كانت الصحافة تهتم بالحدث اليومي السريع، فإن المجلة تدخل إلى الحدث بعمق أكبر.

وهناك مجلات إسلامية وعلمية متخصصة ينبغي مزيد الاعتناء بها لما تحتويه من مادة علمية مؤصلة مدللة تعين الخطيب على غايته، مثل مجلة البحوث الإسلامية، والدعوة، والبيان، والإصلاح، والمجتمع.

نهاية:

وبعد، فهذا ما تيسر تدوينه من النظر في تعريف الخطبة وإعدادها، سائلاً المولىٰ جلت قدرته وعز شأنه أن يهدي للتي هي أقوم من العمل والأحسن من القول، ويوفق للإخلاص في القول والعلم والعمل، وما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، ورحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، ولا عدمت أخاً يدمح زلة، وينبه إلى غلطة، وكفى بربك هادياً ونصيراً. وصلى الله وسلم على خير خلقه، نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً. . . وبعد:

فإن المسجد قلب المجتمع الإسلامي، وملتقى المؤمنين بالغدو والآصال، تؤدى فيه حقوق لله، وترتفع فيه أيد تستمد العون منه سبحانه. وهو مصدر قوة في العبادة وزاد في العلم، في الجمع والأعياد، تنصت جماهير المسلمين في سكينة وخشوع للتذكير والتوجيه. يحضرون حلقات العلم التي تُعمرُ بها مساجدهم، كما يستمعون إلى كلمات واعظة من إمام الحي أو عالمه فيحصل الخير، ويعم النفع وتأتلف القلوب، وتزول الوحشة بين العلم والعلماء والناشئة وعامة الناس. ذلك أن المساجد لها دورها ولها وظيفتها ولها أثرها ولعل من المناسب في هذه التقدمة بين يدي هذه الخطب الإشارة إلى بعض وظائف المسجد وما ينبغي مراعاته في خطبة الجمعة إعداداً وآداباً.

١ـ المساجد مركز الدعوة لأعز مطلوب وأهم مرغوب ذلكم توحيد الله وإفراده بالعبادة ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

٢ـ أمر الله عز وجل برفعتها وتعظيم شأنها والاهتمام بها ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦] بل إن رفعتها الحقيقية تتأكد حينما يعمرها عبد الله الصالحون الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

٣ـ حَثَّ المسلمين على بنائها وإنشائها ورتب على ذلك الأجر الجزيل قال ﷺ: «**من بنى مسجداً لله تعالىٰ بنى الله له بيتاً في الجنة**»(١).

ويكفي لبيان أهمية المسجد في المجتمع المسلم أن أول عمل قام به النبي ﷺ حين قدم المدينة بناء المسجد الذي يقول الله فيه ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. فإعداد المسجد يكون من أول يوم.

٤ـ المساجد أشرف البقاع وأحبها إلى الله ففي الحديث الصحيح «**أحب البلاد إلى الله مساجدها**»(٢)، وفي رواية أحمد «**خير البقاع في الأرض المساجد**».

٥ـ الحث على التردد إليها والاعتياد على ارتيادها، ذلك أن التكاسل عن الصلاة والتقاصر عن الجماعة من علامات النفاق

---

(١) متفق عليه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. أخرجه البخاري (١/ ٦٤٨ ـ ح٤٥٠)، ومسلم (١/ ٣٧٨ ـ ح٥٣٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٤ ـ ح٦٧١).

البارزة ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤].

وفي الحديث «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(١). «**ومن غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح**»(٢). ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل قلبه معلق بالمساجد**»(٣). وفي ذلك كلِّه حث ظاهر لإحياء رسالة المسجد وبيان أهميته.

٦ـ يضاف إلى ذلك: الحث على الانتظار في المسجد والبقاء فيه وفي ذلك من الخير ما لا يحصى. لاسيما مع الذكر وقراءة القرآن والتعلم وتفقد أحوال أهل الحي من المسلمين قال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات قالوا بلى يا رسول الله، قال: قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**»(٤).

٧ـ أمر النبي ﷺ بتعاهدها بالنظافة وصيانتها من الأقذار وجلب الروائح الطيبة لها وإبعاد الروائح الكريهة عنها سواء من المصلين

---

(١) رواه أبوداود (١/ ١٥٤ ـ ح٥٦١)، والترمذي (١/ ٤٣٥ ـ ح٢٢٣)، وقال: غريب من هذا الوجه مرفوع، هو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي ﷺ، ولم يُسْنَد إلى النبي ﷺ، ورواه ابن ماجه (١/ ٢٥٦ ـ ح٧٨١) بإسناد ضعيف، وانظر مجمع الزوائد (٢/ ٣٠، ٣١)، وأخرجه الحاكم (١/ ٢١٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وبهذا فالحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٧٣ ـ ح٦٦٢)، ومسلم (١/ ٤٦٣ ـ ح٦٦٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ١٦٨ ـ ح٦٦٠)، ومسلم (٢/ ٧١٥ ـ ح١٠٣١).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢١٩ ـ ح٢٥١)، ومالك في الموطأ (١/ ١٦١).

أو من غيرهم استعمالاً أو أكلاً أو غير ذلك.

٨ـ توعد الله عز وجل من يمنع المساجد من أداء رسالتها على الوجه المطلوب أو سعى في خرابها بالخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة. ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١١٤].

٩ـ العلم والتعلم في المساجد من أبرز وظائفه وهو معدود من ذكر الله وتسبيحه وفي ذلك يقول ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[1]. وإذا كانت المساجد لها مثل تلك الأهمية البالغة فمما لا شك فيه أن الأهمية تزداد والمسئولية تتعاظم بالنسبة لبيت الله الحرام (مسجد الكعبة) الذي تهفو إليه نفوس المسلمين في كل مكان وترنو إليه أبصار المؤمنين وأفئدتهم شوقاً إليه وتطلعاً لما يصدر عنه ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧].

ويحسن في هذا المقام أن أنبه في عجالة إلى بعض الأمور التي يجدر مراعاتها في خطبة يوم الجمعة. فهو يوم يجتمع في المسلمون كل أسبوع ليشهدوا الخير ودعوة المسلمين والتذكير بما يرقق القلوب ويلقح الفهوم ويجمع على الهُدىٰ والحق

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ـ ح٢٦٩٩)، وأبوداود (٢/ ٧١ ـ ح١٤٥٥)، وابن ماجه (١/ ٨٢ ـ ح٢٢٥).

والطريق المستقيم.

١ـ يحسن الاقتصار في الخطبة على موضوع واحد غير متشعب الأطراف ولا متعدد القضايا إذ أن ذلك في الغالب يشتت الأذهان وينسي بعضه بعضا. فمهما كانت العبارة بليغة والأسلوب منمقاً والفكر متدفقاً فإنه لا يستطيع مع الإطالة إعطاء صورة متكاملة مجتمعة الأفكار واضحة المعالم.

٢ـ ينبغي عدم التعرض لذكر الخلاف في الفروع، والانطلاق من المسلمات في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وفي ذلك متسع ثرٌّ في الوعظ والإرشاد، وبهذا تؤدي الخطبة دورها في التوجيه وجمع الكلمة والتمسك بشعب الإيمان، وما أكثر الفضائل والعزائم التي تناسب ميادين التوجيهات والمواعظ.

٣ـ الحرص قدر الإمكان أن يلائم موضوع الخطبة الأحداث الجارية والملابسات الواقعة في دنيا الناس ومخاطبة جماهير السامعين. فإنه مما يزري أن تكون الخطبة في وادٍ والناس والزمان في وادٍ آخر، وإن في نزول كتاب الله منجما مما ينبه إلى ذلك.

٤ـ ما ذكر في الفقرة السابقة لا ينافي المطالبة بأن يتخول الناس بذكر سير السلف الصالح ابتداء بالقدوة الأولى والرحمة المهداة محمد بن عبدالله ﷺ ثم صحابته من بعده والتابعين لهم بإحسان وذكر أمجاد المسلمين في شتى المجالات، والتنبيه إلى ينابيع الحضارة الإسلامية اليانعة والمتجددة فإن في ذلك زرعاً للثقة في النفوس وربطاً للمستقبل المأمول بالماضي المجيد،

وتأكيداً للإيمان بالرسالة العالمية وتأصيلاً للهوية الإسلامية.

٥ـ لا شك أن مما سيعرض له الخطيب طَرْق مجالات تنبه المسلمين إلى الأخطار الإلحادية والفلسفات الأجنبية والنزعات المنحرفة والنحل الباطلة، وهذا أمر مطلوب وقد يكون ملحاً في بعض الأحيان غير أنه ينبغي في سبيل ذلك الحرص على بيان حقائق الإسلام بقوة من غير خوض في أسلوب جدلي أو تجريحي ففي نصاعة الإسلام وقوته بحمد الله ما يكفي لدحر الباطل وافتراءات أهله.

٦ـ الخطيب في كثير من المقامات هو طبيب فعليه قبل وصف العلاج أن يتعرف على العلل والأمراض الشائعة ويشخص الداء ويعرف الأعراض فإذا استبان له ذلك رجع إلى الكتاب والسنة فوضع الدواء في موضع المرض وكلما دق التشخيص سَهُل العلاج. ومعلوم أن الواعظ غير المتبصر سيأتي بما لا يناسب وإذا أخطأ في تحديد العلة فقد تكون الخطبة لغواً على الرغم من شمولها على نصوص صحيحة.

٧ـ وإن الاهتمام بالخطبة والتحضير الجيد دليل على احترام المرء لنفسه والسامعين.

٨ـ الحرص على الإيجاز قدر الإمكان. والقدرة على ذلك تنبع من عمق الثقافة وقوة التحصيل ووضوح الصورة والإدراك التام لما يريد الخطيب الحديث عنه. ذلك أن النفس البشرية لا تزكو فيها المعاني إلا إذا أمكن تحديدها وتقويمها. أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى شبه إناء قد امتلأ وبدأت

تسيل منه الكلمات مهما بلغت نفاستها. ومن الخطأ أن يظن المتكلم أن عليه أن يقول ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا طوعاً أو كرهاً، هذا ما أمكن التنبيه إليه في هذه المقدمة.

وبعد فبين يديك أخي القارىء الكريم بعض من خطب ألقيت في المسجد الحرام. أرجو أن تجد فيها زاداً لفكر وموعظة لقلب وعلاجاً لمشكلة، وما كان من حق وصواب فمن الله سبحانه وله الفضل والمنة، وما كان من سوى ذلك فغفر الله الخطأ والزلل، ولا عدمت أخاً فاضلاً وقارئاً كريماً يدمح الزلة وينبه للغلطة.

توحيد وعبادة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ، ولا نعبدُ إلا إياهُ مخلصينَ له الدينَ. أحمدُهُ سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، ربُّ السمواتِ وربُّ الأرضِ ربُّ العالمين. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ إلهُ الأولينَ والآخرينَ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، حَمىٰ حِمىٰ التوحيدِ، وسدَّ كلَّ طريقٍ يوصلُ إلى الشركِ، وبلَّغَ البلاغَ المبينَ. صلَّى اللهُ وسلمَ وباركَ عليه، وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ وأصحابِه الغرِّ الميامينِ، آمنوا بربِّهم وأخلصوا له واستقاموا على أمرِه، فأنجزَ لهم ما وعدَهم عزاً في الدنيا وحُسْنَ ثوابٍ في الآخرةِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

لم يخلقْ اللهُ الخلقَ ليتقوَّىٰ بهم من ضعفٍ، ولا ليتعزَّزَ بهم من ذلةٍ، ولا ليستكثرَ بهم من قلةٍ. فهو المنعمُ المتفضلُ، وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ وهو الحكيمُ الخبيرُ. . خلقهم لعبادتِهِ وطاعتِهِ، ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن البشرَ عاجزون عن أن يجلِبوا لأنفسِهم نفعاً أو يدفعوا ضَرّاً، وعقولُهم قاصرةٌ أن تدركَ طرقَ الصلاحِ وسبلَ الرشادِ إذا لم تكنْ عنايةُ اللهِ وهدايتُهُ وتوفيقُهُ.

إن الإنسانيةَ حين تَضِلُّ عن سبيلِ اللهِ تتخبطُ في فوضىٰ التدينِ وتَغْرَقُ في أوحالِ الجاهليةِ.

ألم يتخذوا لأنفسِهم معبوداتٍ مزيفةً وأصناماً خرساء؟ اتخذوها من عجينٍ وتمر، يتوجه إليها عابدُها حتى إذا جاعَ أكلها. جعلوا من دون اللهِ أصناماً وأوثاناً يقصدونها في الرخاءِ وينبِذُونها في الشدة:

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]. اتخذوها فلم يروا إلا اسراباً، ولم يزدادوا إلا تبارا.

كلُّ هذه الفوضى ـ أيها الإخوةُ ـ أبطلها محمدٌ ﷺ حين جدَّدَ الملةَ الحنيفيةَ. صدعَ بكلمةِ الحقِّ مدويةً في المشارقِ والمغاربِ، قائلاً عليه الصلاةُ والسلامُ: «**كلمةٌ واحدةٌ تملكون بها العربَ، وتدينُ لكم بها العجم لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ**»[1].

إنها أصلُ الدينِ وقاعدتُه. لأجلها نُصبتْ الموازينُ، ونُشرت الدواوين، وقام سوقُ الجنةِ والنارِ، وانقسم الناسُ فيها إلى فريقين مؤمنين وكفارٍ، ومتقين وفجارٍ. إنها حقُّ اللهِ على العبادِ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤١ ـ ح٣٢٣٢) وقال: حديث حسن، وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣٦٢).

وفي سبيلها تُجرَّدُ سيوفُ الجهادِ.

إخوةَ العقيدةِ والتوحيدِ: إن توحيدَ الله والدعوةَ إليه وإثباتَهُ أفاضَ فيه كتابُ ربِّنا سوقاً في الأدلة، وضرباً للأمثال، ورداً على المبطلين الجاحدين. هو اللهُ الأحدُ الفردُ الصمدُ، الذي أبدعَ الأفلاكَ في ضخامتِها والآفاقَ في سعتِها، ووهبَ العقولَ إدراكَها وذكاءَها، وألهمَ النفوسَ فجورَها وتقواها. في بديعِ خلقِ السمواتِ والأرضِ وما بينهما دلائلُ الوحدانيةِ، وبراهينُ التفردِ باستحقاقِ العبادةِ.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢١ ـ ٢٢].

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

لا يرتفعُ الشقاءُ والعناءُ عن البشريةِ إلا حينَ تستيقنُ البصائرُ ويصحُّ في العقولِ أنه سبحانه الواحدُ القهارُ، له الملكُ كلُّه وله الأمرُ كلُّه ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

هل يستوي من تتوزعُه الأهواءُ وتتنازعُه الشهواتُ، لا يدري أين يوجِّهُ ولا لمن يكونُ له الرضا والخضوعُ؟ هل يستوي مع من خضعَ للإلٰه الحقِّ فنَعِمَ براحةِ اليقينِ، وبَرْدِ الاستقامةِ ووضوحِ الطريق؟؟.

استمعوا إلى المثلِ المضروبِ من كتابِ الله:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر: ٢٩].

إله واحدٌ.. وعقيدةٌ صافيةٌ.. وتوحيدٌ نقيٌّ تخرجُ النفسُ به من ظلماتِ الجهلِ، وتترفعُ به من أوحالِ الشركِ، وتتطهرُ به من دنس الخرافاتِ والأوهامِ. بالتوحيدِ الخالصِ يرتفعُ ابنُ آدمَ بكرامتِهِ من أن يخضعَ لأيِّ مخلوقٍ علَتْ مرتبتُه أو دنتْ. فكلُّ الخلائقِ عبيدٌ للهِ طوعاً وكرهاً.. كلُّهم تحت قهرِه وأمرِه ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

ليس للقلوبِ سرورٌ وليس للصدورِ انشراحٌ إلا في صدقِ العبادةِ، وإخلاصِ المحبةِ، وتمامِ الذلِّ والخضوعِ، وصرفِ البصرِ والبصيرةِ عن الالتفاتِ إلى ما سوى اللهِ ذي الجلالِ والإكرامِ.

فيه يكونُ الولاءُ والبراءُ، والحبُّ والبغضُ، والمودةُ والعِداءُ. يضعفُ كلُّ رباطٍ إلا رباطَ العقيدة، وتَضْمحلُّ كلُّ وشيجةٍ إلا وشائجَ الحبِّ في اللهِ. رابطةُ الإيمانِ يتهاوىٰ دونَها كلُّ صلة بعرْقٍ أو ترابٍ أو لونٍ.

معاشرَ الأحبةِ: وتوحيدُ الاعتقادِ يتبعُه توحيدُ العملِ والاستقامةُ في الاتباعِ، لا تقومُ العقيدةُ بصفائها إلا حين يقارنُها العملُ الصالحُ، وإسلامُ الوجهِ للهِ والإحسانُ في العملِ.

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

الموحدُ للهِ تكونُ مشاعرُ قلبِه وخلجاتُ ضميرِه مرتبطةً بربِه مؤتمرةً بأوامرِه، منتهيةً عن نواهيه، يُحِلُّ ما أحلَّ اللهُ ويُحرِّمُ ما حرمَ اللهُ، يقفُ عند حدودِه منتصبَ القامةِ مرتفعَ الهامةِ، لا يركعُ ولا يسجدُ ولا ينحني إلا للهِ ربِّ العالمين.

من نازعَ اللهَ في الحكمِ فقد نازعَه حقاً من حقوقِ العبادةِ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

إن الدينَ القيِّمَ لا يتحققُ إلا حين يعترفُ المؤمنُ باختصاصِ اللهِ بالحكمِ كما هو مختصٌ بالعبادةِ في جميعِ أنواعِها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

والغلوُّ في التعلقِ بالدنيا يُصيِّرُ صاحبَه عابداً لها مؤثِّراً ذلك في توحيدِه وصحةِ عبادتِه.. حينما لا يكون غضبُه إلا من أجلِها، ورضاهُ في سبيلِها.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٥٨ ـ ٥٩].

وفي الحديثِ الصحيح: «**تعسَ عبدُ الدينارِ تعسَ عبدُ الدرهمِ تعسَ عبدُ الخميصةِ تعسَ عبدُ القطيفةِ**»(١).

ويلتحقُ بذلك كلُّ أصحابِ الأهواءِ وعبيدِ الملذاتِ، إن حصلَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٩٥ ـ ح٢٨٨٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٦ ـ ح٤١٣٥).

لصاحبهِ ما يشتهي رَضي، وان لم ينلْ مرادَه سخطَ. ما العبوديةُ إلا عبوديةُ القلبِ فعبدُ اللهِ على الحقيقةِ من كان رضاهُ في رضا ربِّهِ وسخطهُ في سخطِ ربِّهِ.

وهكذا أيُّها المسلمون يتجلىٰ التوحيدُ.. طهارةً في القلبِ، وصحةً في العقلِ، ورفعةً في السلوكِ، واستقامةً على الفطرةِ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وما لم يتحققْ التوحيدُ وإخلاصُ العبادةِ وتمامُ الخضوعِ والانقيادِ والتسليم.. فلا تُقبلُ صلاةٌ ولا زكاةٌ ولا يصحُّ صومٌ ولا حجٌ، ولا يزكو أيُّ عملٍ يتقربُ به إلى اللهِ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]. ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

إذا لم يتحققْ التوحيدُ ويصدُقُ الإخلاصُ فلا تنفعُ شفاعةُ الشافعين، ولا دعاءُ الصالحين حتى ولو كان الداعي سيدَ الأنبياءِ محمداً ﷺ. اقرءوا إن شئتم: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وحققوا إيمانكم وأخلصوا أعمالَكم يهدِكم ربُّكم ويُصلحْ بالَكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ

إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤ ـ ١٨].

نفعني اللهُ وإياكم بهدي كتابِه.

توحيد وعبادة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الملكِ الحقِّ المبينِ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، تفردَّ بالربوبيةِ والألوهيةِ على خلقِه أجمعين. وأشهد ألا إله إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له، هو اللهُ لا إله إلا هو فادعوه مخلصينَ له الدينَ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بالحنيفيةِ ملةِ إبراهيمَ، فصدعَ بها، وأوضحَها وقوَّضَ خيامَ الملاحدةِ والمشركينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ فإن مما يؤسفُ له أن بعضَ المسلمين وكأنهم قد طالَ عليهم الأمدُ فاندثرتْ عندهم معالمُ الحنيفيةِ، وسرَتْ فيهم شوائبُ لوَّثتْ عقيدَةَ التوحيدِ وكدرتْ صفاءَها وزعزعتْ خُلوصَها ونقاءَها، فصُرِفتْ أنواعٌ من العبادةِ لغيرِ اللهِ. في المسلمين من ضلَّ عن الحقِّ. فيهم من أظهرَ تمرداً على الشريعةِ، قصَّرَ في فرائضِ، ولم يقفْ عند حدودٍ. فيهم من قَصَدَ أضرحةَ الموتىٰ في مناسبةٍ أو غيرِ مناسبةٍ، يعكُفون عندها، يتعبدونَ وينذُرونَ ويلهجونَ بالأدعيةِ باكينَ مستصرخينَ، يرجونَ عندها كشْفَ الضُّرِّ وجلبَ النفعِ وشفاءَ المرضىٰ وردَّ الغوائبِ، وإن مدخلَ الشيطانِ في هذا لعريضٌ، وإن مسالكَه فيه ملتويةٌ. يوضحُ ذلك العلامةُ

الحافظُ ابنُ القيِّم ـ رحمهُ اللهُ ـ حيثُ يقولُ: «مازالَ الشيطانُ يوحي إلى بعضِ الناس ويلقي إليهم: أنَّ البناءَ والعكوفَ على القبورِ من محبةِ أهلِ القبورِ من الأنبياءِ والصالحينَ. وأن الدعاءَ عندَها مستجابٌ، ثم ينقلُهم من مرتبةِ الدعاءِ عندَها إلى مرتبةِ الدعاءِ بها، ثم لا يزالُ بهم حتى ينقلَهم إلى مرتبةِ دعائِهم من دونِ اللهِ وسؤالِهم الشفاعةَ من دونِ اللهِ، واتخاذِ قبورِهم أوثاناً تُعلَّقُ عليها القناديلُ والستورُ ويطافُ بها ويقبَّلُ ويتمسحُ ويذبحُ عندها، ثم يتطورُ الأمرُ إلى أن يدعوَ الناسَ إلى عبادتِها واتخاذِها عيداً ومنسكاً. . .

قالَ رحمهُ الله: ولا يقفُ الأمرُ عند هذا الحدِّ بل يوحي إليهم إلى أنَّ من نهىٰ عن ذلك فقد تنقَّصَ أهلَ هذه الرتبِ العاليةِ وحطَّهم عن منزلتِهم وزعَم أنه لا حرمةَ لهم ولا قدرَ. . . اهـ.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وإن مسئوليةَ أهلِ العلم في هذا لعظيمةٌ. وقد أخذَ اللهُ عليهم الميثاقَ بالبيانِ. وفقنا اللهُ لما يحبُّه ويرضاه، وهدانا صراطَهُ المستقيمَ، ورزقنا الاستقامةَ على الحقِّ.

أثر العقيدة في مواجهة التحديات

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أعادَ وأبدىٰ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه على ما أنعمَ وأسدىٰ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، من اتَّبع هداهُ فلا يضِلُّ ولا يشقىٰ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، كَرُمَ رسولاً وشَرُفَ عبداً، صلى الله وسلم وباركَ عليه، وعلى آله وصحبه، صدقوا ربَّهم فأنجزَ لهم ما وعدَهم، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ وسارَ على نهجهم واهتدىٰ.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستمسكوا بهدي نبيِّكم محمدٍ ﷺ، وتأملوا في أحوالِكم. اعتبروا بالماضي وتأملوا في الواقع.

ما أحوجَ المسلمين إلى التأملِ الصادقِ . . كيف المسيرُ؟ وإلى أين المصيرُ؟.

أيها الإخوةُ: مرتْ بديارِ الإسلام في تاريخِها الطويلِ أزماتٌ وأزماتٌ، وحلَّتْ بها بلايا ونكباتٌ، وزلزت الأرضُ زلزالَها. سقطتْ دولٌ من أمويةٍ وعباسيةٍ وأمثالِها، وقامتْ دويلاتٌ ونشبتْ نزاعاتٌ. نعم لقد مرتْ أزماتٌ حادةٌ وفتنٌ مدلهمةٌ، غلبَ في بعضِها هوىٰ، وسادَ في أخرىٰ شهوةٌ.

وإن الناظرَ في تلك العهودِ الأولىٰ يدركُ يقيناً أنه على الرغمِ

من هذا الخللِ وذلك التضَعْضُعِ، لم يكن يخالجُ المسلمين شكٌ في عقيدتِهم. لم يشكوا أبداً في صحةِ مبادىءِ الإسلام.. إيماناً بالله وتصديقاً برسالةِ محمدٍ ﷺ، ويقيناً بالحقِّ في هذا الدينِ.

لقد كُتِبُ لهم البقاءُ طيلةَ هذه القرونِ على الرغم مما حصلَ من ضعفٍ، وكان يكفي أن يأتيَ قائدٌ مخلصٌ وإمامٌ راسخٌ ناجحٌ كصلاحِ الدينِ والإمامِ ابن تيميةِ ليحركَ جذوةَ الإيمانِ فتتقدَ، فيتنزلُ نصرُ اللهِ بمقتضىٰ وعدِ اللهِ، فيصحَّ العزمُ وتصفوَ العقيدةُ، وتبقىٰ الانحرافاتُ وأهلُها إن بقيتْ في ركنٍ قصيٍّ.

إن مظاهرَ الضعف والهزائمِ لم تورثْ في نفوسِهم شكاً في عقيدتِهم، ولم تدفعْهم إلىٰ التطلعِ إلى ما عند أعدائِهم، فيستجلبوا أفكاراً ومبادىءَ ونُظماً وأنماطَ سلوكٍ. إنهم لم يعتقدوا الحقَّ إلا في دينِ اللهِ عقيدةً وسلوكاً ونظامَ حياةٍ. لم يهنُوا ولم يستكينوا حتى في حالِ الهزائمِ العسكريةِ ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

[آل عمران: ١٣٩].

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ما يحلُّ من هزائمَ وما يقعُ من نكباتٍ ما هو إلا من سننِ اللهِ في الابتلاءِ والتمحيصِ. ﴿ذَٰلِكَ ۚ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤].

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

[آل عمران: ١٤١].

هذه هي عقيدتُهم في النصرِ والهزيمةِ، وهذا هو حالُهم في السراءِ والضراءِ. إنهم يشعرون بازدراءٍ واستهجانٍ شديدين لأعدائِهم في ميادينِ العقائدِ والمبادىءِ والنظمِ، فمعتقداتُ الأعداءِ وتصوراتُهم مجافيةٌ للفطرِ السليمةِ والنظراتِ المستقيمةِ. يرون في التتارِ همجاً وفي الصليبيةِ كفراً وشركاً.

أمَّا في الوقعِ المعاصرِ ـ أيها الإخوة ـ فقد عرفَ العدوُّ سرَّ القوةِ ومصدرَ العزةِ، فعملَ عملَهَ في الغزوِ الفكريِّ، وكرَّسَ جهدَه في قلبِ المفاهيمِ وإفسادِ التصوراتِ، فاختلفَ الحالُ واختلَّ الميزانُ. فوُجد في المسلمين من يشكُّ في صلاحيةِ الإسلامِ عقيدةً وشريعةً، فيهم من يوالي أعداءَ اللهِ وأعداءَ رسولِه الموالاةَ الممنوعةَ، يعتقدُ الخيرَ والسعادةَ في غيرِ دينِ اللهِ وفي غيرِ حكمِ رسولِ اللهِ. . أضاعوا الصلاةَ واتبعوا الشهواتِ ولا يعلمونَ الكتابَ إلا أمانيَّ.

يا أمةَ محمدٍ ﷺ: إن التخليَ عن هذا الدينِ أو التشكُّكَ فيه والانفصالَ عن دوحتِه المباركةِ والتخلفَ عن ركابِ محمدٍ ﷺ خسارةٌ ما بعدها خسارةٌ. إنها القاصمةُ والحالقةُ. لا يعوضُ عنها لباقةٌ او كياسةٌ، ولا يجديْ بعدَهاحِذْقٌ في رطانةٍ أو براعةٌ في تقليدٍ. إنه التلاشي والاضمحلالُ ثم الهلاكُ والفناءُ. لن يُنال الشرفُ بغيرِ هذا الدينِ ولن يُرتقىٰ إلى العزِّ بغيرِه سُلَّماً.

لقد خرجَ الدعاةُ الفاتحون مُرقَّعِي الأقمصةِ ومخصوفي النعالِ، حكموا العالمَ بحسنِ سيرتِهم وصدقِ سريرتِهم: (رضي اللهُ عنهم ورضوا عنه).

إن الدينَ في حقيقتِه ـ أيها المؤمنون ـ سيطرةٌ على النفس وبواعثِها وغاياتِها، وتوجيهٌ للمجتمع في معاملاتِه ونظمِه، وهيمنةٌ على الحياةِ في شتى ميادِينها وأنشطتِها.

إنه الحياةُ الحقيقيةُ. ليست الحياةُ صورةَ اللحم والدم وامتلاءَ العضلاتِ قوةً وفتوةً.. فتلك حياةٌ يشتركُ فيها البَشرُ مع السباعِ والدوابِّ والزواحفِ، بل لعلَّ حظوظَ الأنعامِ فيها أوفرُ.

إن الحياةَ والعزةَ والقوةَ في الصلةِ باللهِ والسيرِ على نورٍ من اللهِ، والانقيادِ لأوامرِه والاستجابةِ لندائه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

إسلامُ الوجهِ للهِ وسعيٌ في مناكبِ الأرضِ ابتغاءً من فضلِ اللهِ.. محكومٌ بحدودِ الحلالِ والحرامِ والثوابِ والعقابِ.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إن نورَ الإيمانِ المشعَّ في جنباتِ المؤمن يميزُ به الخيرَ من الشرِّ، والنفعَ من الضُّرِّ، والمعروفَ من المنكرِ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

المقطوعون عن اللهِ لا تتجاوزُ نظراتُهم الحياةَ الدنيئةَ بمتُعَها، ولا يرقىٰ تطلُّعهم حدودَ مآربِهم الشخصيةِ، بل لا يتورعونَ عن قتلٍ وختلٍ[1] وإفكٍ وغشٍ.

---

(١) الختل: الخداع عن غفلة.

وشاهدُكم على ذلكَ حضارةُ هذا العصرِ ببهارِجها وزينتِها.. تمسكٌ بالقشورِ والمادياتِ، واستغراقٌ في الشهواتِ والملذاتِ. لقد ملأها أصحابَها ظلماً وجوراً، وفساداً وخلاعة. أهانوا كلَّ من سواهم، ولعبوا في مقدَّراتِ الرجالِ والدولِ، وسلطوا بعضَهم على بعضٍ. وإن التقدمَ الملموسَ في مجالِ التقنياتِ والآلياتِ والعلوم التجريبيةِ لم يغْنِ شيئاً، فالعالمُ يموجُ بفلسفاتِ الشرقِ والغربِ إيماناً بالمادياتِ البحتةِ، وإنكاراً للقيم العاليةِ والحقائقِ الغيبيةِ والأخلاقِ النبيلةِ. تقاتلٌ على المصالحِ الخاصةِ والأنانياتِ المستحكمةِ، وصراعٌ على مقدَّراتِ الشعوبِ، وويلٌ للمستضعفين. حروبٌ تستشري وأمراضٌ تتنوعُ وتتجددُ لم تكن في الأسلافِ، والإنسانيةُ تزدادُ كآبةً وتحسراً.. شحَّتْ الموارِدُ ونُزِعتْ البركاتُ، ويسعونَ في الأرضِ فساداً واللهُ لا يحبُّ المفسدين. فرحوا بما عندهم من العلمِ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون.

أمةَ الإسلام: إذا كان الأمرُ كذلكَ فإن المسلمينَ اليومَ أحوجُ ما يكونونَ إلى ما يردُّ عليهم اعتزازَهم بإيمانِهم، وثقتَهم بأنفسِهم، ورجاءَهم في مستقبلٍ مشرقٍ تكونُ فيه كلمةُ اللهِ هي العليا ودينُه هو الظاهرَ، وكلمةُ الذين كفروا هي السفلىٰ. يجبُ على المسلمين أن يستشعروا مسئوليتَهم وريادتَهم، إن عليهم هدايةَ هذه القطعانِ الضالةِ.. هدايتَها إلى الدينِ القويمِ والصراطِ المستقيمِ.. تقودُها إلى الفضيلةِ والتقوىٰ.. تحولُ بينها وبين جهنمَ.

وأولُ ما يجبُ أن يتوجَهَ إليه الإصلاحُ: تصحيحُ العقائدِ

وتنقيتُها من المفاهيم المغلوطةِ والتصوراتِ الفاسدةِ. . تميزُ الخبيثِ من الطيبِ. وحينئذٍ تَتَّقِدُ جذوةُ الإيمانِ، فتنبتُ العزةُ من غيرِ كبرٍ، وتتولدُ الثقةُ من غيرِ غرورٍ، وتحصلُ الطمأنينةُ من غير تواكلٍ، واللهُ غالبٌ على أمرِه ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧ ـ ١٤١].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أثر العقيدة في مواجهة التحديات

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً كما أمرَ، وأشكرُه على إنعامِه وإفضالِه، وقد تأذَّنَ بالزيادةِ لمن شكَرَ، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إرغاماً لمن جحدَ به وكفرَ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ، والشافعُ المشفعُ في المحشرِ، صلى اللهُ عليه وسلم وباركَ عليه، وعلى آلِهِ وأصحابِه السادةِ الغررِ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون واعلموا أن ـ علةَ العللِ في عالمِ اليومِ ما رانَ على القلوبِ من الرضا بالحياةِ الدنيا والاطمئنانِ بها، والغفلةِ عن آياتِ اللهِ وسننِه.

إن حقاً على أهلِ الإسلامِ الرجوعُ السريعُ إلى كتابِ ربِّهم وسنةِ نبيِّهم محمدٍ ﷺ، فهي مصدرُ القوةِ، ومشعلُ الاستقامةِ، ثم الرجوعُ إلى معاقلِ التربيةِ وحصونِ التوجيه. من لم تطِبْ نفسُه بهذا الدينِ ولم ينشرحْ صدرُه للإسلامِ ولم يطمئنَّ إلى نبوةِ محمدٍ ﷺ وإمامتِه وآمنَ بفلسفاتٍ دخليةٍ فليس له محلٌّ في هذه الميادين. لا يجوزُ أنْ يسندَ إليه توجيهٌ، أو يُمكَّنَ من مواقعِ التأثيرِ، لُيفْسِدَ الفطرَ ويبلبلَ العقائدِ.

إن حصونَ التوجيهِ ومحاضنِ التربيةِ.. يجبُ إحاطتَها بسياجاتٍ آمنةٍ، فهي مكمنُ حمايةِ الأمةِ وسلامتِها. وشرُّ البليةِ أن تُؤتىٰ الأمةُ من قِبَلِ من وُكلَ إليهم حمايتُها والمحافظةُ عليها. وتكونُ الخيانةُ العظمىٰ حين يفتحونَ الأبوابَ الخلفيةَ ليتسلَّلَ المتلصصون واللصوصُ في غفلةِ الحماةِ الساهرين.

فاتقوا اللهَ رحمكم، الله وقوموا بواجباتِكم، واستمسكوا بدينِكم ولا تتفرقوا فيه.

الدين كمال وتمسك

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أكملَ لنا الدينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، ورضي لنا الإسلامَ ديناً، أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه.. جعلنا على المحجة البيضاءِ.. ليلِها كنهارِها.. لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ.. صلى الله وسلم باركَ عليه، وعلى آله وصحبهِ أعلامِ الهدىٰ، ومصابيحِ الدجىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجِهم واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون. واعلموا أنه لا حياةَ لأمةِ الإسلامِ إلا بالإسلامِ.. بقاؤُها مرهونٌ بالمحافظةِ عليه، وفَناؤُها راجعٌ إلى التفريطِ فيه.. تدومُ بدوامِه في قلوبِها، وتضمحلُّ باضمحلالِه من نفوسِها. إنه دستورُها ونظامُها، وهو مصدرُ فخرِها وعزِّها، وهو خلاصةُ الأديانِ وخاتمتُها: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: ١٣].

ونبيُّ الإسلامِ محمدٌ ﷺ خاتمُ النبيينَ، وأفضلُ المرسلين،

تمتْ به النعمةُ، وانجلتْ به الظلمةُ، وكُشفتْ به الغمةُ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

لم يكنْ لأمةٍ من الأمم مثلُه، ولا نزلَ على نبيٍّ من الأنبياءِ نظيرُه، أتباعُه خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناس، لقد رضيه اللهُ فلن يسخطَ عليه أبداً، وأكملَه فلن ينقصَ أبداً، أتم به نعمةَ الدارين، وحققَّ به سعادةَ الحياتين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

منْ حقِّ هذه الأمةِ أن تفاخر بدينِها، وتعتزَّ بشريعتِها، ألم تتوحدْ به الصفوفُ؟ ألم تأتلفْ به القلوبُ؟.. أنقذَ البشريةَ من مهاوي الردىٰ، وارتفعَ بها إلى مشارفِ الفضيلةِ، نقلَها من الذُّلِّ والاستعبادِ إلى مراقي العزةِ والكرامةِ.

أيها المؤمنون: حقيقةُ هذا الدين نورٌ في البصائرِ، وصلاحٌ في الباطنِ والظاهرِ، وصدقٌ مع اللهِ، وصدقٌ مع الناسِ، من ازدادَ به معرفةً ازدادَ له احتراماً وتوقيراً وتعظيماً. يمتدُّ الإسلامُ وتنتشرُ معه الفضائلُ حيث سارَ. فالكرمُ والعفافُ من آثارِه، والشجاعةُ والعزةُ من ثمارِه، رفعةٌ في السجايا، وشرفٌ في الأخلاقِ.. طَبَعتْ كلَّ ذلك في نفوسِ أتباعِه وصايا القرآن وأنوارُ النبوةِ.

عقيدةٌ صافيةٌ، وإيمانٌ عميقٌ، هُدِمتْ به مناراتُ الإلحادِ، وتلاشتْ معه معالمُ الوثنيةِ. عبادةٌ قويمةٌ تنتفي معها البدعُ والخرافاتُ، وتضمحلُّ معها الكهاناتُ والشعوذاتُ. ينضمُّ إلى

ذلك معاملةٌ عادلةٌ في خُلقٍ كريم. لا خيرَ إلا احتواه ودلَّ عليه، ولا شرَّ إلا نفاه وحذَّرَ منه. أخبرَ بما كان وما يكونُ إلى يومِ القيامةِ.

يقولُ أبوذرٍ رضي الله عنه: لقد قامَ فينا رسولُ اللهِ ﷺ وما طائرٌ يقلِّبُ جناحيه في السماءِ إلا ذَكرَ لنا منه علماً. حُفظتْ به الحقوقُ، ورُسمتْ به الأحكامُ، مع نزاهةٍ في التنفيذِ، وقيامٍ بروحِ العدلِ والمساواةِ، واحترامِ الحقوقِ العامةِ والخاصةِ، قائمٌ على جلبِ المصالحِ، ودرءِ المفاسدِ مع اعتبارٍ للأعرافِ والعوائدِ.

لقد شملَ جميعَ جوانبِ الحياةِ وعلاقتِها، في العقائدِ والعباداتِ وفي شئونِ الأسرةِ والمعاملاتِ. وفي الحدودِ والجناياتِ. أوضحَ حدودَ العلاقاتِ بين الحاكمِ والمحكومِ، وبيَّن الحقوقَ نحوَ ولاةِ الأمورِ وأئمةِ المسلمين. رسمَ قواعدَ الحربِ والسلمِ والعلاقاتِ مع غيرِ المسلمين. أوضحَ أمورَ الفطرةِ وسُنَنَها. ودلَّ على أسبابِ إنهيارِ الأممِ وفنائِها. فتحَ للعقولِ طرقَ الاعتبارِ في القصصِ والأخبارِ. أبطلَ العصبياتِ والفوارقَ في الجنسِ واللونِ: «**كلُّكم لآدمَ وآدمُ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لأحمرٍ على أسودَ إلا بالتقوىٰ**»[1].

إنه ينبوعُ الملل، وأساسُ الدياناتِ، فكُلُّه أحكامٌ عادلةٌ، وإدارةٌ رشيدةٌ، وسياسةٌ حكيمةٌ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، والترمذي (٥/ ٣٦٣)، وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٨٤).

وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

أمةَ الإسلام: لقد بلغَ المسلمونَ الغايةَ عندما كانتْ صلتُهم بهذا الدينِ وثيقةً، فانتظمَ أمرُهم، واجتمعَ شملُهم، وعزَّتْ دولتُهم. والتاريخُ على ذلك من خيرِ الشاهدين.

ولما ضعفتْ هذه الصلةُ، وبَعُدتْ على المسلمينَ الشقةُ، تقهقروا رُويدا رويداً، وظهرتْ فيهم المخالفاتُ الفاحشةُ، وانقلبتْ لديهم المفاهيمُ، وشُوِّهتْ حقائقُ الدينِ، بل لقد شاعتْ فيهم بدعٌ وخرافاتٌ، وتعبَّدتْ طوائفُ منهم بغيرِ شرعِ اللهِ، وتقرَّبوا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، جهلوا حِكَمَه وأحكامَه، وعَدلوا إلى غيرِه، وركنوا إلى الذين ظلموا ففشا فيهم فسادُ الأخلاقِ. وانتشرَ الخُلْفُ والنفاقُ، وظهرتْ الأحقادُ، فتفرقت الكلمةُ، وفرطوا في الحاضرِ والمستقبلِ، وقنعوا بحياةٍ يأكلونَ فيها وينامون، ولا ينافسونَ في فضائلَ، ولا يتطلعونَ إلى مكارمَ. يلهثونَ وراءَ أعداءِ الإسلام. مصادمةً للشريعةِ، وتَنكُّباً للطريقِ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

أيها الإخوةُ في اللهِ: ليس الدِّينُ كلماتٍ تَجرى على الألسنةِ، أو صَغَاراً في الهمةِ، ولا هو تمسكٌ بالمظاهرِ مع تفريطٍ في الحقوقِ والواجباتِ ظاهرٍ.

إن كثيراً من المسلمين جهلوا من سننَ الدنيا بمقدارِ ما جهلوا من أحكامِ الدينِ.

ولئن أرادتْ الأمةُ أن تستفيقَ من غفلتِها، وتعودَ إلى ريادتِها وقيادتِها، فلترجعْ إلى ربِّها، فالمحجةُ البيضاءُ واضحةٌ محفوظةٌ،

والمصطفىٰ ﷺ تركَ فيها ما إن تمسكتْ به لن تضلَّ أبداً، كتابَ ربِّها وسنةَ نبيِّها محمدٍ ﷺ. ويجبُ أن يُعلمَ أيها المؤمنون أن ما أصابَ أمةَ الإسلام من ضعفٍ، لم يكنْ وليدَ شهرٍ أوسنةٍ، فلسطينُ العزيزةُ وأفغانستانُ الكريمةُ لم ينتزعْها البغاةُ المنتزعون في يوم وليلةٍ، ولكنه استغرقَ عقوداً من السنين، رسماً وتخطيطاً، تربيةً لأجيالِهم وإفساداً لأجيالِنا.

إن ما يُهدُم خلالَ عقودٍ أو قرونٍ، لا يُبنىٰ في أعوامٍ قليلةٍ أو شهورٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فلابدَّ من عودةٍ صادقةٍ في نَفَسٍ طويلٍ وجُهدٍ صادقٍ، وعملٍ دائبٍ وروحٍ جادةٍ، إن الشُّجيراتِ الصغيرةَ من أجلِ أن تنموَ وتثمرَ، تحتاجُ إلى وقتٍ وتَعاهد، فكيف بتربيةِ الأجيالِ وبعثِ الأممِ.

وإن العبءَ لشاقٌ على الدعاةِ الصادقين، والمسئوليةَ عظيمةٌ لدى البناةِ المخلصين: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٧ ـ ٨].

ولكن إذا صحتْ العزائمُ، وصدقتْ النوايا، ووضحَ الطريقُ، وسارتْ القافلة فلابدَّ بإذن اللهِ من بلوغِ القصدِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الدين كمال وتمسك

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبينَ الطاهرين، وعلى أصحابهِ أجمعين، والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: الإسلامُ هو رباطُ هذه الأمةِ، وهو الحبلُ المتينُ بينها وبين ربِّها، فلابدَّ من الاعتصام به، فلن يَصْلُحَ آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أولُها، وإن من مقتضياتِ الإيمانِ أن يعرفَ المرءُ لنفسِه حدوداً يقفُ عندها، ومعالمَ ينتهي إليها، أما الركضُ وراءَ النزواتِ من غيرِ ضابطٍ، فلا يبني مجداً ولا يعيدُ حقاً، والأمةَ التي تغلبُها أهواؤها فتنسى ما كُلِّفتْ به، وتمضي وفق هواها لا وفق هُداها، أمةٌ ليست جديرةً برعايةِ، وليست أهلاً لتحملِ المسئوليةِ والأمانةِ.

فاتقوا اللهَ ربَّكم، وعظموا أمرَ دينكم، واعبدُوه مخلصين له الدينَ، يصلحْ أمركُم وتستقمْ أمورُكم.

إن الحكم إلا لله

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المتوحدِ بالعظمةِ والجلالِ، المتعالي عن الأشباهِ والأمثالِ، أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، منَّ علينا بواسعِ الفضلِ وجزيلِ النوالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ لهَ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه ومصطفاه من خلقِه، كُتِبَ الفلاحُ لمن اتبعه واحتكم إلى شرعِه، ففازَ في الحالِ والمآلِ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقو اللهَ أيها المؤمنون. فبتقوىٰ اللهِ تزكوُ الأعمالُ، وتُنالُ الدرجاتُ، وارغبوا فيما عندَه. فبيدِه الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. اتبعوا ما أنزلَ إليكم من ربِّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء.

أيها المؤمنون: من حقِّ هذه الأمةِ أمةِ الإسلامِ ـ خيرِ أمةٍ أخرجتْ للناسِ ـ أن تفخرَ بدينِها، وتعتزَّ بتشريعِها، حيثُ توحدتْ به الصفوفُ، والتفتْ به القلوبُ. أنقذها من مهاوي الرذيلةِ إلى مشارفِ الفضيلةِ، ونقلَها من الذلِّ والاستعبادِ والتبعيةِ إلى العزةِ والكرامةِ وصحيح الحريةِ، دينُ الأمنِ والأمانِ، وشريعةُ العدلِ والرحمةِ. دينٌ أكملَه اللهُ فلن ينقصَ أبداً، ورضيَه فلن يسخطَ عليه

أبداً: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

عبادَ اللهِ: شريعةُ اللهِ هي المنهجُ الحقُّ الذي يصونُ الإنسانيةَ من الزيغ، ويجنبَها مزالقَ الشرِ ونوازعَ الهوىٰ. شفاءُ الصدورِ، وحياةُ النفوس، ومعينُ العقول. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨].

منبعُ الشريعةِ ومصدرَها كتابُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ وسنةُ نبيِّه محمدٍ ﷺ.

كتابُ اللهِ أساسُ الدينِ ومصدرُ التشريعِ، رحمةُ اللهِ على العالمينَ، حوىٰ أصولَ الشريعةِ وقواعدِها في عقائدِها وأخلاقِها وحلالِها وحرامِها، يضيءُ للأئمةِ مسالكَ الاستنباطِ في معرفةِ أحكامِ الحوادثِ والمُستَجَداتِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

«فليستْ تنزلُ بأحدٍ من أهلِ دينِ اللهِ نازلةٌ إلا وفي كتابِ اللهِ الدليلَ على سبيلِ الهدىٰ فيها» كما قال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله.

ويقولُ الشاطبيُّ: «الكتابُ كلُّ الشريعةِ، وعمدةُ الملةِ، وينبوعُ الحكمةِ، وآيةُ الرسالةِ، ونورُ البصائرِ والأبصارِ. لا طريقَ إلى اللهِ سواه ولا نجاةَ إلا لمنْ استضاءَ بهُداه». اهـ.

يَفْتحُ مغاليقَ القلوبِ وتستنيرُ به الأفئدةُ.

كتابُ اللهِ الحكيمُ، فيه نبأُ من قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، هو الفصلُ ليس بالهزلِ، من ترَكه من جبارٍ قصمَه اللهُ، ومن ابتغىٰ الهُدىٰ في غيرِه أضلَّهُ اللهُ، وهو حبلُ اللهِ المتينُ،

ونورُه المبينُ، والذكرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، من قالَ به صدَقَ، ومن حكَمَ به عدَلَ، ومن عَمِلَ به أُجِرَ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيمٍ.

أما سنةُ المصطفىٰ ﷺ في أقوالِه وأفعالِه وتقريراتِه فهي المفسرةُ للقرآنِ الدالةُ عليه، والمبينةُ لمجملِه والمفصلةُ لأحكامه، فرضٌ اتباعُها، وحرامٌ مخالفتُها: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

أيها المؤمنون: الإسلامُ عقيدةٌ وشريعةٌ. إيمانٌ بالله وتوحيدٌ له في ربوبيتِه وألُوهيتِه وأسمائِه وصفاتِه ـ إيمانٌ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِه وشرِه ـ عبوديةٌ تامةٌ، وخضوعٌ مطلقٌ. رضىً بدينِ اللهِ، وتصديقٌ برسولِ اللهِ ﷺ من غيرِ شكٍ ولا ريبٍ ولا حرجٍ.

التزامُه في المنهجِ والعملِ. في التعاملِ والقضاءِ. في الحكمِ والإدارةِ. في الأفرادِ والجماعاتِ.

إن الإسلامَ حياةٌ تعبديةٌ. تجعلُ المسلمَ موصولَ القلبِ بربِّه، يبتغي رضوانَه في شئونِه كلِّها.

نظامٌ خُلُقيٌّ يقومُ على إشاعةِ الفضيلةِ وإستئصالِ الرذيلةِ، نظامٌ سياسيٌّ أساسُه إقامةُ العدلِ، وتثبيتُ دعائمِ الحقِّ، نظامٌ اجتماعيٌّ نواتُه الأسرةُ الصالحةُ وعِمادُه التكافلُ بين أبناءِ المجتمعِ. دينُ عملٍ وإنتاجٍ. منهجٌ كاملٌ متكاملٌ لكافةِ أنماطِ النشاطِ البشري

على نورٍ من اللهِ. ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ.

ومن هنا ـ أمةَ الإسلام ـ فإن هذا الدينَ بأصولِهِ ومبادئِه وفَّىٰ ويَفِي بحاجاتِ البشريةِ في كلِّ عَصرٍ ومِصرٍ. انتشرَ في أنحاءِ الدنيا، ودخلَ تحتَ سلطانِه أجناسُ البشرِ، فَوَسِعَ بمبادئِه وقواعدِه كلَّ ما امتدَّ إليه نفوذُه من أصقاعِ المعمورةِ. عالج كافةَ المشكلاتِ على اختلافِ البيئاتِ. وما عجز في يومٍ من الأيامِ عن أن يُقدِّمَ لكلِّ سؤالٍ جواباً، ولكلِّ واقعةٍ فتوىً، ولكلِّ قضيةٍ حُكما. ومدوناتُ الفقهِ والفتاوىٰ برهانٌ للمتشككين.

وكيفَ يكونُ ذلك والشريعةُ ـ كما قالَ الحافظُ ابنُ القيمُ رحمه اللهُ: «مبناها على الحِكَم ومصالحِ العبادِ في المعاشِ والمعادِ، عدلٌ كلُّها، رحمةٌ كلُّها، ومصالَحٌ كلُّها، وحِكْمةٌ كلُّها. فكلُّ مسألةٍ خرجتْ عن العدلِ إلى الجورِ، وعن الرحمةِ إلى ضدِّها، وعن المصلحةِ إلى المفسدةِ، وعن الحكمةِ إلى العبثِ فليستْ من الشريعةِ» لقد كانتْ هذه الشريعةُ أساسَ الحكمِ والقضاءِ والفُتيا في العالمِ الإسلاميِّ كلِّه أكثرَ من ثلاثةَ عشرَ قرناً، انضوىٰ تحت لوائِها أعراقٌ شتىٰ، وامتزجتْ بها بيئاتٌ متعددةٌ، فما ضاقتْ ذرعاً بجديدٍ، ولا قعدتْ عن الوفاءِ بمطلوبٍ.

ولماذا نرجعُ إلى الماضيْ، وبين أيدينا ـ ولله الحمدُ والمنةُ حجةٌ قائمةٌ، وبرهانٌ ظاهرٌ، فهذه بلادُ الحرمينِ الشريفين المملكةُ العربيةُ السعوديةُ قائمةٌ على كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، مُحَكِّمَةٌ شرعَ اللهِ. قادَتُها وحكومتُها وأهلُها ومجتمعُها يعيشون في ظلالِ الشريعةِ، ونورِ الكتابِ والسنةِ في أمنٍ وطمأنينةٍ، وخيرٍ ونعمةٍ، ملءُ القلوبِ الرضىٰ، وما يُرجىٰ من الله خيرٌ وأبقىٰ،

أدامَ اللهُ علينا نعمَهُ، وزدانا إيماناً وتوفيقاً ورضىً وتسليماً.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن من مقتضياتِ الإيمانِ الإقرارَ بحقِّ التشريعِ للهِ وحدَه، فالحكمُ للهِ وحدَه ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

والتولي والإعراضُ عن تحكيم شرعِ اللهِ، من مسالكِ المنافقينِ والظالمين ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨ ـ ٥٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

أمةَ الإسلامِ: على الرغمِ من هذا الوضوحِ والجلاءِ.. إلا أنَّ أعداءَ الإسلامِ أَبَوْا إلا وضعَ العراقيلِ، وتلفيقَ التهمِ، واختلاقَ الشُّبَهِ حولَ الشريعةِ وشمولِها وصلاحيتِها. بل لقد استطاعَ الغزوُ الفكريُّ أن يجعلَ من بعضِ المسلمين ـ حتى المثقفينَ يستحيونَ أو يشمئزون من ذكرِ بعضِ شرائعِ الإسلامِ، كالحدودِ والقصاصِ والحجابِ، وكأنَّهم لا يرون مانعاً أن تكونَ ديارُ الإسلامِ ميداناً فسيحاً تنمو فيه الدنايا وسفاسفُ الأخلاقِ، وموطناً رحباً يجدُ فيه المجرمونَ والمتوحشونَ فُرصاً للاعتداءِ والاغتيالِ. بل إنك ترى في بعضِ من يخوضُ فيها ويلوكُ.. أناساً لا يعرفونَ الطريقَ إلى المساجدِ، أو لا يتورعونَ عن الموبقاتِ والمزالقِ، فتراهم يُسِرُّون أو يعلنون: أن تحريمَ الخمرِ والزنا وقطعَ دابرِ اللصوصِ

والمفسدين. . . تشددٌ وهمجيةٌ. أما سمعوا قولَ اللهِ في المنافقين ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ محمد: ٩] وقوله سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد: ٢٨].

أيها الإخوةُ في اللهِ: ليسَ الإيمانُ بالتحلي ولا بالتمني، وليسَ الإسلامُ مجردَ الانتسابِ الاسمي، ولكنَّه ما استيقنَه القلبُ وصدقه العملُ.

ومن هنا فحينَ يصدقُ المسلمون ويُخلصون لدينِهم، فيجعلونَ كتابَ اللهِ وسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ أساسَ الحكمِ، وتُبنىٰ عليهما مناهجُ التربيةِ والتوجيهِ. . حينئذٍ يتحققَ الوعدَ ويتأكدُ التمكينُ وينزلُ النصرُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

إن الحكم إلا لله

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ شرحَ صدورَ المؤمنين فانقادوا لطاعتِه، وحبَّبَ إليهم الإيمانَ وزينه في قلوبهم.. فلم يجدوا حرجاً في الاحتكام إلى شريعتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهَد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: إن حقيقةِ الإيمانِ: هي الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، ومن ثَمَّ الخضوعُ والطاعةُ والانقيادُ والتسليمُ.

أما الحرجُ في الصدورِ والريبُ في القلوبِ والاستسلامُ للهوىٰ ورغباتِ النفوس... فهو من مظاهرِ النفاقِ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢].

فاتقوا اللهَ وأطيعوه واعملوا بشرعِه... يرتفعْ الشأنُ، ويَعِزَّ السلطانُ، ويندحرْ العدوُّ.

توجيهات لمسيرة الصحوة الإسلامية

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه على الدين كلِّه ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبِه، ومن دعا بدعوتِه واهتدىٰ بهديِه واستنَّ بسنتِه إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون. أكملَ اللهُ لنا الدينَ وأتمَّ النعمةَ ورضي لنا الإسلامِ دينا. تبدَّلتْ به الأرضُ غيرَ الأرضِ. أصبحتْ المغبرةُ مخضرةً، والعطشىٰ فاضتْ حياءً ونماءً، دينٌ كاملٌ ونعمةٌ تامةٌ. صبغةَ الله ومن أحسنُ من اللهِ صبغةً.

أمةٌ شرفها اللهُ بالإسلامِ. فكيف ترضىٰ بغيره بديلاً؟ تتخلفُ عن السيرِ تحت لوائِه، وترضىٰ أن تُقادَ ذليلةً تحت ألويةِ الجاهليةِ.

ليس إلا الإسلامُ جامعاً للقلوبِ المتنافرةِ، وليس غيرُ الدين مُؤلفاً بين هذه الشعوبِ المتناثرةِ، جامعةٌ تتضاءلُ أمامَها الشعاراتُ القبَليةُ، والدعواتُ العنصريةُ، والانتماءاتُ الحزبيةُ. به تتلاشىٰ

كلُّ دعاوي الجاهليةِ.

إخوتي في الله: عندما طرقتْ الشعاراتُ والنداءاتُ والنزَعاتُ أبوابَ البلادِ الإسلاميةِ، عقدتْ في مبدأ أمرها مصالحةً مشبوهةً مع الإسلام، مصالحةً مدخولةً تَزعزَع فيها الولاءُ للهِ ولرسولِه، وَهَنَتْ معها أواصرُ الإخوةِ الإيمانيةِ، واهتزتْ فيها روابطُ العقيدةِ، طغتْ متطلباتُها على أوامرِ الإسلام ونواهيه، ولم تزلْ الأواصرُ تضعفُ، والخلافُ يستشري، حتى أصبحَ واقعاً محسوساً. استُبيحَ الحِمىٰ، ونُهبتْ الديارُ، وسُلبتْ الخيراتُ، ووقعَ كثيرٌ من بلادِ المسلمين في أزماتٍ ماديةٍ ومعنويةٍ خانقةٍ، تداعتْ عليها الذئابُ المسعورةُ، وفرَّقتهم السياساتُ المشئومةُ، وأقبل بعضُهم على بعضٍ يتلاومون. ولعمرُ اللهِ إنهم لن يزالوا كذلك، حتى يُطهرَ الإيمانُ قلوبَهم، ويعيدَ بناءَهم وتماسكَهم، ويرصَّهم في ميادين الإصلاحِ والجهادِ أشرافاً كرماءَ.

أمةَ الحقِّ والدينِ: أمامَ هذا الواقعِ المريرِ والشعاراتِ الممزِّقةِ، لا محيصَ عن دعوةٍ صريحةٍ شاملةٍ إلى دينِ اللهِ، مصدرِ العزةِ والكرامةِ وحصنِ المَنَعةِ. لابد من تضامنٍ يجمعُ الشملَ المبعثرَ، ويقمعُ العصبياتِ، ويَنْبِذُ سائرَ النداءاتِ. في هذه الظروفِ الحوالكِ، وفي خضمِّ تلك الاهتزازاتِ النفسيةِ، والتجاذبِ من تياراتِ الشرقِ والغربِ في فلسفاتِها وثقافاتِها ـ حيثُ لم تظفرْ أمةُ الإسلامِ بشيءٍ ـ في هذه الأجواءِ ظهرتْ بوادرُ صحوةٍ إسلاميةٍ، وتطلعاتٍ إيمانيةٍ، ترنو إلى الدينِ منقذاً وهادياً جامعاً. وقامَ على ذلك دعاةٌ مخلصون في اجتهاداتٍ جادةٍ، وتوجيهاتٍ محمودةٍ، للشبابِ منها حظٌ موفورٌ، ورصيدٌ مشكورٌ، استمساكاً بالدينِ،

ودفاعاً عن حياضِ المسلمين. قد يكون صاحبَ بعضَ المسيرةِ شيءٌ من تعجلٍ من الشبابِ يطغىٰ عليه حماسُه. مع مظاهرِ صدقٍ وعملٍ جدٍ. وقد أخطأ فيهم أناسٌ فظنوا بهم غيرَ الحقِّ، وصدرتْ مرئياتُهم فيهم من غيرِ تأنٍ أو رويةٍ.

إن من لم يعشْ للإسلامِ ودعوتِه، ولم يهتمَّ بقضايا أمتِه حقَّ الاهتمامِ، ولم تشغلْه همومُها ومآسيها في الشرقِ والغربِ ـ وكأنه لم يعشْ إلا لنفسِه ومصالحِه الذاتيةِ ـ كيف يكون مؤهلاً لأن يقولَ لمن يعيشون بالإسلامِ وللإسلامِ أخطأتم أو أصبتم؟!.

أيها الإخوةُ في الله: إن الشبابَ المسلمَ تفتحتْ عيناه على واقعٍ غيرِ سارٍّ في كثيرٍ من ديارِ أهلِ الإسلامِ، يشعرُ أنه ليس مسؤلاً عنه. الاستعمارُ عاثَ في الديارِ وتركَ آثاراً غليظةً فكريةً ونفسيةً، استُجلِبَتْ نظمٌ وثقافاتٌ لا تمتُّ إلى الإسلامِ بصلةٍ.. صورٌ كثيرةٌ من الضياعِ واللامبالاةِ تمتلىءُ بها الساحةُ.. مناهجُ في التربيةِ مضطربةٌ.. مظاهرُ للكاسياتِ العارياتِ المائلاتِ المميلاتِ.. وفوقَ ذلك دعواتٌ سافرةٌ للإلحادِ ـ علمانيةٌ وشيوعيةٌ وإباحيةٌ، ومظاهرُ زندقةٍ ونفاقٍ.

ومن هنا أيها الإخوةُ فكما يُنكرُ الغلوُّ في الدين بحقٍّ يُنكرُ التسيبُ والتهتكُ فلا إفراطَ ولا تفريطَ. وكما يُطالبُ الدعاةُ بالاعتدالِ والحكمةِ، يطالبُ المدعوون بالبعدِ عن التذبذبِ والتناقضِ. يجب أن تكونَ القدوةُ حيةً مشهودةً، يقترنُ لديها القولُ بالعملِ، تأخذُ بالأحكامِ وتَتَّبعُ السننُ.

وإن من النَّصَفِ في القولِ ـ أيها الإخوةُ ـ أن ينظرُ الدعاةُ في

الأولوياتِ، وفي الأهمِّ فالمهم فالسنة غيرُ الواجبِ، والمكروهُ غيرُ المحرمِ، فلكلٍ وزنُه، ولكلٍ أثره. مَنْ كان ذا فكرٍ محصورٍ وإدراكٍ ضيقٍ وعلمٍ قليلٍ، تختلُّ عندُه الموازينُ وتختلطُ لديه الأولوياتُ. وقد ينحدرُ في التعصبِ المقيتِ والانحيازِ المذموم لرأيٍ أو عالمٍ أوفئةٍ. هناك من جعلَ التشددَ المذمومَ ميزانَ التقوىٰ فكانَ مُنْبَتّاً لاً ظهراً أبقىٰ ولا أرضاً قطعَ. يوجدُ من يوغلُ في النقدِ والجدلِ حتى يدخلَ في الغيبةِ والتجريح، وتتبع الزلاتِ والعثراتِ من غيرِ فقهٍ في واجبِ النصحِ، وحسنِ الظنِّ وأقدارِ الرجالِ.

«إن هذا الدينَ يُسْرٌ، ولن يشادَّ هذا الدينَ أحدٌ إلا غلَبه، فسدِّدوا وقاربوا، وبشِّروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[1].

وهكذا أيها الإخوةُ المؤمنون: فإن قافلةُ الدعوةُ وردَّ الأمة إلى الجادةِ مسئوليةٌ كبرىٰ، يتحملُها الجميعُ، كلٌّ من موقعِه. شبابٌ متدفقٌ، وشيوخٌ مجربون، وقادةٌ حاكمون، ومربون مخلصون. سددَّ اللهُ الخُطىٰ، وباركَ في الجهودِ، وحفِظَ على هذه البلادِ أمنَها واستقامتَها على الحق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[الأنفال: ٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١١٦ ـ ح٣٩)، والنسائي (٨/ ١٢١، ١٢٢ ـ ح٥٠٣٤)، والبيهقي (٣/ ١٨).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المتفردِ بكلِّ كمالٍ، والشكرُ له فهو المتفضلُ بجزيلِ النوالِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله؛ صاحبُ الخلقِ العظيمِ وشريفِ الخلالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم عبادَ اللهِ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجل في السرِّ والعلنِ، وانتهوا عن معاصيه، والانقيادِ لأماني النفوسِ، ووساوسِ الشيطان، فالكيِّسُ من دانَ نفسه، وعمِلَ لما بعد الموتِ، والعاجزُ من اتْبَعَ نفسَه هواها، وتمنىٰ على اللهِ الأماني.

أيها المؤمنون: أفشوا التناصحَ بينكم.. مروا بالمعروفِ وانهوا عن المنكرِ، وخذوا على يدِ السفيهِ.

ولْتعلموا أن الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ.. هو حصنُ الإسلامِ الحصينُ، والدرعُ الواقي من الشرورِ والفتنِ، والسياجُ من المعاصي والمحن، يحمي أهلَ الإسلامِ من نزواتِ الشياطين ودعواتِ المبطلين.

إنه الوثاقُ المتينُ الذي تتماسكُ به عُرىٰ الدينِ، وتُحفظُ به

حرماتُ المسلمين.

وهل تظهرُ أعلامُ الشريعةِ وتفشوا أحكامَ الإسلام إلا بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر. لا تُستوفىٰ أركانُ الخيريةِ لهذه الأمةِ المحمديةِ إلا به: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إنه مجاهدةٌ دائبةٌ دائمةٌ من كلِّ مسلمٍ حَسْبَ طاقتِه لإبقاءِ أعلامِ الإسلام ظاهرةً، والمنكراتِ قصيةً مطمورةً. هو فيصلُ التفرقةِ بين المنافقين والمؤمنين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

ولهذا يقولُ الغزاليُّ رحمه الله: فالذي هجرَ الأمرُ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ خارجٌ عن هؤلاءِ المومنين.

أيها الإخوةُ المؤمنون: بارتفاعِ رايةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ يعلو أهلُ الحقِّ والإيمانِ، ويندحرُ أهلُ الباطلِ والفجورِ. يورثُ القوةَ والعزةَ في المؤمنين المستمسكين، ويُذلُّ أهلَ المعاصي والأهواءِ.

يقولُ سفيانُ رحمه الله: إذا أمرتَ بالمعروفِ شددتَّ ظهرَ أخيك، وإذا نهيتَ عن المنكرِ أرغمتَ أنفَ المنافقِ.

ويقولُ الإمامُ أحمدُ: إن المنافقَ إذا خالطَ أهلَ الإيمانِ فأثمرتْ عدواهُ ثمرتَها، صار المؤمنُ بينَ الناس معزولاً، لأن المنافقَ يصمتُ عن المنكرِ وأهلِه فيصفُه الناسُ بالكياسةِ، والبعدِ عن

الفضولِ، ويسمون المؤمن فضولياً.

عباد الله: إذا فشا الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ تميَّزتْ السنةُ من البدعةِ، وعُرِفَ الحلالُ من الحرام، وأدركَ الناسُ الواجبَ والمسنونَ، والمباحَ والمكروهَ، ونشأَتْ الناشئةُ على المعروفِ وأَلِفَتْهُ، وابتعدتْ عن المنكرِ واشمأزتْ منه.

وصاحبُ البصيرةِ مدركٌ أن ما أصابَ كثيراً من بلادِ الإسلام من جهلٍ بالسننِ والواجباتِ، والوقوعِ في البدعِ المحرماتِ، ما هو إلا بسببِ تقصيرِ أهلِ العلمِ في هذا الجانبِ، والاستحكام السيءِ في مناهجِ التعليمِ والتربيةِ والتوجيهِ، حتى نشأتْ الأجيالُ لا تعرفُ معروفاً ولا تُنكَرُ منكراً، وإنك لناظرٌ في ذلك شيئاً كثيراً من الغلوِّ في الصالحين بشتى درجاتِهِ، وفشو منكراتٍ كُبرىٰ.. من تركِ الصلواتِ، والوقوعِ في الربا والزنا وشربِ الخمورِ وما هو دون ذلك وأكثرُ منه.

حقاً أيها المؤمنون: إذا تعطلتْ هذه الشعيرةُ ودُكَّ هذا الحصنُ، وحُطِّمَ هذا السياجُ، فعلى معالمِ الإسلامِ السلامُ، وويلٌ يومئذٍ للفضيلةِ من الرذيلةِ، وويلٌ لأهلِ الحقِّ من المبطلين، وويلٌ لأهلِ الصلاحِ من سَفَهِ الجاهلين وتطاولِ الفاسقين.

لا تكون ضعةُ المجتمعِ، ولا ضياعُ الأمةِ، إلا حين يُتركُ للأفرادِ الحبلَ على الغاربِ، يعيشون كما يشتهون، يتجاوزون حدودَ اللهِ، ويعبثون بالأخلاقِ، ويقعون في الأعراضِ، وينتهكون الحرماتِ من غيرِ وازعٍ أو ضابطٍ، ومن غيرِ رادعٍ أو زاجرٍ.

إنَّ فشوَّ المنكراتِ يؤدي إلى سلبِ نورِ القلبِ، وانطفاءِ جذوةِ

الإيمانِ، وموتِ الغيرةِ على حرماتِ اللهِ، فتسودُ الفوضىٰ، وتستفحلُ الجريمة، ثم يحيقُ بالقومِ مكرُ اللهِ. حتى إنَّ كثرةَ رؤيةِ المنكراتِ يقومُ مقامَ ارتكابِها في سلبِ القلبِ نورَ التمييزِ وقوةَ الإنكارِ. لأن المنكراتِ إذا كَثُر على القلبِ ورودَها، وتكررَ في العين شهودُها، ذهبتْ من القلوبِ وحشتُها، فتعتادُها النفوسُ، فلا يخطرُ على البالِ أنها منكراتٌ، ولا يميزُ الفكرُ أنها معاصي.

يقولُ بعض الصالحين: إن الخوفَ كلَّ الخوفِ من تأنيس القلوبِ بالمنكراتِ، لأنها إذا توالتْ مباشرتُها ومشاهدتُها أنِسَتْ بها النفوسُ، والنفوسُ إذا أنِسَتْ شيئاً، قلَّ أن تتأثرَ به.

يقولُ نبيُّكم محمدٌ ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ: «**كلاَّ واللهِ لتأمرُنَّ بالمعروفِ، ولتنهوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخُذنَّ على يدِ الظالمِ، ولتأطِرُنَّه على الحقِّ أطْراً** (أي تلزمونَه به إلزاماً) **أو ليضربنَّ اللهُ بقلوبِ بعضِكم على بعضٍ، ثم ليلعَنُكم كما لعنَهم، يعني بني إسرائيل**»[1].

فواجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ على حسبِ الاستطاعةِ، وبخاصةٍ فيما تحتَ قدرتِهم ومُكْنَتِهم من منكراتِ البيوتِ وما في حكمِها، وعلى كلِّ صاحبِ علمٍ وقلمٍ وقدرةٍ على البيانِ، وكلِّ ذي أثرٍ في المجتمعِ ـ مع العلمِ والحكمةِ ـ أن يقومَ بالإرشادِ والتوجيهِ، والنصحِ في الأمرِ والنهي، والسعي في إفشاءِ المعروفِ وزوالِ المنكرِ.

---

(١) رواه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٦، ح٤٣٣٧) واللفظ له، والترمذي (٥/ ٢٣٥، ٢٣٦ ـ ح٣٠٤٧، ح٣٠٤٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧ ـ ح٤٠٠٦) وقال الهيثمي: رواه الطبراني رجاله رجال الصحيحين انظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٩).

ولا يضعفُ المسلمُ أو يتوانىٰ بدعوىٰ أنه غيرُ كاملٍ في نفسِه، فقد قرَّرَ أهلُ العلم أنه لا يشترطُ في مُنْكِرِ المنكَرِ أن يكونَ كاملَ الحالِ، ممتثلاً لكلِّ أمرٍ، مجتنباً لكلِّ نهيٍ، بل عليه أن يسعىٰ في إكمالِ حالِه مع أمرِه ونهيِه لغيرِه. ومما استدلَّ به أهلُ العلم على ذلك قولُه سبحانه في بني إسرائيلَ: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]. مما يدلُّ على اشتراكِهم في المنكرِ ومع هذا حصلَ عليهم اللومُ على تركِ التناهي فيه. ومن ذلك أيضاً قولُه ﷺ: «**إن اللهُ ليؤيدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ**»(١).

ولابدَّ لمن قامَ بهذا من التحلي بالرفقِ وسعةِ الصدرِ، وإن سمعَ مايكرَه، فلا يغضبْ كأنه منتصرٌ لنفسِه، ولينظرْ للواقعين في المعاصي بعينِ الشفقةِ والرحمةِ والنصحِ، وليعرفْ نعمةَ اللهِ عليه حيثُ لم يقعْ فيما وقعوا فيه، ولا ينظرْ إليهم نظرَ إزدراءٍ وإعجابٍ بالنفسِ. وعليه بالتخلقِ بالصبرِ على مايلقىٰ، فهو ملاقٍ أذىً كثيراً. وليبتعدْ عن حلاوةِ المداهنةِ والمداراةِ، ولا يأسفْ على من هجرَه وقلاه، ولا يحزنْ على من فارَقه وخذلَه. إنه بهذا المسلكِ يقطعُ أطماعَه في الخلقِ، ويحصرُ تعلقَه بربِّه ومولاه، ولا يتوكلُ إلا عليه، ومن توكلَ عليه كفاه.

وليُعلمْ أيها المؤمنون: أن الأصلَ هو السترُ على المسلم إذا وقعَ في معصيةٍ لعموم قولِه ﷺ: «**من سترَ مسلماً ستره اللهُ في الدنيا والآخرةِ**»(٢). ولقوله عليه الصلاةُ والسلامُ لمن جاء إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٠٨ ـ ح٣٠٦٢) واللفظ له، ومسلم (١/ ١٠٦ ـ ح١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١١٦ ـ ح٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ـ ح٢٥٨٠)، =

بصاحبِ معصيةٍ: «**لو سترتَه بثوبِك كان خيراً لك**»[1]. ولكن هذا في غيرِ من عُرِفَ بالأذىٰ والفسادِ ومعاودةِ المنكراتِ، فإن السَّترَ على مثلِه يُطْمِعُه في الإيذاءِ والفسادِ وانتهاكِ الحرماتِ.

يقولُ الإمامُ أحمدُ رحمه الله: «الرجلُ المعلَّقُ بالفسقِ لا حرمةَ له».

فاتقوا الله رحمكم الله، واعلموا أنه لو طُوِيَ بساطُ الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وأُهملَ علمُه وعمَلُه، لتعطلتْ الشريعةُ، واضمحلتْ الديانةُ، وعمَّتْ الغفلةُ، وفشتْ الضلالةُ، وشاعتْ الجهالةُ، واستشرىٰ الفسادُ، واتسعَ الخرقُ وخَرِبتْ البلادُ، وهلكَ العبادُ، وحينئذٍ يحلُّ عذابُ اللهِ وإن عذابِ اللهِ لشديدٌ.

أخرج النسائيُّ وأبوداود واللفظُ له من حديثِ أبي بكرٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما منْ قومٍ يُعملُ فيهم بالمعاصي، ثم يقدِرون على أن يُغيروا فلا يغيروا، يوشكُ أن يعمَّهم اللهُ بعقابٍ**»[2].

وأخرجَ أبوداودَ من حديثِ جريرِ بنِ عبدِاللهِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما من رجلٍ يكونُ في قومٍ يَعْملُ**

= والترمذي (٤/ ٢٨٨ ـ ح١٩٣٠) واللفظ له.

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ١٣٤ ـ ح٤٣٧٧)، وأحمد (٥/ ٢١٧)، ومالك في الموطأ بلاغاً (٢/ ٨٢١)، والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٦ ـ ح٧٢٧٤).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٩ ـ ح٤٠٠٩)، وأحمد (٤/ ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩١).

فيهم بالمعاصي يقدرونَ أن يغيِّروا عليه فلم يغيِّروا إلا أصابَهم اللهُ بعقابٍ قبل أن يموتوا»[1].

ويقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**والذي نفسي بيدِه لتأمرنَّ بالمعروفِ ولتنهوُنَّ عن المنكرِ، أو ليوشِكَنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عذاباً فتدعونَ فلا يستجيبَ لكم**»[2] أخرجه الترمذي وحسنه من حديث حذيفةَ رضي الله عنه. وروى عن ابن عمرِ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناسُ مروا بالمعروفِ، وانهوا عن المنكرِ، قبل أن تدعوا اللهَ فلا يستجيبَ لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفرْ لكم. إن الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ لا يدفعُ رزقاً، ولا يقرِّبُ أجلاً، وإن الأحبارَ من اليهودِ والرهبانَ من النصارىٰ لما تركوا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ لعنهم اللهُ على لسانِ أنبيائِهم ثم عُمُّوا بالبلاء**»[3] رواه الأصبهاني وسكت عنه المنذري.

اللهم وأبرمْ لهذه الأمةِ أمرَ رشدٍ يُعزُّ فيه أهلُ طاعتِك، ويذلُّ فيه أهلُ معصيتِك، ويُؤمرُ فيه بالمعروفِ، ويُنهىٰ فيه عن المنكرِ. إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٩)، وأخرجه ابن حبان انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(١/ ٥٣٦ ـ ح٣٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٠٦ ـ ح٢١٦٩) وقال: حديث حسن، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٣)، وابن ماجه من حديث عائشة باختلاف يسير (٢/ ١٣٢٧ ـ ح٤٠٠٤).

(٣) أخرجه الحافظ الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٧)، والمنذري (٣/ ٢٣٠، ٢٣١) وعزاه للأصبهاني وأشار إلى ضعفه، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم انظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ معزَّ من أطاعه واتقاه، ومذلِّ من أضاعَ أمرَه وعصاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا ربَّ لنا سواه، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن أقامَ أمرَه واجتنب نهيَه ودعا بدعوتِه واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: إن من التحدثِ بنعمِ اللهِ سبحانه أن نُذكِّرَ ببعضِ ما تتمتعُ به هذه البلادُ من مزايا كبرىٰ، لا تكادُ توجدُ في غيرِها ـ صانها اللهُ وحفظَها من كيدِ الكائدينِ وحَسَدِ الحاسدين، وكتبَ الخيرَ والتوفيقَ والصلاحَ والأمنَ والرخاءَ لكافةِ بلادِ المسلمين.

أيها المسلمون: لقد قامتْ هذه البلادُ على دعوةِ الحقِّ والتوحيدِ، وتحكيمِ كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، وأَخْذِ الناسِ بهما في كافةِ مجالَاتِ الحياةِ، والسيرِ على طريقِ السلفِ الصالحِ فلله الحمدُ والمنةُ.

وإن هناك خصيصةً عُظمىٰ لا توجدُ في غيرِ هذه البلادِ فيما نعلم، تلكُم أنها البلدُ الوحيدُ الذي أنشأ جهازاً خاصاً يقومُ بمهمةِ

الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ متمثلين قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إنه جهازٌ خاصٌ له نظامُه وصلاحيَّاتُه، كما أن له الأثرَ العظيمَ في البلادِ، وهو يحظىٰ بتأييدِ كافةِ المسئولين ودعمِهم، متعاونٌ مع جميعِ المصالحِ الحكوميةِ في سبيلِ تثبيتِ المعروفِ ونشرِه، وإزالةِ المنكرِ بشتىٰ أشكالِه وصورِه، ولأهلِه النشاطُ المعروفُ، والجهدُ المشكورُ في القضاءِ على الجرائمِ في مهدِها. وبسطِ الأمنِ والطمأنينةِ على الأرواحِ والأعراضِ والممتلكاتِ، سالكينَ مسلكَ العلمِ والحكمةِ، والرفقِ في غيرِ ضعفٍ، والقوةِ في غيرِ عنفٍ، وهم - بعد توفيق اللهِ وعونِه - مُؤيَّدون كلَّ التأييدِ من المسئولين في البلادِ، محلُّ الثقةِ من المجتمعِ كلِّه، فجزىٰ اللهُ الجميعَ عن البلادِ وأهلِها خيرَ الجزاءِ.

أيها الإخوة: إنها كلمةُ حقٍّ يجبُ أن تقالَ، وأعمالٌ يجبُ أن تُذكرَ فتشكرَ مع ما نرجو ونؤمِّل من المزيدِ من النشاطِ والعملِ، كما نؤمل المزيدَ من الدعم والتأييدِ، فالتياراتُ كثيرةٌ، والمغرضون كثيرٌ، ولكن الخيرَ ظاهرٌ، والحقُّ عليٌّ بإذنِ اللهِ، والحمدُ للهِ على ذلك كثيراً.

حدود شرعية وبلاد آمنة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ شرعَ الشرائعَ وأحْكَمَ الأحكامَ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه فهو وليُّ كلِّ إنعامٍ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الأنام، أوضحَ المحجةَ، وأظهرَ معالمَ الشريعة، وبيَّنَ الحلالَ والحرامَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه البررةِ الكرامِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون وعظِّموا أمرَه واشكروا نِعمَه.

عبادَ اللهِ: إن توفرَ الأمنِ ضرورةٌ من ضروراتِ الحياةِ، قد تفوقُ ضرورةَ الغذاءِ والكساءِ، بل لا يستساغ طعامٌ إذا فقدِ الأمانَ. والأمانُ في جوهرِه ومعناه: لا يكونُ إلا مع الإيمانِ، والسلامُ في حقيقتِه لا يكونُ إلا مع الإسلام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]. **«لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له»**[1]، **«المسلم من سلمَ المسلمون من**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٨)، وأيضا في شعب الإيمان (٤/ ٧٨ ـ ح٤٣٥٤، ٤/ ٣٢٠ ـ ح٥٢٥٤، ٥٢٥٥)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥ ـ ح٣٨) وحسنه، =

لسانه ويده»[1].

ومن دخلَ في الإسلامِ فقد دخلَ في دائرةِ الأمنِ والأمانِ: «**من قال لا إله إلا اللهَ، وكفرَ بما يُعبدُ من دونِ اللهِ حَرُم مالُه ودمُه، وحسابُه على اللهِ عزَّ وجلَّ**»[2]. «**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ دمُه ومالُه وعِرضُه**»[3]. وإذا تحقَّق الإسلامُ والإيمانُ توفرتْ أسبابُ الأمنِ والأمانِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

ومن هنا كان بناءُ الإنسانِ في الإسلامِ شاملاً كلَّ جوانبِ حياتِه، ومكوناتِ شخصيتِه، عقيدةً وسلوكاً وأخلاقاً.

ولئن كان الأمنُ - أيها الإخوةُ - يتوفرُ برسوخِ الإيمانِ في القلوبِ، وتطهيرِ الأخلاقِ في السلوكِ، وتصحيحِ المفاهيمِ في العقولِ، فإنه لابد مع ذلك من الشرعِ العادلِ، والسلطانِ القوي: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

= وانظر مجمع الزوائد (١/ ٩٦).

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٩ - ح١٠)، ومسلم (١/ ٦٥ - ح٤١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٣- ح٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦ - ح٢٥٦٤)، وأبوداود (٤/ ٢٧٠ - ح٤٨٨٢)، والترمذي (٤/ ٢٨٧ - ح١٩٢٧) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٢٩٨ - ح٣٩٣٣)، وأحمد (٢/ ٢٧٧).

إن من الناس صنفاً غليظاً لا يكفيه توجيهُ رفيقٌ، ولا يكفيه وعظٌ بليغٌ، بل لا يردعُه إلا عقوبةٌ زاجرةٌ، وقوةٌ صارمةٌ، لذا كان لابدَّ من سوطِ السلطانِ مع زواجرِ القرآنِ، وقد جاء في الأثرِ: «إن اللهُ ليزعُ بالسلطانِ ما لا يزعُ بالقرآن».

ولكي يشيعَ الأمانُ، ويطمئنَّ الإنسانُ، شُرعتْ الشرائعُ الحازمةُ لمعكري الأمنِ ومثيري القلاقلِ، إنها مبادىءُ وأحكامُ، من أجل ضبطِ المجتمعاتِ، أساسُها الرحمةُ العامةُ والمصلحةُ الراجحةُ.

إنها الرحمةُ المصاحبةُ للعدلِ في قانونِ الإسلامِ، أُنزلتْ من أجلِها الشرائعُ، وسُنتْ لها الأحكامُ، وجاء بها رسولُ البشريةِ محمدٌ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فالغايةُ من الرسالةِ المحمديةِ الرحمةُ بالبشريةُ.

وإن الرحمةَ بمفهومِها الواسعِ غيرُ مقصورةٍ على الشفقةِ والرقةِ التي تنبتُ في النفسِ نحو مستضعفٍ أو أرملةٍ أو طفلٍ، ولكنها رحمةٌ عامةٌ للضعيفِ والشريفِ، والرئيسِ والمرؤوسِ، والقريبِ والبعيدِ.

لا مكانَ للرحمةِ لناشري الفوضىٰ، ومُهدري الحقوقِ، ومُرخصي النفوسِ. كيف تكون الرأفةُ بذئابِ الأعراضِ والأموالِ والدماءِ؟ لا يعرفُ العدالةَ في هذه القوةِ إلا المقروحون[1] والمكتوون ممن أُهدِرتْ دماؤهم، وانتُهكتْ أعراضُهم، ونُهبتْ أموالُهم. هل تُترك تلك الكلابُ المسعورةُ حرةً طليقةً تزدادُ

---

(١) المقروحون: الذين أصاب القرح أكبادهم.

ضراوةً ويزدادُ المجتمعُ بها بلاءً وشقاوةً؟!.

أيها الإخوةُ: إن شرائعَ القصاصِ والحدودِ بعضُ مظاهرِ الرحمةِ في هذا الدينِ.

إن أغلبَ المجرمين يُقْدِمون على القتلِ حين يَذْهلون عن الثمن الذي يدفعونه حتماً. ولو علموا أنهم مقتولون يقيناً لتردَّدوا ثم أحجموا.

ويومَ قالتْ العربُ: القتلُ أنفىٰ للقتلِ، قال القرآنُ الكريمُ عبارةً أوجزَ لفظاً وأحكمَ أسلوباً: ﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. نعم إن في القصاصِ حياةً.. حين يَكُفُّ من يُهِمُّ بالجريمةِ عن الإجرام. وفي القصاصِ حياةٌ حين تُشفىٰ صدورُ أولياءِ القتيلِ من الثأرِ الذي لم يكنْ يقفُ عند حدٍ لا في القديم ولا في الحديثِ. ثأرٌ تسيلُ معه الحياةُ على مذابحِ الأحقادِ العائليةِ والثاراتِ القبليةِ جيلاً بعد جيلٍ لا تكفُّ الدماءُ عن المسيلِ.

في القصاصِ حياةٌ أعمُّ وأشملُ، حياةٌ تشملُ المجتمعَ كلَّه، حيث يسود البلادَ الأمانُ الذي يصونُ الدماءَ.

وكما حُفظتْ النفوسُ، حُفظتْ الأعراضُ، فلا قسوةَ في جلدٍ أو رجم، لأن الغرضَ الأسمىٰ هو حمايةُ الشرف وصيانةُ الأُسَرِ، وإشاعةُ الطهرِ والعفةِ بين الرجالِ والنساءِ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾ [النور: ٢].

وإن الآيةَ الكريمةَ لَتبين بوضوحٍ أن هذا النوعَ من الرأفةِ بالزناةِ والزواني لا يجتمعُ مع الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ، وعلى الرغم من أن من أخصِّ خصائصِ المؤمنين أنهم رحماءُ بينهم. فالرفقُ

بمنتهكي الأعراضِ ومرتكبي الفواحشِ ليس من الرحمةِ في شيءٍ.

كلُّ ذلك من أجلِ أن تُخرْسَ بواعثُ الجريمةِ، وتَسري الرهبةُ في نفوسِ أهلِ الرِّيَبِ، فلا يتجاوزون حدودَ الله، ويلوثون كراماتِ النَاسِ.

والزواجُ الصحيحُ، هو وحده الملتقىٰ المشروعُ للنفوسِ الكريمةِ والأسرِ الشريفةِ.

ومن أجلِ هذا وتأكيداً لحفظِ حرماتِ الناس من أن تستطيلَ عليها الألسنةُ الحدادُ، فتقعَ في الإفكِ وتشيعَ الفَحشاءُ، شُرِعَ حدُّ القذفِ ليُجلدَ المفترون، وتسقط كرامتُهم، وتُردَّ شهادتُهم، وتُحفظَ أعراضُ العفيفين والعفيفاتِ.

أما السرَّاقُ واللصوصُ.. فأين دعاةُ الرحمةِ من عاملٍ كادحٍ قد قبضَ أجرَه ليضعَه في أفواهِ نساءٍ وصبيةٍ فإذا بيدٍ آثمةٍ تمتدُّ إلى كسبِهِ، وتستولي على رزقِه، إن هذا اللصَّ يحصِدُ ـ مُجرماً ـ في لحظاتٍ ما كدَحَ الشرفاءُ في تحصيلِه لياليَ والأيامَ. وهكذا يأكلُ القاعدُ الخبيثُ كدْحَ الساعيَ المُرهقِ.

إن اليدَ العاملةَ الكاسبةَ حقُّها أن تُصانَ وتُحمىٰ، حقُّها أن يُضمنَ لها سعيُها، وتأمنَ في معاشِها، أما اليدُ الفاسدةُ التي عَزَفتْ عن شريفِ العملِ وامتدَّتْ إلى الناسِ بالأذىٰ، وعَزَّ علاجُها، فلابدَّ من قطعِها ليرتاحَ منها صاحبُها، ويريحُ المجتمعَ كلَّه من مفاسدِهِ.

إن السطوَ على الأموالِ جريمةٌ تزدادُ وتستشريْ. إن لم تقَابلْ بالعلاجِ الزاجرِ الحاسمِ، تتحولُ إلى جرأةٍ على الدمِ الحرامِ.

ما أيسرَ أن يَقْتل اللصُّ من يعترِضُ طريقَه، سواءٌ كان هذا المعترضُ من رجالِ الأمنِ أو من رجالِ الأعمالِ والأموالِ.

بل حينما يستفحلُ أمرُهم ويتصاعدُ خطرُهم، تعظُم العقوبةُ الزاجرةُ في حقِّهم، إنهم أصبحوا محاربينَ للهِ ولرسولِه، ساعينَ في الأرضِ فساداً فجزاؤُهم: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

ذلُكم حكمُ اللهِ أنزله إليكم. إن الغلظةَ في العقوبةِ أيُّها الرحماءُ تتكافأُ مع غِلَظِ الجريمةِ. إن الرفقَ بمن ثبتتْ جريمتُه ليس من الرحمةِ في شيءٍ، وكيفَ يكونُ إقرارُ الظلمِ والاعتداءُ على الآمنين والتقاعسُ عن الجزاءِ الرادعِ رأفةً ورحمةً. فالرحمةُ الحقيقيةُ هي التي لا تحملُ في ثناياها ظلَماً ولا هضماً.

لقد تعالتْ صيحاتٌ من هنا وهناكَ تنادي بالغاءِ عقوبةِ الإعدامِ لمن يستحقُّها، فهذا المجرمُ عندهم منحرفُ المزاجِ مضطربُ النفسِ، ينبغي أن يُعالجَ. إنه اعتذارٌ عن السفاكينَ ومُرْخصِي الدماءِ مرفوضٌ. ومع هذا فقد وَجدَتْ هذه الصيحاتُ استجاباتٍ، فألغيتْ عقوبةُ الإعدامِ في دولٍ شتىٰ. وفتحوا سجوناً كثيرةً سَمِن فيها المجرمونَ لكي يخرجوا أشدَّ ضرواةً وأكثرَ شقاوةً.

ومن اليسيرِ أن يتعاونَ اللصوصُ والقتلةُ في إدراكِ مآربهم، ورسمِ خُططِهم، ليكوِّنوا عصاباتٍ ويتقاسموا المهماتِ. وكأنَّكم تحسونَ بأن السجونَ تُصبحُ ساحاتٍ ممهدةً لاجتماعِ هؤلاءِ وإحكامِ خُططِهم، بل لعلهم يُديرونها ويُدبِّرويها من خلفِ قضبانِ

السجونِ ولهم في الخارجِ إخوانٌ يَمدونهم في الغيِّ ثم لا يُقْصِرون.

إن الريبةَ لتثورُ حولَ ضمائرِ هؤلاء المدافعين عن المجرمين. ويكادُ المتعجبُ أن يقول: لا يعطفُ على اللصِّ إلا لصٌّ مثلُه، ولا يرأفُ بالقاتلِ إلا قاتلٌ مثلُه.

ماذا كَسَب الذين أهملوا حُكمَ اللهِ في الحدودِ والقصاصِ وأعملوا حكمَ الطاغوتِ؟ لم يجنوا إلا انتشارَ الجريمةِ، وسيادةَ الفوضىٰ، وذُعْرَ الألوفِ في مساكنِهم ومسالِكِهم. وفي الحديثِ: **«وما ترك أئمتُهم العملَ بكتابِ اللهِ إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينهم»**[1].

إنك حين ترىٰ في واقعِ الذين ظلموا أنفسَهم، وابتعدوا عن شرعِ اللهِ، ما تنشرُه وسائلُ الإعلامِ من أنواعِ الجرائمِ وبشاعتِها، واستهانتِها بالأنفس، واسترخاصِها للدماءِ، وانتهاكِها للأعراضِ، وابتزازِها للأموالِ، لقد وَصلَ الحالُ بهم - حين أَمِنُوا العقوبةَ الرادعةَ - أن كوَّنوا قُوىٰ إرهابيةً تُضارعُ الدولَ والحكوماتِ، بل وقد تفوقُ عليها في قوتِها وأنواعِ أسلحتِها وتقنيتِها، إنها عصاباتٌ تقطعُ الطرقَ وتخيفُ السبلَ - بريةً وبحريةً وجويةً -، تنشرُ الرعبَ والفسادَ، وتُغِيْرُ على المصارفِ والخزائنِ، وتستهينُ بالقوانين والأعرافِ. من قاومَهم قتلوه، ومن سكتَ عنهم استخفُّوا به

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٢، ١٣٣٣ - ح٤٠١٩) وقال البوصيري في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وعلى هذا فالحديث حسن إن شاء الله.

وأهانوه، شرُّهم يستشري، وأمرُهم يستفحلُ، والناس منهم في هرجٍ ومرجٍ واضطرابٍ وفسادٍ، والدولُ يضعفُ سلطانُها، وما أنباءُ المخدراتِ ومنظماتِها عنكم ببعيدٍ.

أيها الإخوةُ: وفي هذا الخِضَمِّ المائج بفتنِه وإرهابِه نقول: فلتهنأ بلادُنا بلادُ الحرمين الشريفين بأمنِها وأمانِها، ولتستمسكْ بدينِها، وتعتزَّ بدستورِها: كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ، تُحِلُّ حلالَه، وتحرِّمُ حرَامه، وتقيمُ حدودَه زادَها اللهُ صلاحاً وإصلاحاً، وبتحكيمِ شرعِه إيماناً وتسليماً.

حدود شرعية وبلاد آمنة

الخطبة الثانية

الحمد لله أحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبْراً، وجعلَ لكلِّ شيءٍ قَدْراً، وأسبلَ على الخلائقِ من حفظِه سِتْرا. أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألَا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافةً عذراً ونُذراً. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آلَه وصحبه.. أخلدَ اللهُ لهم ذكراً وأعظمَ لهم أجْراً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلموا أنه يقصُرُ الإدراكُ عند بعضِ المنتسبينَ إلى الإسلامِ حين يظنُّون أن العقوباتِ والزواجرِ في الإسلامِ إن صَلُحتْ فيما مضىٰ فهي غيرُ صالحةٍ في هذه العصورِ. إنهم لَم يدركوا أن الأمنَ الذي يتحققُ بتطبيقِ شرعِ اللهِ لا يعتمدُ على العقوبةِ وحدَها، ولكنه يعتمدُ قبلَ ذلك وبعدَه على غرسِ الإيمانِ في القلوبِ، وزرعِ الخشيةِ من علَّامِ الغيوبِ، فتتركُ النفوسُ الإجرامَ رغبةً ورهبةً، يُغذيِّ ذلك ويقويه قنواتُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، ونداءاتِ الوعظِ الرقيقِ، والتذكيرِ الرفيقِ، وتعليمِ الجاهلِ، وتنبيهِ الغافلِ، وحفظِ السفهاءِ في أنفسِهم وأموالِهم.

ومن هنا أيها الإخوةُ فإن الدينَ لا يقفُ متربصاً من أجلِ أن تزلَّ قدمٌ ليُجْهزَ على صاحبِها، ولكنه يمنحُ الفُرصَ تلوَ الفرصِ من السِّترِ المحدودِ لَيرْشُدَ الضالُّ ويَصلْحَ العاصي. إنه يُؤثِرُ سَترَ طالبي السترِ، ويدرءُ الحدودَ بالشبهاتِ، ويفتحُ منافذُ الأملِ لمستقبلٍ يتوبون فيه إلى ربِّهم، ويستغفرونه واللهُ غفورٌ رحيم.

الغزو الفكري بين العزة والخنوع

الخطبة الأولى

الحمدُ لله جعل قوةَ هذه الأمةِ في إيمانها، وعزَّها في إسلامِها، والتمكينَ لها في صدقِ عبادتِها، أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، دعا إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ، جعلنا على المحجةِ البيضاءِ. ليلُها كنهارِها. صلى الله وسلمٍ وبارك عليه، وعلى آله وأصحابِه. كانوا في هذه الأمةِ قدوتَها ومصابيحَها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ أيُّهـا المسلمـون، وأطيعـوا اللهَ ورسـولَـه إن كنتـم مؤمنين.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

الإسلام دينُ اللهِ جاءَ به محمدُ بنِ عبدِالله ﷺ رحمةً للعالمين، ومُصدِّقاً لَما بين يديه من الكتابِ ومهيمناً عليه. دينُ اللهِ أكملَه وأتمَّ به نعمتَه، ورضيَه لهذه الأمةِ ديناً. من استمسكَ به أعزَّه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيرِه أضلَّه اللهُ، ومن تركَه ورغِب عنه قصمَه الله. لا صلاحَ إلا بالاستمساكِ به، ولا بقاءَ إلا لمن سارَ على

نهجه. والذلةُ والصغارُ لمن خالفَ أمرَه. عقيدةٌ نقيةٌ، وفكرٌ كاملٌ، وتنظيمٌ شاملٌ، وعزةٌ عاليةٌ، واستقلالٌ صحيحٌ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٤ ـ ٥٦].

صراطُ اللهِ لا يقبلُ الذلةَ، ويأبىٰ التبعيةَ، ويرفضُ الخنوعَ، ويستعصى على الدُّخلاءِ.

أيها المسلمون والمسلمات: هذا هو الدينُ، وهذه هي قوةُ الصادقين من أهلِه. ولكن يظهرُ في بعضِ ضعافِ النفوس استعبادٌ فكري، وخنوعٌ معنوي، وتبعيةٌ مَهِينةٌ... وسنةُ اللهِ قاضيةٌ أنَّ كلَّ أمةٍ تستبدلُ الضلالَ بالهدىٰ، وتتقاعسُ عن العملِ المثمرِ النافعِ، لا تزالُ في تَقَهْقُرٍ وانحطاطٍ وتلاشٍ واضمحلالٍ، يكونُ ذلك في فكرِها وقوتِها وسلوكِها.

إذا هُزمتْ الأمةُ في عقيدتِها فقد غشيتْها الذلةُ، وما كان لها أن ترفعَ رأساً أو تُحقِّقَ عزةً.

معاشرَ الإخوةِ: مِنْ أبرزِ علاماتِ ضعفِ الأممِ أخذُها بكلِّ ما يُساق إليها، من غيرِ تمييزٍ بين ما يضرُّ وما ينفعُ، ولا تفريقٍ بين ما يوافقُ وما لا يوافقُ، حتى ينتهي بها الحالُ إلى أن تفقدَ

خصائصَها، وتذوبَ أصالتها.

ومن علاماتِ الضعفِ البارزةِ كذلك: أن يكونَ ميلُها إلى نقلِ التافه الحقيرِ مما يُغْرِقُ في الشهواتِ، ويقودُ إلى الراحةِ والاسترخاءِ. ليس عند أصحابِها من الهمةِ والعزةِ ما يرتفعون به إلى معالي الأمورِ، وحياةِ الكفاحِ والجهادِ، واحتمالِ المكارِه والعملِ الجادِّ والدؤوبِ.

إن لدىٰ الأعداءِ بضاعتين: بضاعةٌ يُزْجُونَها إلى الضعافِ، وبضاعةٌ يمنعونَها عنهم. أما التي يُزْجُونها: فكلُّ ما يسلِبُ الأخلاقَ، ويدمِّر القيمَ، ويُذِلُّ الأمةَ، ويكرِّسُ العبوديةَ. وأما التي يمنعونَها: فسرُّ التفوقِ وإكسيرُ القوةِ والنافعُ المفيدُ.

أيها الإخوة: هذا هو حالُ الضعفِ والضعفاءِ ولو ستروا أنفسَهم بقشورٍ رقيقةٍ من علمٍ أو ثقافةٍ.

لقد ظنتْ بعضُ هذه الدويلاتِ الضعيفةِ أنها نالتْ استقلالَها وحريتَها، وعدَّتْ نفسَها في عدادِ أهلِ العلمِ والمتعلمين، والحضارةِ والمتحضرين، بينما أبناؤُها عبيدٌ أرقاءُ في أفكارِهم... شاءوا أم أبوا. تشهدُ على ذلك مدارسُهم ومكاتبُهم وبيوتُهم وأسواقُهم ومجتمعُهم ومحاكمُهم. بل تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم.. أنهم لم ينالوا من الحضارةِ الملحدةِ سوى قشورِها.

لا يفكرونَ إلا بعقولِ الأعداءِ، ولا يبصرون إلا بأعينِهم، راسخٌ في نفوسِهم ـ شعروا أو لم يشعروا ـ أن الحقَّ ما جاء من عندِهم، والباطلُ ما لم يكنْ عندَهم. مقاييسُ الحقِّ والصدقِ

والأدبِ ما قررتْه نظرياتُهم ومناهجُهم.

والوطنيةُ عند هؤلاءِ المنكوبين: أن يَعْرِضوا ما عندَهم من أفكارٍ وتصوراتٍ على تصوراتِ الملاحدةِ في الشرقِ وفي الغربِ، فما وافقَ ما عندهم اطمأنُّوا إليه، وفرِحوا به وفاخَروا به، فهو المسايرُ لمقتضياتِ العصرِ. وما خالفَ ذلك: فهو باطلٌ وتخلفٌ ورجعيةٌ، وأفكارٌ قديمةٌ باليةٌ. ثم يقومُ هزيلٌ من هؤلاءِ فيتبرأَ مما عندَ قومِه من الحقِّ، ويرفضَه سِراً أو علناً، ويأتي متحذلقٌ آخرُ في خنوعٍ وذلةٍ ليوفِّقَ بيدٍ مرتعشةٍ بين ما عندَه وما عندَ كفارِ المشرقِ والمغربِ، فيمدُّ ويرقِّعُ لينطبقَ على معاييرِهم... تبعيةٌ ذليلةٌ تُمسخُ فيها عقولُ الأمةِ، وتُشَوَّه أفكارُها... من خلالِ التربيةِ والتعليمِ والإعلامِ، تبعيةٌ تجهلُ فيها الأمةُ تاريخَها، وتُعظِّم تاريخَ الغزاةِ... ينشأُ الجيلُ المقهورُ وليس في علمِه ولا ثقافتِه إلا تاريخُ الدولةِ الغالبةِ.. لا يعجبُه إلا فكرُها، ولا يكبُرُ في عينِه إلا رجالُها.

ذلةٌ تُزاحمُ فيها لغةُ الغالبِ لغةَ المغلوبِ وتزحزحُها أو تطردُها لتحلَّ محلَّها، فيلوي مُدَّعو الحريةِ ألسنتَهم بالرطانةِ.. وذلك عندَهم رمزُ التقدميةِ. وما علِم هؤلاء المخذلون أن ضعفَ لغةِ الأمةِ برهانٌ على ضعفِ فكرِها.

في الغزوِ الفكريِ تَستبدلُ الأمةُ أخلاقَ الكافرين بأخلاقِها المستقيمةِ، فيقومُ دعاةٌ من القومِ يدعونَ إلى الميوعةِ، والسفورِ وهدمِ الأخلاقِ.

سبحانَ اللهِ ـ عبادَ اللهِ ـ أيُّ مسخٍ وأيُّ ذلةٍ أشدُّ وأنكىٰ من أن

تستوردَ الأمةُ أخلاقاً ذميمةً من الخارجِ، وقيماً هابطةً من المغضوبِ عليهم، وهلْ يوجدْ تنكرٌ للأصالةِ أعظمَ من هذا التنكرِ؟.

يقولُ بعضُ زعماءِ اليهودُ: (لقد نَشرْنا روحَ التحررِ الكاذبِ بين الشعوبِ الغيورةِ لاقناعِهم بالتخلي عن دينِهم. بل استطعنا تثبيتَ الشعورِ بالخجلِ من الإعلانِ عن تعاليمِ الدينِ وأوامرِه ونواهيه ومزاياه. والأدهىٰ من ذلك أننا نجَحنا في إقناعِ كثيرين بالإعلانِ جهاراً عن إلحادِهم وكفرِهم بالله...).

نعم ـ أيها الإخوة ـ لقد شَمِلَ هجومُهم العقائدَ والسياسةَ، والحكمَ والاقتصادَ، والتعليمَ والإعلام، واللغةَ والتقاليدَ الصحيحةَ، والأزياءَ المحتشمةَ. لقد شمِلَ العقلَ والنقلَ، والدينَ والدنيا. سددوا الطعناتِ ووجهوا السهامَ، ودبروا المؤامراتِ. تعددتْ مجالاتُ الغزوِ، وتنوعتْ أساليبُه. هجومٌ من الخارجِ تارةً، ومن الداخلِ تارةً. من أبناءِ جلدتِنا ويتكلمون بألسنتِنا.

وعلى قدرِ شرفِ رسالتِنا تكون شراسةُ الهجومِ علينا. لو كان دينُنا دينَ خمولٍ أو بلادةِ عقلٍ.. لما اكترثوا ولما اهتموا.. فما رأيناهم هاجموا وثنيةً، ولا قاوموا بوذيةً. وإن في أفئدةِ القومِ غلاً راسباً منذُ مئاتِ السنين.

إنهم ما سكتوا ولن يسكتوا.. وكيف يكونُ ذلك وقد علموا أن الإسلامَ عَصِيٌّ عليهم في مبادئِه، مقاوِمٌ لكلِّ أنواعِ الذلةِ والاستعبادِ.

أيها المسلمون والمسلمات: هذا واقعُ كثيرٍ من بلادِ الإسلامِ،

وحالُ كثيرٍ من مثقفي الأمةِ، وتلك هي مواقفُ الأعداءِ.

ولكنَّ المؤمنَ موقنٌ بأن اللهَ حافظٌ دينَه معلي كلمتَه، ولن يزالَ في الأمةِ موَّفقون يَهدونَ بالحقِّ وبه يعدلون، ولا تزالُ في أمةِ محمدٍ ﷺ طائفةٌ على الحقِّ منصورةٌ، لا يضرُّهم من خذلَهم. ولا من خالَفهم، حتى يأتيَ أمرُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ. والمحجةُ بيضاءُ، والطريقُ بيِّنٌ، والحقُّ أبلجُ، وما على أهلِ الحقِّ من المسئولينَ والعلماءِ والدعاةِ إلا أن يَصْدُقوا في النوايا، ويُشَمِّروا في العملِ، فرجلُ الأصالةِ وصاحبُ الاستقلالِ المحمودِ: هو المسلمُ المستمسكُ بدينه، الواثقُ به، المعتزُّ بتعاليمه.

ومن أجلِ عودةٍ صادقةٍ، واستعادةٍ لموقعِ الصدارةِ ومِقْوَدِ القيادةِ.. لابدَّ من تضافرِ الجهودِ في تربيةِ الأجيالِ على الاعتزازِ المطلقِ بدينِها، واستشعارِ عظمتِه. لابد أن يصحبَ برامجَ التعليمِ والإعلامِ.. برامجُ تربيةٍ إسلاميةٍ صحيحةٍ نقيةٍ.. تُشْرِفُ على سلوكِ الأفرادِ والجماعاتِ، وتجعلُ الحياةَ الخاصةَ والعامةَ محكومةً بحكمِ الإسلامِ، مضبوطةً بآدابِه وتوجيهاتِه، والتخلصُ من سخافةِ الأفكارِ وزُبَالَةِ الأذهانِ.

ولابدَّ من أن يستقرَّ في النفوسِ يقينٌ جازمٌ.. بأن شريعةَ الإسلامِ هي دينُ الأمةِ ودستورُها في الصغيرِ والكبيرِ، وهي كلمةُ ربِّها وهَدْيُ كتابِها المُتَعبَّدِ بتلاوتِه بكرةً وعشياً، وهي قانونُها العامُّ والخاصُّ في النقيرِ والقطميرِ.. سدَّدَ اللهُ الخطىٰ، وباركَ في الجهودِ وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

الغزو الفكري بين العزة والخنوع

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ، وأعوذُ باللهِ من حال أهلِ الضلالِ، وأسألُه العفوَ والعافيةَ في الدينِ والدنيا والحالِ والمآلِ. أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وهو الكبيرُ المتعالِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه شريفُ النسبِ وكريمُ الخصالِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ المآلِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ. واعلموا أنَّ من مظاهرِ العزةِ الجليةِ في ديننا... نهيَ المسلمِ عن التشبه بالكفارِ على شتى مِللِهم ونِحَلِهم، وبأيِّ نوعٍ من أنواعِ التشبهِ. ذلك أن التشبَّه لا يصدرُ إلا عن إعجابٍ وإحساسٍ بالتبعيةِ. ومن ثمَّ يتولدُ الاستئناسُ بالأعداءِ، ومحبتُهم وتقديرُهم وتعظيمُهم. بل يتدرجُ الحالُ إلى ازدراءِ قومِه وأهلِه وعشيرتِه، واحتقارِهم في سلوكِهم ولباسِهم ومُستَحسِن عاداتِهم. وكلَّما كانتْ وجوهُ المشابهةِ أكثرَ.. كان التفاعلُ في الأخلاقِ والصفاتِ أعظمَ. ومنْ قلَّدَ الكفارَ وشابَههم في الهَدي الظاهرِ، فهو قائدٌ على وجهِ التدرجِ والمسارقةِ إلى التأثرِ بعقائدِهم الباطلةِ في أعيادِهم واحتفالاتِهم. والمشاركةُ في

الهدي الظاهرِ تقودُ إلى الاختلاطِ الذي يمحو التمييزُ بين المهديِّين المرضيِّين، وبين المغضوبِ عليهم والضالِين.

وفي عصرِنا المشاهدِ نماذجُ كثيرةٌ ـ لا كثرَّهم اللهُ ـ من عشَّاقِ حياةِ الكافرين، يحملون أفكاراً هدامةً، تُنابذُ عقائدَ أهلِ الإسلامِ... كان مبدأُ انحرافِهم.. الإعجابَ والمشابهةَ الظاهرةَ.

وفي هؤلاءِ من يعتقدُ أن القوانينَ البشريةَ خيرٌ من شريعةِ ربِّ البريةِ. فيهم من يرىٰ أن الإسلامِ محصورٌ في صلةِ العبدِ بربِّه، ولا علاقةَ له بالحياةِ والناسِ.

ولِعَظمِ الأمرِ وخطورتِه جاءتْ شريعةُ محمدٍ ﷺ في أصولِها وفروعِها وظاهرِها وباطنِها مباينةً لسبيلِ المغضوبِ عليهم والضالِين. ولتعلموا رحمكم الله: أن القلبَ كلَّما كان أتمَّ حياةً، وأعرفَ باللهِ، كان إحساسُه بمفارقةِ الكفارِ والمشركين باطناً وظاهراً أتمَّ وأعظمَ، وبعدُه عن أخلاقِهم وأعمالِهم أشدَّ وأكبرَ. فاتقوا الله واستمسكوا بهدي نبيكم وانبِذُوا مسالكَ الكافرين وطريقَ الضالين.

التقوى جماع كل خير

الخطبة الأولى

الحمد للهِ أهلِ المغفرةِ والتقوىٰ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عدداً، له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثرىٰ. أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه. نعمُه لا تحصىٰ، وآلاؤُه ليس لها مُنتهىٰ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه. أخشى الناس لربِّه وأتقىٰ، دلَّ على سبيلِ الهدىٰ وحذَّر من طريقِ الرَّدىٰ، صَلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأصحابِه، معالمِ الهُدىٰ ومصابيحِ الدُّجىٰ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ وسارَ علَى نهجهم واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

عبـادَ اللهِ؛ فـأوصيكـم ونفسي بتقـوىٰ اللهِ، فتقـوىٰ اللهِ جمـاعُ الخيراتِ، وحصونُ البركاتِ، أكثرُ خصالِ المدحِ ذكراً في كتابِ اللهِ.

ما من خيرٍ عاجلٍ ولا آجلٍ، ولا ظاهرٍ ولا باطنٍ إلا والتقوىٰ موصلةٌ إليه ووسيلةٌ له ودليلٌ عليه. وما من شرٍ عاجلٍ ولا آجلٍ، ولا ظاهرٍ ولا باطنٍ، إلا والتقوىٰ حرزٌ منه حصينٌ، ودرعٌ منه مكينٌ.

هي وصيةُ اللهِ للأولينَ والآخرينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

هي دعوةُ الأنبياءِ، وشعارُ الأولياءِ، فكلُّ نبيٍّ يقول لقومِه: ﴿.. ألا تتقون﴾ وأولياءُ اللهِ هم الذين آمنوا وكانوا يتقون.

حقٌّ علينا أيها الإخوةُ أن نقفَ عندَها، ونتأملَ فيها، ونتدبرَ في معانيها لعلَّ اللهَ أن يجعلَنا من أهلِها.

والتقوىٰ في أصلِها أن يجعلَ العبدُ بينه وبين ما يخافُ ويحذرُ وقايةً. وربُّنا تباركَ وتعالىٰ هو أهلُ التقوىٰ. هو الأهلُ وحدَه أن يُخْشىٰ ويُعظَّمَ ويُجلَّ ويُكرَّمَ. التقوىٰ كما يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: «الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ».

والتقيُّ من عبادِ اللهِ ذو ضميرٍ مرهفٍ، وخشيةٍ مستمرةٍ، وحذَرٍ دائمٍ، يتوقىٰ أشواكَ الطريقِ، ويحذرُ سراديبَ الحياةِ، وَجِلٌ من تجاذُبِ كلاليبِ الرغائبِ والشهواتِ، ونوازعِ المطامعِ والمطامحِ.

وتبلغُ التقوىٰ تمامَها. كما يقولُ أبوالدرداء ـ رضي الله عنه ـ حين يتقي العبدُ ربَّه من مثقالِ الذرةِ، وحتىٰ يتركَ بعضَ ما يرىٰ أنه حلالٌ، خشيةَ أن يكونَ حراماً، ليكونَ حجاباً بينه وبين الحرام. فإن اللهَ بيَّنَ للعبادِ الذي يُصيِّرهم إليه فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

وفي كتابِ ربِّكم أيها الإخوةُ ـ نعوتٌ لأهلِ التقوىٰ، وإشادةٌ بذكرِهم، ورفعةٌ من شأنِهم، وإطنابٌ في وصفِهم، فالمتقونُ في

كتاب الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣ ـ ٤].

والمتقون في كتاب الله: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والمتقونَ في كتاب الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤ ـ ١٣٥].

التقوىٰ تفتحُ مغاليقَ القلوبِ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهدايةُ القرآنِ لا تكون بغيرِ ذوي النفوسِ التقيةِ والقلوبِ الزكيةِ.. تتوقىٰ الضلالةَ، وتتجنبُ سبُلَ الغوايةِ.

بالتقوىٰ يكونُ الفرقانُ بين الحقِّ والباطلِ، وبها العرفانُ الذي تنجلي به الأمورُ، والنورُ الذي تنشرحُ به الصدورُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

القبولُ في أهلِ التقوىٰ محصورٌ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]

والقدْحُ المعلَّىٰ من الكرامةِ في نواصيهم معقودٌ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

هم الناجون من السعير: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦١].

ولهم الفوزُ بدارِ الحبورِ ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

وصفَهم عليٌّ رضي اللهُ عنه فقال: هم أهلُ الفضلِ؛ منطقُهم صوابٌ، وملبسُهم في اقتصادٍ، ومشيُهم في تواضعٍ، غضوا أبصارَهم عن الحرام، ووقفوا أسماعَهم على ما يستفادُ. نزلتْ أنفسُهم منهم في البَلاءِ كما نزلتْ في الرخاءِ. عَظُمَ الخالقُ في أنفسِهم، فصغُر ما دونَه في أعينِهم. قلوبُهم محزونةٌ. وشرورُهم مأمونةٌ. مطالبُهم في هذه الدنيا خفيفةٌ وأنفسُهم عما فيها عفيفةٌ. صبروا أياماً قصيرةً فأعقبَهم راحةً طويلةً. يَصُفُّون في الليلِ أقدامَهم، يرتلون قرآنَهم. جاثون على الركبِ. يطلبونَ النجاةَ من العطبِ. لا يرضونَ من الأعمالِ الصالحةِ بالقليلِ، ولا يستكثرون منها الكثيرَ. من ربِّهم وجلون، ومن أعمالِهم مشفقون. يتجملون في الفاقةِ، ويصبرون في الشدةِ، ويشكرونَ على النعمةِ، قريب أملُهم، قليلٌ زللُهم. الخيرُ منهم مأمولٌ، والشرُّ منهم مأمونٌ.

أمةَ الإسلامِ: ولا يتجلىٰ الصدقُ في التقوىٰ حين يتجلىٰ إلا

عندما يستوي عند العبدُ تقاه في سرِّه ونجواه. وقد قال المصطفىٰ ﷺ لمعاذٍ: «**اتق اللهَ حيثما كنتَ**»[1]. وإلى هذا المعنى يشيرُ قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

وما المراقبةُ إلا علمُ القلبِ بقربِ الربِّ. ومن كلام الشافعيِّ ـ رحمه الله ـ: «الأشياءُ ثلاثةٌ: الجودُ من قلةٍ، والورعُ في الخلوةُ، وكلمةُ الحقِّ عند من يُرجىٰ أو يُخافُ».

ومن وصايا بعضِ الواعظين: «أوصيكَ بتقوى الله. الذي هو نجيُّكَ في سريرتك، ورقيبُك في علانيتِك، فاجعلْ اللهَ من بالكِ على كلِّ حالٍ. في ليلِك ونهارِك، وخَفِ اللهَ بقدرِ قربِه منكَ وقدرِته عليكَ».

وعجباً عبادَ الله: كيفَ يتقي العبدُ ذنبَه عن خلقِ الله، ويُظْهرُه في خلوتِه بمولاه؟!.

وقد قيل: اتقِ اللهَ أن يكونَ أهونَ الناظرينَ إليك. فيا سبحان الله: ألم تَصْفِ لك المعصيةُ إلا حين خلوتَ بربِّك؟ ألم تستحِ منه حياءَك من بعضِ خلقِه؟! ومن أضلُّ ممن أبدى للناسِ صالحَ عملِه وبارزَ بالقبيحِ من هو أقربُ إليه من حبلِ الوريدِ!!.

أيها الإخوةُ في اللهِ: وحين يصيبُ الإنسانَ بعضُ القصور، ويغلبُه طغيانُ شهوةٍ. تعملُ التقوىٰ عملَها. فسرعانَ ما يرجُع

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣)، والدارمي (٢/ ٢٣١ ـ ح٢٧٩٤)، والترمذي (٤/ ٣١٢، ٣١٣ ـ ح١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/ ٥٤) وصححه ووافقه الذهبي.

التقيُّ إلى ربِّه، ويأويْ إلى رحمتِه، ويهرُبُ من شيطانِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

إن المتقينَ في أعلىٰ مراتبِ المؤمنين. وسماحةُ دين اللهِ، والرحمةُ بخلقِ اللهِ تسلُكُ في عدادِ المتقين كلَّ المذنبين التائبين، الراجعين إلى ربِّهم غيرَ المصرينَ على خطيئاتِهم.

إن المقصِّرَ حين يتوبُ لا يكون في مؤخرةِ القافلةِ ولا في ذيلِ القائمةِ. إنه أهلٌ لبلوغ أعلىٰ المقاماتِ حين تصدقُ توبتُه وتصحُ أوبتُه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦].

أيها الإخوةُ في اللهِ: بقي ركنٌ في التقوىٰ ركينٌ نشير إليه، إنه الحفاظُ على حقوقِ الناس بجانبِ حقوقِ اللهِ، ولقد قال ابنُ رجبٍ رحمه اللهُ: «وكثيراً ما يغلبُ على من يعتني بالقيامِ بحقوقِ اللهِ، والانعكافِ على محبتِه وخشيتِه وطاعتِه، إهمالُ حقوقِ العبادِ بالكليةِ أو التقصيرِ فيها. حتى قال: والجمعُ بين القيامِ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادِه عزيزٌ جداً لا يقوى عليه إلا الكُمَّلُ من الأنبياءِ والأتقياءُ. وقد قالَ بعضُ الحكماء: من عزيزِ الأشياءِ: حسنُ الخلقِ مع الديانةِ، وحسنُ الإخاءِ مع الأمانةِ».

وفي التنزيلِ من أوصافِ المتقين: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

تعملُ التقوىٰ في أصحابِها فيكظمون الغيظَ ولا ينساقونَ لثورةِ النفسِ وغيضِ الصدرِ. وكظمُ الغيظِ عند المتقين، لا يكون إحَناً[1] غائرةً في القلوبِ، ولا أحقاداً دفينةً في الأعماقِ، ولكنه كظمٌ يعقبه عفوٌ وسماحةٌ ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ إن الغيظَ وقْرٌ على النفسِ حين تكظِمُه، وشُواظٌ يلفحُ القلبَ حين يكتُمه، فأما حين تصفحُ النفسُ، ويعفو القلبُ فأولئك هم المتقون المحسنون، والله يحبُّ المحسنين.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله. اتقوه في أنفسِكم، واتقوه في أهليكِم، واتقوه في الناسِ أجمعين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٨ ـ ١٩].

---

(١) الإحن: الأحقاد والضغائن.

التقوى جماع كل خير

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وليِّ من اتقاهُ، من اعتمدَ عليه كفاهُ، ومن لاذَ به وقاهُ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه وحبيبُه وخليلُه ومصطفاه، صلى الله وسلم وبارك علي، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوتِه واهتدى بهداه.

أما بعدُ:

أيها المسلمون؛ كم للتقوىٰ من ذكرٍ في كتابِ اللهِ، وكم عُلِّقَ عليها من خيرٍ، ووُعدَ عليها من ثوابٍ، وارتبطَ بها من فلاحٍ، وانعقدَ بها من كرامةٍ.

اقرأوا في المعيةِ الإلٰهيةِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وفي ثوابِ الدنيا وخيراتِها المباركةِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٣].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

وأما في ثوابِ الآخرةِ ونعيم الجنةِ فلتقرؤا: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [الزمر: ٢٠].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٣].

جعلنا اللهُ وإياكم منهم بمنِّه وكرمِه.

فتزودوا من التقوىٰ رحمكم اللهُ. فهي خيرُ زادٍ، وتواصوا بها فهي خيرُ وصيةٍ. جاء يزيدُ بنُ سلمةَ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قدسمعت منك حديثاً كثيراً أخافَ أن يُنْسيَني أوْلَه آخرُه، فحدِّثْني بكلمةٍ تكونُ جماعاً قال: «**اتقِ اللهَ فيما تعلمُ**»[1]. ولا زال السلفُ يتواصون بها، فقد كتبَ عمرُ بنُ عبدِالعزيز رحمه اللهُ إلى

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٨ ـ ح٢٦٨٣) وفي سنده انقطاع، قال الترمذي: هذا ليس اسناده بمتصل وهو عندي مرسل ولم يدرك عندي ابن أشوع يزيد بن سلمة، وابن أشوع اسمه سعيد بن أشوع.

رجلٍ: أوصيكَ بتقوىٰ اللهِ عز وجل التي لا يقبلُ غيرَها، ولا يرحمُ إلا أهلَها، ولا يثيبُ إلا عليها، فإن الواعظين بها كثيرٌ، والعاملين بها قليلٌ، جعلنا الله وأياكَ من المتقين.

وكتبَ آخرُ إلى صاحبِه: «أوصيك بتقوىٰ اللهِ، فإنها أكرمُ ما أسررتَ، وأحسنُ ما أظهرتَ، وأفضلُ ما ادخرتَ، أعاننا اللهُ وإياك، وأوجبَ لنا ولك ثوابَها».

في بر الوالدين

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بَعثَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، فبلغَ البلاغَ المبينَ، ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابهِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فيا أيها المسلمون: جُبِلَتْ النفوسُ على حبِّ من أحسنَ إليها، وتعلقتْ القلوبُ بمن كان له فضلٌ عليها، وليس أعظمَ إحساناً ولا أكثرَ فضلاً بعدَ اللهِ سبحانه وتعالىٰ من الوالدين.

حيث قرنَ اللهُ حقَّهما بحقِّه، وشكرَهما بشكرِه، وأوصىٰ بهما إحساناً بعد الأمرِ بعبادتِه: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

لله سبحانه نعمةُ الخلقِ والأيجادِ، وللوالدين بإذنه نعمةُ التربيةِ والإيلادِ. يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ثلاثُ آياتٍ مقروناتٌ بثلاثٍ: لا تُقبلُ واحدةٌ بغيرِ قرينتِها: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾

فمن أطاعَ اللهَ ولم يطعِ الرسولَ لم يُقبلْ منه. ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فمن صلَّى ولَم يزكِّ لم يُقبلْ منه. ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فمن شكرَ اللهَ ولم يشكرْ لوالديه لم يُقبلْ منه.

فرِضىٰ اللهِ في رِضىٰ الوالدين، وسخطُ اللهِ في سخطِ الوالدين.

أيها المؤمنون: إحسانُ الوالدين عظيمٌ، وفضلُهما سابقٌ، تأملوا حالَ الصِّغَرِ، وتذكروا ضعفَ الطفولةِ: ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾. حملتكَ أمُّكَ في أحشائِها تسعةَ أشهرٍ، وهْناً على وهنٍ، حملتكَ كُرهاً، ووضعتك كُرهاً، ولا يزيدُها نموُّكَ إلا ثُقْلاً وضَعْفاً. وعند الوضعِ رأتْ الموتَ بعينِها. ولكن لما بَصُرتْ بك إلى جانبِها سُرعانَ ما نَسيتْ آلامها، وعلقتْ فيكَ جميعَ آمالِها. رأتْ فيك بهجةَ الحياةِ وزينتَها، ثم شُغلتْ بخدمتِك ليلَها ونهارَها، تغذيك بصحتِها. طعامُك دَرُّها. وبيتُكَ حَجْرُها. ومركبُك يداها وصدرُها وظهرُها. تحيطكَ وترعاكَ، تجوعُ لتشبعَ أنتَ، وتسهرُ لتنامَ أنت، فهي بك رحيمةٌ، وعليك شفيقةٌ. إذا غابتْ عنك دعوتَها، وإذا أعرضتْ عنك ناجيتَها، وإذا أصابكَ مكروهٌ استغثتْ بها. تحسَبُ كلَّ الخيرِ عندها، وتظنُّ أن الشرَّ لا يصلُ إليكَ إذا ضمَّتْكَ إلى صدرِها أو لحظَتكَ بعينِها.

أما أبوكَ فأنتَ له مَجْبنةٌ مَبْخلَةٌ، يَكِدُّ ويَسعىٰ، ويدفعُ عنكَ صنوفَ الأذىٰ، ينتقلُ في الأسفارِ. يجوبُ الفيافي والقفارِ، ويتحملُ الأخطارَ بحثاً عن لقمةِ العيشِ، ينفقُ عليكَ ويصلحُكَ ويربيكَ. إذا دخلتَ عليه هشَّ، وإذا أقبلتَ إليه بشَّ، وإذا خرجَ تعلقتَ به، وإذا حضرَ احتضنتَ حجْرَه وصدرَه، هذان هما والداك، وتلك هي طفولتُك وصِباك، فلماذا التنكرُ للجميلِ؟

وعلامَ الفظاظةُ والغلظةُ، وكأنك أنت المنعمُ المتفضلُ؟!.

أخرجَ الشيخان وغيرُهما واللفظُ لمسلم، عن عبدالله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما قال: أقبلَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: أبايِعُك على الجهادِ والهجرةِ أبتغي الأجرَ. قال: «**فهل من والديك أحدٌ حيٌّ؟** قال: نعم بل كلاهما. قال: «**فتبتغي الأجرَ من الله**». قال: نعم. قال: «**فارجعْ إلى والديك فأحسنْ صحبتَهما**»[1].

وفي حديثٍ سندُه جيدٌ عند الطبراني: أن رجلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ يستشيرُه في الجهادِ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ألك والدان؟**» قال: نعم؟ **قال**: «**الزمْهما فإن الجنةَ تحتَ أقدامِهما**»[2].

أيها الإخوةُ في الله: إن حقَّ الوالدين عظيمٌ، ومعروفُهما لا يجازى، وإن من حقِّهما المحبةَ والتقديرَ، والطاعةَ والتوقيرَ، والتأدبَ أمامَهما، وصدقَ الحديثِ معهما، تحققُ رغبتَهما في المعروفِ، وتنفقُ عليهما ما استطعتَ: (أنت ومالُك لأبيك). ادفعْ عنهما الأذىٰ فقد كانا يدفعان عنك الأذىٰ. لا تحدِّثْهما بغلظةٍ أو خشونةٍ أو رفعِ صوتٍ. جنبْهما كلَّ ما يورثُ الضجرَ: (لا تقلْ لهما أف ولا تنهرهما) تخيرْ الكلماتِ اللطيفةِ، والعباراتِ الجميلةِ والقولَ الكريمَ.

تواضعْ لهما، واخفضْ جناحَ الذلِّ رحمةً وعطفاً وطاعةً وحسنَ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٥ ـ ح٢٥٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٨٩ ـ ح٢٢٠٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٣٨).

أدبٍ، لقد أقبلا على الشيخوخةِ والكِبَرِ، وتقدَّما نحو العجزِ والهرمِ بعد أن صرفا طاقاتِهما وصحتَهما وأموالَهما في تربيتِك وإصلاحِك. تأملْ حفظك اللهُ قولَ ربِّك: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ إن كلمةَ (عندك) تدلُّ على معنى التجائِهما واحتمائِهما وحاجتِهما، فلقد أنهيا مهمَّتهما، وانقضى دورُهما، وابتدأ دورُك، وها هي مهمُتك: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾. قال رجلٌ لعمر بن الخطابِ رضي الله عنه: إن لي أماً بلغَ منها الكبرُ أنها لا تقضي حوائجَها إلا وظهري لها مطيةٌ، فهل أديتُ حقَّها؟ قال: لا. لأنها كانت تصنعُ بك ذلك وهي تتمنى بقاءَك، وأنت تصنعه وأنت تتمنىٰ فراقَها، ولكنك محسنٌ، واللهُ يثيبُ الكثيرَ على القليلِ.

نعم إن حقَّهما عظيمٌ ولكن الجأْ إلى الدعاءِ لهما في حالِ الحياةِ وبعد الممات اعترافاً بالتقصيرِ، وأملاً فيما عند اللهِ ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

أيها الإخوة في اللهِ: إن العارَ والشنارَ والويلَ والثبورَ أن يُفْجأَ الوالدان بالتنكرِ للجميلِ، كانا يتطلعانِ للإحسانِ، ويؤمِّلانِ الصلةَ بالمعروفِ، فإذا بهذا المخذولِ قد تناسىٰ ضعفَه وطفولتَه، وأُعجبَ بشبابِه وفتوَّته، وغرَّه تعليمُه وثقافتُه، وترفَّع بجاهِه ومرتبتِه، يؤذيْهما بالتأفُّفِ والتبرمِ، ويجاهرُهُما بالسوءِ وفُحشِ القولِ، يقهرُهما وينهرُهما، بل ربَّما لطمَ بكفٍ أو رفسَ برجلٍ، يريدان حياتَه، ويتمنىٰ موتَهما، وكأني بهما وقد تمنيا أن لو كانا عقيمين. تئن لهما الفضيلةُ، وتبكي من أجلِهما المروءةُ.

يا أيها المخذولُ: هل حينما كَبرُا فاحتاجا إليك جعلتَهما أهونَ

الأشياءِ عليك؟! قدمتَ غيرَهما بالإحسانِ، وقابلتَ جميلَهما بالنسيان.. شقَّ عليك أمرُهما، وطال عليك عمُرُهما. أما علمتَ أن من برَّ بوالديه برَّ به بنوه، ومن عقَّهما عقُّوه، ولسوفَ تكونُ محتاجاً إلى بر أبنائِك، وسوف يفعلونَ معك كما فعلتَ مع والديك، وكما تدينُ تدانُ، والجزاءُ من جنسِ العملِ. يقول عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ما من ذنب أجدر أن تعجلَ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[1].

وإن أكبرَ الكبائرِ الشركُ باللهِ وعقوقُ الوالدينِ، بهذا صحَّ الخبرُ عن الصادقِ المصدوقِ ﷺ.

وفي حديثٍ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ العاقُّ لوالديه، ومدمنُ الخمرِ، والمنانُ عطاءَه. وثلاثةٌ لا يدخلون الجنةَ العاقُّ لوالديه، والديوثُ، والرَّجِلَةُ من النساءِ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨)، وأبوداود (٤/ ٢٧٦ ـ ح٤٩٠٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٨ ـ ح٤٢١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٤)، والترمذي (٤/ ٥٧٣ ـ ح٢٥١١) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣٥٦) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النسائي (٥/ ٨٠ ـ ح٢٥٦٢)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٨٥٩، ٨٦٠ ـ ح٥٧٥، ٥٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٩٢ ـ ح٧٨٧٧)، والحاكم في موضعين (١/ ٧٢) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، (٤/ ١٤٦، ١٤٧) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رواه البزار باسنادين ورجالهما ثقات انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٤٧، ١٤٨).

وفي حديثٍ آخرَ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**يا معشرَ المسلمين إيَّاكمُ وعقوقَ الوالدين، فإن ريحَ الجنةِ تُوجدُ من مسيرةِ ألفِ عامٍ، واللهِ لا يجدُ ريحَها عاقٌّ**»(١). فاتقوا اللهَ يرحمُكمُ اللهُ واعلموا أن برَّ الوالدين فريضةٌ لازمةٌ، وأمرٌ محتمٌ، وهو سعةٌ في الرزقِ، وطولٌ في العمرِ، وحسنٌ في الخاتمةِ. عن عليٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**من سرَّه أن يُمدَّ له في عُمُرِه ويوَسَّعَ له في رزقِه ويُدفعَ عنه ميتةُ السوءِ فليتقِ اللهَ وليصلْ رحمَهُ**»(٢). والوالدان أقربُ الناسِ إليك رُحْماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

---

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي وكلاهما ضعيف جداً. انظر مجمع الزوائد (٥/ ١٢٥، ٨/ ١٤٩)، ومجمع البحرين في زوائد المعجمين (٥/ ١٦٣ ـ ح٢٨٥٠، ٧/ ١٧٠ ـ ح ٢٤٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٤٣)، والحاكم (٤/ ١٦٠) وسكت عنه وتابعه الذهبي. وقال الهيثمي: رواه عبدالله بن أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن حمزة وهو ثقة. انظر مجمع الزوائد ٨/ ١٥٢).

في بر الوالدين

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفىٰ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه المصطفىٰ، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجِه واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا أنَّ من البرِّ أن يتعهدَ الرجلُ أصدقاءَ والديه، ويُحسنَ كرامتَهم، ويفيَ بحقِّهم، فقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إن من أبرِّ البرِّ صلةَ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه**»(١). وجاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقال: هل بقي عليّ من برِّ أبويَّ شيءٌ أبَرُّهما به بعدَ وفاتِهما؟ قال ﷺ: «**نعم الصلاةُ عليهما، وإنفاذُ عهدِهما من بعدِهما، وصلةُ الرَّحِمِ التي لا توصلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقِهما من بعدِهما**»(٢).

فاستيقنوا هذا رحمكم اللهُ، فالبرُّ بجميعِ وجوهِه: زيادةٌ في

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٩ ـ ح٢٥٥٢)، وأبوداود (٤/ ٣٣٧ ـ ح٥١٤٣).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ٣٣٦ ـ ح٥١٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٢٠٨، ١٢٠٩ ـ ح٣٦٦٤)، وأحمد (٣/ ٤٩٧، ٤٩٨)، وابن حبان انظر الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ١٦٢ ـ ح٤١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٦٧، ٢٦٨ ـ ح٥٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٢ ـ ح٣٥).

العمرِ، وكثرةٌ في الرزقِ، وصلاحٌ في الأبناءِ، فمن برَّ والدْيه بَرَّهُ أبناؤُه. والعقوقُ خيبةٌ وخسارةٌ وخذلانٌ. وقد قيل: إن الله لَيُعَجِّلُ هلاكَ العبدِ إذا كان عاقاً ليُعجِّلَ له العذابَ، وإن اللهَ ليزيدُ في عُمُرِ العبدِ إذا كان باراً ليزيدَه براً وخيراً.

صلوا أرحامكم

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ خلقَ من الماءِ بشراً فجعله نسباً وصهراً. أحمده سبحانه وأشكرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبْراً. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أعلىٰ الناسِ منزلةً وأعظمُهم قدراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون: اتقوه وأخلِصوا له العبادةَ، اتقوا اللهَ الذي تساءلون به والأرحامَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

خلقَكم من نفسٍ واحدةٍ، فالربُّ واحدٌ، والأصلُ واحدٌ. أسرةٌ واحدةٌ انبثَّ منهاً الرجالُ والنساءُ ليلتقوا في وشيجةٍ واحدةٍ، ويتصلوا برحمٍ واحدةٍ. من هذا المنطلقِ تقومُ تكاليفُ التكافلِ والتراحمِ.

فأسرةُ الإنسانِ وقرابتُه يا عبادَ الله هم عُدتُّه وسندُه، وهم أصلُه وقوتُه.

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: «أولئك هم عشيرتُك، بهم تصولُ

وتطولُ، هم العُدَّةُ عند الشدةِ. أكرِمْ كريمَهم. وعُدْ سقيمَهم. ويَسِّرْ على معسِرِهم. ولا يكنْ أهلُك أشقىٰ الخلقِ بك».

أيها الإخوةُ في اللهِ: ما أمرَ اللهُ بتوحيدِه، وما نهىٰ عن الإشراكِ به إلا وقرنَ ذلك بالإحسانِ إلى الوالدينِ والأقربينِ.

اقرءوا إن شئتم: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ. . الآية﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ثم قال سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

أيها المؤمنون: إن صلةَ الأرحامِ حقٌ لكلِّ من يمتُّ إليك بصلةِ نسبٍ أو قرابةٍ. وكلَّما كان أقربَ كان حقُّه ألزمَ وأوجبَ: «أمَّك وأباك ثم أدناك أدناك».

وطريقُ القيامِ بحقِّ الأقاربِ والأرحامِ فشوُّ المودةِ، واتساعُ الصدورِ، وسلامةُ القلوبِ.

إن أعظمَ ما امتنَّ اللهُ به على الزوجينِ اللذين هما أصلُ الأسرةِ ونواتُها، أن جعلَ المودةَ والرحمةَ بينهما ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ [الروم: ٢١].

إن أساسَ التواصلِ والرباطِ الموثَّقِ هو التوادُّ والتراحمُ، وإذا فُقِدَ ذلك تقطعتْ الأوصالُ، واستشرىٰ الفسادُ، وحقَّتْ لعنةُ اللهِ عياذاً باللهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ

أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

إن صلةَ الرحم بركةٌ في الأرزاقِ، وتوفيقٌ في الحياةِ، ويكتبُ اللهُ بها العزةَ والمنَعةَ، وتمتلىءُ القلوبُ بها إجلالاً وهيبةً.

أخرجَ الأمامُ أحمدُ وابنُ ماجه ـ ورواةُ أحمدَ ثقاتٌ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها مرفوعاً: «..**وصلةُ الرحمِ وحسنُ الخلقِ وحسنُ الجوارِ يعْمران الديارُ ويزيدان الأعمارُ**»(١).

وروى البزارُ بإسنادٍ جيدٍ والحاكمُ عن علي رضي اللهُ عنه قال: «من سرَّه أن يُمدَّ له في عُمُرِه ويُوسَعَ له في رزقِه ويُدفعَ عنه ميتةُ السوءِ فليتقِ اللهَ وليصلْ رحمَهُ»(٢).

وفي صحيحِ البخاري مرفوعا: «**من أحبَّ أن يُبسطَ له في رزقِه ويُنسأ له في أَجَلِه فلْيَصِلْ رحمَه**»(٣).

وفي الخبرِ: «**صلةُ الرحمِ محبةٌ في الأهلِ، ومثراةٌ في المالِ، ومنْسأةٌ في الأثرِ**»(٤) أي زيادةٌ في المالِ والعمرِ وبركةٌ فيهما.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٩)، وقال الحافظ ابن حجر: سند رجاله ثقات. انظر الفتح (١٠/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٤٣)، والحاكم (٤/ ١٦٠) وسكت عنه وتابعه الذهبي. وقال الهيثمي: رواه عبدالله بن أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن حمزة وهو ثقة. انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٩ ـ ح٥٩٨٦)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢ ـ ح٢٥٥٧) بلفظ «وينسأ له في أثره».

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (٤/ ٣٠٩) وقال: حديث غريب وأشار الحافظ ابن حجر إلى تحسين الترمذي له. انظر الفتح (١٠/ ٤٢٩)، =

بصلةِ الأرحامِ تقوىٰ المودةُ، وتزيدُ المحبةُ، وتتوثقُ عُرىٰ القرابةِ، وتزولُ العداوةُ والشحناءُ، ويَحِنُّ ذو الرحمِ إلى أهلِه.

ولتعلموا رحمكم اللهُ أن صلةِ الرحمِ والإحسانَ إلى الأقربينَ ذاتُ مجالاتٍ واسعةٍ ودروبٍ شتىٰ: فمن بشاشةٍ عند اللقاءِ، ولينٍ في المعاملةِ.. إلى طيبٍ في القولِ، وطلاقةٍ في الوجهِ. إنها زياراتٌ وصلاتٌ، وتفقدٌ واستفساراتٌ، مكالمةٌ ومراسلةٌ، إحسانٌ إلى المحتاجِ، وبذلٌ للمعروفِ، وتبادلٌ في الهدايا. ينضمُّ إلى ذلكَ غضٌ عن الهفواتِ، وعفوٌ عن الزلاتِ، وإقالةٌ للعثراتِ. عدلٌ وإنصافٌ، واجتهادٌ في الدعاءِ بالتوفيقِ والصلاحِ.

وأصدقُ من ذلكَ وأعظمُ مداومةُ الصلةِ ولو قَطعوا، والمبادرةُ بالمغفرةِ إذا أخطأوا، والإحسانُ إليهم ولو أساءوا.

إن مقابلةَ الإحسانِ بالإحسانِ مكافأةٌ ومجازاةٌ، ولكن الصلةَ الواصلةَ بينةٌ في قولِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ: «**ليس الواصلُ بالمكافىءِ، ولكنَّ الواصلَ من إذا قَطَعتْ رحمُه وصلَها**»[1].

وجاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال يا رسولَ الله: إن لي قرابةً أصلُهم ويقطعوني، وأُحسنُ إليهم ويسيئونَ إليّ، وأَحْلُمُ عليهم ويَجْهلونَ عليّ. فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لئن كان كما تقولُ فكأنَّما تُسِفُّهم الملَّ (أي تُطْعمهم الرمادَ الحارَّ في أفواهِهم). ولا**

= والطبراني في الكبير (١٨/ ٩٨ ـ ح١٧٦)، وعزاه الهيثمي إليه وقال: رجاله موثقون. انظر المجمع (١/ ١٩٣، ٨/ ١٥٣)، والحاكم (٤/ ١٦١) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٧ ـ ح٥٩٩١).

يزالُ معكَ من اللهِ ظهيرٌ مادمتَ على ذلك»[1].

ومع كلِّ ذلك أيها المؤمنون ومع هذه الآياتِ والأحاديثِ فإن في الناس من تموتُ عواطفُه، ويزيغُ عن الرشدِ فؤادُه، فلا يلتفتُ إلى أهلٍ، ولا يسألُ عن قريبٍ.

إن العارَ والشنارَ، فيمن منحَه اللهُ جاهاً وأحسنَ له رزقاً، ثم يتنكرُ لأقاربه أو يتعالىٰ عليهم. بل قد يترفعُ أن ينتسبَ إليهم، فضلاً عن أن يشملَهم بمعروفِه ويَمدَّ لهم يدَ إحسانِه.

إن قطيعةَ الرحم شؤمٌ وخرابٌ، وسببٌ للَّعنةِ وعمىٰ البصرِ والبصيرةِ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

إن تقطيعَ الأرحامِ من أعظمِ كبائرِ الذنوبِ، وعقوبتُها معجلةٌ في الدنيا قبلَ الآخرةِ.

أخرجَ أبوداودَ والترمذيُّ وصححه الحاكمُ عن أبي بكرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من ذنبٍ أجدرُ أن يُعجلَ اللهُ لصاحبِه العقوبةَ في الدنيا مع ما يدخرُه له في الآخرةِ من البغي وقطيعةِ الرحمِ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٢ ـ ح٢٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨)، وأبوداود (٤/ ٢٧٦ ـ ح٤٩٠٢)، وابن ماجه(٢/ ١٤٠٨ ـ ح٤٢١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٤)، والترمذي (٤/ ٥٧٣ ـ ح٢٥١١) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣٥٦) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

وروى الإمامُ أحمدُ والبخاريُّ في الأدبِ المفردِ ـ ورواةُ أحمدَ ثقاتٌ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أعمالَ بين آدمَ تُعرضُ كلَّ عشيةِ خميسٍ ليلةَ الجمعةِ فلا يُقبلُ عملُ قاطعِ رحمٍ»**[1].

ونُقلَ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه كان جالساً بعد الصبح في حلقةٍ فقال: «أَنشدُ اللهَ قاطعَ الرحمِ لَما قامَ عنَّا، فإنا نريدُ أَنَ ندعوَ ربَّنا، وإن أبوبَ السماءِ مُرْتَجَةٌ ـ أي مغلقةٌ ـ دون قاطعِ الرحمِ»[2].

أيها الإخوةُ: إن أسرعَ الخير ثواباً البرُّ وصلةُ الرحمِ، وأسرعَ الشرِّ عقوبةً البغيُ وقطيعةُ الرحم، ومع هذا ترىٰ في بعضِ من قلَّ نصيبُهم من الخيرِ يسارعُ في قطعِ صلاتِه بأقاربِه لأدنىٰ سببٍ؛ إما لكلمةٍ سمعها، أو شيئاً صغيراً رآه، وما درىٰ أنه بهذا قد يجرُّ إلى نفسِه وأهلِه العداوةَ والجفاءَ، فيستحقون اللعنةَ وزوالَ النعمةِ وسوءَ العاقبةِ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

ولقد أوصىٰ زينُ العابدين عليُّ بنُ الحسين ابنَه رضي الله عنهم

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٤) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣٢، ٣٣ ـ ح٦١).

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود. انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٥١).

أجمعين فقال: «لا تصاحبْ قاطعَ رحمٍ؛ فإني وجدتُه ملعوناً في كتابِ اللهِ في ثلاثةِ مواضعِ».

فاتقوا اللهَ وصلوا أرحامَكم، فأولوا الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ. قدِّموا لهم الخيرَ ولو جفوا، وصلوهم وإن قطعوا، يُدِمْ اللهُ عليكم بركاتِهِ، ويبسطْ لكم في الأرزاقِ، ويبارِكْ في الأعمارِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

[النحل: ٩٠].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

صلوا أرحامكم

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه بعثَه بالرحمةِ والهُدىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلِهِ الأصفياءِ وأصحابِه النجباءِ والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا أن حقَّ القريبِ رحمٌ موصولةٌ، وحسناتٌ مبذولةٌ، وهفواتٌ محمولةٌ، وأعذارٌ مقبولةٌ. وكما قيلَ: لا تقطعْ القريبَ وإن أساءَ فإن المرءَ لا يأكلْ لحمَه لو جاعَ.

أيها المؤمنون: لئن كانت صلةُ الرحم تَعني الإحسانَ إلى المحتاجِ، ورفعَ الظلمِ عن المظلومِ، والمساعدةَ على وصولِ الحقِّ. فليس من صلةِ الرحمِ المناصرةُ على الباطلِ والعونُ على الظلمِ والبغيِ والعدوانِ، فما هذا إلا الحميةُ الجاهليةُ الممقوتةُ، تفشو بها العداوةُ، وينتشرُ بها الفسادُ، وتتقطعُ بها الأرحامُ.

ولن يكونَ البغيُ والعدوانُ طريقاً إلى الحقِّ، أو سبيلاً إلى العدلِ والخيرِ. فاعرفوا الحقَّ وميزوه عن الباطلِ، ولا تأخذْكم

العزةُ بالإثمِ، واستقيموا على أمرِ ربّكم. أطعموا الطعامَ وأفشوا السلامَ، وصَلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللّيلِ والناسُ نيامٌ تدخلواالجنةَ بسلامٍ.

البيت السعيد

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من أهلِه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أحمدُه سبحانه وأشكرُه على نعمِه، وأسأله المزيدَ من فضلِه وكرمِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه. أرسلَه بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً. دعا إلى الحق، وهدىٰ إلى الخير، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وعظِّموا أمرَ ربِّكم، واحفظوا دينكم وأماناتِكم، وقوموا بمسئولياتِكم. اتقوا اللهَ في أنفسِكم وأهليكم، وأصلِحوا ذاتِ بينِكم، فكثيرٌ من الناسِ يطلبُ السعادةَ، ويتلمسُ الراحةَ، وينشدُ الاستقرارَ وهدوءَ النفسِ والبالِ، كما يسعىٰ في البعدِ عن أسبابِ الشقاءِ والاضطرابِ ومثيراتِ القلقِ ولا سيما في البيوتاتِ والأُسرِ. وليُعلمْ أن كلَّ ذلك لا يتحققُ إلا بالإيمانِ باللهِ وحده والتوكلِ عليه، وتفويضِ الأمورِ إليه مع الأخذِ بما وضعه من سننٍ وشرعَه من أسبابٍ.

وإن من أعظمِ ما يؤثر في ذلك على الفردِ وعلى الجماعةِ بناءَ الأسرةِ واستقامتَها على الحقِّ. فالله سبحانه بحكمتِه جعلها

المأوىٰ الكريمَ الذي هيأه للبشر من ذكرٍ وأنثىٰ.. يستقرُّ فيه ويسكنُ إليه، يقولُ جلَّ جلاله وتقدستْ أسماؤه ممتناً على عبادِه:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

نعم ليسكنَ إليها ولم يقلْ ليسكنَ معها، مما يؤكدُ معنى الاستقرارِ في السلوكِ، والهدوءِ في الشعورِ، ويحققُ الراحةَ والطمأنينةَ بأسمىٰ معانيها. فكلٌّ من الزوجين يجدُ في صاحبِه الهدوءَ عند القلقِ، والبشاشةَ عند الضيقِ.

إن أساسَ العلاقةِ الزوجيةِ الصحبةُ والاقترانُ القائمانِ على الودِّ والأُنس والتآلفِ. إن هذه العلاقةَ عميقةُ الجذورِ بعيدةُ الآماد. إنها أشبهُ ما تكون صلةً للمرءِ بنفسِه؛ بيَّنها كتابُ ربِّنا بقوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فضلاً عما تُهيؤه هذه العلاقةُ من تربيةِ البنينَ والبناتِ وكفالةِ النشءِ.. التي لا تكونُ إلا في ظلِّ أمومةٍ حانيةٍ، وأبوةٍ كادحةٍ.. وأيُّ بيئةٍ أزكىٰ من هذا الجوِّ الأسريِّ الكريمِ.

أيها الإخوةُ في الله: هناك أمورٌ كثيرةٌ يقومُ عليها بناءُ الأسرةِ المسلمةِ، وتتوطدُ فيها العلاقةُ الزوجيةُ، وتبتعدُ فيها عن رياحِ التفككِ وأعاصيرِ الانفصامِ والتصرمِ. وأولُ هذه الأمورِ وأهمُّها: التمسكُ بعروةِ الإيمانِ الوثقىٰ.. الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ، والخوفُ من المُطَّلِعِ على ما تكنُّه الضمائرُ، ولزومُ التقوىٰ والمراقبةِ، والبعدِ عن الظلمِ والتعسفِ في طلبِ الحقِّ.

﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾

[الطلاق: ٢ ـ ٣].

ويقوِّي هذا الإيمانَ.. الإجتهادُ في الطاعةِ والعبادةِ والحرصِ عليها، والتواصي بها بين الزوجين. تأملوا قولَه ﷺ: «**رحم اللهُ رجلاً قام من الليلِ فصلىٰ وأيقظَ امرأتهَ فصلتْ، فإن أبتْ نضَحَ في وجهِها ـ يعني رشَّ عليها الماءَ رشاً رفيقاً ـ ورحمَ اللهُ امرأةً قامتْ من الليلِ فصلتْ وأيقظتْ زوجَها فصلىٰ، فإن أبىٰ نضحتْ في وجهِهِ الماءَ**»[1].

إن العلاقةَ بين الزوجين ليستْ علاقةً دنيويةً ماديةً، ولا شهوانيةً بهيميةً، إنها علاقةٌ روحيةٌ كريمةٌ. وحينما تَصِحُّ هذه العلاقةُ، وتصدقُ هذه الصلةُ فإنها تمتدَّ إلى الحياةِ الآخرةِ بعد المماتِ ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ [الرعد: ٢٣].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١].

أخوةَ الإيمانِ: إن مما يحفظُ هذه العلاقةَ ويحافظُ عليها.. المعاشرةَ بالمعروفِ، ولا يتحققُ ذلك إلا بمعرفةِ كلِّ طرفٍ ما له وما عليه. وإن نشدانَ الكمالِ في البيتِ وأهلِ البيتِ أمرٌ متعذرٌ، والأملُ في استكمالِ كلِّ الصفاتِ فيهم أو في غيرِهم شيءٌ بعيدُ المنالِ في الطبعِ البشريِّ.

ومن رجاحةِ العقلِ ونضجِ التفكيرِ توطينُ النفسِ على قبولِ

---

(١) أخرجه النسائي (٣/ ٢٠٥ ـ ح١٦١٠)، وأبوداود (٢/ ٣٣ ـ ح١٣٠٨)، وابن ماجه (١/ ٤٢٤ ـ ح١٣٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٣٦)، والحاكم (١/ ٣٠٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

بعضِ المضايقاتِ، والغضِّ عن بعضِ المنغصاتِ، والرجلُ وهو ربُّ الأسرةِ مطالبٌ بتبصيرِ نفسِه أكثرَ من المرأةِ، وقد عَلِمَ أنها ضعيفةٌ في خَلْقها وخُلُقها، إذا حوسبتْ على كلِّ شيءٍ عجزتْ عن كلِّ شيءٍ، والمبالغةُ في تقويمِها يقودُ إلى كسرِها، وكسرُها طلاقُها. يقول المصطفىٰ الذي لا ينطقُ عن الهوىٰ ﷺ: «**استوصوا بالنساءِ خيراً فإنهنَّ خُلقنَ من ضِلَعٍ وإن أعوجَ شيء في الضِّلَعِ أعلاه فإن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزلْ أعوجَ فاستوصوا بالنساءِ خيراً**»[1]. فالاعوجاجُ في المرأةِ من أصلِ الخلقةِ، فلابدُّ من مسايرتِه والصبرِ عليه، فعلى الرجلِ ألا يسترسلَ مع ما قد يظهرُ من مشاعرِ الضيقِ من أهلِه وليصرفْ النظرَ عن بعضِ جوانبِ النقصِ فيهم، وعليه أن يتذكرَ ولا يتنكرَ لجوانبِ الخيرِ فيهم، وإنه لواجدٌ في ذلك شيئاً كثيراً.

وفي مثلِ هذا يقولُ الرسولُ ﷺ: «**لا يفركْ مؤمنٌ مؤمنةً ـ أي لا يبغضْ ولا يكرهْ ـ إن كرِهَ منها خُلقاً رضيَ منها آخرَ**»[2]. ولْيتأنَّ في ذلك كثيراً، فلئنْ رأى بعضَ ما يكرهُ فهو لا يدري أين أسبابُ الخيرِ وموارِدُ الصلاحِ.

يقول عز من قائل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

وكيف تكونُ الراحةُ؟ وأين السكنُ والمودةُ؟ إذا كان ربُّ البيتِ ثقيلَ الطبعِ، سيءَ العشرةِ، ضيِّقَ الأفقِ، يغلبُه حمقٌ، ويعميه

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٨ ـ ح٣٣٣١)، ومسلم (٢/ ١٠٩١ ـ ح١٤٦٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩١ ـ ح١٤٦٩).

تعجُّلٌ، بطيءٌ في الرضا، سريعٌ في الغضبِ، إذا دخلَ فكثيرُ المنِّ، وإذا خرجَ فسيءُ الظنِّ، وقد علم أن حُسنَ العشرةِ وأسبابَ السعادةِ لا تكونُ إلا في اللينِ والبعدِ عن الظنونِ والأوهامِ التي لا أساسَ لها. إن الغيرةَ قد تذهبُ ببعضِ الناسِ إلى سوءِ ظنٍ.. يحملُه على تأويلِ الكلامِ، والشكِّ في التصرفاتِ، مما ينغصُ العيشَ، ويقلقُ البالَ من غيرِ مستندٍ صحيحٍ.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ [الطلاق: ٦]. كيف وقد قال ﷺ: **«خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيرُكم لأهلي»**[(١)].

أما المرأةُ المسلمةُ فلتعلمْ أن السعادةَ والمودةَ والرحمةَ لا تتمُ إلا حينَ تكونُ ذاتَ عفةٍ ودينٍ، تعرفُ ما لها فلا تتجاوزُه ولا تتعداهُ. تستجيبُ لزوجِها فهو الذي له القوامةُ عليها يصونُها ويحفظُها وينفقُ عليها، فتجبُ طاعتُه وحفظُه في نفسِها ومالِه، تتقنُ عملَها وتقومُ به، وتعتني بنفسِها وبيتِها. فهي زوجةٌ صالحةٌ، وأمٌ شفيقةٌ، راعيةٌ في بيتِ زوجِها، ومسئولةٌ عن رعيتِها، تعترفُ بجميلِ زوجِها ولا تتنكرُ للفضلِ والعشرةِ الحسنةِ، يحذرُ النبيُّ ﷺ من هذا التنكرِ ويقول: **«أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ يَكفُرنَ. قيل: أيكفرْن بالله؟ قال: لا. يكفرْن العشيرَ، لو أحْسَنْتَ لاحداهنَّ الدهرَ ثم رأتْ منكَ شيئاً قالتْ ما رأيتُ منك خيراً قطُّ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٦٦٦، ٦٦٧ ـ ح٣٨٩٥) وقال: حديث حسن غريب صحيح، والدارمي (٢/٨٢ ـ ح٢٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/١٠٤ ـ ح٢٩)، ومسلم (٢/٦٢٦ ـ ح٩٠٧).

فلابدَّ من دمحِ[1] الزلاتِ، والغضِّ عن الهفواتِ.. لا تسيءُ إليه إذا حضرَ، ولا تخونُه إذا غابَ. بهذا يحصلُ التراضي، وتدومُ العشرةُ ويسودُ الألْفِ والمودةُ والرحمةُ. و«**أيُّما امرأةٍ ماتتْ وزوجُها عنها راضٍ دخلتْ الجنةَ**»[2].

فاتقوا اللهَ يا أمةَ الإسلام؛ واعلموا أنه بحصولِ الوئامِ تتوفرُ السعادةُ، ويتهيأُ الجوِّ الصالحُ للتربيةِ، وتنشأ الناشئةُ في بيتٍ كريمٍ مليءٍ بالمودةِ عامرٍ بالتفاهمِ.. بين حنانِ الأمومةِ وحَدَبِ الأبوةِ.. بعيدٍ عن صخبِ المنازعاتِ والإختلافِ وتطاولِ كلِّ واحدٍ على الآخرِ. فلا شقاقَ ولا نزاعَ، ولا إساءةً إلى قريبٍ أو بعيدٍ.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

وبارِكْ اللهمَّ لنا في القرآن العظيمِ، وانفعْنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، وارزقنا السيرَ على هدي نبيِّك محمدٍ ﷺ. آمين يا ربَّ العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) غفران.

(٢) أخرجه الترمذي (٣/٤٦٦ ـ ح١١٦١) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (١/٥٩٥ ـ ح١٨٥٤)، والحاكم (٤/١٧٣) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي. وقال الألباني منكر (السلسلة الضعيفة).

البيت السعيد

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الوليِّ الحميدِ، الفعالِ لما يريدُ، أحمده سبحانه وأشكره وعدَ من شكَرَه بالمزيدِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ يا أمةَ محمدٍ، واعلموا أن صلاحَ الأسرةِ طريقُ أمانِ الجماعةِ كلِّها، وهيهاتَ أن يَصلُحَ مجتمعٌ وهتْ فيه حبالُ الأسرةِ. كيفَ وقد امتن اللهُ سبحانه بهذه النعمةِ. نعمةِ اجتماعِ الأسرةِ وتآلفها وترابطها فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢].

إن الزوجين وما بينهما من وطيدِ العلاقةِ، وإن الوالدينِ وما يترعرعُ في أحضانِهما من بنينَ وبناتٍ يمثلان حاضرَ أمةٍ ومستقبلَها، ومن ثمَّ فإن الشيطانَ حينَ يُفلحُ في فكِّ روابطِ أسرةٍ فهو لا يهدمُ بيتاً واحداً ولا يُحْدِثُ شراً محدوداً، وإنما يوقعُ الأمةَ جمعاءَ في أذىً مستعرٍ وشرٍ مستطيرٍ، والواقعُ المعاصرُ خيرُ شاهدٍ.

فرحمَ اللهُ رجلاً محمودَ السيرةِ، طيبِ السريرةِ، سهلاً رفيقاً، ليناً رؤوفاً، رحيماً بأهلِه حازماً في أمرِه، لا يكلِّفُ شطَطا، ولا يرهقُ عُسراً، ولا يهملُ في مسئوليةٍ. ورحم اللهُ امرأةً لا تطلبُ غلَطاً، ولا تُكْثِرُ لغطاً، صالحةً قانتةً، حافظةً للغيبِ بما حفِظَ اللهُ.

فاتقوا الله أيها الأزواجُ واتقوا الله أيها المسلمون فإنه من يتقِ اللهَ يجعلْ له من أمره يسراً.

حينما يختلف الزوجان

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي خلق فسوىٰ، وقدَّر فهدىٰ، أحمده سبحانه وهو أهلُ الحمدِ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المصطفىٰ، والعبدُ المجتبىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوتِه ومن سار على نهجه واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ أيهـا المسلمـون، اتقـوا اللهَ الـذي تسـاءلـون بـه والأرحامَ، أصلحوا ذاتَ بينِكم. وقوا أنفسَكم وأهليكم ناراً.

واعلموا أن من أعظمِ نعمِ اللهِ وآياتِه أن جعل البيتَ هو المأوىٰ والسكنَ، في ظلِه تلتقي النفوسُ على المودةِ والرحمةِ، والحصانةِ والطهرِ، وكريمِ العيشِ والسَّتر، في كنفِه تنشأُ الطفولةُ، ويترعرعُ الأحداثُ، وتمتدُّ وشائجُ القربىٰ، وتتقوىٰ أواصرُ التكافل.

ترتبطُ النفوسُ بالنفوس، وتتعانقُ القلوبُ بالقلوبِ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. في هذه الروابطِ المتماسكةِ والبيوتاتِ العامرةِ تنمو الخصالُ الكريمةُ، وينشأُ الرجالُ الذين يؤتمنون على أعظمِ الأماناتِ، ويُربىٰ النساءُ اللاتي يقمْن على أعرقِ الأصولِ.

غير أنَّ واقعَ الحياةِ وطبيعةَ البشرِ ـ كما خلقهم اللهُ سبحانه وهو أعلمُ بمن خلقَ ـ قد يكونُ فيها حالاتٌ لا تؤثرُ فيها التوجيهاتُ، ولا تتأصلُ فيها المودةُ والسكنُ مما قد يصبحُ معه التمسكُ برباطِ الزوجيةِ عنتاً ومشقةً، فلا يتحققُ فيه المقصودُ، ولا يحصلُ به صلاحُ النشءِ. وهذه الحالاتُ من الاضطرابِ وعدمِ التوافقِ تكون بواعثُها داخليةَ أو خارجيةً.

فقد ينبعثُ من تدَخُّلٍ غيرِ حكيم من أولياءِ الزوجين أو أقاربِهما، أو تتبعٍ للصغيرِ والكبيرِ من أمورِهما، وقد يصلُ الحالُ من بعضِ الأولياءِ وكبراءِ الأسرةِ إلى فرضِ السيطرةِ على من يلون أمرَهم، مما قد يقودُ إلى الترافعِ إلى المحاكمِ فتفشو الأسرارُ، وتنكشفُ الأستار، وما كان ذلك إلا لأمرٍ صغيرٍ أو شيءٍ حقيرٍ قادَ إليه التدخلُ غيرُ المناسبِ، والبعدُ عن الحكمةِ، والتعجلُ والتسرعُ، وتصديقُ الشائعاتِ وقالةِ السوءِ، وقد يكون منبعُ المشكلةِ قلةَ البصيرةِ في الدينِ، والجهلَ بأحكامِ الشريعةِ السمحةِ، وتراكمُ العاداتِ السيئةَ، والتمسكَ بالآراءِ الكلَيلةِ. فيظنُّ بعضُ الأزواجِ ـ مثلاً ـ أن التهديدَ بالطلاقِ أو التلفظَ به هو الحلُّ الصحيحُ للخلافاتِ الزوجيةِ والمشكلاتِ الأسريةِ، فلا يعرفُ في المخاطباتِ سوى ألفاظِ الطلاقِ في مدخلِه ومخرجِه وفي أمرِه ونهيِه بل في شأنِه كلِّه، وما درىٰ أنه بهذا قد اتخذ آياتِ الله هزوا، يأثمُ في فعلِه، ويهدمُ بيتَه، ويخسرَ أهلَه.

هل هذا هو الفقه في الدينِ أيها المسلمون؟!.

إن طلاقَ السنةِ الذي أباحتْه الشريعةُ لا يُقصَدُ منه قطعُ حبالِ

الزوجيةِ، بل قد يقالُ إنه إيقافٌ لهذه العلاقةِ ومرحلةُ تريُّثٍ وتدبرٍ ومعالجةٍ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ١ ـ ٢]. هذا هو التشريعُ. بل إن الأمرَ ليس مقتصراً على هذا، إن طلاقَ السنةِ هو الوسيلةُ الأخيرةُ في المعالجةِ، وتسبقُ ذلك وسائلُ كثيرةٌ.

أيها الإخوة: حينما تظهرَ أماراتُ الخلافِ وبوادرُ النشوزِ أو الشقاقِ فليس الطلاقُ أو التهديدُ به هو العلاجَ. إن أهمَّ ما يطلبُ في المعالجةِ الصبرُ والتحملُ ومعرفةُ الاختلافِ في المداركِ والعقولِ والتفاوتِ في الطباعِ مع ضرورة التسامح والتغاضي عن كثيرٍ من الأمورِ ولا تكونُ المصلحةُ والخيرُ دائماً فيما يُحَبُّ ويُشتَهىٰ، بل قد يكونُ الخيرُ فيما لا يُحَبُّ ولا يُشتَهىٰ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

ولكن حينما يبدو الخللُ، ويظهرُ في الأواصرِ تحُللٌ، ويبدرُ من المرأةِ نشوزٌ وتعالٍ على طبيعتِها، وتوجهٌ إلى الخروجِ عن وظيفتِها. حيثُ تظهرُ مبادىءُ النفرةِ، ويتكشَّفُ التقصيرِ في حقوقِ الزوجِ، والتنكرِ لفضائلِ البعلِ، فعلاجُ هذا في الإسلامِ صريح ليس فيه ذكرٌ للطلاقِ لا بالتصريح ولا بالتلميح يقول الله سبحانه في محكم التنزيل: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾ [النساء: ٣٤].

يكونُ العلاجُ بالوعظِ، والتوجيهِ، وبيانِ الخطأِ، والتذكيرِ بالحقوقِ، والتخويفِ من غضبِ الله، ومقتِه، مع سلوكِ مسلكِ الكَيَاسةِ والأناةِ ترغيباً وترهيباً.

وقد يكون الهجرُ في المضجعِ والصدودُ مقابلاً للتعالي والنشوزِ، ولاحظوا أنه هجرٌ في المضجعِ وليس هجراً عن المضجعِ. إنه هجرٌ في المضجعِ وليس هجراً في البيتِ، ليس أمامَ الأسرةِ أو الأبناءِ أو أمامَ الغرباءِ. الغرضُ هو المعالجةُ وليس التشهيرَ أو الإذلالَ أو كشفَ الأسرارِ والأستارِ، ولكنه مقابلةٌ للنشوزِ والتعالي بهجرٍ وصدودٍ يقودُ إلى التطامنِ والتساوي.

وقد تكونُ المعالجةُ بالقصدِ إلى شيءٍ من القسوةِ والخشونةِ، فهناك أجناسٌ من الناسِ لا تُغني في تقويمِهم العشرةُ الحسنةُ والمناصحةُ اللطيفةُ، إنهم أجناسٌ قد يبطرُّهم التلطفُ والحلمُ.. فإذا لاحتْ القسوةُ سكنَ الجامحُ وهدأَ المهتاجُ. قد يكونُ اللجوءُ إلى شيءٍ من العنفِ دواءً ناجعاً، ولماذا لا يُلجأُ إليه وقد حصلَ التنكرُ للوظيفةِ والخروجِ عن الطبيعةِ؟ ومن المعلومِ لدى كلِّ عاقلٍ أن القسوةَ إذا كانت تعيدُ للبيتِ نظامَه وتماسُكَه، وتردُّ للعائلةِ أُلفتَها ومودتَها فهو خيرٌ من الطلاقِ والفراقِ بلا مراءٍ. إنه علاجٌ إيجابيٌّ تأديبيٌّ معنويٌّ، ليس للتشفي ولا للانتقامِ، وإنما يُستنزَلُ به ما نَشزَ، ويقوَّمُ به ما اضطربَ.

وإذا خافتْ الزوجةُ الجفوةَ والإعراضَ من زوجها فإن القرآنَ الكريمَ يرشدُ إلى العلاجِ بقوله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]

العلاجُ بالصلحِ والمصالحةِ وليس بالطلاقِ ولا بالفسخِ، وقد يكون بالتنازلِ عن بعضِ الحقوقِ الماليةِ أو الشخصيةِ محافظةً على عُقْدةِ النكاحِ.

﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. الصلحُ خيرٌ من الشقاقِ والجفوةِ والنشوزِ والطلاقِ.

أيها المسلمون: هذا عرضٌ سريعٌ وتذكيرٌ موجزٌ بجانبٍ من جوانبِ الفقهِ في دينِ اللهِ والسيرِ على أحكامِه، فأينَ منه المسلمون؟ أين تحكيمُ الحكمين في الشقاقِ بين الزوجين؟ لماذا ينصرفُ المصلحونَ عن هذا العلاجِ؟ هل هو زهدٌ في إصلاحِ ذات البين، أو هو رغبةٌ في تشتيتِ الأسرةِ وتفريقِ الأولادِ، إنك لا ترىٰ إلا سفهاً وجوراً، وبُعداً عن الخوفِ من اللهِ ومراقبتِه، وهجراً لكثيرٍ من أحكامِه، وتلاعباً في حدودِه. أخرج ابنُ ماجه وابنُ حبان وغيرُهما عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**ما بالُ أحدِكم يَلعبُ بحدودِ اللهِ، يقولُ قد طلقتُ قد راجعتُ**»[1]، قال محمود بن لبيد: أُخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضباناً ثم قال: «**أَيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم**»[2] حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله.

اتقوا الله أيها المسلمون، وأقيموا حدودَ اللهِ ولا تتجاوزُوها، وأصلحوا ذاتَ بينِكم. رزقني الله وإياكم الفقهَ في دينِه، والبصرَ

---

(١) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان (١٠/ ٨٢ ـ ح٤٢٦٥)، وابن ماجه (١/ ٦٥٠ ـ ح٢٠١٧)، والبيهقي (٧/ ٣٢٢) وحسن اسناده البوصيري.

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١٤٢ ـ ح٣٤٠١).

في شريعتِه، ونفعنا بهديِ كتابِه، ورزقنا السيرَ على سنةِ نبيهِ محمدٍ ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حينما يختلف الزوجان

الخطبة الثانية

الحمدُ لله معزِّ من أطاعَه ومذِّل من عصاه، أحمده سبحانه وأشكرُه، من توكَّلَ عليه كفاه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه أكرمَه الله بالرسالةِ واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبهِ ومن والاه.

أما بعدُ فاتقوا الله أيها المسلمونَ واعلموا أن طلاقَ السنةِ الذي أباحتْه الشريعةُ يجهله كثيرٌ من جماهيرِ المسلمين.

إن الطلاقَ في الحيضِ محرمٌ، وطلاقَ الثلاثِ محرمٌ، والطلاقَ في الطهرِ الذي حصلَ فيه وطءٌ محرمٌ، فكلُّ هذه الأنواعِ طلاقٌ بدعيٌ محرمٌ يأثمُ صاحبُه ولكنه يقعُ طلاقاً في أصحِّ أقوالِ أهلِ العلمِ.

أما طلاقُ السنةِ الذي يجبُ أن يفقَهه المسلمون فهو الطلاقُ طلقةً واحدةً في طهرٍ لم يحصلْ فيه وطءٌ، أو الطلاقُ أثناء الحمل.

إن الطلاقَ على هذه الصفةِ علاجٌ حيثُ تحصلُ فتراتٌ يكون فيها التريثُ والمراجعةُ.

المطِّلقُ على هذه الصفةِ يحتاجُ إلى فترةٍ ينتظر فيها مجيءَ

الطهرِ، ومن يدري فقد تتغيرُ النفوسُ، وتستيقظُ القلوبُ، ويُحدِثُ الله من أمرِه ما شاء.

وفترةُ العدةِ سواءٌ كانت عدةً بالحيضِ أو الأشهرِ أو وضعِ الحملِ فرصةٌ للمعاودةِ والمحاسبةِ قد يوصَلُ معها ما انقطعَ من حبلِ المودةِ ورباطِ الزوجيةِ.

ومما يجهله المسلمون أن المرأةَ إذا طلِّقتْ طلاقاً رجعياً فعليها أن تبقىٰ في بيتِ الزوجِ لا تَخْرج ولا تُخْرَجُ بل إن الله جعله بيتاً لها ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ تأكيداً لحقهنَّ في الإقامةِ. فإقامتُها في بيتِ زوجِها سبيلٌ لمراجعتِها، وفتحُ أملٍ في استثارةِ عواطفِ المودةِ، وتذكيرٌ بالحياةِ المشتركةِ. فالزوجةُ في هذه الحالةِ تبدو بعيدةً في حكمِ الطلاقِ لكنها قريبةٌ من مرأى العين.

وهل يُرادُ بهذا ـ يا عبادَ الله ـ إلا تهدئةَ العاصفةِ وتحريكَ الضمائرِ، ومراجعةَ المواقفِ، والتأني في دراسةِ أحوالِ البيتِ والأطفالِ وشئونِ الأسرةِ ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ١].

فاتقوا الله أيها المسلمون وحافظوا على بيوتاتِكم وتعرفوا على أحكامِ دينِكم.

التراحم وأثره في الأخوة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ كتبَ على نفسِه الرحمةَ فهو الرحمنُ الرحيم. أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وسعت رحمتُه كلَّ شيءٍ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المصطفىٰ والمبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأشداءِ على الكفارِ الرحماءِ بينهم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها المسلمون: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ألَّفَ بين قلوبِهم فأصبحوا بنعمتِه إخواناً. شرحَ صدورَهم للإيمان، وجمعَهم عليه، وربطَهم برباطِ التقوىٰ فله الفضلُ والمنةُ.

أيها المسلمون: لابد في المسلمين من الصدقِ في هذه الإخوةِ، والتمسكِ بهذه الرابطةِ، فلا وحدةَ إلا بها.. ولا وجودَ علىٰ الحقيقةِ إلا حين الاستيثاقِ بعروتِها، والعضِّ بالنواجذ عليها.

وإن من حقِّ هذه الإخوةِ، ودلائلِ صدقِ هذه الرابطةِ، أن يَشعُرَ المسلمُ أن إخوانَه مظاهرونَ له في السراءِ والضراءِ،

فالمؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضا. ومن قلَّ نصيرُه، وضعُفَ ظهيرُه؛ يبس عودُه، وذهبَ معدودُه، ومحدودُه.

أيها الإخوةُ في الله: إن أعباءَ الدنيا جسامٌ، والمتاعبَ تنزلُ بالناسِ من اليتامىٰ والأراملِ والغرباءِ والمعسرينِ.. الإنسانُ بمفردِهِ أضعفُ من أن يصمدَ طويلاً تجاه هذه الشدائدِ، ولئن صمدَ فإنه يبذلُ من الجهدِ ويقاسي من المعاناةِ ما كان في غنىً عنه لو أن إخوانَه التفتوا إليه، وهرعوا لنجدتِه، وأعانوه في مشكلتِه. فالمرءُ قليلٌ بنفسِه كثيرٌ بإخوانِه.

إن تفريجَ كربِ المكروبين، وإغاثةَ الملهوفين، والسعيَ في حوائجِ الأراملِ واليتامىٰ والمساكين، ومواساةَ الغرباءِ، وإنْظارَ المعسرين، والإعانةَ على شتى نوائبِ الدهرِ؛ كلُّ ذلك موعود عليه بالإحسانِ وعظيمِ الجزاءِ في الدنيا والآخرة.

يقولُ نبيُّ الرحمة ﷺ في الحديث الصحيح: «**من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كربِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كربِ يوم القيامةِ، ومن يسَّرَ على معسرٍ في الدنيا يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سترَ مسلماً في الدنيا سترَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيهِ**»[1].

أخي في الله: من حقِّ أخيكَ في الإسلامِ أن تتألَّمَ لألمِه، وتحزنَ لحزنِه، وتعينَه على دفع كُرَبِه. أما موتُ العاطفةِ وقلةُ الاكتراثِ وكأنَّ الأمرَ لا يعني؛ فهو تنكرٌ لهذه الإخوةِ؛ فضلاً عن أنه جفاءٌ في الخلُقِ، وجمودٌ في الطبعِ. أين نحنُ مما خرَّج

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ـ ح٢٦٩٩).

الشيخان وغيرُهما من حديث النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطفِهم وتراحمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمَّىٰ**»[1] ؟؟. والتألمُ الحقُّ هو الذي يدفعُك إلى كشفِ ضوائقِ إخوانِكَ؛ فلا تهدأُ حتى تزولَ الغمةُ، وتنكشفَ الظلمةُ، حينئذٍ يستنيرُ وجهُك، ويرتاحُ ضميرُك: «**المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يُسلمُه ولا يَخذُلُه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه**»[2].

أيها المؤمنون: إن خذلانَ المسلم شيءٌ عظيمٌ؛ وهو ـ حين يحدثُ ـ ذريعةٌ إلى التخاذلِ بين المسلَمين جميعاً. بل إنه لما هان المسلمون أفراداً هانوا أمماً، فوهنتْ أواصرُ الإخوةِ بينهم. بل وصِلَ الحالُ إلى أن أصبحَ المسلمُ يُنْتقَصُ أمامَ أخيه فلا يحركُ ساكناً؛ ولا يزيدُ على أن يَهزَّ كتفيه ـ إن هزَّهما ـ ويمضي لشأنه، وكأنَّ الأمر لا يعنيه، حتى جعلَ اللهُ بأسَهم بينهم في كثيرٍ من البلادِ، فلهم في كل فترةٍ تطاحنٌ وتجالدٌ، دماءٌ تُهراقُ، وفتنٌ تُطلُّ برؤوسِها تأتي على الأخضرِ واليابس ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

عبادَ اللهِ: إن المجتمعاتِ التي تَضِجُّ باللهوِ المرحِ، وتغرَقُ في زهرةِ الحياةِ الدنيا وبهارجِها تتبلَّدُ فيها القلوبُ، وتتغلفُ فيها

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢ ـ ح٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١١٦ ـ ح٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ـ ح٢٥٨٠).

الأفئدةُ، وتنطمسُ فيها البصائرُ، فلا تراهم يشعرون بحاجاتِ المحتاجين، ولا يُحسُّون بآلامِ المتألمين، ولا يكترِثون بأحزانِ المحزونين. إن المشاعرَ لا ترِقُّ والقلوبَ لا تنبِضُ بالحياةِ إلا حين يتقلبُ الناسُ في أحوالِ الحياةِ ويتحسسون مسَّ الضراءِ والسراءِ. حينئذٍ يمسحون على رأسِ اليتيم، ويواسون الأرملةَ والثكلىٰ، ويكرمون الغريبَ إذا حلَّ، ويُعِزُّرونَ أخاهم إذا ذلَّ.

إن الأنانيةَ وحبَّ الذاتِ آفةٌ قاتلةٌ، وإذا سيطرتْ على امرىءٍ محقتْ خيرَه وزادتْ شرَّه، وجعلته يعيشُ في دائرةِ نفسِه لا يعرفُ غيرَها، ولا يفرحُ ولا يحزنُ إلا لما يصيبُه في نفسه وحدِه. أما إخوانُه وأصحابُ الضوائقِ فلا يعرفُهم ولا يكترثُ بهم، قصيرُ النظرِ إلا في مآربِه الشخصيةِ. بل لعلَّ بعضَهم ينظرُ إلى هؤلاءِ الضعفةِ وكأنَّهم قذىً في العينِ، يُزْلِقُهم بنظراتِ اشمئزازٍ واحتقارٍ، بل قد يستعدى عليهم غيرَهم.

يا هذا إن صفوَ العيشِ لا يدومُ، وإن متاعبَ الحياةِ وأرزاءِها ليست حكراً على قومٍ دون قومٍ. وإن حسابَ الآخرةِ لعسيرٌ. كم كان في الناسِ من أربابِ الثرواتِ والعقارِ والجاهِ لم تَلِنْ قلوبُهم ولم يُقدِّروا النعمةَ حقَّ قدرِها؛ عَدَتْ على ثرواتِهم وعقاراتِهم العوادي، واجتاحتْهم صروفُ الليالي؛ فأصبحَ عزيزُهم ذليلاً، وغنيُّهم في السجنِ مديناً.

يا أمةَ نبيِّ الرحمةِ: إذا أرادَ الله بعبده خيراً جعلَ قضاءَ الحوائجِ على يديه. وفي الأمةِ موفقون لا يَدخلون في شيءٍ إلا أصلحوا، وإذا عملوا أتقنوا، وإذا شَفَعوا شُفِّعوا، وإذا سعوا في حاجةٍ قُضيت. أولئك هم المُيَسَّرون لما خُلقوا له؛ بفضلِ مساعيهم

وحسنِ مقاصدِهم ـ بعد توفيقِ اللهِ ـ تُقضىٰ الحوائجُ وتتم المآربُ.

ويزدادُ الحقُّ وتَعظُمُ المسئوليةُ.. حين يكونُ المرءُ ذا جاهٍ أو صاحبَ منصبٍ أو كلمةٍ مسموعةٍ حولَه الرغبةُ والرهبةُ. إذا رزقَ العبدُ ذلك ومكَّن اللهُ له فيه.. فليعلمْ أن ذلك ليس للتعالي والتعاظمِ وإنما هو مقامٌ خصَّه اللهُ به. لا تُقضىٰ حوائجُ الناسِ إلا عن طريقِه، فإذا سهَّلها وسعىٰ فيها فقد استبقىٰ هذه النعمةَ. وإن كان غيرُ ذلك فقد تنكَّرَ وجحدَ وعرَّض نعمتَه للزوالِ. وردَ في الأثرِ: «**إن للهِ أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم**»[1]. فليتقِ اللهَ هؤلاءِ، وليؤدوا ما عليهم بإخلاصٍ ونزاهةٍ وعفةٍ.

أما غلاظُ الأكبادِ الجبارون المتكبرون فهم أهلُ النارِ كما أخبرَ المصطفىٰ ﷺ في الصحيحين وغيرهما من حديثِ حارثةَ بن وهبٍ: «**ألا أخبرُكم بأهلِ النارِ: كلُّ عتوٍّ جواظٍ مستكبرٍ**»[2] ولا يرحمُ اللهُ من عبادِه إلا الرحماءَ.

ماذا أقولُ أيها المسلمون: هل تعلمونَ أن الرحمةَ في دينِكم شَملتْ البهائمَ حتى القططَ والكلابَ: «**دخلتْ امرأةٌ في هرةٍ**

---

(١) أخرجه الهيثمي في كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٥/ ٢١١ ـ ح٢٩٣٩، وفي مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه محمد بن حسان السمتي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبوعثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٨/ ١٩٢). وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا. انظر الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩١)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٤، ٢٦٥ ـ ح١٦٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٠ ـ ح٤٩١٨)، ومسلم (٤/ ٢١٩٠ ـ ح٢٨٥٣).

حبستْها، لا هي أطعمتْها ولا هي تركتْها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ»[1]. وفي صحيح مسلم: **«إن امرأةً بغيّاً رأتْ كلباً في يومٍ حارٍ يَطيفُ في بئرٍ قد أَدْلَعَ لسانهُ**[2] **من العطشِ فنزَعتْ له موقَها(أي خُفَّها) فسقتْه فغُفِر لها؟»**[3].

يا أمةَ الإسلام: لئن كانت الرحمةُ بكلبٍ من امرأةٍ بغيٍ أوجبتْ ما أوجبتْ، فكيفَ بالرحمةِ بالبشرِ من المسلمين ولا سيما الغرباءُ والمستضعفون والمحاويجُ.

فاتقوا الله، واشكروا نعمَه، واسألوه أن يُلينَ القلوبَ ويغيثَها وينشرَ رحمتَه. وارحموا من في الأرضِ يرحمْكم من في السماءِ، ومن لا يَرحمْ لا يُرحمْ. وفي كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ. وإنما يرحمُ اللهُ من عبادِه الرحماءَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، ورحمنا برحمته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩٤ ـ ح٣٤٨٢)، ومسلم (٤/ ١٧٦٠ ـ ح٢٢٤٢).

(٢) أَدْلَع لسانه: أخرجه لشدة العطش.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩١ ـ ح٣٤٦٧)، ومسلم (٤/ ١٧٦١ ـ ح٢٢٤٥).

التراحم وأثره في الأخوة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله نبيُّ الرحمةِ والملحمةِ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وأفشوا التراحمَ بينكم، وكونوا أذلةً على المؤمنين، أعزةً على الكافرين، أشداءَ على الكفارِ، رحماءَ بينكم. ولتعلموا رحمكم الله أن الرحمةَ ليست حناناً لا عقلَ معه، وليست رِقةً أو شفقةً تتنكرُ للعدلِ والحقِّ والنظامِ، ولكنها عاطفةٌ وخلقٌ يرعىٰ كلَّ هذا، بل إن القسوةَ في بعضِ صورِها تُمثلُ الرحمةَ في مآلِها، فالطبيبُ في جراحتِه يمزقُ اللحمَ ويهشِمُ العظمَ وهو لا يريدُ إلا الرحمةَ بالمريضِ، والمشنوقُ حين يتدلىٰ جسمُه وتجحظُ عيناه منظرٌ قد يستدرُّ العطفَ لكن ماذا يحدثُ لو استُجيبَ لهذه العاطفةِ السريعةِ.. إذن لعمتْ الفوضىٰ، وامتلأتْ الأرضُ جوراً وعنفاً.

أما الرحمةُ الحقةُ فهي خلقٌ ورقةٌ تحدو إلى البرِّ، وتقودُ إلى

الصدقِ والعدلِ والإحسانِ.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، تواصوا بالصبرِ، وتواصوا بالمرحمةِ.

خلق الحيـاء

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هاديَ له. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين.. بشَّرَ وأنذرَ وبلغَّ البلاغَ المبين. صلى الله وسلَّم وباركَ عليه وعلى آله وصحبهِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: إن للآدابِ والأخلاقِ صلةً وثيقةً بعقيدةِ الأمةِ ومبـادئِهـا، بـل هـي التجسيـدُ العمليُّ لقِيَمِهـا ومُثُلِهـا. الأخـلاقُ والآدابُ هي عنوانُ التمسكِ بالعقيدةِ، ودليلُ الالتزامِ بالمبادىءِ والمُثُلِ. والحُكْمُ على مقدارِ الفَضْلِ وحُسنِ السيرةِ راجعٌ إلى الخُلُقِ العالي. ولا يتمُّ التحلِّي بالخُلُقِ الفاضلِ والأدبِ الرفيعِ إلا بالترويضِ على نبيلِ الصفاتِ، وكريمِ العوائدِ بالتعليمِ والتهذيبِ والاقتداءِ الحسنِ.

إن الإسلام قد شَمِلَ في أخلاقِه أحوالَ المسلمِ كلَّها؛ صغيرَها وكبيرَهـا، دقيقَهـا وجليلَهـا، فـرداً وأسرةً ومجتمعاً، فـالاستئذانُ

والسلامُ، والمصافحةُ والصدقُ، والتأدبُ في المزاحِ والمداعبةِ، وحفظُ حقوقِ الإخوانِ، والأدبُ مع الأقاربِ والجيرانِ، وصلةُ الأرحامِ، وإطعامُ الطعامِ، وتجنبُ الظلمِ والاحتقارِ والعدوانِ، كلُّ ذلكَ وغيرُه بابٌ واسعٌ عظيمٌ، وهو ثابتٌ لا يتغيرُ بتغيرِ الزمانِ ولا بتحولِ المكانِ. غيرَ أن لهذا البابِ الواسعِ مفتاحاً وأن لهذه الأخلاقِ عنواناً وعليها دليلاً.. ذلكم هو خلقُ الحياءِ من اللهِ والحياءِ من الناسِ.

أيها المسلمُ: عندما ترىٰ الرجلَ يتحرَّجُ من فعلِ ما لا ينبغي ويكسو الخجلُ وجهَهُ إذا بدرَ ما لا يليق، فاعلم أنَّه حيُّ الضميرِ، زكيُّ العنصرِ نقيُّ المعدن.

أما إذا رأيتَه صفيقاً، بليدَ الشعورِ، مُعوجَّ السلوكِ، لا يبالي ما يأخذُ أو يتركُ، فهو بعيدٌ عن الخيرِ ليس لديه حياءٌ يردَعُه، ولا وازعٌ يمنعُه، يقعُ في الآثامِ، ويُسِفُّ في ارتكابِ الدنايا.

إن المرءَ حين يفقدُ حياءَه يتدرجُ من سيءٍ إلى أسوأَ، ويهبطُ من رذيلةٍ إلى أرذلَ، ولا يزال يهوي حتى ينحدِرَ إلى الدركاتِ السُّفْلىٰ.

وردَ في الحديثِ مرفوعاً وموقوفاً: «**إن الله عزَّ وجلَّ إذا أرادَ بعبدِه هلاكاً نزعَ منه الحياءَ، فإذا نزعَ منه الحياءَ لم تلْقَه إلا مَقِيتاً مُمَقَّتاً، فإذا كان مَقِيتاً مُمَقَّتاً نَزِعَ منه الأمانةَ فلم تلْقهُ إلا خائناً مُخَوَّناً، فإذا كانَ خائناً مُخوَّناً نَزِعَ منه الرحمةَ فلم تلقه إلا فظاً غليظاً فإذا كان فظاً غليظاً نزعَ منه رِبقةَ الإيمانِ من عُنُقِه، فإذا نَزِعَ رِبقةَ الإيمانِ من عنقِه لم تلقَه إلا شيطاناً لعيناً**

ملعناً»[1] أخرجه ابن ماجه وغيرُه. هذا ترتيبٌ دقيقٌ لأمراضِ النفوسِ. خطواتٌ سيئةٌ تقودُ إلى خطواتِ أشدَّ منها نُكْراً.

إن الحياءَ والإيمانَ في قَرَنٍ واحدٍ[2] إذا نُزِعَ أحدُهما تبعُه الآخرُ. رأى النبيُّ ﷺ رجلاً يعاتبُ أخاه في الحياءِ فقال عليه الصلاة والسلام: «**دعْهُ فإن الحياءَ من الإيمانِ**»[3].

وعمرُ رضي الله عنه يقول: «من استحيا اختفىٰ، ومن اختفىٰ اتقىٰ، ومن اتقىٰ وُقِي».

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن من أعظم ما يُستحىٰ منه ربَّكم مُولي النعمِ ومُسدِيها. ولا يتولدُ هذا الحياءُ إلا حينَ يُطالعُ العبدُ نعمَ اللهِ عليه، ويتفكرُ فيها، ويدركُ تمامَها وشمولَها، ثم يراجعُ نفسَه ويحاسبُها على التقصيرِ، ويخجلُ من ربِّه، لاسيما إذا رُزقَ العبدُ توفيقاً فأدركَ عظمةَ اللهِ، وإحاطتُه، واطلاعُه على عبادِه، وقُربَه منهم، وعلمَه بخائنةِ الأعينِ وما تُخفي الصدورِ. يقولُ الجنيدُ رحمه الله: «الحياءُ رؤيةُ النعمِ ورؤيةُ التقصيرِ، فيتولدُ بينهما حالةٌ تُسمىٰ الحياءَ».

ويقولُ بعضُ السلفِ: «خَفْ اللهَ على قدرِ قدرتِه عليكَ واستحِ منه على قدرِ قربِه منكَ».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٤٧ ـ ح٤٠٥٤) وقال في الزوائد: في إسناده سعيد بن سنان، وهو ضعيف، مختلف في اسمه.

(٢) الحياء والإيمان في قرَن: أي مجموعان في حبل. انظر لسان العرب (١٣/٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (١/٩٣ ـ ح٢٤) واللفظ له، ومسلم (١/٦٣ ـ ح٣٦).

وقد أمرَ النبيُّ ﷺ أصحابَه أن يستحيوا من اللهِ حقَّ الحياءِ فقالوا: يا رسولَ اللهِ إنا نستحي من اللهِ حقَّ الحياءِ قال ﷺ: «**ليس ذلك؛ الاستحياءُ من اللهِ أن تحفظَ الرأسَ وما وعَىٰ، والبطنَ وما حوىٰ، وتذكرُ الموتَ والبِلىٰ، ومن أرادَ الآخرةَ تركَ زينةَ الحياةِ الدنيا، من فعلَ ذلكَ فقد استحيا من اللهِ حقَّ الحياء**»[1].

ومن الحياءِ أن يُطهِّرَ المسلمُ لسانَه من الفُحشِ ومَعيبِ الألفاظِ، فإن من سوءِ الأدبِ أن تُفْلتَ الألفاظُ البذيئةُ من المرءِ غيرَ عابىءٍ بمواقِعها وآثارِها.

ومن الحياءِ القَصْدُ في الحديثِ في المجالسِ، فمن أطلقَ للسانِه العِنانَ فإنه لا يسلمُ من التَّزيُّدِ، ولا ينجو من الادعاءِ والرياءِ.

ومن الحياءِ أن يتوقىٰ الإنسانُ ويتحاشىٰ أن يُؤْثَرَ عنهُ سوءٌ، أو تتلطخَ سمعتُه بما لا يليقُ، ولْيبْقَ بعيداً عن مواردِ الشُّبهِ ومواطنِ الإشاعاتِ السيئةِ.

ومِنْ أحيا الحياءِ محافظةُ المرأةِ المسلمةِ على كرامتِها وحِشْمَتِها، ومراقبةُ ربِّها، وحفظُ حقِّ بعلِها، والبعدُ عن مسالكِ الريبةِ ومواطنِ الرذيلةِ، لئلا يَغِيضَ ماءُ الحياءِ ويَذهبَ بالعفافِ والبهاءِ. استُشْهِدَ لأحدِ النساءِ ولدٌ في بعضِ الغزواتِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ فجاءتْ تبحثُ عنه بين القتلىٰ وهي منتقبةٌ فقيل لها:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي (٤/ ٥٥٠ ـ ح٢٤٥٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٤٢ ـ ح٧٧٣٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٣) وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي.

تبحثين عنه وأنت منتقبةٌ متحجبةٌ؟ فأجابتْ: لأَنْ أُرزَأَ ولِدي فلن أُرْزاَ حيائي!! فاتقين اللهَ يا نساءَ المؤمنين، والْزَمنَ العفافَ والحياءَ فذلك خيرٌ وأبقىٰ.

وإن من الحياءِ أيها المسلمون أن يُعرَفَ لأصحابِ الحقوقِ منازلَهم ومراتَبهم، فيُؤتىٰ كلُّ ذي فضلٍ فضلَه. فالابنُ يوقِّرُ أباه، والتلميذُ يحترمُ المعلمَ، والصغيرُ يتأدبُ مع الكبيرِ. وردَ في الأثرِ عن عبدِاللهِ بن بُسْر أنه قال: «إذا كنتَ في قوم فتصفحتَ في وجوهَهم فلم ترَ فيهم رجلاً يهابُ اللهَ فاعلمْ أن الأمرَ قد رَقَّ».

ويقابلُ الحياءَ البذاءُ والجفاءُ: أخرجَ الإمامُ أحمدُ بسندٍ صحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «**الحياءُ من الإيمانِ، والإيمانُ في الجنةِ، والبَذَاءُ من الجفاءِ، والجفاءُ في النارِ**»[1].

ومنزوعُ الحياءِ لا تراه إلا على قُبْح، ولا تسمعُ منه إلا لغواً وتأثيماً، عينٌ غمَّازةٌ، ونفسٌ همَّازةٌ، ولسانٌ بذيءٌ؛ يتركُه الناسُ اتقاءَ فُحْشِه. مجالستُه شرٌ، وصحبتُه ضُرٌّ، وفعلُه عدوانٌ، وحديثُه بذاءٌ. ويزيدُ الأمرُ ويعظمُ الخطبُ حين يكون اللهوُ والتفحشُ في الطربِ والغناءِ واتخاذِ القَيْناتِ والمعازفِ وقصائدِ المجونِ.. حيثُ الخروجُ عن الفضيلةِ، وخلعُ جلبابِ الحياءِ، ومن لا حياءَ له لا إيمانَ له.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون: والتزموا الحياءَ والعفافَ، فهو

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٤/ ٣٢١ ـ ح٢٠٠٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٠ ـ ح٤١٨٤)، وأحمد (٢/ ٥٠١)، والحاكم (١/ ٥٢) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

الباعثُ على فعلِ الطاعاتِ وتركِ القبائحِ والمنكراتِ، هو المانعُ من التقصيرِ في الشكرِ، وعرفانِ الجميلِ، والتفريطِ في حقِّ كلِّ ذي حقٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

[الأحزاب: ٥٣].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خلق الحيـاء

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المحمودِ على كلِّ حالٍ، ونعوذ بالله من حالِ أهلِ الضلالِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبيرُ المتعالِ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جبَله ربُّه على جميلِ الفعالِ وكريمِ الخصالِ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبِه خيرِ صحبٍ وآلٍ. والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآلِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أنَّ المسلمَ عفيفٌ حيِّيٌ، يفعلْ الجميلَ، ويجتنبُ القبيحَ. ولا ينبغي أن يكون الحياءُ حائلاً عن طلبِ العلمِ أو مانعاً من قولِ الحقِّ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

بل لقد قررَ أهلُ العلمِ أنَّ من امتنعَ عن مواجهةِ الحقِّ وأخلَّ بالواجباتِ على زعمٍ منه أن هذا من الحياءِ، فقد ضلَّ السبيلَ، فما هذا إلا عجزٌ وخورٌ، وضعفٌ واستكانةٌ، بل خنوعٌ وتقصيرٌ ومهانةٌ. فحقيقةُ الحياءِ ما بعثَ على تركِ القبيحِ، ومنعَ من التقصيرِ في حقِّ كلِّ ذي حقٍ.

لقد كان عليه الصلاةُ والسلامُ أشدَّ حياءً من العذراءِ في

خِدْرِها[1]، لكنَّ ذلك لم يمنعْه أن يقولَ لحبِّهِ أسامةَ: «**أتشفعُ في حدٍ من حدودِ اللهِ**»[2].

ولم يمنعْ الحياءُ أمَّ سليمٍ الأنصاريةُ رضي الله عنه: أن تقولَ لرسولِ اللهِ ﷺ: إن اللهَ لا يَستحي من الحقِّ: هل على المرأةِ من غُسلٍ إذا هي احتلمتْ. ولم يمنعْ الحياءُ النبيَّ ﷺ أن يجيبَها بقوله: «**نعم، إذا رأتْ الماءَ**»[3].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وتمسكوا بوصايا دينِكم، وتأسَّوا بهدي نبيِّكم، فقد كان صادقَ اللهجةِ، حسنَ العشرةِ.. ليس بغمازٍ ولا لمَّازٍ ولا فاحشٍ ولا متفحشٍ، وصلوا عليه وسلموا تسليماً كثيراً.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٢٩، ٥٣٨ ـ ح٦١٠٢، ٦١١٩)، ومسلم (٤/ ١٨٠٩ ـ ح٢٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٢/ ٨٩ ـ ح٦٧٨٨)، ومسلم (٣/ ١٣١٥ ـ ح١٦٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٦ ـ ح١٣٠)، ومسلم (١/ ٢٥١ ـ ح٣١٣).

أولئك هم العادون

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هدَىٰ إلى الحقِّ، وأوضحَ السبيلَ، صلى اللهُ وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فيا أيها المؤمنون: قضتْ سنةُ اللهِ سبحانه وتعالىٰ وتباركَ أن الأممَ لا تفنىٰ، والقوىٰ لا تضعف إلا حين تسقطُ الهممُ وتستسلمُ الشعوبُ لشهواتِها فتتحولَ أهدافُها من مُثُلٍ عليا إلى شهواتٍ دنيئةٍ، فتسودُ فيها الرذائلُ، وتنتشرُ فيها الفواحشُ، بل تفتكُ بها الأمراضُ الخبيثةُ، فلا تلبثُ أن تتلاشىٰ وتضمحلَّ وتذهبَ ريحُها ويحقَّ عليها قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

أيها المسلمون: إن من أفحشِ الفواحشِ وأحطِّ القاذوراتِ جريمةَ الزنا. حرَّمَه ربُّكم، وجعله قريناً للشركِ في سفالةِ المنزلةِ وفي العقوبةِ والجزاءِ. يقولُ عزَّ من قائلٍ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ

مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

[النور: ٣].

ويقولُ في الجزاءِ والعقوبةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

[الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩].

وما ذلكَ إلا لأنَّه من أقبحِ القبائحِ يبددُ الأموالَ، وينتهكُ الأعراضَ، ويقتلُ الذريةَ، ويُهلكُ الحرثَ والنسلَ. عارُه يهدِمُ البيوتَ، ويُطأطيءُ عاليَ الرؤوسَ، يُسوِّد الوجوَه البيضاءَ، ويُخْرس ألسنة البُلغاءَ، ويَهبِطُ بالعزيزِ إلى هاويةٍ من الذلِّ والحقارةِ والازدراءِ.. هاويةٍ مالها من قرارٍ. ينزعُ ثوبَ الجاهِ مهما اتسعَ، ويخفضُ عاليَ الذكرِ مهما علا.

إنه لَطْخةٌ سوداءُ إذا لِحقَتْ بتاريخِ أسرةٍ غمرتْ كلَّ صحائِفِها النقيةَ. إنه شَيْنٌ لا يقتصرُ تلويثُه على من قارَفُه؛ بل يَشينُ أفرادَ الأسرةِ كلِّها، ويقضي على مستقبَلِها جميعها. إنه العارُ الذي يطولُ حتى تتناقلَه الأجيالُ جيلاً بعد جيلٍ. بانتشارِه تُغلَقُ أبوابُ الحلالِ، ويكثرُ اللقطاءُ، وتنشأُ طبقاتٌ بلا هويةٍ، طبقاتٌ شاذةٌ حاقدةٌ على المجتمعِ، لا تعرفُ العطفَ ولا العلاقاتِ الأسريةَ، فيعمُّ الفسادَ، ويتعرضُ المجتمعُ للسقوطِ.

أليسَ يجمعُ خلالَ الشرِّ كلَّها من الغدرِ والكذبِ والخيانةِ؟ أليس يَنزَعُ الحياءَ، ويُذهِبُ الورعُ والمروءةَ، ويطمِسُ نورَ القلبِ، ويجلبُ غضبَ الربِّ.

إن مفسدتَه منافيةٌ لمصلحةِ نظامِ العالمِ في حفظِ الأنسابِ، وحمايةِ الأبضاعِ، وصيانةِ الحرماتِ، والحفاظِ على روابطِ الأسُرِ، وتماسكِ المجتمعِ.

يا أصحابَ الغيرةِ: من أجلِ أن يزدادَ الأمرُ وضوحاً تأملوا الفرقَ بين السفاحِ والنكاحِ.

السفاحُ متعةٌ حيوانيةٌ بهيميةٌ، وقضاءُ شهوةٍ وقتيةٍ.. اختلاسٌ وخداعٌ، وهروبٌ من المسئوليةِ، بل امتهانٌ لكرامةِ الإنسانِ ذكراً كان أو أنثىٰ. إن الزانيَ والزانيةَ لا يعنيهما إلا قضاءُ مآربِهما الساقطةِ، بل كلُّ واحدٍ منهما يجعلُ الآخرُ قنطرةً ومعبراً لهذه المآربِ. إنه لقاءٌ حيواني بحتٌ لا غرضَ منه إلا قضاءُ الوطرِ المنحطِ.

أما النكاحُ فهو شهامةٌ وعزيمةٌ وكرامةٌ معلنةٌ.. تحملٌ للمسؤوليةِ، والتزامٌ بالحقوقِ والواجباتِ.. إنشاءٌ وتعميرٌ.. وإصلاحٌ وتربيةٌ وتوجيهٌ للطاقاتِ. بل إنه من أفضلِ ما يُتقربُ به إلى الله سبحانه حين تَحْسُنُ النوايا وتصحُّ المقاصدُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن التقديرَ لحمىٰ ذمارِ الأهلِ يفرضُ الاهتمامَ بالحرماتِ. لابدَّ من تقوىٰ اللهِ عز وجل ومراقبتِه. لابدَّ من الأخذِ على أيدي السفهاءِ؛ لقد نهىٰ اللهُ عبادَه المؤمنين باللهِ واليومِ الآخرِ أن تأخذَهم بالزناةِ والزواني رأفةٌ في دينِ اللهِ ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

مستحلُّ الزنا في الإسلامِ كافرٌ خارجٌ من الدين، والواقعُ فيه

من غيرِ استحلالٍ فاسقٌ أثيمٌ، يُرجَمُ إن كان محصناً، ويُجلدُ ويُغرَّبُ إن كان غيرَ محصنٍ.

بل لقد نفىٰ النبيُّ ﷺ الإيمانَ عن الزاني في أكثرَ من حديثٍ. ففي الصحيحين وغيرِهما من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ**»(١).

وأخرجَ أبوداودَ والترمذيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ واللفظُ له عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن الإيمانَ سربالٌ يسربِلُهُ الله من يشاءُ فإذا زنىٰ العبدُ نُزِع منه سربالُ الإيمانِ فإن تابَ رُدَّ عليه**»(٢).

وفي المقابلِ أيها المؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ: لابدَّ من إسكاتِ هذه الأبواقِ المَضلِّلةِ التي تسعىٰ في نشرِ هذا السقوطِ الاجتماعي، بل تزعمُ إنه خُلُقُ التحضرِ والارتقاءِ وتسميهِ بغيرِ اسمهِ، ونبيُّكم ﷺ سماها قاذوراتٍ، فلا يسطو على الأعراضِ إلا مجرمٌ أثيمٌ.. ساقطُ المروءةِ؛ يُخْربُ بيتَه وبيوتَ المؤمنين. لابدَّ من حمايةِ أبناءِ المسلمين مما يُبتذلُ في أسواقِهم ووسائلِ إعلامِهم من الأغاني الماجنةِ، والصورِ الفاضحةِ، والقَصَصِ الساقطةِ، والأفلامِ الهابطةِ.

ماذا يريدُ المبطلون من هذه الإغراءاتِ؟.

إن عذابَ الله شديدٌ. ألم يتبين لدىٰ كلِّ مُطَّلع أن الزنا يُعرِّضُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٤٣ ـ ح٢٤٧٥)، ومسلم (١/ ٧٦ ـ ح٥٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٥٢ ـ ح٥٣٦٦)، وأشار الألباني إلى ضعفه. انظر إلى ضعيف الجامع.

صاحبَه بل يُعَرِّضُ المجتمعَ كلَّه للإصابةِ بالأمراضِ السريةِ القاتلةِ كالزهريِّ والسيلانِ؟ وما أمراضُ العصرِ الشهيرةُ من مرضِ الإيدزِ ومرضِ الهربسِ إلا وليدةُ هذه القاذوراتِ.

اسمعوا إلى حديثِ المصطفىٰ ﷺ فيما أخرجه ابنُ ماجه وغيرُه من حديثِ عبدِاللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: أقبلَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**يا معشرَ المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ وأعوذُ بالله أن تُدرِكوهنَّ وذكر منها: ولم تظهرْ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكُنْ مضتْ في أسلافِهم**»[1]. ماذا بعدُ هذا أيها المسلمون؟ فنسألُ اللهَ السلامةَ والعافيةَ.

أمَّا عذابُ الآخرةِ فأشدُّ وأبقىٰ، عذابٌ تَذهلُ له النفوسُ، وتتقطعُ له الأفئدةُ.

جاءَ في صحيح البخاريِّ وغيرِه عن سمرةَ بن جندبٍ رضي الله عنه في حديثٍ طَويلٍ في خبرِ منامِ النبيِّ ﷺ أن جبريلَ وميكائيلَ جاءاه قال: «**فانطلقنا فأتينا على مثلِ التنورِ أعلاه ضيقٌ وأسفلُه واسعٌ فيه لغطٌ وأصواتٌ قال: فاطَّلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ فإذا هم يأتيْهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوْضَوا - أي صاحوا من شدةِ الحر - فقلت: من هؤلاءِ**

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٢، ١٣٣٣ - ح٤٠١٩)، وقال البوصيري في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وعلى هذا فالحديث حسن إن شاء الله.

يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الزناةُ والزواني؛ فهذا عذابُهم إلى يومِ القيامةِ»[1].

وقد جاءَ من غيرِ طريقٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن ريحَ فروجِ الزناةِ والزواني يؤذي أهلَ النارِ شدةُ نَتَنِها**»[2].

وفي حديثٍ عند أحمدَ وأبي يعلى وابنِ حبان في صحيحِه والحاكم وصحَّحه عن أنس رضي الله عنه قالَ: «**من ماتَ مدمنَ الخمرِ سَقاه الله جلَّ وعلاً من نهرِ الغوطةِ، قيل وما نهرُ الغوطةِ؟ قال: نهرٌ يجري من فروجِ المومساتِ ـ يعني البغايا ـ يؤذي أهلَ النارِ ريحُ فروجِهم**»[3].

فأهلُ النارِ يعذبون بنتنِ ريحِ الزناةِ.

فاتقوا اللهَ يا أمةَ الإسلام، وقفوا عند مسئولياتِكم، خذوا على أيدي السفاءِ تَنجُوا وتنجُ سفينتُكم.

الزوجُ مسئولٌ، والأمُّ مسئولةٌ، والأبُ مسئولٌ، ووليُّ الأمرِ مسئولٌ، وكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه. اطلبوا النجاةَ لأنفسِكم وأولادِكم وإخوانِكم وكلِّ من تحتِ مسئوليتكم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/ ٤٥٧، ٤٥٨ ـ ح٤٠٤٧)، وأحمد (٥/ ٨).

(٢) أخرجه البزار مرفوعا وموقوفا، وقال الهيثمي: في اسناديهما صالح بن حيان وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبويعلى والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات. انظر مجمع الزوائد (٥/ ٧٤)، وأخرجه الحاكم (٤/ ١٤٦) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ، وهدانا صراطَه المستقيمَ، وجنَّبنا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أولئـك هم العـادون

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ أهلِ الحمدِ ومستحقِّه لا إله غيرُه ولا ربَّ سواه، وأشهد ألا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أن الشريعةَ المطهرةَ قد أوصدَتْ الأبوابَ أمامَ هذه الجريمةِ النكراءِ، والرذيلةِ الشنعاءِ.

فأولُ الحواجزِ وأَوْلاَها: الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ، والخوفُ من عذابِه والرجاءُ في رحمتِه.

ثُم غَضُّ البصرِ من المؤمنِ والمؤمنةِ من أقوىٰ هذه الحواجزِ، فالنظرةُ سهمٌ من سهامِ إبليسَ، ومن غضَّ بصرَه أورثَ الله قلبَه حلاوةَ العبادةِ إلى يومِ القيامةِ كما وردَ في الحديثِ. وكما يشيرُ إليه قولُه سبحانه بعدَ الأمرِ بغضِّ النظرِ: ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وأُمِرَتْ المؤمناتُ بالحجابِ والبعدِ عن مواردِ الفتنِ ومواطنِ الرِّيَبِ، فلا زينةَ ولا تعطرَ ولا إلانةً في القولِ فيطمعَ الذي في قلبِه مرضٌ، ولُبسُ اللباسِ المحتشمِ السابغِ خيرُ ما يُكَرِّمُ المؤمنةَ

ويَحميْها من أن تصيبها نظراتُ ضعافِ النفوسِ.

والخلوةُ بالمرأةِ الأجنبيةِ لا تجوزُ، فذلك من أعظمِ دواعي الإغراءِ بالفحشاءِ. فما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلا وكانَ ثالثُهما الشيطانَ.

وفي الحديثِ الصحيح: «**إياكم والدخولَ على النساءِ**»، فقال رجلٌ من الأنصارِ أرأيتَ الحموَ؟ **قال: الحموُ الموتُ**»[1]. والحموُ هو قريبُ الزوجِ. ولا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن تسافرَ إلا مع ذي محرمٍ، فإنها إن فعلتْ افترستْها ذئابُ البشرِ رغبةً أو رهبةً.

وقبل ذلك وبعده أيها المسلمون لابدَّ من تيسيرِ أمرِ الزواجِ: «**إذا جاءكم من ترضون دينَه وخُلُقَه فزوِّجوه إلا تفعلوه تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٢٤٢ ـ ح٥٢٣٢)، ومسلم (٤/ ١٧١١ ـ ح٢١٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٩٥ ـ ح١٠٨٥) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (١/ ٦٣٣ ـ ح١٩٦٧)، والحاكم (٢/ ١٦٤، ١٦٥)، والحديث حسن بمجموع طرقه.

سوءُ الظن والتثبت في الأخبار

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المتوحدِ بالعظمةِ والجلالِ، المتصفِ بصفاتِ الكمالِ، المنزهِ عن الأشباهِ والأمثالِ، أحمده سبحانه وأشكرُه شكراً يزيدُ النعمَ ويحفظُها من الزوالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، أنقذَ من الضلالِ، وهَدىٰ إلى أشرفِ الخصالِ. أمرَ بالتثبتِ وحذَّر من سوءِ الظنِّ في الأقوالِ والأفعالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآلِ.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون: عليكُم بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ. عظِّموا أمرَه، واحذروا سخطَه. زكوُّا أعمالَكم، واحفظوا جوارِحَكم، واشتغلوا وتشاغلوا بما فيه نفعُكم واجتماعُ أمرِكم.

أيها المسلمون: إن للناسِ مجالسِ يتجاذبون فيها أطرافِ الحديثِ شئوناً وشجوناً، يأمَنُ بعضُهم بعضاً، ويأنسُ بعضُهم ببعضٍ. صدورٌ منشرحةٌ، وسرائرٌ صافيةٌ، ونوايا حسنةٌ، ثم يندسُّ بين هؤلاءِ من يتَتبَّعُ السقطاتِ، ويفرحُ بالهفواتِ؛ ليتندَّرَ بهذا

ويَشي[1] بذاك، وقد يكون عنده فضلُ مالٍ يستريحُ في ظلالِه، فلا همَّ له إلا بالتسلي بشئونِ الآخرين وأشيائِهم؛ استطالةً وتهكماً وازدراءً وتنقُّصاً، همزاً ولمزاً، ونبزاً وغمزاً: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم: ١١ ـ ١٢].

إن صاحبَ الهوىٰ والأغراضِ لا يجدُ مُتَنفساً لما في صدرِه إلا تلفيقَ الأكاذيبِ وتزويرَ الأخبارِ؛ متنصلاً عن المسئوليةِ العظمىٰ، مبتعداً عن شرفِ أمانةِ الحديثِ، وحفظِ حقوقِ المسلمين. وأنتم تعلمون ونعلمُ أن الهوىٰ ما خالطَ شيئاً إلا أفسدَه، يُخْرِجُ العالمَ من السنةِ إلى البدعةِ، ويوقع صاحبَ الزهدِ في الرياءِ والسمعةِ. يجرُّ الحاكمَ إلى الظلمِ والصدِّ عن الحقِّ.

وإذا وقعَ الهوىٰ في الأخبارِ والأقوالِ كان مطيتَها إلى الكذبِ وسوءِ الظنِ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن في المجتمعِ مجالسَ ومنتدياتٍ لاهمَّ لأصحابِها إلا القيلُ والقالُ. والخوضُ فيما لا يفيدُ، يتناقلون الأحاديثَ دونَ وعيٍ أو تثبت، يُلصِقون بهذا ما ليس فيه، ويظنونَ بذاك ظنَّ السَّوْءِ، مطيتُهم في ذلك قالوا وزعموا، وبئسَ مطيةُ الرجلِ زعموا.

إذا ضَعُفَ الوازعُ تجرَّأَ المرءُ على الاستخفافِ بالحرماتِ، وقلَّ عنده احترامُ الناسِ، واستمرأ الكذبَ، واتخذَ من الشبهاتِ مطايا،

---

(١) يشي: يقوم بالوشاية والنميمة.

بل قد لا يتورعُ أن يُدلي بشهاداتٍ كاذبةٍ وأقوالٍ ملفقةٍ، فهو قليلُ المروءةِ، صفيقُ الوجه، يفرحُ بالكلمةِ السيئةِ ليشيعَها في الناسِ من غيرِ نظرٍ في العواقبِ.

بهذا وأمثالِه تشيعُ البلبلةُ، وتَسري الظنونُ والقلاقلُ، وتعيشُ الأمةُ في حدسٍ وتخمينٍ، مما يهددُ مصالحَ الجماعةِ وينشرُ الوساوسَ والمخاوفَ، ويؤدي إلى اضطرابِ الأحوالِ، بل قد يقودُ إلى الاستهانةِ بالكراماتِ والاعتداءِ على الأنفسِ والأموالِ، والوقوعِ في الأعراضِ وقتلِ المعنوياتِ.

إن السماحَ بانتشارِ الشائعاتِ وقبولَ كلِّ خبرٍ وعدمَ التروي، يولِّدُ التحسُّسَ، وينبتُ التجسسُ، ويجرُّ إلى تتبعِ العوراتِ والتطلعِ إلى السوءاتِ. ذلك أن الباطلَ إذا كثُر ترديدُه وطالَ التفكيرُ فيه انقلبَ عند الناسِ في حكمِ الحقِّ، وحينئذٍ تقعُ الواقعةُ على المتهمين المظلومين.

ولعلَّ هذا هو السرُّ في النهي عن التجسس بعد الأمرِ باجتنابِ الكثيرِ من الظنِّ في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

ومن الأسرارِ في هذه الآيةِ: الأمرُ باجتنابِ كثيرٍ من الظنِّ لأن بعضَ الظنِّ إثمٌ، فيجتنبُ الكثيرُ من أجلِ منعِ القليلِ، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديثِ**»[1]. مخرَّجٌ في الصحيحين وغيرِهما.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٩٩ ـ ح٦٠٦٦)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ـ ح٢٥٦٣).

إن الظنونَ السيئةَ تنشأُ عنها المكائدُ والطعنُ في الأنسابِ والأعراضِ، بسببِها تُنصبُ حبالُ المكرِ وشباكُ الخديعةِ فتحصلُ الفرقةُ والشحناءُ، ويَذِلُّ العبادُ، ويتمكنُ الأعداء.. تطغىٰ الأنانيةُ وتُنتزعُ الثقةُ، وتسودُ العداوةُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: كم أدىٰ سوءُ الظنِّ وعدمُ التثبتِ في الأخبارِ إلى أهوالٍ ما بعدها أهوالٌ. أُزهقتْ نفوسٌ، وضاعتْ أموالٌ، وتشتتْ أسرٌ، وخَربتْ بيوتٌ، وقُطِّعتْ أرحامٌ. إن التعجلَ وعدَم التأني في هذه القضايا الخطيرةِ يُفسدُ على أهلِ العقولِ عقولَهم، ويذهبُ برويَّتهم وتفكيرهم، فيصبحُ العيشُ مريراً، وتصبحُ الحياةُ سعيراً. لابد من التُّؤدةِ والثباتِ حتى لا تزِلَّ قدمٌ بعد ثبوتِها وتنزلقَ في مجاهلِ الحوادثِ والأحداثِ فتصبحوا على مافعلتم نادمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

إن الشجاعةَ كلَّ الشجاعةِ، والبطولةَ حقَّ البطولةِ حين يملكُ المرءُ نفسَه في مثلِ هذه المقاماتِ، يملكُ الزمامَ أن يُفْلتَ بسبب كلمةٍ طائشةٍ من أحمقَ، أو وشايةٍ مغرضةٍ من حاقدٍ.

عبادَ اللهِ: إن حقَّ المؤمنِ أن يُحمىٰ ظهرهُ وعرضُه، وتصانَ كرامتَه ومعنويتُه إلى أن يتبينَ بوضوحٍ ما يستحقُّ عليه المساءلةَ والمؤاخذةَ.

إن على الفردِ والجماعةِ وكلِّ مسئول ألا يقبلوا ما يصلُ إليهم من أخبارٍ أو يُصدِّقوا الأقاويلَ في المؤمنين إلا بعد التثبتِ والتبيُّنِ، حذراً من الإضرارِ بالناسِ في أنفسِهم وسائرِ حقوقِهم

ومتعلقاتِهم، فلا يكون المعتَمَدُ على مقالةِ واشٍ أو خبرِ مفترٍ يجلبُ لنفسِه نفعاً أو يوقع بغيرِه ضَراً.

أيها المسلمون: ينبغي أن يسودَ حسنُ الظنِّ بالمؤمنين، والاطمئنانُ إلى طويّتِهم، والثقةُ بحسنِ نواياهم، وتغليبُ جانبِ الصدقِ في أقوالِهم والخيرِ في تصرفاتِهم، مادامتْ أحوالُهم الظاهرةُ مأمونةً، والمساويءُ مستورةً.

فاحفظْ يا أخي المسلمُ يدَك ولسانَك وسائرَ جوارِحك عن أذى الناس، ولا تَبعْ دينَك بعرَضٍ من الدنيا قليلٍ، ولا تبغِ الفسادِ في الأرضِ فتكنْ أفاكاً أثيماً. كنْ مصدرَ خيرٍ ونفعٍ وبرٍ وإحسانٍ.

إن مجامعَ الأخلاقِ ولبِّ المحاسنِ أن يحبَّ المرءُ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه، والمؤمنُ يقولُ خيراً أو يَنْمِي خيراً.

وقد قيل: إذا رأيتمُ المؤمنَ صموتاً وقوراً فقد سلكَ مسالكَ الحكمةِ. والمسلمانِ يجلسانِ بأمانِ اللهِ، فلا يحلُّ لأحدِهما أن يُفشيَ على أخيه ما يكرُه بغيرِ حقٍّ.

ومن رُزقَ حياءً مع قلةِ أذىً، وصلاحاً مع قلةِ كلامٍ، وعملاً مع قلةِ فضولٍ؛ فقد أوتي محاسنَ الأخلاقِ.

أيها المؤمنُ: ليكنْ حظُّ أخيك منك ثلاثاً: إن لم تنفعْه فلا تضرَّه، وإن لم تُفرِحْه فلا تَغمَّه، وإن لم تمدْحَه فلا تذمَّه، ولتعلمْ أن الاشتغالَ بالطعنِ في الناسِ وذكرِ نقائصِهم، والتسلي بالخوضِ في معائبِهم وإفشاءِ مقالةِ السوءِ بينهم من طبائعِ النفوسِ الشريرةِ والصدورِ الحاقدةِ، وهو من أظهرِ الدلائلِ على قلةِ التوفيقِ والانشغالِ بما لا يُفيدُ.

اللهم إنا نسألُك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، ونسألك كلمةَ الحقِّ في الرضىٰ والغضبِ، ونعوذ بكَ أن نقولَ زُوراً أو نغشىٰ فُجوراً، أو نتكلفَ ما لا يعنينا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه العظيم، وبسنة نبيه المصطفىٰ الكريم، وأجارنا من عذابِه الأليم، وثبتنا على صراطِه المستقيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كَل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

سوء الظن والتثبت في الأخبار

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ بيَّن الطريقَ وأوضحَ المحجةَ، أرسلَ رسلَه مبشرين ومنذرين لئلا يكونَ للناس على اللهِ حجةٌ، أحمدُه سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حَسَنُ الظنِّ، صادقُ اللهجةِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا أنَّ من تتبعَ عوراتِ الناس وتلمَّسَ معايبَهم كشفَ اللهُ سِترَه، وفضحَه في عورتِه؛ يقولُ الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «أدرَكْنا قوماً لم تكنْ لهم عوراتٌ فذكروا عيوبَ الناس فذكر الناسُ لهم عيوباً، وأدركنا أقواماً كانت لهم عيوبٌ فكفوَا عن عيوبِ الناسِ فنُسيتْ عيوبُهم».

شاهدُ هذا أيها المسلمون ما أخرجه الإمامُ أحمدُ وأبوداود عن أبي برزةَ الأسلميِّ رضي الله عنه مرفوعاً: «**يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا الناسَ، ولا تتبَّعوا عوراتِهم، فإن من اتبع عوراتِهم تتبع اللهُ عورتَه، ومن تتبع اللهُ عورتَه يفضحْه في**

بيتِه»[1] وفي لفظٍ عند الطبراني ونحوُه عند أبي يعلىٰ والبيهقي: «**يا معشرَ من أسلمَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه لا تذموا المسلمين ولا تؤذوهم ولا تتبعوا عوراتِهم فإن من يطلبُ عورةَ أخيه المسلم هتكَ اللهُ سترَه وأبدى عورتَه ولو كان في سترِ بيتِه**»[2] فاتقوا اللهَ يرحمْكم الله؛ فمن صَفَى صُفِّى له ومن كدَّر كُدِّر عليه، وإن الكيِّسَ العاقلَ الفطنُ الغافلُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢١)، وأبوداود (٤/ ٢٧٠ ـ ح٤٨٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٧)، وبنحوه الترمذي من حديث ابن عمر (٤/ ٣٣١، ٣٣٢) وقال حديث حسن غريب، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١٠٤ ـ ح٣٥٢٦)، وأبويعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ١٨٦ ـ ح١١٤٤٤) وقال الهيثمي: رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير(٢/ ٢٠، ٢١)، وفي الأوسط (٣/ ٤٤٦ ـ ح٢٩٥٧) وقال الهيثمي: فيه رميح بن هلال الطائي، قال أبوحاتم: مجهول لم يرو عنه غير أبي تميلة يحي بن واضح. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٤).

أمسك عليك لسانك

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المحمودِ على كلِّ حال، ونعوذُ بالله من حالِ أهلِ الضلالِ. أحمده سبحانه وأشكره وأسألُه المزيدَ من فضلِه وكرمِه والتوفيقِ في الحالِ والمآلِ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، كريمُ المزايا وشريفُ الخصالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبهِ خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى في وصفِ المؤمنين من عبادِه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

اللغوُ أيها المسلمون: خوضٌ في باطلٍ، وتشاغلٌ بما لا يفيد. أمرَ اللهُ سبحانه بالإعراضِ عنه، ونهى عن الوقوعِ فيه، ففيه مضيعةٌ للعمُرِ في غيرِ ما خُلقَ الإنسانُ لأجلِه. إنه مَخلوقٌ لعبادةِ ربِّه، والخلافةِ في هذه الأرضِ بالعملِ المثمرِ الصالحِ، والحياةِ النافعةِ الجادةِ.

من أجلِ هذا كان البعدُ عن اللغو والإعراضُ عنه من دلائلِ الكمالِ والفلاحِ؛ لقد ذكره اللهُ سبحانه بين فريضتين من فرائضِ

الإسلام المحكمة؛ ذكره بين فريضتي الصلاةِ والزكاةِ؛ فقال عز شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٤].

أيها المؤمنون اللغوُ في شتى صورِه: خوضٌ في باطلٍ، وتحدثٌ بالمعاصي، وترويجٌ للفواحشِ، وتتبعٌ للعوراتِ، وتَنَدُّرٌ بالناس، وانتقاصٌ وسخريةٌ بهم. ونصيبُ النساءِ في ذلك راجحٌ. فليتقِ اللهَ كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فويلٌ لكلِّ همزةٍ لمزةٍ. وويلٌ لكل حلَّافٍ مهينٍ همازٍ مشاءٍ بنميمٍ.

أيها المسلمُ: لو نظرتَ فيما يشغَلُ الناسَ في فراغِهم وغيرِ فراغهم لرأيتَ ما يروِّعُ من لغوِ الحديثِ والعملِ. ألا يروِّعُكَ أن تجدَ القصصَ المنشورَةَ، والصحفَ المشهورةَ، والكلماتِ المذاعةَ، والصورَ المبثوثةَ. إنها في أغلبِها لغوٌ.. تنشغلُ به الأعينُ، وتمتلىءُ به الآذانُ، وتلوكه الألسنُ.

وإن من أعظمِ ما تنشغلُ به الكافةُ من صنوفِ اللغوِ.. الكذبَ والنميمةَ وشهادةَ الزورِ والغيبةَ، والسبابَ، والشتائمَ، واللعنَ والقذفَ، والتقعرَ في الكلامِ والتشدقَ فيه من أجلِ التعالي واستدرارِ المديحِ.

بل إن في الناس من يعيشُ صفيقَ الوجهِ، شرسَ الطبعِ، لا تحجُزُه مروءةٌ، ولَا يردعُه دينٌ أو أدبٌ.. جرَّدَ لسانَه مِقراضاً للأعراضِ بكلماتٍ تنضحُ فُحشاً، وألفاظٍ تنهشُ نهشاً، يسرفُ في التجنيِّ على عبادِ اللهِ بالسخريةِ واللمزِ.. فهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ وهذ أحمقُ وذاك جهولُ، وكأنه قد وُكِلَ إليه تجريحُ عبادِ الله.

أما سمعَ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقولَه عزَّ من قائلٍ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

ويزدادُ الأمرُ وتعظمُ البليةُ حين ترىٰ من عليه علاماتُ الوقارِ، وملامحُ الاحتشام، وسيما الوجاهةِ، وهيئاتُ العلماءِ؛ يُسفرُ عن بذاءٍ وثرثرةٍ.. يَصُمُّ بالخوضِ في الباطلِ أُذُنَيْ جليسِه.. لا يدَعُ لأصحابِ فضلٍ فضلاً.. يحملُ عليهم الحملاتِ الشعواءَ أحياءً وأمواتاً لزلةِ لسانٍ أو سَبْقِ قلمٍ. هلا حجزَه عن عيوبِ الناسِ ما يعلمُ من عيوبِ نفسه؟ طُوبىٰ لمن ملكَ لسانَه، وأنفقَ الفضلَ من مالِه، وأمسكَ الفضلَ من قولِه.

أيها المسلمون: إن فضلاءَ الرجالِ وعظماءَهم.. إذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه، فلا تبدُرُ منهم لفظةٌ نابيةٌ ولا عبارةٌ ناشزةٌ. ولا انتصارٌ للنفسِ، وإذا ضمَّهُ مجلسٌ مع أمثالِ هؤلاءِ اللاغين لا يفقدُ خُلُقَهَ مع مَن لا خلاقَ له، ولو أنَّه شُغِلَ بتأديبِ كلِّ جهولٍ لأعيتْه الحيلُ.

عبادَ اللهِ: من أجلِ البعدِ عن اللغوِ، وأخذِ النفسِ بالأدبِ، والالتزامِ بالفاضلِ من القولِ والعملِ؛ ينبغي ملاحظةُ أمورٍ منها: تجنبُ كثرةِ المزاحِ والإفراطِ فيه، فهو يُسقطُ الوقارَ، ويُوْرِثُ الضغائنَ، ويولد الأحقادَ، أما اليسيرُ منه الباعثُ على الانبساطِ وانشراحِ النفسِ فلا بأسَ به. فقد كان عليه الصلاةُ والسلامُ يمزحُ ولا يقولُ إلا حقاً، وينبغي أخذُ النفسِ بكظمِ الغيظِ، والعفوِ عن المسيءِ، والإعراضِ عن الجاهلِ. وكيف يكونُ الإنسان كريماً

ذا خلقٍ وهو لا يقيلُ عثرةً، ولا يدمَحُ زلةً، ولا يقبلُ معذِرةً؟ ولابد من اجتنابِ الجدلِ، وسدِّ أبوابِ المِراءِ؛ ولو كان في حقٍّ؛ فإن من كَثُر كلامُه قلَّ في الناسِ احترامُه.

وجماعُ ذلك كلِّه في حفظِ اللسانِ ففيه الخيرُ وفيه السلامةُ. ولا يذهبُ الرشدُ إلا مع كثرةِ الكلامِ والثرثرةِ. وإذا لم يملكْ الإنسانُ نفسَه كان فمُه مدخلاً لكلِّ ما يعابُ، فتتلوثُ السيرةُ، ويغلظُ الحجابُ على القلبِ.

سألَ سفيانُ بنُ عبدِاللهِ الثقفيُّ نبيَّ اللهِ محمداً ﷺ ما أخوفُ ما تخافُ عليَّ؟ «**فأخذ بلسانِه وقال: هذا**»[1].

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ لمعاذِ بن جبلٍ: «**ثكلتكَ أمُّك يا معاذُ وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم**»[2].

إن اللسانَ حبلٌ مرخيٌ في يدِ الشيطانِ يصِّرفُ صاحبَه كيف يشاءُ، وإن المرءَ مخبوءٌ تحتَ لسانِه فإذا تكلَّم بان حالُه. ولهذا يقولُ عبدُاللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «واللهِ الذي لا إله إلا هو ليس شيءٌ أحوجَ إلى طولِ سجنٍ من لسانٍ».

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان انظر الاحسان (١٣/ ٦ ـ ح٥٦٩٩)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ـ ح٣٩٧٢)، والترمذي (٤/ ٥٢٥ ـ ح٢٤١٠) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣١٣) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ ـ ح٣٩٧٣)، والترمذي (٥/ ١٣ ـ ح٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

بل إن جوارحَ الإنسانِ كلَّها مرتبطةٌ باللسانِ في الاستقامةِ والاعوجاجِ.

روىٰ الإمامُ الترمذيُّ وغيرُه بإسنادٍ حسنٍ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا أصبحَ ابنُ آدمَ فإن الأعضاءَ كلَّها تُكَفِّرُ اللسانَ ـ أي تخضعُ له ـ فتقولُ: اتقِ اللهَ فينا فإنما نحن بك، فإن استقمتَ استقمنا وإن اعوججتَ اعوججْنا**»[1].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وأعرِضُوا عن اللغوِ والجاهلين، واتقوا آفاتِ اللسانِ، فمن كَثُرَ سقطُه كثرُت ذنوبُه، ومن كَثُرَتْ ذنوبُه فالنارُ أولى به كما قال عمرُ رضي الله عنه. وإن الرجلَ ليتكلَّم الكلمةَ ما يتبيَّنُ فيها يزلُّ فيها في النارِ أبعدَ ما بين المشرقِ والمغربِ كما أخبر بذلك المصطفىٰ ﷺ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنةِ نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٩٦)، والترمذي (٤/ ٥٢٣ ـ ح٢٤٠٧) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٤٤ ـ ح٤٩٤٥، ٤٩٤٦).

أمسك عليك لسانك

الخطبة الثانية

الحمد للهِ يهدي إلى الطيبِ من القولِ ويهدي إلى صراطِ الحميدِ، أحمده سبحانه وأشكره. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أدبَّه ربُّه فأحسنَ تأديبَه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واحفظوا جوارحِكم، وصونوا أنفسَكم عن سفيهِ الأقوالِ والأفعالِ.

واعلموا أنه لابد من التمييزِ بين مداراةِ السفهاءِ والإعراضِ عن الجاهلين، وبين إحقاقِ الحقِّ والردِّ على المبطلين.

فالمداراةُ والإعراضُ تعني: ضبطَ النفسِ أمامَ استفزازاتِ الجُهلاءِ، وكفَّها عن الاستثارةِ لعواملِ الغضبِ والثأرِ. أما إحقاقُ الحقِّ والردُّ على المبطلين: فهو دعوةٌ ومجادلةٌ بالتي هي أحسنُ، وإظهارٌ لعزةِ أهلِ الحقِّ، وتجنبٌ لبلادةِ النفسِ واستكانتُها. وهذا النوعُ مما يسوغُ الخوضُ فيه، بل قد يكون منه ما يحرمُ السكوتُ عليه. وهو بابٌ واسعٌ يشملُ الأمرُ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ، وتعليمَ الجاهلِ، وتنبيه الغافلِ، والدعوةِ إلى اللهِ، وذكرَه، وشُكرَه وفي كلِّ ذلك يقول سبحانه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا

مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

ويقول سبحانه: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٨ ـ ١٤٩].

وأمرٌ آخرُ أيها المسلمون لابد من التَّنَبُّهِ إليه في هذا المقام. ذلك أنه ينبغي للمؤمنين إذا ضمَّهم مجلسٌ ألا يخلوَ من ذكرِ اللهِ فإن نبيَّكم محمداً ﷺ يقول: «**ما من قومٍ يقومون من مجلسٍ لا يذكرونَ اللهَ فيه إلا قاموا عن مثلِ جيفةِ حمارٍ وكان لهم حسرةً**»(١). أخرجه الإمام أحمد وأبوداود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولفظُ الترمذيِّ: «**ما جلسَ قومٌ مجلساً لم يذكروا اللهَ فيه ولم يصلوا على نبيِّهم ﷺ إلا كان عليهم تِرةً**»(٢).

ولهذه المجالس كفارةٌ أرشدَ إليها النبيُّ ﷺ في قولِه: من جلسَ مجلساً فكَثُرَ فيه لغَطُه فقال قبل أن يقومَ من مجلسِه: «**سبحانكَ اللهمَّ وبحمدِك أشهدُ ألا إله إلا أنت أستغفرُك وأتوبُ إليك إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسِه ذلك**»(٣).

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٦٤ ـ ح٤٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٣٨٩، ٥١٥، ٥٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٠٣ ـ ح٥٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٠ ـ ح٣٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٦٠، ٤٦١ ـ ح٣٤٣٣)، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وأبوداود (٤/ ٢٦٤ ـ ح٤٨٥٧، ٤٨٥٨، ٤٨٥٩).

شـؤم المعاصـي

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الحليمِ التوابِ، غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ، أحمده سبحانه وأشكره لم يزلْ بالمعروفِ معروفاً وبالكرمِ موصوفاً، يكشفُ كرباً ويغفرُ ذنباً ويغيثُ ملهوفاً، يُرسلُ آياتِه ونذرَه، وما يرسلُ بالآياتِ إلا تخويفاً. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بشر وأنذر وأرشد وحذر، وأوضح المحجة فلا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عباد اللهَ، وعظِّموا أمرَه واحذروا سخَطَه.

أيها الإخوةُ: لقد طغتْ النظرةُ الماديةُ على كثيرٍ من أبناءِ هذا العصرِ، فَضَعُفَ عندهم الربطُ بين الأسبابِ ومسبباتِها، ولم يدركوا العلاقةَ بين الأعمالِ وآثارِها. نشأ في أوطانِ المسلمين فريقٌ تلبسوا بالشهواتِ فذهبوا في البطالةِ مكاناً بعيداً، وغلبت على فريقٍ آخرَ شبهاتٌ من الشرقِ والغربِ فضلّوا عن إدراكِ سننِ اللهِ وظنوا الشبهةَ حجةً، وحسبوا أعداءَ الله لا يقولون إلا صواباً ولا يعملون إلا حسناً، أو أنهم يحسنون صُنعاً.

يُقالُ هذا أيها المسلمون وعالمُ اليوم تسودُه أعاصيرُ مدمرةٌ

وفيضاناتٌ مغرقةٌ، وزلازلُ مهلكةٌ، يُضم إليها حروبٌ محرقةٌ لا تخمدُ نارُها.. كلَّما أُطفئتْ من جانبٍ أوقدتْ في جانبٍ.. مع أمراضٍ فتاكةٍ لم تكن في الأسلافِ، في الأنفسِ والزروعِ والبهائمِ. حوادثٌ مروعةٌ، وانقساماتٌ مُفزعةٌ.

إن سننِ اللهِ عزَّ وجلَّ تأبىٰ أن تتركَ المجرمين من غيرِ قصاصٍ، فماذا ينتظرُ المقصرون؟!.

ليس من شرورٍ ولا بلاءٍ إلا وسببه الذنوبُ والمعاصي.

بالمعصيةِ تبدَّلَ إبليسُ بالإيمانِ كفراً، وبالقربِ بُعداً، وبالرحمةِ لعنةً، وبالجنةِ ناراً تلظىٰ.

عمَّ قومَ نوحٍ الغرقُ، وأهلكَتْ عاداً الريحُ العقيمُ، وأخذتْ ثمودَ الصيحةُ، وقُلبت على اللوطيةِ ديارُهم؛ فجعل اللهُ عاليها سافلها، وأمطرَ عليها حجارةً من سجيلٍ، فساء مطرُ المنذرين ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

إنها الحقيقةُ الصارخةُ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾. تلكم الذنوبُ، وتلكُم عواقبُها، وماهي عن الظالمين ببعيد.

ما ظهرتْ المعاصي في ديارٍ إلا أهلكتها، ولا تمكنتْ من قلوبٍ إلا أعمتْها، ولا فشتْ في أمةٍ إلا أذلَّتها؛ فلا تفارقُها حتى تدعَ الديارَ بلاقعَ[1].

---

(١) البلقع: الخالي من كل شيء.

أيها المسلمون: إن للمعاصي شؤمَها، ولها عواقبَها في النفس والأهلِ.. في البَرِّ والبحرِ.. تَضِلُّ بها الأهواءُ، وتفسُدُ بهاالأجواءُ.

بالمعاصي يهونُ العبدُ على ربِّه فيرفعُ مهابتَه من قلوبِ خلقِه: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

يقولُ الحسنُ رحمه اللهُ: «هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم».

أخرج الإمامُ أحمدُ في مسندِه عن عبدالرحمنِ بن جبيرِ بن نفيرِ عن أبيه قال: لما فُتحتْ قبرصَ رأيتُ أباالدرداءِ جالساً وحده يبكي. فقلتَ: يا أباالدرداء ما يبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهلَه؟ فقال: ويحك يا جبير؟ ما أهونَ الخلقِ على اللهِ إذا أضاعوا أمره.. بينما هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ لهم الملكُ تركوا أمرَ اللهِ فصاروا إلى ما ترى.

بسببِ الذنوبِ والآثامِ يكون الهمُّ والحزَنُ والعُقدُ النفسيةُ، إنها مصدرُ العجزِ والكسلِ، وفشوِ البطالةِ، ومن ثمَّ يكونُ الجبنُ، والبخلُ، وغلبةُ الدينِ، وقهرُ الرجالِ.

بها تزولُ النعمُ وتَحِلُّ النقمُ، وتتحولُ العافيةُ، ويستجلبُ سخطُ الله. إذا ابتلي العبدُ بالمعاصي استوحشَ قلبُه، وضعفتْ بأهلِ الخيرِ والصلاحِ صلتُه، وجفاه الصالحون من أهلِه وأقاربه؛ حتى قال بعضُ السلفِ: «إني لأعصي اللهَ فأرىٰ ذلك في خُلُقِ امرأتي ودابتي».

ومن قارفَ المعاصي ولازمَها تولَّدَ في قلبِه الاستئناسُ بها

وقبولُها، ولا يزالُ كذلكَ حتى يذهبَ عنه استقباحُها، ثم يبدأُ بالمجاهرةِ بها وإعلانِها. وغالبُ هؤلاءِ لا يُعَافَونَ منها كما في الحديث: «**كلُّ أمتي معافىٰ إلا المجاهرين، وإن من المجاهرةِ أن يعملَ العبدُ بالليلِ عملاً ثم يصبحُ قد سترَه ربُّه، فيقولُ: يا فلانُ قد عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يسترُه ربُّه فيصبحُ يكشفُ سِترَ اللهِ عليه**»[1]. ومن المجاهرةِ أن يتحدثَ التاجرُ إلى رفاقِه بغشِّه في السِّلَعِ ويعدُّ ذلك مهارةً وكَيَاسةً، ومن المجاهرةَ أن يذكرَ الماجنُ مجونَه، وينشرَ الفاسقُ فسوقَه.

ومن المجاهرةِ تلك الصورُ الفاضحةُ والكلماتُ الخادشةُ للشرفِ والفضيلةِ، وهذا بابٌ من البلاء عريضٌ ولكثيرٍ من وسائلِ الإعلامِ منه نصيبٌ كبيرٌ.

ومن عِظَمِ البلايا ألا يحسَّ المعاقَبُ بالعقوبةِ، وأشدُّ منه أن يقعَ السرورُ بما هو بلاءٌ وعقوبةٌ، فيفرحُ بالمالِ الحرامِ، ويبتهجُ بالتمكنِ من الذنبِ، ويُسرُّ بالاستكثارِ من المعصيةِ، ومَنْ هذا حالُه متى يفوزُ بالطاعةِ؟! وإذا اشتدتْ مُلابَسةُ الذنوبِ للقلوبِ أفقدتْها الغيرةَ على الأهلِ والمحارمِ، فلا تستقبحُ قبيحاً ولا تُنكرُ منكراً. وكفىٰ بالديوثِ الذي يقرُّ الخبثَ في أهلِه مثلاً فهو من أخبثِ خلقِ اللهِ. الجنةُ عليه حرامٌ بنصِّ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ.

إن الذنبَ بعد الذنبِ يقطعُ طرقَ الطاعةِ، ويصدُّ عن سُبُلِ الخيراتِ، ومن ثمَّ يقسو القلبُ، وتستحجرُ النفسُ فيبتعدُ عن

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٥٠١ ـ ح٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم (٤/٢٢٩١ ـ ح٢٩٩٠).

التوبةِ النصوحِ. دليلُكَ في هذا أن كثيراً من أربابِ المعاصي تتحركُ بالتوبةِ ألسنتُهم وتنطقُ بالاستغفارِ أفواهُهم، أما قلوبُهم فمنكرةٌ؛ وعلى الموبقاتِ مصرةٌ وهذا من أعظمِ الأمراضِ.

أيها المؤمنون: لقد فشا في كثيرٍ من المجتمعاتِ الربا والزنا، وشُربتْ الخمورُ والمسكراتُ، وأُدمنتْ المخدراتُ.. كَثُر أكلُ الحرامِ، وتنوعتْ فيه الحيلُ، شهاداتٌ باطلةٌ، وأيمانٌ فاجرةٌ، وخصوماتٌ ظالمةٌ، ارتفعت أصواتُ المعازفِ والمزاميرِ، وفشت رذائلُ الأخلاقِ ومستقبحُ العاداتِ في البنينَ والبناتِ. فإلى متى الغفلةُ عن سننِ اللهِ؟ ونعوذ بالله من الأمنِ من مكرِ اللهِ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

إن الأمةَ حين تَغْفَلُ عن سُنَنِ اللهِ فتغرقَ في شهواتِها وتضلَّ طريقَها فما هو إلا أن تقعَ في مصارعِ السوءِ. إنها سنةُ اللهِ حين تفشو المنكراتُ، وتقومُ الحياةُ على الذنوبِ والآثامِ. إن الانحلالَ الخلقيَّ، وفشوُّ الدعارةِ، وسلوكَ مسالكِ اللهوِ والترفِ؛ طريقٌ إلى عواقبِ السوءِ، إذ تترهلُ النفوسُ، وترتعُ في الفِسْقِ والمجانةِ، وتستهترُ بالقيمِ، وتهينُ الكراماتِ، وتَلَغُ في الأعراضِ والحرماتِ، فتنتشرُ الفواحشَ، وترخصُ القيمُ العاليةُ، فتتحللُ الأمةُ وتسترخي، وتفقدُ قوتَها وعناصرَ بقائِها، فتهلكَ وتُطوىٰ صفحتُها، ولا يهلكُ على اللهِ إلا هالكٌ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، فالحقُّ أبلجُ، فاعرفوا سننَ اللهِ، واحذورا الأمنَ من مكرِ اللهِ.

اللهم أقلْ العثرةَ، واغفرْ الزلةَ، وجُدْ بحلمك على من لم يرجُ

غيرَك. اللهم تولَّنا برحمتِك، وجنبنا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ عن بلدنا هذا خاصةً وعن سائر بلاد المسلمين. يا ربَّ العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

[الأعراف: ٩٤ـ ٩٩].

شـؤم المعاصـي

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ من تمسَّكَ بهديه قرَّبَه وأدناه، ومن خالفَ أمرَه أبعدَه وأقصاه، أحمدُه سبحانه لا يَذِلُّ من والاه ولا يعزُّ من عاداه.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله اجتباه ربُّه واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا السيئاتِ واستكثروا من الحسناتِ. يقولُ عبدُ اللهِ بن عباسٍ رضي الله عنهما: «إن للحسنةِ ضياءً في الوجهِ، ونوراً في القلبِ، وسعةً في الرزقِ، وقوةً في البدنِ، ومحبةً في قلوبِ الخلقِ. وإن للسيئةِ سواداً في الوجهِ، وظلمةً في القلبِ، ووهْناً في البدنِ، ونقصاً في الرزقِ، وبُغْضةً في قلوبِ الخلقِ».

ويعدِّدُ شمسُ الدين الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه الله الآثارَ المترتبةَ على تركِ المعاصي ذكر منها:

إقامةَ المروءةِ وصونَ العرضِ، وحفظَ الجاهِ، وصيانةَ المالِ، ومحبـةَ الخلـقِ، وصـلاحَ المعـاشِ، وطيـبَ النفـسِ، وانشـراحَ

الصدرِ، وقلةَ الهمِ والغمِ والحزَنِ، وعزَّ النفس، واحتمالَ الأذىٰ، وتيسيرَ الرزقِ، وتيسيرَ ما يتعسرُ، وتسهيلَ الطاعاتِ، والثناءَ الحسنِ، والمهابةَ في القلوبِ، وصِغرَ الدنيا في القلبِ، وذوقَ حلاوةِ الطاعةِ والإيمانِ. اهـ. كلامُه رحمه اللهُ.

فاحذورا رحمكم اللهُ احتقارَ الذنوبِ واستصغارَها، فكلَّما استعظمَ العبدُ الذنبَ صَغُرَ عند اللهِ، وكلَّما استصغره كَبُرَ عندَ اللهِ. ولقد قال بعضُ السلفِ: لا تنظرْ إلى صِغَرِ الخطيئةِ ولكن انظرْ إلى عِظَمِ من عصيتَ.

الأحقـاد وفنـاء الأمم

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ نعمُه لا تُعدُّ، وإحسانه لا يُحدُّ، أحمدُه سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، إليه المستندُ وعليه المعتمدُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوثُ للأحمرِ والأسودِ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه القدوةِ في سلامةِ الصدورِ وطهارةِ القلوبِ والخُلُقِ الأمجدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

معاشرَ الإخوةِ: أمةُ الإسلامِ في بنائِها تقومُ بعدَ ـ الإيمانِ باللهِ ـ على عواطفِ الحبِّ المشتركِ، والودِّ الصافي، والبعدِ عن الحقدِ الكنودِ: «**مثلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطفِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرِ الجسدِ بالسهرِ والحمىٰ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٤٥٣ ـ ح٦٠١١)، ومسلم (٤/١٩٩٩، ٢٠٠٠ ـ ح٢٥٨٦) واللفظ له.

أمةُ الإسلام موصوفةٌ في كتابِ ربِّها من بعد سلفِها الأخيارمن المهاجرينَ والأنصارِ في قولِ اللهِ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

أيُّها الإخوةُ في الله: حين تعيشُ هذه الأمةُ معتصمةً بكتابِ ربِّها، مستمسكةً بهدي نبيِّها محمدٍ ﷺ، تعيشُ سليمةً قلوبُها، مُبرَّأةً من وساوسِ الضغينةِ نفوسُها، بعيدةً عن ثورانِ الأحقادِ صدورُها. إذا رأتْ نعمةً في بعضِ فئاتِها أو في قطرٍ من أقطارِها سادَها الرضا، وأحسَّتْ بفضلِ اللهِ على إخوانِها، واستشعرتْ فقرَ خلائقِ اللهِ إلى اللهِ وتمثَّل أفرادُها بالذكرِ المحمدي: «**اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِك فمنك وحدَك لا شريك لك فلك الحمدُ ولك الشكرُ**»[1] أخرجه أبوداود في سننه بإسناد جيد من حديث عبدالله بن غنام.

وإذا مسَّ طائفةً منها ضرٌّ أو لِحقَ بها أذىٰ أصابَها الإشفاقُ والحزنُ، وسألتْ ربَّها تفريجَ الكروبِ وغفرانَ الذنوبِ، وتعلقتْ بالدعاءِ المأثورِ: «**اللهم رضِّنا بقضائِك، وباركْ لنا فيما قُدِّرَ لنا حتى لا نحبَّ تعجيلَ ما أخرتَ ولا تأخيرَ ما عجَّلتَ**»[2] أخرجه

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٣١٨ ـ ح٥٠٧٣) واللفظ له، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة. انظر السنن الكبرى (٦/ ٥ ـ ح٩٨٣٥)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (٣/ ١٤٣ ـ ح٨٦١)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ١١٥ ـ ح١٣٢٨).

(٢) أخرجه ابن السني (٣٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده عيسى بن ميمون الواسطي ضعيف جداً.

ابن السني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

تلك هي أمةُ الحقِّ مع إخوانِها وأصحابِها في سرائِها وضرائِها، أما إذا غلبتْ الشهواتُ والحظوظُ، وطغتْ الغفلةُ على البصائِر، وصحِبَ ذلك إعراضٌ عن اللهِ والدارِ الآخرةِ وتحكَّمتْ فيها السياساتُ المقيتةُ، وصارَ التطلُّع عندها إلى المناصبِ والزعاماتِ المجردةِ والمآربِ الشخصيةِ.. مرجتْ عندها الأمورُ، وحلَّتْ الحزازاتُ، وانتشرتْ الفُرقةُ، وانتثرتْ أحزاباً وشيعاً، يذيقُ بعضُها بأسَ بعضٍ.

إن الأحقادَ والضغائنَ وطغيانَ المآربِ الشخصيةِ ـ يا عبادَ الله ـ أدواءٌ خطيرةٌ، وأمراضٌ فتاكةٌ، إذا فشتْ في الأمةِ كانت نذيرَ هلاكِها، وإذا دبَّتْ في جماعةٍ كانت سبيل فنائِها، إنها مصدرُ كل عداءٍ، ومَنبَعُ كلِّ شقاءٍ، هي السلاحُ البتارُ الذي يضربُ بها الشيطانُ القلوبَ فيمزقُها، والجماعاتِ فيفرقُها، تغرسُ الضغينةَ، وتُنبْتُ العداوةَ، وتولِّدُ النفورَ، وتُفسِدُ الودَّ، وتقتلعُ المحبةَ، هادمةُ الدنيا، وحالقةُ الدين.

معاشرَ المسلمين: قد ييأسُ الشيطانَ من إيقاعِ المسلمِ في الشركِ والوثنيةِ، ولكنه لا يعجزُ عن إبعادِه عن ربِّه بزرعِ أسبابِ النفرةِ في طويتِه حتى يكون أضلَّ من الوثني المخرِّفِ.. وسيلتُه في ذلك إيقادُ نيرانِ العداوةِ في القلوبِ، حتى إذا اشتعلتْ استمتعَ بها الشيطانُ برؤيتِها وهي تُحرقُ حاضرَ الأمةِ ومستقبلَها، وتلتهم علاقاتِ الودِّ بينها، وتدفِنُ فضائلها، وتمحوْ محاسنَها، وتجلبُ اليأسَ إلى قلوبِ أجيالِها: «**إن الشيطانَ قد يئسَ أن يعبَده المصلون في جزيرةِ العربِ ولكنه لم ييأسِ في التحريشِ بينهم..**»[1] رواه

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٦ ـ ح٢٨١٢)، والترمذي (٤/ ٢٩١ ـ ح١٩٣٧)، =

مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ جابر رضي الله عنه.

وإذا تنافرَ الودُّ وتمكَّنَ الشرُّ عادَ الناسُ إلى حالِ القسوةِ والعنادِ، يَقْطعون ما أمرَ اللهُ به أن يُوصلَ ويُفسدونَ في الأرض. وإن الإيمانَ ليتسربُ من القلبِ الحقودِ كما يتسربُ الماءُ من الإناءِ المثلومِ.

ومن هنا ـ يا عبادَ اللهِ ـ فإن الحقدَ والضغينةَ غليانٌ شيطانيٌ، وهياجٌ إبليسيٌ. سبقَ به الشيطانُ الحاقدينَ حين أخذَ على نفسه عهداً عند ربِّه ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

إن من دلائلِ الصَّغَارِ وخسةِ الطبعِ.. ترسُّبَ الغلِّ في أعماقِ النفسِ؛ فلا يخرجُ منها بل يظلُّ يموجُ في جوانبِها كما يموجُ البركَانُ المكتومُ. وكثيرٌ من أصحابِ القلوبِ الحاقدةِ لا يستريحون إلا إذا أرغَوا وأزبَدوا، وآذوا وأفسدوا، وتلذذوا بنشرِ المعايبِ، وانبلجتْ أساريرُهم بإذاعةِ المثالبِ.

يقولُ علماؤنا رحمهم الله: «إن الغيظَ إذا كُظِمَ لعجزِ صاحبِه عن الانتقامِ والتشفي رجعَ إلى الباطنِ فاحتقنَ فصارَ حقداً، وعلامتُه دوامَ البغضِ والنفورِ. فالحقدُ ثمرةُ الغضبِ، والحسدُ من نتائجِ الحقدِ، والحقدُ أصلُ الشرِّ، ومن أضمرَ الشرَّ في قلبه أنبتَ له نباتاً مُرَّ المذاقِ، نماؤه الغيظُ، وثمرتُه الندمُ».

= وابن ماجه (٢/ ١٠١٥ ـ ح٣٠٥٥)، وأحمد (٣/ ٣١٣، ٣٥٤).

ولتعلموا رحمكم الله أن من لوازم الحقدِ ومظاهرِ الحسدِ، سوءَ الظنِّ، وتتبعَ العوراتِ، والهمزَ، واللمزَ، وتعييرَ الناس، وشيوعَ السبابِ، والتعريضَ أو التصريحَ بالمعايبِ النفسيةِ والبَدنيةِ. وإن الحاقدين ليجدون في الغيبةِ مُتنفساً لأحقادِهم المكظومةِ وصدورِهم الفقيرةِ إلى المحبةِ والودِّ والصفاءِ.

يودُّ الحاقدُ لو أصبحَ أهلُ النِّعمِ محرومين، ويتمنىٰ لو باتوا ضائعينَ مشردينَ. إن لم ينطقْ ذلك بلسانه فلتعرفنَّه في لحنِ القولِ وشَزَرِ النظراتِ، إذا رأى في أخيه نعمةً بُهِت، وإذا علِم له عثرةً شَمِت، لا ينقطع غمُّه، ولا يستريحُ قلبُه، ولا تسكنُ ثائرتُه.. ساخطٌ على ربِّه وعلى الناسِ، مُعذَّبُ النفسِ، مُنغَّصُ البالِ، دائمُ الهمِّ.

ولعمرُ اللهِ إن تلمَّسَ العيوبِ وإلصاقَها بالناسِ دليلُ خبثِ الطويةِ ودناءةِ الهمَّةِ. وإن التَّلهي بسردِ الفضائحِ وكشفِ الستورِ وإبداءِ السوءاتِ من سيما الحاقدين وحِيَلِ العاجزين. وإن وسائلَ الإعلامِ في بعضِ بلادِ المسلمين تحمِلُ من هذا وزراً كبيراً، وإثماً عظيماً.

والطريقُ الصحيحُ والمسلكُ السويُّ ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أن مَنْ سمعَ شيئاً من هذا فلا يوسِّعُ الخرقَ على الراقعِ. فربَّ كلمةِ شرٍ تموتُ في مكانِها لو تُركتْ حيثُ قيلتْ، ولربَّ مقالةِ سوءٍ أيقظتْ فتنةً وسعَّرَتْ حرباً، لأن غِراً من الأغرارِ نقلَها أو حاقداً سيءَ الطويةِ نفخَ فيها؛ فأصبحتْ ناراً تنقلُ الويلاتِ وتنشر الخطوبَ.

ولماذا كلُّ هذا يا أمةَ محمدٍ؟ لماذا كلُّ هذا يا أهلَ الإيمان؟ وقد قسَّمَ اللهُ الأرزاقَ بين خلقِه فوسَّع على أقوامٍ، وقَدَرَ رزقَه على آخرين، رفعَ بعضَهم فوق بعضٍ درجاتٍ ليتخذَ بعضُهم بعضاً سُخرياً، ورحمةُ ربِّك خيرٌ مما يجمعون. هو سبحانه البصيرُ بخلقِه، المحيطُ بشئونِ مُلكِه، وتلك سنتُه في الأولين والآخرين، ولن تجدُ لسنةِ اللهِ تبديلاً، ولن تجد لسنةِ الله تحويلاً.

وقد حاولتْ دولةٌ ـ عُدَّتْ من عُظمىٰ دولِ هذا العصرِ ـ أن تَخرجَ على سنةِ اللهِ في قسمةِ الأرزاقِ، وتفاضلِ الأقواتِ؛ فكان مصيرُها الفشلَ والضعفَ والتمزقَ هي ومن يدورُ في فلكها ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٣ ـ ٥٥].

وورد في الخبرِ: «إن لنعمِ اللهِ أعداءً. قيل: ومن أولئك؟ قال: الذين يحسُدونَ الناسَ على ما آتاهُم اللهُ من فضلِه».

وكلَّما ازدادتْ النعمُ كثرُ الحسادُ وازداد الناقمون، وقد يسُهل أن تُرضي الساخطين، إلا الحسودُ فلا يرضيه إلا زوالُ النعمةِ.

ولكن من لطفِ اللهِ وحكمتِه أن المحسودَ محفوظٌ، لا يضرُّه حسَدُ الحاسدينَ، ونِعَمُه باقيةٌ لا تُزيلها ضغائنُ الحاقدين، واللهُ واهبُ النعمِ وسالبُها، وهو أحكمُ الحاكمين. ولو كانت النعمُ تزولُ بالحسدِ لما بقى في الدنيا محسودٌ لأن كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ.

فاتقوا اللهَ يرحمْكُم، واعرفوا نعمَ اللهِ عليكم، واشكروها وأصلحوا ذاتَ بينكم، وتوجهَّوا إلى ربِّكم، واسألوه من فضلِه، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

الأحقاد والمذبحة اليهودية في ساحة المسجد الأقصى

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ، لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكنْ له كفواً أحدٌ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأعوذ به من شرِّ النفاثاتِ في العُقدِ ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه مبعوثُ الحنيفيةِ السمحةِ والنهجِ الأرشدِ.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيُّها الإخوةُ: لقد هانتْ هذه الأمةُ حين ظهرَ فيها تفرقُ الكلمةِ، واختلافُ الأغراضِ، وتجاذبُ الأهواءِ، لقد برزتْ فيها الأحقادُ.. شُغِلَ بعضُهم ببعضٍ، انقسموا إلى قومياتٍ، وتفرقوا في دويلاتٍ. لهم في عالمِ السياساتِ مذاهبُ، ولهم في الاقتصادياتِ مشاربُ، ولهم في شعابِ الدنيا وجُهاتٌ ومنازعُ. استولتْ عليهم الفُرقةُ، ووقعتْ عليهم الدَّبَرةُ[1]، بل نهشَ بعضُهم بعضاً، وسلبَ بعضُهم حقوقَ بعضٍ، حتى صيحَ بهم من كلِّ

---

(١) الدَّبرة: الهزيمة.

جانبٍ فانصرفوا عن قضاياهم الكبرى، واستغلَّ الأعداءُ هذه الأجواءَ فزادوا من وَقودِ هذه النارِ.

في هذه الأجواءِ المظلمةِ والأحوالِ القاتمةِ يزدادُ الصهاينةُ في مقدساتِنا عتواً وفساداً وتقتيلاً وتخريباً، يريدون في زعمِهم أن يبنوا هيكَلهم المزعومَ على أنقاضِ ثالثِ المسجدين الشريفين، ألا ساءَ ما يزعمون. كذَبوا وخسِئوا.. العزةُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين، والذلةُ والصغارُ والمسكنةُ لمن غضِبَ الله عليه ولعنَه وجعل منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَ الطاغوتَ أولئك شرٌ مكاناً وأضلُّ عن سواءِ السبيلِ.

أيها المسلمون: واللهِ ثم واللهِ لا عزَّ لهذه الأمةِ ولا جامعَ لكلمتِها إلا كتابُ اللهِ وسنةُ رسولِه محمدٍ ﷺ فكفىٰ بالنعراتِ فرقةً. كفوا عن العصبياتِ والتواءاتِ السياساتِ؛ فما زادتْ أصحابَها إلا خسارا وخبالاً. ليس بغيرِ دينِ اللهِ معتصمٌ؛ به العزُّ والمنعةُ، وعليه وحدَه تجتمعُ الكلمةُ. ولن يكونَ لهذه الأمةِ ذكرٌ ومجـدٌ إلا بـه ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٣٤].

لقد تبيَّنَ لكلِّ ذي لبٍّ أن النزاعَ مع هؤلاء الصهاينةِ نزاعُ هويةٍ ومصيرٍ، وإن حقوقَ الأمةِ لن تُنال بمثلِ هذا الخورِ. لقد أوضحتْ الانتفاضةُ كما أوضحتْ أفغانستان أن الجهادَ في سبيلِ اللهِ هو السبيلُ الأقومُ والطريقُ الأمثلُ لأخذِ الحقِّ والاعترافِ به، وأيقنَ المسلمون أن رايةَ الدين إذا ارتفعتْ تصاغرتْ أمامَها كلُّ رايةٍ.

بالجهادِ تُردُّ عادياتِ الطغيانِ، ويكونُ الدينُ كلُّه للهِ، ويبقىٰ دينُ محمدٍ ﷺ مصدِقاً لما بين يديه من الحقِّ ومهيمناً عليه.

إن حقاً على أهلِ الإسلامِ أن تربيَهم التجاربُ والوقائعُ، وتصقلَهم الابتلاءاتُ والمحنُ. من الابتلاءِ ما جلبَ عزّاً، وخلَّدَ ذِكْراً، وكتبَ أجراً، وحفظَ حقاً.

كيف تحلو الحياةُ لمن يضيِّع ديارَه، وإذا ضاع الحمىٰ فهل بعد ذلك من خسارة؟ ولتعلموا أن الكفاحَ في طريقٍ مملوءٍ بالعقباتِ الكئودِ عند أصحابِ الحقِّ والكرامةِ والصرامةِ ألذُّ وأجملُ من القعودِ والتخلفِ من أجلِ راحةٍ ذليلةٍ وحياةٍ حقيرةٍ لا تليقُ بهمم الرجالِ المطالبين بالحقوقِ.

فاتقوا الله رحمكم الله، وتناصروا بدين اللهِ، وخذوا بعزائمِ الأمورِ، واعتصموا بإخوةِ الإسلامِ؛ فالولاءُ للهِ ولرسولِه ولدينِه.

هذا وصلوا وسلموا على نبي الرحمةِ والملحمة نبيكم محمد بن عبدالله فقد أمركم بذلك ربكم فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم وصلِّ وسلم على عبدك ورسوللك محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين. اللهم أعز الإسلامِ والمسلمين واحم حوزة الدين.

الرفق والتيسير في التعامل

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، نشكره ولا نكفره، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل كتابَه بالحقِّ هدىً للناسِ ورحمةً وشفاءً لما في الصدورِ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمدَاً عبدُه ورسولُه.. دينُه رفقٌ ورحمةٌ وتيسيرٌ في جميعِ الأمورِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ النشورِ.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون: بعثَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ رحمةً وهدىٰ، وَسِع خُلُقُه الناسَ سهولةً ورفقاً، ونضَحَتْ يداه بالعطايا كرماً وجوداً، أبرُّهم قلباً، وأصدقُهم لهجةً، وأقربُهم رُحْماً.

وإن من أخصِّ خصائصه وأكرمِ سجاياه.. أن لازمته تلك الفضائلُ الزاكيةُ والأخلاقُ العاليةُ في أشدِّ الأوقاتِ وأحلكِ الظروفِ. شُجَّ رأسُه وكُسِرتْ رَبَاعيتُه في غزوةِ أحدٍ فقيل له في هذا الحالِ العصيبِ: ألا تدعوا على المشركين؟ فما هو إلا أن

تدفَّقَ رِفْقُه، وطغتْ رحمتُه. وفاضتْ طبيعتُه العاليةُ، وسجيتُه الكريمةُ بما يلتمسُ فيه العذرَ لهؤلاءِ فكان مما قال: «**اللهمَّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[1]. وفي مقامٍ آخرَ: «**إنما بعثتُ رحمةً ولم أُبعثْ لعَّاناً**»[2] وصدقَ اللهُ العظيمُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أيها المسلمون: إنها القلوبُ الكبيرةُ قلَّما تستجيشُها دوافعُ القسوةِ عن التعقلِ والحلمِ. إنها إلى العفوِ والصفحِ أقربُ منها إلى الانتقامِ والبطشِ.

ها هو نوحٌ عليه السلام ـ أبو الأنبياءِ ـ يقول في مجادلته لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣﴾ [الأعراف: ٦١ ـ ٦٣].

إنه جوابٌ ملؤه الرحمةُ والشفقةُ، والصدقُ في النصحِ، واللطفُ في الخطابِ.

وليسَ بعد طغيانِ فرعونَ من طغيانٍ وقد قال اللهُ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩٣ ـ ح٣٤٧٧)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (٣/ ٢٥٤ ـ ح٩٧٣)، والطبراني في الكبير(٦/ ١٢٠ ـ ح٥٦٩٤) وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح انظر المجمع (٦/ ١١٧) وله شاهد من حديث ابن مسعود عند أحمد (١/ ٣٨٠، ٤٢٧)،

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٧ ـ ح٩٩٥٢).

﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٤].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن الرجلَ العظيمَ كلَّما ارتفع إلى آفاقِ الكمالِ.. اتَّسعَ صدرُه، وامتدَّ حِلْمُه، وتطلَّبَ للناسِ الأعذارَ، والتمسَ لأغلاطِهم المسوغاتِ. وأخذَهم بالأرفقِ مَن حالِهم. أخرجَ البخاريُّ في صحيحِه من حديث أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: «بالَ أعرابيٌّ في المسجدِ فقام إليه الناسُ ليقعوا به، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: **«دَعُوه لا تُزْرموه**[1]**، وأَهرِيقوا على بولِه ذَنوُباً من ماءٍ ـ أي دلواً من ماء ـ فإنما بُعِثْتُم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين وسكِّنوا ولا تنفِّروا»**[2] زاد الترمذيُّ: ثم قال الأعرابيُّ: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحمْ معنا أحداً، فقال له النبيُّ ﷺ: **«لقد تحجرتْ واسعاً»**[3].

أولئك هم رسلُ اللهِ عليهم الصلاة والسلام عنوانُ الرحمةِ والشفقةِ والقدوةِ في الصفحِ والمغفرةِ.

إن حقاً على المسلمين أن يستصحبوا الرفقَ واللينَ في الأمرِ كلِّه من غيرِ مداهنةٍ ولا مجاملةٍ. ومن غيرِ غَمْطٍ ولا ظُلمٍ.

إن على الأبِ الشفيقِ والأمِّ الرؤومِ، وإن على الأزواجِ وأصحابِ المسئولياتِ أن يرفُقُوا بمن تحتَ أيديهم، لا يأخذون

---

(١) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٤١ ـ ح٦١٢٨)، ومسلم (١/ ٢٣٦، ٢٣٧ ـ ح٢٨٤، ٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢ ـ ح٦٠١٠)، وأبوداود (١/ ١٠٣ ـ ح٣٨٠)، والترمذي (١/ ٢٧٦ ـ ح١٤٧).

إلا بحقٍ، ولا يدفعون إلا بالحسنىٰ، ولا يأمرون إلا بما يُستطاعُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: ٧].

ما كان الرفقُ في شيء إلا زانَه، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلا شانه، وإن الله يعطي على الرفقِ ما لا يعطِي على العُنفِ، بذلك صحَّت الأخبارُ عن الصادقِ المصدوقِ ﷺ.

أمةَ الرحمةِ والهدى: إن العقلَ والحكمةَ والمعرفةَ بطبائع الأمورِ تقتضي تَقَبُّلَ الميسورِ من أخلاقِ الناس، والرضا بالظاهرِ من أحوالِهم، وعدمَ التقصي على سرائرِهم، أو تتبعَ دخائِلهم، كما تقتضي قبولَ أعذارِهم، والغضَّ عن هفواتِهم، وحملَهم على السلامةِ وحسنِ النيةِ. إذا وقعتْ هفوةٌ أو حصلتْ زلة فليس من الأدبِ وليس من الخُلُقِ الحسنِ المسارعةُ إلى هتكِها والتعجلُ في كشفِها فضلاً عن التحدُّثِ بها وإفشائِها.

بل لقد قيل: اجتهدوا في سترِ العصاةِ فإن ظهورَ معاصيهم عيبٌ في أهلِ الإسلامِ.

كيف يسوغُ لمسلم أن يتشاغلَ بالبحثِ عن العيوبِ ورجمِ الناس بها؟ بل لعله قدْ يُخفِي ما يعلمُ من صالحِ القولِ والعملِ.

هل وظيفةُ المسلم أن يلوكَ أخطاءً الناس ويتتبعَ عثراتِهم، ويعمىٰ أن يرىٰ حسناتِهم، وكأنه لا يعرفُ ولا يَرىٰ إلا كفَّةَ السيئاتِ؟ أليس في عيوبِه ما يَشْغلُه عن عيوبِ الناسِ؟!.

أيها المؤمنون: إن المسلمَ الناصحَ شفوقٌ بإخوانِه، رفيقٌ بهم، يحبُّ لهم الخيرَ كما يحبه لنفسِه، ويجتهدُ لهم في النصحِ كما يجتهدُ لنفسه.

أما الفظُّ القاسي صاحبُ القلبِ الغليظِ.. فقد قضتْ سنةُ الله.. نفرةَ الناس منه، فلا تُقْبلُ منه دعوةٌ، ولا يسمعُ منه توجيهٌ، ولا يرتاحُ له جليسٌ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعلى قدرِ ما يُمسكُ الإنسانُ نفسَه، ويكظِمُ غيظَه، ويملِكُ لسانَه تَعْظُم منزلتُه عند اللهِ وعند الناسِ.

وعلى قدرِ ما يتجاوزُ عن الهفواتِ، ويُقيلُ من العثراتِ.. تدومُ مودتُه ويأنَسُ الناسُ به. إنكم لن تَسَعوا الناسَ بأموالِكم ولكن تسعوهم بأخلاقِكم. يَسعُهم منكم بسطُ المحيا وطلاقةُ الوجهِ.

إن المخلصَ في المودةِ الصادقَ في المحبةِ لا يري لنفسه فضلاً على غيرِه، ولا يكونُ عوناً للشيطانِ على صاحبِه. رُوي أن أباالدرداءِ رضي اللهُ عنه مرَّ على رجلٍ قد أصابَ ذنباً والناسُ يسبُّونه فقال: أرأيتُم لو وجدتموه في قَليبٍ - أي في بئرٍ - ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبُّوا أخاكم، واحمدوا اللهَ الذي عافاكم.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله وأَجِلُّوا أقرانكم، واحترموا زملاءكم وارحموا إخوانكم. واعرفوا لأهلِ الفضلِ فضلَهم، وغُضُّوا عن المقصرين، والقلوبُ مجبولةٌ على حبِّ من أحسنَ إليها وتودَّد إليها. فاعفوا واصفحوا ألا تحبونَ أن يغفرَ الله لكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٦].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الرفق والتيسير في التعامل

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جعلَ لكلِّ شيءٍ قدْراً، وأحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبراً، وأسبلَ على خلقِه بلطفِه رحمةً وسِتراً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن القسوةَ في القلوبِ، والغِلَظَ في الإخلاقِ قد تكون في الإنسانِ دليلاً على نقصٍ كبيرٍ، كما أنها في تاريخِ الأممِ قد تكون علائمِ فسادٍ خطيرٍ. فلا عجَبَ أن حذَّر منها القرآنُ الكريمُ واعتبرها علةَ الفسقِ عن أمرِ الله، وسرِّ الشرودِ عن صراطِه المستقيم يقول سبحانه: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

أما إذا زادَ الإيمانُ في القلبِ وعُمِرَت النفسُ بذكرِ اللهِ.. ازدادت السماحةُ وازدادَ الحلمُ، واتسعَ الصدرُ للناس، فلا يقابَلُ الجاهلُ بمثلِ جهلِه ولكنه قولٌ سلامٌ وإعراضٌ عن اللغو ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

فاتقوا اللهَ ربَّكم وخذوا بأحسنِ الأخلاقِ، وأخلصوا في القولِ والعملِ، وتواصوا بالصبرِ وتواصوا بالمرحمةِ.

الابتلاءات في الدنيا

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ مزيلِ الهمِّ، وكاشفِ الغمِّ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، فهو مولى النعمِ، وصارفُ النِّقَمَ.

وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، ذو الشرفِ الأسنىٰ والخُلقِ الأعظمِ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وباركَ وسلَّم.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: شرُّ ما مُنِيَتْ به النفوسُ يأسٌ يُميتُ القلوبَ، وقُنوطٌ تُظلمُ به الدنيا وتتحطَّمُ معه الآمالُ.

إن في هذه الدنيا مصائبَ ورزايا ومحناً وبلايا، آلامٌ تضيقُ بها النفوسُ، ومزعجاتٌ تورثُ الخوفَ والجزعَ. كم ترىٰ من شاكي. وكم تسمعُ من لوام. يشكو علةً وسقَماً، أو حاجةً وفقراً. متبرمٌ من زوجِه وولدِه، لَوامٌ لأهلِه وعشيرتِه. تَرىٰ مَنْ كسَدَت تجارتُه وبارتْ صناعتُه، وآخرُ قد ضاعَ جهدُه ولم يُدْرِكْ مرامَه.

إن من العجائبِ أيها المؤمنون: أن ترى أشباهَ رجالٍ قد اتُخمَتْ بطونُها شِبعاً ورِيّاً، وترىٰ أولي عزمٍ ينامون على

الطَّوىٰ[1]. إن فيها من يتعاظمُ ويتعالىٰ حتى يتطاولَ على مقامِ الربوبيةِ والألوهيةِ، وفيها من يستشهدون دفاعاً عن الحقِّ وأهلِ الحقِّ.

تلك هي الدنيا، تُضحِكُ وتُبكي، وتَجْمعَ وتشتِتِ. شدةٌ ورخاءٌ، وسراءٌ وضراءٌ. دارُ غرورٍ لمن اغترَّ بها، وهي عبرةٌ لمن اعتبرَ بها. إنها دارُ صدقٍ لمن صدَقَها، وميدانُ عملٍ لمن عَملَ فيها ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣].

تتنوعُ فيها الابتلاءاتُ وألوانُ الفتنِ، ويُبتلىٰ أهلُها بالمتضاداتِ والمتباياتِ ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ولكنْ إذا استحكمتْ الأزماتُ، وترادفتْ الضوائقُ، فلا مخرجَ إلا بالإيمانِ باللهِ، والتوكلِ عليه، وحسنِ الصبرِ. ذلك هو النورُ العاصمُ من التخبطِ، وهو الدرعُ الواقي من اليأسِ والقنوطِ.

إن مَنْ آمن بالله، وعرفَ حقيقةَ دنياه؛ وطَّنَ نفسَه على احتمالِ المكارهِ وواجَه الأعباءَ مهما ثَقُلَتْ، وحَسُنَ ظنُّه بربِّه، وأمَّل فيه جميلَ العواقبِ وكريمَ العوائدِ. كل ذلك بقلبٍ لا تشوبه ريبةٌ، ونفسٌ لا تُزعزعها كربةٌ، مستيقناً أن بوادرَ الصفوِ لابدَّ آتيةٌ ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

إن أثقَال الحياةِ وشواغلَها لا يُطيقُ حَمْلَها الضعافُ المهازيلُ.

---

(١) الطوى: الجوع.

لا ينَهضُ بأعبائِها إلا العمالقةُ الصبَّارُون أولو العزمِ من الناسِ.. أصحابُ الهممِ العاليةِ.

«أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ يُبتلىٰ المرءُ على حسب دينِه»[1] حديثٌ أخرجَه الترمذيُّ وغيرُه، وقال الترمذيُّ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وأخرجَ أحمدُ وأبويعلى في مسندَيهما والطبرانيُّ في الكبيرِ والأوسطِ من معاجمه عن رسولِ الله ﷺ قال: **«إن العبدَ إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ فلم يَبلُغْها بعملٍ.. ابتلاه اللهُ في جَسَده أو مالِه أو ولدِه ثم صبرَ على ذلك.. حتى يبلغَ المنزلةَ التي سبقت لَه من اللهِ عزَّ وجلَّ»**[2].

أيها المؤمنون: كم من محنةٍ في طيها مِنَحٌ ورحَمَاتٌ. ها هو يعقوبُ بن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهم السلام يضربُ المثلَ في الرضا عن مولاه والصبرِ على ما يلقاه صبراً جميلاً، بعدَه صبرٌ أجملُ مع الأخذِ بالأسبابِ والقوةِ في الأملِ يقولُ لأبنائِه في حالِه الأولى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٠ ـ ح٢٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٢ ـ ح٧٤٨١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٤ ـ ح٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٧٤).

(٢) أخرجه أبودواد (٣/ ١٨٣ ـ ح٣٠٩٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣١٨ ـ ح٨٠١)، وأبويعلى في مسنده (١٠/ ٤٨٢، ٤٨٣ ـ ح٦٠٩٥)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (٧/ ١٦٩ ـ ح٢٩٠٨).

ثم يقولُ في الحال الثاني وهو أعظمُ أملاً، وبربِّه أكثرُ تعلقاً؛ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣].

كلُّ ذلك من هذا الشيخ الكبيرِ صاحبِ القلبِ الوجيعِ، ثم يقول: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

ويقينه وقوةِ رجائه أن أمرَ أبناءه ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

إن المؤمنَ الواثقَ لا يفقدُ صفاءَ العقيدةِ ونورَ الإيمان.. إن هو فقدَ من صافياتِ الدنيا ما فقدَ.

أما الإنسانُ الجزوعُ فإن له من سوءِ الطبعِ ما ينفره من الصبرِ، ويضِّيقُ عليه مسالكَ الفرجِ إذا نزلتْ به نازلةٌ أو حلَّتْ به كارثةٌ.. ضاقتْ عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ، وتعجَّلَ في الخروجِ متعلقاً بما لا يضرُّهُ ولا ينفعُهُ.

إن ضعفَ اليقينِ عند هؤلاءِ يصدُّهم عن الحقِّ ويُضِلُّهم عن الجادةِ، فيخضَعون ويَذِلُّون لغيرِ ربِّ الأربابِ ومسببِّ الأسبابِ، يتملقونَ العبيدَ ويتقلبونَ في أنوعِ الملقِ ويَكيلونَ من المديحِ والثناءِ ما يعلمونَ من أنفسِهم أنهم فيه كذبةٌ أفاكون، بل قد يرقىَ بهم تملُّقُهم المقيتُ أن يطعنوا في الآخرين ويقعوا في البُرآءِ من المسلمين. إن أيَّ مخلوقٍ مهما بلغَ من عزٍّ أو منزلةٍ فلن يستطيعَ قطعَ رزقٍ، أو ردَّ مقدورٍ، أو انتقاصاً من أجلٍ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ

رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ.. ﴾ [الروم: ٤٠].

وفي حديثٍ عن أبي سعيدٍ مرفوعاً: «**إن من ضعفِ اليقين أن تُرضي الناسَ بسخطِ اللهِ، وأن تحمدَهم على رزقِ اللهِ، وأن تذمَّهم على ما لم يؤتكِ الله، إن رزقَ اللهِ لا يجرُّه حرصُ حريصٍ ولا تردُّه كراهيةُ كارهٍ، وإن اللهُ بحكمتِه جعلَ الرَوْح والفرحَ في الرضىٰ واليقين، وجعل الهمَّ والحزَنَ في الشكِ والسخطِ**»[1].

إن من فقدَ الثقةَ بربِّه اضطربتْ نفسُه، وساءَ ظنِّه، وكثرُتْ همومُه، وضاقتْ عليه المسالكُ، وعجَزَ عن تحمُّلِ الشدائدِ، فلا ينظرُ إلا إلى مستقبلٍ أسودَ، ولا يترقبُ ألا الأملَ المظلمَ.

أيها الإخوةُ في الله: هذه هي حالُ الدنيا، وذلك هو مسلكُ الفريقينِ، فعلام الطمعُ والهلعُ؟ ولماذ الضجرُ والجزعُ؟!.

أيها المسلمُ: لا تتعلقْ بما لا يمكنُ الوصولُ إليه، ولا تحتقرْ من أظهرَ اللهُ فضلَك عليه، واستيقنْ أن اللهَ هو العالمُ بشئونِ خلقِه، يُعزُّ من يشاءُ ويُذلُّ من يشاء. يخفضُ ويرفعُ، ويعطي ويمنعُ، هو أغنىٰ وأقنىٰ، وهو أضحكَ وأبكىٰ، وهو أماتَ وأحيا.

إن المؤمنَ لا تُبْطِره نعمةٌ، ولا تُجْزِعه شدةٌ.

«إن أمرَ المؤمنِ كلَّه خيرٌ، إن أصابتْه سراءُ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابتْه ضراءُ صبرَ فكان خيراً له، ولا يكونُ ذلك إلا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠٦/٥) واسناده ساقط فيه محمد بن مروان السدي متهم بالوضع.

لمؤمنٍ»[1]، بهذا صحَّ الخبرُ عن المصطفىٰ ﷺ.

فاتقوا الله يرحمُكُم اللهُ واصبروا، واثبُتوا، وأَمِّلُوا، واكْلَفُوا من العملِ ما تطيقون، ولا تطغيَّنكمُ الصحةُ والثراءُ، والعزةُ والرخاءُ، ولا تضعفنَّكم الأحداثُ والشدائدُ ففرجُ الله آتٍ ورحمتِه قريبٌ من المحسنين.

اللهمَّ إنا نعوذ بك من جَهْد البلاءِ، ودَرَكِ الشقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ، ونسألك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، والقصدَ في الفقرِ والغنىٰ. وأحسنْ اللهمَّ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجرْنا من خزيِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾

[فاطر: ٢ ـ ٣].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه. إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٩٥ ـ ح٢٩٩٩).

الابتلاءات في الدنيا

الخطبة الثانية

الحمدُ لله جعلَ لكلِّ شيء قَدْراً، وأحاطَ بكلِّ شيء خُبرا، أحمده سبحانه وأشكره فنِعمُه علينا تترىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خُص بالمعجزاتِ الكبرى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا «أن عِظَم الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وأن اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم فمن رضيَ فله الرضىٰ، ومن سخِطَ فعليه السخَطُ»[1]، «وإذا أرادَ الله بعبدِه الخيرَ عجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشرَّ أمسك عنه بذنبِه حتى يُوافيَ به يومَ القيامةِ»[2]. بهذا جاءتْ الأخبارُ عن المصطفىٰ المختارِ ﷺ.

الابتلاءاتُ في هذه الدنيا مكفراتٌ للذنوبِ.. حاطةٌ للخطايا، تقتضي معرفتُها الإنابةَ إلى اللهِ، والإعراضَ عن خلقِه. وهي رحمةٌ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥١٩ ـ ٢٣٩٦)، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٣٣٨ ـ ح٤٠٣١)، وأحمد (٥/٤٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٥١٩ ـ ح٢٣٩٦)، وقال: حديث حسن غريب.

وهُدىٰ وصلواتٌ من المولىٰ الكريم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧].

فاتقوا الله ربَّكم وأحسنوا الظنَّ به، وأمِّلوا فيما عنده، واعملوا صالحاً، ثم صلوا وسلموا على البشير النذير.

من دروس الهجرة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وحدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جنده، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ.. صبرَ وصابَر، وجاهدَ وهاجر، حتى ارتفعتْ أعلامُ الدينِ وحقَّ القولُ على الكافرين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وبادروا بالأعمالِ الصالحةِ، فالأعمارُ سريعةُ الذهابِ.. أيامٌ وشهورٌ، وأعوامٌ سريعةُ المرورِ.

عبادَ اللهِ ها أنتم في مقتبلِ عامٍ هجريٍّ جديدٍ، جعله اللهُ عامَ خيرٍ وبركةٍ وأمنٍ وأمانٍ، وجمعَ فيه كلمةَ المسلمين على الحقِّ، وأعزَّ الإسلامِ وأهلَه، يُستعذَبُ فيه الحديثُ عن السيرةِ النبويةِ والهجرةِ المحمديةِ.

إن سيرةَ محمدٍ ﷺ بكلِّ ما فيها من مواقفَ ووقائعَ، محلٌ لكلِّ تأَملٌ، وحقٌ لكلِّ تدبُّرٍ. تأملٌ يحركُ القلوبَ، ويستثيرُ الهممَ، ويقودُ إلى العملِ، تدبرٌ يزيدُ في الإيمانِ، ويُزكِّي الخلقَ، ويقوِّمُ المسيرةَ.

ليستْ السيرةُ قصةً تُتلىٰ في مناسباتٍ، ولا هِيَ بابتداعِ صلواتٍ وتسبيحاتٍ من غيرِ نظرٍ في دليلٍ ولا أثرٍ، ليست تأليفَ مدائحَ، وصياغةَ نعوتٍ تقودُ إلى غلوٍ ممنوعٍ. إن الرباطَ بالمصطفىٰ ﷺ أقوىٰ وأعمقُ وأوثقُ من هذه الروابطِ الملفّقةِ.

وإن البصيرَ بمسيرةِ الأمةِ أيها الإخوة يدركُ أن المسلمين ما جنحوا إلى هذه التعبيراتِ، وركنوا إلى تلك الأساليب إلا حين تركوا اللُّبابَ، وأعياهم حِمْلُ المسئوليةِ، وأثقلَهم عِظَمُ الأمانة، فاكتفوا بالخفيفِ من المظاهرِ والرسومِ.

إن الحبَّ الصادقَ للحبيبِ محمدٍ ﷺ والتفانيَ المطلوبَ في الإقتداءِ يستدعي العزماتِ الصادقةِ في الاستمساك بالأصولِ والتعلقَ بالحقائقِ، وإصلاحَ كلِّ الشأنِ على سننِ النبيِّ ﷺ وهديه.. علماً وعملاً، عبادة وسلوكاً، حرباً وسلماً.

إن الحبَّ رخيصٌ حين يكون زَعماً وكلاماً، ولكنه غالٍ حين يكونُ عَملاً وإقداماً ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

أيها الإخوةُ في الله: إن الهجرةَ أحدُ المواقفِ العظيمةِ في هذه السيرةِ المباركةِ، وإن لها لَخَبراً، وإن فيها لعِبَرا، والمقامُ ليسَ مقامَ استيعابٍ في السردِ، ولا هو بالوقوفِ عند كلِّ عبرةٍ.

غير أن ما يؤكِّدُه درسُ الهجرةِ: أن الدينَ هو السياجُ الحامي لكلِّ حقٍ في الأنفس والأموالِ والأرضِ والحريةِ والكرامةِ، إذا حُفظَ الدينُ حُفِظتْ النفسُ وحُفظَ المالُ، بصدقِ العقيدةِ تُحفَظُ الأرضُ ويحفظُ الأهلُ.

أيها الإخوةُ: تُهجرُ الأوطانُ، ويُضحَّىٰ بالنفوسِ والمُهَجِ والثرواتِ من أجل الحفاظِ على الإيمانِ.

إن درسَ الهجرةِ ليؤكِّدُ بكلِّ وضوحٍ وجلاءٍ أن التفريطَ في العقيدةِ مآله هلاكُ النفوسِ وخرابُ الديارِ. إذا فُقِد الدينُ فلن يغنيَ من بعده وطنٌ ولا مالٌ ولا أرضٌ.

إن من سننِ اللهِ الثابتةِ أن القُوىٰ المعنويةَ هي الحافظةُ للقوىٰ الماديةِ. العقيدةُ والأخلاقُ والتربيةُ القويمةُ هي الوسائلُ الصحيحةُ للحصولِ على المكاسبِ العليا والحفاظِ عليها.

إن العبرةَ في الهجرةِ تُقرِّرُ أن الأمةُ الصحيحةَ في عقيدتِها.. الطاهرةَ في أخلاقِها.. المستقيمةَ في تربيتِها.. يغدو سلطانُها أكثرَ تماسكاً وأقوى منعةً وأطولَ بقاءً. وإن كانت مضطربةً في عقيدتِها فقيرةً في أخلاقِها منحرفةً في نُظُمِها ومبادئِها فإنها في طريقِ الاضمحلالِ تسيرُ، ومكتسباتُها نحوَ الزوالِ تنحدرُ.

إنَّ الهجرةَ ليست هروباً من واقعٍ، ولا نكوصاً عن مسئوليةٍ.. إنها في ذاتِها مشقةٌ وأذىٰ، ماذا بعد مفارقةِ الأهلِ والأوطانِ؟ الإخراجُ من الديارِ هو قرينُ القتلِ في كتابِ اللهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] والمصطفىٰ ﷺ يقولُ وهو يُخْرَجُ من مكةَ: «**واللهِ إنكِ لأحبُّ البقاعِ إلى اللهِ ولولا أني أُخْرجتُ منكِ ما خرجتُ..**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٧٩ ـ ح٣٩٢٥) وقال: حديث حسن غريب صحيح، والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٧٩ ـ ح٤٢٥٢، ٤٢٥٣، ٤٢٥٤)، وابن ماجه (٢/ ١٠٣٧ ـ ح٣١٠٨)، وأحمد (٤/ ٣٠٥)، والدارمي (٢/ ١٥٦ ـ ح٢٥١٣).

إن الهجرةَ في غايتِها فرارٌ بالدين، وتلمسٌ لطُرُقِ النصرِ، وأملٌ في حصولِ الفرجِ، وسعيٌ إليه.

أيها الإخوةُ في الله: ولقد تحقَّقَ مقصودُ الهجرةِ المباركةِ.. فلئن بذلَ المهاجرونَ رضوانُ اللهِ عليهم مع رسولِ اللهِ ﷺ ما بذلوا من تضحيةٍ وفداءٍ وهَجْرٍ للأهلِ والأوطانِ والأموالِ فقد قابلهم إخوانُهم الأنصارُ رضي الله عنهم بإيثارٍ منقطعِ النظيرِ لم يشهدْ له التاريخُ من مثيلٍ. أنصارٌ تبؤوا الدارَ والإيمانَ يحبون من هاجرَ إليهم ولا يجدون في صدورِهم حاجةً مما أُتوا ويؤثرون على أنفسِهم ولو كان بهم خصاصةٌ.

لقد برزتْ أخوةُ الإسلامِ وآثارُ الإيمانِ بين المهاجرين والأنصارِ عقيدةً وسلوكاً. أُخوَّةٌ تسامَتْ فوقَها كلُّ الأغراضِ والمادياتِ.. كانت برهاناً صادقاً على العقيدةِ الصافيةِ الخالصةِ.. وبدونِ رباطِ العقيدةِ لا يتمُّ تآخٍ، ولا تأتلفُ قلوبٌ، وطلبُ ذلك من غيرِ هذا الطريقِ وهمٌ وسرابٌ فهل يدركُ ذلك المسلمون؟؟.

بل ما هان المسلمون أفراداً وأُمماً إلا حين ضعُفتْ أواصرُ الإخوةِ بينهم. وتنكَّر أحدُهم لصاحبِه؛ بل لعلَّه أن يُنتقصَ أمامَه فلا ينتصرُ له. وهل كانت الذلةُ إلا من هذا التخاذلِ؟؟.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها الإخوةُ في اللهِ وإذا كانتْ هذه إلماحاتٍ لبعضِ دروسِ الهجرةِ وعِبَرِها.. تضحيةً وفداءاً وإيثاراً، فلتعلموا أن لكم إخوةً حلت بهم هذه الأيامَ كروبٌ ناءتْ بها كواهلُهم، ونزلتْ بهم كوارثُ دهمتْهم في ديارِهم ومنازِلهم. إنهم إخوانُكم في السوادانِ الشقيقِ، لقد حلَّ بهم ما علمتُم من جَراءِ

الأمطارِ والسيولِ، عضَّتْهم نوائبُ، وحلَّتْ بهم مصائبُ.

ولقد وجَّه إليكم النداءَ وليُّ أمرِ هذه البلادِ حفظه الله من بعد نداءِ أخوَّةِ الإسلام يستنهضُ هِمَمَكم، فبادرَ مسئولون، واستجابَ موسرون، فجادوا بما جادوا تقبَّلَ اللهُ منا ومنهم، ولازال إخوانُكم بحاجةٍ، فاعرفوا نعمَ اللهِ عليكم، وقدِّموا لأنفسكم من غير مَنٍّ ولا أذىٰ، فلقد أنعمَ الله عليكم نِعماً عظميةً وآلاءً جسيمةً أمناً وصحةً ورخاءً. أطعمكَم من جوعٍ وآمنكم من خوفٍ.

وقد جاء في الخبرِ: «**إن للهِ أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرِهم**»(١).

إن كروبَ الدنيا قد تُثْقِلُ الأعناقِ بل قد تدقُّها حتى يحارَ المكروبُ في أمرِه، ولكن يخففُ عنه الوطأةَ ويهوِّن عليه الشدةَ تضامنُ أخوتِه معه. فلا تتركوهم رحمكُم اللهُ يتجرعونَ غُصَص المحنِ والابتلاءاتِ. قفوا إلى جانبِهم وشدُّوا من أزرِهم.. احملوا العبءَ معهم: «**مثلُ المسلمين في توادِّهم وتعاطفِهم**

---

(١) أخرجه الهيثمي في كتاب مجمع الزوائد في زوائد المعجمين (٥/ ٢١١ ـ ح٢٩٣٩) وفي مجمع الزوائد قال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه محمد بن حسان السمتي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبوعثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٨/ ١٩٢). وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا انظر الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩١)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه انظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٤، ٢٦٥ ـ ح١٦٩٢).

وتراحمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمىٰ»[1]. تألُّمٌ يدفعُ الضوائقُ، ويرفعُ كابوسَ المحنةِ عن المعوزين، ويسعىٰ في سدِّ خَلةِ المحتاجين. فمن كان له فضلُ زادٍ فليعدْ به على من لا زادَ له، ومن كان له فضلُ ظهرٍ - أي مركوبٍ - فليعدْ به على من لا ظهرَ له، ولا تحقِروا من المعروفِ شيئاً، فمن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ عن مسلمٍ كُربةً فرجَ اللهُ عنه من كُرَبِ يومِ القيامةِ.

استفتحوا عامَكم بالمبادرةِ إلى الخيرات، والسعيِ في سَدِّ الخَلاتِ، تَقبَّلَ اللهُ منا ومنكم.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٦ - ١٧].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٤٥٢ - ح٦٠١١)، ومسلم (٤/١٩٩٩، ٢٠٠٠ - ح٢٥٨٥) واللفظ له.

من دروس الهجرة

الخطبة الثانية

الحمد لله شرحَ صدورَ المؤمنين لطاعتِه، وسهَّلَ لهم سُبُلَ الخيرِ، وأعانَ على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أنزل عليه الكتابَ واصطفاه لرسالتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجِه وسيرتِه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، فإن خيرَ الزادِ التقوىٰ، فما هي إلا أعمارٌ تُطوىٰ وآجالٌ تفنىٰ. كم من مؤملٍ قَعدَ به أملُه، وكم من مسوِّفٍ عاجلَه أجلُه. فاجتهدوا في العملِ، وأحسنوا إن اللهَ يحبُّ المحسنين.

واعلموا أن أمامَكم أياماً فاضلةً كان نبيُّكم محمدٌ ﷺ يخصُّها بصيامٍ ويحثُّ علي صيامِها. إنها يومُ عاشوراءُ ويومٌ قبله أو يومٌ بعده. يقول عبدُاللهِ بن عباس رضي الله عنهما: «ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يتحرىٰ صيامَ يوم فضَّلَه على غيرِه إلا هذا اليومَ يومَ عاشوراء»[1]. وتقولُ أمُّ المؤمنين حفصةُ رضي الله عنها: «أربعٌ لم

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٨٧ ـ ح٢٠٠٦)، ومسلم (٢/ ٧٩٧ ـ ح١١٣٢).

يكن يدَعَهنَّ النبيُّ ﷺ صيامَ يوم عاشوراءَ وعشرَ ذي الحجةِ وثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهر وركعتان قبلَ الفجرِ»[1] أخرجه النسائي.

ومن أرادَ صيامَ هذا اليوم فليصمْ يوماً قبله أو يوماً بعدَه لما صحَّ في الخبرِ عنه ﷺ: «**صوموا يومَ عاشوراءَ، خالفوا اليهودَ، وصوموا يوماً قبلَه ويوماً بعدَه**»[2] وفي رواية: «**أو يوماً بعده**»[3]. فبادروا بالأعمالِ الطيبةِ وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ أُعدتْ للمتقين.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٢٢٠ ـ ح٢٤١٦)، وأحمد (٦/ ٢٨٧)، وأبويعلى في مسنده (١٢/ ٤٦٩، ٤٧٦، ٤٧٧ ـ ح٧٠٤١، ٧٠٤٨، ٧٠٤٩)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (١٤/ ٣٣٢، ٣٣٣ ـ ح٦٤٢٢).

(٢) أخرجه البيهقي (٤/ ٢٨٧) وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار وفيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام. انظر مجمع الزوائد (٣/ ١٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٤١).

مسرىٰ الرسول وأطفال الانتفاضة

الخطبة الأولى

الحمدُ لله باركَ المسجدَ الأقصىٰ وما حولَه، وأقصىٰ من استقصىٰ عنه وأذلَّه. أحمدُه سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له من استهدىٰ بغيرِ هديه أعماه وأضلَّه، وفرَّق عليه شملَه. وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أسرىٰ به من المسجد الحرام إلى المسجدِ الأقصىٰ، وعُرِجَ به إلى السماءِ فرأى من آياتِ ربِّهَ ما رأىٰ، ما ضلَّ وما غوىٰ، وما نطقَ عن الهوىٰ. رفع ربُّه في العالمين ذكرَه فأعلاه وأَجلَّه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.. كانوا أشداءَ على الكفارِ وعلى المؤمنين أذلةً. والتابعين ومن تبعهم بإحسان. بدعوتِهم وجهادِهم تتحدُ الكلمةُ وتُحمىٰ الديارُ وترتفعُ أركانُ الملَّةِ.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: في ظلالِ العزةِ بلوغُ الأماني، وفي الدفاعِ عن حوزةِ الدين وحياضِ الإسلام المجدُ العالي، والحديثُ عن معجزاتِ المصطفىٰ ﷺ وأخبارِه تحبُّه النفوسُ المؤمنةُ، وتأنسُ به قلوبٌ بالإيمانِ مطمئنةٌ. انكشفتْ به الغمةُ، وانجلتْ به الظلمةُ، ودينُه عدلٌ ورحمةٌ.

ولكن هل يكفي الحديثُ والسردُ والتغني بالذكرِ العابرِ. لقد تشابكتْ بأمةِ الإسلام في هذه الأعصارِ حلقاتُ المحنِ، وتقاذفتْها أمواجُ الفتنِ، ليس لَها بغيرِ هذا الدين معتصمٌ، به عزُّها، وعليه تجتمعُ كلمتُها، ولن يكونَ لها ذكرٌ بغيره: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

في هذه الظروفِ والأجواءِ يتحدثُ الناسُ عن المعراجِ والإسراءِ، كيف يطيبُ الحديثُ عن هذه المعجزةِ الكبرىٰ والمسجدُ الأقصىٰ محلُّ الذكرىٰ ومسرىٰ الحبيبِ المصطفىٰ عثا فيه يهودُ، وعثوا في الأرضِ المباركةِ من حولِه هدماً وتخريباً وتقتيلاً وتشريداً؟؟ كيف يحلو الحديثَ وكأن المسلمينَ لم تنزل بهم نازلةٌ، ولم تبكِ فيهم باكيةٌ، ولم تُستَلبْ منهم مقدسات؟!.

أيها الإخوةُ في الله: لقد طغىٰ الصهاينةُ وعَثوا وداسوا ولوَّثوا.. العزةُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين، والذلُّ والصغارُ والمسكنةُ لمن غضِبَ اللهُ عليه ولعنَه وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَ الطاغوتَ، نقضةُ العهودِ والمواثيقِ، يحرفون الكِلَم عن مواضعِه. سماعون للكذبِ أكالونَ للسحتِ، ملعونون على ألسنةِ أنبياءِ الله ورسلِه، يريدون في الأرضِ علواً وفساداً، يوغِلون فيها عتواً واستكباراً. إستعْدَوا أممَ الأرضِ ولم يكن لهم فيما اغتصبوه من حقٍّ، ولكن تآمرُ قوىٰ الكفرِ على أمةِ الإسلامِ تجزئةً وتقسيماً وتفرقةً وتدميراً.

ولقد أكدتْ الأحداثُ وأثبتتْ الوقائعُ أنهم لا ينصاعونَ لمساوماتٍ، ولا يَصْدُقون في محادثاتٍ. الخيانةُ خُلُقُهم،

والكذبُ مطيتُهم، والدسائسُ في السراديبِ المظلمةِ مسلكُهم.

أيها المؤمنونَ: هذا حالٌ من الذكرىٰ.

ولكن في وَسَطِ المدلَهمِّ من هذه الخطوبِ، وفي خِضَمِّ المعاناةِ، ومن أعماقِ بحرِ التيهِ بَرَقتْ بارقةٌ من أملٍ، فشبتْ ناشئةٌ من أطفالٍ وشبابٍ، في إرادةٍ قويةٍ مصممةٍ، معتصمةٍ بالله مستهديه بهديه ـ بإذن الله ـ تتجاوزُ صعابَ الطريقِ في إعدادٍ متواصلٍ، واستعدادٍ متكاملٍ، تتشابكُ فيها السواعدُ، وتتحدُ فيها الكتائبُ. إنها انتفاضةُ الأقصىٰ والأرضِ المباركةِ مِنْ حولِه، ثباتٌ وصبرٌ، وقوةٌ وتحملٌ، وتمسكٌ بالثوابتِ، وإصرارٌ على النصرِ والشهادةِ من أجلِ قمعِ الباطلِ وقلعِه.

لقد أعادتْ سواعدُ الأطفالَ للقضيةِ أهميتَها، وأحيتْ الآمالَ في النصرِ واستعادةِ الحقِّ. ومن الابتلاءِ ما جلبَ عِزاً وخلَّدَ ذِكراً وكتبَ أجراً. يخرجُ الوليدُ ممسكاً بالحجارةِ فيقذفُ بيدِه الصغيرةِ مدرَّعةً أو سيارةً. وربَّ قذيفةٍ بحجرٍ خيرٌ من ألفِ قذيفةٍ من كلامٍ.

بأكُفِّهم الغضةِ دكّوا حصوناً وقطعوا جسوراً. إن العصيَّ في أيدي الشيوخِ والعجائزِ قاومتْ مدرعاتِ الطغاةِ وآلياتِ الغاصبين. ارتفعتْ بهم الرؤوسُ، واعتزتْ بهم النفوسُ. إنهم بتلك الحجارةِ صنعوا هذه الانتفاضةَ الجبارةِ، استعرتْ الصخورُ لهيباً يحرقُ الأعداءَ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر: ١٣].

إنها أحجارٌ كريمةٌ أنبتتْ كرامةً كثُرَ عطاؤُها، وتوالتْ

تضحياتُها، شهداءُ وجرحىٰ ومطرودون وأسرى. كان هذا الشبابُ الغضُّ حطبَها الجزلَ، وكان الجهادُ الحقُّ حاديَها المسموعَ، ولسوفَ يحترقُ الغزاةُ والأعداءُ في سعيرِها مادامتْ معتصمةً بربِّها مستمسكةً بدينِه.

أمةَ الإسلامِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها: وهذا حالٌ من الذكرىٰ آخرُ. لقد تبينَ لكلِّ ذي لبٍّ أن النزاعَ مع هؤلاءِ الصهاينةِ نزاعُ هويةٍ ومصيرٍ، وأوضحتْ الانتفاضةُ كما أوضحتْ قبلَها ومعها أفغانستانُ المسلمةُ أن الجهادَ هو السبيلُ الأقومُ والطريقُ الأمثلُ لأخذِ الحقِّ والاعترافِ به. وأيقن المسلمون أنَّ رايةَ الدينِ إذا ارتفعتْ تصاغرتْ أمامَها كلُّ رايةٍ.

إنَّ حقاً على أهلِ الإسلامِ أن تربيَهم التجاربُ والوقائعُ، وتصقلَهم الابتلاءاتُ والمحنُ. إن الأمرَ كلَّه للهِ، بيدِه مصائرُ الأمورِ، وكلُّ شيءٍ يجري في طريقِه المرسومِ حتى يبلغَ أجلَه المحتومَ، والموتُ أو القتلُ أمرٌ لا مفرَّ من ملاقاتِه في موعدٍ لا استقدامَ فيه ولا تأخيرَ، وكلُّ موعدٍ في هذه الدنيا قريبٌ، وكلُّ متاعٍ فيها قليلٌ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧ ـ ٧٨].

كيف يكون حالُ أهلِ الإسلامِ حين يرضىٰ بالقعودِ أولو الطولِ والمقدرةِ ممن يملكونَ وسائلَ الجهادِ والبذلِ. لا يذودونَ عن حُرمةٍ، ولا ينتصرون لكرامةٍ، ولا يستشعرون صَغاراً ولا ذِلةً. وإن وراء حبِّ الدعةِ وإيثارِ السلامةِ سقوطَ الهمةِ وذلةَ النفسِ،

وانحناءَ الهامةِ والتنكصَ عن المواجهةِ.

وكيف تحلوُ الحياةُ لمن يضيِّعُ ديارَه، وإذا ضاعَ الحِمىٰ ذهبتْ كلُّ التضحياتِ خسارةً.

وإنه لكثيرٌ أولئك الذين يتساقطون في الطريقِ الصاعدِ إلى الآفاقِ الكريمةِ.. يضعفُون لطولِ الطريقِ، ويجبنون عند لقاءِ العدوِّ، فيتخلفون عن ركبِ العزةِ، ويُخْلِدون إلى الأرضِ، ويرضون بالمطالبِ الرخيصةِ، يعيشون على هامشِ الحياةِ، وقد يظنون أنهم حققوا مطالبَ، أو نالوا منافعَ وهم لم يدفعوا الثمنَ الغالي.. أما الثمنُ القليلُ فلا يُشترىٰ به إلا النزرُ الرخيصُ ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

إن الكفاحَ في الطريقِ المملوءِ بالعقباتِ الكئودِ لدى ذي الجدِّ والكرامةِ ألذُّ وأجملُ من القعودِ والتخلفِ من أجلِ راحةٍ ذليلةٍ لا تليقُ بهمم الرجال.

أمةَ الجهادِ: هذا هو الحالُ وتلك هي الذكرىٰ.

فماذا جنى المسلمون من تركِ التناصرِ بالإسلامِ والأخذِ بعزائمِ الأمورِ؟ وماذا كسبوا من انحسارِهم في دعواتٍ إقليميةٍ ضيقةٍ وعنصريةٍ منتنةٍ؟ لقد ضاعوا وأضاعوا لا يجدون تجاوباً لقضاياهم العادلةِ، بل إنهم يرون إعراضاً عريضاً وتعتيماً مقيتاً، والأدهىٰ والأمرُّ أنهم يرون إجحافاً ووقوفاً مع الخصمِ وتغليباً لمصالحِ

إقليميةٍ محدودةٍ واعتباراتٍ عرقيةٍ جاهليةٍ. وفي كلِّ ذلك بعدٌ عن الولاءِ للهِ ولرسولِه ولدينِه. وتنكُّرٌ لأخوَّةِ الإسلامِ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [تبارك: ٢٠].

اللهم ربَّنا عزَّ جارُك وجلَّ ثناؤك وتقدَّست أسماؤك.. اللهم لا يُردُّ أمرُك، ولا يُهزمُ جندُك سبحانك وبحمدِك.. اللهم انصرْ جندَك وأيِّدْهم في فلسطينِ وأفغانستانَ وفي كلِّ مكان، اللهم آمن خوفَهم، وفُكَّ أسرَهم، ووحِّدْ صفوفَهم، وحقِّق آمالنا وآمالَهم، اللهم احفظْ دينَهم، وعقيدتَهم، ودماءَهم، وانصرْهم على عدوِّك وعدوِّهم.

اللهم فرِّج همَّ المهمومين، وفكَّ أسرَ المأسورين وكنْ للأراملِ واليتامىٰ والمساكين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين. اللهم هذا الدعاءُ ومنك الإجابةُ.

وأقول قولي هذا ـ وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه.. إنه هو الغفور الرحيم.

مسرىٰ الرسول وأطفال الانتفاضة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وعدَ المؤمنين الصادقين بالنصرِ والتمكينِ. أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. القويُّ المتين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليلُه، وأمينُه على وحيه، قامت به الحجةُ، وارتفعتْ به الملةُ، وبلغَ البلاغَ المبين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرِّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: على الرغم من ثبوتِ الإسراءِ والمعراجِ وشهرةِ ذلك في الكتابِ والسنةِ إلا أن تحديدَ وقتِ وقوعِه بالسنةِ أو الشهرِ أو اليومِ مما اختلف فيه أهلُ العلمِ ونقلةُ الأخبارِ والسيرِ اختلافاً كثيراً. وما كان هذا الاختلافُ على الرغمِ من شهرةِ الواقعةِ إلا لِما استقرَّ لدى الصحابةِ والسلفِ الصالحِ رضوانُ اللهُ عليهم من أن معرفةِ وقتِ حدوثِ مثلِ هذه الوقائعِ لا يترتبُ عليه

أمرٌ دينيٌ، إذ المقصودُ هو الاعتبارُ والتأسي، وهذا غيرٌ مرتبطٍ بزمنٍ.

فالمناسباتُ في تاريخِ الإسلامِ كثيرةٌ، وكلُّها أحداثٌ جِسامٌ، وانتصاراتٌ عظام، يفرحُ بها كلُّ مؤمنٍ، وينشرحُ لها صدرُ كلِّ مسلمٍ من البعثةِ والهجرةِ والفتحِ، والغزواتِ الفاصلةِ في تاريخِ الإسلامِ كلِّه، في عهدِ النبيِ ﷺ وعهودِ أئمةِ الهُدىٰ من بعدِه. ولم يكَنْ من السنةِ أن تُتَّخذَ عيداً يتحراه الناسُ ليفعلوا فيه ما يفعلونَه تقرباً وتعبداً من غيرِ دليلٍ. وقد وقفتْ القرونُ المفضلةُ المشهودُ لها بالخيريةِ عند هذه الحدِّ فلم تكنْ تَعْمَدُ إلى إحياءِ ذكرىٰ الحوادثِ الإسلاميةِ ولم تتخذْ من الأيامِ المفضلةِ أعياداً تخصُّها بتجمعٍ أو عبادةٍ من غيرِ دليلٍ ولا مستندٍ، ولا شك قطعاً أن الخيرَ فيما ذهبوا إليه، والصوابَ فيما وقفوا عنده، والاقتداءُ بهم فيه سلامةُ الدين يقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «. . .**إنه من يعشْ منكم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديِّين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[1] رواه أبوداودَ والترمذيُّ وغيرُهما من حديثِ العرباضِ بن ساريةَ.

فاتقوا اللهَ يرحمْكُم اللهُ، وسيروا على ما سارَ عليه النهجُ الأولُ، فلن يَصْلُحَ آخرُ هذه الأمةِ إلا بما صَلَح به أولُها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣ ـ ح٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٤/ ٢٠٠، ٢٠١ ـ ح٤٦٠٧)، وابن ماجه (١/ ١٥، ١٦ ـ ح٤٢).

غزوة تبوك وواقع الأمة

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ، نحمده، نستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا. من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه، بلَّغ الرسالةَ وأدىٰ الأمانةَ ونصحَ الأمةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، فتقوىٰ اللهِ جِماعُ الخيراتِ، ومعدنُ البركاتِ.

عبادَ اللهِ: الحديثُ عن سيرةِ المصطفىٰ ﷺ حديثٌ تحبُّه النفوسُ المؤمنةُ وتأْنَسُ به قلوبٌ بالإيمانِ مطمئنةٌ، فحبُّه في شغافِ الأفئدةِ مغروسٌ، وتوقيرُه مشربةٌ به النفوسُ. بأبي هو وأمي ﷺ.

ولكن هل يكفي الحديثُ والسردُ، والتغنِّي بالذكرِ العابرِ؟ وهل يُجْدِي مثلُ هذا؟ وقد تشابَكتْ بأمةِ الإسلامِ في هذه الأعصارِ حلقاتٌ من المحنِ، وتقاذفتها أمواجٌ من الفتنِ. وصِيْحَ بهم من كلِّ جانبٍ، وتداعىٰ عليهم الأكَلَةُ. في هذه الظروفِ

يتحدَّثُ الناسُ عن الإسراءِ والمعراجِ.

والحديثُ عن المناسبةِ والنظرِ في واقعِ الأمةِ ـ أوضاعٌ عالميةٌ متلاحقةٌ ـ يقتضي التذكيرَ بواقعةٍ جهاديةٍ من وقائعِ العهدِ النبويِّ الميمون.. مواقفُ نبويةٌ في صحبٍ كرامٍ.. في قضايا الأمةِ المهمةِ. إنها إحدىٰ وقائعِ رجبٍ في السنةِ التاسعةِ من الهجرةِ، تلكم هي غزوةُ تبوكَ. غزوةُ القوةِ والبلاءِ والعسرةِ.

معاشرَ المسلمين: استقرَّ الإسلامُ في الجزيرةِ، فُتحتْ مكةُ، وانطلقتْ الأنوارُ من الجبالِ والصحاري، أخذتْ الأفواجُ تِلوَ الأفواجِ تدخلُ في دينِ اللهِ، وتلاشتْ الوثنيةُ في بلادِ العربِ. تلقىٰ أعداءُ اللهِ من الروم وغيرِهم أنباءَ تلك الانتصاراتِ وما كانوا عنها غافلين. ومن ثَمَّ صاروا يَجْمعون جُموعَهم، ويمكرون مكرَهم، ويدُسُّون دسائسَهم وما أشبَه الحالَ ـ أيها الإخوةُ ـ بمواقفِ المعاصرين من أعداءِ اللهِ من التوجهاتِ الإسلاميةِ المباركةِ.

لقد كان بداياتُ التحرشِ بدولةِ الإسلامِ الفتيةِ في واقعةِ مؤتةَ، والتي كان سببُها قتلَ مبعوثِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى عظيمِ بُصرىٰ. فقابلَ ثلاثةُ آلافٍ من المسلمين مائتي ألفٍ من الروم وأعوانِهم.

أيُّ عزةٍ هذه؟ وأيُّ قوةٍ تملأُ جوانحَ أتباعِ محمدٍ ﷺ ؟؟ إنها دولةُ الإسلامِ الناشئةُ تقفُ في وجهِ دولةِ الكفرِ مهما كانتْ عظَمَتُها.

إن مواجهةَ الأعداءِ لا يُشترَطُ فيها دائماً تكافؤُ القوىٰ الظاهريةِ بين المؤمنين وأعدائِهم. يكفي المؤمنينَ أن يُعِدُّوا ما استطاعوا من

القُوىٰ، وأن يثقوا باللهِ ثم يثبتُوا ويَصبروا. يقولُ عبدُاللهِ بنُ رواحةَ رضي الله عنه لأصحابِه في غزوةِ مؤتَة: «والله ما نقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ، وما نقاتلُهم إلا بهذا الدينِ الذي أكرمَنا اللهُ به. فانطلقوا فإنما هي إحدىٰ الحسنين: إما ظهورٌ ـ أي انتصارٌ ـ وإما شهادةٌ».

وإن لكم أيها المسلمون في جهادِ أفغانستانَ ضدَّ دولةٌ عظمىٰ لشاهداً حاضراً، وأقرَّ اللهُ الأعينَ بأطفالِ الحجارةِ[1].

أيها الإخوةُ: لم يكن الأعداءُ ليركَنوا إلى السكونِ، ولم يكونوا ليصرِفوا أنظارَهم عن دولةِ محمدٍ ﷺ، لقد أجمَعوا أمرَهم وشركاءَهم، وأعملوا مكرَهم ودسائسَهم.

يقولُ عمرُ رضي الله عنه: كنا نتخوفُ ملكاً من ملوكِ غسانَ ذُكر لنا أنه يريدُ أن يسيرَ إلينا. فقد امتلأتْ صدورنا منه. وفي لفظٍ: كنا نتحدثُ أن آلَ غسان تنتعلُ النعالَ لغزونا.

وقد كان الأنباطُ الذي يَقْدَمون إلى المدينةِ من الشام يبيعونَ الزيتَ وغيرَه يُحدِّثون أن هِرقلَ قد هيأ جيشاً عظيماً قوامُهَ أربعونَ ألف مقاتلٍ، وأجلَبَ معه قبائلَ من مُتنَصِّرَةِ العربِ ورَزَق جُندَه رَزْقَ سنةٍ أي صرفَ لهم مرتباتِ سنةٍ كاملةٍ.

هذه من أخبارِ مظاهرِ الاستعدادِ العسكريِّ.

أما المكرُ والدسائسُ فمنه ما انكشفَ من حالِ المنافقينَ ومسجدِ الضرارِ، وكرِ المؤامراتِ تفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً

---

(١) وهي المعروفة بالانتفاضة في الكفاح الفلسطيني.

لمن حاربَ اللهَ ورسولَه.

ومن الدسائسِ ما جاءَ في خبرِ كعبِ بن مالكٍ حين أمرَ النبيُّ ﷺ بهجرِه وهجرِ صاحبيه لما تخلَّفوا عن الغزوةِ، فقد جاء كعباً كتابٌ من ملكِ الروم يقول فيه: أما بعدُ فإنه قد بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، ولم يجعلْك اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالْحقْ بنا نواسِكَ. قال كعبٌ فعلمتُ أن هذا من البلاءِ، فتيممتُ التنورَ فسَجَرتُها.

أمةَ الإسلامِ: هذا هو دَيْدَنُ أعداءِ اللهِ في الغابرِ والحاضرِ في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكانٍ يتحسسونَ الانباءَ ويترصدون المداخلَ. وكم من أقدامٍ في مثلِ هذا قد زلَّتْ، وكم من رجالٍ في مثل هذه الأوحالِ قد انزلقتْ. أما كعبٌ فيمَّمها التنورَ وسَجَرَها، وكم في الأمةِ من مثلِ كعبٍ؟؟.

معاشرَ الإخوةُ: بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ تلك الاستعداداتُ والجموعُ فأمرَ بالخروجِ إليهم، ولم ينتظرْ حتى يُداهموا المدينةَ. فندبَ عليه الصلاةُ والسلامُ أصحابَه، وكان الوقتُ صيفاً بلغ فيه الحرُّ مداه، والناسُ في عُسْرٍ من العيشِ. وقد طابتْ ثمارُ المدينةِ، ولم يكنْ من عادتِه ﷺ إذا همَّ بغزوة إلا ورَّىٰ[1] بغيرِها إلا ما كان من هذه الغزوةِ، فقد أعلنها وبين وجهتَها ليتأهبُّوا أُهبتَهم ويأخذوا عُدَّتهم. فإنهم يستقبلون سفراً بعيداً ومفازاً شديداً وعدوَّاً كثيراً.

لقد كان فيها من مظاهرِ الابتلاءِ والامتحانِ ما كشف سوءاتِ المنافقين، وتجلَّىٰ به صدقُ الصادقين، وإيمانُ المؤمنين. تنزَّلتْ

---

(١) ورَّىٰ: من التورية وهي أن يذكر شيئاً يريد غيره.

في ذلك سورةٌ كاملةٌ من طِوَالِ السورِ تفضحُ المخلَّفين والقاعدين وتُشيدُ بجهادِ المجاهدينَ وفوزِ الطائعين.

لقد استجاب المؤمنون لنداءِ رسولِهم ﷺ، فجاء ذوو اليسارِ منهم بكثيرٍ مما عندهم، فعثمانُ رضي الله عنه جاءَ بثلاثمئةِ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها وبألفِ دينارٍ حتى قال رسولُ الله ﷺ: «**ما ضرَّ عثمان ما عملَ بعد اليوم**»(١).

وجاء أبوبكرٍ بمالِه كلِّه، وكان أربعةَ آلافِ درهم، وجاء عمرُ بنصفِ مالِه، وجاءَ عبدالرحمنِ بنُ عوفٍ بمئتي أوقيةٍ فضةً، وجاءَ العباسُ بمالٍ كثيرٍ، وتتابعَ الناسُ بصدقاتِهم قليلِها وكثيرِها حتى كان منهم من يأتي بالمدِّ والمدِّينِ من الطعام لا يستطيعُ غيرَها، وجاء النساءُ بما قدِرْن عليه من صدقاتٍ وحُليٍّ وخلاخلٍ وقُرُطٍ وخواتِمَ:

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

وكان نصيبُ المنافقين الاستهزاءَ واللمزَ ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

وجاءَ البكَّاءون من المؤمنين يطلبون من رسولِ الله ﷺ ظهوراً يركبونَها فقال لهم: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٨٥ ـ ح٣٧٠١) وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (٥/ ٦٣).

لقد عانىٰ المسلمون في هذه الرحلةِ جهوداً شاقةً، وأتعاباً جسيمةً حتى كان الثلاثةُ يتعاقبون على بعيرٍ واحدٍ.. أصابَهم عطشٌ شديدٌ حتى نحروا بعضَ إبلِهم ليشربوا مما في بطونِها وربما أكلوا أوراقَ الشجرِ حتى تورَّمتْ شفاهُهم.

روى الأمامُ أحمدُ في مسنده عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ: لما كانتْ غزوةُ تبوكَ أصابَ الناسَ مجاعةٌ فقالوا يا رسولَ اللهِ لو أذنتْ لنا فنحرنا نواضحَنا[1] فأكلْنا وادَّهنَّا فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**افعلوا**». فجاء عمرُ فقال يا رسولَ اللهِ: إنهم إنْ فعلوا قلَّ الظَّهرُ، ولكن ادعُهم بفضْلِ أزوادِهم، ثم ادعُ لهم بالبركةِ لعل اللهَ يجعلُ فيه ذلك. فدعا عليه الصلاةُ والسلامُ بِنِطْعٍ (أي بجلدٍ) فبسطَه، ثم دعاهم بفضلِ أزوادِهم فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكفٍّ من الذرةِ والآخرُ بكفِّ التمرِ والآخرُ بالكسرةِ حتى اجتمعَ على النِّطْعِ من ذلك شيءٌ يسيرٌ، ثم دعا عليه بالبركةِ ثم قال لهم: «**خذوا في أوعيتِكم**» قال فأخذوا في أوعيتِهم حتى ما تركوا من المعسكرِ وعاءً إلا ملأوا وأكلوا حتى شبِعوا وفَضَلَتْ منه فضلةٌ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أشهدُ ألا إله إلا اللهُ وأني رسولُ الله لا يَلْقىٰ اللهَ بها عبدٌ غيرُ شاكٍّ فتُحجبُ عنه الجنةُ**»[2].

ووصلَ النبيُّ ﷺ تبوكَ ومعه ثلاثون ألفاً من المسلمين ولكنَّه لم يلقَ كَيْداً، واندحرَ الرومُ إلى داخلِ ديارِهم وضربَ الجزيةَ على أهلِ تلكَ الديارِ، ثم رجعَ إلى المدينةِ فوصِلَ إليها في

---

(١) إي إبلنا.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٦ ـ ح٢٧)، وأحمد (٣/ ١١).

رمضانَ من السنةِ نفسِها.

تلك هي الغزوةُ ـ أيها الإخوةُ ـ والعِبَرُ فيها كثيرةٌ، والدروسُ منها عظيمةٌ.. والدرسُ الجامعُ في ذلك ـ والمسلمون يمرون بالظروفِ المعاصرةِ، والمتغيراتِ المتسارعةِ والدرسُ الجامعُ ـ أيها الإخوةُ ـ يكونُ من محرابِ الجهادِ.

من محرابِ الجهادِ تنطلقُ قوافلُ المجاهدين والشهداءِ، وبالجهادِ تُرَدُّ عادياتِ الطغيانِ فيكونَ الدينُ كلُّه للهِ.. جهادٌ بالمالِ، والنفسِ، وباللسانِ، والسِّنانِ، ويبقىٰ دينُ محمدٍ ﷺ مُصدِّقاً لما بين يديه من الحقِّ ومُهيمناً عليه.

كيف يكونُ حالُ أهلِ الإسلامِ حين يرضىٰ بالقعودِ أولو الطولِ والقادرون الذين يملكون وسائلَ الجهادِ والبذلِ؟ لا يذودون عن حرمةٍ، ولا ينتصرون لكرامةٍ، ولا يحسُّونَ بصَغَارٍ ولا ذلةٍ. كيف تحلوُ الحياةُ لمن يضيِّع ديارَه؟! ماذا جنى المسلمون من تركِ التناصرِ بالإسلامِ والأخذِ بعزائمِ الأمورِ؟ ماذا كَسَبوا من انحسارِهم في دعواتٍ إقليميةٍ ضيقةٍ وعنصريةٍ منتنةٍ؟! لقد ضاعوا وأضاعوا والعالمُ يَتَّحِدُ من حولِهم. ماذا يُرجىٰ من أمةٍ فتكتْ بها أمراضُ النفاقِ والدعاوىٰ الجوفاءِ، عِلَلُ التعاظمِ الأجوفِ بالظهورِ المزورِ؟؟ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [تبارك: ٢٠].

اللهم ربَّنا عزَّ جارُك وجلَّ ثناؤُك وتقدَّستْ أسماؤُك، اللهم لا يُردُّ أمرُك، ولا يُهزمُ جندُك، سبحانَك وبحمدِك، اللهمَّ انصرْ جندَك، وأيِّدهم في فلسطين وأفغانستانَ وفي كلِّ مكانٍ.

اللهمَّ آمنْ خوفَهم وفُكَّ أَسْرَهم ووحِّدْ صفوفَهم وحقِّقْ آمالَنا وآمالَهم، اللهم احفظْ دينَهم ودماءَهم، وانصرْهم على عدوك وعدوِّهم. اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين، وفُكَّ أسرَ المأسورين، وكنْ للأراملِ واليتامىٰ والمساكين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين، اللهم هذا الدعاءُ ومنك الإجابةُ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

غزوة تبوك وواقع الأمة

الخطبة الثانية

الحمد للهِ باركَ المسجدَ الأقصىٰ وما حولَه، وأقصىٰ من استقصىٰ عنه وأذلَّه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.. من استهدى بغير هديه أعماه وأضلَّه وفرَّقَ عليه شملَه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أَسرىٰ به من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصىٰ، فما ضلَّ وما غوىٰ وما نطقَ عن الهوىٰ.. رفَع ذِكْرَه وأعلاه وأجَلَّه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.. أشداءُ على الكفارِ وعلى المؤمنين أذلةٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.. بدعوتِهم وجهادِهم تتحدُ الكلمةُ، وتُحمىٰ الديارُ وترتفع أركانُ الملَّةِ.

أمابعـدُ:

لقد بذلَ الأعداءُ جُهدَهم لصرفِ هذه الأمةِ عن دينِها، فأبعدوا أهلَ الإسلامِ عن كلِّ طريقٍ جادٍّ، ونفخوا في القومياتِ الإقليميةِ والنعراتِ الجاهليةِ، وقطَّعوا حبالَ الأُخوةِ الجامعةِ، وسَعَوا في إضعافِ العقائدِ والفضائلِ، وأغرقوا الميادينَ بالشهواتِ والشبهاتِ.

وما كانتْ قبلةُ المسلمين واحدةً إلا ليكون التوجُه كلُّه واحداً،

وما ارتفع الأذانُ من المآذنِ إلا ليرتفعَ صوتُ الحقِّ.

إن نكبةَ الأخِ امتحانٌ لمروءةِ أخيه، ومحنةَ شعبٍ من شعوبِ المسلمين امتحانٌ لضمائرِ المسلمين جميعاً: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٥٧].

وما يتسلَّلُ العدوُّ إلا من خلالِ الصفوفِ المنافقةِ، ولا يكون عَدْوىٰ الضعفِ والخبالِ والتفرقةِ إلا من قبلِ أصحابِ المسالكِ الملتويةِ ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وأَجْمِعُوا أمرَكم، وتفقَّدوا إخوانِكم، فلئنْ كان الأسلافُ فتحوا الأقاليمَ والممالكَ فافتحوا أيديكم بالسخاءِ والبذلِ للمحتاجينَ من إخوانِكم في فلسطين وأفغانستانَ وكلِّ محتاجٍ.

موقـف صـدق

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ العزيزِ الغفارِ، مُقلِّبِ القلوبِ والأبصارِ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، نعمُه تَتْرىٰ وفضلُه مدرارٌ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رفعَ الأغلالَ والآصارَ، وكشفَ بإذن ربِّه غشاوة البصائرِ، وقذىٰ الأبصارِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه المصطَفَيْنَ الأخيارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وعظِّموا أمرَه واجتنبوا نهيَه.

أيها الإخوةُ: إن في الكتبِ لخَبَرا، وإن في السِّيَرِ لعِبَرا. قصةٌ من قَصَصِ المصطفىٰ ﷺ، موقفُ صدقٍ من مواقفِ الصَّحبِ البررةِ. قلمُ الكاتبِ ولسانُ الخطيبِ مهما أوتيا من براعةٍ أو حاولا من بلاغةٍ عاجزان عن وصفِ تلك الحادثةِ في محنتِها وابتلاءَاتِها، في صدقِ رجالِها، وإيمانِ أصحابِها. فيها ابتلاءُ هجرِ الأقربين، وبلاءُ تزلُّفِ المناوئين. قصةٌ كلُّها عِبرٌ وعَبَرات.. مواقفُ الصدقِ والصبرِ في صحبِ محمدٍ ﷺ مثالُ المتانةِ في البناءِ والصفاءِ في العنصُرِ، وأنموذجُ الصدقِ في اللهجةِ، والإخلاصِ في الطاعةِ،

والقدوةِ في الصبرِ على البلاءِ، والشكرِ على السراءِ. إنها قصةُ الثلاثةِ الذين خُلِّفوا في غزوةِ تبوكَ حينَ ضاقتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ وضاقتْ عليهم أنفسُهم.

آياتٌ وأحداثٌ تذرِفُ منها الدموعُ، وتخشعُ لها القلوبُ. كان الأمامُ أحمدُ رحمه اللهُ لا يُبكيه شيءٌ من القرآنِ كما تُبكيه هذه الآياتُ، وحديثُ كعبِ بن مالكٍ في تفصيلِ أخبارِها.

أيها المسلمون: استنفرَ النبيُّ ﷺ المسلمين لملاقاةِ بني الأصفرِ حين بَلَغَه إعدادُهم للعدوانِ على أهلِ الإسلامِ. إنها دولةُ الرومِ ـ إحدىٰ أعظمِ دولتين في زمنِها ـ حين أحسَّتْ بعلوِّ شأنِ الإسلامِ في الجزيرةِ منبثقاً من بين جبالِها، منطلقاً من صَحاراها، فُتحتْ مكةُ فأخذتْ الأفواجُ تلوَ الأفواجِ تدخلُ في دينِ اللهِ، فتحرَّكت الرومُ بعسكرِها وفكرِها ودسائسِها.

استنفرَ النبيُّ ﷺ الأصحابَ، فكان التهيؤُ في أيامٍ قائظةٍ، وظروفٍ قاسيةٍ.. في جهدِ مضنٍ، ونفقاتٍ باهظةٍ. إنه جيشُ العسرةِ، وإنها لغزوةُ العسرةِ.

وصْفُها في كتابِ اللهِ استغرقَ آياتٍ طِوالاً.. في أنباءِ الطائعينَ والمثبِّطين، والمخلِصين والقاعدين. يجيءُ المعذِّروه ليؤذنَ لهم، ويتولَّى البكاءونَ بفيضِ دموعِهم حزَناً ألاَّ يجدوا ما ينفقون.

اسمعوا رحمكم اللهُ إلى الوصفِ الصادقِ الدقيقِ لقصةِ الخطيئةِ والتوبةِ من كعبِ بن مالكٍ أحدِ الثلاثةِ، رضوان اللهُ عليهم وعلى الصحابةِ أجمعين.

والقصةُ مُثْبَتةٌ في الصحيحين وغيرِهما[1]. يقولُ كعبُ بن مالكٍ رضي الله عنه: «وكان من خبري حينَ تخلَّفتُ عن رسولِ اللهِ ﷺ في غزوةِ تبوكَ أنِّي لم أكنْ قطُّ أقوىٰ ولا أيسرَ منِّي حين تخلَّفتُ عنه في تلك الغزوةِ. واللهِ ما جمعتُ قبلَها راحلتين قطُّ حتى جمعتُهما في تلك الغزوةِ. ولم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يريدُ غزوةً إلا ورَّىٰ بغيرِها حتى كانتْ تلك الغزوةِ فغزَاها رسولُ اللهِ ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبلَ سَفراً بعيداً ومفازاً، واستقبلَ عدداً كثيراً، فجلَّىٰ للمسلمين أمرَهم ليتأهبُّوا أهبةَ غزوِهم، فأخبرَهم بوَجْهِهم الذي يريد، والمسلمون مع رسولِ اللهِ كثيرٌ.. فقلَّ رجلٌ يريدُ أن يتغيبَ إلا ظنَّ أن ذلك سيخفىٰ ما لم ينزلْ فيه وحيٌ من اللهِ. وغزا رسولُ اللهِ ﷺ تلك الغزوةَ حين طابتْ الثمارُ والظلالُ فأنا أصَعْرُ ـ أي أمْيلُ وأرْغبُ ـ فتجهَّزَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمون معه، وطفقتُ أغدو لكي أتجهَّزَ معه فأرجعُ ولم أقضِ شيئاً.. فلم يزلْ ذلك يتمادىٰ بي حتى أسرعُوا وتفارَطَ الغزوُ، فهممتُ أن أرتحلَ فأُدْرِكُهم فياليتي فعلتُ».

أيها الإخوةُ: ويأخذُ الندمُ من كعبٍ مأخذَه، وتبلغُ المحاسبةُ مبلغَها فتراه يقول: «فطفقْتُ إذا خرجتُ في الناسِ بعد خروجِ رسولِ اللهِ ﷺ يُحزنُني أني لا أرىٰ لي أسوةً إلا رَجلاً مغموصاً عليه في النفاقِ أو رجلاً ممن عذرَ اللهُ تعالىٰ في الضعفاءِ».

يستمرُّ رضي اللهُ عنه في سردِ القصةِ حتى قالَ: «... فلما

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٧١٧ ـ ح٤٤١٨)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠، ٢١٢١، ٢١٢٢ ـ ح٢٧٦٩).

بلغني أن رسولَ اللهِ ﷺ قد توجه قافلاً من تبوكَ حضرني بَثِّي ـ أي شدةُ الحزنِ ـ فَطَفِقْتُ أتذكرُ الكذبَ وأقولُ: بم أخرج من سخطِه غداً؟ وأستعينُ على ذلك بكلِّ ذي رأي من أهلي. فلما قيلَ إن رسولَ اللهِ ﷺ قد أَظلَّ قادماً راحَ عني الباطلُ حتى عرفتُ أني لم أنجُ منه بشيءٍ أبداً فأجمعتُ صِدْقَه».

وقدمَ رسولُ اللهِ ﷺ وجاءه المخلفون بأعذارِهم فقبِلَ منهم، ووَكَلَ سرائرَهم إلى اللهِ. قال كعبٌ: «حتى جئتُ فلما سلمتُ تَبَسَّمَ تَبسُّمَ المغضبِ، ثم قال: «تعالَ»، فجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه فقال لي: «**ما خَلَّفك؟ ألم تكنْ قد ابتعتَ ظهراً ـ أي اشتريتَ مركوباً؟**» قال: قلتُ: يا رسولُ اللهِ إني لو جلستُ عند غيرِك من أهلِ الدنيا لرأيتُ أني سأخرجُ من سخطِه بعذرٍ؛ لقد أُعطيتُ جدَلاً، ولكنني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليومَ حديثَ كذبٍ ترضى به عني ليوشكنَّ اللهُ يُسخِطُك عليَّ، وإن حدثْتُك حديثَ صدقٍ تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبىٰ اللهِ عز وجل. والله ما كان لي من عذرٍ. واللهِ ما كنتُ قطُّ أقوىٰ ولا أيسرَ مني حين تخلفتُ عنك. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أما هذا فقد صدَقَ، فقم حتى يقضيَ اللهُ فيك**».

ثم جاء إلى كعبٍ رجالٌ من بني قومِه يراودونه الاعتذارَ كما اعتذرَ المخلفون، قال كعبٌ: فلا زالوا بي حتى هممتُ أن أرجعَ فأُكذِّبَ نفسي عند رسولِ اللهِ ﷺ حتى علمتُ بخبرِ الرجلينِ الآخرين مُرارةَ بنِ الربيعِ العَمْري وهلالِ بنِ أميةَ الواقفي وهما رجلان صالحان من أهلِ بدرٍ فيهما أسوةٌ، قال كعب: «ونهى رسولُ اللهِ ﷺ عن كلامِنا... فاجْتنَبَنا الناسُ... حتى تنكَّرتْ لي

في نفسي الأرضُ فما هي بالأرضِ التي أعرفُ، فلبثنا خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدَا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجْلَدَهم، فكنت أخرجُ فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين، وأطوفُ في الأسواقِ فلا يكلِّمُني أحدٌ.. ».

وطالتْ على كعبٍ الجفوةُ، وعَظُم الابتلاءُ وضاقتْ المسالكُ حتى قصدَ ابنَ عمِّه أباقتادةَ في حائطٍ له مُتَسوِّراً عليه الحائطَ فناشدَه مكرراً المناشدةَ: هل تعلمني أُحِبُّ اللهَ ورسولَه فكان الجواب: اللهُ ورسولُه أعلم، ففاضتْ عينا كعبٍ، ويشتدُّ البلاءُ فإذا هو بنَبطِيٍّ من نبطِ الشامِ يسأل أهلَ السوقِ بالمدينةِ: مَنْ يَدُلُّ على كعبِ بن مالكٍ؟ قال كعبٌ: «فطَفِقَ الناسُ يشيرون له إليَّ حتى جاءني فدفعَ إليَّ كتاباً من ملكِ غسانَ... فقرأتُه فإذا فيه: أما بعدُ فإنه قد بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، ولم يجعْلكَ اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مضيعةٍ فالْحقْ بنا نواسِك. فقلت حين قرأتُها: وهذا أيضاً من البلاءِ فتيممتُ التنورَ فسَجَرْتُها».

أمةَ الإسلام: هذا هو ديدنُ أعداءِ اللهِ في الغابرِ والحاضرِ يتحسسونَ الأنَباءَ ويترصدون المداخلَ. وكم من أقْدامٍ في مثلِ هذا قد زَلَّتْ، وكم من رجالٍ في مثلِ هذه الأوحالِ قد انزلقتْ. أما كعبٌ فيمَّم بها التنورَ وسَجَرهَا، ولا يزالُ البلاءُ به رضي الله عنه حتى جاءَه رسولُ من عندِ رسولِ الله ﷺ يأمرُه باعتزالِ امرأتِه.

وبعد خمسين ليلةً من الهَجْرِ والمقاطعةِ يقولُ كعبٌ: «فبينا أنا جالسٌ على الحالِ التي ذكرَ اللهُ تعالىٰ منا قد ضاقتْ عليَّ نفسي وضاقتْ عليَّ الأرض بما رَحبُتْ... » تنزلُ التوبةُ وتأتي البُشرىٰ، بُشرىٰ حسنِ العُقْبىٰ، بشرى العودةِ إلى صفِّ المسلمين،

بشرى يركُضُ بها الفارسُ ويهتفُ بها الراكبُ، على مثلِها تكون التهاني، ولمثلِها تكون الخِلَعُ والجوائزُ.

يقولُ كعبٌ: «فلما جاءني الذي سمعتُ صوتَه يبشرُني نزعتُ له ثوبَيَّ فكسوتُهما إياه ببشراه، واللهِ ما أملكُ غيرَهما، واستعرتُ ثوبين فلبستهما، وانطلقتُ أتأمَّمُ رسولَ اللهِ ﷺ يتلقاني الناسُ فوجاً فوجاً يهنئونَني بالتوبةِ».. فلما سلمتُ على رسولِ اللهِ ﷺ قال وهويبرقُ وجهُه من السرورِ: «**أبشر بخيرِ يوم مرَّ عليك مُذْ ولدتْكَ أمُّك**» فقلت: أمن عندكَ يا رسولَ الله أم من عندِ اللهِ؟ قال: «**لا بلْ من عندِ اللهِ عزَّ وجلَّ**».

أمةَ الإسلامِ: هؤلاءِ هم رجالٌ الصِّدْقِ، رجالُ محمدٍ ﷺ... رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه.. خرجوا من مدرسةِ النبوةِ. صُدُقٌ في الحديثِ، وصُدُقٌ في الموقفِ.. صُبْرٌ عند اللقاءِ، واعترافٌ بالخطيئةِ، وقبولٌ في حالِ الرضا والغضبِ من غيرِ تنميقِ عباراتٍ لأجلِ تلفيقِ اعتذاراتٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

موقف صدق

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ فتحَ بابَ التوبةِ للمذنبين، ووعدَ بحُسْنِ العاقبةِ للصادقين، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملكُ الحقُّ المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه وخليلُه إمامُ المتقين، وقائدُ الغرِّ المحجلين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فلم تنته قصةُ كعبٍ بعدُ... لم تقفْ عند البشارةِ بالتوبةِ والتهنئةِ بالقبولِ. لقد جلسَ كعبٌ بين يدي رسولِ اللهِ ﷺ وقال: يا رسول الله؛ إن من توبتي أن أنْخَلعَ من مالي صدقةً إلى اللهِ وإلى رسولِه، فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: أمسِكْ عليك بعضَ مالِك فهو خيرٌ لك، فأمسَكَ سهمَه الذي بخيبر. وقال: يا رسولَ اللهِ؛ إن اللهَ تعالىٰ إنما أنجاني بالصدقِ، وإن من توبتي أن لا أحدِّثَ إلا صدْقاً ما بقيتُ. فوالله ما علمتُ أحداً من المسلمين أبلاه اللهُ تعالىٰ في صدقِ الحديثِ منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ أحسنَ مما أبلاني اللهُ تعالىٰ، والله ما تعمَّدْتُ كِذْبةً منذ قلتُ ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ إلى يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفَظني اللهُ تعالى فيما بقي... والله ما أنعمَ اللهُ علي من نعمةٍ قطُّ بعد إذ هداني الله

للإسلام أعظمُ في نفسي من صِدْقي رسولَ الله ﷺ أن لا أكون كذبتُه فَأهلِكَ كما هلكَ الذين كذبوا. إن الله تعالىٰ قال للذين كذبوا حين أُنزلَ الوحيُ شرَّ ما قال لأحدٍ. قال الله تعالىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥ ـ ٩٦].

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، توبوا إلى ربِّكم واصْدُقوا، وقولوا قولاً سديداً يصلحْ لكم أعمالَكم، ويغفرْ لكم ذنوبكم ومن يطع اللهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً.

بين يدي رمضان

الخطبة الأولى

الحمد للهِ ما تعاقبَ الجديدان وتكررت المواسمُ. أحمده سبحانه وأشكره شكرَ الصائم القائم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه حميدُ الشِّيَم وعظيمَ المكارم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه كانوا على نهج الهدى معالمَ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

معـاشـرَ الإخـوة: تُطـوى الليـالـي والأيـامُ، وتنصـرمُ الشهـورُ والأعوامُ، فمن الناس من قضى نحبَه ومنهم من ينتظر، وإذا بلغ الكتابُ أجلَه فلا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمون.

ومن يَعِشْ فإنه يرى حُلواً ومراً؛ فلا الحلُو دائمٌ، ولا المرُّ جاثمٌ، والليلُ والنهارُ متعاقبان، والآلام تكونُ من بعدِ زوالِها أحاديثَ وذِكرىٰ. ولا يبقى للإنسانِ إلا ما حمَلَه زاداً للحياةِ الأخرىٰ.

يشبُّ الصغيرُ، ويهرمُ الكبيرُ، وينظرُ المرءُ ما قدمت يداهُ، وكلٌّ يجري إلى أجلٍ مُسمىٰ.

قعدَتْ بالمؤملين آجالُهم عن بلوغِ آمالِهم. وَعَدُوا أنفسهم

بالصالحاتِ فعاجلَهم أمرُ الله. كلُّ الناس يغدو في أهدافٍ وآمالٍ ورغباتٍ وأماني، ولكن أين الحازمونَ وأين الكيسون؟؟.

أيها المسلمون: لقد أظلَّكم شهرٌ عظيمٌ مباركٌ كنتم قد وعدتْم أنفسَكم قبله أعواماً ومواسمَ، ولعل بعضاً قد أمَّلَ وسوَّفَ وقصَّر فها هو قد مُدَّ له في أجلِه وأُنسيءَ له في عمره فماذا عساه فاعلٌ؟؟.

إن بلوغَ رمضانَ نعمةٌ كبرىٰ، يقدِّرُها حقَّ قدرِها الصالحون المشمرون.

إن واجبَ الأحياءِ استشعارُ هذه النعمةِ واغتنامُ هذه الفرصةِ. إنها إن فاتتْ كانت حسرةً ما بعدها حسرة، أي خسارةٍ أعظمُ من أن يدخُلَ المرءُ فيمن عناهم المصطفىٰ ﷺ بحديثِه على منبرِه في مساءلةٍ بينه وبين جبريلَ الأمين: «**من أدركَ شهرَ رمضانَ فلم يُغْفرَ له فدخلَ النارَ فأبعدَه اللهُ قل آمين فقلت آمين**»[1].

من حُرِمَ المغفرةَ في شهرِ المغفرةِ فماذا يَرْتَجي؟؟.

إن بلوغَ الشهرِ أمنيةٌ كانت يتمناها نبيُّكم محمدٌ ﷺ ويسألُها ربَّه حتى كان يقول: «**اللهمَّ بارك لنا في رجبَ وشعبانَ وبلِّغنا رمضانَ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٨٠ ـ ح٦٤٦)، وابن حبان انظر الاحسان (٣/ ١٨٨ ـ ح٩٠٧)، والترمذي (٥/ ٥١٤، ٥١٥ ـ ح٣٥٤٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب، والحاكم (٤/ ١٥٣، ١٥٤) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني (٢/ ٢٤٣، ٢٤٤ ـ ح٢٠٢٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد وأحدها حسن انظر المجمع (٨/ ١٣٩).

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في المسند (١/ ٢٥٩)، والبزار انظر كشف الأستار (١/ ٤٥٧ ـ ح٩٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٧٥ ـ ح٣٨١٥) وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه زائدة بن أبي الرقاد وفيه كلام =

إن العملَ الجِدَّ لا يكون على تمامِه ولا يقوم به صاحبُه على كمالِه إلا حين يتهيأ له تمامَ التهيؤِ، فيستثيرُ في النفسِ همَّتَها، ويحدوه الشوقُ بمحبةٍ صادقةٍ ورغبةٍ مخلصةٍ.

وفي مقامِ الاستقبالِ والترحيبِ بشهرِ رمضانَ المعظمِّ يقولُ عليه الصلاةُ والسَلامُ مخاطباً أصحابَه وأمتَه من بعدهم: «**أتاكم رمضانُ سيدُّ الشهورِ فمرحباً به وأهلاً**»(١).

وفي حديثِ عبادةَ: «**أتاكم شهرُ رمضانُ، شهرُ بركةٍ، يغشاكم اللهُ فيه برحمتِه، ويحطُّ الخطايا، ويستجيبُ الدعاءَ. ينظرُ اللهُ إلى تنافُسِكم فيه ويباهي بكم ملائكتَه، فأَرُوْا اللهُ من أنفسِكم خيراً. فإنَّ الشقيَّ من حُرِم رحمةَ اللهِ**»(٢).

في استقبالِ شهرِ الصومِ تجديدٌ لِطَيْفِ الذكرياتِ، وعهودِ الطُّهرِ والصفاءِ والعفةِ والنقاءِ.. تَرفُّع عن مزالقِ الإثمِ والخطيئةِ. إنه شهرُ الطاعاتِ بأنواعِها؛ صيامٌ وقيامٌ، جودٌ وقرآنٌ، وصلواتٌ وإحسانٌ، تهجدٌ وتراويحٌ، وأذكارٌ وتسبيحٌ. له في نفوسِ الصالحين بهجةٌ، وفي قلوبِ المتعبدينَ فرحةٌ، وحسبُكُم في فضائلِه أن أولَه رحمةٌ وأوسَطه مغفرةٌ وآخرَه عتقٌ من النارِ. رُبَّ ساعةِ قبولٍ أدركَتْ عبداً فبلغَ بها درجاتِ الرضىٰ والرضوانِ.

= وقد وُثق. انظر المجمع (٢/ ١٦٥، ٣/ ١٤٠).

(١) أخرجه البيهقي مرفوعاً في شعب الإيمان (٣/ ٣١٤ ـ ح٣٦٣٧) وقال: في اسناده ضعف، وأخرجه موقوفا على ابن مسعود (٣/ ٣١٥) وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه يزيد بن عبدالملك النوفلي انظر المجمع (٣/ ١٤٠).

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد من ترجمه انظر المجمع (٣/ ١٤٢).

في الصيامِ تتجلى عند الصائمين القُوىٰ الإيمانيةُ، والعزائمُ التعبديةُ؛ يَدَعون ما يشتهون، ويصبرون على ما لا يشتهون. في الصيامِ يتجلىٰ في نفوسِ أهلِ الإيمانِ الانقيادُ لأوامرِ اللهِ، وهجرُ الرغائبِ والمشتهياتِ، يدَعَون رغائبَ حاضرةً لموعدِ غيبٍ لم يروه، إنه قيادٌ للشهواتِ وليس انقياداً لها.

في النفوسِ نوازعُ شهوةٍ وهوىٰ، وفي الصدورِ دوافعُ غضبٍ وانتقام، وفي الحياةِ تقلُّبٌ في السراءِ والضراءِ، وفي دروبِ العمرِ خطوبٌ ومشاقٌ، ولا يُدافَعُ ذلك إلا بالصبرِ والمصابرةِ، ولا يُتحمَّلُ العناءُ إلا بصدقِ المنهجِ وحسنِ المراقبةِ.

وما الصومُ إلا ترويضٌ للغرائزِ، وضبطٌ للنوازعِ، والناجحون ـ عند العقلاءِ ـ هم الذين يتجاوزون الصعابَ، ويتحملون التكاليفَ، ويصبرونَ في الشدائدِ. تَعْظُم النفوسُ، ويعلو أصحابُها حين تتركَ كثيراً من اللذائذِ، وتنفطمُ عن كثيرٍ من الرغائبِ، والراحةُ لا تُنالُ بالراحةِ، ولا يكونُ الوصولُ إلى المعالي إلا على جسورِ التعبِ والنصبِ، ومن طلبَ عظيماً خاطرَ بعظيمتِه[1]، وسلعةُ اللهِ غاليةٌ، وركوبُ الصعابِ هو السبيلُ إلى المجدِ العالي... والنفوسُ الكبارُ تتعبُ في مرادِها الأجسامُ.

إن عُبَّادَ المادةِ وأربابَ الهوىٰ يعيشون ليومٍ حاضرٍ.. يُطلقون لغرائزِهم العِنانَ.. إذا أحرزوا نصيباً طلبوا غيرَه. شهواتُهم مسعورةٌ، وأهواءُهم محمومةٌ، ونفوسُهم مأفونةٌ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣].

---

(١) العظيمة: النفس والمهجة.

يجعلونَ مكاسبَهم وَقوداً لشهواتِهم وحطباً لملذاتِهم. ويومَ القيامةِ يتجرعون الغُصَّةَ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥].

وما فسدتْ أنظمةُ الدنيا إلا حين تولَّتْ عن توجيهاتِ الديانةِ وتعليماتِ الملةِ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

إنها الأنعامُ السوائبُ والضوالُّ من البهائم تفعلُ ما تحبُّ وتدعُ ما يضايقُها، لا تَنازُعَ عندها بين شهواتٍ وواجباتٍ.

وحينما يقودُ الإنسانَ رشدُهُ فإنه يُحْكِمُ رغائبَه، وإلا فهو إلى الدوابِّ أقربُ، بل إنه منها أضلُّ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤].

ولعلكم بهذا أيها الإخوةُ تدركونَ أسراراً من التشريعِ في الصيامِ. فهو الضبطُ المُحكَمُ للشهواتِ، والاستعلاءُ على كثيرٍ من الرغباتِ. إنه زادُ الروحِ ومتاعُ القلبِ.. تسمو به همِمُ المؤمنين إلى ساحاتِ المقربين.. يرتفعُ به العبدُ عن الإخلادِ إلى الأرضِ ليكونَ أهلاً لجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ.

عبادَ الله: جديرٌ بشهرٍ هذه بعضُ أسرارِه، وتلكَ بعضُ خِصاله أن يَفرحَ به المتعبدون، ويتنافسَ في خيراتِه المتنافسون.

أين هذا من أناسٍ استقبالُهم له تأفُّفٌ، وقدومُه عليهم عبوسٌ؟.

لقد هرم فيه أقوامٌ فزلتْ بهم أقدامٌ. اتبعوا أهواءَهم، فانتهكوا الحرماتِ، واجترأوا على المعاصي، فباءوا بالخسارِ والتبارِ.

في الناس من لا يعرفُ من رمضانَ إلا الموائدَ وصنوفَ المطاعمِ والمَشاربِ، يقضي نهارَه نائماً، ويقطِّعُ ليله هائماً. وفيهم مَنْ رمضانُه بيعٌ وشراءٌ، يشتغلُ به عن المسابقةِ إلى الخيراتِ، وشهودِ الصلواتِ في الجماعاتِ. فهل ترىٰ أضعفَ همةً وأبخسَ بضاعةً ممن أنعمَ اللهُ عليه بإدراكِ شهرِ المغفرةِ ثم لم يتعرضْ فيه للنفحاتِ؟؟.

أمةَ الصيامِ والقيامِ: اتقوا اللهَ؛ وأكرموا هذا الوافدَ العظيمَ، جاهدوا النفوسَ بالطاعاتِ. ابذلوا الفضلَ من أموالِكم في البرِّ والصلاتِ، استقبلوه بالتوبةِ الصادقةِ والرجوعِ إلى اللهِ. جدِّدوا العهدَ مع ربِّكم، وشدُّوا العزمَ على الاستقامةِ، فكم من مؤمِّلٍ بلوغَه أصبح رهينَ القبور.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

بين يدي رمضان

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جعلَ الصيامَ جُنَّةً، وسبباً موصلاً إلى الجنةِ، أحمد سبحانه وأشكره هدىٰ وَيسَّرَ فضلاً منه ومِنَّةً. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.. جعلنا على أوضحِ محجةٍ وأقومِ سُنَّةٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبهِ.. نفوسُهم بالإيمانِ مطمئنَّةٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، فها هو من طالتْ غيبتُه قد قَرُبَ، فيا غيومَ الغفلـةِ تقشَّعـي، ويـا قلـوبَ المشفقيـن اخْشعـي، ويـا جـوارحَ المتهجدين اسجُدي لربِّك واركعي، وبغيرِ جِنانِ الخلدِ أيها الهمُمُ العاليةُ لا تقنَعي.

طوبىٰ لمن أجابَ وأصابَ، وويل لمن طُرِدَ عن الباب.

ها هو الشهرُ الكريمُ يَحِلُّ بالساحاتِ، فاستعدوا واجتهدوا، فهي المواسمُ والفرصُ، فما أكرمَ اللهُ أمةً بمثلِ ما أكرمَ به أمةَ محمدٍ ﷺ. في هذا الشهرِ، ذنوبٌ مغفورةٌ، وعيوبٌ مستورةٌ، ومضاعفةٌ للأجورِ، وعتقٌ من النارِ.

يجوعُ الصائمُ وهو قادرٌ على الطعامِ، ويعاني من العطشِ وهو

قادرٌ على الشرابِ، لا رقيبَ عليه إلا اللهُ، يدعُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه لأجلِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ.

الألسنةُ صائمةٌ عن الرفثِ والجهلِ والصخبِ، والآذانُ معرضةٌ عن السماعِ المحرَّمِ، والأعينُ محفوظةٌ عن النظرِ المحظورِ، والقلوبُ كَافَّةٌ لا تَعزمُ على إثمٍ أو خطيئةٍ. في النهارِ عملٌ وإتقانٌ. وفي الليلِ تهجدٌ وقُرآنٌ. صحةٌ للأجسادِ، وتهذيبٌ للنفوسِ، وضبطٌ للإراداتِ، وإيقاظٌ لمشاعرِ الرحمةِ، وتدريبٌ على الَصبرِ والرضا، واستسلامٌ للهِ ربِّ العالمين.

فاجتهدوا رحمكم اللهُ واعرفوا لشهرِكم فضلَه، وأمِّلوا وأبشروا.

في ختام رمضان وبهجة العيد

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وفَّقَ من شاءَ لطاعتِه فكان سعيُهم مشكوراً، ثم أجزلَ لهم العطاءَ والمثوبةَ فكان جزاؤُهم موفوراً. أحمده سبحانَه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه إنه كان حليماً غفوراً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ وصامَ واجتهدَ في عبادةِ ربِّه حتى تفطرتْ قدماه؛ فكان عبداً شكوراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فحصيلةُ المؤمن في دنياه عمرٌ محدودٌ بالساعاتِ والثواني، وكسبُه المبذولُ رصيدٌ مدَّخرٌ بالأعمالِ المنجزاتِ من غيرِ كسلٍ أو تواني. يتقلَّبُ في عُمُرِ الحياةِ بقدرِ ما كُتِبَ له من فسحةٍ، ويكدحُ فيها لينالَ أكبرَ المغانم. ومدارُ السعادةِ في طولِ العُمُرِ وحسنِ العملِ. ومن كانتْ حصيلتُه ملأىٰ بالخيرِ من مختلفِ صنوفِه فليهنأْ وليستمسِكْ ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

وأما من كان غارقاً في الشهواتِ والنزواتِ؛ فقد طالَ عناؤُه، وعظُم شقاؤُه، ومن نوقشِ الحسابَ هلكَ.

ولقد كان من وافرِ حظِّ أمةِ الإسلامِ وعنوانِ سعادتِها وكرامةِ اللهِ

لها تهيئةُ فرصِ الكسبِ المبرورِ لصرفِ لحظاتِ العمُرِ وسويعاتِ الحياةِ في دروبِ الطاعاتِ ومسالكِ الخيراتِ.. سعيٌ حثيثٌ للتزودِ من الباقياتِ الصالحاتِ. ذلكم هو شهرُ الخيرِ والبرِّ، شهرُ رمضانُ، شهرُ هذه الأمةِ، نزلَ فيه كتابُها، وتحقَّق فيه كثيرٌ من انتصاراتِها، قطعَ اللهُ فيه دابرَ الوثنيةِ، وقوَّضَ بنيانَها، شهرُ صيامٍ وقيامٍ، وذكرٍ وتبتُّلٍ، شهرُ عملٍ وجهادٍ، وجدٍّ واجتهادٍ، زادٌ لما بعده من الشهور، أخذٌ للعُدةِ في مستقبلِ الأيامِ. يجتهدُ فيه أقوامٌ جعلوا رضا اللهِ فوقَ أهوائِهم، وطاعتَه فوقَ رغباتِهم، أذعنوا لربِّهم في كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ، يتوقُّون الذنوبَ ويخافونَها كما يخافونَ ألدَّ الأعداءِ.

من صامَ نهارَ هذا الشهرِ، وصلى ورداً من ليلِه، وقامَ بما افترضَ اللهُ عليه، وغضَّ بصرَه، وحفظَ سائرَ جوارِحه، وحافظَ على الجمعةِ والجماعةِ فقد صامَ الشهرَ، وعظُمَ رجاؤه بالفوزِ بجائزةِ الربِّ. أيُّ عقلٍ أو حزمٍ عند من يُدرك مواسمَ الفضلِ ثم لا يُنافسُ فيها؟؟ مسكينٌ كلَّ المسكنةِ مَنْ أدركَ هذا الموسمَ العظيمَ ثم لم يظفرْ من مغانمه بشيءٍ، ما حجبَه إلا الإهمالُ والكسلُ، والتسويفُ وطولُ الأملِ.

والأدهىٰ من ذلك والأَمرُّ أن يوفَّقَ أناسٌ لعملِ الطاعاتِ والتزودِ في فرصِ الخيراتِ حتى إذا ما انتهىٰ الموسمُ نَقَضوا ما أبرَموا، وعلى أعقابِهم نكَصوا، واستدبروا الطاعاتِ بالمعاصي، واستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خيرٌ. تلك هي النكسةُ المرديةُ، والخسارةُ الفادحةُ.

أين دروسُ الصلاحِ والطُّهرِ والاستقامةِ والتُّقىٰ من هذا الشهرِ

الكريم؟؟.

إن استدامةَ العبدِ على النهجِ المستقيم، والمداومةَ على الطاعةِ من غيرِ قَصْرٍ على وقتٍ معينٍ أو شهرٍ مخصوصٍ أو مكانٍ فاضلٍ من أعظم البراهينِ على القبولِ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

نعم ـ أيها المؤمنون ـ هل رأيتُم أعظمَ مقتاً من الكسلِ بعدَ الجِدِّ، والتواني بعد العزم، ولكنْ أشدُّ منه من تنكَّبَ السبيلَ فعادَ إلى حَمْأة[1] الصَبَواتِ[2] والهفواتِ، ومقارفةِ الآثام بعد إذ نجَّاه اللهُ منها، فيدخلَ في غمرةِ السهو ولُجةِ اللهو، ويغدو بعد الحزم والعزمِ متردياً في مهاوي الرَّدىٰ، وكأنه منفكٌّ من أسرٍ أو منطلقٌ من عقالٍ.

ألا فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وأروه من أنفسِكم خيراً، فمن كان مُجِدَّاً فليزددْ، ومن كان مقصراً فلَيقْصُرْ. من غلبَه هوىٰ أو تشاغَل بلهوٍ فليبادرْ بالتوبةِ النصوح، ولْيَعْظُمْ رجاؤُه بربِّه، فأبوابُ التوبةِ مشرعةٌ، ومولاه يناديه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وإنَّ من مظاهرِ الإحسانِ في خواتيمِ هذا الشهرِ الكريمِ وتوديعِه بحُسْنِ الختامِ إخراجَ زكاةِ الفطرِ، حيثُ تأتلفَ القلوبُ

---

(١) حَمْأة: كدر.

(٢) الصبوات: جمع صبوة وهي الانحراف.

ويتعاطفُ الغنيُّ مع الفقيرِ. فُرِضتْ طهرةً للصائمِ، وطُعْمةً للمساكين، وما اشتكىٰ فقيرٌ إلا بقدرِ ما قصَّرَ غنيٌ. . ومقدارُها صاعٌ من طعامٍ من غالبِ قوتِ البلدِ كالأرزِ والبرِّ والتمرِ عن كلِّ مسلمٍ.

ووقتُ إخراجِها الفاضلُ يومُ العيدِ قبلَ الصلاةِ، ويجوزُ تقديمها قبلَ ذلك بيومٍ أو يومين.

فأخرجُوها رحمكم اللهُ طيبةَ بها نفوسُكم، تُكَفُّ بها يدُ المسكينِ عن الطلبِ، ويستغني بها من غيرِ مسألةٍ. ويشاركُ إخوانَه بهجةَ العيدِ، فالعيدُ موسمُ بهجةٍ بعد أداءِ الفريضةِ. . ابتهاجٌ بالتوفيقِ لأداءِ شهرِ الصومِ.

وقد قيلَ: من أرادَ معرفةَ أخلاقِ الأمةِ فليراقبْها في أعيادِها، إذ تنطلقُ فيه السجايا على فطرتِها، وتبرزُ العواطفُ والميولُ والعاداتُ على حقيقتِها. والمجتمعُ السعيدُ الصالحُ هو الذي تسمو أخلاقُه في العيدِ إلى أرفعِ ذروةٍ، وتمتدُّ فيه مشاعرُ الإخاءِ إلى أبعدِ مدىٰ، حيث يبدو في العيدِ متماسكاً متعاوناً متراحماً، تخفُقُ فيه القلوبُ بالحبِّ والودِّ والبرِّ والصفاءِ.

إن العيدَ في الإسلامِ ـ أيها الإخوةُ ـ غبطةٌ في الدينِ والطاعةِ، وبهجةٌ في الدنيا والحياةِ، ومظهرُ القوةِ والإخاءِ. إنه فرحةٌ بانتصارِ الإرادةِ الخيِّرةِ على الأهواءِ والشهواتِ، وبالخلاصِ من اغواءاتِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ، والرضا بطاعةِ المولىٰ، والوعدِ الكريمِ بالفردوسِ والنجاةِ من النارِ.

في الناس ـ أيها الإخوةُ ـ من تطغىٰ عليه فرحةُ العيدِ فتستبدَّ بمشاعرِه ووُجْدانِه لدرجةٍ تنسيه واجبَ الشكرِ والاعترافِ بالنعمِ،

وتدفعُه إلى الزهوِّ بالجديدِ، والإعجابِ بالنفس حتى يبلغَ درجةِ المخيلةِ والتباهي والكبرِ والتعالي. وما علمَ هذَا أن العيدَ قد يأتي على أناس قد ذلوا من بعدِ عزٍّ؛ فتهيجَ في نفوسِهم الأشجانُ، وتتحركَ في صدورِهم كثيرٌ من الأحزانِ.. ذاقوا من البؤس ألواناً بعد رغدِ العيشِ، وتجرعوا من العلقَم كيزاناً بعدَ وفرةِ النعيم. فاعتاضُوا عن الفرحةِ بالبكاءِ، وحلَّ محلَّ البهجةِ الأنينُ والعناءُ.

كم من يتيم ينشدُ عطفَ الأبوةِ الحانيةِ، ويتلمَّسَ حنانَ الأمِّ الرؤوم، يرنو إلى من يمسحُ رأسَه ويخفِّفُ بؤسَه، كم من أرملةٍ توالتْ عليها المحنُ فقدتْ عشيرَها، تذكَّرتْ بالعيدِ عِزّاً قد مضىٰ تحت كنفِ زوجٍ عَطُوفٍ. كلُّ أولئك وأمثالُهم قد استبدلوا بعدَ العزِّ ذلاً، وبعدَ الرخاءِ والهناءِ فاقةً وفقراً.

فحقٌّ على كلِّ ذي نعمةٍ ممن صامَ وقامَ أن يتذكرَ هؤلاءِ فيَرعَىٰ اليتامىٰ، ويواسي الأيامىٰ، ويرحمَ أعزاءَ قومٍ قد ذلُّوا. كم هو جميلٌ أن تظهرَ أعيادُ الأمةِ بمظهرِ الواعي لأحوالِها وقضاياها، فلا تَحولُ بهجتُها بالعيدِ دونَ الشعورِ بمصائبِها التي يرزخُ تحتها فئامٌ من أبنائِها حيثُ يجبُ أن يطغىٰ الشعورُ بالإخاءِ قوياً، فلا تُنسىٰ أفغانستانُ ولا فلسطينُ وأراضي في المسلمين أخرىٰ منكوبةٌ بمجاهديها وشهدائِها، بيتاماها وأراملها، بأطفالِها وأسرَاها. يستجدونَ أُممَ الأرضِ لقمةً أو كساءً وخيمةً وغطاءً وفي المسلمين أغنياءٌ وموسرون.

وكم هو جميلٌ كذلك أن يُقارنَ الاستعدادَ للعيدِ وفرحتِه وبهجتِه استعدادٌ لتفريجِ كُربةٍ، وملاطفةِ يتيمٍ، ومواساةِ ثَكلىٰ، يقارنُه تفتيشٌ عن أصحابِ الحوائجِ فإن لم تستطعْ خيلاً ولا مالاً؛

فأسعفْهم بكلمةٍ طيبةٍ، وابتسامةٍ حانيةٍ، ولفتةٍ طاهرةٍ من قلبٍ مؤمنٍ.

إنك حين تأسُو جراحَ إخوانِك إنما تأسو جراحَك، وحين تَسدُّ حاجةَ جيرانك إنما تسدُّ حاجةَ نفسك ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن الابتهاجَ بالعيدِ نعمةٌ لا يستحقُّها إلا الشاكرون، وما الشكرُ عليها إلا صمودٌ لنوائبِ الدهرِ، ويقظةٌ لدسائسِ العدوِّ، وعمارةٌ للأرضِ بنشرِ دينِ اللهِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

اللهم فلكَ الحمدُ ولك الشكرُ بلَّغتنا رمضانَ فاقبلْه منَّا، وأعنَّا علىٰ ذكرِك وشُكرِك وحسنِ عبادتِك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

في ختام رمضان وبهجة العيد

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الرسولُ المصطفىٰ والنبيُّ المُجتبىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياءِ وأصحابِه الأتقياءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ، وسار على نهجِه واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: فمن القلوبِ قلوبٌ معلقةٌ بربِّها.. منصرفةٌ إليه.. تعملُ بطاعتِه، وتبتغي مراضيَه، وتجتهدُ في ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه على الدوامِ حتى قال قائلهم: «كل يومٍ لا يُعصىٰ اللهُ فيه فهو عيدٌ، وكلُّ يومٍ يُقَطِّعُه المؤمنُ في طاعةِ مولاه وذكرِه وشكرِه فهو عيدٌ».

ومن هنا أيُّها الإخوةُ فإن أعيادَ المسلمين يشاركُ فيها حقَّ المشاركةِ ويبتهجُ فيها صدقُ الابتهاجِ أهلُ الطاعاتِ من الصائمينَ والقائمينَ والركعِ السجودِ، أما من لم يصمْ عاصياً للهِ، ولم يقمْ بما أوجبَ الله عليه فلا عيدَ له ولا بهجةَ.

العيدُ مناسبةٌ لاطلاقِ الأيدي الخيِّرَةِ في مجالِ الخيرِ حيث تعلوُ

البسمةُ الشفاهَ وتغمُر البهجةُ القلوبَ.

مناسبةٌ لتجديدِ أواصرِ الرَّحمِ في الأقرباءِ، والودِّ مع الأصدقاءِ، تتقاربُ القلوبُ على المحبةِ، وتجتمعُ على الألفُةِ وترتفعُ عن الضغائنِ.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وودِّعوا شهرَكم، وابتهجوا بعيدِكم؛ بالبقاءِ على العهدِ وإتباعِ الحسنةِ الحسنةَ؛ فذلك من علاماتِ قبولِ الطاعاتِ، وقد ندبَكم نَبيُّكم محمدٌ ﷺ بأن تُتْبعوا رمضانَ ستاً من شوالٍ، فمن فعلَ ذلكَ فكأنمَّا صامَ الدهرَ كلَّه. تقبَّلَ اللهُ منا ومنكم الصيامَ والقيامَ وسائرَ الطاعاتِ، وأعادَ علينا وعلى أمةِ الإسلامِ هذا الشهرَ بالقبولِ والغفرانِ، والصحةِ والسلامِ، والأمنِ والأمانِ، وعزِّ الإسلامِ وارتفاعِ رايةِ الدينِ ودحْرِ أعداءِ المِلةِ.

سلاح المؤمـن

الخطبة الأولى

الحمدُ لله ينيرُ البصائرَ، ويوقظُ الضمائرَ لا إله إلا هو الوليُّ الحميدُ، أحمده سبحانه وأشكرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يدبِّرُ الأمرَ من السماءِ إلى الأرضِ وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله هدىٰ إلى الحقِّ وأوضحَ المحجةَ وأنقذَ من الضلالةِ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: لقد طغتْ الماديـاتُ على كثيرٍ من الخلقِ فتنكروا لربِّهم، ووهنتْ صلتهم به، وقَصَروا نظرَهم على الأسبابِ الظاهرةِ، وقد علموا أن للهِ فوق تدبيرِهم تدبيراً، وله من وراءِ وسائِلهم وأسبابِهم أمراً وتأثيراً. وحين حصلتْ هذه الغفلةُ ووهنتْ هـذه الصلـةُ سـادتْ مـوجـاتُ القلـقِ والاضطـرابِ، وعـمَّ الهلـعُ والخوفُ من المستقبلِ وعلى المستقبلِ، تخلَّوا عن ربِّهم فتخلى الله عنه ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧] ضعفتْ الصلةُ بنورِ اللهِ، وأُهْملَ جانبُ الروحِ، وحصلَ الذُّهولُ عن أدواءِ النفوسِ ومرقاتِ القلوبِ، فَضلَّت تلك الفئاتُ عن التوَجُّهِ إلى بارئِها مُنزِلِ السكينةِ وواهبِ الطمأنينةِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: ليستْ الحياةُ صورةَ اللحمِ والدمِ وامتلاءَ العضلاتِ، ولا باكتنازِ الجسمِ وقوةِ الحركاتِ، فهذه قوالبُ يشتركُ فيها بنو آدمَ مع السباعِ وبهيمةِ الأنعامِ. الحياةُ حياةُ القلوب، حياةُ الصلةِ باللهِ، والاستجابةُ لأوامرِه، والانزجارُ عن نواهيه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أما المقطوعون عن اللهِ البعيدون عن شرعِه فهم أهلُ الاضطرابِ والقلقِ والخوفِ والهلعِ على الحاضرِ وعلى المستقبلِ، فتراهم لا يتورعون عن قتلٍ ولا ختلٍ ولا إفكٍ ولا غشٍ قستْ قلوبُهم، ومرجتْ عهودُهم، وتزعزتْ نفوسُهم.

أيها الإخوةُ: لما رأى المتيقظون هؤلاءِ وهؤلاءِ، ورأوا سطوةَ الدنيا بأهلِها وخداعَ الأملِ لأربابِه، وتُمكُّنَ الشيطانِ، والانقيادَ لهوىٰ النفوس، لجأوا إلى حصنِ الإيمانِ وسلاحِ الدعاءِ، فرُّوا إلى جنابِ اللهِ، والتجأوا بحماه. لقد أدركوا أن الخلائقَ فقراءُ إلى اللهِ، هل من خالقٍ غيرُ اللهِ يرزقُكم من السماءِ والأرضِ!! ومن يهدي من أضلَ اللهُ!! من لم يتفضلْ اللهُ عليه بالهدايةِ والإيمانِ ومغفرةِ الذنوبِ فهو الهالكُ في الدنيا والآخرةِ.

ولقد أدركوا فيما أدركوا أن المَفْزَعَ في هذا الخضمِّ من الحيرةِ والتذبذبِ والخوفِ والقلقِ... لقد أدركوا أن المفزَعَ بعد الإيمانِ هو الدعاءُ، السلاحُ الذي يُستدْفَعُ به البلاءُ، ويُردُّ به شرُّ القضاءِ، وهل شيءٌ أكرمُ على اللهِ من الدعاءِ؟ كيفَ واللهُ سبحانه يحبُّ ذلك من عبدِه وانطراحِه بين يديه، والتوجُّهِ بالشكوىٰ إليه، بل

أمرَ عباده بالدعاءِ ووعدَهم الإجابةَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي الحديثِ القدسيِّ عند مسلمٍ وغيرِه عن أبي ذرٍ رضي الله عنه: «**يا عبادي كلُّكم ضالٌ إلا من هديتُه فاستهدوني أهدِكم. يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه فاستطعموني أطعمْكم. يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستكسوني أكسُكُم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاستغفروني أغفرْ لكم**»[1].

لقد غفلَ عن هذا كثيرٌ ممن قَصَروا نظرَهم على الماديات، فكَلَّت[2] بصائرهم، وعَشَتْ[3] أبصارهم عن إدراكِ سننِ اللهِ سبحانه وعجيبِ صنعِه ولطيفِ أسرارِه.

أيها المسلمون: إن التضرعَ إلى اللهِ، وإظهارَ الحاجةِ إليه، والاعترافَ بالافتقارِ إليه من أعظمِ عُرىٰ الإيمانِ، وبرهانُ ذلك الدعاءُ والإلحاحُ في السؤالِ.

يقولُ أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحملُ همَّ الإجابةِ ولكنْ أحملُ همَّ الدعاءِ فإذا ألهمتْ الدعاءَ علمتْ أن الإجابةَ معه. ويقولُ مطرِفُ بن عبدِاللهِ: تفكرتُ في

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ـ ح٢٥٧٧).

(٢) كلَّت: أي ضعفت.

(٣) عشت: ضعف إبصارها.

جماعِ الخيرِ، فإذا الخيرُ كثيرٌ، صيامٌ وصلاةٌ وغيرُها، وكلُّ ذلك بيدِ اللهِ... وأنت لا تقدرُ على ما في يدِ اللهِ إلا أن تسألَهَ فيُعطيكَ، فإذا جماعُ الخيرِ الدعاءِ. وفي صحيح الحاكم عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «**لا تعجَزوا عن الدعاءِ فإنه لن يهلَكَ مع الدعاءِ أحدٌ**»[1].

ولقد زخرتْ كتبُ السنةِ بأنواعٍ من الدعاءِ تجعلُ المسلمَ في صلةٍ بربِّه، وحرزٍ من عدوِّه؛ يُقضىٰ أمرُه، ويُكفىٰ همَّه. في كلِّ مناسبةٍ دعاءٌ، في اليقظةِ والمنامِ، والحركةِ، والسكونِ قياماً وقعوداً وعلى الجنوبِ، ابتهالٌ وتضرعٌ في كلِّ ما أهمَّ العبدَ، وهلْ إلى غيرِ اللهِ مفرٌ!! أم هل إلى غيرِه ملاذٌ؟؟.

دخلَ النبيُّ ﷺ المسجدَ ذاتَ يومٍ فرأىٰ فيه رجلاً من الأنصارِ يقال له أبوأمامةَ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**إني أراك جالساً في المسجدِ في غيرِ وقتِ صلاةٍ**» قال: همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسولَ الله. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أفلا أعلمُك كلاماً إذا قلتَه أذهبَ اللهُ همَّك وقضىٰ عنك دينَك؟**» قلت: بلىٰ يا رسولَ الله قال: «**قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزَنِ، وأعوذ بك من العجزِ والكسلِ، وأعوذ بك من الجبنِ والبخلِ، وأعوذ بك من غلبةِ الدينِ وقهرِ الرجالِ**»، قال: ففعلتُ ذلك فأذهبَ الله تعالىٰ همِّي وغمِّي، وقضىٰ عني ديني»[2] أخرجه أبوداودَ في سننِه من حديثِ أبي سعيدٍ الخدري.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٤) وقال: صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي فقال: لا أعرف عمراً تعبت عليه.

(٢) أخرجه أبوداود (٢/ ٩٣ ـ ح١٥٥٥).

وعند أبي دوادَ أيضاً وابنِ ماجهْ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**من لزِمَ الاستغفارَ جعَلَ اللهُ له من كلِّ ضيقٍ مخرجاً ومن كلِّ همٍّ فرجا ورزقَه من حيثُ لا يحتسبُ**»[1].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وتعلقوا بربِّكم، وأحسِنوا الظنَّ به، واعرفوا سننَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وابتعدوا عن أسبابِ قسوةِ القلوبِ، ولا تغلبنَّكم غفلةٌ، أو تُقْعدْكم شبهةٌ. فإن للدعاءِ أثرَه في تحقيقِ الرغائبِ، ودفعِ المصائبِ، وحصولِ الطمأنينةِ، ونزولِ السكينةِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٣ ـ ١٤].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنة نبيه محمدﷺ، وألهمنا الدعاء والتسبيح والاستغفار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أبوداود (٢/ ٨٥ ـ ح١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥ ـ ح٣٨١٩)، وأحمد (١/ ٢٤٨)، والحاكم (٤/ ٢٦٢) وصححه وتعقبه الذهبي فقال: الحكم فيه جهالة.

سلاح المؤمـن

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وفَّق من شاءَ من عبادِه إلى المسارعةِ في الخيراتِ. وألهمَهم دعاءَه رغباً ورهَباً فكانوا له خاشعين، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله؛ هدىٰ إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أن سبحانه بفضلِه وكرمِه يجيبُ الدعاءَ، ويُحقِّقُ الرجاءَ، ويكشفُ البلوىٰ. غير أن لاستجابةِ الدعاءِ شروطاً وآداباً لا بدَّ من تحقُّقِها، ومراجعةِ النفس فيها منها: أعظمُها ولبُّها: إخلاصُ التوحيدُ لله فإن الله لا يغفرُ أَن يشركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاءُ، وفي الحديثِ: «**ومن لقيني بقُرابِ الأرضِ خطيئة ثم لا يشركُ بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرةً**»(١).

ومن أعظمِ دواعي الإجابةِ: حضورُ القلبِ، وقوةُ الرجاءِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٦٨ ـ ٢٦٨٧)، وابن ماجه (٢/١٢٥٥ ـ ح٣٨٢١)، وأحمد (٥/١٥٣).

في اللهِ، فقد أخرجَ الترمذيُّ من حديثِ أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**ادعوا اللهَ وأنتم موقِنون بالإجابةِ، وإن الله تعالىٰ لا يقبلُ دعاءٍ من قلبٍ غافلٍ لاهٍ**»[1] وقال يحي بنُ معاذٍ: «من جمعَ اللهُ قلبَه في الدعاءِ لم يُردَّ دعاءَه».

ومن آدابِ الدعاءِ ألا يستعظمَ العبدُ ذنبَه، فذنوبُه ولو عظُمتْ فعفوُ اللهِ أوسعُ، ومغفرتُه أعظمُ، ورحمتُه أكبرُ.

وفي حديثِ أنس عند الترمذيِّ وغيرِه أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: قال اللهُ تعالىٰ: «**يا ابن آدمَ إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لكَ على ما كان منكَ ولا أبالي. يا ابن آدمَ لو بلغتْ ذنوبُك عَنانَ السماءِ ثم استغفرتَني غفرتُ لكَ ولا أبالي**»[2].

والاستغفارُ التامُّ الذي يُرجىٰ معه المغفرةُ ما جانب الإصرارَ على الذنبِ، وقارنَه إقلاعٌ وندمٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٨٣ ـ ح٣٤٧٩) وقال: حديث غريب، وأحمد (٢/ ١٧٧)، والحاكم (١/ ٤٩٣) وقال: مستقيم الاسناد وتعقبه الذهبي فقال: صالح المري متروك.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٢ ـ ح٣٥٤٠) وقال: حديث غريب وفي نسخ أخرى حسنه.

صنائع المعـروف

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه هدىٰ إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأزواجِه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فقد جرتْ سنةُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ في البشرِ أن جعلَ بعضَهم لبعضٍ سُخرياً، لا تتمُّ لهم سعادتُهم إلا بالتعاونِ والتواصلِ، ولا تستقرُّ حياتُهم إلا بالتعاطفِ وفشِّو المودةِ. يرفقُ القويُّ بالضعيفِ، ويُحسنُ المكثرُ على المقلِّ. ولا يكون الشقاءُ ولا يحيقُ البلاءُ إلا حين يفشو في الناسِ التقاطعُ والتدابرُ، لا يعرفون إلا أنفسَهم، ولا يعترفون لغيرِهم بحقٍّ.

معاشرَ الإخوةِ: عزيزٌ على النفسِ الكريمةِ المؤمنةِ أن ترىٰ مسكيناً بَليتْ ثيابُه حتى تكادَ تُرىٰ عورَتُه، أو تبصر حافيَ القدمين أدمتْ حجارةُ الأرضِ أصابَعه وقطَّعتْ عقِبيه، أو تلحظَ جائعاً يمدُّ عينيه إلى شيءِ غيرِه فينقلبُ إليه البصرُ وهو حسيرٌ.

حين تفشو مثلُ هذه الأحوالِ، ثم لا يكترثُ القادرون، ولا يهتمُّ الموسرون فكيف يكونُ الحالُ؟ وأين وازعُ الإيمانِ؟.

ولكنَّ اللهَ برحمتِه حين خلقَ المعروفَ خلقَ له أهلاً، فحبَّبه إليهم، وحبَّب إليهم إسداءَه، وجهَّهم إليه كما وجَّه الماءَ إلى الأرضِ الميتةِ فتحيا به ويحيا به أهلُها. وإن اللهَ إذا أرادَ بعبدِه خيراً جعلَ قضاءَ حوائجِ الناسِ على يديه. ومن كَثُرتْ نعمُ اللهِ عليه كَثُر تعلقُ الناسِ به، فإنَ قام بما يجبُ عليه للهِ فيها فقد شكَرَها وحافظَ عليهاَ، وإن قصَّر وملَّ وتبرَّم فقد عرَّضَها للزوالِ ثم انصرفَت وجوهُ الناسِ عنه.

وقد وردَ في الحديثِ: «**إن للهِ أقواماً اختصَّهم بالنعمِ لمنافعِ عبادِه يقرُّها فيهم ما بذَلوها، فإذا منَعوها نزَعها منهم فحوَّلها إلى غيرِهم**»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**ما من عبدٍ أنعمَ اللهُ عليه نِعْمَةً وأسبغَها عليه ثم جعلَ حوائجَ الناسِ إليه فتبرَّم فقد عرَّض تلك النِّعمَ للزوالِ**»[2].

---

(١) أخرجه الهيثمي في كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٥/ ٢١١ - ح٢٩٣٩) وفي مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه محمد بن حسان السمتي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبوعثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٨/ ١٩٢). وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا. انظر الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩١)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه انظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٤، ٢٦٥- ح١٦٩٢).

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط واسناده جيد انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٩٢).

وإن في دينِ اللهِ ـ يا عبادَ اللهِ ـ شرائعَ محكمةً لتحقيقِ التواصلِ والترابطِ، تربِّي النفوسَ على الخيرِ، وترشدُ إلى بذلِ المساعداتِ وصنائعِ المعروفِ.

ففي الخبرِ الصحيح عنه ﷺ: «**من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُربِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كُربَ يوم القيامةِ، ومن يسَّرَ على معسرٍ يسر اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ، ومن سترَ مُسلماً ستره اللهُ في الدنيا والآخرةِ، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه**»(١).

وفي الصحيحين أيضاً: «**المسلمُ أخو المسلمُ لا يظلمُه ولا يُسلمُه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ على مسلمٍ كربةً فرَّجَ الله عنه كربةً من كُربِ يوم القيامةِ، ومن سترَ مُسلماً سترَه اللهُ يوم القيامةِ**»(٢).

ولِعظمِ الأمرِ ودقَّتِه ـ أيها الإخوةُ ـ فقد قال أهلُ العلمِ إن تفريجَ الكروبِ أعظمُ من تنفيسِها إذ التفريجُ إزالتُها، أما التنفيسُ فهو تخفيفُها، والجزاءُ من جنسِ العملِ، فمن فرجَ كربةَ أخيه فرجَ اللهُ كربتَه، والتنفيسُ جزاؤُه تنفيسٌ مثلُه.

والتيسيرُ على المعسرِ في الدنيا جزاؤُه التيسيرُ من عُسْرِ يومِ القيامةِ، وحسبُك في يومٍ قال فيه ربُّ العزةِ: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر: ٩ ـ ١٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ـ ح٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١١٦/ ـ ح٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ـ ح٢٥٨٠).

وفي صحيح مسلم: «**من سرَّه أن ينجيَه اللهُ من كربِ يومِ القيامةِ فلينفسْ عن معسرٍ أو يضعْ عنه**»[1]، «**ومن أنظرَ معسراً أو وضعَ عنه أظلَّه اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه**»[2].

والمؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضا. وأحبُّ الخلقِ إلى اللهِ أنفعُهم لعبادِه. وصنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ.

ولقد قال بعضُ الحكماءِ: أعظمُ المصائبِ أن تَقدرَ على المعروفِ ثم لا تصنعُه.

والغبطةُ ـ أيها الأحبةُ ـ فيمن يسَّرَ اللهُ له خدمةَ الناسِ وأعانه علي السعيِ في مصالحِهم.

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: يا سبحانَ اللهِ ما أزهدَ كثيراً من الناسِ في الخيرِ!!! عجبتُ لرجلٍ يجيئُه أخوه لحاجتِه فلا يرىٰ نفسَه للخيرِ أهلاً!!! فلو كنا لا نرجو جنةً ولا نخافُ ناراً ولا ننتظرُ ثواباً ولا نخشىٰ عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارمَ الأخلاقِ.. فإنها تدلُّ على سُبُلِ النجاحِ؟؟ فقام رجلٌ فقال: يا أميرُ المؤمنين: أسمعتَه من رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خيرٌ منه: «لقد أُتيْنا بسبايا طيٍّ.. كان في الناسِ جاريةٌ حسناءُ تقدمتْ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقالتْ يا محمدُ: هلكَ الوالدُ، وغابَ الوافدُ، فإن رأيتَ ألا تخليَ عنِّي فلا تشمتْ بي أحياءَ العربِ، فإني بنتُ سيدِ قومي؛ كان أبي يفكُّ العاني، ويحمْي الذِّمارَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١١٩٦ ـ ح١٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠٢ ـ ح٣٠٠٦)، والترمذي (٣/ ٥٩٩ ـ ح١٣٠٦) وقال: حديث حسن صحيح غريب واللفظ له.

ويَقْرِيْ الضيفَ، ويُشبعُ الجائعَ، ويَفرِّجُ عن المكروبِ، ويطعمُ الطعامَ، ويُفشي السلامَ، ولم يَردَّ طالبَ حاجةٍ قطُّ، أنا بنتُ حاتَم الطائي فقال النبيُّ ﷺ: «**يا جاريةُ هذه صفةُ المؤمن. خلُّوا عنها؛ فإن أباها كان يحبُّ مكارِمَ الأخلاقِ**»[1].

وإن دروبَ الخيرِ ـ أيها المسلمون ـ كثيرةٌ وحوائجُ الناس متنوعةٌ. إطعامُ جائعٍ، وكُسوةُ عاري.. عيادةُ مريضٍ، وتعليمُ جاهلٍ.. وإنظارُ معسرٍ، وإعانةُ عاجزٍ، وإسعافُ منقطعٍ.. تطردُ عن أخيكَ هماً، وتزيلُ عنه غماً.. تكْفُلُ يتيماً، وتواسي أرملةً.. تُكرِمَ عزيزَ قومٍ ذلَّ، وتشكرُ على الإحسانِ، وتغفرُ الإساءةَ. تسعى في شفاعةٍ حسنةٍ تفكُّ بها أسيراً، وتحقِنُ به دماً وتَجُرُّ بها معروفاً وإحساناً.

كلُّ ذلك تكافلٌ في المنافعِ وتضامنٌ في التخفيفِ من المتاعبِ.. تنفيسٌ للكروبِ، ودفعٌ للخطوبِ... وتصبيرٌ في المضائقِ، وتأمينٌ عند المخاوفِ، وإصلاحٌ بين المتخاصمين، وهدايةٌ لابن السبيلِ. فإن كنتَ لا تملك هذا ولا هذا فادفعْ بكلمةٍ طيبةٍ وإلا.. فكفَّ أذاكَ عن الناسِ.

أخرجَ الترمذيُّ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**تبسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صدقةٌ، وأمرُكَ بالمعروفِ ونهيكُ عن المنكرِ صدقةٌ، وإرشادُك الرجلَ في أرضِ الضلالِ لكَ**

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٤١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٧٧)، وقال: هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جداً عزيز المخرج.

صدقةٌ، وإماطتُك الحجرَ والشوكَ والعظمَ عن الطريقِ لك صدقةٌ، وإفراغُك من دلوِكَ في دلوِ أخيكَ صدقةٌ»[1].

نعم أيها الإخوةُ: كلُّ معروفٍ صدقةٌ، وأهلُ المعروفِ في الدنيا هم أهلُ المعروفِ في الآخرةِ. والصدقةُ تطفىءُ غضبَ الربِّ، وصلةُ الرحمِ تزيدُ في العُمُرِ. والمالُ إن لم تصنعْ به معروفاً أو تقضي به حاجةً وتدخرُ لكَ به أجراً فما هو إلا لوارثٍ أو لحادثٍ. وصنائعُ البرِّ والإحسانِ تُسْتَعبدُ بها القلوبُ.

والشحيحُ البخيلُ كالحُ الوجه يعيشُ في الدنيا عِيشةَ الفقراءِ ويحاسبُ يومَ القيامةِ حسابَ الأغنياءِ، فلا تكنْ أيها الموسرُ القادرُ خازناً لغيرِك.

أيها الإخوةُ الأحبابُ: إن صفوَ العيشِ لا يدومُ، وإن متاعبَ الحياةِ وأرزاءَها ليست حِكْراً على قومٍ دون قومٍ، وإن حسابَ الآخرةِ لعسيرٌ، وخذلانُ المسلمِ شيءٌ عظيمٌ.

والمسلمونُ هانوا أفراداً وهانوا أمما حين ضعُفتْ فيهم أواصرُ الأخوةِ، ووهتْ فيه حبالُ المودةِ. عندما تستحكمُ الأنانياتُ ويسودُ حبُّ الذاتِ تقعُ الآفاتُ القاتلةُ، وتَحيقُ الدوائرُ المهلكةُ، وتستغلِقُ المسالكُ على أصحابِ الضوائقِ.

بل إن بعضَ غلاظِ الأكبادِ وقساةِ القلوبِ ينظرون إلى الضعيفِ والمحتاجِ وكأنه قذىً في العينِ.. يُزلْقونَه بأبصارِهم في نظراتٍ كلُّها اشمئزازٌ واحتقارٌ. ألا يعتبرُ هؤلاء بأقوامٍ دارَ عليهم الزمانُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٢٩٩ ـ ح١٩٥٦) وقال: حديث حسن غريب.

وعدَتْ عليهم العوادي واجتاحتْهم صروفُ الليالي. . . فاستدارَ عزُّهم ذلاً، وغناهم فقراً، ونعيمُهم جحيماً؟؟؟.

فاتقوا الله رحمكم اللهُ وأصلحوا ذاتَ بينِكم، ولتكنْ النفوسُ سخيةً، والأيدي بالخيرِ نديةً، واستمسكوا بعُرىٰ السماحةِ وسارعوا إلى سدادِ عَوَزِ المُعْوِزين، ومن بذلَ اليومَ قليلاً جناه غداً كثيراً. . تجارةُ مع اللهِ رابحةٌ، وقرضٌ لله حسنٌ مردودٌ إليه أضعافاً مضاعفةً. . إنفاقٌ بالليلِ والنهارِ والسرِّ والعلنِ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي رسولِه الكريمِ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

صنائع المعـروف

الخطبة الثانية

الحمد للهِ عظيمِ الشأنِ قديمِ الإحسانِ، أحمدُه سبحانه وأشكره على ما أولىٰ من جزيلِ الفضلِ والامتنانِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه، سيدُ ولدِ عدنانِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحفظوا لإخوانِكم حقوقَهم، واعرفوا فضلَ اللهِ عليكم. فمن وُفِّقَ لبذلِ معروفٍ أو أداءِ إحسانٍ فليكنْ ذلك بوجهٍ طلْقٍ ومظهرٍ بشوشٍ، وليحرَص على الكتمانِ قدرَ الإمكانِ ابتغاءِ الإخلاصِ، وحفاظاً على كرامةِ المسلمِ.

ويبلغُ الأدبُ غايتَه حين يعلمُ باذلُ المعروفِ أن ما يقدمُه هو حقٌّ لهؤلاءِ ساقَه اللهُ على يديه فلا يريدُ منهم جزاءً ولا شُكوراً. وقد رُويَ أن رجلاً جاء لبعضِ أهلِ الفضلِ يستشفعُ به في حاجةٍ فقضاها له فأقبلَ الرجلُ يشكرُه فقالَ له علامَ تشكرنا؟ ونحن نرىٰ أن للجاه زكاةً كما أن للمالِ زكاةً. أما من أتبع إحسانَه بالمنِّ والأذى فقد محقَ أجرَه، وأبطلَ ثوابَه. فاتقوا اللهَ يرحمُكم اللهُ وابذلوا الفضلَ والمعروفَ بوجهٍ طلقٍ وقصدٍ حسنٍ تستقمْ الأحوالُ وتتنزلْ البركاتُ ويَحِلَّ التوفيقُ.

بين الابتلاء ورفع راية الجهـاد

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونشكره ولا نكفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه بالهدى ودين الحقِ ليظهَرهُ على الدينِ كلِّه، فبلَّغَ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وبَلَّغَ البلاغَ المبينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهارِ وأصحابِه الأخيارِ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعـدُ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

معاشرَ الإخوةِ في اللهِ: البلايا والمحنُ محكٌ تَكْشِفُ عما في القلوبِ، وتُظْهِرُ مكنوناتِ الصدورِ. ينتفي بها الزيفُ والرياءُ، وتنكشفُ الحقيقةُ بكلِّ جلاءٍ.. تطهيرٌ لا يبقىٰ معه زيفٌ ولا دَخَلٌ، وتصحيحٌ لا يبقىٰ فيه غبشٌ ولا خللٌ.

إن الشدائدَ والنوازلَ تستجيشُ مكنونَ القوىٰ وكوامنَ الطاقاتِ. تتفتحُ في القلوبِ منافذٌ ما كان ليعلَمَها المؤمنُ من نفسِه إلا حينَ تَعرَّضَ للابتلاءِ. عند الحوادثِ يتميزُ الغبشُ من الصفاءِ، والهلعُ من الصبرِ، والثقةُ من القنوطِ.

إنها محكٌ لا يخطىءُ، وميزانٌ لا يظلمُ. والرخاءُ في ذلك كالشدةِ. والمؤمنُ الصادقُ ثابتٌ في السراءِ والضراءِ. ولقد يظنُّ الإنسانُ في نفسِه قبلَ البلاءِ القدرةَ والشجاعةِ والتجردَ والنزاهةَ والبعدَ عن الشحِّ والحرصِ، فإذا نزلتْ النازلةُ ووقعتْ الواقعةُ تبيَّنَ من بكىٰ ممن تباكىٰ، وأدرَكَ المرءُ أنه كان بحاجةٍ إلى تمحيصٍ ومراجعةٍ، وأن من الخيرِ له أن يعتَبِرَ ويتعظَ ويستدركَ قبل أن يكونَ عبرةً ويقعَ ضحيةً.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

إن من حكمةِ اللهِ في الابتلاءِ أن تستيقظَ النفسُ ويرقَّ القلبُ بعد طولِ غفلةٍ، فيتوجهُ الخلائقُ إلى ربِّهم؛ يتضرعون إليه ويطلبون رحمتَه وعفوَه. إعلانٌ تامٌ للعبوديةِ للهِ وحدَه، وتسليمٌ كاملٌ للهِ ربِّ العالمين.. إنابةٌ واستكانةٌ تصلحُ بها حياتُهم

ومعاشُهم.. يتصلون بربِّهم، ويتحررون من شهواتِهم وأهوائِهم.

ومن ثمَّ يجدون في ظلِّ الضراعةِ والإنابةِ الاستكانةَ والطمأنينةَ والراحةَ والأملَ في الفرجِ والوعدَ بالبُشرىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

وكفىٰ بالتضرع ـ أيها المسلمون ـ دليلاً على الرجوعِ إلى اللهِ، ولجوءاً إليه، وأملاً في الفرجِ من عنده، وحرزاً واقياً من الغفلةِ. فلا يُرجىٰ في الشدائدِ إلا الله، ولا يُقصدُ في المُلَّماتِ سواه، ولا يُلاذُ إلا بجنابه، ولا تُطلبُ الحوائجُ إلا من بابِه. المفزَعُ إليه حين تهتزُّ الأَسْنادُ كلُّها ويخلو القلبُ إلا لله وحدَهُ.. لا سندَ إلا سندُه، ولا حولَ إلا بالله، ولا قوةَ إلا بالله، لا ملجأَ منه إلا إليه، ما شاءَ كانَ وما لم يشأْ لم يكنْ، هو المتصرفُ في الملكِ ولا معقِّبَ لحكمِه.

نعم أيها الإخوةُ: في البلاءِ يتجلىٰ توكُّلُ المتوكلين، ومن وجدَ في قلبِه اعتماداً على غيرِ ربِّه فليراجعْ إيمانَه. يقولُ سعيدُ بنُ المسيَّبِ: «التوكلُ على اللهِ جِماعُ الإيمانِ».

وأصدقُ من ذلك وأبلغُ قولُ الحقِّ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

وليُعلمْ علمَ اليقينِ أن المؤمنَ مكفيٌّ سوءَ البلاءِ ما استقامَ

على أمرِ اللهِ، محفوظٌ من كيدِ الأعداءِ ما اعتصمَ باللهِ.

وإن الناظرَ ـ أيها الإخوةُ ـ فيما أصابَ المسلمينَ من ابتلاءِ هذه الأيامَ[1] يرىٰ اختلافاً في مواقفِ الناس.. من صابرٍ ثابتٍ، ومن جزعٍ خائفٍ. ظهرَ في بعضِ مسالكِ أقوامٍ تعلقٌ بغيرِ اللهِ واعتمادٌ علىٰ أسبابٍ وماديات لا تغني عنهم من الله شيئاً. ومنهم آخذٌ بالأسبابِ على وجهها، معتمدٌ على ربِّه فيما وراءَ ذلك، فربُّنا من وراءِ كلِّ شيءٍ محيطٌ.

ومن هنا ـ معاشرَ الأحبةِ ـ فحقيقٌ بالأمةِ أن تعيَ حالَها وتنظرَ في واقعِها لمستقبلِها.

إن ما ظهرَ في المسلمينَ بعامةٍ والناشئةِ بخاصةٍ في كثيرٍ من بلادِ الإسلامِ في العصورِ المتأخرةِ من وهنٍ وحبِّ الدنيا وكراهةِ الموتِ كانَ نتيجةَ أمورٍ كثيرةٍ قام بها وجلبَها أعداءُ الأمةِ المتربصون بها من آثارِ الغزو الثقافيِّ في مناهجِ التربيةِ والتعليمِ والإعلامِ، والإغراقِ في الشهواتِ، وتوهينِ العقائدِ والفضائلِ التي تَعْصِمُ من الدنايا، وإبعادِ الإسلامِ شكلاً وموضوعاً عن كلِّ مجالٍ جادٍّ، والنفخِ في كلِّ نزعةٍ محلّيةٍ أو شخصيةٍ من أجلِ تمزيقِ الأُخوَّةِ الجامعةِ وتوهينِ الرباطِ بين جماعاتِ المسلمين.

لقد حقَّقَ الأعداءُ من جَرَّاءِ ذلك كثيراً من مراداتِهم. إن الناشئةَ في كثيرٍ من بلادِ المسلمين يُذادون عن كتابِ اللهِ ذوداً.. دينُهم تُعكَّرُ منَابعُه، وتاريخُهم تُشَوَّهُ مصادرُه. إنك ترىٰ فتياناً يضحكون

---

(١) كان هذا في فترة غزو العراق للكويت.

ولا يبكون، ينطلقون إلى المنتدياتِ يلعبون، ويتجمعون في أماكن اللهوِ يعبثون. إن أُولَىٰ الهزائمِ هزيمةُ الإيمانِ في القلوبِ والجَدْبُ في المُثُلِ والأخلاقِ.

إن الرقيبَ ليلمحُ أجساماً تتحركُ في مآربِ الدنيا، وطَغاماً[1] كثيراً من الكبارِ والصغارِ، نسوا اللهُ فأنساهم أنفسَهم. إنهم غثاءُ السيلِ الموصوفُ، ومجموعُ الأصفارِ لا يُنتجُ عدداً ذا قيمةٍ.

في هذه الظروفِ، وفي ثنايا هذا الابتلاءِ توجهتْ دعوةُ وليِّ الأمرِ في هذه البلادِ ـ يحفظُه اللهُ ويرعاه ويُمِدُّهُ بتوفيقِه وتأييدِه ـ لناشئتِنا للانخراطِ في صفوفِ الجهاد والمجاهدين... دفاعاً عن المقدساتِ والحرماتِ، ويحسن أن يُدركَ أبناؤنا بهذه المناسبةِ أن أجيال النصرِ تُصنعُ صُنعاً على نورٍ من اللهِ وهدي مصطفاه محمدِ بنِ عبدِاللهِ ﷺ...

لا يصنعها قومٌ انحلُّوا من دينِهم وتنكروا لتاريخِهم.. لا يصنعُها إلا الأيدي المتوضئةُ المتطهرةُ دون الأيدي الملوثةِ بأنواعِ من التلويثاتِ. فأخلصوا للهِ نيتكم وأحسنوا على هَدْي الإسلامِ عملَكم.

يحسنُ أن يُدْرِكَ أبناؤنا أن الرجولةَ المنشودةَ وُصِفَ بها في كتابِ ربِّنا صنفان من الأمةِ:

أولهما: صاحبُ النجدةِ والقوةِ وباذلُ التضحيةِ حين طلبِها، نموذجُها أنسُ بنُ النضرِ حين قالَ لرسولِ اللهِ ﷺ: «أما واللهِ لئن

---

(١) الطغام: الكثرة من الناس التي لا فائدة فيها.

التقينا بالمشركينَ ليَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ» إنها يمينٌ صادرةٌ ممن قد امتلأتْ نفسُه ثقةٌ وتصميماً. يمينٌ من ورائِها إيمانٌ عميقُ الأغوارِ، لقد ثبتَ هذا الرجلُ في أُحدٍ حتى قُتلَ، إنه وأمثالَهُ هم الجديرون بوصفِ الرجولةِ الحقَّةِ الكاملةِ في قولِ ربِّنا عزَّ وتبارك: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أما الصنفُ الثاني من الرجالِ الكُمَّلِ ـ يا جنودَ الحقِّ: فهم مقيمو الصلاةِ المتعلقون بالمساجدِ الذاكرونَ اللهَ بالغدوِّ والآصالِ أصحابُ الأيدي المعطاءةِ، والضمائرِ الحيةِ، والمحاسبةِ الصادقةِ:

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

هذا هو مسلكُ التربيةِ للناشئةِ، وإن أملَنا في ربِّنا لكبيرٌ أن يكثرَ فينا هؤلاءِ الرجالِ.

أيُّ رجولةٍ هذه التي ترفضُ المشقَّاتِ، وتعشَقُ الملذاتِ، وتحسَبُ الشِّبعَ والزينةَ وكمالَ الأجسامِ المجردَ هو مثلُها الرفيعُ!!!.

أيها الرجالُ: إن هذه الأمةَ أمةُ جهادٍ ومجاهدةٍ، والجهادُ فيها أرفعُ العباداتِ أَجْرا. اسمعوا إلى هذا التحريضِ النبوي: «قيل يا رسولَ اللهِ: ما يعدلُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ؟ قال: «**لا تستطيعونَه**؛

فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً. كلُّ ذلك يقولُ: **لا تستطيعونَه**، ثم قال: «**مثلُ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ كمَثَلِ الصائمِ القائمِ القانتِ بآياتِ اللهِ لا يفترُ من صلاةٍ ولا صيامٍ حتى يرجعَ المجاهدُ في سبيلِ اللهِ**»[1] مخرَّجٌ في الصحيحين واللفظُ لمسلم.

والمصطفىٰ ﷺ يخبرُ عن نفسه ويقولُ: «**والذي نفسي بيدِه لوددْتُ أن أغزوَ في سبيلِ اللهِ فأُقْتلَ، ثم أغزوَ فأُقْتلَ، ثم أغزوَ فأُقتلَ**»[2] خرجاه في الصحيحين من حديثِ أبي هريرةِ رضي الله عنه.

وفي مقابلِ ذلك هُدِّدَ المتخلفون والمتثاقلون عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٩٣].

ما أقعدهم وما خلَّفهم إلا حبُّ الحياةِ والتعلقُ باللذائذِ، وكلُّ متاعٍ في الدنيا قليلٌ، وكلُّ أجلٍ فيها قريبٌ. ومعلومٌ أن وراءَ حُبِّ الدعةِ وإيثارِ السلامةِ سقوطَ الهمةِ وانحناءَ الهامةِ، والتهرُّبَ من المواجهةِ، والرضا بالقعودِ مع الضعَفَةِ من النساءِ والأطفالِ والمرضىٰ وأشباهِهم.

والعجيبُ الغريبُ ـ أيها الإخوةُ ـ أن الوعيدَ الذي يتهددُ القاعدين قد يُدرِكُهم في الدنيا قبل الآخرةِ. إنه عذابُ الذلةِ، وغلبةُ الأعداءِ، والخسرانُ في النفوسِ والأموالِ.. أضعافُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٦ ـ ح٢٧٨٥)، ومسلم (٣/ ١٤٩٨ ـ ح١٨٧٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٠ ـ ح٢٧٩٧)، ومسلم (٣/ ١٤٩٦ ـ ح١٨٧٦) واللفظ له.

ما يفقِدونه في الجهادِ، وإنهم لُيقدِّمون على مذابحِ الذُّلِّ أضعافَ ما تتطلبُه منهم الكرامةُ والعزةُ.

وما من أمةٍ تركتْ الجهادَ إلا ضربَ اللهُ عليها الذُّلَّ فدَفَعتْ مُرغمةً صاغرةً لأعدائِها أضعافَ ما كان يتطلبُه جهادُ الأعداءِ.

فاستجيبوا أيها الشبابُ لداعي الجهادِ، وارتفعوا عن حياةِ الراحةِ والدَّعَةِ، ولا ترضوا بالعيشِ على هامشِ الحياةِ. ومن دفعَ ثمناً غالياً فقد اشترىٰ ذا قيمةٍ، ولا يُشترىٰ بالقليلِ إلا التافهُ الرخيصُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

بين الابتلاء ورفع راية الجهاد

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالرحمةِ والملحمةِ والهدىٰ، ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ في اللهِ أيها الشبابُ: إن فريضةَ الجهادِ لا تنتظرُ تكافؤَ العددِ والعُدةِ الظاهرةِ بين المؤمنين وعدوِّهم، فيكفي المؤمنين أن يُعِدُّوا ما استطاعوا من القُوىٰ وأن يتقوا الله، ويثقوا بنصره، ويثبتوا، ويصبروا: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والانتصارُ على النفس وشواتِها هو أُولىٰ عُدَدِ النصرِ والاستعدادِ، انتصارٌ على الشَحِّ والغيظِ والذنبِ، والرجوعُ إلى اللهِ والالتصاقُ بركنِه الركين.

والأعداءُ ما كانوا أعداءً إلا لمخالفتِهم أمرَ اللهِ. وإذا اشترك الفريقان في المعصيةِ والمخالفةِ فليس هناك مزيةٌ.

إن المؤمنَ حين يعادي ويعاركُ ويجاهدُ فهو إنما يعادي للهِ ويعاركِ للهِ ويجاهدُ في سبيلِ اللهِ.

التوبة وسعة رحمـة الله

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ يغفرُ الزلاتِ، ويُقيلُ العثراتِ، يقبلُ التوبةَ عن عبادِه ويعفـو عـن السيئـاتِ. أحمـدُه سبحـانـه وأشكـرُه، وأتـوبُ إليـه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المؤيدُ بالمعجزاتِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فاتقوا الله عبادَ اللهِ، استقيموا إليه واستغفروه.

أيها المؤمنون: يحيطُ بابن آدمَ أعداءٌ كثيرٌ.. من شياطينِ الأنس والجنِ، يُحسِّنون القبيحَ، ويُقبِّحون الحسنَ، ينضمُّ إليهم النفسُ الأمـارةُ بـالسـوءِ، والشيطـانُ، والهـوىٰ... يَدْعـونَـه إلـى الشهـواتِ، ويقـودُونَـه إلـى مهـاوي الـرَّدىٰ. ينحـدرُ فـي مـوبقـاتِ الذنوبِ صغائِرها وكبائِرها، ينساقُ في مغرياتِ الحياةِ، وداعياتِ الهوىٰ، يصاحبُ ذلك ضيقٌ وحرجٌ وشعورٌ بالذنبِ والخطيئةِ فيوشكُ أن تنغلقَ أمامَه أبوابُ الأملِ، ويدخلَ في دائرةِ اليأسِ من رَوْحِ اللهِ والقنوطِ من رحمةِ اللهِ.

ولكنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ، الرؤوفَ الرحيمَ، الذي يعلمُ من خَلقَ

وهو اللطيفُ الخبيرُ؛ فتحَ لعبادِهِ أبوابَ التوبةِ، ودلَّهم على الاستغفارِ وجعلَ لهم من أعمالِهم الصالحةِ كفاراتٍ، وفي ابتلاءاتِهم مُكفراتٍ. بل إنه سبحانه بفضلِه وكرمِه يبدلُ سيئاتِهم حسناتٍ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧ ـ ٢٨].

أيها الإخوةُ في اللهِ: لقد جعلَ اللهُ في التوبةِ ملاذاً مكيناً وملجأً حصيناً، يلجُه المذنبُ مُعترفاً بذنبِه، مُؤملاً في ربِّه، نادماً على فعلِه، غيرَ مُصرٍّ على خطيئتِه، يحتمي بحمىٰ الاستغفارِ، يُتبعُ السيئةَ الحسنةَ؛ فيكفرُ اللهُ عنه سيئاتِه، ويرفعُ من درجاتِه.

التوبةُ الصادقةُ تمحو الخطيئاتِ مهما عظُمتْ حتى الكفرَ والشركَ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ..﴾ [الأنفال: ٣٨]. وقتلةُ الأنبياءِ ممن قالوا إن اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ وقالوا إن اللهَ هو المسيحُ بنُ مريم ـ تعالىٰ اللهُ عما يقولونَ علواً كبيراً لقد ناداهم المولى بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤].

فتحَ ربُّكم أبوابَه لكلِّ التائبين، يبسطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدَه بالنهارِ ليتوبُ مسيءُ الليلِ، وخاطبَكم في الحديثِ القدسيِّ: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاستغفروني أغفرْ لكم**» وفي التنزيل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠] ومن ظنَّ أن ذنباً لا يتسعُ لعفوِ اللهِ فقد ظنَّ بربِّه ظنَّ السَوْءِ. كم من عبدٍ

كان من إخوانِ الشياطين فمنَّ اللهُ عليه بتوبةٍ محتْ عنه ما سلفَ؛ فصارَ صوامً قواماً قانتاً للهِ ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه.

أيها المؤمنون: من تدنَّسَ بشيءٍ من قَذَرِ المعاصي فليبادرْ بغَسْلِه بماءِ التوبةِ والاستغفارِ؛ فإن اللهَ يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين.

جاء في الصحيحين من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا أذنبَ عبدٌ فقال: ربِّ إني عملتُ ذنباً فاغفرْ لي فقال اللهُ: عَلِمَ عبدي أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ قد غفرتُ لعبدي، ثم أذنبَ ذنباً آخرَ فذكرَ مثلَ الأولَ مرتين أخْريين حتى قال في الرابعةِ: فليعملْ ما شاءَ**»[1]، يعني مادام على هذه الحالِ كلَّما أذنبَ ذنباً استغفر منه غيرَ مصر.

وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ وهو يقولُ: واذنوباه مرتين أو ثلاثاً فقال له النبي ﷺ: «**قلْ اللهم مغفرتُك أوسعُ لي من ذنوبي، ورحمتُك أَرجىٰ عندي من عملي، ثم قال له: أَعِدْ فأعاد، ثم قال له: أَعِدْ فأعادَ فقال: قُمْ فقد غفرَ اللهُ لك**»[2]. أخرجه الحاكم في صحيحه من حديثِ جابرٍ رضي الله عنه، وأخرجَ أيضاً من حديثِ عقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ: أحدُنا يذنبُ، قال: «**يُكتبُ عليه**». قال: ثم يستغفرُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٤ ـ ح٧٥٠٧)، ومسلم (٤/ ٢١١٢ ـ ح٢٧٥٨).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٤، ٥٤٥) وقال: حديث رواته عن آخرهم مدنيون ممن لا يعرف واحد منهم بجرح ووافقه الذهبي.

منه. قال«**يُغفرُ له ويتابُ عليه**». قال: فيعودُ فيذنبُ. قال: «**يكتبُ عليه**». قال: ثم يستغفرُ منه ويتوبُ. قال: «**يغفرُ له ويثابُ عليه. ولا يملُّ اللهُ حتى تَملُّوا**»[1].

وسُئلَ عليٌّ رضي اللهُ عنه عن العبدِ يذنبُ؟ قال: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ. قيل: حتى متى؟ قال: حتى يكونَ الشيطانُ هو المحسورَ.

وقيل للحسنِ رحمهُ اللهُ: ألا يستحي أحدُنا من ربِّه يستغفرُ من ذنوبِه ثم يعودُ ثم يستغفرُ ثم يعودُ؟ فقال: ودَّ الشيطانُ لو ظَفِرَ منكم بهذا، فلا تَمَلُّوا من الاستغفارِ.

إلى جانب التوبةِ والاستغفارِ ـ أيها الإخوةُ ـ تأتي الأعمالُ الصالحةُ من الفرائضِ والتطوعاتِ تُكَفَّرُ بها السيئاتُ، وتُرفعُ بها الدرجاتُ. طهارةٌ وصيامٌ وصدقاتٌ وحجٌ وجهادٌ وغيرُها.

من تطهَّرَ في بيتِه ثم مشىٰ إلى بيتٍ من بيوتِ اللهِ يَقضِي فريضةً من فرائضِ اللهِ كانت خَطْوتاه إحداهُما تَحطُّ خطيئةً والأخرىٰ ترفعُ درجةً، والصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ كفاراتٌ لما بينهنَّ ما لم تُغْشَ الكبائرُ. ومن توضَّأَ فأحسنَ الوُضُوءَ ثم أتى الجمعةَ فاستمعَ وأنصتَ غُفِرَ له ما بينَه وبينَ الجمعةِ وزيادةُ ثلاثةِ أيامٍ؛ أخرجَ كلَّ ذلك مسلمٌ في صحيحِه من أحاديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه. وهذا بابٌ واسعٌ لا يكادُ يقعُ تحتَ حصرٍ

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٩، ٤/ ٢٥٧) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

من طلبِ الرزقِ، وإطعامِ الطعامِ، وحُسْنِ الخلقِ، والسماحةِ في التعاملِ، وطلبِ العلمِ، وقضاءِ الحوائجِ، وحضورِ مجالسِ الذكرِ، والرحمةِ بالبهائمِ، وإماطةِ الأذىٰ. فأَبْشروا وأمِّلُوا وأحسِنوا الظنَّ بربِّكم.

يضافُ إلى ذلكَ يا عبادَ اللهِ ما يصيبُ المسلمَ من البلايا في النفسِ والمالِ والولدِ، وما يعرضُ له من مصائبِ الحياةِ ونوائبِ الدهرِ، فهي كفاراتٌ للذنوبِ، ماحياتٌ للخطايا، رافعاتٌ للدرجاتِ.

في خبرِ الصحيحين: «**ما من مصيبةٍ تصيبُ المسلمَ إلا كفَّرَ اللهُ بها حتى الشوكةَ يُشاكُها**» وفي رواية: «**إلا رفعَ اللهُ بها درجةً وحطَّ عنه بها خطيئةً**»[1].

وفي الموطأِ والترمذيِّ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «**ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِه وولدِه ومالِه حتى يلقىٰ اللهَ وما عليه خطيئةٌ**»[2]، وفي روايةِ الموطأِ: «**ما يزالُ المؤمنُ يُضَارُّ في ولدِه وحامَتِه (أي أقربائِه وخاصَّتِه)، حتى يلقىٰ اللهَ وليسَ عليه خطيئةٌ**»[3].

أيها المسلمون: إن العبدَ إذا اتَّجهَ إلى ربِّه بعزمٍ صادقٍ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧ ـ ح٥٦٤٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٢ ـ ح٢٥٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٠ ـ ح٢٣٩٩) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٤٥٠)، والحاكم(١/ ٣٤٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (٣/ ٣٧٤)، والبغوي (٥/ ٢٤٦ ـ ح١٤٣٦).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً (١/ ٢٣٦).

وتوبةٍ نصوحٍ موقناً برحمةِ ربِّه واجتهدَ في الصالحاتِ دخلتْ الطمأنينةُ إلى قلبِه، وانفتحتْ أمامَه أبوابُ الأملِ، واستعادَ الثقةَ بنفسِه، واستقامَ على الطريقةِ، واستترَ بسترِ اللهِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم: ٨].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

التوبة وسعة رحمـة الله

الخطبة الثانية

الحمد لله غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ، أحمده سبحانه وأشكره وأسأله المزيدَ من فضلِه وكرِمه، عليه توكلتُ وإليه متابِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المختارُ من أشرفِ الأنسابِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون. واعلموا أن من الناسِ من يخدعُه طولُ الأملِ، أو نضرةِ الشبابِ، وزهرةُ النعيمِ، وتوافرُ النعمِ، فيُقْدِمُ على الخطيئةِ، ويسوِّفُ في التوبةِ، وما خَدَع إلا نفسَه، لا يفكِّرُ في عاقبةٍ، ولا يخشىٰ سوءَ الخاتمةِ. ولقد يجيئه أمرُ الله بغتةً: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

ومن الناس من إذا أحدثَ ذنباً سارعَ بالتوبةِ، قد جعلَ من نفسِه رقيباً يبادرُ بغسلِ الخطايا إنابةً واستغفاراً وعملاً صالحاً، فهذا حريٌّ أن ينظَمَ في سلكِ المتقين الموعودين بجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرض ممن عناهم اللهُ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا

فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

فهذه حالُ الفريقين أيها المؤمنونَ، فاتقوا اللهَ وأنيبوا إليه.

الفهرس

كلمات في إعداد خطبة الجمعة ٥
المقدمة ٣٩
توحيد وعبادة ٤٦
أثر العقيدة في مواجهة التحديات ٥٥
الدين كمال وتمسك ٦٣
إن الحكم إلا لله ٧٠
توجيهات لمسيرة الصحوة الإسلامية ٧٧
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨١
حدود شرعية وبلاد آمنة ٩١
الغزو الفكري بين العزة والخنوع ١٠١
التقوى جماع كل خير ١١٠
في بر الوالدين ١٢٠
صلوا أرحامكم ١٢٨
البيت السعيد ١٣٧
حينما يختلف الزوجان ١٤٥
التراحم وأثره في الأخوة ١٥٣
خلق الحياء ١٦٠
أولئك هم العادون ١٦٩
سوء الظن والتثبت في الأخبار ١٧٨
أمسك عليك لسانك ١٨٦
شؤم المعاصي ١٩٣
الأحقاد فناء الأمم ٢٠١
الأحقاد والمذبحة اليهودية في ساحة المسجد الأقصىٰ ٢٠٨
الرفق والتيسير في التعامل ٢١١

الابتلاءات في الدنيا ٢١٩
من دروس الهجرة ٢٢٧
مسرىٰ الرسول وأطفال الحجارة ٢٣٥
غزوة تبوك وواقع الأمة ٢٤٣
موقف صدق ٢٥٣
بين يدي رمضان ٢٦١
في ختام رمضان وبهجة العيد ٢٦٩
سلاح المؤمن ٢٧٧
صنائع المعروف ٢٨٤
بين الابتلاء ورفع راية الجهاد ٢٩٢
التوبة وسعة رحمة الله ٣٠١
الفهرس ٣٠٩

من خطب المسجد الحرام

توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

"المجموعة الثانية"

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

توجيهات وذكرى

حُقوقُ الطّبعِ محفُوظَة

الطبعة الثالثة

١٤١٩ هـ.

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

المقدمـــة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شر الشيطان وشركه. . من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد ضل وغوىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عميا، وآذاناً صُمّا، صلى الله عليه وآله وصحابته ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فهذه هي المجموعة الثانية من (توجيهات وذكرى. . من خطب المسجد الحرام) وأسأل الله أن ينفعني بها وسابقتها وإخواني - وحسبي منهم دعوة صالحة ونصيحة صادقة - كما أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه موافقة لمرضاته وأن يسدد الجميع للعلم النافع والعمل الصالح إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

صالح بن عبدالله بن حميد

مكة المكرمة

الجمعة ٢٥ من صفر الخير ١٤١٤هـ

اتبعو ولا تبتدعوا

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ، أكملَ لنا الدينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، ورضي لنا الإسلامَ دينا، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، أنزلَ الكتابَ نوراً مبيناً، يهدي به اللهُ من اتَّبعَ رضوانَه سُبلَ السلام، ويخرجُهم من الظلماتِ إلى النورِ، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَنا محمداً عبدُه ورسولُه، بعثَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، فبلَّغَ الرسالةَ، وأدَّىٰ الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وجعلنا على المحجةِ البيضاءِ، ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبِه، ارتفعتْ بهم راياتُ السنةِ، وانقمعت بهم البدعةُ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ، واهتدىٰ بهديِهم، واستنَّ بسنَّتِهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستمسكوا من الإسلام بالعروةِ الوثقىٰ، والزموا سنةَ نبيِّكم محمدٍ ﷺ تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

أيها المؤمنون، لقد أكملَ اللهُ هذا الدينَ ورضيَه وأتمَّ به

نعمتَه... كتابُ الله، وسنةُ رسولِه محمدٍ ﷺ لم يتركا في سبيل الهدايةِ قولاً لقائلٍ، ولم يَدَعا مجالاً لمتشرِّعٍ، العاقدُ عليهما بكلتا يديه؛ مستمسكٌ بالعروةِ الوثقىٰ، ظافرٌ بخيري الدنيا والأخرىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

روى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما تركتُ شيئاً يقرِّبُكم إلى اللهِ إلا وقد أمرتُكم به، وماتركتُ شيئاً يبعدكم عن اللهِ إلى وقد نهيتكم عنه**»(١).

كلُّ عباداتِ المتعبدين يجبُ أن تكونَ محكومةً بحكم الشرع في أمرِه ونهيه، جاريةً على نهجه، مواقفةً لطريقتِه، وما سِوىٰ ذلك فمردودٌ على صاحبِه: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌ، ومن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ**»(٢). بذلك صحَّ الخبرُ عن الصادقِ المصدوقِ عليه أفضل الصلاةِ والسلامِ.

يقولُ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ رحمه اللهُ في السننِ الراشدةِ: سنَّ رسولُ الله ﷺ وولاةُ الأمر من بعدِه سُنناً الأخْذُ بها تصديقٌ لكتابِ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥ ـ ح١٦٤٧)، وعبدالرزاق في المصنف (١١/ ١٢٥ ـ ح٢٠١٠٠) وقال الهيثمي: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة. انظر المجمع (٨/ ٢٦٤) والجميع بلفظ «يقرب من النار ويباعد من النار».

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٥ ـ ح٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣ ـ ح١٧١٨).

اللهِ واستعمالٌ لطاعةِ اللهِ وقوةٌ على دينِ اللهِ، ليس لأحدٍ تغييرٌ فيها، ولا النظرُ في رأيٍ يخالفُها، من اقتدىٰ بها فهو مهتدٍ، ومن خالَفها واتَّبعَ غيرَ سبيلِ المؤمنين ولاهُ اللهُ ما تولىٰ، وأصلاه جهنَّمَ وساءتْ مصيراً.

أيها المؤمنون: إن غيرَ سبيلِ المؤمنين نزعاتٌ وأهواءٌ، وضلالٌ عن الجادةِ، وشقٌ لعصا الطاعةِ، ومفارقةٌ للجماعةِ.

لقد رسمَ الشرعُ للعباداتِ والتكاليفِ طرقاً خاصةً على وجوهٍ خاصةٍ زماناً ومكانا، وهيئةً وعدداً، وقصَرَ الخلقَ عليها أمراً ونهياً، وإطلاقاً وتقييداً، ووعداً ووعيداً، وأخبرَ أن الخيرَ فيها، والشرَّ في تجاوزِها وتعدِّيها ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

والرسلُ برحمةِ الله إلى خلقه مرسلون، ومن رامَ غيرَ ذلك، وزعمَ أنَّ ثَمَّتَ طُرقاً أُخَرَ، وعَبَدَ الله بمستحسناتِ العقولِ؛ فقد قدَح في كمالِ هذا الدين، وخالفَ ما جاءَ به المصطفىٰ الأمين، عليه أفضل الصلاةِ وأزكىٰ التسليم. وكأنَّه يستدركُ على الشريعةِ نقائصَ.

يقول ابنُ الماجشون: سمعتُ مالكاً رحمه الله يقولُ: من ابتدعَ في الإسلام بدعةً يراها حسنةً؛ فقد زعمَ أن محمداً ﷺ خانَ الرسالةَ؛ لأَن اللهَ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذٍ ديناً؛ فلا يكون اليومَ ديناً.

الابتداعُ وتلمُّسُ المسالك والطرقِ معاندةٌ للشرعِ ومشاقةٌ له. وهو محضُ اتباعِ الهوىٰ فليسَ ثَمَّتَ إلا طريقان:

إما طريقُ الشرعِ، وإما طريقُ الهوىٰ: يقول الله عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

لقد حصرتْ الآيةُ الكريمةُ الحكمَ في أمرين لا ثالثَ لهما: إما الاستجابةُ للمصطفىٰ، وإما اتباعُ الهوىٰ.

ولئن قصدَ صاحبُ البدعةِ ـ أيها الأخوةُ ـ ببدعتِه التقربَ إلى اللهِ والمبالغةَ في التعبدِ؛ فليعلمْ أن في هذا مداخلَ للشيطانِ عريضةً في مسالكَ ملتويةٍ ووسوساتٍ مميلةٍ، ولم يرضَ هذا المُبتلىٰ بما حدَّه الشارعُ وقدَّرَه؛ فخرجَ عن هذه الضوابطِ وتَفَلَّت من هذه القيودِ، وقد يصاحبُ ذلك عُجْبٌ وحبٌّ في الظهورِ مع ميولِ النفسِ بطبعِها إلى قبولِ الجديدِ الذي لم تعهْدهُ قطعاً للسآمةِ والملَلِ.

إن القيامَ بالتكاليفِ الشرعيةِ فيه كُلفةٌ على النفس؛ لأن فيه مخالفةً للهوىٰ، ومنازعةً للرغبات، فيثقلُ هذا علَى المبتدع، والنفسُ إنما تنشَطُ بما يوافقُ هواها.

وكلُّ بدعةٍ فإن للهوى فيها مدخلاً؛ لأنها راجعةٌ إلى رغباتِ مخترِعِها ومبتدِعها، ومتمشيةٌ مع هواه وميولِ نفسِه... ليست نابعةً من الشرعِ وأحكامِه وأدلتِه.

ومن هنا فإنه قد يظهرُ من صاحبِ البدعةِ اجتهادٌ في العملِ والعبادةِ، وما هذا إلا لخفةٍ يجدُها، ونشاطٍ يشعرُ به لما فيه من موافقةِ الهوىٰ. ولقد كان الرهبانُ من النصارىٰ ينقطعون في

صوامعِهم وأديرتِهم على غيرِ طريقِ الحقِّ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤] ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ [فاطر: ٨].

وإنَّ قصداً في سنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في بدعةٍ.

وبسببِ البدعِ وأهلِها ـ أيها المؤمنون ـ يكثرُ الجدلُ بغيرِ الحقِّ، وبغيرِ التي هي أحسنُ، وتحصلُ الخصومةُ في الدين. وقد قال قتادةُ رحمه اللهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥] قال: هم أهلُ البدعِ.

وقال بعضُ أهلِ العلم: كلُّ مسألةٍ حدثتْ في الإسلام واختلفَ الناسُ فيها، ولم يورثْ ذلك الاختلافُ بينهم عداوةً ولا بغضاءَ ولا فرقةً؛ فهي من مسائلِ الإسلامِ.

وكلُّ مسألةٍ حدثتْ أو طرأتْ؛ فأوجبتْ العداوةَ والبغضاءَ والتدابرَ والقطيعةَ ليستْ من أمرِ الدينِ في شيءٍ.

وأصحابُ البدعِ يتَّبعونَ المتشابهَ، ويتعسَّفُون في التأويلِ حتى فُسِّرَ قولهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] بأنهم أهلُ البدعِ والأهواءِ.

وحينما قال أهلُ التحكيمِ لعليٍّ رضي الله عنه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] قال: كلمةُ حقٍّ أُريدَ باطلٌ.

وقد تأكَّدَ في الأخبارِ النبويةِ أنه ما قامتْ بدعةٌ إلا وأميتتْ سنةٌ.

أخرجَ أحمدُ والبزارُ من حديثِ غُضَيفِ بن الحارثِ مرفوعاً: «**ما أحدثَ قومٌ بدعةً إلا رُفع مثلُها من السنةِ، فَتمَسُّكٌ بسنةٍ خَيْرٌ من إحداثِ بدعةٍ**»(١).

وأخرجَ أحمدُ أيضاً والطبرانيُّ والبزارُ من حديث غُضيفٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أمةٍ ابتدعتْ بعد نبيِّها في دينها بدعةً إلا أضاعتْ مثلَها من السنةِ**»(٢) فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا أن في ظهورِ البدعِ انطماساً للسننِ، فالسعيدُ من عضَّ على السنةِ بالنواجذِ، فأحيَاها ودعا إليها، فردَّ الله بها مبتدِعاً، وهدىٰ به زائغاً، وأنقذَ به حائراً.

كتب عمرُ بنُ عبدالعزيز رحمه الله إلى عديٍّ بن أرطاةٍ بشأنِ بعضِ القدريةِ: «أوصيك بتقوىٰ اللهِ، والاقتصادِ في أمره، واتباعِ سنةِ نبيِّه ﷺ، وتركِ ما أحدثَ المُحدِثون فيما قد جرتْ به سنةٌ، فعليك بلزومِ السنةِ، فإن السنةَ إنما سنَّها من قد عرفَ ما في خلافِها من الخطأِ والزللِ والحمقِ والتعمقِ، فارضَ لنفسِك بما رضِي به القومُ لأنفسِهم، فإنهم على علمٍ وقفوا، وببصرٍ ناقدٍ كفُّوا، وهم كانوا على كشفِ الأمورِ أقوىٰ، وبفضلٍ كانوا فيه أحرىٰ، إنهم هم السابقون، تكلَّموا بما يكفي، ووصفوا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥)، وانظر مجمع الزوائد (١/ ١٨٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٩٩ ـ ح١٧٨)، والبزار (١/ ٨٢ ـ ح١٣١).

ما يشفي، فما دونهم مُقَصِّرٌ، وما فوقهم مُحَسِّرٌ، لقد قصَّرَ فيهم قومٌ فَجَفَوْا، وتجاوز آخرون فَغَلَوْا، وإنهم بين ذلك لعلىٰ هدىً مستقيمٍ»[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٠٢، ٢٠٣ ـ ح٤٦١٢).

اتبعوا ولا تبتدعوا

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ، له الحمدُ في الأولىٰ والآخرةِ، أحمده وأشكره على نعمه الباطنةِ والظاهرةِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هدىٰ بإذن ربِّه القلوبَ الحائرةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه نجوم الدجىٰ والبدورِ السافرة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واعلموا أن أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

اتبعوا رحمكُم اللهُ ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم. يقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: كلُّ عبادةٍ لم يتعبدْها أصحابُ رسولِ الله ﷺ فلا تعبَّدوها فإن الأولَ لم يَدَعْ للآخرِ مقالاً.

أخرجَ الدارميُّ بسندٍ صحيح أن أبا موسى الأشعريَّ قال لابن مسعودٍ رضي الله عنهما جميعاً: «إني رأيتُ في المسجدِ قوماً حِلَقاً جُلوساً ينتظرون الصلاةَ، في كلِّ حلقةٍ رَجُلٌ، وفي أيديهم حصىٰ فيقولُ: كبِّروا مائةً فيكبرونَ مائة، فيقول: هلِّلوا مائةً

فيهللون مائةً، فيقول: سبِّحوا مائةً فيسبحونَ مائةً. قال: أفلا أمرتَهم أن يعدُّوا سيئاتِهم وضمنتَ لهم أن لا يضيعَ من حسناتِهم شيءٌ؟؟ ثم أتى حلقةً من تلك الحِلَقِ فوقفَ عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن، حصىً نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيحَ والتحميدَ، قال: فعدُّوا سيئاتِكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتِكم شيءٌ، ويحكم يا أمةَ محمدٍ، ما أسرعَ هلَكَتكم؛ هؤلاء أصحابُه متوافرون. وهذه ثيابُه لم تَبْلَ، والذي نفسي بيدِه أنتم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملةِ محمدٍ أو مفتتحوا بابِ ضلالةٍ؟! قالوا: واللهِ يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخيرَ، قال: وكم من مريدٍ للخيرِ لن يصيبَه؟؟؟»[1].

ورُوي أن رجلاً قال لمالكِ بن أنس: من أين أحرم؟ قال: من حيثُ أحرمَ رسولُ الله ﷺ. قال الرَّجلُ: فإن أحرمتُ من أبعدَ منه؟ قال: فلا تفعلْ فإني أخاف عليك الفتنةَ. قال: وأي فتنةٍ في ازدياد الخير؟؟ فقال مالك: فإن الله تعالى يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] وأيُّ فتنةٍ أعظمُ من أن ترى أنك خُصِصْتَ بفضلٍ لم يُخَصَّ به رسولُ الله ﷺ؟؟؟.

فاتقوا اللهَ ـ يرحمْكم الله ـ وخذوا بالنهجِ الأولِ، وعليكم بالاتباعِ وابتعدوا عن الابتداعِ.

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٦٠ ـ ح٢١٠)، وانظر مجمع الزوائد (١/ ١٨١).

سورة (ق) ويوم النشور

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المبدىءِ المعيدِ، الفعالِ لما يريدُ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ، علا بذاته، وقهرَ بقدرته، وهو أقربُ إلى عبدهِ من حبلِ الوريدِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أدخرُها ليومٍ يشيبُ لهوله الوليدُ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بشَّر وأنذرَ، وحذَّر يوم الوعيد. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا اللهَ عباد الله، اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخُ في الصورِ، ويبعثُ من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ، يوم تُبلىٰ السرائرُ، وتُكْشَفُ الضمائرُ، ويتميزُ البَرُّ من الفاجرِ.

أيها الأخوةُ في الله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧].

المكلَّفون مؤاخَذون بأعمالِهم، تُكتبُ ألفاظُهم، وتُسجَّلُ ألحاظُهم في كتابٍ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، يشهدُ

عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجلودُهم.

أيها المسلمون والمسلمات: البعثُ والنشورُ والجزاءُ والحسابُ أحدُ أركانِ دينِ الله، جاءتْ به جميعُ رسلِ اللهِ، والغريبُ العجيبُ أنه ما من شيءٍ في دعوةِ هؤلاءِ الرسلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ استبعدَه الكفارُ واستغربوه، وتعجبوا منه وأنكروه مثلُ إنكارِهم لليومِ الآخرِ.

والقرآن الكريم قد سجلَ على هذه الأجيالِ الكافرةِ جيلاً بعد جيلٍ إصرارَها وإنكارَها ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩] ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۢ﴾ [الرعد: ٥] ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: ٦٦] ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣ ـ ٣٧] ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون: ٨١ ـ ٨٣].

أيها الإخوةُ، وبين أيدينا سورةٌ عظيمةٌ كأنَّها قد خُصصتْ لمعالجةِ هذه القضيةِ، سورةٌ ذاتُ دلالاتٍ عظيمةٍ وآياتٍ عميقةٍ، تخاطبُ العقولَ، وتُطبِّبُ أمراض الشكوكِ لا بالجدلِ العقليِّ العقيمِ؛ ولكن بالطريقةِ القرآنيةِ الفريدةِ الصالحةِ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ. إنها السورةُ التي كان يقرؤُها ﷺ، ويخطبُ بها على المنابرِ في الجُمَعِ والأعيادِ والمجامعِ الكبارِ، كما يقولُ الحافظُ ابن كثير ـ رحمه الله ـ لاشتمالها على ابتداءِ الخلقِ، والبعثِ

والنشورِ، والمعادِ والقيامةِ والحسابِ، والجنةِ والنارِ، والثوابِ والعقابِ، والترغيبِ والترهيبِ.. تلكم هي سورةُ ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١].

أخرجَ مسلمٌ وأحمدُ من حديثِ أمِّ هشامٍ بنت حارثةَ قالت: «لقد كان تنورُنا وتنورُ النبيِّ ﷺ واحداً سنتين أو سنةً أو بعضَ السنة، وما أخذتُ (ق والقرآن المجيد) إلا على لسانِ رسولِ الله ﷺ كان يقرؤها كلَّ يومِ جمعةٍ على المنبرِ إذا خَطبَ الناسَ»[1].

سورةٌ عظيمةٌ، جليةٌ بحقائِقها، ظاهرةٌ في حُججِها، واضحةٌ في بيانِها، تأخذُ على النفوسِ أقطارَها، وتلاحقُ القلوبَ في خطراتِها وحركاتِها، تبرهنُ على عقيدةِ البعثِ والنشورِ؛ من المولدِ والوفاةِ، والمحشرِ الحسابِ، والثوابِ والعقابِ، إيضاحٌ عجيبٌ، وبسطٌ دقيقٌ لصورةِ المحيا والمماتِ، وصورةِ البِلىٰ والقيامِ لربِّ العالمين.

تبتدىءُ السورةُ الكريمةُ بتعجُّبِ الكفارِ واستبعادِهم للمعادِ بعدَ الهلاكِ، وتلك سذاجةٌ في التفكيرِ، وقصورٌ في النظرِ. إنهم ينكرون إعادةَ الخلقِ، وقد خُلِقوا أولَ مرةٍ. ويأتي الردُّ عليهم سهلاً سريعاً يسيراً، فالله الذي خلقَهم وأماتَهم لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ، يعلم أجزاءَهم وأشلاءَهم وذرَّاتِهم، وكلَّ ما تَنتَقِصُه الأرضُ منهم، وكلُّ ذلك في كتابٍ حفيظٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٥ ـ ح٨٧٣).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ١ ـ ٥].

إن كلَّ من كذَّب بالحقِّ فهو في أمرٍ مريجٍ. السائرُ في غيرِ درب الحقِّ حالُه مختلطٌ، وأمرُه متخبِّطٌ، تتقاذفُه الأهواءُ، وتتخطَّفُه الهواجسُ، وتمزِّقُه الحيرةُ، وتُقلقُه الشكوكُ، يضطربُ سعيُه، وتتأرجحُ مواقفُه ذاتَ اليمينِ وذاتِ الشِّمال، فقلبه في اضطرابٍ، ونفسُه في خلجاتٍ. وهذا هو حالُ الكثيرين من الفلاسفةِ المتقدمينَ، والماديّين المتأخرينَ، والشيوعيينَ والعلمانيين؛ كلُّ هؤلاءِ وأولئكَ في أمرٍ مريجٍ، وليس ثمةُ معالجةٌ لهذه الشكوكِ، ولا طريقٌ يوصلُ إلى الحقِّ إلا طريقُ القرآن، إنه التدبُر في خلقِ الإنسانِ ومخلوقاتِ الأرضِ والسماءِ، والنباتِ والماءِ، وكلِّ مبثوثٍ من الجمادِ والأحياءِ، ينضمُّ إلى ذلك النظرُ في أحوالِ الغابرينَ، وعاقبةِ المكذبين، ومصائرِ المتشككين ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ [ق: ٦ ـ ١٠].

ومن بعد ذلك تنتقلُ الآياتُ إلى طريقٍ في البرهانِ آخرَ،

ومشهدٍ مألوفٍ؛ ولكن كثيراً ما تغفلُ عنه النفوسُ، إنها لحظةُ الموتِ وسكراتُه، ويسبقُ ذلك بيانُ الرقابةِ الإلهيةِ والإحاطةِ الربانيةِ بهذا الإنسانِ، فهو في قبضةِ مولاه، النَّفَسُ معدودٌ، والهاجسُ معلومٌ، واللفظُ مكتوبٌ، واللحظُ محسوبٌ. رقابةٌ رهيبةٌ لا يفوتُ فيها ظنٌّ، ولا يفلتُ منها وَسْواسٌ.

يُذكر ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ مصحوباً بوصفٍ عجيبٍ لحالةِ الموتِ والسكراتِ التي تمرُّ على كلِّ إنسانٍ؛ برًّا كان أو فاجراً، مؤمناً كان أو كافراً. والموتُ هو أشدُّ ما يحاولُ المخلوقُ البشريُّ أن يروغَ منه، أو يبعدَ شبَحَه عن خاطرِه ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩]. ولكنَّ الموتَ طالبٌ مدركٌ، لا يُبطىءُ ولا يخطىءُ ولا يتخلَّفُ له موعدٌ، وهاهي سكراتُ الموتِ قد جاءتْ بالحقِّ الذي كان ينكره المنكرون، ولكن لا ينفعُ الاعترافُ بعد فواتِ الأوانِ.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٩].

وبعد الموتِ وسكراته يأتي هولُ المحشرِ، ورهبةُ الحسابِ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢٠ ـ ٢٢] إنه تصويرٌ حيٌّ، وشاهدٌ قائمٌ، يقولُ فيه الرسولُ ﷺ: «**كيف أَنعْمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقمَ القرنَ، وحنىٰ جبهتَه، وانتظرَ أن يُؤذنَ له**». قالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال ﷺ: «**قولوا حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ**»(١). فقالوا حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ.

---

(١) أخرجه الترمذي(٤/ ٥٣٦ـ ح٢٤٣١)، وقال: حديث حسن، وأحمد(٣/ ٧٣).

لقد جاءَ الشهداءُ، ونُشِرتْ السجلاتُ، وفُصِل بين الفريقين، وتبيَّن أصحابُ الجنةِ وأصحابُ السعيرِ. وبدأ الخاسرون يتحاجُّون، ورجعوا إلى أنفسهم يتلاومون. ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٢٣ ـ ٣٥].

هذه هي عاقبةُ الفريقين فيالسعادةَ من رُزِقَ القلبَ المنيبَ، وخشي ربَّه بالغيبِ.

فاتقوا الله، وآمنوا بلقاءِ ربِّكم؛ يَصلُحْ لكم أمرُ دينكم ودنياكم وآخرتِكم، حياةٌ طيبةٌ، وطمأنينةٌ إيمانيةٌ، وعاقبةٌ خيِّرةٌ، فما عند اللهِ خيرٌ وأبقىٰ، وأغلىٰ وأنقىٰ.

سورة (ق) ويوم النشور

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ خلقِ فسوىٰ، وأعادَ أبدىٰ، أحمده سبحانه قادرٌ على أن يُحيي الموتىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صاحبُ المقامِ المحمودِ، والحوضِ المواردِ في اليومِ المشهودِ، فأعظِمْ به رسولاً وأكرِمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واهتدى.

أما بعدُ: معاشرَ الأحبةِ: فتأتي خواتيمُ هذه السورةِ العظيمةِ؛ لتوجزَ ما سبق من طُرُقِ إثباتِ البعثِ ومراحلِ الخلقِ، ومصيرِ الخلائقِ، ومصارعِ الغابرين، وأهوالِ المحشرِ. في كلِّ ذلك ذكرىٰ وتذكرةٌ، واعتبارٌ وتبصرةٌ، ومن لا يتذكرُ بوقائعِ الدهرِ ولا يستدلُّ من الشاهدِ على الغائبِ، ولا يستبصرُ بأحوالِ الأمم، فلا حياةُ له ولا ذكرىٰ في قلبه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ

﴿ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٣٦ ـ ٤٥].

وإن كان من وقفةٍ أخيرةٍ فهي عند قولِ الله عزَّ وتبارك: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٣٩] ذلك أيها الإخوةُ ـ إن الهدايةَ بيدِ اللهِ غيرُ خاضعةٍ لقوةِ برهانٍ، أو بلاغةِ بيانٍ، فاصبر على ما يقولون، فما عليك إلا البلاغُ، وليس عليك هداهم. وذكِّرْ بالقرآنِ فهو يهزُّ القلوبَ، ويزلزلُ النفوسَ، ولا يتذكرُ إلا من يخافُ وعيدَ الله، ويخشى سوءَ عاقبةِ أمره.

فاتقوا الله ربكم ﴿وَٱخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

الشيطان: مداخل ومكائد

الخطبة الأولى

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يليقُ بحمدِ ربِّنا وتعظيمِه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله المزيد من كمالِ إحسانِه وجميلِ تكريمِه، وأعوذ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، ومن شرِّ الشيطانِ وتوهيمِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا ونبيِّنا محمداً عبده ورسوله. شرَّفه ربُّه وكرَّمه وخصَّه بإدنائِه وتقديمِه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ، فإن لكل شيءٍ حساباً، ولكل أجلٍ كتاباً، وأنتم بأعمالكم مجزيون.

أيها المسلمون، يقول الله عزَّ وتباركَ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

مارسَ الشيطانُ كيدَه وفتنتَه مبتدئاً بالأبوين الكريمين. ولقد كان بلاءً عظيماً، دافعهُ الغيظُ والحسدُ: ﴿ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ

عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] دافعهُ الكبرُ والخيلاءُ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤] ووسيلتهُ الأيمانُ الكاذبةُ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١] والمقاييسُ الفاسدةُ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

فتنةٌ عُظمىٰ، وبليةٌ كبرىٰ حين يعظمُ سلطانُ إبليسَ فيستفزُّ القلوبَ والعقولَ والمشاعرَ في معركةٍ صاخبةٍ. تُزمجرُ فيها الأصواتُ، وفيها إجلابُ الخيلِ والرجالِ للمبارازاتِ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤].

أيها الإخوةُ في الله، إن تبيُّنَ صورِ هذا الكيدِ الإبليسي، والتأملَ في هذا المكرِ الشيطاني، أمرٌ من الأهميةِ بمكانٍ من أجلِ النظرِ في سبيلِ الخلاص، وطريقِ النجاةِ. فالله قد هدىٰ النجدين، وأوضح الطريقين.

معاشرَ الأحبةِ، مداخلُ الشيطانِ تأتي من قبلِ صفاتِ الإنسانِ، فلئن كان الشيطانُ خرجَ من الجنةِ بالحسدِ، فإن آدم خرجَ منها ـ كما يقول العلماء ـ خرجَ بالحرصِ والطمعِ.

وتترقىٰ خطواتُ الشيطانِ التي يستدرجُ فيها ابنَ آدمَ حتى يتَّخذَه معبوداً له من دون الله عياذاً بالله: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤].

ويقعُ العبدُ في ذلك حين يُسْلِمُ قيادَه لعدوِّه، ويُفْلِتُ الزمامَ لشهواتِه، فيتَّبعُ كلَّ شيطانٍ مريدٍ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ

وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٤] وفي الحديثِ: «**إن الشيطانَ قعدَ لابن آدمَ بأَطْرُقِه، فقعدَ له بطريقِ الإسلامِ فقال: تسلمُ وتذرُ دينَك ودينَ آبائك، وآباء أبيك؟...**»[1].

ويأتي من بعدِ الكفرِ مسالكُ أخرىٰ في خَطواتِ البدعِ والأهواءِ والشبهاتِ. فكم روَّجَ الزَغَلَ على بعضِ العارفين، وكم سحَرَ ببَهْرَجِه بعضَ المتعبدين، حتى ألقاهم في تشعُّباتِ الآراءِ، ومسالكِ الضلالِ. منتقلاً بهم إلى حالةٍ يقولون فيها على الله ما لا يعلمون: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

نعم أيها الإخوةُ، القولُ على اللهِ بلا علمٍ خُطوةٌ من خُطُواتِ الشيطانِ، وهو الأصلُ في فسادِ العقائدِ، وتحريفِ الشرائعِ، ويُخشىٰ من ذلك على أقوام يخوضون في علومٍ لا يحسنونَها، ويتجرءَون على فتاوىٰ لا يحيطون بها، وقد يجرُّهم في خطواتِهم إلى الإفكِ والإثمِ، والتزويرِ والكذبِ، وحينئذٍ تتنزلُ عليهم الشياطينُ تنزلاً ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢] وحينئذٍ لا يَدْعونَ إلى هدىٰ، ولا يأمرون بتقوىٰ، ولا يدلُّون على حقٍّ، وبريدُ الشيطان في ذلك الطيشُ والعجَلَةُ كما جاء في حديثِ أنسِ بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**التأنيِّ من اللهِ، والعجلةُ من الشيطانِ**»[2]، ورواتُه رواةُ الصحيح، وتأتي خُطُواتٌ من بعدِ ذلك في أهواءِ

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٢١ ـ ح٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣).

(٢) رواه أبويعلى (٧/ ٢٤٧، ٢٤٨ ـ ح٤٢٥٦)، والبيهقي (١٠/ ١٠٤).

النفوس وطبائعها، فالبخلُ وخوفُ الفقرِ سلاحٌ شيطانيٌّ. يقول فيه سفيانُ الثوريُّ: ليس للشيطانِ سلاحٌ للإنسانِ مثلَ خوفِ الفقرِ. فإذا وقعَ في قلبِ الإنسانِ منعَ الحقَّ، وتكلَّم بالهوىٰ، وظنَّ بربِّه ظنَّ السَّوءِ. وأصدقُ من ذلك وأبلغُ قول ربِّنا عزَّ وتبارك: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

والغضبُ أيها الإخوةُ تمردٌ شيطانيٌّ على العقلِ العاقلِ، وحالةٌ من الخروجِ عن جادةِ ذوي الرجاحةِ، والأسوياءِ. روي عن بعضِ الأنبياءِ أنه قال لإبليسَ: بمَ غلبتَ ابنَ آدمَ؟ قال: عند الغضبِ وعند الهوىٰ. وأغلظَ رجلٌ من قريشٍ لعمرَ بنِ عبدِالعزيز القول، فأطرَقَ عمرُ بُرهةً. ثم قال: أردتَ أن يستفزني الشيطانُ بعزِّ السلطانِ. فأنال منك اليومَ ما تنالُ مني غداً!!!.

أما الأمانيُّ وحصائدُ الغرور... فذلكم هو السلاحُ الشيطانيُّ المَضَّاءُ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[النساء: ١٢٠] ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨] يعدُهم هذا الغرَّارُ بحسبِ طبائعهم، يجرُّهم إلى حبائله بحسبِ ميولِهم ومشتهياتِهم. يخوفُ الأغنياءَ بالفقرِ، إذا هم تصدَّقوا وأحسنوا. كما يزينُ لهم الغنىٰ وألوانُ الثراءِ بالأسبابِ المحرمةِ والوسائل القذرةِ.

يزينُ لأصحابِ الملل والنِّحلِ التعصبَ وتحقيرَ المخالفين، ويصورُ لهم ذلك طريقاً إلى الحرصِ على العلم وحبِّ أهله. وينقضي عمرُ ابنِ آدمَ وهو في بحرِ الأمانيِّ يسبحُ، وفي سبيلِ

الغوايةِ يخوضُ. يعدهُ الباطلَ، ويمنِّيه المُحالَ، والنفسُ الضعيفةُ المهينةُ تغتذي بوعدِه، وتلتذُّ بأباطيلِه، وتفرحُ كما يفرحُ الصبيانُ والمعتوهون.

والخروجُ عن الوسطِ ومجاوزةِ حدِّ الاعتدالِ خَطْوٌ إبليسيٌّ، ومسلكٌ شيطاني. يقولُ بعضُ السلفِ: ما أمر اللهُ تعالىٰ بأمرٍ إلا وللشيطانِ فيه نزعتان: إما إلى تفريطٍ وتقصيرٍ، وإما إلى مجاوزةٍ وغلوٍّ، ولا يبالي إبليسُ بأيِّهما ظَفِرَ.

وإن حبائلَ الشيطانِ بين هذين الواديين. تُحبَكُ وتُحاكُ. غلا قومٌ في الأنبياءِ وأتباعِهم حتى عبدُوهم، وقصَّرَ آخرون حتى قتلوهم، وقتلوا الذين يأمرونَ بالقسطِ من الناسِ، وطوائفُ غَلَوْ في الشيوخِ وأهلِ الصلاحِ، وآخرون جفْوهم وأعرَضوا عنهم.

وإذا نظرتَ في فروعِ الأحكام. فإنك سترىٰ أناساً قصَّروا بواجباتِ الطهارةِ، وتجاوز آخرون إلى الوسواسِ، وفئامٌ من الناس جعلوا تحصيلَ العلم غايَتهم، وأهملوا العَمل. وآخرون تركوا فروض الأعيانِ المتعينةَ فلم يتعلَّموها. وأما أعمال القلوبِ من الخشية والانكسارِ والإخباتِ وأمثالِها. فقد أهملَها بعضُ من استحوذَ عليهم الشيطانُ، ولم يلتفتوا إليها، وظنُّوها من فضولِ العملِ، واستحوذَ على آخرين في الجانبِ الآخرِ حتى أهملوا أعمالَ الجوارحِ، وقالوا بسقوط التكاليفِ عن بعض العارفين. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥] ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧] إن أسوأ مايصنعُه القرينُ من الشيطانِ أن يصدَّ قرينَه عن سبيلِ الحقِّ. ثم لا يدَعُه يفيقُ ولا يستبينُ، بل

يوهمه أنه سائرٌ على الطريقِ المستقيم... حتى يُفْجأ بالمصيرِ الأليم: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠].

أيها المسلمونَ، لقد أخذَ هذا اللعينُ الميثاقُ على نفسِه لَيَقْعُدَ لابنِ آدمَ كلَّ طريقٍ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧] لئن كان هدَّدَ بذلك وتوعَّدَ؛ فإن كيدُه ضعيفٌ، ومكرَه يبورُ. إذا تسلَّحَ العبدُ بسلاحِ الإيمانِ، والعقيدةِ النقيةِ، وحَسُنَ للهِ تعبُّدُه، وصحَّ على ربِّه توكُّلُه ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩] ليس له سلطانٌ على أهلِ التوحيدِ والإخلاصِ، ولكنه ذو تسلطٍ عظيمٍ على من تولاه وكفرَ باللهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣] ولئن انطلقَ عدوُّ اللهِ يُنْفِذُ وعيدَه، ويستذلُّ عبيدَه، فليس له طريقٌ إلى عبادِ اللهِ وحزبِ الرحمنِ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٢٤]، [الإسراء: ٦٥].

أيها الإخوةُ، وعلى الرغمِ من وضوحِ ذلك وجلائِه، فقد يَزِلُّ المؤمنُ أو يخطىءُ، وقد يصيبُه نزغٌ من الشيطانِ، أو يمسُّهُ طائفٌ منه، وقد يُران على قلبِه من وَسْواسِه، لكنه سرعانَ ما يلوذُ بربِّه ويلجأُ إلى ذكره، ويتوبُ إليه من قريبٍ، فينخنسُ شيطانهُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] صلتُهم باللهِ الوثيقةُ تعصِمُهم من أن ينساقوا مع عدوِّ اللهِ وعدوِّهم، يتخلصُ المؤمن بذكرِ اللهِ ـ لجوءاً إلى ربِّه، واستعاذةً به ـ من نزواتِ الشيطان ونزغاتِه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ

﴿ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦]

«أعوذ بوجهِ اللهِ الكريم، وكلماتِ التاماتِ اللاتي لا يجاوزُهنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ، ومن شرِّ ما ينزلُ من السماءِ، وشرِّ ما يعرجُ فيها. وشرِّ ما ذَرأَ في الأرضِ، وشرِّ ما يخرجُ منها، ومن فِتَنِ الليلِ والنهارِ، ومن طوارقِ الليلِ والنهارِ، إلا طارقاً يطرقُ بخيرٍ يا رحمنُ»(١).

أيها الإخوةُ، حقٌ على من أراد الخيرَ لنفسِه، والسلامةَ لدينِه، ودحرِ شيطانِه. أن ينظرَ بعينِ البصيرةِ لا بهوىٰ الطبعِ والطمعِ، وليسلكْ مسالكَ التقوىٰ والعلمِ المكينِ.

ولقد قال الحسنُ رحمه الله: إنما هما همَّان يجولانِ في القلبِ. همٌّ من الله تعالىٰ، وهمٌّ من العدوِّ، فرحم اللهُ عبداً وقفَ عند همِّه فما كان من اللهِ تعالىٰ أمضاه، وما كان من عدوِّه جاهده وتوقاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٥ ـ ٦].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٥٠، ٩٥١) وهو مرسل، وأحمد (٣/ ٤١٩).

الشيطان: مداخـل ومكائـد

الخطبة الثانية

الحمدُ لله المتعالي في مجدِه ومُلكِه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن شرِّ الشيطان وشركِه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ؛ ليظهرَه على الدين كلِّه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبِه وأزواجِه وذريتِه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، هذه بعضُ التوجيهاتِ المحمديةِ، والإرشاداتِ المصطفويةِ، تحذِّرُ من مسالكِ الشيطانِ وعوائدِ إبليسَ.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يأكلنَّ أحدٌ منكم بشمالِه، ولا يشربنَّ بها فإن الشيطانَ يأكلُ بشمالِه ويشربُ بها**»(١).

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بدوٍ لا تقامُ فيهم الصلاةُ؛ إلا قد**

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٩٨، ١٥٩٩ ـ ح٢٠٢٠).

استحوذَ عليهم الشيطانُ، فعليكم بالجماعةِ، فإنما يأكلُ الذئبُ القاصيةَ»[1].

وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: **«الرؤيا الصالحةُ من اللهِ، والحُلْمُ من الشيطانِ، فمن رأى شيئاً يكرهُهُ فلينفثْ عن شِمالِه ثلاثاً، وليتعوذْ من الشيطان، فإنها لا تضرُّه وإن الشيطانَ لا يتراءى بي»**[2]، وفي حديث عند مسلم عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعاً: **«إذا تثاءبَ أحدُكم، فليمسكْ بيده على فيه، فإن الشيطانَ يدخلُ»**[3].

وفي الخبر الآخر **«المؤمنُ القويُّ خيرُ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرصْ على ما ينفعُك واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ، وإن أصابَك شيءٌ فلا تقلْ لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدرُ اللهِ وما شاءُ فعلَ. فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ»**[4].

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، واستعيذوا بالله ربِّكم من الشيطانِ، ومن شرِّه وشركِه، ومن همزِه ونفثِه ونفخِه.

---

(١) أخرجه أبوداود (١/ ١٥٠ ـ ٥٤٧)، والنسائي (٢/ ١٠٦ ـ ح٨٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢/ ٤٠٠ ـ ح٦٩٩٥) واللفظ له، ومسلم (٤/ ١٧٧١ ـ ح٢٢٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٣ ـ ح٢٩٩٥)، والبخاري بمعناه (١٠/ ٦٢٦ ـ ح٦٢٢٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢ ـ ح٢٦٦٤).

الذين هم في صلاتهم خاشعون

الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه. يجبرُ الكَسْرَ، ويغفرُ الذنب، ويعفو عن السيئاتِ، ويُقيلُ العاثرَ من العثراتِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، عبدَ ربَّه حقَّ عبادِته،ودعا إلى دينِه، فكان أتباعُه بالحقِّ هم الظاهرين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، نجومُ في الدُّجىٰ زاهرةً، وكواكبُ على الهدىٰ سائرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ، واعبدوه حقَّ عبادتهِ، وأخلصوا له، تقربوا إليه خوفاً وطمعاً.

أيها المسلمون، العباداتُ والقرباتُ تتفاضلُ عند اللهِ بتفاضلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإخلاصِ والمحبةِ والخشيةِ والخشوعِ والإنابةِ.

والعابدُ حقاً والمتقربُ لربِّه صِدقاً، هو الذي تحقَّقَ في قلبِه صدقُ الامتثال للأوامرِ على وجهِها، وابتعدَ عن المخالفاتِ بجميعِ وجوهِها، يجمعُ بين الإخلاصِ والحبِّ والخوفِ وحُسنِ الطاعةِ.

ومن أجل تبيُّنِ هذا التفاضلِ وإدراكِ هذا التمايزِ، هذه وقفةٌ مع أعظمِ فرائضِ الإسلامِ بعد الشهادتين؛ مع الصلاةِ عمادِ الدين.

صفاتُ المؤمنين المفلحين مبدوءةٌ بها، واستحقاقيةُ ميراثِ الفردوس مختتمةٌ بالمحافظةِ عليها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١] وفي استعراضٍ آخرَ من كتابِ اللهِ للمُكْرَمين من أهلِ الجنةِ تأتي المداومةُ على الصلاةِ في أولِ الصفاتِ، وتأتي المحافظةُ عليها في خاتمتها ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ . . . إلى قوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣٥].

أيها الإخوةُ، إنه ثناءٌ على هؤلاءِ المصلين ما بعدَه ثناءٌ، وإغراءٌ ما بعده إغراءٌ، لكنَّ هذه الصلاةَ التي أقاموها صلاةٌ خاصةٌ، ذاتُ صفاتٍ خاصةٍ، صلاةٌ تامةٌ كاملةٌ، صلاةٌ خاشعةٌ في هيئةٍ دائمةٍ، ومحافظةٍ شاملةٍ.

إنها صفاتٌ وعناصرُ إذا حصلَ خللٌ فيها أو نقصٌ؛ فقد حصل في صلاةِ العبدِ نقصٌ بقدرِ ذلك القصورِ، بل قد يتحولُ الوعدُ إلى وعيدٍ، وينقلبُ رجاءُ الثوابِ إلى عُرضةٍ للعقابِ، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥] واقرأوا في صفات المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢]

﴿. . . وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ . .﴾[التوبة: ٥٤].

أيها الإخوةُ: إن روحَ الصلاةِ ولبَّها هو الخشوعُ وحضورُ القلبِ، حتى قال بعضُ أهلِ العلمِ: صلاةٌ بلا خشوعٍ ولا حضورٍ جثةٌ هامدةٌ بلا روحٍ.

إن الخشوعَ ـ أيها الأحبةُ ـ حالةٌ في القلبِ تنبُعُ من أعماقِه مهابةً لله وتوقيراً، وتواضعاً في النفس وتذللاً. لينٌ في القلبِ، ورقةٌ تُورثُ انكساراً وحُرقةً.

وإذا خشعَ القلبُ خشعَ السمعُ والبصرُ، والوجهُ والجبينُ، وسائرُ الأعضاءِ والحواسِّ. إذا سكنَ القلبُ وخشعَ، خشعتْ الجوارحُ والحركاتُ، حتى الصوتُ والكلامُ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨].

وقد كان من ذكرِ النبيِّ ﷺ في ركوعِه: «**خشعَ لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي**» وفي رواية لأحمد: «**وما استقلَّتْ به قدمي للهِ ربِّ العالمين**»(١).

وحينما رأى بعضُ السلفِ رجلاً يعبثُ بيدِه في الصلاةِ قالَ: لو خَشعَ قلبُ هذا لخشعتْ جوارحُه.

ويبين عليٌ ـ رضي الله عنه ـ خشوعَ الصلاةِ فيقولُ: هو خشوعُ القلبِ، ولا تلتفتْ في صلاتِك، وتُلينُ كنَفَك للمرءِ المسلم. يعني: حتى وأنت تسوي الصفوفَ مع إخوانِك، ينبغي أن يعلوَك الخُشوعُ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤، ٥٣٥ ـ ح٧٧١)، وأبوداود (١/ ٢٠١، ٢٠٢ ـ ح٧٦٠)، وأحمد (١/ ١١٩).

ويصفُ الحسنُ ـ رحمه اللهُ ـ حالَ السلفِ بقولِه: كان الخشوعُ في قلوبِهم، فغَضُّوا له البصرَ في الصلاةِ.

عبادَ الله، إن القلبَ إذا خشعَ، سكنتْ خواطرُه، وترفعتْ عن الإراداتِ الدنيئةِ همتُه، وتجرَّدَ عن اتباعِ الهوىٰ مسلكُه، ينكسرُ ويخضعُ للهِ، ويزولُ ما فيهِ من التعاظمِ والترفعِ والتعالي والتكبرِ.

الخشوعُ سكونٌ واستكانةٌ، وعزوفٌ عن التوجُّهِ إلى العصيانِ والمخالفةِ. والخاشعون والخاشعاتُ هم الذين ذلَّلوا أنفسَهم، وكسروا حدَّتَها، وعوَّدُها أن تطمئنَّ إلى أمرِ اللهِ وذكرِه، وتطلبَ حُسنَ العاقبةِ، ووعدَ الآخرةِ، ولا تغترَّ بما تزينُه الشهواتُ الحاضرةُ، والملذاتُ العابرة.

إذا خشعَ قلبُ المصلي استشعرَ الوقوفَ بين يدي خالقِه، وعظُمتْ عنده مناجاتُه، فمن قَدَرَ الأمرَ حقَّ قدرِه، واستقرَّ في جَنانِه عظمةُ اللهِ وجلالهُ، وامتلأَ بالخوفِ قلبُه، خشعَ في صلاتِه، وأقبلَ عليها، ولم يشتغلْ بسواها، وسكنتْ جوارحُه فيها، واستحقَّ المديحَ القرآني: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

رُوي عن مجاهدٍ ـ رحمه اللهُ ـ في قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال: القنوتُ: الركونُ والخشوعُ، وغضُّ البصرِ، وخفضُ الجناحِ. قال: وكان العلماءُ إذا قام أحدُهم في الصلاةِ هابَ الرحمنَ ـ عزَّ وجلَّ ـ عن أن يشدَّ نظرَه، أو يلتفتَ أو يقلبَ الحصىٰ، أو يعبثَ بشيءٍ، أو يحدِّثَ نفسَه بشيءٍ من أمرِ الدنيا مادامَ في الصلاةِ.

بالخشوعِ الحقِّ، يكونُ المصلون مخبتين لربِّهم، منكسرين لعظمتِه خاضعينَ لكبريائه، خاشعينَ لجلالِه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولْتعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أن الخشوعَ يتفاوتُ في القلوبِ بحسَبِ تفاوتِ معرفتِها لمن خشعتْ له، وبحسَبِ مشاهدةِ القلوبِ للصفاتِ المقتضيةِ للخشوعِ. وبمقدارِ هذا التفاوتِ يكونُ تفاضلُ الناسِ، في القبولِ والثوابِ، وفي رفعِ الدرجاتِ، وحطِّ السيئاتِ. عن عبدالله الصُّنابحي ـ رضي اللهُ عنه ـ قال أشهدُ أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**خمسُ صلواتٍ افترضهنَّ اللهُ تعالىٰ، من أحسنَ وضوءَهن، وصلَّاهنَّ لوقتِهن، وأتمَّ ركوعَهن وخشوعَهن؛ فكان له على اللهِ عهدٌ أن يغفرَ له، ومن لم يفعلْ فليس له على اللهِ عهدٌ، إن شاءَ غفرَ له، وإن شاء عذبَه**»[(١)].

وفي خبرٍ آخرَ عنه ﷺ أخرَجه مسلمٌ وغيرُه قال: «**ما من امرئٍ مسلمٍ تحضرُه صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسِنُ وضوءَها وخشوعَها وركوعَها إلاَّ كانتْ كفارةً لما قبلها من الذنوبِ، ما لم يُؤتَ كبيرةٌ وذلك الدهرَ كلَّه**»[(٢)].

وعن عثمان رضي اللهُ عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**... من توضَّأَ نحوَ وضوئي هذا ثمَّ صلىٰ ركعتين لا يحدِّثُ فيهما نفسه بشيءٍ؛ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبوداود (١/ ١١٥ ـ ح٤٢٥)، وأحمد (٥/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٦ ـ ح٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣١١ـ ح١٥٩)، ومسلم(١/ ٢٠٤، ٢٠٥ـ ح٢٢٦).

الصلاةُ الخاشعةُ هي الراحةُ الدائمةُ للنفوسِ المطمئنةِ الواثقةِ بوعدِ ربِّها المؤمنةِ بلقائِه.

أينَ هذا من نفوسٍ استحوذ عليها الهوىٰ والشيطانُ؟؟ فلا ترىٰ من صلاتِها إلا أجسَاداً تهوي إلى الأرضِ خفضاً ورفعاً. أما قلوبُها فخاويةٌ وأرواحُها فبالدنيا متعلقةٌ، ونفوسُها بالأموالِ والأهلينَ مشغولةٌ.

لما سمعَ بعضُ السلفِ قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] قال: كم من مصلٍ لم يشربْ خمراً.. هو في صلاتِه لا يعلمُ ما يقول، وقد أسكرتْه الدنيا بهمومِها.

أيها الإخوةُ، وهناك نوعٌ من الخشوعِ حذَّرَ منه السلفُ، وأنذروا وسمَّوه: خشوعَ النفاقِ. فقالوا: استعيذوا باللهِ من خشوعِ النفاقِ. قالوا: وما خشوعِ النفاق؟ قالوا: أن ترىٰ الجسدَ خاشعاً، والقلبَ ليس بخاشعٍ. ولقد نظرَ عمرُ ـ رضي الله عنه ـ إلى شابٍّ قد نكَّسَ رأسَه فقال له: يا هذا، ارفعْ رأسَك، فإن الخشوعَ لا يزيدُ على ما في القلبِ، فمن أظهرَ خشوعاً على ما في قلبِه فإنما هو نفاقٌ على نفاق.

وقال الحسنُ: إن أقواماً جعلوا التواضعَ في لباسِهم، والكبرَ في قلوبِهم، ولبسوا مداعِجَ الصوفِ ـ أي: الصوفَ الأسودَ ـ واللهِ لأحدُهم أشدُّ كِبْراً بمدْرَعتِه من صاحبِ السريرِ بسريره، وصاحبِ الديباجِ في ديباجِه.

فاتقو الله ـ رحمكُم الله ـ، واحفظوا صلاتكم، وحافظواعليها،

واستعيذوا باللهِ من قلبٍ لا يخشعْ، فقد كان من دعاءِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نفسٍ لا تشبعُ، ومن دعوةٍ لاً يستجابُ لها**»[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٨ ـ ح٢٧٢٢).

الذين هم في صلاتهم خاشعون

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المتفردِ بالعظمةِ والجلالِ، المتفضلِ على خلقِه بجزيلِ النوالِ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وهو الكبيرُ المتعالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الداعي إلى الحقِّ، والمنقذِ بإذنِ ربِّه من الضلالِ ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ المآلِ.

أما بعـدُ:

أيها المسلمونَ، يَذكرُ أهلُ العلمِ وجوهاً عدةً، يتبينُ فيها حضورُ القلبِ، ويتحققُ فيها حالُ الخشوعِ، وحقيقةُ التعبدِ.

مـن هـذه الـوجـوه: الاجتهـادُ فـي تفـريـغِ القلـبِ للعبـادةِ، والانصـرافِ عمـا سـواهـا، ويقـوىٰ ذلـك ويضعفُ بحسَـبِ قـوةِ الإيمـانِ بـاللهِ واليـومِ الآخـرِ، والـوعـدِ والـوعيـدِ. منهـا: التفهـمُ والتدبرُ لما تشتملُ عليه الصلاةُ من قراءةٍ وذكرٍ ومناجاةٍ؛ لأن حضورَ القلبِ والتخشعَ والسكونَ من غيرِ فهمٍ للمعاني لا يحققُ المقصودَ.

ومنها: الاجتهادُ بدفعِ الخواطرِ النفسيةِ، والبعدُ عن الصوارفِ

الشاغلة. وهذه الصوارفُ والشواغلُ عند أهلِ العلم نوعان: صوارفٌ ظاهرةٌ وهي ما يشغلُ السمعَ والبصرَ، وهذه تعالجُ باقترابِ المصلي من سترتِه وقبلتِه ونظرِهإلىموضع سجودِه، والابتعادِ عن المواقع المزخرفةِ والمنقوشةِ، والنبيُّ ﷺ لما صلّىٰ في خميصة[1] لها أعلامٌ وخطوطٌ نزعَها وقال: «**إنها ألهتني آنفاً عن صلاتي**»[2] متفق عليه من حديثِ عائشةَ.

والنوعُ الثاني: صوارفُ باطنةٌ من تَشعُّبِ الفكرِ في همومِ الدنيا، وانشغالِ الذهنِ بأوديةِ الحياةِ، ومعالجةُ ذلك بشدةِ والتفكرِ والتدبرِ لما يقرأُ ويذكرُ ويناجي. ومما يعينُ على حضورِ القلبِ، وصدقِ التخشُّع؛ تعظيمُ المولىٰ جلَّ وعلا في القلبِ، وهيبتُه في النفس، ولاَ يكونُ ذلك إلا بالمعرفةِ الحقَّةِ باللهِ عزَّ شأنه، ومعرفةِ حقارةِ النفس وذلِّها وقلةِ حيلتِها، وحينئذٍ تتولدُ الاستكانةُ والخشوعُ والذلُ والإنابةِ.

أمرٌ آخرُ ـ أيها الإخوةُ ـ يحسنُ التنبيهُ إليه، وهو دالٌّ على نوعٍ من الانصرافِ والتشاغلِ مع ما جاء من عِظَمِ الوعيدِ عليه، وخطرِ التهاونِ فيه، ذلكم هو مسابقةُ الإمامِ في الصلاةِ، فما جُعلَ الإمام إلا ليؤتمَّ به، فلا تتقدموا عليه، وقد قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أما يخشىٰ الذي يرفعُ رأسَه قبلَ الإمامِ أن يحوِّلَ اللهُ رأسَه رأسَ حمارٍ**»[3] متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة. وفي رواية: «**أو صورةَ كلبٍ**».

---

(١) الخميصة: كساء مربع له علمان. انظر الفتح (١/ ٥٧٦).

(٢) أخرجه البخاري(١/ ٥٧٥، ٥٧٦ ـ ح٣٧٣)،ومسلم (١/ ٣٩١ ـ ح٥٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢١٤ ـ ح٦٩١)، ومسلم (١/ ٣٢٠ ـ ح٤٢٧).

وانظروا إلى حالِ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم مع نبيِّهم وإمامِهم محمدٍ ﷺ يقولُ البراءُ بن عازبٍ: «كنا خلفَ النبيِّ ﷺ فكان إذا انحطَّ من قيامِه للسجودِ، لا يحني أحدٌ منا ظهرَه حتى يضعَ رسولُ اللهِ ﷺ جبهتَه على الأرضِ»[1]. متفقٌ عليه، وكانوا يلبَثونَ خلفه قياماً حتى ينحطَّ النبيُّ ﷺ ويكبرَ، وكان يستوي قائماً وهم لا يزالون سجوداً بعدُ. ورأىٰ ابنُ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يسابق إمامَه فقال له: لا وحدَك صليتَ، ولا أنت بإمامِك اقتديتَ.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ، وأحسنوا صلاتَكم، وأتمُّوا ركوعَها وسجودَها، وحافظُوا على أذكارِها، وحُسنِ المناجاةِ فيها، رزقنا اللهُ وإياكم الفقهَ في الدينِ وحسنَ العملِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢١٢ ـ ح٦٩٠)، ومسلم (١/ ٣٤٥ ـ ح٤٧٤).

المشتغلون بالذكر

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وسِعتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ وعمَّتْ، وتوالتْ نِعمُه على عبادِه وتمتْ. أحمدهُ سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، لهجتْ بذكرِه النفوسُ المؤمنةُ فاطمأنتْ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قام بواجبِ الذكرِ والشكرِ، وجاهد في سبيل الدعوةِ حتى ارتفعتْ رايةُ الملة واستتمتْ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وازدهرتْ النجومُ واستكنتْ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ وعظموا أمرَه، واجتنبوا زواجرَه.

أيهـا المسلمـونَ، يقـول الله عـز وجـل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

لكل أمةٍ من الأممِ ما تفاخرُ به في مفاهيمَ ضيقةٍ، وأهدافٍ

محددةٍ، وهممٍ قاصرةٍ... فلا رسالةَ كبرىٰ ولا غاياتٍ عُليا.. لم يكنْ لهم رسالةٌ في الأرضِ ولا ذكرٌ في السماء.

وأمةُ العربِ كانت من هذا القبيلِ.. يجتمعونَ بعد حجِّهم في أسواقِهم ومنتدياتِهم؛ ليفاخروا بآبائهم، ويتعاظموا بأنسابِهم. جاءَ الإسلامُ فرفعَ الهممَ، وأنارَ الفكرَ، وأنشأهم إنشاءً جديداً. سلك بأتباعِه مسلكَ عزٍّ لا يَطَاولُ، وقادَهم إلى مجدٍ لا يُضاهىٰ، جاءَهم الكتابُ، وتنزلُ عليهم الوحي؛ فكان لهم الذكرُ والخلودُ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤] في هذا الذكرِ، وهذا الكتابِ أعطاهم الميزانَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]. فميزانُ الرفعةِ والتكريم، ومقياسُ المفاخرةِ والذكرِ، التقوىٰ والصلةُ بالله، والتلبسُ بذكرِه وشكرِه، والعملُ الصالحُ.

إذا كان الأمرُ كذلكَ، فمن أحقُّ بالذكرِ والشكرِ من أهلِ الإسلام، الذين أتمَّ الله عليهم نعمتَه وأكملَ لهم دينَه، وجعلَه مهيمناً على الدين كلِّه. ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

وحقُّنا ـ نحن أهلَ الإسلامَ ـ أن نقفَ مع مفهومِ الذكرِ، لنتبينَ معناه؛ لعلنا أن نقومَ بحقِّه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

الذكرُ هنا ـ أيها الأحبةُ ـ ذو دائرةٍ واسعةٍ.. لا تُحدُّ

مجالاتُها.. في ميادينُ عريضةٍ من القولِ والعملِ، والفكرِ والاعتقادِ. الذكرُ ليس ساعةَ مناجاةٍ محدودةً في الصباحِ أو المساءِ، في المسجدِ أو في المحرابِ.. لينطلقَ العبدُ بعدَها في أرجاءِ الأرضِ يعبَثُ كما يشاءُ ويفعلُ ما يريدُ. الذاكرُ الحيُّ والمتدينُ الحقُّ يرقُبُ ربَّه في كلِّ حالٍ، وحيثما كان، وينضبطُ مسلكُه ونشاطُه بأوامرِ ربِّه ونواهيه.. يشعرُ بضعفِهِ البشري، فيستعينُ بربِّه في كلِّ ما يعتريه أو يُهِمُّه.

وفي هذا يقول سعيدُ بن جبيرٍ ـ رحمه الله ـ: كلُّ عاملٍ للهِ بطاعةٍ فهو ذاكرٌ للهِ تعالىٰ.

ويقولُ عطاءُ: مجالسُ الذكرِ: الصلاةُ والصيامُ والحجُ، ومجالسُ الحلالِ والحرامِ: البيعِ والشراءِ، والنكاحِ والطلاقِ.

المسلمُ الذاكرُ يصحو وينامُ، ويقومُ ويقعدُ، ويغدو ويروحُ، وفي أعماقِه إحساسٌ بأن دقاتِ قلبِه، وتقلباتِ بصرِه، وحركاتِ جوارحِه كلَّها في قبضةِ اللهِ وتحت قدرتِه، في أعماقِه إحساسٌ وإيمانٌ بأن إدبارَ الليلِ وإقبالَ النهارِ، وتنفسَ الصبحِ وغسقَ الليلِ، وحركاتِ الأكوانِ، وجريانَ الأفلاكِ.. كلُّ ذلك بقدرةِ الله وأقداره ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

لا يهنأُ بالعيشِ، ولا يتذوقُ السعادةَ إلا امرؤٌ أحبَّ الله، وأحبَّ في اللهِ، وأحب للهِ، واطمأنَّ بذكرِه، وهشَّ لمصالحِ خلقِه، وتألَّمَ لآلامِهم، وأعانَ على تحقيقِ آمالِهم، لسانُه الذاكرُ

يقولُ: «**اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِك فمنكَ وحدَك لا شريكَ لكَ، فلكَ الحمدُ ولكَ الشكرُ**»[1].

أيها الإخوةُ المسلمونُ: ملائكةُ الرحمنِ يسبحونَ اللهُ لا يفترُون، ولكنَّ البشرَ يأكلون وينامون، ويعملون ويفترون، غير أنَّهم يضاهئون الملائكةَ. حين يقومون إلى عباداتِهم ومعاشِهم.. حين يزرَعون ويحصِدون ويكافِحون ويكدَحون.. باسمِ اللهِ ومن اللهِ وإلى اللهِ. أوقاتُ البشرِ التي يصرفونَها تُعادلُ أوقاتَ الملائكةِ في التسبيحِ والتحميدِ والتمجيدِ.. إذا هم آمنوا بربِّهم، وساروا على نهجِه، ولحظوا قدرتَه، وتفكروا في آلائِه، واعترفوا بفضلِه في الإطعامِ، والكساءِ، والصحةِ، والإيواءِ، والأمنِ، والأمانِ.

الذاكرون المخبتون يعيشون لربِّهم مصلين، حامدين، مجاهدين، عاملين.

قَطعوا إغراءاتِ العاجلةِ، وجواذبَ الإخلادِ إلى الأرضِ، وساروا في الطريقِ إلى مراضي اللهِ... يبتغون وجَهه، ويذكرون اسمَ الله في جميعِ أحيانِهم وشئونِهم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

ويرقى الحالُ بهم إلى أن يُباهي بهم ربُّهم ملائكتَه، كما أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديثِ معاويةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى (٦/ ٥ ـ ح٩٨٣٥)، وابن حبان انظر الاحسان (٣/ ١٤٢، ١٤٣ ـ ح٨٦١)، وأبوداود (٤/ ٣١٨ ـ ح٥٠٧٣)، وحسن الحافظ.

رسولَ الله ﷺ خرجَ على حلقةٍ من أصحابِه فقال: «**ما أجلَسكُم؟**» قالوا: جلَسنا نذكرُ الله ونحمدُه على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا. قال: «**آلله ما أجلَسكم إلا ذَاكَ؟**» قالوا: ما أجلسنا إلا ذاكَ. قال: «**أما إني لم أستحلِفكم تهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريلُ فأخبرني أن اللهَ عزَّ وجلَّ يباهي بكم الملائكةَ**»[1].

وقد علمتم ـ أيها الإخوةُ ـ بمباهاةِ اللهِ ملائكتَه بالحجاجِ في موقفِ عرفةِ، وما ذلك إلا لما يعيشُه أهلُ الموقفِ من ذكرٍ، ودعاءٍ، وتعبدٍ، وحُسنِ توجهٍ للهِ ربِّ العالمين.

المسلمُ الذاكرُ صاحبُ قلبٍ سليمٍ مستسلمٍ للهِ، وهو في جانبٍ آخرَ صاحبُ كدحٍ شريفٍ، قدماه مغبرتان، ويداه كالَّتانِ في ميدانِ العملِ من غير جَزَعٍ أو هوانٍ، ومن غيرِ ذلةٍ ولا استكبارٍ مبتهلٌ إلى ربِّه: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ والجبنِ والهرمِ والبخلِ، وأعوذ بك من عذابِ القبرِ، ومن فتنةِ المحيا والممات**» وفي رواية للبخاري «**وضَلَعِ الدينِ وقهرِ الرجالِ**»[2] واللفظ لمسلمٍ من حديثِ أنسٍ.

أيها الإخوةُ، وهذه إلمامةٌ تطبيقيةٌ لمسيرةِ يومٍ مع المسلمِ الذاكرِ لربِّه.. المستمسكِ بالصحيحِ المأثورِ عن نبيِّه محمدٍ ﷺ.

اليومُ الإسلامي يبدأُ مع بزوغِ الفجرِ أو قُبيلِ ذلك.. ليمتدَّ في النهارِ سبحاً طويلاً، متقلباً في الغدوِّ والآصالِ، والعشيِّ الإبكارِ، يستيقظُ المسلمُ مع طلائعِ الصبحِ المتنفسِ مستفتحاً بهذا الذكرِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ ـ ح٢٧٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٥٣ ـ ح٢٨٢٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩ ـ ح٢٧٠٦).

«الحمدُ لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليَّ روحي، وأَذِنَ لي بذكرِه»[1] من حديثِ أبي هريرةَ. **«أصبَحْنا على فطرةِ الإسلامِ وكلمةِ الإخلاصِ، وعلى دينِ نبيِّنا محمد ﷺ وعلى ملةِ أبينا إبراهيمَ حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»**[2].

وفي أثناءِ ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ يخترقُ حجابَ الصمتِ، ويشقُّه صوتٌ جهيرٌ جميلٌ.. واضحُ الكلماتِ.. ظاهرُ المعاني والمقاصدِ.. إنه صوتُ المؤذنِ ينادي بالتوحيدِ والفلاحِ.. في كلماتٍ كلُّها ذكرٌ.. ينادي بها بصوتِه الندي، ويردُّدها المسلمون من بعده.

اليومُ الإسلامي يبدأُ بخطواتِ السكينةِ والوقارِ إلى المسجدِ مع غبشِ الصبحِ؛ ليقفَ المسلم متبتلاً خاشعاً بين يدي ربِّه.. خلال اليوم خمسَ مراتٍ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

هذا المسلمُ الخاشعُ يقولُ عند خروجِه إلى الصلاةِ: **«اللهمَّ اجعلْ في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، وعظِّم لي نوراً»**[3] واللفظ لمسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٠، ٤٤١ ـ ح٣٤٠١) وقال: حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦)، والنسائي في (اليوم والليلة) من الكبرى (٦/ ٤ ـ ح٩٨٣١)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح. انظر المجمع (١٠/ ١١٦).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ١١٩، ١٢٠ ـ ح٦٣١٦)، ومسلم (١/ ٥٢٥، ٥٢٦ ـ ح٧٦٣).

وإذا ازدلفت قدماه إلى المسجد لهج بذكرٍ آخرَ، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ؛ فليسلمْ على النبيِّ ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبوابَ رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك**»[1]، وعن حياة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني أنك حدثت عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخلَ المسجدَ قالَ: «**أعوذُ باللهِ العظيم، وبوجهِهِ الكريم، وسلطانِه القديم، من الشيطانِ الرجيم**». قالَ: أَقَطُّ[2]؟ قلت: نعم. قال: «**فإذا قال ذلك، قال الشيطانُ: حُفظَ مني سائرَ اليومِ**»[3].

أخي المسلم: إذا تأملتَ كلَّ ذلك .. أدركتَ السرَّ في الاقترانِ بين تضييعِ الصلواتِ واتباعِ الشهواتِ.

أيها المسلمون: هذا اليومُ الإسلامي يتخلَّله في سبحهِ الطويلِ.. أذكارٌ للطعامِ والشرابِ، والسفرِ والإيابِ، والنومِ والاستيقاظِ، والمتاعبِ والمصاعبِ، والصحةِ والسقمِ.. أذكارٌ للدنيا وهمومِها، والديونِ ومغارِمها، في طلبِ المعاشِ، ومقاربةِ الأهلِ، وصلاحِ الذريةِ... أذكارٌ وتسبيحاتٌ ودعواتٌ وابتهالاتٌ، مقرونةٌ بتعاطي الأسبابِ، والكدحِ المشروعِ في هذه

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٩٤ ـ ح٧١٣) «بدون فليسلم على النبي ﷺ»، وأبوداود (١/ ١٢٦، ١٢٧ ـ ح٤٦٥) واللفظ له، وابن ماجه (١/ ٢٥٤ ـ ح٧٧٣).

(٢) أقط: الهمزة للاستفهام.. أي: انتهى الحديث الذي بلغك عني [قلت: نعم] هذا الذي بلغني عنك. انظر بذك المجهود (٣/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه أبوداود (١/ ١٢٧ ـ ح٤٦٦).

الدنيا؛ ليقومَ المسلمُ بمهمةِ الاستخلافِ على وجهها، إيمانٌ وعملٌ، وعقيدةٌ ومنهجٌ، وانطلاقٌ خاشعٌ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ ـ ٢٩].

المشتغلون بالذكر

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حقَّ حمده، والشكرُ له حقَّ شكره. أحمده وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله العونَ على حُسنِ عبادته وذكرِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه قام بحقِّ ربِّه في سرِّه وجهرِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى آخرِ دهرِه.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ في الله، الذين جهلوا ربَّهم، ونسوا الذكرَ، وما كانوا إلا قوماً بوراً، يتصرفون بغيرِ هدىً، ويتقلبون في هذهِ الإرضِ بدوافعِ الهوىٰ، يمكرون مكراً كباراً، ولا يرجون للهِ وقاراً... ماذا جَنَوا؟ وماذا كَسَبُوا؟ انظروا إلى من أجهدوا أنفسَهم.. من أذكياءِ الشرقِ ودهاةِ الغربِ... استخرجوا من كنوزِ الأرضِ ما استخرجوا.. ظاهراً وباطناً، وعلموا من علومِ الفضاءِ ما علموا، ولكن صُرفتْ نتائجُ كلِّ ذلك في أسلحةِ الدمارِ الشاملِ.. أُورِثوا خوفاً ورُعباً في المستقبلِ ومن المستقبلِ. وأممُ الأرضِ تلهثُ من ورائِهم؛ تبتغي الضروريَّ من لُقمةِ العيشِ المضنيةِ.. ذلكم هو شؤمُ الغفلةِ عن اللهِ... ذلكم هو عاقبةُ نسيانِ الذكرِ مهما كان لصاحبِهِ من الذكاءِ والعلمِ والدهاءِ، ومهما

اكتسبوا وتدثروا بقشورٍ من مظاهرِ الحضارةِ، وتقنياتِ المادةِ. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ٤٢١].

كيف يكون الحال ـ أيها الإخوةُ ـ لو أنَّ هذا الجهدَ المضنيَ، والكدَّ الكادحَ المبذولَ في تحصيلِ الأقواتِ وتأمينِ المعاشِ... ماذا لو صَاحبَه أَدَبٌ مع اللهِ، وحُسنُ قصدٍ في ابتغاءِ مراضيهِ؟ واقترنَ بحبِّ الخيرِ للناسِ؟ لو كان كذلك؛ لكسب صاحبُه سعادةَ الدنيا، وفلاحَ الآخرة، وفي الحديث: «**من كانت الدنيا همَّه، فرق اللهُ عليه أمرَه، وجعلَ فقرَه بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة نيّتَه، جمع اللهُ عليه أمرَه، وجعل غناه في قلبِه، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ**»[1].

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ. وقوموا بحقِّ الله وذكرِه، وأمِّنوا على هذا الدعاء: «اللهم اكفنا بحلالِك عن حرامِك، وأغننا بفضلِك عمن سواك، اللهم إنا نسألُك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً مُتقبلاً، اللهم باركْ لنا فيما قُدِّر لنا حتى لا نحبَّ تعجيلَ ما أخرتَ، ولا تأخيرَ ما عجلتَ، ونسألُك اللهم القصدَ في الفقرِ والغنىٰ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، ونسألُك نعيماً لا ينفدُ، وقرةَ عينٍ لا تنقطعُ، اللهم زيِّنا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هداةً مهتدين».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٥ ـ ح٤١٠٥)، وقال البوصيري: اسناده صحيح، رجاله ثقات، والترمذي (٤/ ٥٥٤ ـ ح٢٤٦٥)، وابن حبان انظر مواد الظمآن (١/ ١٦٩، ١٧٠ ـ ح٧٢)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٤٣ ـ ح٤٨٩١).

مفاهيم واسعة للأعمال الصالحة

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، نشكرُه ولا نكفرُه.. عمَّ برحمتِه جميعَ العبادِ، وخصَّ أهلَ طاعتِه بالهدىٰ والسدادِ، ووفقهم للأعمال الصالحاتِ؛ ففازوا في الحياتينِ ببلوغِ المرادِ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده، تنزَّه عن الشركاءِ والنظراءِ والأندادِ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه ـ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتمَّ به النعمةَ، فأقامَ أركانَ الحنيفيةِ وأشادَ. صلى اللهُ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.. آمنوا بربِّهم، وجاهدوا مع رسولِهم، وعملوا الصالحاتِ فطابتْ حياتُهم، وحسُنتْ عاقبتُهم وصاروا مناراً لمسالِك الخيرِ والإسعادِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المعادِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ، اتقوا الله وآمنوا برسولِه يؤتِكم كفلِين من رحمتِه، ويجعلْ لكم نوراً تمشون به ويغفرْ لكم.

اتقوا اللهَ واعملوا صالحاً: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٧٩].

أيها المسلمون، العملُ الصالحُ في كتابِ الله قرينُ الإيمانِ، وكلُّ بني آدمَ خاسرٌ إلا من آمن وعملَ صالحاً.

العملُ الصالحُ ميدانُه واسعٌ، ومفهومهُ شاملٌ، ينتظمُ أعمالَ القلوبِ والجوارحِ، في الظاهرِ والباطنِ، في القوىٰ والملكاتِ، والمواهبِ والمدركاتِ، أعمالٌ خاصةٌ وعامةٌ، فرديةٌ وجماعيةٌ.

إن من الأعمالِ الصالحةِ ما يمتدُّ إلى ما بعدَ المماتِ.. من الصدقةِ والعلم والذريةِ الطيبةِ.. «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلا من ثَلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١).

أيها الإخوةُ، إنّ من الأعمالِ التي يقومُ بها الإنسانُ أعمالاً يوميةً معتادةً، بل منها ما هو من لوازمِ بناءِ الحياةِ، ولكنها تكونُ أعمالاً صالحةً محسوبةً في ميزانِ العبدِ، إذا صحتْ بها النوايا، واستقامتْ على الطريقةِ، وأُتقنَ أداؤُها. احفظوا أوقاتَكم، ولا تحقِروا من الأعمالِ شيئاً، فكلُّ عملٍ في الإسلام معتبرٌ، مهما قلَّ أو صَغُرَ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

العملُ الصالحُ بشتى أنواعِه وألوانِه.. يحفظُ على المرءِ دينَه وعِرضَه، ويَكسبُ الحياةُ المطمئنةَ، ويقودُه إلى الخيرِ وراحةِ البالِ.

وأعمالُكم سوف يراها ربُّكم ونبيُّكم والمؤمنون: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٥٥ ـ ح١٦٣١).

فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. الأعمالُ واسعةٌ وميادينُها فسيحةٌ، في أعمالٍ بدنيةٍ ولسانيةٍ وقلبيةٍ.

فالشهادتانِ والصلاةُ والزكاةُ والصومُ والحجُّ في مقدمةِ الأعمالِ الصالحاتِ، وبقيةُ الفرائضِ والواجباتِ والمندوباتِ والمستحباتِ من الأعمالِ الصالحاتِ، وفي الحديثِ الصحيحِ: «**الطُّهورُ شطرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ أو تملأُ ما بين السمواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآنُ حجةٌ لك أو عليك، كلُّ الناسِ يغدو؛ فبائعٌ نفسَه فمعتقُها أو موبقُها**»[1] وإن شئتم مزيداً من الأعمالِ البدنيةِ؛ فاذكروا برَّ الوالدينِ، وصلةَ الأرحامِ، وإكرامَ الضيفِ والجارِ، والجهادَ في سبيلِ اللهِ، وعيادةَ المريضِ، واتباعَ الجنائزِ، وإجابةَ الداعي، ونصرةَ المظلومِ.

ومن الأعمالِ الجليلةِ الجميلةِ ـ أيها المسلم ـ أن تواسيَ فقيراً، وتكفلَ يتيماً، وتعودَ مريضاً، وتنقذَ غريقاً، وتساعدَ بائساً، وتُنظرَ معسراً، وتُرشدَ ضالاً، وتعينَ رجلاً في مركوبِه ليركبَ، وترفع متاعَه عليه ليحملَ، تسعى بشدةٍ ساقيك إلى اللهفانِ المستغيثِ، وترفعُ بقوةِ ساعديك لتعينَ المحتاجَ والضعيفَ.

ولا يقتصرُ العملُ الصالحُ على الإنسانِ وأخيهِ الإنسانِ. استمعوا إلى هذا السؤالِ الطريفِ من الصحبِ الكرامِ مع الجوابِ الحصيفِ من النبيِّ عليه الصلاةِ والسلامِ: فقد سألوا وقالوا: يارسولَ اللهِ، وإن لنا

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٣ ـ ح٢٢٣).

في البهائم لأجراً؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**»[1]. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الرفقُ بالحيوانِ عملٌ صالحٌ، ركوبُه بإحسانٍ عملٌ صالحٌ، والإحسانُ في ذبحِه عملٌ صالحٌ: «**إن اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتُم فأحسنوا القِتلةَ، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذِّبحَة، وليحدَّ أحدُكم شفرتَه، وليُرِحْ ذبيحتَه**»[2]. من حديث شدادِ بن أوس رضي الله عنه.

سقيُ الحيوانِ وإطعامُه عملٌ مبرورٌ بل أكلُ الطيرِ والبهيمةِ من حقلِ الإنسانِ وزرعِه فيه صدقةٌ وأجرٌ. «**ما من مسلمٍ يغرس غرساً، أو يزرعُ زرعاً، فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقةٌ**»[3]. متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه. وحينما رأى الصحابةُ - رضوان الله عليهم - سعةَ دائرةِ العملِ الصالحِ استطردوا في السؤالِ قالوا: أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ له فيها أجَر؟ فكان الجوابُ النبويُّ الكريمُ، قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلالِ كان له أجرٌ**»[4]. من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

أما الأعمالُ اللسانيةُ فبابُها كبيرٌ: ذكرٌ ودعاءٌ، وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكرٍ، وتعليمُ العلمِ النافعِ، ناهيك بالشفاعةِ الحسنةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٥٠ - ح٢٣٦٣)، ومسلم (٤/ ١٧٦١ - ح٢٢٤٤).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٤٨ - ح١٩٥٥).
(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٥ - ح٢٣٢٠)، ومسلم (٣/ ١١٨٩ - ح١٥٥٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٧، ٦٩٨ - ح١٠٠٦).

تفكُّ بها أسيراً، وتحقِنُ بها دماً، وتجرُّ بها معروفاً وإحساناً، وتدفعُ بها مكروهاً ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

والتبسمُ في وجوه الإخوانِ عملٌ كريمٌ، ينضمُ إلى ذلك الإصلاحُ بين الناس، وردُّ السلام وتشميتُ العاطس، وكلُّ قولٍ جميلٍ، وكلامٍ طيبٍ.. منطوقاً ومكتوباً، ومذاعاً ومنشوراً.

أما ميدانُ الأعمالِ القلبيةِ فواسعٌ... من الإيمانِ بالغيبِ، والحبِّ والبغضِ، والغضبِ والرضا، والخوفِ والرجا، والخشيةِ والصبرِ، والتذللِ للمولىٰ جلَّ وعلا، والانكسارِ بين يديه، وتعلقِ القلبِ بالمساجدِ، ومن ذلك الأعمالُ الفكريةُ، من التخطيطِ والتفكيرِ والتأملِ والعزمِ والتصميم. بل النياتُ والمقاصدُ لها في الإسلامِ شأنٌ عظيمٌ، فإنما الأعمالُ بالنيات.

واستمعوا ـ رحمكم اللهُ ـ إلى هذا الحديثِ الجامعِ: سُئل النبيُّ ﷺ أي الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «**الإيمانُ باللهِ والجهادُ في سبيلِه**» قال: قلتُ: أي الرقابِ أفضلُ؟ قال: «**أنْفسَهُا عند أهلِها، وأكثرُها ثمناً**» قال: قلتُ: فإن لم أفعلْ؟ قال: «**تعينُ صانعاً أو تصنعُ لأخرقَ**» قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إن ضعفتُ عن بعضِ العملِ؟ قال: «**تكفُّ شرَّكَ عن الناسِ، فإنها صدقةٌ منك على نفسِك**»[1]. من حديث أبي ذرٍ رضي اللهُ عنه.

معاشرَ الأحبةِ: من هذه الدائرةِ الواسعةِ للأعمالِ الصالحةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٧٦ ـ ح٢٥١٨)، ومسلم (١/ ٨٩ ـ ح٨٤).

فإن صاحبَ المالِ ينفعُ بمالِه، وذا النفوذِ يفيدُ من نفوذِه، ورَبَّ الجاهِ ينفعُ الناسَ بجاهِه.

أما العملُ للاقتياتِ، والكسبِ من أجلِ التعفُّفِ، والكدِّ على العيالِ فمن شِيمَ الأنبياءِ والمرسلين، زراعةً وصناعةً، وتجارةً وحرفةً، وإجارةً ورعياً، وهو مِنْ بَعدِهم من سماتِ المسلمين المتَّبعين، وعلامةٌ من علاماتِ الاستجابةِ للفطرةِ التي فطرَ اللهُ الناسَ عليها، ومظهرٌ من مظاهرُ العزةِ والكرامةِ، ومسلكٌ من مسالكِ الفقهِ في الدينِ والحياةِ.

أعمالٌ نزيهةٌ شريفةٌ محكومةٌ بإطارٍ متينٍ من العفةِ والصدقِ، والعدلِ والرحمةِ. مرَّ عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ على زيدِ بنِ مسلمٍ وهو يغرِسُ في أرضِه فقال له عمر: أصبتَ. استغنِ عن الناسِ يكُنْ أصونَ لدينِك، وأكرمَ لك عليهم. ومن مقولاتِ عليٍّ ـ رضي الله عنه: التجارةُ ثلثُ الإمارةِ.

مكاسبُ طيبةٌ، وأعمالٌ صالحةٌ، ودروبٌ خيِّرةٌ مُبرَّأةٌ من الحرام بعيدةٌ عن المتشبهاتِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨]. نفعني الله وإياكم بهدي كتابِه بسنةِ نبيه محمد ﷺ وألهمنا الدعاءَ والتسبيحَ والاستغفارَ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، ومن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

مفاهيم واسعة للأعمال الصالحة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جلَّ جلالُه، وعَظُمَ ثناؤُه، وتقدَّست أسماؤهُ، سبحانه وبحمده، لا تُحصىٰ نعماؤُه. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، المبعوثُ بالهدىٰ ودينِ الحق، ارتفعتْ به أعلامُه، وعلا ضياؤُه ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ـ هم بدورُ الدجىٰ وسناؤُه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ، واعملوا صالحاً.

عبادَ اللهِ، شريفُ النفسِ عظيمُ الهمةِ من أَحسَّ في نفسِه القدرةَ على العملِ، وقضى أعمالَه بنفسِه، وباشرَ حاجاتِه بيدِه، ليس من الأعمالِ المباحةِ شيءٌ يُزْدَرَىٰ، فلأنْ يأخذَ الرجلُ الحبلَ.. فيحتطبَ على ظهرِه.. خيرٌ له من أن يأتيَ رجلاً أعطاه أو منَعه. والبطالةُ تُلْبِس ثوبَ الحقارَةِ، والعملُ يكسو رِدَاءَ العزةِ والكرامةِ. وما يصيرُ إلى العجزِ والكسلِ إلا ساقطُ الهمةِ.. فاترُ العزيمةِ، ولا يقعدُ عن العملِ إلا ضعيفُ الإرادةِ، قد هانَ على نفسِه ينتظرُ إحسانَ المحسنين، وصدقاتِ المتصدقين، أَلِفَ الراحةَ، وأَنِسَ

البطالةَ، هانَ عليه أن يجعلَ من الاستجداءِ والسؤالِ حرفةً. إن هذا وأمثالَه ممن اعتادوا التردد على أبوابِ الناس، يَمدُّون أيديَهم، ويُذِلُّون أنفسَهم، يستجدون ويسألون، مُنذَرُون بسوءِ العاقبةِ والخزي يومَ البعثِ: «**ما يزال الرجلُ يسألُ الناسَ، حتى يأتي يومَ القيامةِ وليسَ في وجهِهِ مزعةُ لحمٍ**»[1].

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ، واستعيذوا مما استعاذَ منه نبيُّكم محمدٌ ـ ﷺ ـ استعيذوا من العجزِ والكسلِ، والجبنِ والبخلِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٩٦ ـ ح١٤٧٤)، ومسلم (٢/ ٧٢٠ ـ ح١٠٤٠).

قصة يوسف عليه السلام وآيات السائلين

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

عبادَ الله، فأوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ، فاتقوا اللهَ يا أولي الألبابِ، اتقوا الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

أيها الإخوةُ في اللهِ، لقد أنزلَ اللهُ القرآنَ العظيمَ على قلبِ محمدٍ ﷺ؛ ليُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ، ليبنيَ أمةً، ويقيمَ نِظاماً، وينشىءَ حضارةً.

تتربى الأجيالُ على مائدةِ القرآنِ؛ لتكونَ أهلاً لحَملِ أمانةِ هذا الدينِ، والدعوةِ إليه، وقيادةِ البشريةِ إلى صراطِ اللهِ.

والقرآنُ الكريمُ في منهجه التربويِّ ـ كما يخاطبُ العقلَ، ويسلكُ مسالكَ الإقناعِ ـ يخاطبُ الفطرةَ، ويحركُ الشعورَ، ويستثيرُ الوجدانَ.

يطوفُ بالقلبِ أقطارَ السمواتِ والأرضِ؛ يدعو إلى التأمُّلِ في النفسِ، والتفكيرِ في جوانبِ الحياةِ، يوجُه النظرَ إلى التاريخِ، وعبرِ الغابرين، يقصُّ القَصصَ، ويحدِّثُ الأخبارَ، فكان في منهجِه أعجبَ أسلوباً، وأبدَع طريقةً، وأصدقَ أنباءً، وأحسنَ قصصاً، وأجمعَ عِبرا.

حوىٰ من الحِكم أعجبَها، ومن وسائلِ التربيةِ أنجَعها، ومن القَصصِ والأحاديثِ أصدقَها وأعذبَها.

في قَصصِ القرآن عبرٌ وعظاتٌ يتجلىٰ فيها عِظمُ البلاءِ، وحسنُ العاقبةِ، ويتبيَّنُ من خلالِها سنةُ اللهِ في الصراعِ بين الحقِّ والباطلِ، والتنازعِ بين الخيرِ والشرِّ.

في قَصصِ القرآنِ دعوةٌ إلى الإيمانِ باللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعبادةِ، وبيانٌ لمصيرِ الصراعاتِ في الدنيا، والعواقبِ في الأخرى. وفي ثناياها يستبينُ طريقُ أهلِ الجنة، وطريقُ أصحابِ السعيرِ.

ولقد أدركَ مشركو مكةَ ما لبيانِ القرآن من عظيمِ الأثرِ، وما لقَصصِه من بليغِ التأثيرِ، فسعوا إلى ردِّ ذلك، ومقاومتِه بقَصصٍ يأتون بها من أخبارِ فارسَ والروم، وما حولهم من القرىٰ، فالنَّضْرُ بنُ الحارثِ من أعظمِ المناوئينَ للدعوةِ المحمديةِ، تعلَّم في بلادِ الحيرةِ أحاديثَ ملوكِ فارسَ وأخبارَ أقوامِها. فإذا جلسَ رسولُ الله ﷺ مجلساً يُذكِّرُ فيه بالله، ويقصُّ عليهم القَصصِ، ويحذِّرُهم ما أصابَ الأممَ قبلهم؛ خلَفَه النضرُ بن الحارثِ في مجلسِه؛ فقصَّ من أساطيرِ الأولين قَصصَا، وافترىٰ على اللهِ كذباً

ثم قال: أنا واللهِ يا معشرَ قريشٍ أحسنُ حديثاً من محمدٍ، فهلمُّ إليّ فأنا أحدِّثكم، وهو الذي قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

أيها الإخوةُ، إن شأنَ القصصِ في القرآنِ عظيمٌ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

وهذه وقفةٌ مع قصةٍ من قصصِ كتابِ ربِّنا، قصةٍ حوتْ التوحيد والأحكامَ، والسيرَ والسياسةَ، وتدبيرَ المعاشِ، وعلاقاتِ الناسِ، ضمَّتْ دروساً وعِبراً يصلُح بها الدينُ والدنيا.

اشتملتْ على صنوفِ المحنِ والابتلاءاتِ، ابتلاءاتِ الضراءِ، وابتلاءاتِ السراء.

تلكم هي قصةُ الكريمِ بنِ الكريمِ بنِ الكريمِ؛ يوسفَ بنِ يعقوبَ؛ عليه وعلى آبائه من الله الصلاةُ والتسليمُ.

إن فيها آياتٍ للسائلين. فيها أنواعٌ من الدلائلِ على قدرةِ الله وأقدارِه، وحكمتِه وأحكامِه، ولطفِه وتدبيرِه، وحسنِ توفيقِه لمن اصطفى من عبادِه.

في هذه القصةِ لا دافعَ لقضاءِ اللهِ، ولا مانعَ من قدَرِه، إذا قضى لإنسانٍ بسعادةٍ ومَكرُمةٍ ثم اجتمعَ العالمُ كلُّه ليمنعوا ما قدَّرَ، فلن يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

في دروسها مغبةُ الحسدِ خذلانٌ، وجزاءُ الصبرِ الفرجُ، الحسدُ لا يكون طريقاً إلى المجدِ والرفعةِ، ولا يكون طريقاً للمسابقةِ في المفاخرِ والفضائلِ، ومن يركبُ مطيةَ الحسدِ والكيدِ ليفتكَ بالمحسودِ، أو يضعَ العراقيلَ في طريقهِ فما عملُه إلا وبالٌ عليه وضلالٌ.

لقد جرىٰ على يوسفَ عليه السلامُ محنٌ ومكرٌ ومكايدٌ، محنةُ الجبِّ والخوفِ، وبلاءُ الاسترقاقِ والسجنِ. ثم فتنةُ السراءِ في بيوتِ الكبراءِ وإغراءاتِ الشهوةِ والفحشاءِ، ثم الابتلاءُ بالسلطانِ والجاهِ، والحكم في أمورِ الناسِ، وتدبيرِ معاشِهم وأقواتِهم في كلِّ ذلك آياتٌ للسائلين.

ولكنَّ تدبيرُ اللهِ اللطيفِ الخبيرِ جعلَ له في كلِّ محنةٍ منحةٍ، ومع كلِّ عُسرٍ يُسراً، نجَّاه من كلِّ ابتلاءٍ سالماً مُعافىٰ في نفسِه ودينِه، فكانت له المننُ في ثنايا المحنِ، مكرَ به الإخوةُ الأقربون فألقوه في غَيابةِ الجبِّ، وبعد غيابةِ الجبِّ جاءَ الأمنُ والأمانُ والعيشُ والرغدُ ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ..﴾ [يوسف: ٢١].

ثم تعرَّضَ للبلاءِ العظيمِ في فتنةِ النساءِ، وكيدِ النساءِ بلاءٌ عظيم، لتظهرَ نزاهةُ الفتىٰ، وعفةُ الشابِ، وصدقُ الالتجاءِ على الرغمِ من قوةِ الداعي من الفتُّوةِ والشبابِ، والأمنِ وغلقِ الأبوابِ.

ومن عظيمِ البلاءِ أن النزاهةَ والطهرَ والعفافَ تقودُ إلى السجنِ، ولكنَ السجنَ عند أصحابِ الأعراضِ الطاهرةِ خيرٌ وأحبُّ من الوقوعِ في الخنا والخيانةِ. فما كان من الشابِّ إلا أن

ابتهلَ إلى ربِّه متضرعاً، وفرَّ إليه ملتجئاً ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

ودخلَ السجنَ وعاشَ مع السجناءِ، ولكنه كان القدوةَ العليا والنموذَجَ الأمثلَ ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: ٣٦] وبلاءُ السجنِ وآثارُ الكيدِ والمكرِ والأذىٰ لم تشغلْه عن مهمةِ وراثةِ الأنبياءِ من آبائِه، ولم تصرفِه عن وظيفةِ الدعاةِ في كلِّ ظرفٍ وفي كلِّ حينٍ:

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٨ ـ ٤٠].

أيها الإخوةُ، ومن خلالِ علمِه وفضلِه، ونزاهتِه وبراءتِه، وفقهِه وحُسنِ تأويلِه، عرَفه الملكُ فاستخلَصه لنفسِه، وجعلَه على خزائنِ الأرضِ مكيناً أميناً.

وحين تبوأ هذه المكانةَ، وحكم في الناس، وآلتْ إليه مقاليدُ البلادِ، وصارَ فيها الآمرَ الناهي، عفا عن أصحابِ المكيداتِ، وأضافَ إلى الصفحِ إحساناً في إخوانِه وأهلِه فتحققتْ نبوةُ أبيه يعقوبَ حين قالَ: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦].

أيها الإخوةُ، ولنا وقفةٌ أخيرةٌ مع قصةِ هذا النبيِّ الكريمِ، إنها وقفةُ الثباتِ، وعزةِ النفسِ، وإباءِ الطبعِ، وكَرَمِ الخلقِ.

لقد تعرَّضَ الصدِّيقُ لابتلاءاتٍ، وتنقَّلَ بين إهاناتٍ وإغراءاتٍ؛ غيابةُ جبٍّ ثم دهاليزُ قصرٍ، غياهبُ سجنٍ، ثم مقاليدُ حكمٍ.

وكلُّ ذلك لم يغيرْ من خُلُقِ الفتىٰ الصِّدِّيقِ.

أحبَّه عزيزُ مصرَ وهو رقيقٌ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١] وفي السجنِ كان موضعَ الإجلالِ والإكبارِ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦] والكائداتِ من نسوةِ المدينةِ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

وفي مجلسِ المحاكمةِ والتحقيقِ: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١].

أما الملكُ فيقول: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف: ٥٤] وتبلغ قوةُ النفسِ غايتَها، والحفاظُ على السمعةِ والكرامةِ ذروتَها حين يأبىٰ دعوةَ الملكِ وهو سجينٌ، ويمتنعُ من الخروجِ حتى تثبتَ براءَتُه.

ولقد أكبرَ نبيُّنا محمدٌ ﷺ هذا الموقفَ لأخيه يوسفَ ـ على نبينا وعليه وعلى آبائِه الصلاة والسلام ـ حين قال: «**رحم اللهُ أخي يوسفَ لو لبثتُ في السجنِ ما لبثَ لأجبتُ الداعي**»[1]، جزءٌ من حديثِ أبي هريرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧٣ ـ ح٣٣٧٢)، ومسلم (١/ ١٣٣ ـ ح١٥١).

وأخيراً فهو كريمُ النفس، البارُّ بالأهل، الصافحُ عن الإخوان ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

وصدق الله العظيم.

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

قصة يوسف عليه السلام وآيات للسائلين

الخطبة الثانية

الحمدُ لله على إحسانه، والشكر له على عظيم امتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ، إن في قصةِ يوسفَ عليه السلام آياتٍ للسائلين، وعبراً للمتأملين. آياتٌ لا تنتهي، وعبرٌ لا تنقطعُ، لقد كان من عبادِ الله المُخلَصين، وكان أُنموذجَ الدعاةِ المُحتذىٰ، ودليلَ الصدقِ لأهلِ البلاء.

لقد كان مرتبطاً بربِّه في جميع أدوارِ المحنِ، وأنواعِ الفتنِ، عند فتنة المروادة استعاذَ بالله، قال: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

وحينما اشتدتْ المكيدةُ النسائيةُ، وعَظُمَ البلاءُ، كان المفزعُ إلى ربِّ الأرض والسماء: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

حينما كان في قمةِ المجدِ ودَفَّةِ الحكمِ كان أشدَّ التصاقاً بربِّه

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

ودوامُ اللجوءِ وصدقُ التوجه لا ينافي الأخذَ بالأسبابِ، فقد قال يوسف لمن ظنَّ أنه ناج منهما: ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢].

وهكذا فقد خرجَ الصديقُ عليه السلامُ من هذه البلايا؛ سرائِها وضرائِها وهو أصلبُ عوداً، وأقوى عزيمةً، وأكثرُ تجربةً، وأعظمُ احتمالاً، وأعرفَ بالناسِ وبالحياةِ.

ومن أجلِ هذا قيل لنبيِّنا محمدٍ ﷺ في خواتيم هذه القصة: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، وتأملوا كتابَ ربِّكم، واعتصموا به، وتدبروا آياتِه، واعرفوا حِكَمه وأحكامَه.

المؤمـن القوي

الخطبة الأولى

الحمدُ لله ذي القوةِ المتين، أحمدُه سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الصادقُ الأمين. وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ، ففي تقوىٰ اللهِ الفرجُ من كلِّ همٍّ، والمخرجُ من كلِّ ضيقٍ، وفيها صلاحُ أمرِ الدنيا والآخرةِ.

أيها الأحبةُ، أخرج الإمامُ مسلمٌ رحمه اللهُ في صحيحِه وابنُ ماجه من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ. احرصْ على ما ينفُعك، واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقلْ: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قلْ: قَدَرُ اللهِ، وما شاءَ فعلَ. فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ**»[1].

إنه حديثٌ عظيمٌ من كلمِهِ ﷺ يرسمُ فيه جانباً من منهاجِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢ ـ ح٢٦٦٤)، وابن ماجه (١/ ٣١ ـ ح٧٩).

القوةِ، وحرصِ المؤمنِ على ما ينفعُ، واقتران ذلك بالبعدِ عن العجزِ مع صدقِ التوكلِ والرضا بما يجري به القضاءُ.

أيها الإخوةُ في الله، ومن أجل مزيدِ تعليقٍ على هذا التوجيه النبويِّ الكريم.. فلتعلموا أن العقيدةَ حين تتمكنُ من القلوبِ فهي معينٌ لا ينضبُ للنشاطِ المتواصلِ، والعملِ الدؤوبِ، والحماسِ الذي لا ينقطعُ.

إن صدقَ العقيدةِ وصحتَها تُضفي على صاحبِها قوةً تظهرُ في أعمالِه كلِّها، فإذا تكلمَ كان واثقاً، وإذا عمل كان ثابتاً، وإذا جادلَ كان واضحاً، وإذا فكرَ كان مطمئناً. لا يعرف التردد ولا تُميله الرياحُ. يأخذُ تعاليم دينِه بقوةٍ لا وهْنَ معها: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣، ٩٣] ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: ١٢] ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٥] إنه أخذٌ بعزيمةٍ لا رخاوةَ معها، لا قبولَ لأنصافِ الحلولِ، ولا هُزالَ ولا استهزاءَ.

هذا هو عهدُ الله مع أنبيائِه والمؤمنين.. جدٌ وحقٌ، وصراحةٌ وصرامةٌ.

هذا جانبٌ من القوةِ في رجلِ الإيمانِ، وجانبٌ آخر يتمثلُ في ثباتِ الخطىٰ. حين يكون المؤمنُ مستنيرَ الدربِ يعاشرُ الناسَ على بصيرةٍ من أمرِه، إذا رآهم على الحقِّ أعانهم، وإن رآهم على الخطأ جانبهم، ونأى بنفسِه عن مسايرتِهم، متمثلاً التوجيه النبوي: «**لا تكونوا إمَّعةً تقولون: إن أحسَنَ الناسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا. ولكن وطِّنوا أنفسَكم إن أحسنَ الناسُ أن تحسنوا،**

وإن أساءوا فلا تظلموا»[1] .

إنه توطينٌ للنفس، وقسرٌ لها على المسارِ الصحيح، وإذا أردتَ أن تمتحنَ قَوةَ الرجلِ في هذا فاستخبْره أمامَ الأعرافِ والتقاليدِ التي لا تستندُ إلى شرعٍ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

ينضمُّ إلى ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ القوةُ في الحقِّ، والقوةُ في المصارحةِ فيه. حين يبتعدُ المؤمنُ القويُّ عن المداهنةِ والمجاملةِ المذمومةِ؛ فتراه يواجهُ الناسَ بقلبٍ مفتوحٍ، ومبادىءَ واضحةٍ، لا يصانعُ على حسابِ الحقِّ. ومن يحيا بالحقِّ لا يتاجرُ بالباطلِ. المؤمنُ القويُّ غنيٌّ عن التسترِ بستارِ الدَّجَلِ والاستغلالِ. سيرتُه مبنيةٌ على ركائزَ ثابتةٍ من القوةِ والفضيلةِ والكمالِ.

ومن أجلِ هذا.. فإن الصدعَ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ ينبثقُ من هذا السموِّ النفسي والقوةِ الإيمانيةِ، وقوةِ الاستمساكِ بالحقِّ والرضا به ولو كره الكارهون لـ «**تأخذُنَّ على يدي الظالمِ فتأطِروه على الحقِّ أطْراً**»[2] من حديثِ أبي عبيدةَ واللفظ للترمذي.

إنها قوةٌ في مصارحةِ المخالفين وتنبيهِ الخاطئين، إنها نقدُ للعيوبِ المعلنةِ، لا خوفَ من وجيهٍ، ولا حياءَ من قريبٍ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٢٠ ـ ح٢٠٠٧) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢١، ١٢٢ ـ ح٤٣٣٦)، والترمذي (٥/ ٢٣٥، ٢٣٦ ـ ح٣٠٤٧، ٣٠٤٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧، ١٣٢٨ ـ ح٤٠٠٦)، وله شاهد عن أبي موسى رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح انظر المجمع (٧/ ٢٦٩).

ولا خجلَ من صديقٍ. وبعبارةٍ جامعةٍ مانعةٍ: لا تأخذُه في الله لومةُ لائمٍ.

هذا ضربٌ من القوةِ محمودٌ في معاصي معلنةٍ، ومذنبين مجاهرين. ولا تكونُ قوةً بصدقٍ، خالصةً بحق، إلا حين تبتعدُ عن مشاعرِ الشماتةِ، وحبِّ الأذى، وقصدِ التشهيرِ.

ويقترنُ بذلك ـ أيها الإخوةُ ـ نوعٌ من القوةِ آخرُ، إنه القوةُ في ضبطِ النفس والتحكم في الإرادةِ التي تنشأ من كمالِ السجايا وحميدِ الخصالِ. كإباءِ الضيم، وعزةِ النفس، والتعففِ، وعلوِّ الهمةِ، وإنك لترى فقيراً قليلَ ذاتِ اليدِ ولكنه ذو إرادةٍ قويةٍ، ونفسٍ عازمةٍ. شريفُ الطبعِ، نزيهُ المسلكِ، بعيدٌ عن الطمعِ والتذلّلِ.

إن القوةَ في ضبطِ النفس.. آخذةٌ بصاحبِها بالسيرِ في مسالكِ الطهرِ، ودروبِ النزاهةِ، والاستقامةِ على الجادةِ. أما الرجلُ الخربُ الذمةِ، الساقطُ المروءةِ فلا قوةَ له ولو لبسَ جلودَ السباعِ، ومشى في ركابِ الأقوياءِ.

وقد قال هودٌ عليه السلامُ لقومه آمراً لهم بالاستغفار، والبعدِ عن مزالقِ الخاطئين: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢] وابنُ آدمَ إذا انحرفَ؛ فقد يتعرضُ للعنةِ أهلِ الأرضِ والسماءِ، ويكونُ في ضَعفِه وحقارتِه أقلَّ من الذرِّ والهباءِ.

ولمثل هذا جاءَ الحديثُ الصحيحُ: «**ليس الشديدُ بالصُّرَعةِ**.

إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عند الغضبِ»[1].

وقد قال بعضُ أهلِ العلمِ في هذا البابِ: إن مجاهدةَ النفسِ أشدُّ من مجاهدةِ العدوِّ، وإذا ملكَ الإنسانُ نفسَه فقد قسَرَ شيطانَه.

أما القوةُ العسكريةِ فمطلبٌ في الشريعةِ معلومٌ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

إنه القوةُ التي تحفظُ الإسلامَ وأهلَ الإسلام، فلا يُصَدُّون عن دينِ اللهِ ولا يُفْتَنون. قوةٌ تُرهبُ أعداءَ اللهِ فعلَى ديارِ الإسلامِ لا يعتدون. قوة تُرهب أعداءَ اللهِ فلا يقفون في وجهِ الدعوةِ والدعاةِ. وهي قوةٌ كذلك من أجل الاستنصارِ للمستضعفين والمغلوبِ على أمرِهم؛ ليظهر أمرُ اللهِ، ويحقَّ الحقُّ ويبطلَ الباطلُ.

وفي جميعِ مجالاتِ القوةِ ـ أيها الإخوةُ ـ يكونُ الخيرُ والمحبةُ الإلهيةُ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنُ الضعيف**».

أما قولهُ ﷺ: «**استعنْ باللهِ ولا تعجزْ**». فإنه يمثلُ صورةً أخرى من صورِ القوةِ. إنه قوةُ العزمِ والأخذِ بالأسبابِ على وجهِها، يستجمعُ المؤمنُ في ذلك كلَّ ما يستطيعُ في سبيلِ تحقيقِ غاياتِه، باذلاً قصارى جهدِه في بلوغِ مآربِه، غير مستسلمٍ للحظوظِ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣٥ ـ ح٦١١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٤ ـ ح٢٦٠٩).

«استعنْ باللهِ ولا تعجزْ».

إن المرءَ مكلفٌ بتعبئةِ قواه وطاقاتِه؛ لمغالبةِ مشكلاتِه إلى أن تنزاحَ عن طريقِه، فإذا استطاعَ تذليلَها فذلك هو المرادُ. وما وراءَ ذلك فَيَكِلُه إلى ربِّه ومولاه.

أما التردُّدُ والاستسلامُ للهواجسِ، وتغليبُ جوانبِ الريبِ والتوجُّسِ. فهذا مجانبٌ للقوةِ، وَصدقِ العزيمةِ، فالقوةُ في الجزمِ، وَالحزمِ والأخذِ بكلِّ العزمِ.

ولهذا كان من أعظمِ المصائبِ الهدامةِ العجزُ، والكسلُ، والجبنُ، والبخلُ، إنها صورٌ من صورِ الضعفِ والخورِ، وقد استعاذ منها جميعِها نبيُّكم محمدٌ ﷺ في دعاءٍ رفعه إلى مولاه، قائلاً: «**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَنِ، والعجزِ والكسلِ، وأعوذُ بك من الجبنِ والبخلِ، وأعوذُ بك من غلبةِ الدينِ وقهرِ الرجالِ**»[1]. إنها كلَّها تصبُّ في مصابِّ الضعفِ، والانهزامِ النفسيِّ والعمليِّ.

أما استعادةُ الأحزانِ، والتحسرُ على ما فاتَ، والتعلقُ بالماضي، وتكرارُ التمني بـ (ليت) والتحسرُ في الزفراتِ بـ (لو) فليس من خُلقِ المؤمنِ القويِّ؛ فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ، وما عملُه إلا الهواجسُ، والوساوسُ، فهو الوسواسُ الخناسُ. فلا التفاتَ إلى الماضي إلا بقدرِ ما يَنفعُ الحاضرَ ويفيدُ المستقبلَ.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ، واستمسكوا بعرىٰ دينكم، وخذوا

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٨٢ ـ ح٦٣٦٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩ ـ ح٢٧٠٦) بنحوه.

أمرَكم بقوةٍ، وسيروا في دربِ الحقِّ بعزيمةٍ، متوكلين على ربِّكم، معتصمين بحبلِه؛ تكونوا من الراشدين. نفعني اللهُ وإياكم بهدي كتابِ اللهِ وبسنةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ، وهدانا الصراطَ المستقيمَ، وأقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم.

المؤمـن القوي

الخطبة الثانية

الحمـدُ لله، لـه الحمـدُ فـي الأولـى والآخـرةِ، أحمـدُه سبحـانـه وأشكرُه، على نعمِه الباطنةِ والظاهرةِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحـده لا شـريـك لـه، وأشهـد أن سيـدنـا ونبينـا محمـداً عبـده ورسوله، جمع اللهُ به القلوبَ المتنافرةَ، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه نجومِ الدجىٰ والبدورِ السافرةِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ

أيها الإخوةُ في اللهِ، لازلنا مع هذا الحديثِ العظيم وهو يرسمُ جانباً آخرَ من جوانبِ القوةِ إلى جانبِ قوةِ الأخذِ بالأسبابِ وشدِّ العـزائـم. إنهـا قـوةُ اليقيـنِ، المتمثلـةُ فـي عقيـدةِ المسلـمِ أمـامَ الأحداثُ والغِيَرِ، «**وإن أصابك شيءٌ فلا تقلْ لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا**».

ثقةٌ بالله واعتمادٌ عليه حين تتوالىٰ الظروفُ المحرجةُ، وتنعقدُ الأجواءُ المُدلَهمةُ، ويلتفتُ المرءُ يمنةً ويسرةً فلا يرىٰ عوناً ولا أملاً ولا ملجأً ولا ملاذاً إلا إلى اللهِ وباللهِ وعلى اللهِ. ذلكم هو مسلكُ النبيين والمرسلين والصالحين من بعدهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢].

وجماعُ ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ أن القوةَ هي عزيمةُ النفس، وإقدامُها على الحقِّ في أمورِ الدنيا والآخرةِ. إنها إقدامٌ على العدوِّ في الجهادِ، وشدُّ عزمٍ في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وصبرٌ على الأذىٰ في الدعوةِ إلى اللهِ، واحتمالُ المشاقِّ في ذاتِ اللهِ، واصطبارٌ على إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وسائرِ المفروضاتِ، ونشاطٌ ودأبٌ في طلبِ الخيراتِ، والمحافظةِ عليها، وهي بعد ذلك قوةٌ في القيامِ بمهمةِ الاستخلافِ في هذه الأرضِ واستعمارِها كما طلب ربُّنا الَذي أنشأنا فيها.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ، وخذوا بعزائمِ الأمورِ، واعتصموا بحبلِ الله وتوكلوا عليه.

لا تدخلوا حتى يؤذن لكم

الخطبة الأولى

الحمدُ لله أكملَ لنا الدينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، ورضي لنا الإسلامَ دينا. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، ذو الأدبِّ الجمِّ، والخُلُقِ الرفيعِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، وعظِّموا أمرَ ربِّكم، واستغفروه ثم توبوا إليه ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر: ٥٥].

عبادَ اللهِ، لقد جعلَ الله البيوتَ سكناً يأوي إليها أهلُها، تطمئنُّ فيها نفوسُهم، ويأمَنون على حرماتِهم، يستترون بها مما يؤذي الأعراضَ والنفوسَ، يتخفَّفُون فيها من أعباءِ الحرصِ والحذرِ.

وإن ذلك لا يتحقَّقُ على وجهه إلا حينَ تكونُ محترمةً في حرمتِها لا يستباحُ حماها إلا بإذنِ أهلِها. في الأوقاتِ التي يريدون، وعلى الأحوالِ التي يشتهون: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن

﴿قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

[النور: ٢٧ ـ ٢٨].

إن اقتحامَ البيوتِ من غيرِ استئذانٍ؛ هتكٌ لتلكِ الحرماتِ، وتطلعٌ على العوراتِ، وقد يُفضي إلى ما يثيرُ الفتنَ، أو يهيءُ الفرصَ لغواياتٍ تنشأُ من نظراتٍ عابرةٍ.. تتبعُها نظراتٌ مريبةٌ.. تنقلبُ إلى علاقاتٍ آثمةٍ، واستطالاتٍ محرمةٍ.

وفي الاستئذانِ وآدابِه ما يدفعُ هاجسَ الريِّبةِ، والمقاصدِ السيئةِ.

أيها الإخوةُ المؤمنون: إن كلَّ امرىءٍ في بيتِه قد يكون على حالةٍ خاصةٍ، أو أحاديثَ سريةٍ، أو شئونٍ بيتيةٍ فيفجأه داخلٌ من غير إذنٍ قريباً كان أو غريباً، وصاحبُ البيتِ مستغرقٌ في حديثِه، أو مطرقٌ في تفكيرِه، فيزعجَه هذا أو يخجلَه، فينكسرُ نظرُه حياءً، ويتغيظُ سَخَطاً وتبرماً.

ولقد يقصِّرُ في أدبِ الاستئذانِ بعضُ الأجلافِ ممن لا يُهمُّه إلا قضاءُ حاجتِه، وتَعَجُّلُ مرادِه، بينما يكون دخولُه مُحرجاً للمزورِ مُثقلاً عليه.

وما كانت آدابُ الاستئذانِ وأحكامُه إلا من أجلِ ألا يفرِّطَ الناسُ فيه أو في بعضِه، معتمدين على اختلافِ مراتبِهم في الاحتشامِ والأنفةِ، أو معولين على أوهامِهم في عدمِ المؤاخذةِ، أو رفعِ الكلفةِ.

تأمَّلوا أيها المؤمنون قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾

[النور: ٢٧].

إنه استئذانٌ في استئناس، يعبرُ عن اللطفِ الذي يجبُ أن يكونَ عليه الزائرُ والطارقُ مراعاةً لأحوالِ النفوسِ وتهيؤاتِها، وإدراكاً لظروفِ الساكنين في بيوتاتِهم وعوراتِهم.

وهل يكونُ الأنسُ والاستئناسُ إلا بانتفاءِ الوحشةِ والكراهيةِ؟؟؟.

أدبٌ رفيعٌ يتحلىٰ به الراغبُ في الدخولِ لكي يطلبَ إذناً لا يكونُ معه استيحاشٌ من ربِّ المنزلِ، بل بشاشةٌ وحسنُ استقبالٍ.

ينبغي أن يكونَ الزائرُ والمزورُ متوافقَيْنِ مستأنسَيْنِ، فذلك عونٌ على تأكيدِ روابطِ الأُخوَّةِ الإسلاميةِ.

ولقد بسطتْ السنةُ المطهرةُ هذا الأدبَ العالي، وازْدان بسيرةِ السلفِ الصالحِ تطبيقاً وتبييناً.

فكان نبيُّكم محمدٌ ﷺ إذا أتى بابَ قومٍ، لم يستقبلْ البابَ من تلقاءِ وجهِهِ، ولكن من ركنِه الأيمنِ، أو الأيسرِ، ويقول: «**السلام عليكم، السلام عليكم**»[1].

ووقفَ سعدُ بنُ عبادةَ مقابلَ البابِ فأمره النبيُّ ﷺ أن يتباعدَ. وقال له: «**وهل الاستئذانُ إلا من أجلِ النظرِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٤٧٣، ٤٧٤ ـ ح١٠٧٨)، وأبوداود (٤/ ٣٤٨ ـ ح٥١٨٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٢ ـ ح٥٣٨٦) واللفظ له، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. انظر المجمع (٨/ ٤٤)، وأبوداود (٤/ ٣٤٤ ـ ح٥١٧٤) بنحوه.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعدٍ الساعديِّ رضي اللهُ عنه، اطَّلعَ رجلٌ من جُحْرٍ في حُجَرِ النبيِّ ﷺ ومع النبيِّ ﷺ مِدْرىً (أي: مشط) يحكُّ به رأسه، فقال النبيُّ ﷺ: «**لو أعلم أنك تنظرُ؛ لطعنتُ به في عينِك، إنما جُعلُ الاستئذانُ من أجلِ البصرِ**»[1].

والمستأذِنُ ـ أيها الإخوةُ ـ يستأذنُ ثلاثَ مراتٍ فإن أُذنَ له وإلا رجعَ. وقد قيلَ: إن أهلَ البيتِ بالأُولىٰ. يستنصتون، وبالثانيةِ يستصلحون، وبالثالثةِ يأذنون أو يردُّون، لكن قال أهلُ العلم: لا يزيدُ على ثلاثٍ إذا سُمع صوتُه وإلا زادَ حتى يعلَم أو يظَنَّ أنه سُمعَ.

ويقول في استئذانِه: السلامُ عليكم أأدخلُ. فقد استأذنَ رجلٌ على النبيِّ ﷺ وهو في بيته «فقال: أَلِجُ؟ فقال النبيُّ ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا! فعلِّمه الاستئذانَ فقل له: قلْ: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟**» فسمَعه الرجلُ، فقال: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟ فأذن له النبيُّ ﷺ، فدخلَ»[2].

وله أن يستأذنَ بنداءٍ أو قرعٍ أو نحنحةٍ أو نحو ذلك.

تقول زينبُ امرأةُ عبدالله بنِ مسعود رضي الله عنهما: كان عبدُالله إذا دخلَ تنحنحَ وصوَّتَ.

ويقولُ الإمامُ أحمدُ: يُستحبُّ أن يحرَّك نعلَه في استئذانِه عند

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٦ ـ ح٦٢٤١)، ومسلم (٣/ ١٦٩٨ ـ ح٢١٥٦).
(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٩)، وأبوداود (٤/ ٣٤٥ ـ ح٥١٧٧) واللفظ له.

دخولِه حتى إلى بيتِه؛ لئلا يدخلَ بغتةً. وقال مرةً: إذا دخلَ يتنحنحُ.

ومن الأدبِ أن الطارقِ، إذا سُئل عن اسمه فليبينْه، وليذكرْ ما يُعرفُ به. ولا يجيبُ بما فيه غموضٌ أو لبسٌ. يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: «أتيتُ إلى النبيِّ ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي، فدققتُ البابَ، فقال: «**من ذا؟**» فقلت: أنا، فقال النبيُّ ﷺ: «**أنا أنا!!!**» كأنه كرهها»[1].

وإذا قرعَ البابَ فليكن برفقٍ ولينٍ من غيرِ إزعاجٍ أو إيذاءٍ ولا ازديادٍ في الإصرارِ، ولا يفتحُ البابَ بنفسِه، وإذا أُذِنَ له في الدخولِ فليتريثْ، ولا يستعجلْ في الدخولِ، ريثما يتمكنُ صاحبُ البيتِ من فسحِ الطريقِ وتمامِ التهيؤِ، ولا يرمِ ببصرِه هنا وهناك، فما جعل الاستئذانُ إلا من أجلِ النظرِ.

والاستئذانُ حقٌّ على كلِّ داخلٍ من قريبٍ أو بعيدٍ من الرجلِ والمرأةِ، ومن الأعمىٰ والبصيرِ.

عن عطاءِ بن يسارٍ، أن رسولَ اللهِ ﷺ سأله رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أستأذنُ على أمي؟ فقالَ: «**نعمْ**» قال الرجلُ: إني معها في البيتِ؟؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**استأذنْ عليها**». فقال الرجلُ: إني خادُمها. فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «استأذنْ عليها، أتحبُّ أن تراها عريانةً؟» قال: لا. قال: «**فاستأذنْ عليها**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣٧ ـ ح٦٢٥٠)، ومسلم (٣/ ١٦٩٧ ـ ح٢١٥٥).
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣) قال ابن عبدالبر: مرسل صحيح.

ويقولُ أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه: إذا دخلَ أحدُكم على والدتِه فليستأذنْ.

والأعمىٰ يستأذنُ كالبصيرِ، فلربما أدرَك بسمعِه ما لا يدركُه البصيرُ ببصرِه.

«ومن استمع إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهون أو يفِرُّون منه، صُبَّ في أذنِه الآنكُ يومَ القيامةِ. والآنكُ هو الرصاصُ المذابُ»[1].

أيها الإخوةُ في اللهِ، وهناك أدبٌ قرآنيٌّ عظيمٌ، لا يكادُ يفقهُه كثيرٌ من المسلمين. إنه قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨].

إن من حقِّ صاحبِ البيتِ أن يقولَ بلا غضاضةٍ للزائرِ والطارقِ: ارجعْ، فللناسِ أسرارُهم وأعذارُهم، وهم أدرىٰ بظروفهم، فما كان الاستكنَانُ في البيوتِ إلا من أجلِ هذا.

وعلى المستأذنِ أن يرجعَ من غيرِ حرجٍ، وحسبه أن ينالَ التزكيةَ القرآنيةَ.

قال بعضُ المهاجرين: لقد طلبتُ عُمُرِي كلَّه هذه الآيةَ فما أدركتُها. لقد طلبتُ أن أستأذنَ على بعضِ إخواني ليقولَ لي: ارجعْ، فأرجعْ وأنا مغتبطٌ. لقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨]. ذكره الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/ ٤٤٦ ـ ح٧٠٤٢).

إن من الخيرِ لك ولصاحبكِ أيها الطارقُ، أن يُعتذرَ عن استقبالِك بدلاً من الإذنِ على كراهيةٍ ومضضٍ، ولو أخذ الناسُ أنفسَهم بهذا الأدبِ، وتعاملوا بهذا الوضوحِ؛ لاجتنبوا كثيراً من سوءِ الظنِّ في أنفسِهم وإخوانِهم.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، والتزموا بدينِكم، واستمسكوا بآدابِه، وحافظوا على مشاعرِ الأُخُوَّةِ، وتخيَّروا في أوقاتِ الزياراتِ، وقدِّروا لإخوانِكم أحوالَهم وظروفَهم، والتمسوا لهم الأعذارَ، ودعوا الأعرافَ والتقاليدَ الخاطئةَ.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابِه وبسنةِ نبيهِ محمدٍ ﷺ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

لا تدخلوا حتى يؤذن لكم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله معزِّ من أطاعه واتقاه، ومذلِّ من خالف أمرَه وعصاه، أحمده سبحانه وأشكره، من توكلَّ عليه كفاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه واجتباه، وقرَّبه إليه وأدناه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، اتقوا اللهَ واعلموا أن الإسلامَ كما شرعَ آداباً للاستئذانِ من خارجِ البيوتِ؛ فقد أوضحَ آداباً خاصةً أدَّبَ بها الصغارَ الذين لم يبلغوا الحلمَ في أوقاتٍ خاصةٍ في عوراتٍ ثلاثٍ: من قبل صلاةِ الفجرِ، وفي أثناءِ الظهيرةِ، ومن بعدِ صلاةِ العشاءِ، أوقاتٌ يخلو بهاالمرءُ في نفسِه، أو مع زوجِه يتخففُ فيها من كثيرٍ من القيودِ فللعملِ وقتُه، وللراحةِ وقتُها، فيعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

أيها الإخوةُ في اللهِ، إن هذه التفاصيلَ الدقيقةَ في آدابِ الاستئذانِ تؤكِّدُ فيما تؤكدُ حرمةَ البيوتِ، ولزومَ حفظِ أهلِها من حرجِ المفاجآتِ، وضيقِ المباغتاتِ، والمحافظةِ على سترِ العوراتِ. عوراتٌ كثيرةٌ تعني كلَّ ما لا يُرغبُ الاطلاعُ عليه من

أحوالِ البدنِ، وصنوفِ الطعامِ واللباسِ وسائرِ المتاعِ، بل حتى عوراتِ المشاعرِ والحالاتِ النفسيةِ، حالاتِ الخلافِ الأسري، حالات البكاءِ والغضبِ والتوجعِ والأنينِ. كلُّ ذلك مما لا يرغبُ الاطلاعُ عليه لا من الغريبِ ولا من القريبِ، إنها دقائقُ يحفظُها ويسترُها أدبُ الاستئذانِ. فهل يدركُ هذا أبناءُ الإسلامِ؟؟.

الحجاب والجلباب

الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ، فلا هاديَ له. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عز وجل؛ فمن اتقىٰ الله حفِظَه، ويسَّرَ له أمرَه، وهداه إلى رشدِه.

عبادَ اللهِ، لقد بعثَ الله نبيَّه محمداً ﷺ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، لا خيرَ إلا دلَّ الأمةَ عليه، ولا شرَّ إلا حذَّرَها منه. فشمِلَ دينُه أحكاماً ووصايا، وأوامرَ وتوجيهاتٍ في نظامٍ متكاملٍ مربوطٍ برباطِ الفضيلةِ بجميع أنواعِها وشتى كمالاتِها ووسائلِها.

وإن من أعظمِ مقاصدِ هذا الدينِ؛ إقامةَ مجتمعٍ طاهرٍ، الخلقُ سياجُه، والعفةُ طابعُه، والحشمةُ شِعارُه، والوقارُ دِثارُه، مجتمعٌ لا تُهاجُ فيه الشهواتُ، ولا تثارُ فيه عواملُ الفتنةِ، تضيق فيه فرصُ الغوايةِ، وتقطعُ فيه أسبابُ التهييجِ والإثارةِ.

ولقد خُصَّتْ المؤمناتُ بتوجيهاتٍ في هذا ظاهرةٍ، ووصايا جليلةٍ.

فعفةُ المؤمنةِ نابعةٌ من دينِها، ظاهرةٌ في سلوَكها، ومن هنا كانتْ التربيةُ تفرضُ الانضباطَ في اللباسِ سُترةً واحتشاماً، ورفضاً للسيرةِ المتهتكةِ والعبثِ الماجنِ.

فشُرِعَ الحجابُ ليحفظَ هذه العفةَ ويحافظَ عليها، شُرِعَ ليصونَها من أن تخدشَها أبصارُ الذين في قلوبِهم مرضٌ.

وأحكامُ الحجابِ في كتابِ اللهِ، وفي سنةِ رسولِه ﷺ صريحةٌ في دعوتِها، واضحةٌ في دلالتِه، ليست مقصورةً على عصرٍ دون عصرٍ، ولا مخصوصةً بفئةٍ دونَ فئةٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

تقولُ أمُّ سلمةَ وعائشةُ رضي الله عنهما: «لما نزلتْ هذه الآيةُ خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ على رؤوسِهنَّ الغربانُ من الأكسيةِ»(١).

والجِلبابُ: كلُّ ساترٍ من أعلىٰ الرأسِ إلى أسفلِ القدمِ، من مِلاءةٍ وعباءةٍ، وكلُّ ما تلتحفُ به المرأةُ فوق دِرْعِها وخمارِها.

وإدناءُ الجلبابِ يعني: سدَله وإرخاءَه على جميعِ بدنِها، بما في ذلك وجهُها. وفي تفسيرِ ابنِ عباس رضي الله عنهما: هو

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٦١ ـ ح٤١٠١).

تغطيةُ الوجه من فوقِ رأسِها، فلا يبدو إلا عينٌ واحدة.

وما خوطبَ به أمهاتُ المؤمنين أزواجُ النبيِّ ﷺ مطالبٌ به جميعُ نساءِ المؤمنين.

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣].

فنهىٰ عن الخضوعِ بالقولِ والتبرجِ تبرجَ الجاهليةِ الأولى، وأمرَ بالمعروفِ من القولِ، ولزومِ القرارِ في البيوتِ.

نساءُ المؤمنين في ذلك كنساءِ النبي ﷺ، بل هو في حقِّ نساءِ المؤمنين آكدُ وأولىٰ كما لا يخفىٰ.

وما قولُه سبحانه: ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] إلا تأكيداً لهذا، إذ المقصودُ بيانُ: أنهنَّ محلُّ الأسوةِ والامتثالِ الأولِ، ومَنْ بَعَدَهنَّ أُسوتُهن.

وفي هذا يقولُ أبوبكرٍ الجصاصُ: وهذا الحكمُ وإن نزلَ خاصاً في النبيِّ ﷺ وأزواجِه، فالمعنى فيه عامٌ فيه وفي غيرِه.

وفي مقامٍ آخر ـ أيها المؤمنون والمؤمنات ـ يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ولقد ذُكِرَ في الآية زينتان: إحداهما لا يمكن إخفاؤها ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ولم يقلْ إلا ما أظهرْنَ منه، فعُلم

بهذا: أن المرادَ بالزينة الأولى زينةُ الثيابِ، أما الزينةُ الثانيةُ، فزينةٌ باطنةٌ يباحُ إظهارُها لمن ذَكَرتْهم الآيةُ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ إلخ الآية وأنتَ خبيرٌ أيها المؤمنُ وخبيرةٌ أيتها المؤمنةُ بأن ممن رخَّصَ في إبداءِ الزينةِ أمامَهم: الأطفالُ وغيرُ أولي الإربةِ من الرجالِ. والوجهُ مَجمعُ الحُسْنِ ومحطُّ الفتنةِ، فهل يُرَخصُّ كشفه للبالغين وأولي الإربةِ من الرجال. الأمرُ في هذا جليٌّ ظاهرٌ.

وفي نفس الآيةِ الكريمة: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وهو ما يُتحلى به في الأرجلِ من خلخالٍ وغيرِه، فإذا كان صوتُ الخلخالِ بريداً إلى فتنةٍ، فكيف بالوجه الذي يحكي الجمالَ والشبابَ والنضارةَ. وصوتُ الخلخالِ يصدرُ من فتاةٍ وعجوزٍ، ومن الجميلةِ والدميمةِ.

أما الوجهُ فلا يحتملُ إلا صورةً واحدةً.

يقولُ صاحبُ الدرِّ المختارِ في فقهِ أبي حنيفةَ رحمه الله: وتُمنعُ المرأةُ الشابةُ من كشفِ الوجهِ بين الرجالِ لخوفِ الفتنةِ كمسِّه، وإن أُمنَ الفتنةُ. ويقولُ عليه الشارح ابنُ عابدين رحمه الله: المعنى أنها تُمنعُ من الكشفِ لخوفِ أن يرىٰ الرجالُ وجهَها فتقعَ الفتنةُ؛ لأنه مع الكشفِ قد يقعُ النظرُ إليها بشهوةٍ، وأما قوله: (كمسه) أي: كما يمنعُ من مسِّ وجهِها وكفيها، وإن أَمِن الشهوة؛ لأنه سبيلٌ إلى الشهوةِ والفتنةِ فكذلك يُغطىٰ الوجهُ؛ لأنه طريقٌ إلى الفتنةِ.

وقبلَه قال أبوبكرٍ بنُ الجصاصِ: والمرأةُ الشابةُ مأمورةٌ بستَرِ وجهِها، وإظهارِ السترِ والعفافِ عند الخروجِ؛ لئلا يطمعُ فيها أهلُ الرَيْبِ.

وفي السنةِ أيها المؤمنون والمؤمناتُ حينَ أبيحَ للخاطبِ النظرُ من أجلِ الخِطْبةِ فغيرُ الخاطِب ممنوعٌ من النظرِ. والمقصودُ الأعظمُ من النظرِ هو الوجهُ؛ ففيه يتمثلُ جمالُ الصورةِ.

وحينما قالَ عليه الصلاة والسلامُ: «**من جرَّ ثوبَه خُيلاءُ لم ينظرِ اللهُ إليه يومَ القيامةِ**» قالتْ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: فكيفَ يصنعُ النساءُ بذيولِهن؟ أي: الأطرافِ السُّفلىٰ من الجلبابِ والرداءِ - قال: «**يُرخينَ شِبراً**» قالت: إذاً تنكشفُ أقدامُهنَّ. قال: «**فيرخينه ذِراعاً، ولا يزدنَ عليه**»[1].

فإذا كان هذا في القَدمِ فالوجهُ أكثرُ فتنةً فلا يعدو أن يكون تنبيهاً بالإدنىٰ على الأعلىٰ. والحكمةُ والنظرُ تأبيان سترَ ما هو أقلُّ فتنةً، والترخيصَ في كشفِ ما هو أعظمُ فتنةً.

أيها الإخوةُ والأخواتُ:

ومهما قيل في الحجابِ، في كيفيتِه وصفتِه، فما كان يوماً ما عثرةً تمنعُ من واجبٍ، أو تَحولُ دونَ الوصولِ إلى حقٍّ، بل لقد كان ولا يزالُ سبيلاً قويماً يُمكِّنُ المرأةُ من أداءِ وظيفتِها بعفةٍ

---

(١) الحديث أصله في الصحيحين أخرجه البخاري (١٠/ ٢٦٦ - ح٥٧٨٤)، ومسلم (٣/ ١٦٥١، ١٦٥٢ - ح٢٠٨٥)، والحديث بتمامه أخرجه الترمذي (٤/ ١٩٥، ١٩٦ - ح١٧٣١) وقال: حديث حسن صحيح.

وحشمةٍ وطُهرٍ ونزاهةٍ على خيرِ وجهٍ وأتمِّ حالٍ.

وتاريخُ الأمةِ شاهدُ صدقٍ لنساءٍ فُضْلَياتٍ جَمعْنَ في الإسلام أدباً وحشمةً وسِتراً ووقاراً وعَملاً مبروراً، دون أن يتعثَّرنَ بفضولِ حِجابهنَّ، أو سابغِ ثيابِهن.

وإن في شواهدِ عصرنا من فتياتِنا المؤمناتِ، متحجباتٍ بحجابِ الإسلام، متمسكاتٍ بهدي السنةِ والكتابِ قائماتٍ بمسئولياتِهن، خيرٌ ثم خيرٌ ثم خيرٌ من قريناتٍ لهنَّ، شارداتٍ كاسياتٍ، عارياتٍ مائلاتٍ مُميلاتٍ لا يدخلنَ الجنةَ، ولا يجدنَ ريحَها متبرجاتٍ بزينتهن تبرُّجَ الجاهليةِ الأولىٰ.

وليعلم دعاةُ السفورِ، ومن وراءَهم أن التقدمَ والتخلفَ له عواملُه وأسبابُه، وإقحامُ السِّترِ والاحتشامِ والخلقِ والالتزامِ عاملاً من عواملِ التخلفِ، خدعةٌ مكشوفةٌ، لا تنطلي إلا على غُفُلٍ ساذجٍ، في فكرِه دَخَلٌ، أو في قلبِهِ مرضٌ.

ودعاةُ السفورِ ليسوا قدوةً كريمةً في الدينِ والأخلاقِ، وليسوا أسوةً في الترفُّع عن دروبِ الفتنِ، ومواقعِ الرِّيَبِ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ ـ٥٦].

أيها الإخوةُ، إن وظيفةُ المرأةِ الكبرىٰ، ومهمتَها العُظمىٰ في بيتِها وأسرتِها وأولادِها، وكلُّ ما تتحلىٰ به من علمٍ ووعيٍ يجبُ أن يكونَ موَّجهاً لهذه المهمةِ وتأهيلاً لهذه الوظيفةِ.

الرجلُ هو الكادحُ في الأسواقِ والمسئولُ عن الانفاقِ، والمرأة هي المربِّي الحاني، والظلُّ الوارفُ للحياةِ، كلَّما اشتدَّ لفحُها،

وقسا هجيرُها.

وإن انسلاخَ أحدِ الجنسين عن فطرتِه من أجلِ أن يلحقَ بجنسٍ ليس منه؛ تمردٌ على سنةِ اللهِ، واعوجاجٌ عن الطريقِ المستقيمِ. ولن يفيدَ العالمَ من ذلك إلا الخللُ والاضطرابُ، ثم الفسادُ والدمارُ. وما لعنُ المتشبهون من الرجالِ بالنساءِ ولا المتشبهاتُ من النساءِ بالرجالِ، إلا من أجلِ هذا.

وسوف تَحيقُ اللعنةُ، ويتحققُ الإبعادُ عن مواقعِ الرحمةِ في كلِّ من خالفَ أمرَ الله، وتمَّرد على فطرةِ اللهِ.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ. وأقولُ قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحجاب والجلباب

الخطبة الثانية

الحمد للهِ على جزيلِ النعماءِ، والشكرُ له على ترادفِ الآلاءِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمامُ المتقين، وسيدُ الأولياءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياءِ، وأصحابِه الأتقياءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، كما أُمرِتْ المؤمنةُ بلزوم الحجابِ عند خروجِها ومقابلةِ غيرِ المحارمِ فقد أمرتْ أن تقرَّ في بيتِها فبيتُها خيرٌ لها، ووظيفتُها في بيتِها من أشرفِ الوظائفِ في الوجودِ، وما يُحسنُها ولا يتأهلُ لها إلا من استكملَ أزكىٰ الأخلاقِ، وأنقىٰ الأفكارِ.

إن من الخطأِ في الرأي والفسادِ في التصورِ، الزعمَ بأن المرأةَ في بيتِها قعيدةٌ لا عملَ لهَا، فما هذا إلا جهلٌ مركبٌ، وسوءُ فهمٍ غليظٍ، سوءُ فهمٍ بمعنى الأسرةِ، وجهلٌ بطبيعةِ المجتمعِ الإنسانِي، والتركيبِ البشريِّ.

والأشدُّ والأنكىٰ: الظنُّ بأن هذه الوظيفةَ قاصرةٌ على الطهيِ والخدمةِ، إنها تربيةُ الأجيالِ والقيامُ عليها؛ حتى تنبتَ نباتاً

حسناً، ذكوراً وإناثاً، إنها في الإسلام تعدلُ شهودَ الجُمَعِ والجماعاتِ في حقِّ الرجالِ، وتعدلُ حجَّ التطوعِ والجهادِ.

جاءت أسماءُ بنتُ السكنِ الأنصاريةُ الأشهليةُ رضي الله عنها الملقبةُ بخطيبةِ النساءِ. جاءتْ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالت: «يا رسولَ اللهِ، بأبي أنت وأمي، إن الله بعثك للرجالِ والنساءِ كافةً فآمنَّا بك وبإلٰهك، وإنَّا معشرَ النساءِ محصوراتٌ، مقصوراتٌ مخدوراتٌ، قواعدُ بيوتِكم، وحاملاتُ أولادِكم، وإنكم معشرَ الرجالِ فُضِّلتُم علينا بالجُمَعِ والجماعاتِ، وفُضِّلتُم علينا بشهودِ الجنائزِ، وعيادةِ المرضىٰ، وفُضِّلتُم علينا بالحجِّ بعد الحجِّ، وأعظمُ من ذلك الجهادُ في سبيلِ اللهِ. وإن الرجلَ منكم إذا خرجَ لحجٍّ أو عمرةٍ أو جهادٍ؛ جلسنا في بيوتِكم نحفظُ أموالَكم، ونربي أولادَكم، ونغزلُ ثيابَكم، فهل نشاركُكم فيما أعطاكما اللهُ من الخيرِ والأجرِ؟ فالتفتَ النبيُّ ﷺ بجملته[1] وقال: «**هل تعلمون امرأةً أحسنَ سؤالاً عن أمورِ دينِها من هذه المرأةِ؟**» قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما ظنَّنا أن امرأةً تسألُ سؤالَها، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أسماءُ، افْهَمِي عنى أَخبْري من وراءَكِ من النساءِ أن حُسنَ تبعُّلِ المرأةِ لزوجها، وطلَبَها لمرضاته، واتباعَها لرغباته يعدلُ ذلكَ كلَّه**» فأدبرتْ المرأةُ وهي تهلِّلُ تكبرُ وترددُ: «يعدلُ ذلك كلَّه، يعدل ذلك كلَّه»[2].

فهل يفقه هذا نساء المؤمنين؟؟.

---

(١) أي بجسده كله.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٢٠، ٤٢١ ـ ح٨٧٤٣).

رأي في العنوسة وتأخير الزواج

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وجعلَ لكلِّ شيءٍ قدراً. خلقَ من الماءِ بشراً فجعله نسباً وصهراً. أحمده سبحانه وأشكره. كرمُهُ يتوالى، ونعُمه علينا تترىٰ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدهُ ورسولُه. اصطفاه ربَّه واجتباه. فكان أشرفَ البريةِ وأعلاهم ذِكراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

عبادَ اللهِ: اقتضتْ حكمةُ ربِّنا جلَّ وتبارك بقاءُ النسلِ البشريِّ، وحِفْظَ النوعِ الإنسانيِّ.. من أجلِ إعمارِ الكونِ، وإصلاحِ الأرضِ، وإقامةِ الشرعِ، والقيامِ بشئونِ الحياةِ.

فشرَعَ بحكمته ما ينظِّمُ العلاقةَ بين الجنسين الذكرِ والأنثىٰ من بني آدمَ. سنَّ الزواجَ بأحكامه وآدابِه.. علاقةٌ شرعيةٌ تدعو إليها الفطرةُ السليمةُ، وتنظمُها أحكامُ الشرعِ القويمِ.

بقيامِه تنتظمُ الحياةُ، ويُحفظُ الحياءُ، ويَنعُمُ البالُ، ويستقيمُ الحالُ. بالزواجِ المشروعِ يتحققُ العفافُ والحَصَانُ.. الذي يضمنُ وِفاقَ العلاقاتِ وأَمنَ البيوتاتِ، النسلُ الصالحُ والجيلُ الخيِّرُ لا ينبتُ ولا يتربىٰ إلا في أحضانِ زوجيةٍ شرعيةٍ.. بين أبوةٍ كادحةٍ، وأمومةٍ حانيةٍ.

في الذريةِ الصالحةِ، والاستكثارِ منها في الأمةِ... العزُّ والفخارُ للدينِ والأسرةِ والمجتمع: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ [النساء: ٦].

إن نعيمَ الحياةِ ومتعتَها لا تكونُ إلا في بيتٍ سعيدٍ، وسعادةُ البيتِ لا يحققُها إلا دينٌ صحيحٌ، وخلقٌ سَمْحٌ، وأدبٌ رفيعٌ. ينضمُّ إلى ذلك صفاءُ الودِّ، والحفظُ المتبادلُ بين القرينين في الحضورِ والغَيْبةِ. بيتٌ سعيدٌ ظاهرُه الحشمةُ والمهابةُ، وباطنُه العفافُ والصيانةُ.

الزواجُ السعيدُ تتجاوزُ السعادةُ فيه حدودَ الزوجين. لتمتدَّ إلى أسرتيهما، فتكونُ حلقةً واسعةً من المودات والصلاتِ بين الأقاربِ والأصهارِ. تتأكدُ بين الآلِ والأرحامِ وشائجُ القربىٰ وعلائقُ المصاهرةِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إذا كانتْ هذه بعضُ حِكَمِ الزواجِ وأسرارِه ومنافعِه وآثارِه.. فما بالُ الناسِ تشكو وتتبرمُ؟؟ تشكو من العنوسةِ وتأخرِ سنِّ الزواجِ في الفَتيانِ والفتياتِ؟ تتقدمُ السنونَ بهم، والعراقيلُ تزدادُ أمامَهم، والمشكلاتُ تتفاقمُ في وجوهِهم.

وكأن الطرقَ قد سُدَّتْ أمامَ كثيرٍ من الشبابِ، والحُجُبَ قدغَلُظَتْ أمامَ جموعِ الراغبين.. حتى ظهرَ الحالُ بمظهرٍ ينذرُ بسوءِ المنقلبِ.

إن تضييقَ فُرصِ الزواجِ علةُ خرابِ الديارِ.. به يُقتلُ العفافُ، وتُوأَدُ الفضيلةُ. وهو طريقُ الفسادِ، وهتكِ حجابِ السَّترِ والصيانةِ. إنها سَوْءاتٌ وخبائثُ... لا تظهرُ إلا إذا أُفتعلتْ الحواجزُ، وتنوعتْ العوائقُ أمامَ الراغبين من البناتِ والبنينِ.

هل هناك للأعداءِ ـ ياتُرى ـ خططٌ ماكرةٌ لنشرِ المسالكِ الداعرةِ؟

جديرٌ بذوي الرأي وأولياءِ أمورِ النشءِ، وحقٌ على العلماءِ والمربينِ أن يولوا الأمرَ عنايتَهم الجادةَ، هل المشكلةُ مشكلةُ مهورٍ؟. أم المشكلةُ تعلمٌ وترقٍ في سُلَّمِ التعليم لنيل شهاداتِ ودرجاتِ؟.

الأمرُ فيما يبدو ـ أيها الفضلاءُ ـ أكبرُ من ذلك وأوسعُ. إن الناظرَ في أحوالِ المجتمعاتِ، والمراقبَ لمتغيراتِها في هذا العصرِ؛ يحسُّ بأشياءَ كثيرةٍ وكبيرةٍ.. يدرُك أموراً مخيفةً ومهولةً.

إن هذه المشكلاتِ وهذه العوائقِ راجعةٌ إلى خللٍ في التصورِ، وزعزعةٍ في الفكرِ. ولا مبالغةَ إذا قيل إنها راجعةٌ إلى ضعفٍ في العقيدةِ، وخللٍ في تطبيقِ الشريعةِ.

إنه التفكيرُ المشوَّشُ حولَ المستقبلِ، والتخوفُ الذي لا مسوغَ له. ثم ما يرتبطُ بهذا التخوفِ من الاعتمادِ على الشهاداتِ، والتعلقِ بالوظائفِ، وتأمينِ فرصِ العملِ، والاشتغالِ بالترقي في

سلَّم التعليم... حتى يفوتَ الجميعَ قطارُ الزواجِ. ومشاركةُ الوالدين في هذا التخوفِ، وقبولُ المجتمعِ له، والرضا عن هذا المسلكِ يؤكدُ هذا الخللَ في التفكيرِ، والانقلابَ في الموازين، وتزعزعَ الثقةِ باللهِ، وضعفَ النظرِ المتعقلِ. ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النور: ٣٢] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: ٧] اضطربتْ المقاييسُ، وطاشتْ الموازينُ.. فالمستقبلُ مادةٌ، والتخطيطُ مادةٌ، وشريكةُ الحياةِ وزوجُ المستقبلِ يقوِّمان بالمادةِ وشبهِ المادةِ. الوظيفةُ والشهادةُ، والمرتبُ والوجاهةُ.. هي السوقُ الرائجةُ. يستوي في ذلك الشابُّ وأهلُه، والشابَّةُ وأهلُها إلا ما رحمَ ربيّ.

ما يتلقفُه الناسُ والشبابُ من معلوماتٍ وأخلاقياتٍ في المقالاتِ والمسلسلاتِ والصحفِ والإذاعاتِ بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ؛ له أثرُه البينُ في اختلالِ النظرةِ إلي الحياةِ. هذا الزخمُ من الثقافاتِ، وهذا الطرحُ من التصوراتِ؛ قلبَ المفاهيمَ وأفسدَ الأمزجةَ، وجعلَ علاقاتِ الناسِ وروابطَها منافعَ ذاتيةً ومادية بحتةً.

أيها الآباءُ، أيها الأمهاتُ، أيها المربون: إذا انحدرَ الناسُ في هذه المقاييس، وحكَّمُوها في علاقاتِهم.. فقد فسد الزمانُ، وبطلَ دليلُ العقلِ، وتعطلَ أمرُ الشرعِ. يُعيِّرون بالفقرِ، ويكلِّفون ما يخرجُ عن الطَّوق؟؟ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الطلاق: ٧]. لقد انبنىٰ على فسادِ التصورِ هذا أنْ ساءتْ الأفكارُ، وارتفعتْ المروءاتُ في كثيرٍ من البيئاتِ.. فاشتطَّ الناسُ في النفقاتِ، وسرتْ بينهم في الحُطامِ المنافساتُ،

وتوجهوا نحو الدراهم والمراكزِ واللذائذِ الحسيةِ والجسديةِ، حتى ولو تعارضتْ مع العَفةِ وحفظِ الأعراضِ والاستمساكِ بالخلقِ العالي. فزادتْ الحواجزُ ارتفاعاً، وامتدتْ السدودُ طولاً.. فتطلع النساءُ وأشباهُ النساءِ إلى صنوفِ الملابسِ والمساكنِ، وألوانِ الفرشِ والمآكلِ. والمفتِّشُ عن الزواجِ من الفضلاءِ والصالحين يخشىٰ أن يُبتلىٰ بأصهارٍ وأنسابٍ يتجاوزون في مطالبِهم حدودَ المعروفِ، فيكلِّفونه في حياتِه عسراً، ويزيدونه من أمرِه رَهقاً.

لماذا كلُّ هذا أيها الناسُ؟ إن جميلَ الخُلُق أبقىٰ من جَمال الخَلْق، وغِنىٰ النفس مقدَّمٌ على غِنىٰ المال، والعبرةُ كلُّ العبرةِ في كريم الخصالِ.. لا في زَيْنِ الأجسامِ وكثرةِ الأموالِ.

سُئلَ سعيدُ بن المسيَّبِ ـ رحمه الله ـ عن حديثِ: «**خيرُ النساء أيسرُهن مهوراً**»[1] كيف تكونُ حسناءَ ورخيصةَ المهرِ؟ فقال سعيدٌ: يا هذا، انظرْ كيف قلت؟ أهم يساومون في بهيمةٍ لا تعقل؟ أتراها بضاعةً طَمَعُ صاحبِها يغلبُ على مطامعِ الناس ﴿ ۞هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. إنه إنسانٌ مع إنسانةٍ، وليس متاعاً يطلبُ مُبْتاعاً.

---

(١) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان (٩/ ٣٤٢ ـ ح٤٠٣٤)، والطبراني في الكبير (١١/ ٧٨ ـ ح١١١٠٠، ١١١٠١) قال في المجمع(٤/ ٢٨١) فيه رجاء بن الحارث ضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله ثقات، وله شواهد تقويه منها (خير النكاح أيسره) و (خير الصداق أيسره) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان(٩/ ٣٨١ ـ ح٤٠٧٢)، وأبوداود (٢/ ٢٣٨ ـ ح٢١١٧).

أما الحمقاءُ وأهلُ الحمقاء... فيتمسكون بالجمالِ والمنصبِ، والمالِ والمركزِ، ليزايدوا في الثمنِ. أتُرىٰ هؤلاء من الشرارِ أم من الخيارِ؟ إن المرأةَ للرجلِ نفسٌ لنفس، وليست بضاعةً لتاجرٍ. إن ميزانَ الرجالِ لا يوزنُ بمالٍ، ولكنَّ المهرَ يوزنُ بالمعاملةِ، وحسنِ التبعلِ، ورعايةِ المسئوليةِ.

إن صاحبَ الجمالِ والجاهِ قليلَ الدينِ والخلقِ من الرجالِ والنساءِ لا يغني عنه كثرةُ المالِ شيئاً. أرأيت لو كان مع الجبانِ مائةُ سيف؛ أكان ذلك يُغني عن ضعفِه وجبنِه وخَوَرِه؟ فاستكثارُ المالِ وموازينُ المادةِ لا تسترُ خيبةَ الزوجين، وصفاقتَهما وسوءَ خلقِهما، ولو كان ذلك قناطيرَ الذهبِ والفضةِ.

إن نِسَبَ الطلاقِ والفراقِ، وأسبابَ الانفصالِ والشقاقِ في متقدِّمةِ هذا العصرِ.. أعلى منها في مجتمعاتِ سَلِمتْ من رياحِ هذا التقدمِ البائسِ وغبارِه الخانقِ. وكلَّما دخلتْ أمةٌ في هذا النوعِ من المعاصرةِ والمقاييسِ ارتفعت فيها نِسَبُ الطلاقِ والشقاقِ.

أيها الإخوة في الله:

حقٌّ على أصحابِ القدوةِ من الأمراءِ والوجهاءِ والعلماءِ، والأغنياءِ وشيوخِ القبائلِ والعشائرِ، أن ينشروا في الناس خُلقَ القناعةِ بما يسرَ اللهُ ورزقِ. ويرسموا ذلك بفعالِهم قبل أقوالِهم.

لا يكونُ الاغتباطُ إلا بالدينِ وحسنِ الخلقِ، والاهتمامِ بغرسِ المودةِ ونعمةِ البالِ... غيرَ ناظرين إلى ما تعجَزُ عنه أيدي الشبابِ، ولا مالا تبلغُه طاقاتُهم. يجب أن يكونَ التوجيهُ وصرفُ

الهَمِّ والهمةِ إلى الفتى المهذبِ والفتاةِ المهذبةِ من أجلِ أن تُستجلبَ راحةُ الضميرِ والإعانةُ على نوائبِ الحياةِ، والتهيئةَ لكسبٍ شريفٍ وسعيٍ كريم. الصلاحُ والتقىٰ والعفةُ والأمانةُ، وكَرمُ العنصرِ وطيبُ الأرومة[1]. . كلُّ أولئك تورثُ حسنَ الطباعِ، وعزةَ النفس ، واحترامَ البعلِ، والعرقُ دساسٌ، والطبعُ غالبٌ. وقد قال أكثَمُ بن صيفي لبنيه: يا بَنيَّ لا يحملَّنكم جمالُ النساءِ عن صراحةِ النسبِ، وكرمِ العنصرِ فإن المناكحَ الكريمةَ مدرجةُ الشرفِ.

أيها الأخُ المسلمُ: إن الجمالَ ونضارةَ الشبابِ تزيلهما السُّنونُ، وإن المالَ غادٍ ورائحٌ، ولا يبقى إلا الدينُ والخلقُ الكريمُ. فاظفرْ بذاتِ الدينِ تربتْ يداكَ.

---

(١) الأرومة: الأصل.

رأي في العنوسة وتأخير الزواج

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً كما أمرَ. وأشكرُه على إنعامِه وإفضالِه، وقد تأذَّنَ بالزيادةِ لمن شكرَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجو بها الزلفىٰ لديه يومَ العرضِ الأكبرِ. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الشافعُ المشفعُ في المحشرِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، السادةِ الغررِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما اتصلتْ عينٌ بنظرٍ، وأذنٌ بخبرٍ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون:

عبادَ الله: إن الجدلَ حولَ الماديات، وتكاليفِ الزواجِ، ونفقاتِ البيتِ، لا ينقطعُ، ومتطلباتُ الأسرةِ لا تنقضي. والإسلامُ يكره أن تكونَ أمورُ النفقةِ، وحوائجُ الدنيا سبباً في تعريضِ الأسرةِ للمتاعبِ، وتهديدِ مستقبلِها بالأخطارِ والمصاعبِ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: ٧].

وإن مسالكَ العقلِ والحكمةِ تقتضي التوجهَ إلى حُسنِ المعاشرةِ، وفقهِ إدارةِ المنزلِ، وما يوثِّقُ العلاقةَ بين الزوجينِ

الجديدين. واسمعوا إلى حكماءِ العربِ وهي تخاطب المرأةَ حين تزفُّ إلى زوجِها، وهي وصايا ينبغي أن يتحلى بها الرجالُ والنساءُ، كل حسَبَ طبيعتِه وموقعِه.

قالت الحكماءُ: كوني له أرضاً ذليلةً يكنْ لك سماءً ظليلة، وكوني مِهاداً يكن لك عِماداً، وإن كنت له أمةً كان لك عبداً، ولا تُكثري من الإلحاحِ فيقلاكِ[1]، ولا تتباعدي عنه فينساكِ. فإن من بَعُدَ عن العينِ بَعُدَ عن القلبِ. احفظي أنفَه وسمعَه وبصرَه... فلا يشمُّ إلا طِيْباً، ولا يسمعُ إلا حُسْناً، ولا يرىٰ إلا زَيْناً، طولُ الصحبةِ بالقناعةِ، وجميلُ العشرةِ بحسنِ الطاعةِ. والمحافظةُ على المالِ حُسْنُ التقديرِ، ورعايةُ البنين حسنُ التدبير. ولا تفشي سراً، ولا تعصي أمراً، فإن من أفشىٰ سراً لم يأمنْ غدراً، ومن عصى أمراً فقد أوغرَ صدراً. وليس من الأدبِ الفرحُ وقتَ الحُزْنِ، ولا الاكتئابُ في حالِ السرورِ.. فإن الخصلةَ الأولى من التقصيرِ، والثانيةَ من التكديرِ، ومن كان أشدَّ احتراماً فإنه لا يلقىٰ إلا محبةً وإكراماً. واعلمي أن طولَ المرافقةِ تكونُ بكثرةِ الموافقةِ.

تلك هي بعضُ التوجيهاتِ، بعيدةً عن مقاييس الماديات، فاتقوا الله ـ رحمكم الله ـ وخذوا بأيدي الناشئةِ، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

---

(١) أي: يهجرك ويكرهك.

ابنَ آدم: مَرِضت ولم تعدني

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المتوحدِ بالعظمةِ والجلالِ، المتفردِ بالبقاءِ والكمالِ، أحمدُه سبحانه، وأشكرُه على جزيلِ الإنعامِ والإفضالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلاَ هو الكبيرُ المتعالِ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، المنقذُ بإذن ربِّه من الضلالِ، والداعي إلى كريم السجايا وشريفِ الخصالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، فبتقوىٰ اللهِ تُنالُ الدرجاتُ، وتزكو الأعمالُ، وأكثروا من ذكرِه وشكرِه، فبذكره تطمئنُّ القلوبُ، وبشكره تُحفظُ النعمُ، وتزودوا من الصالحاتِ فخيرُ الزادِ التقوىٰ.

معاشرَ الإخوة، الخيرُ في الإسلامِ ينتظمُ كلَّ وجوهِ البرِّ، ويشملُ كلَّ عملٍ صالحٍ، ويتناولُ كلَّ خلقٍ كريمٍ، طاعةً للهِ عزَّ وجلَّ، وحباً في الفضائلِ في إخلاصٍ وقصدٍ حسنٍ.

ففي الحديث قولٌ جميلٌ، وفي البلاءُ صبرٌ جميلٌ، وعند الخلافِ صفحٌ جميلٌ.

أقوالٌ وأفعالٌ تغرسُ المحبةَ، وتورثُ المودةَ، وتوثقُ الروابطَ،

نجدةٌ وإغاثةٌ، وتراحمُ وملاطفةٌ، وإخلاصٌ ووفاءٌ، مشاركةٌ في السراءِ، ومواساةٌ في الضراءِ، كلُّ ذلك من توجيهاتِ الإسلامِ، ونواميسِ الأخلاقِ.

أيها الإخوةُ، ويتجلىٰ صفاءُ الدينِ، وتظهرُ محاسنُ الشريعةِ، أكثرَ ما تتجلىٰ في خُلقٍ كريمٍ، وسلوكٍ مستقيمٍ، ينتهجُه المسلمُ مع إخوانِه، القريبِ منهم والبعيدِ.

إنها أخلاقٌ كريمةٌ، ولكنها في ذاتِ الوقتِ حقوقٌ محفوظةٌ، عُنيَ الإسلامُ بها وحثَّ عليها، ودعا إليها، ورسمَ منهاجها، وأوضحَ آدابَها.

وفي مثلِ ذلك يقولُ عليه الصلاة والسلام:

«**حقُّ المسلمِ علىٰ المسلمِ ستٌّ**» قيل: ما هنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه، وإذا دعاكَ فأجِبْه، وإذا استنصحكَ فانصحَ له، وإذا عطسَ فحمدَ اللهَ فشمِّتْه، وإذا مرِضَ فعُدْه، وإذا مات فاتْبَعْهُ**»[1] في حقوقٍ أخرىٰ كثيرةٍ حَفَلتْ بها سنةُ المصطفىٰ ﷺ قولاً وعملاً وتوجيهاً.

ولقد كان من أدبِ السلفِ ـ رضوانُ الله عليهم ـ إذا فَقدَوا أحداً من إخوانِهم سألوا عنه، فإن كان غائباً دَعْوا له، وخَلَفوه خيراً في أهلِه، وإن كان حاضراً زارُوه، وإن كان مريضاً عادُوه.

يقولُ الأعمشُ ـ رحمه اللهُ ـ: كنا نقعدُ في المجلسِ، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٥ ـ ح١٢٤٠) وفيه (حق المسلم على المسلم خمس)، ومسلم (٤/ ١٧٠٤، ١٧٠٥ ـ ح٢١٦٢) واللفظ له.

فقدْنا الرجلَ ثلاثةِ أيامٍ سألنا عنه، فإن كان مريضاً عدُناه.

وفي عيادةِ المريضِ ـ أيها الإخوةُ ـ يتجلىٰ سموُّ الخُلُقِ، وحفظُ الحقِّ حين يكونَ أخوكَ في حالةٍ من العجزِ، وانقطاعٍ عن مشاركةِ الأصحابِ، حبيسَ المرضِ، وقعيدَ الفراشِ.

في عيادةِ المريضِ إيناسٌ للقلبِ، وإزالةٌ للوحشةِ، وتخفيفٌ من الألمِ، وتسليةٌ للنفسِ والأقاربِ.

وفي توجيهاتِ المصطفىٰ ﷺ حثٌّ عظيمٌ على حفظِ هذا الحقِّ، والالتزامِ بهذا الخُلُقِ، ومراعاةِ آدابِه.

أخرجَ الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ واللفظُ له والترمذيُّ عن ثوبانَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن المسلمَ إذا عاد أخاه المسلمَ لم يزلْ في خُرفةِ الجنةِ حتى يرجعَ**» قيل: **يا رسولَ اللهِ، وما خُرفةُ الجنةِ؟ قال**: «**جَناها**»[1] ـ أي: ثمارَها.

وفي حديثٍ قدسي يقولُ اللهُ ـ عزَّ وجل ـ يوم القيامةِ: «**يا ابنَ آدم مَرِضْتُ فلم تَعُدْني. قال: ياربِّ، كيف أعودُك وأنتَ ربِّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْه؟ أما علمتَ أنك لو عدتَّه لوجدتني عنده؟..**»[2].

و «**ما منْ مسلمٍ يعودُ مسلماً غَدوةً، إلا صلى عليه سبعون ألفَ ملكٍ حتى يُمسي، وإن عادَه عشيةً، إلا صلى عليه سبعون ألف**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٩ ـ ح٢٥٦٨)، والترمذي (٣/ ٢٩٩ ـ ح٩٦٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ ـ ح٢٥٦٩).

ملكٍ حتى يصبحَ، وكان له خريفٌ من الجنةِ»[1].

وفي موطأِمالكٍ بلاغاً ومسندِ أحمدَ مُسْنَداً واللفظُ له، ورواتُه رواةُ الصحيح، والبزار، وابن حبانَ في صحيحِه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسولُ الله ﷺ: «**من عادَ مريضاً لم يزلْ يخوضُ في الرحمةِ حتى يرجِعَ، فإذا جلسَ اغتمسَ فيها**»[2] وفي حديث أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**من عادَ مريضاً ناداه مناد من السماءِ: طِبتَ وطابَ ممشاكَ، وتبوأْتَ من الجنةِ منزلاً**»[3]. أخرجه الترمذي وحسَّنَه، وابنُ ماجه، واللفظُ له.

ومن أدبِ الزيارةِ أن يقفَ عند رأسِه ويضعَ يدَه على جبينِه أو على مكانِ الألم ويقول: «**لا بأسَ طهورٌ إن شاءَ الله**»[4] فقد كان نبيُّكم محمدٌ ﷺ يفعلُ ذلك.

كما كان عليه الصلاة والسلام يرشد إلى ما يُتعوذ به من الألم يقول عثمان بن أبي العاص الثقفي قدمت على النبي ﷺ وبي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٠١ ـ ح٩٦٩) وقال: حديث حسن غريب، وأبوداود (٣/ ١٨٥ ـ ح٣٠٩٨)، وأحمد (١/ ٨١، ٩١، ١٢١)، وابن ماجه بنحوه (١/ ٤٦٣، ٤٦٤ ـ ح١٤٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٤)، والحاكم (١/ ٣٥٠) وقال: صحيح الاسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن حبان انظر الاحسان (٧/ ٢٢٢ ـ ح٢٩٥٦)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح انظر المجمع (٢/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٢٠، ٣٢١ ـ ح٢٠٠٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (١/ ٤٦٤ ـ ح١٤٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٢٦ ـ ح٥٦٦٢).

وجع قد كان يبطلني فقال لي النبي ﷺ: «**اجعل يدك اليمنى عليه وقل: بسم الله. أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات**» فقلت ذلك فشفاني الله[١].

وينبغي أن يجتهدَ له في الدعاءِ، ومما وردَ في ذلك: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**من عادَ مريضاً لم يَحضُرْ أجلُهُ فقال عنده سبعَ مرارٍ: أسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يشفيَك، إلا عافاه اللهُ من ذلك المرضِ**»[٢].

وعن عبدالله بن عمروٍ رضي الله عنهما قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا جاء الرجلُ يعودُ مريضاً فليقلْ: اللهمَّ اشفِ عبدَك ينكأُ لك عدواً، أو يمشي لك إلى جنازةٍ**»[٣] وفي رواية «**صلاة**». ويقول: «**اللهم ربَّ الناس أذهبْ البأسَ، اشفِ أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُك شفاءً لا يَغادرُ سَقَماً**»[٤].

وقد عادَ جبريلُ النبيَّ ﷺ وقال: «**بسمِ اللهِ أرقيكَ، من كلِّ**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٨ ـ ح٢٢٠٢)، والترمذي (٤/٣٥٦ ـ ح٢٠٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٤/١٢ ـ ح٣٨٩١)، ومالك في الموطأ (٢/٩٤٢)، وابن ماجه (٢/١١٦٤ ـ ح٣٥٢٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٣٥٧ ـ ح٢٠٨٣) وقال: حديث حسن غريب، وأبوداود (٣/١٨٧ ـ ح٣١٠٦)، والحاكم (١/٣٤٢) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أبوداود (٣/١٨٧ ـ ح٣١٠٧)، وابن حبان انظر الاحسان (٧/٢٣٩ ـ ح٢٩٧٤)، والحاكم (١/٣٤٤، ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/٢١٦ ـ ح٥٧٤٣)، ومسلم (٤/١٧٢١، ١٧٢٢ ـ ح٢١٩١).

شيءٍ يؤذيك، من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ، الله يُشفيك، باسمِ الله أرقيك»[1] رواه مسلم من حديثِ أبي سعيد.

ومن الآدابِ المرعيةِ: ألا يطيلَ الزيارةَ، ولايثقلَ بكثرةِ المساءَلةِ، وإطالةِ الحديثِ، ولا يذكرَ له ما يُحْزِنُه، أو يزيدُه وجعاً إلى وجعِه، ولا يذكرُ صديقاً له بما يكرهُ، أو عدواً له بما يحبُّ، ولا يتحدثَ عن أهلِه وأولادِه إلا بكلِّ خيرٍ، رفقاً به وملاطفةً له.

وإن في الإطالةِ إثقالاً على المريضِ، ومنعاً له من تصرفاتٍ قد يحتاجُ إليها.

قال بعضُ الظرفاءِ لقومٍ عادُوه في مرضِه، فأطالوا الجلوسَ: المريضُ يعادُ، والصحيحُ يُزارُ.

ودخلَ رجلٌ على عُمرَ بن عبدالعزيز يعودُه في مرضِه فسأله عن علَّتِه فأخبرَه، فقال الزائرُ: إن هذه العلةَ ما شُفي منها فلانٌ، وماتَ منها فلانٌ. فقال عمرُ: إذا عُدتَ مريضاً فلا تنَع إليه الموتىٰ، وإذا خرجتَ عنا فلا تعدُ إلينا. ويقول سفيانُ الثوري: حماقةُ العائدِ أشرُّ على المرضىٰ من أمراضِهم، يجيئون من غيرِ وقتٍ، ويُطيلونَ الجلوسِ.

وإذا كان المريضُ يحبُّ تكرارَ الزيارةِ، ولا مشقةَ عليه فلا بأسَ، ومردُّ ذلك إلى الطبائعِ ومقتضياتِ الأحوالِ، وقد يأنسُ ببعضٍ من قريبٍ أو صديقٍ حميمٍ، ويَملُّ آخرين. وإذا طَمعَ الزائرُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٧١٨، ١٧١٩ ـ ح٢١٨٦).

في شفاءِ المريضِ صبَّرَه وبشَّره، وساعدَه في التمريضِ وإحضارِ الطبيبِ، وفي قضاءِ حوائجِه التي يعجَزُ عن الوصولِ إليها، وطيَّبَ نفسَه وسعىٰ في إدخالِ السرورِ عليه، وفتحَ أبوابَ الأملِ لديه.

وقد وصفَ الحسنُ ـ رحمهُ اللهُ ـ المرضَ فقال: أما واللهِ ما هو بشرِ أيامِ المسلمِ، قوربَ له أجلُه، وذُكِّر فيه ما نَسي من مَعَادِه، وكُفِّرَ به عن خطاياه.

وكان إذا دخلَ على مريضٍ قد عوفي قال له: يا هذا، إن اللهَ قد ذكَّرك فاذكُره، وأقالكَ فاشكرْه.

فهذه الأسقامُ والبلايا كفاراتٌ للذنوبِ، ومواعظُ للمؤمنينِ، يرجعون بها عن كلِّ شرٍ كانوا عليه.

ويقولُ الفضيلُ: إنما جُعلتْ العللُ ليؤدَّبَ بها العبادُ.

ليس كلُّ من مرِضَ ماتَ. وعُدَّ من ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

وإذا يئسَ من حالِه ذكَّره باللهِ، ورغَّبه فيما عنده، وحسَّنَ ظنَّه بربِّه، ومن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه.

ومن كان آخرُ كلامه: لا إله إلا اللهُ، دخلَ الجنةَ، ويَفتحُ له أبوابَ التوبةِ، واغتنامِ الوقتِ بالذكرِ والقراءةِ والتسبيحِ والاستغفارِ، وكلِّ ما يقرِّبُ إليه، ويذكِّرُه بالوصيةِ، فهي لا تَقطعُ أجلاً، وإنما تُحفظُ بها الحقوقُ، وتُقضىٰ بها الديونُ، ويُتوصلُ بها أهلُ الحقوقِ إلى حقوقِهم.

لما طُعنَ عمرَ جعلَ يَأْلَمُ، فقال له ابنُ عباس ـ وكأنه يجزِّعُه ـ: «يا أميرَ المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صَحِبتَ رسولَ اللهِ ﷺ فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ أبابكرٍ فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ صَحبَتَهم[1] فأحسنتَ صُحبتَهم، ولئن فارقتَهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ اللهِ جلَّ ذكره مَنَّ به عليّ، وأما ما ذكرتَ من صحبة أبي بكرٍ ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله جل ذكره مَنَّ به عليّ، وأما ما ترى من جَزَعي؛ فهو من أجلِك وأجلِ أصحابِك. والله لو أن لي طِلاعَ[2] الأرضِ ذهباً لافتديتُ به من عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قبل أن أراه»[3] رواه البخاريُّ من حديث المسورِ بن مخرمةِ.

وفي البخاري أيضاً من حديث القاسم بن محمدٍ أن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ اشتكتْ؛ فجاء ابنُ عباس فقال: «يا أمَّ المؤمنين، تَقْدَمين على فَرَطِ صدقٍ، على رسولِ اللهِ ﷺ وعلى أبي بكرٍ»[4].

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واحفظوا لإخوانِكم حقوقَهم، قوموا بها على وجهِها، راعوا آدابُها، وحقِّقوا مقاصدَها، يَعْظُمْ

---

(١) أي: أصحاب النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.
(٢) طلاع الأرض: أي ملء الأرض.
(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٥٢، ٥٣ ـ ح٣٦٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٣ ـ ح٣٧٧١).

الأجرُ، ويصْلُحْ الشأنُ، ويفشُ الخيرُ، وتَسُدْ المودةُ.

اللهم تبْ على التائبين، واغفرْ ذنوبَ المذنبين، واقضِ الدينَ عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين، اللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا، واغفرْ لنا حوبَنا وخطايانا يا ربَّ العالمين، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

ابنَ آدم: مَرِضتُ ولم تعدني

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربطَ بين المؤمنين برابطةِ الإيمان، فكانوا إخوةً متحابين، يشدُ بعضُهم بعضاً، كالمرصوصِ من البنيانِ. أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ ولدِ عدنان، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقو اللهَ معاشرَ المسلمين. واعلموا أن زيارةَ المريضِ مستحبةٌ، ولو كان مُغمىٰ عليه، «فقد زارَ النبيُّ ﷺ وأبوبكر - رضي الله عنه - جابرَ بن عبدِالله، ووجداه مُغمىً عليه»[1]، وفي مثلِ هذه الزيارةِ جبرٌ لخاطرِ أهلِه مع ما يُرجىٰ من إجابةِ الدعاءِ.

مَرِضَ يحي بنُ خالد فكان إسماعيلُ بن صُبَيْح الكاتبُ إذا دخلَ عليه يعودُه - وهو مغمىً عليه - وقفَ عند رأسِه ودعا له ثم يخرجُ؛ فيسألُ مرافقَه عن منامِه وشرابِه وطعامِه، فلما أفاقَ يحيىٰ، قال: ما عادني في مرضي إلا إسماعيلُ بنُ صُبيح.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٢).

ومما يُنَبَّه إليه في هذا المقام ـ أيها الإخوةُ ـ أن بعضَ الناس يُثْقِلون على أنفسِهم؛ فيحملون إلى المريضِ هدايا وغيرَها، وقد يحملون أموراً من عادات غير أهل الإسلام، وهذا ليس من آدابِ الزيارةِ في شيءٍ، بل هو تكلُّفٌ ظاهرٌ، ومجاملاتٌ ثقيلةٌ، وتقليدٌ أعمىٰ، وهو قد يدفعُ من لا قدرةَ لهم إلى التقاعسِ عن الزيارةِ الشرعيةِ التي أمرَ الله بها ورسولُه.

وحاجةُ المريضِ إلى الدعاءِ، والكلماتِ الطيبةِ، والملاحظاتِ الرقيقةِ أولىٰ من هذه المحمولاتِ.

أما ما كان صدقةً لفقيرٍ، أو مساعدةً لمحتاجٍ، فهذا له شأنٌ آخر لا ينبغي أن يكون مربوطاً بالزيارة أو شرطاً فيها.

فاتقوا اللهَ؛ يرحمكُمُ اللهُ؛ والتزموا بهدي نبيِّكم محمدٍ ﷺ فهو أقومَ هديٍ وأسلمُ نهجٍ.

طيب الكسب والمكسب

الخطبة الأولى

الحمدُ لله، تعاظَم ملكوتُه فاقتدرَ، وتعالىٰ جبروتُه فقَهر، رفعَ وخفضَ وأعزَّ ونصرَ، وهو العليمُ بما بطنَ وما ظهرَ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، أحلَّ الحلالَ وبين طريقَه، وبالطيباتِ أمرَ، وحرَّم الحرامَ، وأوضحَ سبيلَه، وعن الخبائثِ زجر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدأن محمداً عبدُه ورسولُه المؤيدُ بالمعجزاتِ والآياتِ والسورِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه السادةِ الغررِ ما اتصلت عينٌ بنظرٍ، وأذنٌ بخبرٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما ليلٌ أدبرَ، وصبحٌ أسفرَ.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها الناسُ، اتقوه في أنفسِكم وأهليكم، اتقوه في أعمالِكم وأموالِكم، اتقوه فيما تأكلونَ وما تدخرون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨].

عبادَ الله، كسبُ الرزقِ وطلبُ العيشِ شيءٌ مأمورٌ به شرعاً، مندفعةٌ إليه النفوسُ طبعاً، فاللهُ قد جعلَ النهارَ معاشاً، وجعل للناسِ فيه سبحاً طويلاً. أمرهم بالمشي في مناكبِ الأرضِ ليأكلوا

من رزقِه. وقرَن في كتابه بين المجاهدين في سبيلِه والذين يضربون في الأرضِ يبتغون من فضلِه، ﴿يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟﴾ [المزمل: ٢٠]. وأخبرَ عليه الصلاةُ والسلام أنهُ «**ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكلَ من عملِ يدِه، وإن نبيَّ الله داودَ عليه السلام كان يأكلُ من عملِ يدِه**»(١). رواه البخاري، ولقد قالَ بعضُ السلفِ: إن من الذنوبِ ذُنوباً لا يكفرُها إلا الهمُّ في طلبِ المعيشةِ. وفي أخبارِ عيسى عليه السلام أنه رأى رجلاً فقال: ما تصنعُ؟ قال: أتعبدُ. قال: ومن يعولُك؟ قال: أخي. قال: وأين أخوكَ؟ قال: في مزرعةٍ. قال: أخوك أعبدُ للهِ منك.

وعندنا ـ أهلَ الإسلامِ ـ: ليست العبادةُ أن تَصُفَّ قدميك، وغيرُك يسعىٰ في قُوتِك؛ ولكن ابدأْ برغيفَيْك فأحرزْهما ثم تعبَّدْ.

والاستغناءُ عن الناسِ أيها الإخوةُ ـ بالكسب الحلالِ ـ شرفٌ عالٍ وعِزٌّ منيفٌ. حتىَ قال الخليفةُ المحدَّثُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه: ما من موضعٍ يأتيني الموتُ فيه أحبُّ إليّ من موطنٍ أتسوقُ فيه لأهلي؛ أبيعُ وأشتري. ومن مأثورِ حِكَمِ لقمانَ: يا بُنيَّ، استغنِ بالكسبِ الحلالِ عن الفقرِ، فإنه ما افتقرَ أحدٌ قطُّ إلا أصابه ثلاثُ خصالٍ: رقةٌ في دينِه، وضعفٌ في عقلِه، وذهابُ مروءَتِه.

إن في طيبِ المكاسبِ وصلاحِ الأموالِ سلامةَ الدينِ، وصونَ العرضِ، وجمالَ الوجهِ، ومقامَ العزِّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٣٥٥ ـ ح٢٠٧٢).

ومن المعلوم ـ أيها الأحبةُ ـ أن المقصودَ من كلِّ ذلك الكسبُ الطيبُ، فاللهُ طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وقد أمرَ اللهُ به المؤمنين كما أمرَ به المرسلين؛ فقال عزَّ من قائلٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال عزَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

ومن أعظمِ ثمارِ الإيمان طيبُ القلبِ، ونزاهةُ اليدِ، وسلامةُ اللسانِ. والطَيبون للطيباتِ، والطيباتِ للطيبين. ومن أسمى غاياتِ رسالةِ محمدٍ ﷺ أنه يُحلُّ الطيباتِ، ويحرِّمُ الخبائثَ.

وفي القيامةِ يكونُ حسنُ العاقبةِ للطيبين ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].

عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من أكلَ طيباً وعملَ في سُنَّةٍ، وأمِنَ الناسُ بوائقَه دخلَ الجنة**»(١). وأخرج أحمدُ وغيرُه بأسانيد حسنةٍ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحسنُ خليقةٍ، وعفةٌ في طُعْمةٍ**»(٢).

إن طلبَ الحلالِ وتحريَهُ أمرٌ واجبٌ وحتمٌ لازمٌ، فلن تزولَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٧ ـ ح٢٥٢٠) وقال: حديث غريب وفي بعض النسخ حسن صحيح غريب، والحاكم (٤/ ١٠٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧)، والحاكم (٤/ ٣١٤) وسكت عنه وتابعه الذهبي.

قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن مالِه من أينَ اكتسبَه وفيم أنفقَه. إن حقاً على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يتحرىٰ الطيَّبَ من الكسبِ، والنزيهَ من العملِ؛ ليأكلَ حلالاً وينفقَ في حلالٍ. انظروا ـ رحمكم اللهُ ـ «إلى أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه يجيئُه غلامُه بشيءٍ فيأكلُه فيقولُ الغلامُ: أتدري ما هو؟ تكهنتُ في الجاهليةِ لإنسانٍ وما أُحْسِنُ الكهانةَ؛ ولكني خدعتُه، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ. فأدخلَ أبوبكرٍ يدَه في فمِه فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنِه، وفي روايةٍ أنه قال: لو لم تخرجْ إلا مع نفسي لأخرجتُها. اللهم إني أعتذرُ إليك مما حملتْ العروقُ وخالطَ الأمعاءَ»[1]. وشربَ عمرُ لبنا فأعجبَه، فقال للذي سقاه: من أينَ لك هذا؟ قال: مررتُ بإبلِ الصدقةِ وهُم على ماء، فأخذتُ من ألبانِها، فأدخلَ عمرُ يدَه فاستقاءَ. وتوصي بعضُ الصالحاتِ زوجَها وتقولُ: يا هذا اتقِ اللهِ في رزقِنا فإننا نصبرُ على الجوعِ، ولا نصبرُ على النارِ.

أولئك هم الصالحون يُخرجونَ الحرامَ والمشتبَه من أجوافِهم، وقد دخل عليهم من غيرِ علمِهم. وخَلَفتْ من بعدهم خلوفٌ يعمدَون إلى الحرامِ ليملئوا به بطونَهم وبطونَ أهليهم.

أيها المسلمون: أرأيتمُ الرجلَ الذي ذكرَه النبيُّ ﷺ «**يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ؛ يا ربُّ يا ربُّ، ومطعمُه حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغُذيَ بالحرامِ، فأنَّىٰ يستجابُ لذلك**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣ ـ ح٣٨٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣ ـ ح١٠١٥).

لقد استجمعَ هذا الرجلُ من صفاتِ الذلِّ والمسكنةِ والحاجةِ والفاقةِ ما يدعو إلى رثاءِ حالِه، ويؤكدُ شدةَ افتقارِه، تقطَّعتْ به السبلُ، وطالَ عليه المسيرُ، وتغربتْ به الديارُ، وتربت يدَاه، واشْعَثَّ رأسُه، واغبَّرت قدماه، ولكنه قد قَطع صلتَه بربِّه، وحرَم نفسَه من مددَ مولاه، فحِيل بين دعائِه والقبولِ. أكلَ من حرامٍ، واكتسىٰ من حرامٍ، ونبتَ لحمُه في حرامٍ، فرُدَّتْ يداه خائبتين.

بربِّكم ماذا يبقى للعبد إذا انقطعتْ صلتُه بربِّه، وحُجِب دعاؤُه، وحيل بينه وبين الرحمةِ؟ لمثلِ هذا قال بعضُ السلفِ: لو قُمتَ في العبادةِ قيامَ الساريةِ ما نفعكَ حتى تنظرَ ما يدخلُ بطنك.

وإن العجبَ كلَّ العجبِ ـ أيها الإخوةُ ـ ممن يحتمي من الحلالِ مخافةَ المرضِ ولا يحتمي من الحرامِ مخافةَ النارِ.

عبادَ اللهِ، إن أكلَ الحرامِ يُعمي البصيرةَ، ويُوهنُ الدِّينَ، ويُقَسِّي القلبَ، ويُظلم الفكرَ، ويُقْعِدُ الجوارحَ عن الطاعاتِ، ويُوقعُ في حبائلِ الدنيا وغوائلِها، ويَحجبُ الدعاءَ، ولا يتقبلُ اللهُ إلا من المتقين.

إن للمكاسبِ المحرمةِ آثاراً سيئةً على الفردِ والجماعةِ؛ تُنزعُ البركاتُ، وتفشو العاهاتُ، وتَحُلُّ الكوارثُ. أزماتٌ ماليةٌ مستحكمةٌ، وبطالةٌ متفشيةٌ، وتظالمٌ وشحناءُ.

أيها المسلمون: ويلٌ للذين يتغذَّونَ بالحرامِ، ويُربُّونَ أولادَهم وأهليهم على الحرام، إنهم كشاربِ ماءِ البحرِ كلَّما ازدادوا شُرباً ازدادوا عَطشاً، شاربون شرَبَ الهيمِ، لايقنعون بقليلٍ،

ولا يغنيهم كثيرٌ. يستمرئون الحرامَ، ويسلكون المسالكَ المعوجةَ؛ رِباً وقمارٌ، وغضبٌ وسرقةٌ، تطفيفٌ في الكيلِ والوزنِ والذرعِ، كتمٌ للعيوبِ، سحرٌ وتنجيمٌ وشعوذةٌ، أكلٌ لأموالِ اليتامىٰ والقاصرين، أَيمانٌ فاجرةٌ، لهو وملاهٍ، مكرٌ وخديعةٌ، زورٌ وخيانةٌ، مسالكُ معوجةٌ، وطرقٌ مظلمةٌ، في الحديث الصحيح عند البخاريِّ والنسائي: «**يأتي على الناس زمانٌ لا يُبالي المرءُ مَا أخذَ منه، أمِنَ الحلالِ أم من الحرامِ**»[1]. زاد رزينٌ: «**فإذ ذلك لا تجابُ لهم دعوةٌ**».

أيها العمالُ والموظفون، أيها التجارُ والصناعُ، أيها السماسرةُ والمقاولون أيها المسلمون والمسلماتُ، حقٌّ عليكم تحري الحلالِ والبعدُ عن المشتبِه، احفظوا حقوقَ الناس، أنجزوا أعمالَهم، أوفوا بالعقودِ والعهودِ، اجتنبوا الغشَّ والتدليسَ، والمماطلةَ والتأخيرَ، اتقوا اللهَ جميعاً، فالحلالُ هنيءٌ مريءٌ، ينيرُ القلوبَ، وتنشطُ به الجوارحُ، وتصلحُ به الأحوالُ، وتصحُّ به الأجسامُ، ويستجابُ معه الدعاءَ. اللهم أغننا بحلالِك عن حرامِك، وبطاعتِك عن معصيتِك، وبفضلِك عمن سواك، اللهم ولا تجعلْ الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ علمِنا، ولا إلى النارِ مصيرَنا، ونسألُك اللهم الغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والسلامةَ من كلِّ إثم، وبارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذابَ النار، استجبْ اللهم يا ربَّنا دعاءَنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/٣٤٧ ـ ح٢٠٥٩)، والنسائي في الكبرى (٤/٣ ـ ح٦٠٤١).

طيب الكسب والمكسب

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، أحلَّ لنا الطيباتِ، وحرمَّ علينا الخبائثَ، وجعلنا على المحجةِ البيضاءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأوفياء، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ المسلمون: خيرُ سبيلٍ للبعدِ عن المحرمِ تركُ المشتبه، وسلوكُ مسالكِ الورعِ عند التردد، وفي الحديث: «**لا يبلغُ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدعَ ما لا بأسَ به حذراً مما به البأسُ**»[1]. رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديثٌ حسنٌ غريب، «**فمن اتقى الشبهاتِ استبرأ لدينه وعرضِه، ومن وقعَ في الشبهاتِ وقعَ في الحرامِ**»[2]. جزءٌ من حديثٍ رواه البخاريُّ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٤٧ ـ ح٢٤٥١) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٩ ـ ح٤٢١٥)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٦٨، ١٦٩ ـ ح٤٤٦)، والحاكم (٤/ ٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري(١/ ١٥٣ ـ ح٥٢)، ومسلم(٣/ ١٢١٩، ١٢٢٠ـ ح١٥٩٩).

ومسلمٌ واللفظُ له من حديثِ النعمانِ بن بشيرٍ. ولقد قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: ما زالتْ التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلالِ مخافةَ الحرامِ. وقال أبوالدرداءِ رضي الله عنه: تمامُ التقوى أن يتقيَ العبدُ ربَّه؛ حتى يتقيَه من مثقالِ ذرةٍ، وحتى يتركَ بعضَ ما يرى أنه حلالٌ خشيةَ أن يكون حراماً؛ حجاباً بينه وبين الحرامِ. ولتعلموا رحمكم اللهُ أن المشتبهاتِ يحصلُ للقلوبِ عندها القلقُ والاضطربُ الموجبُ للشكِّ، والوَرِعُ هو الوقَّافُ عند المشتبهاتِ يدعُ ما يَرْيبُه إلى ما لا يَرْيبُه.

فاتقوا الله، رحمكم الله، وأطيبوا مطاعمَكم ومشاربَكم، واتقوا اللهَ في أنفسِكم وأهليكِم، اتقوا ناراً وقودُها الناسُ والحجارةُ، عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، لايعصون اللهَ ما أمرَهم، ويفعلون ما يؤمرون.

في التربية والتعليم

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله. بعثه بالحقِّ والهدىٰ، بعثه في الأميين، يتلو عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ، وقد كانوا قبله في ضلالٍ وعمى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين حازوا ميراثَ الأنبياءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون؛ إن هذه الأمةَ، أمةَ محمد ﷺ خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناس. الصدارةُ منزلتُها، والقيادةُ مرتبتُها ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. إنها مصدرُ الأصالةُ، ومنبرُ التوجيهُ، ومنارُ التأثير، هكذا أرادَ اللهُ لها إن هي استقامتْ على النهجِ، وقامتْ بالحق: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أمةٌ رفعَ الله من شأنِها، ليس لها أن تنحدرَ إلى مستوى التقليدِ

والتبعيةِ، تقبعُ في مؤخرةِ القافلةِ يصيحُ بها كلُّ ناعقٍ.

إن أهل الإسلام ـ أيها الإخوةُ ـ هم معقِلُ الحقِّ، ومأزِرُ الإيمانِ. رسالتُّم عالميةٌ، أكرمهم اللهُ بها، وحمَّلَهم أمانةَ المحافظةِ عليها، وتبليغِهافي كلِّ عصر، وفي كلِّ مصر.

وبنظرةٍ فاحصةٍ في واقعِ الأمةِ في ناشئتِها وأبنائِها، يتبين أن الأمةَ ـ أيَّ أمةٍ ـ إنما تبقىٰ محافِظةً على كيانِها، مدركةً لمسئولياتِها ثابتةً في موقعها، حين يُربىٰ صغارُها ليكونوا ورثةً صالحين للإسلام، أمناءَ على الميراثِ، يُصاغون في قوالبِ عقائدِ الأمةِ، ومناهجِ حياتِها، عليها تتربىٰ، ومن أجلِها تكافحُ، ومن ثم تنقلُها صافيةً إلى الأجيالِ المتعاقبةِ.

ومن هنا أمةَ الإسلام، فإن التربيةَ لباسٌ ودثارٌ يفصَّلُ على قامةِ الشعوبِ، منبثقاً من عقائدِها، منسجماً مع أهدافِها وآدابِها.

تُصبغُ العلومُ بصبغةِ الإيمانِ، وتؤخذُ العقولُ بميزان الدنيا والآخرةِ، توضعُ الأشياءُ في مواضعِها، يُفرَّقُ بين الوسائلِ والغاياتِ.

إن مناهجَ التربيةِ وطرائقَ العلوم، يجبُ أن تكونَ قائدةً إلى الإيمانِ، قاصدةً إصلاحَ الأنفسِ، وتهذيبَ الأخلاقِ.

إن مظاهرَ القوةِ الماديةِ وحدَها لا تغنى شيئاً، إذا تداخلتْ في العقولِ الثقافاتُ المتناقضةُ، والعلومُ المتنافرةُ، فتفرَّقتْ بطلابِها السبلُ، وتنازعتها التياراتُ والأهواءُ.

ليسَ مقياسُ النجاحِ مجردَ معرفةِ القراءةِ والكتابةِ، وليس دليلُ التفوقِ كثرةَ دورِ العلمِ وأفواجِ الخريجينِ.

إن كثيراً من البلادِ الإسلامية في عصورِها المتأخرةِ خَسرتْ أكثرَ مما ربحتْ، حين ظنتْ أن مبادىءَ التربيةِ وأصولَ التعليم تُستوردُ كما تستوردُ البضائعُ والصنائعُ، وضلَّتْ حين ظنتْ أنها تقايضْ في معاملاتٍ تجاريةٍ؛ لتكسبَ علماً أو تمحوَ أميةً.

وإن أخطاءَ كبرىٰ تولَّدتْ في بلدانِ الشرقِ حين مجَّدَتْ التعليمَ، لمجردِ التعليم، حين مجَّدَتْهُ مقطوعاً عن غاياتِه وأهدافِه، ومصادرِه، لقد ظهر مسخٌ وتشويهٌ للثقافةِ والتربية والتعليمِ. إنها أخطاءٌ جعلتْ كثرةً كاثرةً يغُضُّون النظرَ عن واقعٍ أليمٍ، وصورةٍ منكرةٍ، وعيوبٍ فاضحةٍ في بعضِ الطبقاتِ المثقفةِ المتعلمةِ انقلبتْ عندهم الموازينُ، فعظَّموا المتعلمَ المنحرفَ ذا الاتجاهاتِ المريبةِ، وقدَّموه على الكريمِ المستقيمِ، ولو قلَّ نصيبُه من التعليمِ.

امتدحوا عصراً كَثُرَ فيه المتعلمون، وعَمُوا عما انتشرَ معه من الشكِّ في المبادىءِ الصحيحةِ، والحقائقِ الواضحةِ، والبدهياتِ الجليةِ، وما سادفيه من التفسخِ الخلقِي، وفقدانِ الحميةِ الدينيةِ، بُنَيتْ فيه الشاهقاتُ من المباني على أنقاضِ الأخلاقِ والفضيلةِ، استبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

عَجزوا أن يميزوا بين هذا وبين عصور سابقةٍ، توافرتْ فيها الفضائلُ، وسمتْ فيها الأخلاقُ، وتواصلتْ فيها الأرحامُ، في استقرارٍ نفسيٍّ، وطمأنينةٍ قلبيةٍ على قلةِ المتعلمينِ وندرةِ المثقفين. ورحم اللهُ مسروقاً حين قال: «بَحسْبِ امرىءٍ من العلمِ أن يخشىٰ اللهَ وبَحسْب امرىءٍ من الجهلِ أن يُعجبَ بعلمِه».

أيها الإخوةُ، لم يكن هذا الانقلابُ في المفاهيم، والاختلالُ في الموازين، لولا خضوعُ كثيرٍ من المجتمعاتِ المعاصرةِ للبريقِ الخدَّاع الذي رفعَ من شأن التعليم وشهاداتِه، لمجردِ أنها شهاداتٌ، أو لأن صاحبَها تلقاها من هنا، أو نالها من هناك.

أيها المسلمون، لا فائدةَ في علمٍ لم يُكسَ بخُلُقٍ، ولا جدوىٰ من تربيةٍ لا تُثْمرُ عملاً صالحاً، لا خيرَ في معارفَ تورثُ بلبلاتٍ فكريةٍ، ولا نفعَ في ثقافاتٍ تشككُ في الصحيحِ من المعتقداتِ.. تستخفُّ بالدين، ومستوثقاتِ التاريخِ، ويجاهرُ أصحابُها بالتطاولِ على عظماءِ الأمةِ، والنيلِ من سلفِها الصالح. كيف يكونُ مستقبلُ أمةٍ تنبتُ فيها مثلُ هذه النوابتِ، ويرضَع أبناؤُها من هذا الكدرِ؟!.

ومن هنا كان لزاماً ـ أيها الإخوةُ، أيها المربون ـ النظرُ الجادُّ في واقعِ التربيةِ ومناهجِها، فلا تُرسمُ خطوةٌ، ولا يوضعُ منهجٌ، إلا مع الإدراكِ الجازمِ أن هذه الأمةَ، وهذا النشءَ هم غرسُ المصطفى محمدٍ ﷺ وثمرةُ دعوتِه وجهادِه، وأحفادُ أصحابِه المؤمنين، رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين. تنسجمُ المناهجُ في كلِّ هذا وتعيش في ظلِّه؛ لتبقىٰ محصنةً بدينِها، متماسكةً بقوتِه، مرتبطةً بحبلِه، بعيدةً عن كلِّ فوضىٰ فكريةٍ أو صراعاتٍ مذهبيةٍ، تُنقَّىٰ من عواملِ الفسادِ، وأسبابِ الزيغِ والإلحادِ، واتجاهاتِ الزندقةِ والتحللِ.

من لم تطبْ نفسُه بهذا الدينِ، ولم ينشرحْ صدرُه لنبوةِ محمدٍ ﷺ وإمامتِه، وآمن بفلسفاتٍ أجنبيةٍ منحرفةٍ؛ فليس له محلٌ بين

المسلمين، ولا يحلُّ أن تتاحَ له الفُرصُ، أو تهيأَ له الوسائلُ لتوجيهِ العقولِ، وتربيةِ النفوسِ، ولا يجوزُ أن تُقدَم له فلذاتُ الأكبادِ؛ ليُفسدَ فطِرَها، ويعبثَ بعقولِها، ويسلَخها من عقيدتِها.

إن المدارسَ ودُورَ التعليم في كافةِ مستوياتِها هي محاضنُ الجيلِ، وهي الحصنُ الحصينُ تكمُنُ فيها حمايةُ الأمةِ، والحفاظُ على أصالتِها وبقائِها ونقائِها.

إن هذه الدُّورَ تحوي أثمنَ ما تملكُه الأمةُ، تحتضنُ الثروةَ البشريةَ، رجالَ الغدِ وجيلَ المستقبلِ، ثروةٌ تتضاءلُ أمامَها كنوزُ الأرضِ جميعُها.

وشرُّ ما يطرأُ على هذه المعاقلِ والحصونِ أن تُؤتىٰ من قِبلِ من وُكِلَ إليهم رعايتُها وصيانتُها، وتكونُ الخيانةُ العُظمىٰ حين يفتحونَ الأبوابَ الخلفيةَ وغيرَ الخلفيةَ؛ ليتسلَّلَ المتلصصون ليلاً أو نهاراً في غفلةٍ من الحماةِ الصادقين؛ فتقعَ الواقعةُ وتحُلَّ الكارثةُ.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، اتقوا اللهَ يا رجالَ التربيةِ، واعلموا أنه إذا حُفِظتْ العقولُ والأخلاقُ، وأحيطتْ التربيةُ بسياجِ الدينِ المتينِ، ورُبطتْ برباطِ العقيدةِ الوثيقِ؛ فلسوفَ تصحُّ المناهجَ، وينفعُ التعليمُ، وتثبتُ الأصالةُ، ويتضحُ السبيلُ، وترتفعُ الرايةُ ويحصلُ التمكينُ. واللهُ غالبٌ على أمرِهِ ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، وهدانا صراطَهَ المستقيم، وجنبنا طريقَ أصحابِ الجحيمِ.

وأقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

في التربية والتعليم

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على إحسانه، والشكرُ له توفيقِه وعظيمِ امتنانِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الداعي إلى رضوانه، صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، يظنُّ بعضُ الناس أن قوةَ الأمم تكمنُ فيما لديها من آلاتِ القتالِ وعُدَده، أو فيمَا لديها من القَدرةِ على تصنيعِه. وحقيقةُ الأمرِ إن ذلك لا يكونُ إلا إذا وُجدَ من وراءِ ذلك نهجٌ قويمٌ وخلقٌ متينٌ، يَجْمعُ أهلَه، ويشدُّ بعضَهم إلى بعضٍ، ويمنعُ عناصرَ الفسادِ وأسبابَ الفُرقةِ والخلافِ من أن تتسربَ إلى الصفوفِ. وخيرُ جامعٍ وأعلى مصدرٍ للخُلُق هو دينُ اللهِ الذي يجمعُ على التوادِّ والتراحمِ. يكبحُ جماحَ الشحِّ في النفوسِ وترتفعُ به الهممُ.

إنه الدينُ الذي يوحِّدُ العاداتِ والأمزجَةَ، فيجتمعُ الناسُ فيما يحبون وفيما يكرهون وفيما يألفون وفيما يعافون، فيما يستحسنون وفيما ينفرون، على ألوانٍ من غذاءِ الأبدانِ والقلوبِ.

فاتقوا اللهَ أيها الإخوةُ في الله. وعُوا مسئولياتِكم؛ فإن فلاحَ الأمةِ في صلاحِ أعمالِها. وصلاحَ أعمالِها في صحةِ علومِها. والتربيةُ الصحيحةُ الجاريةُ على السننِ المستقيمةِ تنتجُ رجالاً أمناءَ أوفياءَ ذوي نصحٍ وإخاءٍ.

الأمانة والمسئولية

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، يغفرُ لنا الكثيرُ من الزللِ، ويرضىٰ منا باليسيرِ من العملِ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بلَّغ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ حقَّ تقاته.. اتقوه وقولوا قولاً سديداً؛ يصلحْ لكم أعمالَكم، ويغفرْ لكم ذنوبَكم.

أيها الإخوةُ: أَجَلُّ ما يقومُ به الإنسان في هذه الحياةِ، وتظهرُ به ديانتُه، ويتأكدُ به إيمانُه، وتتجلىٰ فيه قوتُه وعبقريتُه.. حفظُ الأمانةِ، والقيامُ بالمسئوليةِ.

إن الأمانةَ شيءٌ عظيمٌ تصانُ بها حقوقُ اللهِ وحقوقُ الناسِ، وتُحفظُ بها الأعمالُ من التفريطِ والإهمالِ.

إنها ميزةٌ فريدةٌ... يتميزُ بها الإنسانُ الفاضلُ... والمرءُ

النبيلُ، وعلى قدرِ منازلِ الناسِ وكفاءاتِهم تُرىٰ همُمهم ومهماتُهم.

يؤكدُ ذلك ويبرهنُ عليه ـ معاشرَ الأحبةِ ـ أنبياءُ اللهِ ورسلُه المكلَّفون بالبلاغ، فهم الأعظمُ مسئوليةً، والأشدُ بلاءً، فيوسفُ ـ عليه السلام ـ من بعدِ ظروفِ السجنِ والتشريدِ.. يؤتمنُ على خزائنِ الأرضِ؛ لأنه حفيظٌ عليمٌ.

وأما موسى عليه السلام؛ ولما يُريدُه اللهُ به من كرامتِه؛ فيُبْتَلى ويخرجُ خائفاً يترقبُ.. فإذا بإبنةِ الرجلِ الصالحِ تقول لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وأما نبيُّكم محمدٌ ﷺ فما عرفَه قومَه قبلَ البعثةِ إلا بالأمينِ.

إنهم رسلُ اللهِ.. مصطَفَوْنَ من أشرفِ الناسِ طباعاً، وأزكاهم معدناً، وهذه النفوسُ النبويةُ الكريمةُ تظلُّ معتصمةً بالفضيلةِ والأمانةِ.. على شدةِ فقرِها، وعِظَمِ بلائِها، ووحشةِ غربتِها. إنهم أهلُ المسئوليةِ وأهلُ الأمانةِ في المحافظةِ على حقوقِ عبادِ اللهِ. إنهم أُولو الأخلاقِ الساميةِ التي لا تتغيرُ باختلافِ الأيامِ، ولا تتبدلُ بتقلبِ الظروفِ، ولا تتحولُ مع تغيرِ الأحوالِ.

أيها الإخوةُ، هذا هو جوهرُ الأمانةِ الثابتُ في النعماءِ والبأساءِ والشدةِ والرخاءِ.

إنها فضيلةٌ عظمىٰ، ومسئوليةٌ كبرىٰ.. لا يستطيعُ حملَها المهازيلُ، ولا يقوى عليها الظلومُ الجهولُ.. لا يقوىٰ عليها من يزنُ الناسَ بشهواتِهم ودنياهم ودناياهم غيرَ مكترثٍ بإيمانٍ وكفرٍ، ولا بصلاحٍ وفسقٍ، أو إخلاصٍ ونفاقٍ. إنها حِملٌ ثقيلٌ

عَجَزَتْ عنه السمواتُ والأرضُ والجبالُ. وحملها الإنسانُ إنه كان ظلوماً جهولاً ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وما غلبَ الظلمُ والجهلُ إلا أهلَ النفاقِ والشركِ، وعصم اللهُ أهلَ الحقِّ والإيمانِ، لينهضوا بالأمانةِ على نورٍ من اللهِ.. واستضاءةٍ بهديه في طاعةٍ كاملةٍ، لا تقعدُ بهم المثبطاتُ، ولا تُضلُّهم مغرياتُ الشهواتِ، وهم بهذا يَرْقَوْن إلى مقامٍ كبيرٍ يفوقُ الأرضَ والجبالَ والسمواتِ. بُرءَاءُ من النفاقِ والشركِ، والخيانةِ والظلمِ.

أيها المسلمون: لئن كانتْ الأمانةُ عظيمةً في قدرِها؛ فإنها واسعةٌ في دلالاتِها، تشملُ كلَّ ما يوكلُ للمرءِ من عملٍ ويكلَّفُ به من أمرٍ. إنها داخلةٌ في علاقةِ المرءِ بربِّه، وعلاقتِه بنفسِه، وعلاقتِه بالناسِ أجمعين.

إنها قيامٌ بالمسئوليةِ في جميعِ وجوهِها على حدِّ قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه، الإمامُ راعٍ ومسئولٌ عن رعيتِه، والرَّجلُ راعٍ في أهلِه وهو مسئولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسئولةٌ عن رعيتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيدِه ومسئولٌ عن رعيتِه**»[1].

إنها داخلةٌ في كلِّ حقٍّ، وممتدةٌ في كل مِرْفَقٍ، في الراعي والرعيةِ، والإدارةِ والسياسةِ، والتربيةِ والتعليمِ، والتجارةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٤٤١ ـ ح٨٩٣) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٤٥٩ ـ ح١٨٢٩).

والصناعةِ.. في شئونِ الحياةِ كلِّها ديناً ودنيا.

فمن الأمانةِ حفظُ العبدِ جوارَحه وحواسَّه، ومعرفتُه نعمَ اللهِ عليه في نفسِه وأهلِه ومالِه. ومن أداءِ هذه الأمانةِ ألا يختارَ لنفسِه إلا الأنفعَ والأصلحَ في الدينِ وشئونِ الدنيا، ومن الخيانةِ أن يستسلمَ لشهواتِه، ويخضعَ لكلِّ رغباتِه، ويقصِّرَ في شئونِ آخرتِه.

وأحوالُ البيتِ وأمورِ الأسرةِ.. أماناتٌ محفوظةٌ، وحرماتٌ مصونةٌ، يجبُ أن تُحفظَ بسترِ اللهِ، فلا يتطاولُ سفيهٌ أو صفيقٌ ليبسطَ لسانَه في عوراتِ البيوتِ، وكأنَّه لا يعي التوجيَه النبويَّ الكريمَ: «**إن من أعظمَ الأمانةِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ الرجلَ يفضي إلى امرأتِه وتفضي إليه ثم ينشرُ سِرَّها**»[1].

والمرأةُ إذا حفظتْ نفسَها، وبرَّتْ زوجَها، وأدتْ حقَّ ربِّها؛ لم يكنْ بينها وبين الجنةِ إلا الأجلُ.

وحقوقُ الجلساءِ والأصدقاءِ أماناتٌ، ومن الخيانةِ أن تُفشىٰ أسرارُها وتعلنَ أخبارُها، فكم حبالٍ قُطِّعتْ ومصالحَ تعطَّلتْ... لاستهانةِ بعضِ الناسِ بأمانةِ المجلسِ. والودائعُ التي يودُعها الناسُ بعضُهم بعضاً ليحفظوها ويردُّوَها عند طلبِها أماناتٌ من أعظمِ الأماناتِ، وقد ردَّ نبيُّكم محمدٌ ﷺ ودائعَ المشركين عندما أرادَ الهجرةَ مع أن أصحابها كفارٌ.. ألحقوا به الأذى، وأرادوا طردَه من دياره وأهلِه، ولكن الشريفَ الأمينَ لا ينحدرُ في منحدراتِ الصغارِ المحقورين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦١ ـ ح١٤٣٧).

وعلماءُ الشريعةُ وحراسُ الملةِ مؤتمنون في علمهم وتعليمهم وتوجيههم، تعليماً وتوجيهاً يَعصِم عن مخالفةِ أمرِ اللهِ، يُبيِّنُون للناس كلَّ ما لا يسعُهم جهلُه من أمورِ العقائدِ والفرائضِ وأحكامِ الحلالِ والحرام، وقضايا الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ في أسهلِ المسالكِ، وأحكمِ الوسائلِ. لا يكتمون العلمَ، ولا يحجُبون النصيحةَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وويلٌ لهم إن خانوا أو كتموا، وويلٌ لهم إن داهنوا وكذبوا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

وعلى القضاةِ تقوىٰ اللهِ والتسويةُ بين الخصوم، والبتُّ في الحكم بعد تبيُّنه، والبعدُ عن مواقعِ الرِّيَبِ، ومن بعدِهم فليتق اللهَ المحامون والوكلاءُ، والنظراءُ والأوصياءُ.

أما ولاةُ أمور المسلمين فحقٌ عليهم تفقد أحوالِ الرعيةِ، والحكمُ في الناس بالسويةِ، وأخذهُم بكتابِ اللهِ والسنةِ المحمديةِ، قوامين للهِ بالقسطِ، شهداءَ له بالحقِّ، يعمرون البلادَ ويحفظون الدينَ، وينشرون النافعَ من العلم، ويعتنون بجميعِ المرافقِ، ويتقون اللهَ في الولاياتِ، ولا يخافون في الحقِّ لومةَ لائم.

إن الأمانةَ دِعامةُ بقاءِ الإنسانِ، ومستقرُّ أساسِ الدولِ، وباسطُ

ظلالِ الأمنِ، ومَشيدُ أبنيةِ العزِّ.

وإذا فَقَدتْ أمةٌ من أممِ الأرضِ الأمانةَ.. فلن تجدَ إلا آفاتٍ جائحةً، ورزايا قاتلةً، وبلَايا مهلكةً، وفقراً مُعْوزاً، وذلاً معجزاً، ثم لا تلبثُ أن تبتلَعها بلاليعُ العدمِ، وتلتهمُها أمهاتُ الهيَمِ. وإذا ضُيعت الأمانةُ، ووسِّد الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظرْ الساعةَ. وإذا اختلتْ أمانةُ الرجالِ؛ سقطَ البناءُ، وسُلب الأمنُ، وضاعتْ حقوقُ الخلقِ، وتفتحتْ أبوابُ الفقرِ والفاقةِ، وعَميتْ على الأمةِ سبلُ النجاحِ، وحينئذ فسوفَ ينقرضون بالفسادِ أو تسلطِ أهلِ الجبروتِ.

وهل أغلقتْ البيوتُ العامرةُ، واضمحلتْ الثرواتُ الطائلةُ، وتفرقتْ الأسرُ التي كانت كريمةً.. إلا نتيجةَ الخيانةِ في المعاملاتِ السريةِ المكتومةِ، والشفاعاتِ غيرِ المشروعةِ.. التي تتلاعبُ بأقدارِ الرجالِ، وكفاءاتِ الأكفاءِ.. فيتحكمُ الكبيرُ في حقِّ الصغيرِ، ويستبدُّ القويُّ بحقِّ الضعيفِ.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ، وأدوا الأماناتِ إلى أهلِها، ولا تخونوا اللهَ والرسولَ، وتخونوا أماناتِكم، وقد أخبرَ نبيُّكم محمدٌ ﷺ بأنه **«لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له»**[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

---

(١) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان(١/ ٤٢٣ ـ ح١٩٤)، وأحمد (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ١١ ـ ح١٠٣٦٩)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥ ـ ح٣٨) وحسن اسناده.

الأمانة والمسئولية

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.. كما يحبِّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه بالحقِّ والهدى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ، واعلموا أن من أعظمِ الأماناتِ وأوجبِها القيامَ على النشءِ بحسنِ التوجيه، وصدقِ التعليم. وليعلمْ الإخوةُ الأفاضلُ من الأساتذةِ والمربين أن العلومَ يجب أن تُصبغَ بصبغةِ الإيمان، وتؤخذَ العقولُ بميزانِ الدنيا والآخرةِ.. يجبُ أن تكونَ التربيةُ قائدةً إلى الإيمانِ، قاصدةً إصلاحَ الأنفس، وتهذيبَ الأخلاقِ. لا فائدةَ من علمٍ لم يُكْسَ بخُلُقٍ، ولا جَدوىٰ من تربيةٍ لا تثمرُ عملاً صالحاً، لَا خيرَ في معارفَ تورثُ بلبلاتٍ فكريةً، ولا نفعَ في ثقافاتٍ تشكِّكُ في الصحيحِ من المعتقداتِ.. تستخفُّ بالدينِ وحقائقِ التاريخِ.

أيها المعلمون والمربون: شرُّ ما يطرأُ على معاقلِ العلمِ ودورِ التعليمِ أن تُؤتىٰ من قِبَلِ من وُكِلَ إليهم رعايتُها وصيانتُها، وتكونُ

الخيانةُ العظمىٰ.. حين يفتحون الأبوابَ الخلفيةَ وغيرَ الخلفيةِ.. ليتسللَ المتلصصون ليلاً أو نهاراً في غَفْلةٍ الحماةِ الصادقين.. فتقعُ الواقعةُ وتَحُلُّ الكارثةُ.

أما أصحابُ الأقلامِ ورجالُ الإعلامِ فهم المؤتمنون على الكلمةِ الصادقةِ، إنهم سفراؤُها، بهم تظهرُ الحقيقةُ إن شاءوا، وبهم تَحسُنُ الدعايةُ وتُخْدَمُ السياسةُ، وهم الألسنةُ الناطقةُ يصورون الحقائقَ كيف شاءوا.

بأقلامِهم وألسنِهم تُهدُم عروشٌ، وتُبنىٰ، وتنهارُ شعوبٌ وتحيىٰ، وتنتشرُ الفضائلُ أو تُطْمَرُ. يَقُونَ الأمةَ ـ إذا صدَقوا ـ من سفهِ الجاهلين، وكيدِ الحاقدين، وإغراءِ العداوةِ، وكَذِبِ الدعايةِ، وإيقاظِ الفتنِ، وخداعِ العناوين. وإذا ضعُفتْ الأمانةُ فيهم، كثُرَ أهلُ النفاقِ والخيانةِ، فاستعانَ بهم الشيطانُ على الفتنةِ والتحريشِ. وما تعددتْ المذاهبُ الباطلةُ والسبلُ الضالةُ إلا لقلةِ الأمانةِ، ومن ثم يأتونَ بالتفسيراتِ الباهتةِ، والنظرياتِ الباطلةِ، وينسجون خرافاتٍ وخيالاتٍ يسودُونَ الصحائفَ ويَفْتنون ضعافَ العقولِ. فليتقِ اللهَ كلُّ مسئولٍ، فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيتِه.

الكلم الطيب والخبيث

الخطبة الأولى

الحمدُ لله خلقَ الإنسانَ فسواهُ فعدلَه، وبزينةِ الإيمانِ ولباسِ التقوىٰ زيَّنهَ وجمَّلَه، وبنعمةِ البيانِ شرَّفه وفضَّلَه، أحمده سبحانَه وأشكره على جميع ما خوَّله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، نبيٌّ أكرمه ربُّه وبجَّلَه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، وكل من سار على نهجه واقتفى أثرَه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وكونوا مع الصادقين، اتقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً، يصلحْ لكم أعمالَكم، ويغفر لكم ذنوبَكم.

أيها الإخوةُ، اللسانُ من نعمِ اللهِ العظيمةِ، ولطائفِ صُنْعِهِ الغريبةِ، صغيرٌ جِرْمه[1]، عظيمٌ طَاعتُه وجُرْمه[2].

لا يستبينُ الكفرُ والإيمانُ إلا بنطقِ اللسانِ، وما من موجودٍ أو معدوم، ولا صانعٍ أو مصنوعٍ، إلا ويتناوله اللسانُ بإثباتٍ أو نفي. وكلُّ مجالاتِ العلومِ طريقُ بيانِها اللسانُ. رَحْبُ الميدانِ،

---

(١) الجِرْم: بكسر الجيم البَدَن. أي: صغير الحجم.

(٢) الجُرْم: الذنب.

واسعُ المجالِ، وهو ترجمانُ القلوبِ والأفكارِ، آلةُ البيانِ، وطريقُ الخطابِ. له في الخيرِ مجالٌ كبيرٌ، وله في الشرِّ باعٌ طويلٌ. فمن استعمله للحكمةِ والقولِ النافعِ وقضاءِ الحوائجِ، وقيَّدَه بلجامِ الشرعِ؛ فقد أقرَّ بالنعمةِ ووضَعَ الشيءَ في موضعِه، وهو بالنجاةِ جديرٌ. ومن أطلقَ لسانَه وأهملَه، سلكَ به الشيطانُ كلَّ طريقٍ، ولا يكُبُّ الناسَ في النارِ على مناخرِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم.

هو الميزانُ الذي توزنُ به الرجالُ، وتُعرفُ به أقدارُها.

ما صلَح منطقُ رجلٍ إلا ظهرَ ذلك على سائرِ عملِه، ولا فسدَ منطقُ رجلٍ إلا عُرِفَ ذلك في سائرِ عملِه. حتى قالَ بعضُ السلفِ: لا تجدُ شيئاً من البرِّ يتبعُه البرُّ كلُّه غيرَ اللسانِ، فإنك تجدُ الرجلَ يصومُ النهارَ، ويفطرُ على حرامٍ، ويقومُ الليلَ ويشهدُ الزورَ بالنهارِ، ولكنك لا تجدُه لا يتكلمُ إلا بحقٍّ فيخالفُ ذلك عملُه أبداً.

والناسُ ـ أيها الناس ـ تنظرُ إلى المتكلمِ وتربطُ بين حديثِه ومطابقتِه للواقعِ وصدقِه مع نفسِه، وإنهم ليعرفون بثاقبِ نظرِهم، ويدركون بعميقِ خبرتِهم الكاذبَ من الصادقِ، والمصلحَ من المفسدِ، والبرَّ من الفاجرِ.

ومن أجلِ هذا انقسمتْ أحاديثُ الناسِ وأخبارُهم إلى صدقٍ وكذبٍ، وطيبٍ وخبيثٍ، وحقٍّ وباطلٍ: «**عليكم بالصدقِ، فإن الصدقَ يهدي غلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنةِ، وما يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرىٰ الصدقَ حتى يُكتبَ عند اللهِ صدِّيقا،**

وإياكم والكذبُ، فإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلى النارِ، وما يزال الرجلُ يكذبُ ويتحرى الكذبَ حتى يُكتبَ عند اللهِ كذاباً»[1] متفقٌ عليه واللفظُ لمسلمٍ من حديثِ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ.

والله عز وجل يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧].

معاشرَ الأحبةِ، إن صاحبَ الكلمةِ الخبيثةِ لا ينطقُ إلا بأقوالٍ أثيمةٍ. لسانُه لمازٌ، وبصرُه غمازٌ. حديثُ بَذاءٌ وفعلُه عدوانٌ. لا يُذكرُ عظيمٌ إلا استحقرَه، ولا يُرىٰ كريمٌ إلا نالَ من عرضِه. فلا يتعمدُ الكذبَ إلا متملقٌ منافقٌ، فهو عنوانُ سفهِ العقلِ، وسقوطِ الهمةِ، وخُبْثِ الطويةِ، وجبنِ النفسِ، حتى قال بعضُ الحكماءِ: لم يكذبْ أحدٌ قط إلا لصِغرِ قدرِ نفسِه عندَه.

ومن قلَّ إيمانُه بربِّه وخفَّ من يومِ الحسابِ خوفُه، لا يبالي أن يَلْبسَ الحقَّ بالباطلِ، ويصورَ الأشياءَ على غيرِ الواقعِ. ويشتدُّ خبثُ الكلمةِ ويعظمُ وزرُ الكذبِ إذا اتسعَ نطاقُ ضررِهما. فالصحفيُّ الذي ينشرُ على الملأ خبراً باطلاً، والسياسيُّ الذي

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٥٢٣ ـ ح٦٠٩٤)، ومسلم (٤/٢٠١٣ ـ ح٢٦٠٧) واللفظ له.

يخدعُ الناسَ في القضايا الكبرىٰ، والمغرضُ الذي يسوقُ التهمَ في الكبراءِ، والمداحُ الذي يتخذ من المدائحِ الفارغةِ بضاعةً يتملقُ بها الأكابرُ، ويكليلُ الثناءَ للوجهاءِ، ويهرِفُ بما لا يعرفُ فيصفُ الجبانَ بالشجاعةِ، والظالمَ بالعدالةِ، والبخيلَ بالكرمِ - كلُّ أولئك يرتكبونَ جرائمَ عظيمةً، ويَجُرُّون إلى عواقبَ وخيمةً.

وفي خبرِ البخاريِّ عن النبيِّ ﷺ فيما حدَّثَ به مما رآه من أنواعِ عذابِ أهلِ النارِ، فكان مما قال عليه الصلاةُ والسلام: «**أما الذي رأيتُه يُشقُّ شدقُه فكذابٌ يكذبُ الكَذْبةَ فتُحملُ عنه حتى تبلغَ الآفاقَ فيصنعُ به إلى يومِ القيامةِ**»[1].

واللهُ وحدَه المستعانُ على ألسنةٍ تصفُ، وقلوبٍ تعرفُ، وأعمالٍ تُخالفُ.

ومن لطَّخَ لسانَه برجسِ الكذبِ وخبيثِ الكلمِ؛ لابد أن تبدوَ سريرتُه وينكشفَ أمرُه، فلا يلقىٰ من الناسِ إلا الازدراءَ والمنقصةَ.

أما أهلُ الحقِّ والإيمانِ فيهديهم ربُّهم إلى الطيبِ من القولِ، ويهديهم إلى صراطِ الحميدِ.

نعم أيها الإخوةُ، إذا منَّ اللهُ على عبدِه بصدقِ اللهجةِ، وطيبِ الحديثِ، شَرُف قَدْرُه، وطابتْ حياتُه، وعُرِفَ بقوةِ الإرادةِ، ورجحانِ العقلِ، وسلامةِ الطويةِ، والناسُ في معاملاتِهم لا يطمئنون إلا إلى صَدوقِ اللسانِ، فحكمُه عندهم عدلٌ، وشهادتُه بَرٌّ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦ - ح١٣٨٦).

معاملتُه بركةٌ، يأمنونه على أموالِهم وأهلِيهم. مؤتمنٌ في الأحياءِ وفي الأمواتِ، في الوصايا والأوقاف، في الودائعِ والأماناتِ.

معاشرَ المسلمين والمسلماتِ: لا يستقيمُ لأحدٍ سؤددٌ، أو يَحرِزُ في قلوبِ الناسِ منزلةً إلا حين يهبُه الله لسانَ صدقٍ.

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: من كانتْ له عند الناس ثلاثٌ وجبتْ له عليهم ثلاثٌ: من إذا حدَّثَهم صدَقَهم، وإذا ائتَمنوه لم يخنهْم، وإذا وعدهم وفَّىٰ لهم، وجبَ له عليهم أن تحبَّه قلوبُهم، وتنطلقَ بالثناءِ عليه ألسنتُهم، وتظهرَ له معونتُهم.

والطيِّبُ من القولِ ـ أيها الإخوةُ ـ دائرتُه واسعةٌ إذا ما وفِّقَ له العبدُ، وسلك فيه مسالكَ الإسلام والتزمَ توجيهاتِ القرآنِ وآدابِ السنةِ. يقولُ الله عز وجل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وفي التوجيه النبويِّ: «**والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ**»(١).

يقول أبوعبدالله القرطبيُ في تفسيرِه: ينبغي للإنسانِ أن يكونَ قولُه للناس ليناً، ووجهه مُنبسطاً مع البرِّ والفاجرِ من غير مداهنةٍ؛ لأن اللهَ قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] فالقائلُ ليس بأفضلَ من موسى وهارون، والفاجرُ ليس بأخبثَ من فرعون، وقد أمرهما ربُّهما باللِّينِ معه.

وقال طلحةُ بنُ عمرَ: قلتُ لعطاءٍ: إنك رجلٌ يجتمعُ عندكَ ناسٌ ذوو أهواءٍ مختلفةٍ، وأنا رجلٌ فيَّ حدةٌ فأقولُ لهم بعضَ القولِ الغليظِ، فقال: لا تفعلْ، يقول اللهُ تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٥٣ ـ ح٢٩٨٩)، ومسلم (٢/ ٦٩٩ ـ ح١٠٠٩).

حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال عطاءٌ: فدخل في هذا اليهودُ والنصارىٰ فكيفَ بالحنيفي؟؟

وقال شَريكُ بن سنانٍ لسعيدِ بن جبيرٍ رحمه الله: المجوسيُّ يوليني من نفسِه ويسلِّمُ علي أفأردُّ عليه؟ فقال سعيدٌ: سألت ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما عن نحو ذلك، فقال: لو قال لي فرعونُ خيراً لرددتُ عليه.

والكلام اللِّينُ ـ معاشرَ الأحبةِ ـ كما يقولُ بعضُ الحكماءِ: يغسلُ الضغائنَ المستكينةَ في الجوارحِ.

فكلُّ كلامٍ لا يضرُّ في دينِك، ولا يُسخطُ ربَّك، وتُرضي به جليسَك فلا تَكنْ به بخيلاً يعوضُك الله به ثوابَ المحسنين.

ومن كلامِ وهبِ بن منبهٍ: ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه أصابَ البِرَّ: سخاوةُ النفسِ، والصبرُ على الأذىٰ، وطيبُ الكلامِ. وفي الحديثِ الصحيحِ: «**اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ، فإن لم يكنْ فبكلمةٍ طيبةٍ**»(١) متفق عليه من حديثِ عديِّ بن حاتم رضي الله عنه.

وعن أبي المقدامِ عن أبيه عن جدِّه قال: قلتُ للنبي ﷺ أخبرني بشيءٍ يوجبُ الجنةَ قال: «**عليك بحُسنِ الكلامِ وبذلِ الطعامِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٠ ـ ح١٤١٣)، ومسلم (٢/ ٧٠٤ ـ ح١٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٣٥٦/ح٨١١)، والطبراني (٢٢/ ١٨٠ ـ ح٤٧٠)، والحاكم (١/ ٢٣) وقال: حديث مستقيم وليس له علة ووافقه الذهبي وقال: حديث صحيح.

أيها الإخوةُ: ذلكم هو صلاحُ المنطقِ وفسادُه، إما إخبارٌ بالحقِّ، وبيانٌ للواقعِ، ومطابقةٌ للمعتقدِ، ومؤانسةٌ للمُجالِسِ، وإما حديثٌ بالباطلِ، وفحشٌ في القولِ، وبَذاءٌ في الكلامِ.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ والزموا الصدقَ والطيِّبَ من القولِ، فربُّكم إليه يصعدُ الكَلِمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعُه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

الكلم الطيب والخبيث

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الصادقِ في قيلِه. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأعوذُ به من الكذبِ في القولِ وسوءِ تأويلِه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جاء بالصدقِ وصدَّق به، وأمرَ به في دقيقِ الأمرِ وجليلِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

عبادَ الله: طوبى لمن أنفقَ الفضلَ من مالِه، وأمسكَ الفضلَ من قولِه، وطوبىٰ لمن قالَ خيراً فغنِمَ أو سكتَ فَسلِمَ، ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمتْ. أيها الناس قولوا بقولِكم أو بعضِ قولكم، ولا يستجْرِينَّكم الشيطانُ.

الزموا الطيبَ من القولِ، وبابُه واسعٌ، فأعلاه الشهادتان وقراءةُ القرآن والاشتغالُ بذكرِ اللهِ من التسبيحِ والتهليلِ والتحميدِ والتكبيرِ والدعاءِ.

أفشوا السلامَ وشمِّتوا العاطسَ، ومروا بالمعروفِ، وانهوا عن المنكرِ، فكلُّ ذلك طيبٌ من القول.

أَرْشِدوا الأعمىٰ، وأَسْمِعُوا الأصمَّ، وفي بعضِ الروايات:

«**وبيانُك عن الأرتمِ**[1] **صدقةٌ**»[2] يعني من لا يقدرُ على الكلامِ، إما لآفةٍ في لسانِه، وإما لعُجمةٍ في لغتِه.

واجتنبوا خبيثَ الكلامِ، وفاحشَ القولِ من الشركِ باللهِ، والقول على اللهِ بلا علمٍ فهو قرينُ الشركِ واحذروا شهادَةَ الزورِ والسحرَ والقذفَ والسِّبابَ والغيبةَ والنميمةَ وكلامَ ذي الوجهين، والمراءَ، والجدالَ بالباطلِ، وتزكيةَ النفسِ، والخصوماتِ، والغناءَ المحرمَ، والسخريةَ والاستهزاءَ؛ فكلُّ ذلك باطلٌ من القولِ. ولقد قال بعضُ السلفِ: أما يستحي أحدُكم أنه لو نُشِرَتْ عليه صحيفتُه التي أملىٰ صدرَ نهارَه، كان أكثرُ ما فيها ليسَ من أمرِ دينِه ودنياه. فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ واحفظوا ألسنَتكم، وسائرَ جوارِحكم وكونوا ممن إذا مرُّوا باللغوِ مرُّوا كراماً.

---

(١) الأرتم: الذي لا يُفْصِح الكلام ولا يُفْهِمه ولا يُبِينُه.
(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٤).

من أحاديث الإجازة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المحمود بكلِّ لسانٍ، المعبودِ في كلِّ زمانٍ، وسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً، وقهرَ كلَّ مخلوقٍ عزةً وحُكماً، أحمدُه سبحانه، وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ بَشرَّ وأنذر، وبلَّغ البلاغَ المبين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجل، عظّموا أمر ربِّكم واتَّبِعوه، واحذروا نهيَه واجتنِبُوه.

معاشرَ الإخوةِ: في مواسمِ الإجازاتِ يحسُنُ الحديثُ إلى الشبابِ، ويجملُ الخطابُ إلى الطلابِ. الشبابُ والبنونَ من زينةِ الحياةِ الدنيا. شبابٌ ونَضرةٌ يتمثلُ فيها اكتمال القوةِ، ونضوجُ الغرائزِ، ويجملُ الحديثُ وقد توجَّهت تلك القوى إلى الخير، وتهذَّبتْ تلك الغرائزُ من غيرِ تمردٍ أو انزلاقٍ.

شبابٌ ليس له صبوةٌ، شبابٌ وطلابٌ حفظوا قواهم وهذَّبوا مسالَكهم، مُنشَّأون في طاعةِ الله، يرجون أن يظلَّهم اللهُ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه.

إن قُوى الفتيانِ وطاقاتِهم تشتدُ وتقوىٰ مع المثيراتِ، وتتهذبُ وتُوجَّه مع حُسْنِ الصوارفِ والمُشْغلاتِ. تُوجَّهُ الطاقاتُ، وتُضبطُ المسالكُ حين يتولىٰ ذلك مشرفونَ أمناءُ، وموجهون أوفياءُ، يدركونَ طبائعَ الأمورِ، وتطلعاتِ الشبابِ. إشرافٌ في ديانةٍ، وتوجيهٌ في دعوةٍ، يعلِّمون بالكلمةِ، ويربُّون بالقدوةِ في منهجِ عَدْلٍ، ومسلكٍ وسطٍ، وبصرٍ ثاقبٍ، ومعرفةٍ بالواقعِ، ودرايةٍ بالمتغيراتِ، يحيطُ بذلك سياجٌ متينٌ من صحةِ المعتقَدِ وسلامةِ التفكيرِ واستقامةِ السلوكِ.

في حديثِ الإجازةِ يجبُ أن يُربَّىٰ الشبابُ على أن المستقبلَ بيد اللهِ، ثم بصُنعِ أيديهم من داخلِهم، وفي بلادِهم وعلى أرضِهم، بأخلاقِهم السمتقيمةِ، وكدحِهم الكريمِ.

إن مستقبلَ الإسلامِ لا يصنعُه بإذنِ اللهِ إلا المسلمون، يصنعونُه في مكةَ المكرمةِ، والمدينةِ المنورةِ، والعواصمِ الإسلاميةِ، وفي حديثِ الإجازةِ يجبُ أن يتربىٰ الشبابُ، ويعرفوا أن الوقتَ جزءٌ من الإصلاحِ، جزءٌ من الحلِّ لمشكلاتِهم المستعصيةِ؛ طالَ هذا الوقتُ أو قَصُرَ؛ مادام أنهم ثابتون على الحقِّ، صابرون فيه، مستمسكون به.

ليعلمَ شبابُ الإسلامِ، وطلابُ العلمِ أن من أكبرِ علاماتِ المقتِ إضاعةَ الوقتِ. ليس الوقتُ من ذهبٍ كما يقولُ المثلُ الشائعُ؛ بل هو أغلىٰ من الذهبِ واللؤلؤِ، ومن كلِّ جوهرٍ نفيسٍ، أو حجرٍ كريمٍ، إنه الحياةُ والعمرُ، والإنسان يفتدي عُمرَه بكلِّ غالٍ ونفيسٍ، حتى قال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه:

ما ندمتُ على شيء ندمي على يومٍ غربتْ شمسُه، نقصَ فيه أجلِي ولم يزددْ فيه عملي. نعوذ بالله من تناقضِ الأجلِ من غيرِ زيادةٍ في صالحِ العملِ.

أيها الشبابُ، من أمضىٰ يوماً من عمرِه في غيرِ حقٍّ قضاه، أو فرضٍ أداه، أو مجدٍ أصَّلَه، أو فعلٍ محمودٍ حصَّلَه، أو علمٍ اقتبسه؛ فقد عقَّ يومَه، وظلمَ نفسَه، وخانَ عمرَه، هكذا قالتِ الحكماءُ.

من المؤسفِ حقاً أن يعيشَ شبابٌ في عُمُرِ الزهورِ واكتمالِ القوىٰ لا يبالون في إضاعةِ أوقاتِهم سُدىً، بل إنهم يَسطون على أوقاتِ الآخرين؛ ليقَطِّعوُها باللهو الباطلِ والشئونِ الساقطةِ، والأمورِ المحتقرةِ.

يجبُ أن يُنقذَ شبابُ الأمةِ من هذا الذهولِ المهلكِ، غفلةٌ عن الغدِ واستغراقٌ مميتٌ في الحاضرِ، مسحورون بنَضْرةِ الشبابِ العارضةِ، وتقطيعِ الأيامِ، والليالي من غيرِ حسابٍ، ولا محاسبةٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧ ـ ٨].

من الغفلةِ والحرمانِ وسبيلِ فناءِ الأممِ؛ أن يألفَ شبابٌ أصحاءُ النومَ حتى الضحىٰ، أو ما بعدَ الضحىٰ، تطلُعُ عليهم الشمسُ وتتوسطُ كَبِدَ السماءِ، وهم يغطون في نومٍ عميقٍ، قد بال الشيطانُ في آذانِهم، إذا قام أحدُهم فإذا هو ثقيلُ الخطىٰ، خبيثُ النفسِ، هزيلُ القوى كسلانُ. على حين تطلعُ الشمسُ على قومٍ

آخرين من غيرِ أهلِ الإسلامِ وهم منهمكون في وسائلِ معاشِهم، وتدبيرِ شئونِهم. تأبى سننُ اللهِ إلا أن يُعطىٰ كلُّ امرىءٍ حسَبَ استعدادِه وعملِه وجدِّه.

يا شبابَ الأمةِ، يا طلبةَ العلمِ، أيها المسلمون:

إن توزيعَ فرائضِ الإسلامِ على الأوقاتِ توكدُ ضرورةَ حفظِ الثواني والساعاتِ مع حركةِ الكونِ، ودورةِ الفلكِ.

حينما ينبلجُ النهارُ، وينشقُ الفجرُ يعلو صوتُ داعي الحقِّ يملأُ الآفاقَ والآذانَ منبهاً الغافلين، وموقظاً النائمين، معلناً بدءَ يومٍ جديدٍ: (حيَّ على الصلاةِ، حيَّ على الفلاحِ، الصلاةُ خيرٌ من النوم) فتجيبُ القلوبُ الواعيةُ، والألسنةُ الذاكرةُ، والأيدي المتوضئةُ الطاهرةُ المتطهرةُ، وتُحلُّ عُقدُ الشيطانِ تستقبلُ صباحاً نقياً، لم يتلوثْ بأنفاسِ نؤومي الضحىٰ. ثم إن لهم من بعد صلاتِهم في النهارِ سبَحاً طويلاً. حتى إذا قام قائمُ الظهيرةِ، وزالتْ الشمسُ، وقد غرِق الناسُ في لُججِ المشاغلِ وخِضمِّ الحياةِ؛ ارتفع النداءُ مرةً أخرى؛ منبهاً للوقت، مكبِّراً اللهَ، شاهداً له بالوحدانيةِ، ولنبيِّه ﷺ بالرسالةِ، داعياً إلى الصلاةِ والفلاحِ؛ فنيخلعُ الناسُ من صخَبَ حياتِهم ليقفوا بين يدي مقسِّم الأرزاقِ ومدبِّرِ الأكوانِ، يقفون دقائقَ معدودةً يخفِّفون فيها من الانهماكِ المتصارعِ على المادةِ، والاستغراقِ في طلبِ متاعِ الدنيا، وهذه هي صلاةُ الظهرِ، ويأتي مثلُها في الإيقاظِ والتنبيهِ وضبطِ الوقتِ والارتباطِ بربِّ الأربابِ، ومسيرِ الأفلاكِ صلواتُ العصرِ والمغربِ والعشاءِ، يفتتحُ اليومُ بالصلاةِ ويختتمُ، والفرائضُ الأخرى غيرُ الصلاةِ مرتبطةٌ بالزمنِ، محسوبةٌ به. إنها معالمُ

للمكلفين ليحفظوا أوقاتَهم، ويحاسبوا أنفسَهم.

نُقلَ عن بعضِ السلفِ أنه كان يسمى الصلواتِ الخمسَ ميزانَ اليومِ، والجمعةَ ميزانَ الأسبوعِ، ورمضانَ ميزانَ العامِ، والحجُّ ميزانَ العمرِ، كلُّ ذلك محاسبةٌ دقيقةٌ؛ ليسلمَ له يومُهَ وأسبوعُه وعامُه وعمُرُه.

معاشرَ الأحبةِ: ومن أجلِ مزيدٍ من حفظِ الوقتِ والانضباطِ فيه؛ علينا أن ندركَ حكمةَ الإسلامِ في الحثِّ على المداومةِ على العملِ؛ وإن قلَّ فالمنقطعُ لا يكادُ يُجدي ولو كان كثيراً.

إن العملَ الدائمَ يبدأُ صغيراً، ومع المداومةِ وقوةِ العزيمةِ يغدو كبيراً.

إن النتائجَ الباهرةَ أيها الشبابُ، والأعمالَ المثمرةَ أيها الطلابُ، لا تكون إلا من نفوسٍ دؤوبةٍ لا تعرفُ الكللَ والملَلَ، يمتدُّ عملُها أعواماً من بعدِ أعوامٍ، والعاجزُ القاصرُ يبدأ في طفرةٍ؛ ثم يتوقفُ متعللاً ببعدِ الطريقِ وطلبِ الراحةِ، فتراه ينتكسُ إلى الدِّعةِ والإهمالِ.

إن هذه الطفراتِ ما هي إلا وليدةُ طيشٍ عابرٍ، واندفاعٍ سريعٍ. وفي الإسلامِ: أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ ما داوم عليه صاحبُه، فسدِّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، والقصدَ القصدَ تبلُغوا.

ويقترنُ بالمداومةِ المسارعةُ في الخيراتِ، ففيها اغتنامُ للوقتِ من غير تكاسلٍ أو تثاقلٍ، مسارعةٌ من قبلِ حلولِ مرضٍ مقعدٍ أو كِبَرٍ مفندٍ، أو بلاءٍ مُشغلٍ. وفي خبرِه ﷺ: «**بادروا بالأعمالِ سبعاً؛ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً**

مُفسداً، أو هَرَماً مُفْنِداً، أو موتاً مُجْهزاً، أو الدَّجالَ فشرُّ غائبٍ يُنتظرُ، أو الساعةَ فالساعةُ أدهىٰ وأمرُّ»[1] رواه الترمذي من حديث أبي هريرةَ، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

ولا يحفظُ الوقتَ تمامَ الحفظِ إلا التنظيمُ وحسنُ الترتيبِ، فلا يطغىٰ غيرُ المهمِّ على المهمِّ ولا المهمُّ على الأهمِّ،فمعلومٌ أن الوقتَ لا يتسعُ لجميع الأشغالِ، ومن شَغَلَ نفسَه بغيرِ المهمِّ؛ ضيَّعَ المهمَّ وفوَّتَ الأهَمَّ.

ومن وصايا أبي بكرٍ لخليفتِه عمرَ رضي الله عنهما: اعلم أن للهِ عملاً بالنهارِ لا يقبلُه بالليلِ، وعملاً بالليلِ لا يقبلُه بالنهارِ.

ولهذا جاءتْ عباداتٌ كثيرةٌ موقوتةٌ بأوقاتها التقدمُ عليها لا يُجزي والتأخرُ من غيرِ عذرٍ يوقعُ في المأثمِ والمغرمِ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، وقوموا بمسئولياتِكم، اتقوا اللهَ في أماناتِكم، في أبنائِكم وشبابِكم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٧٨ ـ ح٢٣٠٦) وقال: حديث حسن غريب، والحاكم (٤/٣٢١) وقال: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح، ووافقه الذهبي ولكن لم يثبت سماع معمر من المقبري انظر الترمذي فإنه قال عن معمر عمن سمع سعيداً المقبري.

من أحاديث الإجازة

الخطبة الثانية

الحمد للهِ على ما أولىٰ، والشكرُ له على ما أسدىٰ، حمداً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً مدخرةً ليوم لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصفيُّ المصطفىٰ، والخليلُ المجتبى، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعـدُ:

معشرَ الشباب: إياكم والتسويفَ؛ فإن (سوفَ) جندٌ من جنودِ إبليس، الموتُ يأتي بغتةً، والأكفانُ منسوجةٌ، والآجالُ عندكم غيرُ معلومةٍ.

وإذا ضُمنَ الغدُ فمن يضمنُ السلامةَ من المعوقاتِ؛ من مرضٍ طارىءٍ أو شُغلٍ عارضٍ، أو بلاءٍ نازلٍ، أو فتنةٍ جائحةٍ، **«اغتنمْ خمساً قبل خمس: حياتَك قبل موتِك، وصحتَك قبل سَقَمك، وفراغَك قبل شُغْلِك، وشبابَك قبل هرمِك، وغناك قبل فقرِك»**[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣ ـ ح١٠٢٤٨)، الحاكم (٤/ ٣٠٦) وصححه ووافقه الذهبي.

وقال بعضُ الشيوخِ لبعضِ الشبابِ: اعملْ قبل ألا تستطيعَ أن تعملَ فأنا أريدُ أن أعملَ فلا أستطيعُ، إنما العملُ في الشبابِ. وقيل لعمرَ بنِ عبدالعزيز رحمه الله ـ وقد بدا عليه الإرهاقُ ـ: أخر هذا إلى الغدِ، فقال: لقد أعياني عملُ يومٍ واحدٍ، فكيف إذا اجتمعَ عملُ يومين؟؟؟

ولا تظنوا إيها الشبابُ أن المستقبلَ سيكون أكثرَ فراغاً من الحاضرِ، فما هذا إلا وهمٌ وسرابٌ. كلما كَبُرتْ سنُّك كثرتْ المسئولياتُ، وزادتْ العلاقاتُ، وضاقتْ الأوقاتُ، وضعفُت الطاقاتُ، فالوقتُ في الكِبَرِ أضيقُ، والجسمُ فيه أضعفُ، والصحةُ هزيلةٌ، والنشاطُ كليلٌ. فبادروا ساعاتِكم، ولا تتعلقوا بالغائبِ المجهولِ، فكلُّ ظرفٍ مملوءٌ بشواغلِه، والحقوقُ مرتبطةٌ بزمانِها، وما التسويفُ إلا تفويتٌ للحقِّ، وخسرانٌ لليومِ، وتضييعٌ للغدِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، اتقوا الله في أيامِكم وأعماركم ومسئولياتكم، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

حديث بين الشباب والشيوخ

الخطبة الأولى

الحمد للهِ تفردَ بكلِّ كمالٍ، وتفضَّلَ على عباده بجزيلِ النوالِ، بيده الخيرُ ومنه الخيرُ، فله الحمدُ في الأولى والآخرةِ والحالِ والمآلِ، أحمده على ما منح من النعماءِ، وأشكره على عظيمِ الآلاءِ.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدس عن الأشباهِ والأمثالِ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوثُ بكريمِ الصفاتِ، وجميلِ الخصالِ، صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآل والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ حقَّ التقوى؛ فمن اتقى اللهَ وقاه، ومن رجعَ إليه تابَ عليه وهداه. كم سترَ عيباً، وأقالَ عِثارا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

أيها الإخوةُ المسلمون، في تقلُّبِ الأيامِ مزدجرٌ، وفي تجاربِ الناسِ مدَّكَرٌ، بين شيوخِ الأمةِ وشبابِها يَطيبُ التأملُ ويحسنُ المعتبرُ.

أما الشبابُ فهم عنصرُ حركتِها، ومصدرُ طاقتِها، ودليلُ

حيويتِها، وسبيلُ نهضتِها، إنهم العطاءُ المتجددُ، والقوةُ المنتجةُ.

الشبابُ هم الدماءُ المتدفقةُ، عندهم القبولُ السريعُ لكلِّ جديدٍ. قوةٌ وجموحٌ، واندفاعٌ وطموحٌ، تيارٌ دافقٌ، وطاقةٌ متوقدةٌ، إذا تطلَّع إلى شيءٍ سارعَ إلى تحصيلِه، وضحَّىٰ من أجلِ اكتسابِه. إذا رغبَ في شيءٍ بذلَ النفسَ والنفيسَ، وقارعَ كلَّ قوةٍ، واستعملَ مواهبَه في الترويجِ لرغباتِه وطموحِه. فيهم الجيوشُ المنطلقةُ لرفعِ ألويةِ الخيرِ والإصلاحِ، صابرون ومجاهدون، مضحُّوه ومهاجرون، يقتحمون الصعابَ، ولا يجري في حسابِهم ماذا عسى أن يجابَههم من محنٍ وشدائدَ. وفي المقابلِ ترى فيهم دعاةَ سوءٍ ومنكرٍ، وكثيرٌ من قبائحِ عالمِ اليوم ترىٰ الشبابَ هم وقودُها وسوقُ رواجِها.

أيها الإخوةُ، أولئك هم الشبابُ: يسجلونَ التضحياتِ الجسامِ في سبيلِ المطالبِ؛ ولكنهم كثيراً ما يخلِطون بين الحقائقِ والأماني، ويضعفُ عندهم الربطُ بين المقدماتِ والنتائجِ، لا يكادُ يتوفرُ فيهم الحسابُ الدقيقُ للمحاذيرِ والتبعاتِ. إنهم قليلو التجربةِ قصيرو المدةِ، محدودو المعرفةِ. لا يحيطون بشئونِ الدنيا وأحوالِ الناسِ، نصيبُهم من التجربةِ عيشٌ قصيرٌ في كنفِ الوالدينِ والأسرةِ، وفترةٌ دراسيةٌ بين الزملاءِ والمعلمينِ، لا يدركونَ من الحياةِ إلا دروساً نظريةً. وعيشُ الشبابِّ بين والديه ومدرستِه غالباً ما يحجبُ عنه صعابَ الحياةِ، ويظلُّه عن الحرِّ اللاهبِ والبردِ القارسِ. أما الحكمةُ والتعقلُ فشيءٌ عظيمٌ يحتاجُ إلى ثمنٍ كبيرٍ لا يبلغُه ولا يدركُه في الغالبِ قصيرُ العمرِ فقيرُ التجربةِ.

إن الأبَ والشيخَ والمعلمَ يربون ويعلمون ويدرِّبون في مياهٍ غيرِ عميقةٍ، ولكن مع تدرجِ الأمورِ؛ يستطيعُ المتدربُ الخوضَ في لججِ البحورِ والأمواجِ العاتيةِ.

أما الشيوخُ ـ أيها الشبابُ ـ فقد جرَّبوا كثيراً وأخطئوا كثيراً. عرفوا الأيامَ، وقارعوا الخطوبَ، وعاشوا تقلباتِ الأحوالِ، فأصابوا الحكمةَ، ونفعتهم الخبرةُ. ملكوا العقلَ الراجح والفكرَ الرزينَ، يقدِّرونَ الواقعَ، وينظرون بواقعيةٍ نحو المستقبلِ، يرون الحسناتِ كما يرون المحاذيرَ.

إن لهم من طولِ التعاملِ والمراسِ ذخراً من الحكمةِ ورصيداً من الرزانةِ تجعلُهم أصحابَ رويَّةٍ وَتثبُّتٍ، أولئك هم الشيوخُ: أشجارُ الوقارِ، ومناجعُ الأخبارِ، لا يطيشُ لهم سهمٌ، ولا يسقطُ لهم وهمٌ، إذا رأوكَ في قبيحٍ صدُّوكَ، وإن أبصروك على جميلٍ أيدوك وأمدُّوك. وقد قيل: عليكم بآراءِ الشيوخ فإنهم إن فقدوا ذكاءَ الطبعِ فقد مرت على عيونِهم وجوهُ العبرِ، ووردتْ على أسماعِهم آثارُ الغِيَرِ.

وجاء في منثورِ الحكم: من طالَ عمرُه نقصتْ قوةُ بدنِه، وزادتْ قوةُ عقلِه. والأيامُ لا تدع جاهلاً إلا أدَّبتهْ، فكفى بالتجارِب مؤدِّباً، وبتقلُّبِ الأيامِ واعظاً، وكفى عِبراً لأولي الألبابِ ما جربوا.

كَسِبَ الشيوخُ رجاحةَ العقلِ من بعدِ طولِ الخبرةِ، وعميقِ التجربةِ. وما العقلُ إلا دواءُ القلوبِ ومطيةُ المجتهدين، وتاجُ الرؤوسِ، وعُدةُ الوقوعِ في النوائبِ.

قيل لابنِ المباركِ: ما خيرُ ما أُعطي الرجلُ؟ قال: غزيرُ عقلٍ. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدبٌ حسنٌ. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ صالحٌ يستشيره. قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمتٌ طويلٌ. قيل: فإن لم يكن؟ قال: موتٌ عاجلٌ.

وكتبَ عمروُ بن العاص إلى معاويةَ رضي الله عنهما: أما بعد، فإن التأني في الخيرِ زيادةٌ ورشدٌ، ومن لا تنفعه التجاربُ لا يدركُ المعالي، ومن لا ينفعُه الرفقُ يضرُّه الخرَقُ. ولا يبلغُ الرجلُ مبلغَ الرأي حتى يغلبَ حلمُه جهلَه، وتصبُّرُه شهوتَه. ولا يُدرَك ذلك إلا بقوةِ الحلمِ.

أيها الإخوةُ: إنه لا يتميزُ أصحابُ العقلِ وذوو التجاربِ إلا بالتأني والتثبتِ، وليس مطيةٌ خيراً من التروي والتريُّثِ. ومن عمِل عملاً لم يتأنَّ فيه أصابه الندمُ. وما كانت الشورىٰ محمودةً إلا لأنها طريقُ التثبتِ والأناةِ.

إن غير المتثبتِ ـ أيها الشبابُ ـ يقولُ قبل أن يعلَم، ويجيبُ قبل أن يفهمَ، ويحكمُ قبل أن يجربَ، ويعزمُ قبل أن يفكرَ. تصحبُه الندامةُ، وتفارقُه السلامةُ.

وتقولُ العربُ: العجلةُ أمُّ الندامات. وما رُئي العجولُ محموداً، وما سار إلا منحرفاً، ولا يكون الزلل إلا مع العجَلِ. حتى قالوا: العَجِلُ مخطىءٌ أبدا، والمتثبتُ مصيبٌ أبداً.

أيها الإخوةُ: إذا كان ذلك كذلك فما أجملَ حماسَ الشبابِ حين يُعْقَلُ بحكمةِ الشيوخِ. فيزاحمُ الشبابُ بالركبِ مجالسَ الشيوخِ، وتشرئبُّ أعناقُهم لِيلتقطوا الحكمةَ من أفواهِهم، ويروا

تجارَبِ الأيامِ في تجاعيدِ وجوهِهم. يستنيرون بالعلمِ الذي عندهم، ويأخذون بنصحِهم وإرشادِهم، ويستفيدون من ثمرةِ جهودِهم وتجاربِهم، فتتشابك الأيدي في دروبِ الحياة، وتتوحدُ المسيرةُ في مساربِ الدنيا.

وإذا لم يكن كذلك فويلٌ للأمةِ حين ينفصلُ الشبابُ عن أولي الرأي والعلمِ والحكمةِ.

وويل لأقوامٍ يقعون في الأعراضِ ويستبيحون إلصاقَ التهم، ويستطيلون علىً الحقوقِ.

وويل للناس حين تظهرُ فئاتٌ وجماعاتٌ تتنابزُ بالألقابِ، وتتبادلُ التهمَ، وتكره نفسَها ومجتمعَها وقادتَها وأولي الأمرِ والرأيِ فيها ومنها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

[الأنفال: ٢٤ ـ ٢٦].

حديث بين الشباب والشيوخ

الخطبة الثانية

الحمد لله على فضلِه ونعمائِه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه أستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تقدس في صفاتِه وأسمائه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضلُ أنبيائه، وخيرُ أصفيائه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابِه وأوليائِه.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، إنكم لو تأملتم فيما يجري بين الوالدِ وولدِه، والمعلِّم وتلميذِه، والصغيرِ والكبيرِ، لرأيتم شيئاً عجيباً، وأمراً غريباً، إنه الحديثُ بين جيلين.، والتخاطبُ بين عصرين يجبُ أن يكونَ مبنيا على الثقةِ، ومحاطاً بسياجِ الأبوةِ والبنوةِ، وما يعقلُ هذا إلا العالمون.

أيها الشابُّ إذا رأيتُ صاحبَك قد غضِبَ أو تعجلَّ وتكلَّمَ بما لا ينفعُ ولا يفيدُ فلا تهتمَّ بقوله، ولا تكترثْ بحديثِه؛ فإنه في حالٍ لا يدري ما يجري وجميلٌ منك أن تصبرَ على تسرُّعِه، ولا تُعَوِّل على تصرُّفِه؛ فإن طبَعه قد هاجَ، وعقلَه قد استترَ، وإنك لو جارَيته على حالِه فإنك شريكُه، ولكن انظر إليه بعينِ الرحمةِ والإشفاقِ، وتأملْ في تصريفِ المقاديرِ، وتفرسْ في نتيجةِ

العجلةِ، واعلم بأنه إذا تنبه سوفَ يندمُ على ما جرىٰ، ويحمدُ فيك فضلَ الصبرِ، وجميلَ التأني، وحسنَ التثبتِ.

فاتقوا الله رحمكم الله، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين، واحذروا أن تصيبوا قوماً بجالهةٍ؛ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

واجب الأمة نحو علمائها

الخطبة الأولى

الحمدُ لله الرحيم الرحمنِ، خلقَ الإنسانَ علمَّمه البيانَ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره. قرنَ رفعة أهلِ العلم برفعةِ أهلِ الإيمانِ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه.. بعثه في الأميين يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة. فهو أمينُ الوحيين السنةِ والقرآنِ. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله واصحابه أولي النهىٰ والعلمِ والعرفانِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ فأوثقُ العرىٰ كلمةُ التقوىٰ.

أيها المسلمون: علمُ الشريعةِ هو ميراثُ النبوةِ، وعنوانُ الرسالةِ. لا فلاحَ في الدارين إلا به، ولا سبيلَ للنجاةِ إلا بالتعلقِ بسببه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] علمٌ في إيمانٍ، من ظَفِرَ به فازَ وغنِم، ومن صُرفَ عنه خاب وحُرِمَ. قُطبُ السعادةِ ومدارُها، ضياءُ النبوةِ، ونورُ الشريعةِ، الوصولُ إلى اللهِ ورضوانِه بدونه محالٌ، وطلبُ الهدىٰ بغيرِه هو عينُ الضلالِ. من سلكَ

غيرَ ذلك فطريقُه مسدودٌ، ومن ابتغىٰ الحقَّ في غيرِه فسعيهُ عليه مردودٌ.

وصلاحُ الأمةِ لا يكون راسخَ البناءِ، ولا جميلَ الطلاءِ، ولا محمودَ العُقبىٰ، إلا إذا كان موصولاً بحقائقِ الدينِ، ومصطبغاً بآدابِ الشرعِ. وذلك لا يكونُ ولن يكونَ إلا حينَ يقومُ العلماءُ الربانيون بمسئولياتِهم، وينهضوا بما استحفُظوا من الدينِ، وما أُوتوا من العلمِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: وحينَ يطالبُ العلماءُ بمسئولياتِهم، فيجبُ على الأمةِ أن تحفظَ حقوقَهم، وتعرفَ مكانتَهم، وتقدِّرَهم حقَّ قدرِهم، وتلتزمَ الأدبَ معهم، إنهم العلماءُ وارثوا علمِ الرسالةِ.. خلفاءُ النبيِّ ﷺ في أمتِه، المحيون لما ماتَ من سنتِه، بهم قامَ الكتابُ وبه قاموا، وبهم نطقَ الكتابُ، وبه نطقوا ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] مصابيحُ الدجىٰ، وأعلامُ الهدىٰ، هم النجومُ بهم يُهتدىٰ ويُقتدىٰ، فيهم رجاحةُ الرأي، وصرامة العزمِ، وخلوصُ السرائرِ، إذا رأوا حقاً أعانوا، وإن أبصروا عِوجاً نصَحوا، وإن لمَحوا تقصيراً نبَّهوا.

ينظرون في أحوالِ الناسِ، يصححونَ العقائدَ والعباداتِ، يَدلُّون على السننِ، ويُحذرُّونَ من البدَعِ، يَنْفَوْنَ عن الأمةِ خبثَ المزاعمِ الباطلةِ، والمبادىءِ المنحرفةِ. بعلمِهم وتعليمِهم - بإذن اللهِ - يَكونُ الناسُ أنقياءَ الفكرِ، وأتقياءَ العملِ. يُصلحون في معاملاتِ الناسِ ما كان فاسداً، ويَصِلون منها ما كان مقطوعاً، بجهودِهم وتوجيهِهم - بتوفيقِ الله - يتضحُ الحقُّ، وينكشفُ الضرُّ، وتسودُ السعادةُ. يرفُقُون في الخطابِ، ويَلِينون في

الإرشادِ. . لا يقولون ما ليسَ بحقٍّ، ولا يأتون ما ليس بمصلحةٍ. يأخذون بالتي هي أرضىٰ للخالقِ. . فهم مثالُ الاستقامةِ، وعنوانُ الصلاحِ. يحتملونَ المكارهَ في سبيلِ ما يقدِّمون من نصائحَ، ويتجلَّدون عند الأذىٰ. هم أسرعُ الأمةِ إلى الائتمارِ بما يأمرونَ، والمبادرةِ في الكفِّ عما يُحذِّرون. معقلُ الدينِ، ومَشْرِقُ الهدايةِ. . يبلِّغون رسالاتِ اللهِ بعد أنبياءِ اللهِ. هم الجنودُ يُرمىٰ بهم العدوُّ في كلِّ وقت، وفي كلِّ مكانٍ، وفي كلِّ صورةٍ. يجمعونَ بين ما صحَّ من أقوالِ السلفِ، وما صلُحَ من آراءِ الخلفِ.

يُقالُ ذلك أيها الإخوةُ في اللهِ، وهم بأمثالِ هذا الثناءِ جديرون، وبتسطيرِ هذا الإطراءِ حقيقون، فهم بالعلمِ عاملون، وعلى الحقِّ سائرون. يهدونَ بالحقِّ وبه يعدلون، وعلَى رغم كلِّ هذه الجدارةِ، وعلى التسليم بهذه الأحقيةِ. فإنهم غيرُ معصومين. تبدرُ منهم الزلةُ، وتقع منهم العثرةُ، وتنبو منهم الكبوةُ. والعصمةُ غيرُ مضمونةٍ لأيِّ عالمٍ، ولو جَمعَ شروطَ الاجتهادِ كلَّها، ومقاييسَ الصلاحِ جميعَها، ولكنَّ المضمونَ لهم ـ إن شاء اللهُ ـ الأجرُ على اجتهادِهم ـ أصابوا أو أخطئوا.

أيها الشبابُ، أيها الدعاةُ، يا طلابَ العلمِ، العالمُ لا يؤخذُ بزلَّتِه، ولا يتَّبَعُ بهفوتِه. فليس أحدٌ من أفرادِ العلماءِ إلا وله نادرةٌ. . ينبغي أن تدفنَ في بحرِ علمِه، وتنسىٰ في جنبِ عظيم فضلِه. اسمعوا إلى مقولةِ الحافظِ الذهبيِّ ـ رحمه الله ـ: لو أنّا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهادٍ في آحادِ المسائلِ خطأً مغفوراً له. قمنا عليه، وبدَّعناه وهجَرناه؛ لما سلِم معنا لا ابنُ نصرٍ ولا ابنُ مندةَ،

ولا من هو أكبرُ منهما، واللهُ هو هادي الخلقِ إلى الحقِّ، وهو أرحمُ الراحمين، ونعوذ باللهِ من الهوى والفظاظةِ. اهـ كلامه.
ومنْ ظَفِر بخطأ عالمٍ فلا يفرحْ، ولا يتبعْ العثراتِ. ولكن ليصحِّح الخطأَ، ولينبِّهْ إلى الصوابِ، وليَحذرْ التشهيرَ والتشنيعَ. فإن المنصفَ يجزمُ بأنه ما من إمامٍ إلا وله أغلاطٌ وأوهامٌ، قد تظهرُ وقد تخفىٰ في العاجلِ أو في الآجلِ.

إن قاصدَ الحقِّ، وصادقَ الهدفِ بحاجةٍ إلى عقلٍ يقظٍ، وضميرٍ حيٍّ. بحاجةٍ إلى علمٍ نافعٍ، وإيمانٍ وازعٍ. يحيطُ ذلك سياجٌ من الخلقِ الفاضلِ، في لسانٍ عفيفٍ، ونظرٍ متورعٍ. وقبلَ ذلك وبعدَه.. هو بحاجةٍ إلى إخلاصِ القصدِ للهِ وحدَه، والتجردِ للحقِّ، ومجاهدةِ النفسِ؛ حتى تتحررَ من اتباعِ هواها، وهوىٰ غيرِها.

يا رجالَ الدعوةِ، ويا طلابَ العلمِ، احذروا كثرةَ الخصامِ، وإطالةَ الجدلِ. فالتوسعُ في ذلك من قلةِ الورعِ، وسلوكِ غيرِ هدي السلفِ. سمعَ الحسنُ ـ رحمه الله ـ قوماً تعالَىٰ جدَلُهم، وتنافرتْ مقالاتُهم، فقال: هؤلاء مَلُّوا العبادةَ، وقلَّ فيهم الورعُ؛ فخفَّ عليهم القولُ؛ فتكلموا فيما تكلموا، وخاضوا فيما خاضوا.

احذروا التطاولَ على مناهجِ الأئمةِ، وعلماءِ الأمةِ، أو التهوينَ من فقهِ السلفِ. أو العلمِ الموروثِ. فالتجريحُ بغيرِ حقٍّ لا يجوزُ، ورفضُ الدليلِ محرمٌ لا يسوغُ.

والمنهجُ الحقُّ الأخذُ بالدليلِ مع وافرِ الحرمةِ والتقديرِ لأئمةِ العلمِ والدينِ في الجديدِ والقديمِ.

أهلُ الإسلامِ ليس لهم سمةٌ سوى الإسلامِ. فيا طالبَ العلمِ، ويا رجلَ الدعوةِ بارِكَ اللهُ في علمِك، ونفَعَ بدعوتِك. اطلُبْ العلمَ، واجتهدْ في العملِ، وادعُ إلى اللهِ على طريقِ محمدٍ ﷺ والرعيلِ الأولِ والسلفِ الصالحِ من بعدِه.

فلا تخرجْ من سعةِ الإسلامِ إلى القوالبِ الضيقةِ. فالإسلامُ كلُّه جادةٌ ومنهجٌ، والمسلمونُ جميعُهم هم الجماعةُ، وإن يدَ اللهِ مع الجماعةِ. ولا يكنْ لك ولاءٌ ولا براءٌ إلا للإسلامِ.. دينِ محمدٍ ﷺ كنْ طالبَ علمٍ على الجادةِ، تقفوا الأثرَ، وتتبعُ السننَ، تدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ. عارفاً لأهلِ. الفضلِ فضلَهم، ومعترفاً بسابقتِهم.

واعلم أنه ليسُ من الممكنِ جمعُ الناسِ على قولٍ واحدٍ. فقد اختلفَ الصحابةُ والتابعونَ والأئمةُ المرضيون.

ولكن يمكنُ جمعُ الناسِ على رفعِ الملامِ عن الأئمةِ الأعلامِ. ومن ظنَّ أنه قادرٌ على صَبِّ الناسِ في قالَبٍ واحدٍ يصنعُه لهم ويضعُهم فيه ويمشون وراءَه وفَقَ ما فهمُه من الشريعةِ ونصوصِها... ظاناً أنه سيرفعُ الخلافَ، أو يجمعُ الناسَ على كلمةٍ سواءٍ. فقد أبعدَ النجعةَ، وأوغلَ في الطلبِ.

ولكنْ مسلكُ العدلِ والإنصافِ، ومنهجُ الحقِّ والصوابِ.. أن يُنظرَ إلى القولِ دون قائلِه، وأن يُعرفَ الرجالُ بالحقِّ، وتكونُ لدى طالبِ العلمِ والحقِّ، الشجاعةُ لنقدِ ذاتِه، والاعترافُ بأخطائِه، والترحيبُ الصادقُ بالنصحِ وطلبِ التقويمِ. والاستفادةُ من كلِّ علمٍ وحكمةٍ، والثناءُ على كلِّ محسنٍ بإحسانِه، والتماسُ العذرِ

للمقصِّرِ عند تقصيرِه، وبخاصةٍ أولئك الأعلامُ الذين يعلِّمون الناسَ الخيرَ، وينصرون دينَ اللهِ، ويتحمَّلون في سبيلِ الحقِّ ما يتحملون. وحقٌّ على المسلم إذا سمع مقالةَ سوءٍ في أخيه المؤمنِ لا سيما رجلُ العلم، وصاحبُ الدعوةِ، ألا يظنَّ به إلا خيراً ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

والأشدُّ من ذلك والأنكىٰ أيها الإخوةُ، اتهامُ النياتِ، والحكمُ على المقاصدِ، والتطاولُ على السرائرِ التي لا يعلمُها إلا ربُّها ومولاها. ويتسعُ هذا الأمرُ ويَعرُضُ إذا كان في حقِّ عالمٍ من علماءِ المسلمين، بذلَ نفسَه للعلمِ والتعليم، والدعوةِ إلى اللهِ، والغيرةِ على الحقِّ، والدفاعِ عن الدينِ، والتضحيةِ في سبيلِ الله.

وليحذرْ المسلمُ الناصحُ لنفسِه ودينِه وأمتِه مسالكَ المنافقين، وأعداءِ الملةِ الذين يصفون رجلَ العلمِ والإيمانِ والدعوةِ بالعمالةِ للشرقِ أو الغربِ لمجردِ أنه خالفَ في رأي، أو زلَّ في فتوىٰ. والأمرُ لا يعدو مجالاتِ الاجتهادِ، ومواطنَ اختلافِ النظرِ، مما لا ينالُ دينَ مسلمٍ أو إيمانَه أو تقواه بحالٍ من الأحوالِ.

ألا فاتقوا اللهَ ربَّكم، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، واعرفوا لكلِّ ذي فضلٍ فضلَه، وأقيموا الدينَ، ولا تتفرقوا فيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

واجب الأمة نحو علمائها

الخطبة الثانية

الحمد لله عليِّ الذاتِ، عظيم الصفاتِ، أحمده سبحانه وأشكره، يقبلُ التوبةَ عن عبادِه، ويعفو عن السيئاتِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، الهادي إلى طُرقِ الخيراتِ، والمحذرُ من مسالكِ الضلالاتِ، صلى الله سلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، أولي الفضلِ والكراماتِ، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومٍ تُبلىٰ السرائرُ، وتُكشفُ المكنوناتِ.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ في اللهِ: فلئن كانَ ما تقدَّم نعوتِ العلماءِ الراسخين، وصفاتِ الأئمةِ العاملينِ. فإن من غيرِ المنكورِ أن ثمةَ منتسبين إلى العلمِ مريبين مدخولين.. يندسون في الناس كالداءِ في البدنِ، وكالسَمِّ في الدسمِ. هم في وحدةِ الأمةِ مظهَرٌ تفريقٍ، وفي قوتِها مصدرُ إضعافٍ وتعويقٍ. اتخذوا من مجالسِهم توليداً للأكاذيبِ، ومن ندواتِهم ومنتدياتِهم وسائلَ لترويج الشائعاتِ، يُشيعون السوءَ في الذين آمنوا، ويثيرون الريبةَ في الذين يعملون الصالحاتِ. يقعُدون من المصلحين مقاعدَ التلصصِ والتربصِ، وكأنهم لا يَخْتِلون[1]

---

(١) يخْتِل: يخدع عن غفلة.

فريستَهم إلا في الظلامِ، ولا يشوون ذبائِحهم إلا في لهبِ الحريقِ، يفرُّون من النورِ كما تفرُّ الخفافيشُ، ويموتون من الطهرِ كما تموتُ الجراثيم. هذه بليةٌ، وثمةَ بليةٌ أخرىٰ، ذلك أن كثيراً من القضايا المطروحةِ، والمواقفِ المعلنةِ من قضايا الإسلامِ وشخصياتِ العلمِ والدعوةِ ـ كثيرٌ من هذه القضايا ـ ظاهرُهَا خلافٌ في العلمِ والرأي، وحقيقتُها حبُّ الذاتِ، واتباعُ الهوى الذي يُعمي ويُصَمُّ ويُضلُّ عن السبيل. نعم إنها ـ مع عظيمِ الأسىٰ والأسفِ ـ في كثيرٍ من صورِها وتفسيراتِها ترجعُ إلىٰ أمورٍ شخصيةٍ، وتطلعاتٍ ذاتيةٍ، حتى ولو كانتْ مغلَّفةً بالحرصِ على مصلحةِ الإسلامِ وجماعةِ المسلمين مما قد يَدِّق ويخفىٰ حتىٰ على الإنسانِ نفسِه، فيزَّينَ له سوءُ عملِه فيراهُ حسنا، وقد جاءَ في الحديثِ: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينِه**»[1] خلافٌ على المغانمِ، وحبٌّ للظهورِ والجاهِ والتصدُّرِ.

يُضمُّ إلى ذلك أن بعضَ الناس ـ هداهم الله ـ إذا وَثِقُوا في دينِ رجلٍ وعلمِه... ثم سمعوا عنه هفوةً، أو ذُكرتْ لهم فيه زلةٌ نبذوه ونابزوه. فتراهم بعثرةٍ واحدةٍ هدموا جهادَه وجهودَه طولَ عمره، وأهالوا الترابَ على تاريخِه المجيدِ كلِّه. ألا فليتقِ اللهَ هؤلاءِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٠٨ ـ ح٢٣٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان انظر الإحسان (٨/ ٢٤ ـ ح٣٢٢٨)، وأحمد (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٥٨ ـ ح٤٠٥٤) وحسنه.

واتقـوا اللهَ جميعـاً رحمكـم الله، واسلكـوا نهـجَ الإسـلامِ، وأحسنـوا الظـنَّ بإخـوانِكـم المسلميـن، وسيـروا مسـارَ القصـدِ؛ تُفلحوا وتبلُغوا.

غـزو الكويت
بين الاحتراف في الإجرام والتضليل في الإعلام

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ لم يزلْ بالمعروفِ معروفاً، وبالكرمِ موصوفاً. كلَّ يوم هو في شأن. يكشِفُ كرباً، ويغفرُ ذنباً، وَيُغيث ملهوفاً. يَجْبرُ كسيراً، ويُجيرُ خائفاً، ويُرسلُ بالآياتِ تخويفاً. أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفرُه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادً خالصةً للذي فطرَ السمواتِ والأرضِ حنيفاً. وأشهد أن سيدَنا ونبيَنا محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه ربُّه سيداً شريفاً، وأميناً عفيفاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه صلاةً وسلاماً تزيدُهم تفضيلاً وتشريفاً.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ المسلمون، في هذه الدنيا مصائبُ ورزايا، ومحنٌ وبـلايـا. آلامٌ تضيـقُ بهـا النفـوسُ، ومـزعجـاتٌ تـورثُ الخـوفَ والجزعَ. فكم ترىٰ من شاكٍ، وكم تسمعُ من لوَّامٍ.

تلك هي الدنيا وابتلاءاتُها، تُضحكُ وتُبكي، وتَجمعُ وتُشتتُ، شدةٌ ورخاءٌ، وسراءٌ وضراءٌ. ودارُ غرورٍ لمن اغترَّ بها، وموطنُ عبرةٍ لمن اعتبرَ بها. هي الصدقُ لمن صدَقها، والميدانُ لمن عمل فيها: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ

وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد: ٢٣].

في الابتلاءِ ألطافٌ يستشعرُها من صدقَ إيمانُه، وأخلصَ للهِ قلبُه. كم محنةٍ في طيها منحٌ ورحماتٌ. ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

عند البلاءِ يتحققُ توحيدُ الموحدينَ، ويقينُ المستيقنين.. وإذا اشتدَّ الكربُ، وعظُمَ الخطبُ يكون قربُ الفرج: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

في ابتلاءاتِ هذه الأيامِ بُقِرتْ بطونٌ، واندلقتْ أحشاءُ، وأبيدتْ أُسرٌ، وسُلبَ وطنٌ، وهامَ رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات في الصحراءِ اللافحةِ.. يصحبُهم صبيانٌ ورُضَّعٌ.. جثثُ المنقطعينِ منهم، لا تزالُ متناثرةً في تلكِ الرمالِ اللاهبةِ. ما أرخصَ دماءَ المسلمين، وما أشدَّ ما نزل لهم من أهوالٍ، وما أعظمَ ماحلَّ بهم من هوانٍ.

وإن من عظيمِ الابتلاءِ ـ أيها الإخوةُ ـ الاختلاطُ في المفاهيم. اختلاطٌ تختفي من ورائه الحقائقُ، وتسقطُ به القيمُ لترتفعَ شعاراتٌ براقةٌ. اختلاطٌ رهيبٌ تُسحَقُ من تحتِه أمةٌ كاملةٌ بشعبِها.. بأرضِها بدولتِها.. بكلِّ مؤسساتِها.

شعبٌ كاملٌ يُشردُ من وطنِه بجنودٍ عربٌ، وتنهبُ ثرواتُه بأيدٍ عربيةٍ. خلطٌ يتحولُ فيه المعتدي على الكرامةِ العربيةِ إلى مُدافعٍ عنها. خلطٌ يعتبرُ فيه المنتهكُ للعرضِ العربيِّ، والدمِ العربيِّ.. صائناً لهذا العرضِ. مناضلاً من أجلِ هذا الدمِ. خلطٌ ولبسٌ

يصبحُ فيه المجرمُ بطلاً، والخائنُ أميناً، والغادرُ مُجاهداً. إعلامٌ زائفٌ.. اعتاد منذُ زمنٍ أن يحولُ المستمعَ إلى بوقٍ يرددُ ما يسمعُ، ويهتفُ بما يُملىٰ عليه في عالمٍ ممتلىء بالضجيجِ، متسمٍ بطمسِ الحقائقِ. الغالبُ فيه من يملك شعاراً أكثرَ إثارةً وتقدميةً.

إعلامٌ مضللٌ؛ يتحولُ فيه المستمعُ إلى صورةٍ ترىٰ الشمسَ طالعةً، ويصدقُ أن الجوَّ غائمٌ، والمطرُ منهمرٌ.

إنه المواطنُ العربيُّ المسكينُ بمظاهراتِه ولافتاتِه وشعاراتِه. لا يزالُ يخسرُ فلسطينَ، وينتصرُ على الورقِ. إلا أن يرحمَنا الله بأطفالِ الحجارةِ. يشهدُ تمزقَ لبنانَ، ويسمعُ الاتحادَ في المذياعِ.

وها هو الآنَ يشهدُ اغتيالَ دولةٍ عربيةٍ مسلمةٍ آمنةٍ مسالمةٍ ذاتِ سيادةٍ بعهودٍ ومواثيقَ. يشهدُها تُغتالُ أمامَ عينيه، ولا يزالُ يبحثُ عمن يُسمعُه انتصاراً موهوماً، أو مذياعاً يعلنُ له انتصارَ شعارٍ من الشعاراتِ التي ملأتْ الساحةَ العربيةَ منذُ دهرٍ.

ما من شيءٍ هَزَمَ العربيَّ المسكينَ في شارِعه كما هزمتْه هذه الشعاراتُ الكاذبةُ التي تتفنَّنُ وتُبهرجُ لتضفي على صاحبِها وزعيمِها عبقرياتٍ فذةٍ، وبطولاتٍ موهومةٍ. باسم هذه الشعاراتِ ضاعتْ مصالحُ الشعوبِ العربيةِ، وأصبحَ المواطنُ العربيُّ منفياً عن بلدِه باسم القوميةِ والوحدةِ العربيةِ. من تحتِ تلك اللوحاتِ والشعاراتِ مرَّ الفلسطينيُّ مشرداً في بقاعِ الأرضِ، وها هو الكويتيُّ يقسرونَه ليمرَّ من تحتِها، وابحثوا عنَ اللبناني.

قامَ قائمٌ من العربِ يتسنمُ قيادةً عربيةً باسمِ الدفاعِ عن البوابةِ

الشرقيةِ للعالمِ العربيِّ، واستعادةِ حقوقٍ كان يدَّعيْها، خاضَ هذا القائدُ معركةَ سنواتٍ ثمانٍ.. ضحَّىٰ بمئاتِ الآلافِ من شعبِ بلدِه، وضحَّىٰ معه إخوانٌ له من العربِ، بقلوبهم ودمائِهم وأموالِهم.. حتى إذا استبانتْ الحقائقُ وانكشفتْ الأوراقُ، انتهىٰ الأمرُ إلى لعبةٍ هزيلةٍ ذهبتْ معها تلك الدماءُ هدراً، وأحلامُ الملايين هباءً.

لم يكنْ الباعثُ لحربِ السنواتِ الثمانِ عنده سوى أطماعٍ شخصيةٍ، وأغراضٍ عظَمةٍ فرديةٍ. ها هو صدَّامُ البوابةِ الشرقيةِ ينسحبُ بقادسيتِه ليتوجَه غرباً، ليكونَ أكبرَ خطرٍ يهددُ هذه البوابةَ.. ليقومَ باكتساحٍ تَتَريٍّ لا يرعىٰ حُرمةَ النفسِ أو دينٍ أو جوارٍ. لينقلَ تلكَ القوىٰ والجنود على حدودِ دولةِ البلادِ المقدسةِ.

ومع كلِّ هذا ـ أيها الإخوةُ ـ لا يزالُ هذا المواطنُ العربيُّ تحتَ غشاوةِ تلك الشعاراتِ ـ لا يزالُ يستمرئُها، ويمدُّ يديه ويفغرُ فاه، يريدُ أن يتلقىٰ المزيدَ منها.

لا يزالُ يلوك تلك الشعاراتِ.. وهو يرى رمزاً من رموزِها يفرضُ ما يريدُ بفوهاتِ المدافعِ، وجنازيرِ الدباباتِ مع الأكاذيبِ، والخياناتِ للعهودِ والوعودِ. والتهديدِ بأنواعِ التدميرِ.

لا يزالُ هذا المواطنُ يصدقُ أن الحربَ هي استعدادٌ لتحريرِ فلسطينِ، وهو يرىٰ بعينيه أن الدباباتِ وجيوشَها تخطىءُ طريقَها إلى القدسِ.. والدمُ الذي يُهدَرُ هو دمُ كويتيٍّ عربيٍّ مسلمٍ، وأن الوطنَ العَربي يزدادُ وطناً سليباً جديداً ـ هو الكويتُ، ولكن

السالبَ هذه المرةَ ليس يهودياً؟ ولكنه عربيٌّ.

إن العربيَّ المسكينَ قد صنعتْه الشعاراتُ وضيعتْه، تَشرَّبَها وازدادتْ عنده كثافتُها حتى حجبتْ شمسَ الحقيقةِ، وازداد بُعداً عن مواجهةِ واقعهِ.. ومعرفةِ حقيقةِ ما يدورُ حولَه.

إعادةُ توزيعِ الثروةِ. شعارٌ جديدٌ يريدُ بموجبِه القائدُ الملهمُ صرفَ النظرِ عن ثرواتٍ امتلكُها من بلدِه وإخوانِه.. فأين صرَفها؟ وماذا استفادَ منها؟ لقد أنشبَ حروباً طاحنةً، وأهدرَ دماءً زكيةً، وأضاعَ ثرواتٍ عربيةٍ، وما حررَ أرضاً ولا صانَ عرضاً، وما استعادَ حقاً ولا وطَّنَ أمناً، والدعوةُ الصادقةُ العاقلةُ أن يلتزمَ بإعادةِ تجميعِ ما بدَّده من تلك الثرواتِ.

أما الإمبرياليةُ والرجعيةُ، فتلك شعارتٌ بائدةٌ باليةٌ شَبعَ منها المهازيلُ.

إنه الأسفُ كلُّ الأسفِ أن تمرَّ هذا البلايا والمحنُ من هلاكِ دولٍ، وفناءِ شعوبٍ ثم لا يزالُ العقلُ العربيُّ سُوقاً نافقةً لهذه الترهاتِ، لا يحرِّكُه شيءٌ كما تحرِّكه هذه الشعاراتُ البراقةُ الزائفةُ. يجهلُ حقائقَ التاريخِ، ويجهلُ سننَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ولأن سوقَ الشعاراتِ رائجةٌ؛ فقد رفعَ شعارَ الجهادِ، إن الجهادَ ـ أيها الإخوةُ ـ شيءٌ محببٌ للنفوسِ المؤمنةِ، وهو ذروةُ سنامِ الإسلامِ، وبه عزُّ الأمةِ ولا شكَّ. ولكن أما يتساءلُ أبناءُ الشارعِ العربيِّ: من هو رافعُ هذا الشعار؟ ومتى رفعَه؟ ولماذا رفعَه؟ وأين هو من أفغانستان الصامدةِ؟.

يريد أبناءُ الشارعِ العربيِّ أن ينضووا تحت لواءِ من لا يعرفونَ

انتماءَه؟ ألا يعرفون أنه لا يزالُ مصراً على الحنثِ العظيم. قبلَ اجتياحِ الكويتِ الآثمِ بيومٍ واحدٍ، كانت الصحفُ السيارةُ قد نشرتْ دستورَ بلادِه وقالت: قد حُذفَ النصُّ الذي يجعلُ دينَ الدولةِ هو الإسلام. وعنده في مبادئِه المنتمي إليها: إن الرجعيةَ الدينيةَ إحدى المخاطرِ الأساسيةِ التي تهددُ الانطلاقةَ التقدميةَ.

ومع شعارِ الجهادِ رفعَ شعارَ (الدفاعِ عن المقدساتِ). لقد رفعَها قومٌ من قبلِه وكانوا خائبين. وقد كان من خبرِه وخبرِهم أن حاربَ أولئك القومَ ونازلَهم، وها هو الآن يدعو بدعوتِهم.

سبحانَ اللهِ ـ عبادَ الله ـ هل هو تواطؤ من أعداءِ هذا الدينِ في الداخلِ والخارجِ.. من أجلِ الصرفِ عن القضيةِ المقدسةِ الكُبرىٰ... قضيةِ بيتِ المقدس؛ ليستطيلوا على الحرمين الشريفين الآمنين. ولِيجعلُوهما مَضغةً في أفواهِهم، وملهاةً لمن يُصفِّقون من ورائِهم.

هل نداءُ المقدساتِ وحمايةُ الحرمين يستحقُّ أن يرفَعه من سرقَ دولةً، وفرَّق وَحدةً، وروَّع آمنين، وشرَّد مُسالمين.

أيُّ حرماتٍ محترمةٍ؟؟ وقد علم أهلُ الإسلامِ أن حرمةَ المسلمِ عند اللهِ ـ أعظمُ من حرمةِ هذا البيتِ المعظمِ، أم أنها يدٌ تُذَبَّحَ وفم يُسَبِّح.

معاشرَ الإخوةِ، لا يجوزُ أن يُتَّخَذَ الإسلامُ وشعائرُه وسيلةً لتُجفَّفَ بها الأيدي من دماءِ الأبرياءِ، ويُمررَ من خلالِها جرائمُ النهبِ والسرقةِ.. تلك الجرائمُ الصارخةُ التي أجمعَ أهلُ الأرضِ قاطبةً على استنكارِها.

أمامَ كلِّ هذا ـ أيها الإخوةُ ـ وبُعداً عن المزايدةِ في الشعاراتِ، وأمامَ الحقائقِ الناصعةِ، ومن أجلِ وضعِ الأمورِ في نصابِها وحفظاً للعهودِ والمواثيقِ والحرماتِ؛ فإن نُصرةَ المظلومِ متعينةٌ، والسعيَ في دفعِ الشرِ المتوقعِ متحتمٌ، وحمايةَ الحدودِ شيءٌ لازمٌ، وبخاصةٍ في مواجهةِ من تُخشىٰ خيانتُه، ولا يؤمنُ غدرُه.

وبناءً عليه فإن ما قامَ به وليُّ أمرِ هذه البلادِ ـ حفظه اللهُ ـ من الاستعدادِ بما استطاعَ من قوةٍ شيءٌ سائغٌ بل متعينٌ.. حفاظاً على العبادِ والبلادِ، وحمايةً للمقدساتِ وقاصدِيها، وحكمُه في دينِ اللهِ ظاهرٌ.

وأولُ عُدةٍ وخيرُ زادٍ أمامَ هذه الابتلاءاتِ تقوىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وصدقُ التعلقُ به. فمن يتقِ اللهَ يجعلْ له مخرجاً، ويرزقه من حيثُ لا يحتسبُ، ومن يتوكلْ على اللهِ فهو حسبُه، فاتقوا اللهَ حقَّ التقوى، وتوَّكلُوا عليه وأنيبوا إليه واستغفروه.

توجهوا إلى ربِّكم ـ رحمكم الله ـ واسألوه أن يكشفَ عن أمةِ الإسلامِ هذا البلاءِ ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢].

لا إله إلا أنتَ سبحانَك إنا كنا من الظالمين.

اللهم ربَّنا عزَّ جارُك، وجلَّ ثناؤُك، وتقدستْ أسماؤُك. اللهم لا يُردُّ أمرُك، ولا يهزمُ جندُك.. سبحانَك وبحمدِك، اللهم انصرْ جُندَك وأيِّدهم. اللهم آمنْ خوفَهم، واربطْ على قلوبِهم، واحفظْ دينَهم، وانصرْهم على عدوِّك وعدوِّهم.

ربنا اغفرْ لنا ذنوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا، وثبت أقدامنا وانصرْنا على القومِ الكافرينَ. اللهم إنا نعوذُ بكَ من جَهدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ. ونسألكُ خشيتكَ في الغيبِ والشهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، والقصدَ في الفقرِ والغنىٰ. وأحسنْ اللهمَّ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجرْنا من خزيِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ.. سبحانَك لا ملجأَ ولا منجا منكَ إلا إليك.

اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين، وفكَّ أسرَ المأسورين، وكنْ للأراملِ واليتامىٰ والمساكين، والمحصورين والمشردينِ.

اللهم ردَّ عنا كيدَ الكائدين، وعدوانَ الغاشمين، واقطعْ دابرَ الفسادِ والمفسدين.

سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عما يصفونَ، وسلامٌ على المرسلينِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

غـزو الكويت
بين الاحتراف في الإجرام والتضليل في الإعلام

الخطبة الثانية

الحمد للهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين. ولا عدوانَ إلا على الظالمين. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره. مزيلُ الهمِّ، وكاشفُ الغمِّ. مولى النعم، وصارفُ النقم. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشَهدُ أن سيدَنا ونبيَنا محمداً عبدُه ورسولُه. ذو الشرفِ الأسنىٰ، والخلقِ الأشمِّ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلَّمَ.

أما بعـدُ:

فيا عبادَ الله، إذا استحكمتْ الأزماتُ، وترادفتْ الضوائقُ؛ فلا مفزَع إلا إلى اللهِ، ولا مخرجَ إلا بالإيمانِ به ـ سبحانه ـ والتوكلِ عليه، وحسنِ الصبرِ فيه: هو النورُ العاصمُ من التخبطِ في الظُّلَمِ، والدرعُ الواقي من اليأسِ والقنوطِ في المدلَهِمِّ.

من آمنَ بالله، وعرفَ حقيقةَ دنياه، وطَّن نفسَه على احتمالِ المكارِه، وواجَه الأعباءَ مهما ثقُلتْ ، وحَسُنَ ظنُّه بربِّه وأمَّلَ فيه حُسنَ العواقبِ بقلبٍ لا تشوبُه ريبةٌ، ونفس لا تزعزعُها كربةٌ مستيقناً أن بوادرَ الصفا لابدَّ آتيةٌ ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والإنسانُ الجزوعُ له من سوءِ الطبعِ ما ينفِّرهُ من الصبرِ، ويضيقُ عليه مسالكَ الفرجِ.. فإذا ما نزلتْ به نازلةٌ، أو حلتْ به كارثةٌ.. ضاقتْ عليه الأرضُ بما رحُبتْ، وتعجَّلَ في الخروجِ، متعلقاً بما لا يضرُّه ولا ينفعُه، وضَعْفُ اليقينِ يصدُّ عن الحقِّ، ويُضلُّ عن الجادةِ.

وكذلك تفعلُ الشدائدُ بالأمم والجماعاتِ.. فلا يبقى صامداً إلا أصلبُها عوداً، وأقواها طبيعةً، وأشدُّها اتصالاً باللهِ، وثقةً فيما عنده من الحسنين: النصرِ والأجرِ.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ وآمنوا برسولِه يؤتكم كفلين من رحمتِه، ويجعلْ لكم نوراً تمشون به ويغفرْ لكم.

من وحي أحداث الكويت (جدال عن الظلم والظلمة)

الخطبة الأولى

الحمد للهِ قاصمِ الجبابرةِ قهراً، وكاسرِ الأكاسرةِ كسراً، وواعدِ المؤمنين من لدْنهَ نصراً. أحمد سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهاةً أرجوها عنده ذُخراً، وأشهده أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله. أعزَّ به بعد الذلةِ، وأغنى به بعد العَيْلَةِ، وجمع به بعد الفُرقةِ.. فعلتْ به أمته ذكراً، وشُرفتْ به قدراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فعليكم بتقوىٰ الله ـ عبادَ الله ـ فتقوىٰ اللهِ فيها المخرجُ من كلِّ ضيق، والنجاةُ من كلِّ كربٍ.

أيها الإخوةُ المسلمون، لقد تحولت أمةُ الإسلام في هذه الأعصارِ إلى كياناتِ مقطعةٍ، وقومياتٍ مشتتةٍ.. خربتْ فيها أفئدةٌ كثيرةٌ، وأخلدَ إلى الأرضِ جموعٌ متناثرة، في عواطفَ جياشةٍ، وأهواءَ موزعةٍ.

ولقد أسهمتْ مخططاتُ الأعداءِ في الداخلِ والخارجِ إسهاماً كبيراً.. في بثِّ بذورِ الفُرقةِ، وتعاهدِها بالسقي والرعايةِ. إن لهم

من المخططاتِ ما يفوقُ الوصفَ، ويعجَزُ عنه التعبيرُ. إنهم وراءَ كلِّ نكبةٍ نُكبتْ بها هذه الأمةُ.. إنهم يستميتون ليروها شِيعاً منحلَّةً، ودويلاتٍ متدابرةً.. يثورُ بينها النزاعُ، وتتسعُ فيها الشُّقةُ.

ومن أعظمِ مخططاتِهم.. أن يَجدُوا أو يُوجِدُوا زعامةً تكون طرفاً ناتئاً.. ذاتَ نفسيةٍ شاذةٍ.. ليستمكنوا منها، ويجذبوا الأمةَ كلَّها عن طريقِها. وإذا نجمتْ بوادرُ الفرقةِ رأيتَ المتربصين والانتهازيين يلتفون حولَ هذا الشاذِّ، وفي الحديثِ الصحيح.. «... **ومن خرجَ على أمتي، يضربُ بَرَّها وفاجرَها، ولا يتحَاشى من مؤمنِها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدَه، فليس مني ولست منه**»[1]. أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة.

والفتوقُ الشنعاءُ التي انهدتْ لها أركانُ الإسلامِ وأمةُ الإسلامِ. ما زالت تنْبعُ من هؤلاءِ الشذاذِ.

وممن يُنْظَمُ في سلكِ هؤلاء حاكمُ بغدادَ وظالمُها.

إنها زعامةٌ ما وصلَ إليها وأمثالُه، إلا على جماجمِ الخصوم، وجماجمِ الرفاقِ من بني وطنِه وجلدِته.. حماماتٌ من الدماءِ لا تنتهي.. مع استهانةٍ بالشعوبِ، وإرخاصٍ للنفوس، وإباداتٍ جماعيةٍ.. يقتّلون بكلِّ سلاحٍ حتى الجرثوميُّ منها والسامُّ. نهبٌ للأموالِ، وانتهاكٌ للأعراضِ، وخفرٌ للذممِ، وخيانةٌ للعهودِ.

إن هذا وأمثالَه يتلبَّسون بكلِّ لباسٍ، ويتمسحون بكلِّ مسوحٍ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٧٧ ـ ح١٨٤٨).

يحقِّقون أمجادَهم الذاتيةَ، وتطلعاتِهم الشخصيةَ باسمِ اللهِ وباسمِ الدينِ، وماضيهم وحاضرُهم أسْودُ كالحٌ. عبثوا بالمفاهيمِ والمصطلحاتِ حتى أدخلوها في قراراتِهم وأوامرِهم. تحدَّثَ عن الإسلامِ وانتسب إليه من لم يصلِّ للهِ ركعةً، وما عرَف إلى المسجدِ طريقاً، ولا غضَّ عن محرمٍ، ولا عفَّ عن محظورٍ.

بل إن ماضيَه في مصادرةِ أهلِ الإسلامِ، ووأدِ حركاتِه.. لماضٍ عريقٌ.

ثم يتحدَّثون عن المقدساتِ والمكتسباتِ والثرواتِ، وما ضيعَ كلَّ هذا إلا هم وأمثالُهم.

كيف يتباكىٰ على الدينِ من لا يرعىٰ له حرمةً، ولا يرعىٰ للأمةِ التي تعتصمُ به ذمةً.

إن الجبارَ الطاغيةَ يثقلُ به هواه فيُخْلِد إلى الأرضِ، وتجرُّه نوازعُه فينحدرُ إلى مكانٍ سحيقٍ. يقارنُ ذلك تكبرٌ واستعلاءٌ.. يُعمي عن سماعِ الحقِّ والانصياعِ له: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: ١٤٦].

إن صاحبَ الطغيانِ لا يُبالي في ارتكابِ الآثامِ، واقترافِ المظالمِ، بل إنه ليدوسُ كلَّ كرامةٍ، ويجتاحُ كلَّ خُلقٍ في سبيلِ إرضاءِ تطلعاتِه الآثمةِ.

والرائدُ في ذلك رئيسُ الظلمةِ وإمامُ الطغاةِ فرعونُ الغريقُ: ﴿... مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وقد تشبَّثَ فرعونُ بالإسلام تشبَّثَ الغريقِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩١] ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ [غافر: ٨٤ ـ ٨٥].

لقد عظُمَ البلاءُ أيها الإخوةُ، حتى نطقَ الأخرسُ، وتكلَّمتْ الرويبضةُ، وهاجمَ من لا يستطيعُ الدفاعَ عن نفسِهِ، وأمسىٰ من لا رأي له هو صاحبَ الرأيِ المقدَّمِ.

ووسَّعتْ كثيرٌ من الصحفِ، ووسائلِ الإعلامِ صدورَها للتافهين والثرثارين.. فكتبوا ولفظوا، وبئس ما قالوا وما كتبوا.

ولقد عظُم البلاءُ.. حتى تدحرجتْ جميعُ قضايا الأمةِ.. تحتِ أقدامِ اليهودِ، وما كسَبَ اليهودُ مثلَ ما كسَبوا من هذه الفتنةِ التي أثارهَا هذا الظالمُ الحاقدُ وشيعتُه، لقد كسَب اليهودُ مالاً وسياسةً وقوةً.

أيها الإخوةُ، إن هذه الجرأةَ على اللهِ، وعلى الناس لم تكن لتوجدَ لولا الممالأةُ، وتزيينُ الباطل، والجدالُ عن المبطلين.

إن الظالمَ لا يستمرىءُ الظلمَ ولا يستمرُّ فيه.. ما لم يكنْ له أعوانٌ من الناس.. يطمئنُّ بهم على حياته، وينفخونَ فيه حبَّ التسلطِ والقهرِ: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣] ومداهنةُ الظالمِ ومنافقتُه تشعرانِه بأنه مرغوبٌ فيه، وقد علمَ العقلاءُ أنه لايتقربُ إلى الظلمةِ إلا الانتهازيون والوصوليون. وما يجتمعُ

حول الظالم إلا عصاباتُ المجرمين والسفاحين، وأصحابُ الضمائرِ الخربةِ والذممِ الهالكةِ، وحينئذٍ يستفحلُ الشرُّ، ويعمُّ الطغيانُ، ويضيقُ المخرجُ، ويستعصي الخلاصُ.

لا شيءَ يؤنسُ الظالمَ، ويُذهبُ وحشتَه، ويُرضي غرورَه إلا تبعيةُ النفعيين، وبهرجةُ الغوغاءِ، وملَقُ المنافقين.

ويظهرُ بظهورِ الطاغيةِ طوائفُ من الجلادين.. قساةِ القلوبِ.. فاقدي المشاعرِ. لا يأتمرون إلا بأمرِه، ولا تتفتَّقُ لهم عبقريةٌ إلا في التعذيبِ والإيذاءِ وصبِّ ألوانِ النكالِ فوقَ الرؤوسِ. وهذه الطبقةُ تفوقُ الوحوشَ الضاريةَ في هتكِ الحرماتِ، وقهرِ النفوسِ، وإذلالِ العبادِ.

يصاحبُ ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ إهانةٌ للكلمةِ، وعبثٌ بالمصطلحاتِ.. في مقدرةٍ ماكرةٍ على قلبِ الحقائقِ، والتلاعبِ بالألفاظِ.. يتحولُ بها الظلمُ عدلاً، ونهبُ البلادِ، وتشريدُ أهلِها بطولةً ووطنيةً، والتدميرُ والإرهابُ وقتلُ الأبرياء جهاداً واستشهاداً، كافرُ الأمس يصبح مسلماً، والمسلمُ يصبح مرتداً، والشعوبُ المقهورةُ خلفَ هذه الكلماتِ الجوفاءِ تصفقُ وتهللُ.. مخدوعةً بالألفاظِ، موعودةً بالشعاراتِ، وكأنَّهم لم تمضِ عليهم تجاربُ، ولم تمرَّ بهم سنونَ عجافٌ.. عانوا فيها من أمثالِ هؤلاءِ الزعماءِ قبلَ الأعداءِ.

وحظٌّ كثيرٍ من وسائلِ الإعلامِ في بلادِ الإسلامِ في هذا وافرٌ.. تجادلُ عن الظالمين، وتشطُّ في التحليلاتِ والتعليقاتِ... يصاحبُ ذلك شائعاتٌ تُبثُّ، وتأويلاتٌ تُتعسفُ.. يُقصدُ منها

حملُ القارىءِ والمستمعِ على رأيٍ معينٍ، ولو كان مجافياً للحقِّ، بعيداً عن الصوابِ.

والتهاونُ في نقلِ الكلامِ، وبثِّ الأنباءِ، وبخاصةٍ في أجواءِ الفتنِ.. لا يقلُّ في محنتِه عن محنةِ الحربِ نفسِها.

إن محنةَ الشائعاتِ محنةٌ شديدةٌ.. تتولدُ في مستنقعاتِ الترويجِ، وتكُبرُ وتنمو في التعليقاتِ المشبوهةِ.. يُطلقُها لسانُ أجيرٌ، أو قلمٌ ضالٌّ، وقد يصاحبُ ذلك نوايا سيئةٌ، ومقاصدُ مدخولةٌ.. مُرادُها زعزعةُ النفوسِ الآمنةِ، ونزعُ الثقةِ من الصدورِ المطمئنةِ.

ومروِّجُ الأنباءِ الكاذبةِ يقترفُ إثماً عظيماً.. أوَّلُه إفكٌ، وأوسطُه فتنةٌ، وآخرُه شقاءُ البلادِ والعبادِ. «.. **ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً أو ليصمتْ**»[1]. متفق عليه من حديثِ أبي شريحٍ.

وكثيرٌ من أصحابِ القلوبِ الحاقدةِ لا يستريحون إلا إذا أَرْغَوا وأزبَدوا وآذَوْا وأفسدوا، ورُبَّ كلمةِ شرٍّ من هؤلاء تموتُ في مكانِها لو تُركتْ حيثُ قيلتْ. ولربَّ مقالةِ سوءٍ أيقظتْ فتنةً، وسَعَّرتْ حرباً؛ لأن غِراً من الأغرارِ نقلَها، أو حاقداً سيءَ الطويةِ أوَّلها ونفخَ فيها.. فأصبحتْ ناراً تنقلُ الويلاتِ، وتنشرُ الخطوبَ، وتُفزعُ الأمنينَ.

أيها الإخوةُ في الله، إن ذلكم هو سرُّ النزيفِ الدائمِ في جسدِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٦٠ ـ ح٦٠١٨)، ومسلم (١/ ٦٨ ـ ح٧٤).

هذه الأمةِ التي ضيعتْ انتماءَها، وعَبدَتْ الأشخاصَ، وخُدعت بالكلماتِ، وزُيِّفتَ لها الشعاراتُ.

إن الغدرَ التاريخيَّ، والعقوقَ المعلنَ على الأقربين والجيرانِ، وخيانةَ العهودِ، وخفرَ الذمم، ومماألأة الظالمين.. لا يمكنُ أن يمرَّ بدونِ عقابٍ إلٰهي، أو يُفَلتَ من قبضةِ الحَكَمِ العدلِ.

وليعلمْ الجنسُ العربيُّ .. أن الحقدَ والعنادَ والعُتُوَّ هو الميراثُ السيءُ من القبليةِ المقيتةِ، ولن تُمحىٰ هذه الأحقادُ إلا حينَ تُمحىٰ الفواصلُ والحواجزُ بالإسلامِ الجامعِ، ويتوحدُ التطلعُ إلى عقيدةِ التوحيدِ وشريعةِ الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

من وحي أحداث الكويت (جدال عن الظلم والظلمة)

الخطبة الثانية

الحمد للهِ فتح أبوابَ السعادةِ لمن شاءَ من عبادِه. أحمده سبحانه وأشكره منحَ أسبابَ الشهادةِ لمن اصطفاه وخصَّه بإسعادِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأنصارِه وأجنادِه.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ واعلموا أن أبوابَ الشهادةِ في الإسلامِ واسعةٌ.. ليست محصورةً في بابِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ. أخرج الإمامُ مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما تعدُّوه الشهيد فيكم؟**» قالوا يا رسولَ الله من قُتلَ في سبيلِ اللهِ فهو شهيد. قال: «**إن شهداءَ أمتي إذاً لقليلٌ**... »[1] الحديث.

والمسلمُ ـ أيها المسلمون ـ له عندَ الله حرمةٌ عظيمةٌ لا يجوزُ الاعتداءُ علَيه لا في نفسِه ولا مالِه ولا أهلِه، ولا يجوزُ إخراجُه من ديارِه بغيرِ حقٍّ. وإذا ما أرادَ معتدٍ تجاوزَ ذلك وإيذاءَ المسلمِ

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢١ ـ ح١٩١٥).

فله أن يدفعَ عن نفسِه، ويدافعَ حتى قال عبدُاللهِ بنُ المبارك: يقاتلُ من أجلِ مالِه ولو درهمين.

وفي التنزيل: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وإن ما ابتلى به أهلُ الجزيرةِ في هذه الأيام في الكويتِ ودولِ الخليج يحتمُ عليهم الوقوفَ من أجلِ حمايةِ الأنفسِ والأهلين والأعراضِ والديارِ. وقد أخرجَ مسلمٌ واللفظُ له وأحمدُ من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن جاءَ رجلٌ يريدُ أخذَ مالي؟ قال: «**فلا تعطِه مالك**». قال أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتلْه**». قال: أرأيتَ إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيدٌ**». قال: أرأيتُ إن قتلتُه؟ قال: «**هو في النارِ**»[1].

وفي البابِ أحاديثُ كثيرةٌ، وقد علَّق عليها الإمامُ الخطابيُّ ـ رحمه الله ـ تعليقاً دقيقاً فقال: قد ندبَ اللهُ سبحانه في غيرِ آيةٍ من كتابِه إلى التعرضِ للشهادةِ، وإذا سمىٰ رسولُ الله ﷺ هذا شهيداً؛ فقد دلَّ ذلك على أن من دافعَ عن مالِه أو عن أهلِه أو عن دينِه إذا أُريدَ على شيءٍ منها فأتى القتلُ عليه كان مأجوراً نائلاً به منازلَ الشهداءِ. قال: وقد كره قومٌ زعموا أن الواجبَ عليه أن يستسلمَ ولا يقاتلَ عن نفسِه، وذهبوا في ذلك إلى أحاديثَ رويتْ في تركِ القتالِ في الفتنِ وفي الخروجِ على الأئمةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٢٤ ـ ح١٤٠).

قال الخطابيُّ: وليس هذا من ذلك في شيءٍ؛ إنما جاء هذا في قتالِ اللصوصِ وقطاعِ الطريقِ، وأهلِ البغيِ والساعين في الأرضِ بالفسادِ، ومن دخلَ في معناهم من أهلِ العبثِ والإفسادِ؛ لأن في الانقيادِ لهم ظهورَ الفسادِ في الأرضِ، واجتراءَ أهلِ الطغيانِ على العدوانِ. انتهى كلامه رحمه الله.

وما ابتلى به أهلُ الجزيرةِ هو لصوصيةٌ وسطوٌ مسلحٌ وبغيٌ وسعيٌ في الأرضِ بالفسادِ.

فاتقوا اللهَ - رحمكم الله - والتمسوا طرقَ السعادةِ في أبوابِ الشهادةِ.

بعد اندحار العدوان (انقشاع الغمة والشكر على النعمة)

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ على كلِّ نعمةٍ، والشكرُ له على آلائه الجمةِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له.. كشفَ الكُربةَ، وأزالَ الغُمةَ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بعثَه في الأميين بالكتابِ والحكمةِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والقادةِ الأئمةِ، والتابعين ومن تبعِهم بإحسان.

أما بعدُ:

فيقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة: ١١].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إنها آيةٌ كريمةٌ من كتابِ اللهِ المعجزِ.. تُذَكِّرُ المؤمنين بما يُحاكُ لهم من كيدِ الأعداءِ، ومكرِ الماكرين.. فيأتي اللهُ بفضلِه ونعمتِه، ليحيطَ المؤمنين بعنايتِه وكلاءَتِه.

إنها منةٌ عُظمىٰ يجب على المؤمنِ معرفتُها واستيقانُها، وشكرُ اللهِ عليها.

إنه حفظٌ لأهلِ الحقِّ والإيمانِ، يحفظهم بحفظِه، ويُتمُّ عليهم نعمتَه، ويبلوهم أيُّهم أحسنُ عملاً.

وخُتمتْ الآيةُ بالوصيةِ بالتقوىٰ والتوكلِ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١] فهو سبحانه ـ هو الذي كفَّ أيدي هؤلاءِ القوم.. بعد ما حاولوا النيلَ من أهلِ الحقِّ. كفَّ أيديَهم فلم يستطيعوا بلوغَ ما هموا به.

اتقوا اللهَ الذي أراكم قدرتَه، وتوكلُّوا عليه وحدَه.. فقد رأيتم عنايتَه. اعملوا شكراً وارفعوا أيديَكم دعاءً وتَضرُّعاً، وارعوا سننَ اللهِ في اتقاءِ ما يُخشىٰ، وَمَنْ تنكبَ سننَ اللهِ وخالفَ شرَعه؛ فقد ابتعدَ عن التقوىٰ وصدقِ التوكل. جعلنا اللهُ وإياكم ممن وعىٰ نُذُرَه، وعقلَ أمرَه.

أيها الإخوةُ، اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم، والْهَجُوا بشكرِه وذكرِه، وأثنوا عليه بما هو أهلُه.

اللهم لك الحمدُ ربَّنا.. كما خلَقتنا ورزقتَنا، وهديتَنا وعلمتَنا، وأنقذَتنا، وفرَّجتَ عنا، لك الحمدُ بالإسلامِ والقرآنِ، ولك الحمدُ بالإهلِ والمالِ والمعافاةِ، كبتَّ عدوَّنا، وبسطْتَ رزقنَا، وأظهرتَ أمتَّنا، وجمعتَ فُرقتَنا، وثبتَّ أمننَا، وأحسنتَ معافاتَنا، ومن كلِّ ما سألناك ربَّنا أعطيتَنا، فلك الحمدُ على ذلك كثيراً، ولك الحمدُ بكلِّ نعمةٍ أنعمتَ بها علينا.. في قديمٍ وحديثٍ، أو سرٍّ وعلانيةٍ، أو خاصةٍ أو عامةٍ. أعطيتَ خيراً كثيراً، وصرفتَ شراً كثيراً.. فلوجهك الكريم الحمدُ كلُّه حتى ترضىٰ، ولك الحمدُ إذا رضيتَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

يا ربَّنا كم من نعمةٍ أنعمتها علينا قلَّ فيها شكرُنا، وكم بليةٍ ابتليتَنا بها قلَّ فيها صبرُا، فيا من قلَّ شكرُنا عند نِعَمِه فلم يحرمْنا، ويا من قلَّ صبرُنا عند بلائِه فلم يخذُلنا ، ويا من رآنا

على الذنوبِ فلم يفضحْنا، ولم يهتكْ سترَنا، وياذا المعروفِ الذي لا ينقضي، وياذا النعمةِ التى لا تَحُول ولا تزولُ. . اغفرْ لنا وارحمنا، وزدْنا ولا تنقصْنا، وأعطِنا ولا تحرمنا، وأكرمْنا ولا تُهنَّا، وصلِّ على نبيِّنا وآلِه.

ثم لِتعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن حقيقةَ الحمدِ والشكرِ للهِ ربِّ العالمين. . أن يُطاعَ أمرُه، وتجتنبَ معاصيه. . مع الحرصِ على مداومةِ ذكرِ النِّعم، وشدةِ الخوفِ من حلولِ النقم. . يصاحبُ ذلك حياءُ العبدِ من ربِّه كلَّما تذكرَ إحسانَه.

والشكرُ يظهرُ على اللسانِ اعترافاً وثناءً، وعلى القلبِ محبةً وخضوعاً، وعلى الجوارحِ انقياداً وطاعةً.

وفي كتابِ ربِّكم تأكيدٌ على أن الشكرَ هو مظهرُ العبادةِ الحقةِ ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤].

وقد علم عدوُّ اللهِ إبليسُ منزلةَ الشكرِ. . فانْصبَّ توعدُه لبني آدمَ بحرمانِهم من الشكرِ: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧].

معاشر الإخوةِ، إن فضلَ اللهِ لا يقفُ عند حدٍّ، ونعمتَه لا تقعُ تحت عدٍّ. نِعَمٌ تترىٰ، وفضلٌ يتوالىٰ، والبشرُ عاجزون عن بلوغِ حدِّ الشكرِ حتى قال بعضُ العلماءِ: أصبحَ بنا من نعمِ اللهِ ما لاَ نحصيه، مع كثرةِ ما نعصيه، فما ندري أيُّها نشكرُ؟ أجميلُ ما ظهرُ؟ أم قبيحُ ما ستر؟؟.

ماذا يملكُ الإنسانُ الضعيفُ، محدود القدراتِ، قليلُ الجهدِ. . أمامَ نعمٍ تغمرُه من فوقِه ومن تحتِه، وعن يمينِه

وشماله، وفي نفسه وما حولَه ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولكن من رحمةِ اللهِ وعظيم فضلِه.. أن يوفقَ عبدَه للشكرِ، يلهجُ به لسانُه، ويطمئنُ به قلبُه، وتقومُ به جوارحُه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥] ومن عظيم لطفِه ومزيدِ إحسانِه أن قرنَ بالشكرِ المزيدَ، فالشاكرون هم أهلُ الزيادةِ. وعدٌ من اللهِ حقٌ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ومن مأثورِ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ في ذلك: «إن النعمةَ موصولةٌ بالشكرِ، والشكرُ معلقٌ بالمزيدِ، وهما مقرونان جميعاً، فلن ينقطعَ المزيدُ من اللهِ.. حتى ينقطعَ الشكرُ من العبدِ».

ومع كلِّ هذا ـ أيها الأحبةُ ـ فإن كثرةً كاثرةً من البشرِ تذَهلُ عما يحيطُ بها ويكتنفُها من نعمِ اللهِ. تتقلبُ في خيراتِ اللهِ، وآلائِه غيرَ واعيةٍ لكثرتِها. أو محصيةٍ لعددِها، وغيرَ شاكرةٍ لمُسديها ومولِيها.

إن كثيراً من الناس يتقلبُ في نعمِ اللهِ، وكأنَّه يستردُّ حقاً له مسلوباً، أو ملكاً به خَاصاً. ومن ثمَّ فهو لا يرىٰ لأحدٍ فضلاً؛ بل إنه لربِّه لَكنودٌ، يعدِّدُ المصائبَ وينسىٰ النعمَ.

إن هناك أقواماً يتقلبون في نعمِ اللهِ، ويملئون أجوافَهم بالطعامِ والشرابِ، ويتدثَّرون باللباسِ والكساءِ. ثم يمضونَ لشأنِهم، وكأنَّهم لا يدرون أن للهِ عليهم حقاً. إنهم كالدوابِّ تدسُّ فمَها في مِزْوَدِها.. حتى إذا شبعتْ انصرفتْ، وهذا هو حسبُها.

أين هذا من هدي محمدٍ ﷺ ومسلكه، فهو الشاكرُ الذاكرُ يلهجُ بحمدِ ربِّه، ويشكرُ نعمةَ مولاه في عباراتٍ متعددةٍ، ومقاماتٍ متكاثرةٍ.. استمعوا إليه وهو يقولُ: «**إن الحمدُ لله الذي منَّ علينا وهدانا وأشبعنا وأروانا ومن كلِّ إحسانٍ آتانا**»[1]. إن هذه البشاشةَ المحمديةَ في استقبالِ النعمِ والاعترافِ بها، وشكرِ ربِّها العليِّ الأعلى ـ خيرُ سبيلٍ لاستبقائِها، والاستزادةِ منها.

هذا درسٌ من المحنةِ لنا أيها الإخوةُ. أما الدرسُ الآخرُ لإخواننا. فقد أفرزتْ هذه البليةُ إفرازاتٍ في بعضِ البلدان. حقٌّ على أمةِ الإسلامِ أن تراجعَ فيها حساباتِها. لقد زُعزعتْ الثقةُ في كثيرٍ من النفوسِ، واضطربتْ الأفكارُ في العقولِ، وتنامتْ الأحقادُ والضغائنُ، وتنازعتْ القلوبَ الأوهامُ والأهواءُ، أقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتلاومون.

وطريقُ الرجوعِ ورأبُ الصدوعِ.. في مراجعةِ الواقعِ، والصدقِ في المحاسبةِ، والإخلاصِ في النوايا.

فأربابُ الأقلامِ ورجالُ الإعلامِ، بأقلامِهم وألسنتِهم تُهدمُ عروشٌ وتُبنىٰ، وتنهارُ شعوبٌ وتحيا، وتُنْشَرُ الحقائقُ، أو تُطمرُ، يقون الأمةَ ـ إذا صدقوا ـ من سفهِ الجاهلين وكيدِ الحاقدين، ويجنِّبونَ الأكاذيبِ، وإيقاظَ الفتنِ، وخِداعَ العناوين.

طريقُ رأبِ الصدعِ بالرجوعِ الحقِّ إلى دينِ اللهِ، وارتفاعِ رايةِ

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٤٠١)، وفي سنده محمد بن الزعيزعة، قال عنه البخاري وأبوحاتم: منكر الحديث، وأورد الذهبي هذا الحديث من مناكيره.

الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، والحكمِ بين الناسِ بما أنزل الله، وإصلاحِ مناهجِ التربية والتعليم.

إن التخليَ عن هذا الدينِ، أو التشكيكَ فيه والانفصالَ عن دوحتِه المباركةِ، والتخلفَ عن ركابِ محمدٍ ﷺ خسارةٌ ما بعدها خسارةٌ، وفرقةٌ ما بعدها اجتماعٌ. إنها القاصمةُ والحالقةُ، لا يعوِّضُ عنها لباقةٌ أو كياسةٌ، ولا يجدي معها حِذقٌ في رطانةٍ أو براعةٍ في تقليدٍ. إنه التلاشي والاضمحلالُ، ثم الهلاكُ والفناءُ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

المقطوعونَ عن اللهِ لا تتجاوزُ نظرتُهم الحياةَ الدنيئةَ بمتعِها. لا يتجاوزُ تطلُّعهم حدودَ مآربِهم الشخصيةِ؛ بل لا يتورعون عن قتلٍ وختلٍ وإفكٍ وغشٍ. فرقتهم السياساتُ المشئومةُ، وتداعتْ عليهم الذئابُ المسعورةُ.

ولعمرُ اللهِ إنهم لن يزالوا كذلك حتى يُطَهَّرَ الإيمانُ قلوبَهم، ويعيدَ بناءَهم وتماسكَه، ويرصَّهم في ميادينِ الإصلاحِ والجهادِ والألفةِ أشرافاً كرماءً. لابد من الالتفافِ حولِ دينِ اللهِ.. مصدرِ العزةِ والكرامةِ، وحصنِ المنعةِ.. تضامنٌ في الإسلامِ يجمعُ الشملَ المبعثرَ، ويقمعُ العصبياتِ، وينبذُ الشعاراتِ.

فاتقوا الله ـ رحمكم الله ـ واشكروا نعمَ اللهِ، واتعظوا بعبر الزمنِ، وتقلباتِ المحنِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

بعد اندحار العدوان (انقشاع الغمة والشكر على النعمة)

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على ما أنعمَ وأسدىٰ، أحمده سبحانه، وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.. من ذنوبٍ لا تعدُّ ولا تحصىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أَعْظِمْ به رسولاً وأَكْرِمْ به عبداً. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عباد الله ـ، واعلموا أن العملَ الجدِّ لا يكونُ على تمامه، ولا يقومُ به صاحبُه على كمالِه، إلا حينَ يتهيأُ له تمامَ التهيؤَ فيستثيرُ في النفسِ همتَها، ويحدوه الشوقُ بمحبةٍ صادقةٍ ورغبةٍ مخلصةٍ، فاستثيروا همَمكم، وهيئوا أنفسَكم لاستقبالِ وافدٍ عظيمٍ، وزائرٍ كريمٍ. فإن بلوغِه وإدراكَه أمنيةٌ يتمناها المتعبدون، ويسألُها الصالحون: «اللهم باركْ لنا في رجبَ وشعبان وبلِّغنا في رمضان».

إن بلوغَ رمضانَ نعمةٌ كبرىٰ يقدِّرُها حقَّ قدرِها الصالحون المشمِّرون.

في شهرِ الصومِ تجديدٌ لِطَيْفِ الذكرياتِ، وعهودِ الطُّهرِ

والصفاءِ، والعفةِ والنقاءِ، تَرَفُّعٌ عن مزالقِ الإثمِ والخطيئةِ. إنه شهرُ الطاعاتِ بأنواعِها: صيامٌ وقيامٌ، جودٌ وقرآنٌ، صلواتٌ وإحسانٌ، تهجدٌ وتراويحٌ، وأذكارٌ وتسابيحٌ. له في نفوسُ الصالحين بهجةٌ، وفي قلوبِ المتعبدين فرحةٌ. وحسبُكم من فضائلِه أن أوَّله رحمةٌ، وأوسطَه مغفرةٌ، وآخرَه عتقٌ من النارِ. ولربَّ ساعةِ قبولٍ أدركتْ عبداً أحسنَ استقبالَ هذا الشهرِ فبلغ بها درجاتِ الرضا والرضوان.

فاتقوا اللهَ يرحمْكم اللهُ، وشمِّروا عن ساعدِ الجدِّ، واحفظوا أوقاتَكم، وانتهزوا أعمارَكم عسى ربُّكم أن يرحَمكم.

نعوت أهل الإيمان، وصفات عباد الرحمن

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ، خلقَ الإنسانَ فسواه وعدَله، وعلى كثيرٍ من الخلائقِ كرَّمه وفضَّلَه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بالحقِّ أرسله، وبخُلُق القرآنِ جَمَّله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأسوة الحسنة، والقدوةِ المفضَّلة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، فمن اتقىٰ الله وقاه، ومن اعتمد عليه كفاه.

أيها الإخوةُ المسلمون: كتابُ ربِّنا يهدي للتي هي أقومُ، حقٌ على كلِّ مسلمٍ أن يكونَ مع القرآنِ، تلاوةً وتدبراً وهدايةً وتطبيقاً.

القرآنُ الكريمُ وصفَ الحياةَ والأحياءَ، وكشفَ عن طبائعِ النفوس، وسننِ الكونِ. في القرآنِ الكريمِ الهدايةُ إلى النجدين، ووصفُ أحوالِ الفريقين، القرآنُ يأمرُ وينهى، ويعلِّمُ ويربي، يعظُ ويُذَكِّر، كلُّ ذلك من أجل الهدايةِ للتي هي أقومُ. وحين سُئلتْ

عائشةُ رضي الله عنها عن خلقِ النبيِّ ﷺ أجابت: كان خلقُه القرآنَ، ثم قرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

معاشرَ الأحبةِ: وهذه وقفةٌ مع كتابِ اللهِ في أخلاقِ أهلِ الإيمانِ، وأوصافِ عبادِ الرحمنِ، أولي الألبابِ الصادقينِ، والأبرارِ المتقينِ. صفوةِ الخلقِ، وخلاصةِ البشرِ.

صفاتٌ تجمعُ أصولَ الاعتقادِ، وتكاليفَ النفسِ، وحقوقَ المجتمعِ، تجمعُها في وحدةٍ واحدةٍ، وكلٌّ لا يتجزأُ، وعُرًى لا تنفصمُ، صفاتٌ عاليةٌ، ونعوتٌ جليلةٌ، يتطلعُ إليها أصحابُ الهممِ الكبرىٰ، والعزمِ الماضي. يستعينون باللهِ ولا يعجزون؛ لأن اللهَ يهبُ المعونةَ على قدرِ المؤونةِ، ويمنحُ التوفيقَ على قدرِ العزيمةِ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] صفاتٌ تُطهِّرُ القلوبَ، وتُزكِّي النفوسَ، وتُنَقِّي الضمائرَ، وتقي من الانحرافِ والفسادِ. أولُ هذه الصفاتِ نوعٌ متعلقٌ بأنفسِهم، وصلتِهم بربِّهم، فهم المؤمنون أهلُ التوحيد، ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] وأظهرُ مظاهرِهم الصلاةُ، فهم على صلاتِهم دائمون، وعليها يحافظون، وفيها خاشعون. خشوعٌ وخضوعٌ وذكرٌ وتذللٌ وخوفٌ ورهبةٌ: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾ [الفرقان: ٧٣] بل هم في عبادةٍ وتبتلٍ، ليلُهم بالتهجدِ معمورٌ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤] ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧] يملأُ

جوانحَهم خوفٌ رهيبٌ بسببِ الإيمانِ العميقِ، والتصديقِ الدقيقِ: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

وأهلُ الإيمانِ وعبادُ الرحمن كما يحفظون حقَّ ربِّهم، فإنهم يحفظون حقَّ أمتِهم وإخوانِهم، يؤدون الحقَّ المعلومَ للسائلِ والمحروم، وهم للزكاةِ فاعلون و﴿إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧] يؤتون المالَ على حبِّه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكينَ وابن السبيل والسائلين وفي الرقابِ، إسعافٌ للسائلِ من العوزِ، ونجدةٌ لابن السبيلِ المنقطعِ، فالمسلمون أهلُه، وبلادُ اللهِ وطنُه.

صورٌ من التكافلِ مع ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكينِ وابنِ السبيل، ترابطٌ بين الأقوياءِ والضعفاءِ، والصغارِ والكبارِ.

مؤمنون متقون، قلوبُهم من الشحِّ طاهرةٌ، ومن ربقةِ الحرصِ منعتقةٌ، ومن الأثَرَةِ بريئةٌ، فما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقىٰ. تأمينٌ اجتماعيٌّ للأفرادِ والجماعةِ، ووقايةٌ لأهلِ الإسلامِ من التفككِ والانحلالِ. إنهم بُرءاءُ من عبوديةٍ تَستذِلُّ النفوسَ، وتُنكِّسُ الرؤوسَ، وتُذِلُّ أعناقَ الرجالِ.

أهلُ الحقِّ والإيمانِ قائمون بمسئولياتِهم على وجهها من الودائعِ والعقودِ والنذورِ والعهودِ ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المعارج: ٣٢] يراعونها من جهةِ الحقِّ، ومن جهةِ الخلقِ، من غير غشٍ ولا خيانةٍ، لا في الصنائعِ، ولا في المعاملاتِ، لا يأتون الزورَ ولا يشهدونَ

مجالَسه ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

في صفاتِهم الكريمةِ السلوكُ النزيهُ، والطهارةُ الأُسريةُ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩﴾ [المعارج: ٢٩] قلوبُهم وأبصارُهم محفوظةٌ من التطلعِ إلى المحرَّم، وشهواتُهم ساميةٌ عن الانطلاقِ بغير حسابٍ، وآمنةٌ من فسادِ البيوتِ، والأنسابِ، لا يخرِقون ثوبَ العفافِ، ولا يسلكون دربَ الخنا، حياتُهم عاليةٌ غيرُ هابطة، نظيفةٌ غيرُ قذرةٍ: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] تحكمٌ إيمانيٌّ في الإرادةِ يكبَحُ جماحَ أهوائِها، وتستعلي به على رغباتِها، وتنتظمُ فيها دوافعُ الفطرةِ وغرائزُها، في صورٍ مثمرةٍ وسلوكٍ نظيفٍ: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المعارج: ٣٠] ذلك أن مَنْ كان عبدَ نفسِه وشهوتِه فهو عبدٌ للناس، والذين تحرروا من شهواتِهم فهم أحرارُ الرؤوسِ والنفوسِ، وكيف لا يكون ذلك لأهلِ الإيمانِ والتقىٰ، وهم الصابرونَ في البأساءِ والضراءِ وحين البأسِ، لا تنهارُ نفوسُهم جزَعاً أمامَ أيِّ كريهةٍ، أو تذهبُ أنفسُهم حسراتٍ في أيِّ فاجعةٍ، أصحابُ تحمُّلٍ وتجملٍ، وثباتٍ وتماسكٍ حتى تنقشعَ الغاشيةُ، وتهدأَ العاصفةُ، ويجعلَ اللهُ بعد عسر يسرا. إنهم حين البأسِ والجهادِ: صُبُرٌ عند اللقاءِ، صُدُقٌ عند الإقدامِ ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الحجرات: ١٥] متهيئونَ لمشاقِّ الطرقِ، ووعثاءِ الدروبِ.

أما ما يقابُلهم في هذه الحياةِ من تطاوُلِ الأقزامِ، وسفَهِ الجهلاءِ فإنهم لا يلتفتون إلى حماقاتٍ، ولا يكترثون بنزواتٍ، ويترفَّعون عن المهاتراتِ، صيانةً للوقتِ والجهدِ والوجهِ، مما لا يليقُ بالكرامِ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]

مُعْرِضون عن اللغوِ بألوانه، لغوِ الأقوالِ، ولغوِ الأفعالِ، ولغوِ الفكرِ والنظرِ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢] فلا هزلَ ولا لعبَ، ولا صرفَ للأوقاتِ فيما لا ينفعُ، إن عندَهم من نبيلِ الصفاتِ مايكفي لملءِ حياتِهم، واستغراقِ جهودِهم وأعمارِهم، إنهم يدركون أن الوقتَ إذا لم يُنفقْ ويصرفْ فيما يُصلحُ الحياةُ، ويقوِّمُ السلوكَ، فإنما هو إنفاقٌ في الهزلِ واللغوِ واللهوِ. حياةٌ جادةٌ، وحقوقٌ محفوظةٌ، ومسئولياتٌ مرعيةٌ.

ويتحركُ عندِ هؤلاءِ الأخيارِ ـ أيها الإخوةُ ـ شعورٌ بالمسئوليةِ مع داعي الفطرةِ، وحنانِ الأبوةِ والأمومةِ، ومودةِ الزوجيةِ، فيتوجهون إلى مولاهم بهذا الدعاءِ الحاني: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] إنها المحبةُ للأهلِ والذريةِ، والوقايةُ لهم من سخطِ اللهِ، والرغبةُ في زيادةِ السالكين دروبَ الخيرِ، إنه شعورٌ تامٌ بالمسئوليةِ، فالأقربون أشدُّ تبعةً وأعظمُ أمانةً: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] همةٌ عاليةٌ، غير متعلقةٍ بأغراضٍ دنيةٍ، وهو مطلبٌ عظيمٌ يتوجهون به إلى ربِّهم؛ ليكونوا قدوةً خَيِّرَةً للأخيارِ، يأتمُّ بهم السائرون إلى اللهِ من المتقينَ الأبرارِ.

أيها الإخوةُ، أولئك هم المفلحون المؤمنون، أفراداً وأمةً، دنيا وأخرىٰ، لهم الفلاحُ والخيرُ، والنصرُ والسعادةُ، والتوفيقُ والمتاعُ الحسنُ. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٤] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿أُولَٰئِكَ

﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٧٥ ـ ٧٦]. جعلنا الله وإياكم منهم، وأصلحَ أعمالنا وأعمالَكم، وأنفسَنا وأنفسَكم، والأهلينَ والذريةَ، إنه جوادٌ كريمٌ.

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

نعوت أهل الإيمان، وصفات عباد الرحمن

الخطبة الثانية

الحمدُ لله يهدي إلى الحقِّ، وإلى طريقٍ مستقيم، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وهو العليمُ الحكيمُ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ذو النعتِ الأكملِ، والخلقِ الكريم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، اقتفوا أثرَ نَبيِّهم، واقتدوا بهديه، ففازوا بالرضوانِ والنعيمِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

معاشرَ الإخوةُ: فحسبُ المتطلعِ لهذه الصفاتِ الكريمةِ، والراغبِ في هذه النعوبِ الجليلةِ أنَ يوطِّنَ العزمَ على اجتنابِ المذموم، ويروِّضَ النفسَ على الاستمساكِ بالمحمودِ، فيكون قويَّ الأملِ بعيدَ اليأس، يأخذُ نفسَه بالاجتهادِ والمجاهدةِ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فإن ضعفتْ نفسُه يوماً عن قيام الليلِ فلينظرْ في قولِ بعضِ السلفِ: طوبىٰ لمن رقدَ إذا نعسَ، واتقىٰ اللهَ إذا استيقظَ. وإن ألمَّ بذنب، أو زلَّتْ به قدمٌ فليسارعْ إلى نهرِ التوبةِ، وليبادرْ إلى الندم، ويتجنبْ الإصرارَ فإن من صفاتِ المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥] وبابُ التوبةِ مفتوحٌ،

يدخلُ منه كلُّ من استيقظ قلبُه، فحاسبَ نفسَه، وأدركَ سعةَ رحمةَ ربِّه، وفيضِ عطائِه، حتى إنه سبحانه يبدِّلُ سيئاتِه حسناتٍ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧٠ ـ ٧١].

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، واتصفوا بصفاتِ المؤمنينِ والمتقينِ وأولي الألبابِ وعبادِ الرحمن.

حقـوق الطـريق وآدابـه

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينُه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. ذوي القدرِ العليِّ، والشرفِ الكبيرِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها الناسَ ـ وعظموا أمرَه، واشكروا نِعمَه. وأعظمُ هذه النعم وأجلُّها.. الهدايةُ لهذا الدينِ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن شرائعَ الإسلام استوعبتْ شتىٰ جوانبِ الحياةِ وشئونِها. وانتظمتْ كلَّ ما يعرِضُ للمرءِ من مهدِه إلى لحدِه.

إن الدينَ الذي يبني أمةً ذاتَ رسالةٍ لتبقىٰ قائدةً رائدةً.. صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ـ إن ديناً هذا شأنُه لا يدعُ مجالاً في

السلوكِ العامِّ، أو السلوكِ الخاصِّ، إلا وجاءً فيه بأمرِ السدادِ.

ومن هنا فلا غروَ أن تدخلَ توجيهاتُ الإسلامِ وأحكامُ الشريعةِ في تنظيمِ المجتمعِ، في دقيقِه وجليلِه، في أفرادِه ومجموعِه، وفي شأنِه كلِّه. ولا تزالُ مدوناتُ أهلِ الإسلامِ في الفقهِ والأخلاقِ مشحونةً بالحِكَمِ والأحكامِ في فكرٍ أصيلٍ، ونظرٍ عميقٍ، واستبحارٍ في فهمِ الحياةِ، وشئونِ الإنسانِ، وسياسةِ المجتمعِ، مع نماذجَ حيةٍ وسيرٍ فذةٍ، وتطبيقاتٍ جليةٍ طوالِ تاريخِ الأمةِ المجيدِ.

وإن مما يظهرُ فيه شمولُ هذا الدين، وجلاءُ حِكَمِه وأحكامِه، ما أوضحه الكتابُ والسنةُ وآثارُ الأئمةِ.. من آدابِ الطريقِ، ومجالسِ الأسواقِ، وحقوقِ المارَّةِ، وأدبِ الجماعةِ... جاء في محكم التنزيلِ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥] ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٦ ـ ٣٨].

وفي السنةِ المطهرةِ من حديث أبي سعيدٍ الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إياكم والجلوسَ في الطرقاتِ**» قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدثُ فيها، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلسَ فإعطوا الطريقَ حقَّه**» قالوا: وما حقُّه؟ قال: «**غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذىٰ، وردُّ السلامِ، والأمرُ**

بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ»[1] . متفقٌ عليه واللفظ لمسلمٍ.

وفي حديثٍ أخرجه الترمذيُّ والبخاريُّ في الأدبِ المفردِ وابنُ حبانَ عدَّ النبيُّ ﷺ من أبوابِ الخيرِ: «**تبسُّمُك في وجه أخيك لك صدقةٌ وأمرُك بالمعروفِ ونهيُك عن المنكرِ صدقةٌ، وإرشادُك الرجلَ في أرضِ الضلالِ لك صدقةٌ، وبصرُك الرجلَ الرديءَ البصرِ لك صدقةٌ، وإماطتُك الحجرَ والشوكةَ والعظمَ عن الطريقِ لك صدقةٌ، وإفراغُك من دلوِك في دلوِ أخيك لك صدقةٌ**»[2].

إن مصادرَ الشريعةِ الموثوقةَ قد طفحَتْ بأمثالِ هذه النصوصِ مؤكدةً هذه الحقوقَ، ومرشدةً إلى هذه الآدابِ.

فعبادُ الرحمن: هم خلاصةُ البشرِ.. يمشون في الطريقِ هَوْناً، لا تصنُّعَ ولا تكلُّفَ، ولا كِبْرَ ولا خيلاءَ، مشيةٌ تعبِّرُ عن شخصيةٍ متزنةٍ، ونفسٍ سويةٍ مطمئنةٍ.. تظهرُ صفاتُها في مِشيةِ صاحبِها. وقارٌ سكينةٌ، وجدٌّ وقوةٌ.. من غيرِ تماوتٍ أو مذلةٍ.. تأسياً بالقدوةِ الأولىٰ محمدٍ ﷺ فهو غيرُ صخَّابٍ في الأسواقِ حين يمشي يتكفأُ تكفياً، أسرعُ الناسِ مشيةً وأحسنُها وأسكنُها.. هكذا وصفه الواصفون، تلك هي مشيةُ أولي العزمِ والهمةِ والشجاعةِ.. يمضي إلى قصدِه في انطلاقٍ واستقامةٍ.. لايُصعِّرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٣٤ ـ ح٢٤٦٥)، ومسلم (٣/ ١٦٧٥ ـ ح٢١٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٩٩ ـ ح١٩٥٦) وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان انظر الاحسان (٢/ ٢٨٧ ـ ح٥٢٩)، والبخاري في الأدبِ المفرد (ص٣٨٨ ـ ح٨٩١)، وللحديث طرق أخرى ترقى به إلى مرتبة الحسن منها ما أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٦٨).

خدَّه استكباراً، ولا يمشي في الأرض مرحاً. لا خفقَ بالنعالِ، ولا ضربَ بالأقدامِ، لا يقصدُ إلى مزاحمةٍ، ولا سوءَ أدبٍ في الممازحةِ، يحترمُ نفسَه في أدبٍ جمٍ، وخلقٍ عالٍ.. لا يسيرُ سيرَ الجبارين، ولا يضطربُ في خفةِ الجاهلينَ. إنه المشيُ الهَوْنُ المناسبُ للرحمةِ في عبادِ الرحمنِ، وحين يكونُ السيرُ مع الرفاقِ فلا يتقدمُ من أجلِ أن يسيرَ الناسُ خلفَه، ولا يركبُ ليمشي غيرُه راجلاً.

أما غضُّ الصوتِ وخفضُه.. فهو من سيما أصحابِ الخلقِ الرفيعِ، وذلك في الطريقِ، وأدبِ الحديثِ أولىٰ وأحرىٰ. إنه عنوانُ الثقةِ بالنفسِ، وصدقِ الحديثِ، وقوةِ الحجةِ.. يصاحبُ ذلك حِلمٌ وصفحٌ، وإعراضٌ عن البذاءِ من القولِ، والفحشِ من الحديثِ.. تجنباً لحماقةِ الحمقىٰ، وسفاهةِ السفهاء.

ولا يرفعُ صوتَه من غيرِ حاجةٍ.. إلا سيءُ الأدبِ.. ضعيفُ الحجةِ.. يريدُ إخفاءَ رعونتِه بالحدِّةِ من الصوتِ، والغليظِ من القولِ.

يُضمُّ إلى ذلك أيها الإخوةُ، غضُّ البصرَ، فذلك حقٌّ لأهلِ الطريقِ من المارةِ والجالسين.. تُحفظُ حرماتُهم وعوراتُهم.. فالنظرُ بريدُ الخطايا، وإنك لترىٰ في الطرقاتِ والأسواقِ من يُرسلُ بصرَه محمَّلاً ببواعثِ الفتنةِ، ودواعي الشهوةِ، وقد يُتبعُ ذلك بكلماتٍ وإشاراتٍ قاتلةٍ للدينِ والحياءِ.. مسقطةٍ للمروءةِ والعفافِ.

وكفُّ الأذىٰ عن الطريقِ من أبرزِ الحقوق. والأذىٰ كلمةٌ

جامعةٌ لكلِّ ما يؤذي المسلمين من قولٍ وعملٍ، يقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لقد رأيتُ رجلاً يتقلبُّ في الجنةِ في شجرةٍ قطعَها من ظهرِ الطريقِ كانت تؤذي الناسَ**»(١).

وحينما طلبَ أبوبَرزةَ ـ رضي الله عنه ـ من رسولِ اللهِ ﷺ أن يعلِّمَه شيئاً ينتفعُ به قال: «**اعزلْ الأذىٰ عن طريقِ المسلمين**»(٢).

وفي خبرٍ آخر: «**بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجدَ غصنَ شوكٍ على الطريقِ، فأخَّرَه؛ فشكرَ اللهُ له؛ فغفرَ له**»(٣).

أخرجَ ذلك كلَّه مسلمٌ في صحيحِه رحمه اللهُ.

وإذا كان هذا الثوابُ العظيمُ لمن يكفُّ الأذىٰ، فكيف تكون العقوبةُ لمن يتعمَّدُ إيذاءَ الناسِ في طرقاتِهم ومجالسِهم، ويجلبُ المستقذراتِ، وينشرُ المخلفاتِ في متنزهاتِهم، وأماكن استظلالِهم.

أخرجَ الطبرانيُّ من حديثِ حذيفةَ بن أُسيدٍ ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «**من آذى المسلمينَ في طرُقِهم؛ وجبتْ عليه لعنتُهم**»(٤) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي حديث أبي هريرةَ عند مسلم: «**اتقوا اللعَّانَيْنِ**»قالوا: وما اللعَّانانِ يا رسولَ اللهِ؟قال: «**الذي يتخلىٰ في طريقِ الناسِ أوفي ظلِّهم**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢١ ـ ح١٩١٤).
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢١ ـ ح٢٦١٨).
(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢١ ـ ح١٩١٤).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٧٨ ـ ح٣٠٥٠) وحسنه الهيثمي في المجمع (١/ ٢٠٤).
(٥) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٦ ـ ح٢٦٩).

أما إفشاءُ السلام ـ أيها الإخوةُ ـ ابتداءً ورداً؛ فأدبٌ كريمٌ.. يتخلقُ به أبناءُ الإسلام، وحقٌ يحفظونَه لإخوانِهم، يغرسُ المحبةَ، ويزرعُ الألفةَ، ويغسلُ الأحقادَ، ويزيلُ الإحنَ، ويُستَجْلبُ به رضا اللهِ وغفرانُه، وفي الحديثِ: «**لا تدخلوا الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدُلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلامَ بينكم**»[1] رواه مسلمٌ من حديثِ أبي هريرةَ.

والجامعُ لهذه الآدابِ والحقوقِ ـ أيها المسلمون ـ هي تلك الكلمةُ الجامعةُ المانعةُ: (الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ) يدخلُ في ذلك ما شئتَ من مكارمِ الأخلاقِ والآدابِ والمروءاتِ.

فالحِملُ الثقيلُ ينوءُ به صاحبُه فتعينُه عليه.

تهدي ابنَ السبيلِ الضالَّ بعبارةٍ ملؤُها الأدبُ، وإشارةٍ كلُّها لطفٌ ورِقَّةٌ.. من غيرِ فظاظةٍ ولا مَلالٍ، لا تقولُ هجراً ولا تنطقُ فُحشاً، والبشاشةُ والتبسمُ في وجه أخيك من الصدقاتِ.

تعينُ صاحبَ المتاعِ في حَملِ متاعِه ورفعِه ووضعِه، وإن كنتَ تحملُ شيئاً فاحترسْ أن تصيبَ أحداً بأذىً. تفضُّ النزاعَ بين المتخاصمين، وتُصلحُ ذاتَ البينِ، وتحفظُ اللقطةَ، وتدلُّ على الضالةِ.. تعينُ على ردِّ الحقوقِ لأصحابِها، والذبِّ عن أعراضِ المسلمين، والأخذِ على أيدي الظالمين، ونصرةِ المظلومين.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤ ـ ح٥٤).

لا تتعرضُ لأحدٍ بمكروه، ولا تذكرُ أحداً بسوءٍ، لا تهزأُ بالمارةِ، ولا تسخرُ من العابرين.. لا تُشِرْ ببنانٍ، لا تستطلْ بلسانٍ، لا تحتقرْ صغيراً، ولا تهزأْ من ذي عاهةٍ. وإياكَ والجلوسَ في مضايقِ الطريقِ وملتقىٰ الأبوابِ ومواطنِ الزحامِ، ويتأكدُ ذلك أثناءَ قيادةِ المركباتِ بأنواعِها.. مع حفظٍ تامٍ لحقوقِ المشاةِ والراكبين والقاعدين، وإهمالُ ذلك يصيبُ المسلمينَ بفسادٍ عريضٍ.

أمةَ الأدبِ والخُلقُ: إن من الناسِ من يتخذون من الطرقِ وأماكنِ البيعِ.. مقاعدَ وأنديةً ينشرونَ الأرائك والفُرُشَ ليتتبعوا العوراتِ، ويمزقوا الأعراضَ، ويُحرجوا أهلَ الأدبِ والمروءةِ.. فضوليون يدسُّون أنوفَهم فيما لا يعنيهم.

يتناولون السابلةَ غمزاً بالأبصار، وطعناً باللسان: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القلم: ١١ ـ ١٤].

إنه لا يحلُّ لهؤلاءِ أن يجعلوا أماكنَهم أوكاراً تمتدُّ منها النظراتُ المحرمةُ، وطريقاً إلى الرذيلةِ والمقابلاتِ المريبةِ. وقد وردَ في الخبرِ أن النبي ﷺ سُئل عن قوله تعالىٰ: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] فقال: «**كانوا يحذفون أهلَ الطريقِ ـ أي: يرمونَهم بالحجارة ـ ويسخرون منهم، فذاك المنكرَ الذي كانوا يأتون**»[1]، ذكره أحمدُ من حديثِ أمِّ هانىء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٩ ـ ح٣١٩٠) وقال: حديث حسن، وأحمد (٦/ ٣٤١) واللفظ له.

وإن أمثال هذه المجالس. يترفعُ الفضلاءُ وذوو المروءاتِ عن المرورِ بها.. فضلاً عن الجلوسِ فيها.. تلك أسواقٌ لا يرتادُها إلا الأراذلُ من الناسِ.. الذين لا يتحرجون من البَذَاءِ ولا يعرفون الاحتشامَ.

أيها المسلمون: إن من لم يعطِ الطريقَ حقَّه يُتْبِعْ نفسَه هواها، ويريدُ أن يملأَ عينه بمناها، فيذلُّ بعدَ عزٍّ ويفسقُ بعد عفةٍ، وينحدرُ بعد الكمالِ. إن هذه المواطنَ إن لم تُرْعَ فيها آدابُ الإسلام؛ فهي مرتعٌ خصيبٌ للغيبةِ والنميمةِ والسخريةِ والكذبِ والإفكِ المبينِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

[لقمان: ١٧ ـ ١٩].

حقـوق الطـريق وآدابـه

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على ما منح من الإنعامِ وأسدى. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره من خطايا وذنوبٍ لا تُحصىٰ عداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أعظِمْ به رسولاً وأكرِمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كانوا أمثلَ طريقةً وأقومَ وأهدى، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ واعلموا أن من أَوْلىٰ الآدابِ وأَكرمِ الأعمالِ الاشتغالَ بذكرِ اللهِ كثيراً. ففيه الانبعاثُ على الخيراتِ، والعونُ على الطاعاتِ، والقيامُ بالحقوقِ، وحفظُ النفسِ من الشيطانِ.

جاء في حديثٍ عند الترمذي وصححه واللفظ له، وأبي داود وغيرِه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**من قال ـ يعني: إذا خَرج من بيتِه ـ بسمِ اللهِ، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قـوةَ إلا بـاللهِ، يقـال لـه: كُفيـتَ ووقيـتَ، وتنحـىٰ عنـه الشيطانُ**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٥ ـ ح٣٤٢٦) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأبوداود (٤/ ٣٢٥ ـ ح٥٠٩٥) وابن حبان انظر الاحسان (٣/ ١٠٤ ـ ح٨٢٢) وله شواهد يتقوى بمجموعها.

ولا ينبغي أن يغفلَ المسلمُ عن الدعاءِ المأثورِ عند خروجه من منزله: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أَضلَّ أو أُضَلَّ أو أزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَم أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ**»[1] راوه الأربعةُ، واللفظ لأبي داود.

والمرأةُ إن احتاجتْ إلى الخروجِ، فتخرجُ محتشمةً في لباسِها، حييةً في مشيتِها، بعيدةً عن حركاتِ الريبةِ، ومواضعِ التهم، غيرَ متعطرةٍ ولا متلفِّتةٍ، سريعةَ العودةِ إلى منزلِها، بعد انقضاءِ حاجتِها ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون والمسلمات ـ والتزموا بآدابِ دينِكم، واحفظوا حقوقَ إخوانِكم.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٣٢٥ ـ ح٥٠٩٤) واللفظ له، والترمذي (٥/ ٤٥٧ ـ ح٣٤٢٧) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ٢٦٨ ـ ح٥٤٨٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٨ ـ ح٣٨٨٤).

مباحثات السلام (بين اليأس والأمل)

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونستهديه ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، يقلبُ الليلَ والنهارَ، بيده تصريفُ الأمورِ ومجرياتُ الأقدارِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الواحدُ القهارُ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صبرَ وصابرَ، وجاهدَ وكابدَ؛ حتى أعلى اللهُ به المنارَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه من المهاجرين والأنصارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فتقوىٰ اللهِ فيها الفرجُ والمخرجُ وصلاحُ الحالِ والمآلِ.

عبادَ الله: في تعاقبِ الشدةِ والرخاءِ، والعسرِ واليسرِ؛ كشفٌ عن معادنِ النفوسِ، وطبائعِ القلوبِ، ما بين غَبَشٍ وصفاءٍ، وهَلَعٍ وصبرٍ، وثقةٍ وقُنوطٍ، فـي تقلبـاتِ الـدهـرِ، وتنـوعِ الأحـداثِ يتمحصُ المؤمنون، وينكشفُ الزائفون، وتتجلىٰ دخائلُ النفوسِ ومكنوناتُ الصدورِ، ومن دَرىٰ حكمةَ اللهِ في تصريفِ الأمورِ، وجريانِ الأقدارِ؛ لن يجدَ اليأسُ إلى قلبه سبيلاً، مهما أظلمتْ المسـالـكُ، وقسَـتْ الحـوادثُ، وتـوالـتْ العقبـاتُ، وتكـاثـرتْ

النكباتُ، فالإنسانُ إلى ربِّه راجعٌ، والمؤمنُ بإيمانِه مستمسكٌ، وبأقدارِ اللهِ مسلِّمٌ، وعلى سُننه جارٍ، وإن شرَّ ما مُنيتْ به النفوسُ يأسٌ يميتُ القلوبَ، وقُنوطٌ تُظلمُ به الدنيا وتتحطمُ معه الآمالُ. اليأسُ قرينُ الكفرِ، والقنوطُ بريدُ الضلالِ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦].

ولقد عَلِمَ أولو الأبصارِ والألبابِ أن الهمومَ والمحنَ لا يُقصِّرُها شدةُ الجزعِ، ولا يزيدُ في طولِها قوةُ الصبرِ والجلدِ.

أيها الإخوةُ، وإن تقلباتِ الدنيا في سرائِها وضرائِها، ومدِّها وجَزْرِها، ليست حكراً على قومٍ دون قومٍ، أو أمةٍ دون أمةٍ، أو فردٍ دون فردٍ، ولكنها سنةُ اللهِ في ابتلاءِ أهلِ هذه الدنيا: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

غيرُ أن قلبَ العبدِ إذا تجردَ من الإيمانِ، أو ضَعُفَ عنده وازعُ الإسلامِ؛ جَزِعَ للشرِّ وتألَّمَ، ودعا بالويلِ والثبورِ وتبرَّمَ، يحسبُ أن الشرَّ دائمٌ لا يُكشفُ، يستبعدُ الفرجَ، ويمزِّقُه الهلعُ. وإذا أصابَه خيرٌ أرجعه إلى عِلمِه وكسبِه، فمنع غيرَه، وحبَسه على نفسِه، وتلك صورٌ لابنِ آدمَ بائسةٌ، حين يكونُ محصوراً بين يأسٍ وقنوطٍ، وطمعٍ وهَلعٍ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٢].

أما من عُمِرَ بالإيمان قلبُه، واطمأنتْ به نفسُه؛ استقامَ أمرُه، وصحَّ نهجُه، وطابتْ حياتُه. متصلٌ بربِّ الأربابِ، ومسببِّ الأسبابِ، يؤمنُ بالابتلاءِ، مؤملٌ في الفرجِ بعد الضيقِ، واليسرِ

بعد العسرِ، يسلك دروبَ الخيرِ، موقنٌ بالعوضِ من ربِّه في الدنيا والآخرةِ.

معاشرَ الإخوةِ، الوقائعُ ومداولةُ الأيامِ محكٌ لا يخطىءُ، وميزانٌ لا يظلمُ. وفي تقلُّبِ الدهرِ عجائبُ، وفي تغيرِ الأحوالِ مواعظُ، القويُّ لا يستمرُّ أبدَ الدهرِ قوياً، والضعيفُ لا يبقىٰ طولَ الحياةِ ضعيفاً، ولكنها سُنةُ اللهِ، أدوارٌ وأطوارٌ، تجري على الأممِ والشعوبِ، وتمرُّ بالأفرادِ والآحادِ، وتنتظمُ المتقينَ والفجارَ، وأهلَ السوءِ والأخيارَ، هذا آدمُ عليه السلامُ تسجدُ له الملائكةُ، ثم بعدَ بُرهةٍ يخرجُ من الجنةِ، وإبراهيمُ عليه السلامُ أراد به قومُه كيداً؛ فكانوا هم الأسفلين، وأضرموا ناراً لحرقِه؛ فكانت برداً وسلاماً على إبراهيمَ، وهذا الذبيحَ يضطجعُ مستسلماً، ثم يأتيه من عندِ ربِّه الفداءُ، ويبقىٰ له الفضلُ والثناءُ، ويعقوبُ عليه السلام يذهبُ بصرُه من ألمِ الفراقِ، ثم يعودُ التواصلُ والتلاقِ.

أما نبيُّكم محمدٌ ﷺ اليتيمُ الفقيرُ؛ فيتقلبُ في عجائبِ المدِّ والجزرِ، والرجاءِ والأملِ، إلى أن يجيءَ نصرُ اللهِ والفتحُ. ويدخلُ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً. هذا ما كان من أنبياءِ اللهِ وأوليائِه والمصطفَيْنَ من عبادِه. فما بالُك بمن هو دونَهم من سائرِ أهلِ الأرضِ.

إن من تأمَّلَ صروفَ الدنيا، ورياحَ التغيير، وأمواجَ التقلباتِ، لا يُفجعُ عند نزولِ البلاءِ، ولا يفرحُ بعاجلِ الرخاءِ.

وما يكونُ في الأفرادِ يكونُ في الأممِ. كم من أمةٍ ضعيفةٍ نهضتْ بعد قعودٍ، وتحركتْ بعد خمودٍ، وكم من قريةٍ بطِرتْ

معيشتَها فزالتْ من الوجودِ، أذاقها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ لمَّا بدلتْ الشكرَ بالكفرِ والجحودِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: حين يريدُ ربُّنا أمراً فإنه يأتي إليه كما يشاءُ، فهو العليمُ القديرُ، السببُ والنتيجةُ من صنعِه وتقديرِه، والوسيلةُ والغايةُ من خلقِه وتدبيرِه. لا يمتنعُ عليه سببٌ، ولن تعجزَه غايةٌ. يتحصنُ المتحصنون فيأتيهم اللهُ من حيثُ لا يحتسبون، وقديماً خاطبَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ والمؤمنين، في قصةٍ توالتْ فيها الأحداثُ كما يشاءُ الله؛ لا كما يتوقعُ المؤمنون، وخالفتْ على ما يبدون ظواهرَ الأسبابِ ومظاهرَ السنن: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢] لم تكونوا تتوقعونَ خروجَهم، فقد كانوا من القوةِ والمنعةِ في حصونِهم بحيث لا تظنونَ خروجَهم، وغرَّتَهم المنعةُ؛ فنسوا قوةَ اللهِ التي لا تردُّها حصونٌ: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢] أتاهم من داخلِ أنفسِهم لا من داخلِ حصونِهم، أتاهم من قلوبِهم فقذفَ فيها الرعبَ؛ فعلموا أنهم لا يملكون أنفسَهم ولا يحكمون قلوبَهم.

معاشرَ الأحبةِ: في هذا وأمثالِه: كم تمرُّ على أهلِ الحقِّ والإيمانِ من أيامٍ حرجٍ وضيقٍ، وساعاتِ شدةٍ وكربٍ، يواجوهن فيها أهلَ الباطلِ في إصرارِهم وجحودِهم، تحيطُ بهم ظروفُ الباطلِ في قوَّته وكثرةِ أهلِه، وأهلُ الحقِّ في قلةٍ من العددِ والعُدَّة، الباطلُ ينتفشُ ويتعاظمُ، ويبطشُ ويغدِرُ، وأهلُ الحقِّ والإيمانِ ينتظرون وعدَ الحقِّ، ويطولُ بهم الانتظارُ، وتهجسُ في خواطرِهم الهواجسُ: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

تلك سننُ اللهِ في الدنيا وأهلِها، في مدِّها وجزرِها، في أهلِ الكفرِ والإيمانِ، في الدعواتِ وأصحابِها. شدائدُ وكروبٌ، ومضايقُ وخطوبُ، ثم يجيءُ النصرُ والانفراجُ بعد اليأسِ من ظاهرِ الأسبابِ. يجيءُ النصرُ من عندِ اللهِ؛ فينجو من يستحقُ النجاةَ، ويحُلُّ بأسُ اللهِ بالمجرمين مدمراً ماحقاً.

وكلُّ هذا البلاءِ، وكلُّ هذا الصبرِ والتصبرِ، حتى لا يكونَ النصرُ رخيصاً، وحتى لا تكونَ دعوةُ الحقِّ هَزْلاً وهُزْواً، نعم دعوةُ الحقِّ لا تكون عبثاً ولا لَعِباً، ولكنها تسيرُ على قواعدَ ومناهجَ يكون فيها البلاءُ والبأساءُ، ويُتخذُ فيها الشهداءُ، ويُمحَّصُ فيها المخلصون من الأدعياءِ. أما الأدعياءُ فيعجَزون عن الحِمْلِ، وتثقلُ عليهم التكاليفُ، ويطولُ عليهم الطريقُ؛ ومن ثمَّ يتبينُ الحقُّ من الباطلِ على محكِّ الشدائدِ، فيصمُدُ المخلصون، ويتميزُ الصادقون، ولو تباطأَ النصرُ ما تباطأَ.

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، واعرفوا سننَ اللهِ، فالدينُ والتكاليفُ في هذه الدنيا ليست تجارةً قصيرةَ الأجلِ يُحصدُ ربحُها في زمنٍ محدودٍ، ولكنها حملٌ ثقيلٌ، وعبءٌ شديدٌ يوطن فيها المؤمنُ نفسَهُ، يواجه أعداءَ اللهِ بما يملكون من قوةٍ ومالٍ وألسنةٍ حدادٍ؛ تُري الأسودَ أبيضَ، والأبيضَ أسودَ، وتجمعُ الناسَ من حولِهم.

ويَميلون ويُميلون بشواتِهم ميلاً عظيماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

مباحثات السلام (بين اليأس والأمل)

الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبينُ. وأشهد أن محمداً عبدُاللهِ ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أن الذين ينظرون إلى هذه الحياةِ بنظراتٍ قاتمةٍ هم أولئك الذين إذا نزلتْ بهم نازلةٌ، أو تكدَّرَ لهم عيشٌ، أو حلَّتْ بهم بلوىٰ، يئسوا من الفرجِ، وطالَ عليهم سوءُ الأملِ، وظنوا بربِّهم ظنَّ السَوْءِ، ولكنَّ أهلَ الإيمانِ موصولةٌ قلوبُهم، نديةٌ أرواحُهم، لا ييأسون من رَوْحِ اللهِ، يفيئون إلى ظلالِ الإيمانِ، ويأنسون بصلةِ الكريمِ المنانِ؛ على الرغم مما هم فيه من مضايقِ الشدةِ ومخانقِ الكروبِ.

وفي قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣] في ذلك بِشارةٌ لأهلِ الإيمانِ بحفظِ اللهِ لدينه وكمالِه، ورضا ربِّ العالمين عنه، وتمامِ النعمةِ به

والكافرون آيسون من أن ينالوا منه شيئاً؛ غير أنهم قد يَغلبونَ في موقعةٍ أو يَهزمون في فترةٍ، ولكنهم عاجزون من أنْ يَمسُّوا هذا الدين، فهو محفوظٌ لا ينالُه تحريفٌ، ولا يرقىٰ إليه تبديلٌ، وعلى شدةِ ما كاد الأعداءُ، وعِظَم ما أصابَ المسلمين من ضعفٍ وبلاءٍ في بعضِ الأعصارِ والأمصَارِ؛ فلن تزالَ على الحقِّ طائفةٌ منصورةٌ تحفظُ أمرَ اللهِ وتنصرُه، وتسعىٰ لإعلانِ كلمتِه، سدَّد اللهُ الخطىٰ، وبارك في الأعمالِ، وحقَّقَ الآمالَ.

في بناء الشباب

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أعادَ وأبدىٰ، وأجزلَ علينا النعمَ وأسدىٰ. . لا هاديَ لمن أضلَّ، ولا مضلَّ لمن هدىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، أكرمْ به نبياً، وأنعمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه كانوا أمثل طريقةً وأقومَ وأهدىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، زينةُ الحياةِ الدنيا، وعُدَّةُ الزمانِ بعدِ اللهِ شبابُ الإسلامِ الناشئونَ في طاعةِ ربِّهم، لا تكادُ تعرفُ لهم نزوةٌ أو يُعهدُ عليهم صبوةٌ. . يَستَبِقون في ميادينِ الصالحاتِ، أولئك لهم الحياةُ الطيبةُ في الدنيا، ولهم الظلُّ الظليلُ يومَ القيامةِ، يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّ المولىٰ.

ولئن تطلعتْ الأمةُ لإصلاحِ ناشئتِها، ورغبتْ في أن تَقرَّ عينُها بصلاحِهم؛ فعليها أن تهتمَّ بتربيتِهم، وتسليحِهم بسلاحِ الإيمانِ، وتحصينِهم بدروعِ التقوىٰ، وأخذِهم بجدٍّ وقوةٍ إلى العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ.

إن العنايةَ بالنشءِ مسلكُ الأخيارِ، وطريقُ الأبرارِ، ولا تفسدُ

الأمةُ وتَهلَكُ في الهالكين إلا حينَ تفسدُ أجيالُها، ولا ينالُ الأعداءُ من أمةٍ إلا إذا نالوا من شبابِها وصغارِها.

وفي كتابِ الله إخبارٌ عن أنبياءِ اللهِ حين توجهوا إلى ربِّهم بصلاحِ ذرياتِهم من قبلِ وجودِهم ومن بعدِ مجيئِهم فمن دعاءِ زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨] ولا خير في ذريةٍ إن لم تكن طيبةً، ويقولُ إبراهيمُ عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وفي دعاء له آخرَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] وكلُّ صالحٍ من عبادِ اللهِ يبتهل إلى ربِّه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٥].

من الشبابِ ينشأُ العلماءُ العاملون، والجنودُ المجاهدون، وفيهم الصناعُ المحترفون، إذا صلَحوا سعِدتْ بهم أمتُهم، وقرَّت بهم أعينُ آبائهم وأمهاتِهم، وامتدَّ نفعُهم وحسُنتْ عاقبتُهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

ولقد رسمَ النبيُّ ﷺ فيما رسمَ مَنهجاً واضحاً في وصايا وجَّهها لشبابِ الأمةِ المحمديةِ.. ممثلةً في ابنِ عمِّه الغلامِ عبدِالله بنِ عباس ـ رضي الله عنهما ـ حيث قال له: «**يا غلامُ إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفظْ اللهَ يحفظْك، احفظْ اللهَ تجدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألْ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، واعلمْ أن الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لكَ،**

وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفعتْ الأقلامُ وجفَّتْ الصحفُ»[1].

إن أولَ لَبِنةٍ في بناءِ الشبابِ لبنةُ العقيدةِ، ورسوخُ الإيمان، وصدقُ التعلُّقِ باللهِ وحدَه، والاعتمادُ عليه. إن أولَها حفظُ اللهِ بحفظِ حقوقه وحدودِه، ومن ثَمَّ الاستعانةُ به وحدَه في الأمورِ كلِّها، والتوكلُ عليه، واليقينُ الجازمُ بأن بيدِه سبحانه الضرَّ والنفعَ.

يأتي كلُّ ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ ليكونَ دافعاً للشبابِ، وهو في فورتِه وطموحِه وتكاملِ قوتِه؛ ليكونَ قويَّ العزيمةِ عاليَ الهمةِ.

وإن شبابَ الإسلامِ اليومَ بحاجةٍ إلى المعرفةِ التامةِ بالعزائم من الأمورِ، والعالي من الهممِ.

إن قويَّ العزيمةِ من الشبابِ ـ أيُّها الشبابُ ـ من تكونُ إرادتُه تحتَ سلطانِ دينِه وعقلِه، ليس عبداً لشهواتِه، فتعسَ عبدُ الدنيارِ وعبدُ الدرهمِ.

ومن صرامةِ العزيمةِ وعلوِّ الهمةِ.. ان يفرغَ الفؤادُ عن الشهواتِ القريبةِ، والعواطفِ السريعةِ.

اسمعوا إلى صقرِ قريشٍ عبدِالرحمنِ الداخلِ في قصةٍ حفظها لنا التاريخُ؛ يقول التاريخُ:

حينما عبرَ هذا الصقرُ البحرَ أولَ قدومِه على الأندلسِ..

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٧٦ ـ ح٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/٢٩٣).

أُهديتْ له جاريةٌ بارعةُ الجمالِ.. فنظر إليها، وقال: إن هذه من القلبِ والعينِ بمكانٍ، وإن أنا شُغلتُ عنها بما أهُمُّ به؛ ظلمتُها، وإن أنا اشتغلتْ بها عما أهُمُّ به؛ ظلمتُ همَّتي.. ألا فلا حاجةَ لي بها.. ثم ردَّها إلى صاحبِها.

أيها الشبابُ: إن الشهواتِ والعواطفَ، وحبَّ الراحةِ وإيثارَ اللذاتِ.. هو الذي يُسقطُ الهممَ، ويُفَتِّرُ العزائمَ.. فكم من فتيانٍ يتساوون في نباهةَ الذهنِ، وذكاءِ العقلِ، وقوةِ البصيرةِ، ولكنَّ قويَّ الإرادةِ فيهم، وعاليَ الهمةِ منهم، ونفَّاذ العزيمةِ فيهم هو الكاسبُ المتفوقُ.. يجدُ ما لا يجدون، يبلغُ من المحامدِ والمراتبِ ما لا يبلغون..

بل إن بعضَ الشبابِ قد يكون أقلَّ إمكانياتٍ، وأضعفَ وسائلَ، ولكنه يفوقُ غيرَه بقوةِ الإرادةِ، وعلوِّ الهمةِ، والإصرارِ على الإقدامِ.

وإنه لحقيقٌ بالرجالِ القوَّامين على التربيةِ أن يُعطوا هذا الدرسَ مكانَه من التوجيه.. من أجلِ بناءِ صروحٍ من العزِّ شامخةٍ. إن لم يكنْ ذلك؛ فقد ظلمتْ الأمةُ نفسَها، وخسرتْ أجيالها، وهضمتْ حقَّ دينها، وأضاعتْ رسالتَها: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم: ١٢] وما اقترنَ العزمُ الصحيحُ مع التوكُّلِ الوثيقِ على من بيدِه ملكوتُ كلِّ شيءٍ إلا كانت العاقبةُ فوزاً ونجاحاً: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وإن من مظاهرِ ضعفِ الهممِ في التعليمِ والتوجيهِ، ومن بخسِ

حقِّ العلمِ والمعرفةِ أن يَطلُبَ الفتى العلمَ لينال به رِزقا، أو ينافسَ به زميلاً حتى إذا أدركَ الوظيفةَ، أو فازَ على الزميلِ أخلدَ إلى الراحةِ، ونسى العلمَ، وأضاعَ المعرفةَ، وتنحىٰ عن الطلبِ. وإنما يرتفعُ رأسُ الأمةِ ويظهرُ عزُّها بهِمم أولئك الذين يُقبلون على العلمِ بجدٍ وصبرٍ وثباتٍ، ولا ينقطعون عن التحصيلِ والاستزادةِ إلا حين ينقطعونَ عن الحياةِ.

والعلومُ ـ أيها الإخوةُ ـ ما وُضعتْ إلا لتهدي إلى العملِ النافعِ، فلا شرفَ لها في نفسِها، وإنما شرفُها بما يترتبُ عليها من عملٍ صالحٍ، وأثرٍ حسنٍ.

فالفقيهُ من يجدُ في علمِه ما يعرفُ به أحكامَ الوقائعِ والنوازلِ.

وكيف تكونُ المفاخرةُ بفتيانٍ درسوا من العلومِ التجريبيةِ ما درسوا، ثم لم ينفعوا بلادَهم في معاملَ ولا مصانعَ تكونُ بها أمتُهم رائدةً إلى الصلاحِ، وقائدةً إلى مناهجِ الحقِّ والصوابِ في كلِّ ميدانٍ، وفي كلِّ مجالٍ.

ومن هنا كان لزاماً ـ أيها المسلمون ـ اقترانُ العلمِ بالعملِ، فمن علِم خيراً؛ فيبادرْ إلى فعلِه، ومن علِم شراً؛ فليحذرْ الاقترابَ منه، وما يُحييْ القلوبَ بالمعرفةِ واليَقظةِ والعلمِ النافعِ، إلا المبادرةُ إلى العملِ.. فبه تستنيرُ القلوبُ، ويصحُّ المسيرُ في دروبِ الحياةِ. يقولُ بعضُ السلفِ: كنا نستعينُ على حفظِ أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ بالعملِ بها.

ويقولُ بعضُ الحكماءِ: إذا أردتَ الاستفادةَ من النصائحِ المكتوبةِ والمسموعةِ فجرِّبْها واعملْ بها فإنك إن لم تفعلْ كانَ

نصيبُك نسيانَها.

إن المعلوماتِ النظريةَ التي لم ينقلْها العملُ من دائرةِ الذهنِ والأفكارِ المجردةِ، إلى واقعِ الحياةِ لا فائدةَ فيها، فالجنديُّ لا تنفعُه معلوماتُه إذا لم يمارسَها في الميدانِ، وماذا ينفعُ الطبيبَ علمُه وكراريسُه وآلاتُه إذا لم يمارسْها طباً وعلاجاً.

يضمُّ إلى ذلك ـ يا شبابَ الإسلامِ ـ العلمُ بما اقتضته سنةُ اللهِ ـ سبحانه ـ وحكمتُه من اختلافِ النفوسِ في استعداداتِها ورغباتِها ومواهبِها. من أجلِ أن ينتظمَ الشأنُ فِي هذه الحياةِ. فلربَّما نشأ وليدان في مهدٍ واحدٍ، فتختلفُ ميولُهما واختصاصاتُهما في العلومِ والمطالبِ.

وإن لكم في أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ لخيرَ أسوةٍ، وفي توجيه النبيِّ ﷺ لهم حسبَ طبائِعهم وقدراتِهم لأوضحَ قدوةٍ. فقد اختلفوا في طبائِعِهم ومهماتِهم وأعمالِهم ومعارِفهم. فبلالٌ غيرُ أبي بكر، وخالدٌ غيرُ أبي ذرٍ، وابنُ عباس غيرُ ابنِ عمرَ، ومُصعبٌ غيرُ ابنُ عوفٍ. كانوا مهاجرين وأنصاراً، وكان فيهم أصحابُ بيعةِ الرضوان.. فيهم الولاةُ والحكامُ وفيهم العسكريون والقادةُ، وفيهم أوعيةُ العلمِ والفقهِ، وكلُّهم أبلىٰ في الإسلامِ بلاءً حسناً، وكلُّهم كان على ثغرٍ من ثغورِ الإسلامِ فحفظه وصانَه.

من أجل هذا ـ أيها الإخوةُ ـ فلا فرقَ بين عملٍ وعملٍ، فالأعمالُ المباحةُ على كثرتِها واختلافِها مطلوبةٌ متأكدةٌ حسَبَ حاجةِ الأمةِ إليها، وبناءِ حياتِها وقوتِها عليها. ألا فاعلموا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلقَ له.

أمةُ الإسلامِ مطالبةٌ بالدعوةِ إلى اللهِ، مطالبةٌ بإعدادِ القوةِ لإرهابِ أعداءِ اللهِ، بحاجةٍ إلى التكاملِ والتكافلِ. إن على كلِّ شابٍ أن يعلمَ من العلمِ ما يقودُه إلى حُسنِ العملِ، فيتخذَ موقعَه المناسبَ حسَبَ قدرتِه وموهبتِه وحاجةِ الأمةِ إليه، والعلمُ بشئونِ الدنيا وأمورِها مطلوبٌ إذا كان طريقاً لعزِّ أمةِ الإسلامِ وقوتِها.. حيثُ الابتكارُ والاختراعُ والتفوقُ.. فالعزةُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين.

واحذروا الوقوفَ عند حدودِ الأماني، والاقتصارَ على الكلامِ والمقترحاتِ المجردةِ.. فذلك يفتحُ أبواباً مخوفةً من الجدلِ الطويلِ، والثرثرةِ القاتلةِ للوقتِ والجهدِ والمواهبِ، وما الأماني إلا رؤوسُ أموالِ المفاليسِ.

فاتقوا اللهَ جميعاً ـ أيها المؤمنون ـ والزموا العملَ الصالحَ.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ربنا هبْ لنا من أزواجِنا وذرياتِنا قرةُ أعين، واجعلنا للمتقين أماما.

نفعني اللهُ وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، وهدانا صراطه المستقيمَ، ووقانا عذابَ الجحيم.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

في بناء الشباب

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوثُ بالرحمةِ والهدى ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن بنهجهم اهتدىٰ.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المؤمنون ـ اتقوا الله أيها الناشئةُ، واعلموا أن للعمرِ أجلاً، والآمالُ عريضةٌ في بحرٍ لا ساحلٍ له.. فسارعوا إلى العملِ الصالحِ، واحفظوا لحظاتِ العمرِ، واشغلوا الوقتَ بما ينفعُ في العاجلِ والآجلِ.

إن الشبابَّ إن لم ينشغلْ في مشروعاتِ الخيرِ والجهادِ والمجاهدةِ والإنتاجِ المثمرِ؛ نهبْته الأفكارُ الطائشةُ، وعاشَ في دوامةٍ من التُرَّهاتِ والمهازلِ.

إن شَغْلَ الأوقاتِ وشحنَها بالأعمالِ والواجباتِ، والانتقالَ من عملٍ إلى عملٍ، ومن مهمةٍ إلى مهمةٍ، ولو كانت خفيفةً؛ يحمي المرءَ من عِللِ البطالةِ ولوثاتِ الفراغِ. والنفسُ ـ كما قال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله ـ إنْ لم تشغلْها بالحقِّ شغلتْك بالباطلِ.

وإن الأمةَ تتخلصُ من مفاسدَ كثيرةٍ، وشرورٍ عريضةٍ، لو أنها تحكَّمتْ في أوقاتِ الفراغِ لأبنائِها، وليس بالإفادةِ منها بعد أن توجدَ، ولكن بإيجادِ ترتيبٍ لا يكونُ معه فراغٌ قاتلٌ.

إن مشاعرَ الخوفِ والقلقِ، والحقدِ والغيرةِ والحسدِ، لا تندفعُ إلى النفسِ الإنسانيةِ.. إلا حينما تكون فارغةً غيرَ مشغولةٍ.

وإن توزيعَ التكاليفِ الشرعيةِ في الإسلامِ منظورٌ فيه إلى هذه الحقيقةِ. إن شرائعَه تدورُ على الجهادِ والمجاهدةِ، مجاهدةِ النفسِ ومجاهدةِ الناسِ. فالصلواتُ الخمسُ في ترتيبِها وتوزيعِها، والعبَاداتُ الأخرىٰ فَي واجباتِها ونوافلِها بدنيةً وماليةً، والأذكارُ بكرةً وعشياً، قياماً وقعوداً وعلى المضاجعِ، والحرفُ والمهنُ، والقيامُ بالحقوقِ للقريبِ والبعيدِ.. كَلُّ أولئك جهاداتٌ ومجاهداتٌ تستغرقُ العمرُ كلَّه لحظةً لحظةً، لا تبقيٰ فرصةٌ للغفلاتِ والذهولاتِ.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ واعملوا صالحاً، وسيروا على النهجِ وأصلحوا في النشءِ.

هل نتخذ من فتح كابل طريقـاً للخلاص؟؟

الخطبة الأولى

الحمدُ لله ذي العزةِ والملكوتِ، والقدرِ والقهرِ والجبروتِ، لا إله إلا هو مالكُ الملكِ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ، يحكمُ بين عبادِه فيما كانوا فيه يختلفون، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، يؤتي الملكَ من يشاءُ، وينزعُ الملكَ ممن يشاء، ويعزُّ من يشاءُ، ويذلُّ من يشاءُ، بيدِه الخيرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وأشهدُ إلا إلـه إلا الله وحـدَه لا شـريـك لـه، يكتبُ النصرَ والتأييدَ والعزَّ والتمكينَ لعبادِه الصالحين، وأشهدُ أن محمداً عبدُاللهِ ورسولُه، قائدُ الغرِّ المحجلين، وإمامُ المجاهدين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم أيها المسلمون ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فاتقوه وأطيعوه، واشكروا له.. إليه ترجعون.

أيها المسلمون: تأكيداً لروابطِ الإسلامِ وتوثيقاً لعُرىٰ الإيمان، نقول لإخواننا في أفغانستان، وللمسلمينَ جميعاً: هنيئاً لكم ولنا هذا النصرُ المؤزرُ، وهنيئاً لأهلِ الإسلامِ قيامُ دولةٍ دستورُها كتابُ اللهِ، وسنةُ رسولِ اللهِ ﷺ وحكمُها شرعُ اللهِ.

ويومَئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصرِ اللهِ، بهجةٌ ونشوةٌ، وقوةٌ وعزةٌ، يعيشها المسلمون، كلُّ المسلمين، وهم يقطفونَ ثمارِ الجهادِ والمجاهدةِ، جهادٌ دامَ طوالَ أربعةَ عشرَ عاماً ضدَّ دولةٍ كافرةٍ، كانت تمتلكُ الآلةَ العسكريةَ الثانية العظمىٰ في عالم اليوم، انتصرَ الضعفاءُ واندحر الكافرون، جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ.

انتصارٌ وابتهاجٌ يُحسُّ كلُّ مسلمٍ أنه قد شارك فيه بدمٍ أو مالٍ أو موقفٍ أو دعاءٍ أو تعاطفٍ مخلصٍ.

أيها المسلمون: لقد جاءَ انتصارُ إخوانِنا في أفغانستان في وقتٍ أحوجَ ما تكون في الأمةُ الإسلاميةُ إلى نصرٍ يعززُ ثقتَها بنفسِها، ويُطمئِنُها إلى قدرِتها ومقوماتِها، ويعيدُ إليها الأملَ في أَهلِها ورجالِها.

وما ذلك ـ أيُّها الأحبةُ ـ إلا لأنَّ المسلمينَ يعيشونَ في ليلِ حزنٍ طويلٍ، ويَتهيون في نَفقِ ظلامٍ عميقٍ، يعيشون ذلك في أماكنَ كثيرةٍ من ديارِهم.

في كلِّ بقعةٍ طعناتٌ داميةٌ، وفي كلِّ ركنٍ جروحٌ نازفةٌ، فواجعُ وقوارعُ لا ينقضي منها العجبُ.

ولئن كان المسلمون يريدونَ مراجعةً صادقةً لأحوالِهم وأوضاعِهم، ولئن كانوا جادِّين في النظرِ في مصيرِهم وعاقبةِ أمرِهم، فليقرءوا قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] المسلمون لم يفتحوا ثغراً إلا بذكرِ اللهِ، ولم تقمْ دولتُهم إلا على منهجِ اللهِ. ثم لم تُغْزَ ديارُهم ولم تُنتقصْ أراضيهم إلا بالغفلةِ عن اللهِ، والإعراضِ عن صراطِ اللهِ:

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

أيها الإخوةُ في اللهِ، وهذه وقفةٌ مع التاريخِ، تاريخِنا ـ أهلَ الإسلامِ ـ فما أشبه الليلةَ بالبارحةِ.

ها هي الفصولُ الإخيرةُ من حياةِ المسلمين في الأندلس، فصولٌ جديرةٌ بالدراسةِ والنظرِ والتأملِ، فترةٌ تاريخيةٌ تحكي عصرَ الضعفِ والانحلالِ.

حكَمَ الإسلامُ في الأندلس ثمانيةَ قرونٍ (ثمانمائة عام)، حكَمها بالدينِ والعلمِ والحضَارةِ والمدنيةِ والمجدِ التليدِ، ثم تمزقتْ الأندلسُ بإماراتِها وطوائفها، وحين تمزَّقَتْ انصبتْ عليها حروبُ الإبادةِ، ومعاركُ الاستئصالِ من الصليبيةِ الحاقدةِ.

كلُّ ذلك زالَ وأُبيدَ بسببِ الفرقةِ وحروبِ الطوائفِ. ألا نقولُ ما أشبه الليلةَ بالبارحةِ؟ ألا يدركُ البصيرُ المتأملُ أن الفُرقةَ في المسلمين قائمةٌ، فكثيرٌ منهم في بلاءٍ طائفيٍّ، وتمزقٍ فكريٍّ، يعبثُ بالديارِ وبالصدورِ.

ماذا استفادَ المسلمونَ من التاريخِ؟ وأين الدروسُ من عِبَرِ الماضي؟.

في عصرِنا المعاصرِ فشا التعليمُ في بلادِ المسلمين، وانتشرتْ المدارسُ واكتظتْ بالمناهجِ. ماذا تعلموا من تاريخِ الأندلسِ؟ ماذا تضمنتْ مناهجُهم من أنباءِ أسلافِهم في الأندلسِ؟.

لا يعرفُ الطلابُ من هذه المناهج إلا الحياةَ الأدبيةَ، والمقطعاتِ الشعريةَ، والموشحاتِ الأندلسيةَ، لا يعرفونَ إلا تاريخَ الحياةِ الرضِيةِ المترفةِ، لم يلقنوا بصدقٍ كيفَ ضاعَ ذلك

الفردوسُ، لم تُملأْ جوانِحُهم ولم يُلْقَ في رَوعِهم كيف تقطَّعتْ الأندلسُ من قِبَلِ أهلِها أولاً، ثم أجَهزَ عليها الصليبيون آخِراً.

في المناهجِ أديرتْ الظهورِ بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ عن التفاصيلِ التي تُحرقُ الأكبادِ، وعن الأسبابِ التي أدتْ إلى الهلاكِ والفسادِ.

لم تُعطَ جريمةُ الإبادةِ حقَّها، ولم يُشخَّصْ داءُ الفرقةِ حقَّ التشخيصِ، ولم يقفوا وقفةَ صادقٍ عند سوءِ المصيرِ، بينما يلقِّنُ اليهودُ بني قومهم، ويذكِّرون العالمَ في كلِّ ساعةٍ وحينٍ دروسَ الحربِ النازيةِ على الطريقةِ اليهوديةِ.

في الأندلسِ سكاكينُ العداءِ النصرانيِّ نزلتْ بالساحةِ هناك، فمحتْ الشعبَ بأكملِه، وأزالتْ الإسلامَ من جزيرةِ الأندلسِ.

استمعوا ـ رعاكم اللهُ ـ إلى هذه الومضةِ من التاريخِ السالفِ.

كان المعتمدُ بنُ عباد ـ أكبرُ ملوكِ الطوائفِ بأشبيلية ـ يحاربُ ألفونسو السادسَ النصرانيَّ، فاستشارَ المعتمدُ بعضَ أصحابِه في الاستعانةِ بالأميرِ يوسفَ بن تاشفين أحدِ حكامِ المسلمينِ في بلادِ المغربِ، فأشارتْ عليه بطانةُ السوءِ بنصيحةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ، وقالوا له: نخشىٰ أن ابنَ تاشفينَ إذا دخلَ الأندلسَ أن يستولي عليها، ثم لا يخرجُ منها. فأجابَهم المعتمدُ إجابةً حاسمةً، في حكمةٍ بالغةٍ، وبصيرةٍ نافذةٍ: لأن أرعىٰ الجمالَ أحبُّ إليَّ من رعيِ الخنازيرِ.

ومراده من ذلك معلومٌ، فالخضوعُ لملكٍ مسلمٍ خيرٌ من اتباعِ ملكٍ كافرٍ حاقدٍ.

ما أكثرَ العبرَ وأقلَّ الاعتبارَ. أُفٍّ لقلبٍ لا يعتصرُ ألماً، ويا حسرتا على عينٍ لا تذرفُ دمعاً، بل إن لم تنزفْ دماً. استبيحَ في كثيرٍ من المواقعِ الحمىٰ، واستُرخصتْ الدماءُ، وإلى ربِّنا المشتكىٰ.

ها هي بلادُ المسلمين، بعد أن فشَتْ فيها الفرقُ والأحزابُ، ينهشُها الأعداءُ ليأكلوا القاصيةَ منها والدانيةَ. إن حالَ كثيرٍ من بلادِ الإسلامِ تسيرُ في نفسِ الطريقِ الأندلسيِّ، وتحفُرُ لنفسِها حُفراً، قد تتضاءلُ أمامَها مآسي الأندلس. كم في بقاعِ الإسلام وديارِ المسلمين من تُهددُّهم طريقةُ الإبادةِ الأندلسيةُ، الصومالُ تقطعها الحربُ الأهليةُ، يذبِّح فيها المسلمون بعضُهم بعضاً، وفي بعضِ دولِ غربِ أفريقيا حالٌ مشابه، وها هم في بورما يطردون من بيوتِهم، ويهجَّرون من أوطانِهم، ويجرَّدون من ممتلكاتِهم، تُنتهكُ حرماتُهم ويساقون سوقَ النعاجِ إلى خارجِ ديارِهم، وفي كشميرَ من ذلك حالٌ مشابهٌ.

أما الجزءُ المسلمُ من أوروبا الشرقيةِ عموماً، وفي بلادِ البوسنا والهرسكْ خصوصاً، ذلك الجزءُ الذي عاشَ في الإسلامِ مئاتِ السنين ثم رَزَح تحت لواءِ الشيطانِ الأحمرِ متلقياً حروبَ إبادةٍ، فلما انجلتْ غمَّتُه خَلَفه أهلُ الصليبِ الحاقدِ فهاهم يبادون بالطريقةِ الأندلسيةِ نفسِها، إنهم الأحفادُ، يفعلون فعلَ الأجدادِ، بطونٌ تُبقرُ، وأعراضٌ تنتهكُ، ومدنٌ تُدَكُّ، ليس في سياساتِ الصليبيةِ، ولا في مفاوضاتِها إلا أحدُ خيارين، إما الكفرُ وإما الإبادةُ، ولن تجدَ غيرَ ذلك تفسيراً ولا مصيراً، اللهم إلا طولُ النَفَس ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

و لا تكادُ تجدُ في المسلمين حراكاً، وإن سمعتَ فلا تسمعُ إلا همْساً. اليهودُ والنصارىٰ يقيمونَ الدنيا، ثم لا يُقعدونَها من أجلِ رجلٍ واحدٍ، وقد تكونُ مشكلتُهم كما يقولون: إنه يعادي الساميةَ، يحركون هيئاتِ العالم، منظماتِه ومجالسَه، من أجلِ حادثةِ خطفٍ تَهمُّهم، أو قضيةِ تفجيرٍ تعنيهم، ولا يكترثون بما يمتلىءُ به العالمُ من قضايا التفجيرِ، والخطفِ المنتشرةِ.

وحينما يُقْتلُ المسلمون؛ تقومُ وسائلُ الإعلامِ المعاديةُ، ومنها بعضُ وسائلِ المسلمين المغفلةُ أو المغرضةُ. بتفسيرِ هذه الأحداثِ الداميةِ على أنها نزاعاتٌ عرقيةٌ ومشكلاتٌ عنصريةٌ. وعلم اللهُ والناسُ أنها لم تكن إلا من أجلِ الدينِ والإسلامِ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨].

أعيذكُم باللهِ ـ أيها المسلمون ـ من الابتلاءِ بداءِ التبلدِ وموتِ الإحساسِ، وأنتم تتلونَ الكتابَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

أعيذُكُم باللهِ أن يكونَ ذلك فيكم، وسنةُ رسولِ اللهِ ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضا**»[1] متفق عليه من حديثِ أبي موسى، «**مثلُ المؤمنينِ في توادِّهم وتراحمِهم**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩ ـ ح٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٥).

وتعاطفِهم، مَثَلُ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمىٰ»[1] رواه البخاريُّ، ومسلمٌ واللفظُ له من حديثِ النعمانِ بن بشيرٍ، «**لا ترجعوا بعدي كفارا يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[2] متفق عليه من حديثِ جريرِ بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.

يقال كلُّ ذلك أيها المسلمون.. وفي وَسطِ هذا الحزنِ الكئيبِ، وهذه المآسي المتواليةِ، يشرقُ انتصارُ الجهادُ في أفغانستان، ويستبينُ بها الطريقُ، وفي مواقفِ المسلمين المتضامنةِ في القضية الأفغانيةِ، مواقفُ سياسيةٌ داعمةٌ وقفتْها هذه البلادُ بحكَّامِها وأهلِها، شيبِها وشبابِها ووقفَها معها دولٌ إسلاميةٌ أخرىٰ بشعوبِها، دماءُ شبابٍ زكيةٌ، وبذلٌ ماليٌّ مشكورٌ، وضراعةٌ ودعاءٌ إلى ربِّ البريةِ، بمثلِ هذا الدعمِ، وبمثلِ هذه المواقفِ، وبمثلِ هذا التعاضدِ تُحمىٰ الديارُ، وبإذنِ اللهِ يكونُ الانتصارُ، وتُغرسُ المهابةُ، وتقوى كلمةُ المفاوضِ ويُمحىٰ العارُ.

أيها المسلمون، هل يكونُ طريقُنا إلى القدسِ، وطريقُنا إلى كشميرِ وبورما، ودعمُنا لإخوانِها في البوسنا والهرسك، هل يكونُ طريقُنا هذا كطريقِنا إلى كابول؟؟ هذا هو المأمولُ، وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ، واللهُ غالبٌ على أمرِه، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

اللهم من أرادَنا وأراد دينَنا، وإخوانَنا وديارَنا بسوءٍ فأشغلْه

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢ ـ ح٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٥)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).

بنفسِه، واجعلْ كيدَه في نحرِه، واجعلْ تدبيرَه تدميرَه، اللهم كن لإخوانِنا المسلمين المستضعفين في كلِّ مكانٍ، اللهم كنْ لهم ناصراً ومعيناً، اللهم أزلْ عنهم البأساءَ واكشفْ الضراءَ، اللهم اجعلْ لهم من همِّهم فرجاً، ومن ضيقِهم مخرجاً، واخذلْ اللهم أعداءَهم، وفرقْ شملَهم، ومزقْهم كلَّ ممزقٍ، واشددْ عليهم وطأتَك وأنزلْ بهم نِقمتَك. اللهم قاتلْهم، واهزمْهم، وزلزلْ الأرضَ من تحتِهم، وأنزلْ بهم بأسك الذي لا يردُّ عن القومِ المجرمين. اللهم هذا الجهدُ وعليك التكلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم. سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

هل نتخذ من فتح كابل طريقا للخلاص؟

الخطبة الثانية

الحمد للهِ وحدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، أحمده سبحانه وأشكره لا شيءَ قبلَه، ولا شيءَ بعدَه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صبرَ وصابرَ وجاهدَ وقاتلَ حتى ارتفعت أعلامُ الملةِ. العزُّ والنصرُ معقودٌ لمن أطاعَه وسارَ على نهجِه، ومن خالفَ أمرَه أذلَّه اللهُ وأبعدَه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ جميعاً ـ أيها المؤمنون ـ لعلكم تفلحون.

يا رجالَ الأفغانِ، لئن استبشرتُم واستبشرنا معكم بهذا النصرِ المؤزرِ الذي أطلَّ وأضاءَ عليكم وعلينا أهلَ الإسلامِ في ليلٍ حالكٍ. فالحذرَ الحذرَ أن تقتلوا هذه البُشرىٰ، أو تئدوا هذه الفرحةَ. إن كُرْه الكفارِ وحَّدكم، وآلامَ الاحتلالِ جمعْتكم، فاحذروا أن تفرِّقكم أطماعُ السياسةِ، ومنافساتُ الرئاسةِ، إن لم يجمعْكم الإخلاصُ والحقُّ فلسوفَ يفرقُكم الباطلُ والهوىٰ.

اذكروا الآلافَ من الشهداءِ والأراملِ واليتامىٰ، اذكروا آلاف الشبابِ الذين هرعوا إليكم مقاتلين، أرواحُهم في أكفِّهم، تفرقتْ

دماؤُهم واشلاؤُهم مع أبنائِكم في الجبالِ والوهادِ، يريدون أن يطهِّروا أرضَ الإسلامِ من رجسِ الشيطانِ وكفرِ الشيوعيةِ.

لقد بدأتُم جهادَكم فقراءَ حفاةً، أسلحُتكم كليلةٌ، ومعداتُ عدوِّكم ثقيلةٌ، كنتم تقاتلون في السهلِ والوعرِ، بالخيلِ والبغالِ والحُمُرِ، وكانت جحافلُ الروس تمتطي الطائراتِ، وتعلو المصفحاتِ، فجاءَ الحقُّ وظهرَ أمرُ الله، فإياكم أن ينخَرَ سوسُ السياسةِ في مجدِكم العظيم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾[الأنفال: ٢٦] أقيموا دولةَ الإسلام التي تسعُ الجميعَ، بخيرِها وعدلِها ورحمتِها: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

يا رجالَ أفغانستانَ، لا تسفكوا دماءَكم، ولا تخرجوا أنفسَكم من ديارِكم، وقد علمتم وعيدَ الله لبني إسرائيلَ إن هم فعلوا ذلك ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٨٥] فهذا وعيدُ الله، وهذه سنتُه، إننا نربأُ بكم أن يوصَم عملُكم، أو يفسرَ جهادُكم بأنه قد ضاعَ أمامَ إغراءاتِ السلطةِ، وبريقِ الكراسي، لقد أهلكَ عدَّوكم واستخلفكم في الأرضِ لينظرَ كيف تعملون.

هذه هي الوصيةُ، فاتقوا اللهَ رحمكُم اللهُ، واتقوا اللهَ جميعاً أيها المؤمنون.

مع أيد تبتغي محبة الله (العمل والعمال)

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالِنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدين كلِّه، فهو قدوةُ العاملين وحجةُ السالكين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون؛ فمن يتق اللهَ يجعلْ له مخرجاً ويرزقْه من حيث لا يحتسبُ، ومن يتوكلْ على اللهِ فهو حسبُه.

أيها المؤمنون، خلقَ اللهُ البشرَ في هذه الدنيا.. أنشأَهم من الأرضِ، واستعمرهم فيها، تتعاقبُ على ذلك الأممُ والأجيالُ إلى أن يرثَ الأرضَ ومن عليها، ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً. والأحقُّ بذلك والأجدرُ عبادُ اللهِ الصالحون. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء ١٠٥].

ومن هنا فإن كلَّ قصدٍ من أجلِ عمارةِ الأرضِ كما أمر اللهُ فهو توجُّهٌ محمودٌ، وكلُّ عمل في هذا السبيلِ فهو من الصالحاتِ،

وكلُّ مجهودٍ في سبيلِ الحقِّ فهو سعيٌ مبرورٌ.

إن هذا الدينَ أيها الإخوةُ يوجبُ على أهلِه أن يكونوا أجدرَ بالحياتين، وأقدَرَ على النجاحِ في النجدين، وكلُّ ما يعينُ على ذلك؛ فهو من الدينِ، وكلُّ طريقٍ يوهنُ المسلمين؛ فهو غيرُ سبيلِ المؤمنين.

يخوضُ المؤمنُ كلَّ المجالاتِ المشروعةِ من أجلِ نصرةِ دينِ اللهِ وإعلاءِ كلمتِه وعزةِ أمتِه، له الحياةُ الطيبةُ الكريمةُ في الدنيا، ورضوانُ اللهِ في الآخرىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وإنه لقصورٌ في النظرِ بل فشلٌ ذريعٌ أن يظنَّ ظانون أن الحقَّ والقوةَ في كلماتٍ تقالُ، أو مظاهرَ تقامُ من غيرِ مضامين.

إن هذا الدينَ لا يقامُ بالهمهماتِ، ولا بالبطالةِ، بل كيفَ يُستنزلُ نصرُ اللهِ إن لم تأخذْ الأمةُ بأسبابِ القوةِ، وإعدادِها، القوةُ في الذاتِ، والقوةُ في الأعمالِ، والقوةُ في السلاحِ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

أيُّ قوةٍ تُرجىٰ في أقوامٍ ليس عندَهم مما عملتْ أيديهم ما يكتسون أو ينتعلون؟؟ وليس لديهم من صنعِهم ما يأكلونَ أو يركبونَ؟.

إنها طفولةٌ صارخةٌ تجعلُ غيرَهم يمنُّ عليهم بالطعامِ وبالكساءِ، ويحسنُ إليهم بالعلاجِ وبالدواءِ.

أين استجداءُ الأطفالِ من قُدُراتِ الأبطالِ؟! ماذا يُرجىٰ من ناشئةٍ لا تعرفُ قيمةُ العملِ؟ كيف يرمقُ المعاليَ من همتُه في الدنايا؟ لا تخشَنُ له يدٌ ولا يعرَقُ له جبينٌ؟؟ إن أقواماً عاجزين عن استخراجِ بركاتِ اللهِ من أرضِ اللهِ؛ لا تقومُ بهم رسالةٌ، وإن أمماً عاجزةً عن تجنيدِ مواهبِ أبنائِها في أنواعِ الأعمالِ والصنائعِ من أجلِ إعزازِ كلمةِ اللهِ.. أممٌ على غيرِ جادةِ الصوابِ تسيرُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: لقد سمَّى فقهاؤُنا رحمهم الله حاجاتِ الأمةِ من الأعمالِ والصنائعِ والحرفِ فروضَ الكفاياتِ. إنها تتناولُ حراسةَ الأمنِ، ودواوينَ القضاءِ، وإجادةَ الأعمالِ، وامتهانَ الحرفِ، وكلَّ ما فيه عمرانُ الأمةِ، كما تتناولُ أجهزةَ الدولةِ وإداراتِها وأعمالَها ودواوينَها، إنها فروضُ كفاياتٍ ليس كلُّ أحدٍ مستطيعاً لها. لكن يُتحرَّىٰ لها الكفءُ الذي تكون به الكفايةُ قضاءً وتدريساً وإدارةً وصناعةً ومهنةً وحرفةً، صنوفٌ متعددةٌ لا يحسنُها كلُّ أحدٍ، ولا يقوىٰ عليها كلُّ أحدٍ، ولكن يحتاجُ إليها كلُّ أحدٍ، إنما هي مواهبُ وقدراتٌ وهممٌ متفاوتاتٌ قسمَها اللهُ بين خلقِه؛ ليتخذَ بعضُهم بعضاً سُخرياً.

وإذا ترشَّحَ كفءٌ بمؤهلاته في عملٍ أو وظيفةٍ أو مهنةٍ، وباشرَ القيامَ بها؛ أصبحتْ في حقِّه فرضَ عينٍ، لا يحلُّ له أن يتراخىٰ أو يفرط، والتهاونُ خيانةٌ وعصيانٌ.

ومن جانبٍ آخرَ أيها المؤمنون، فإن هذه الأعمالَ نوعٌ من

العباداتِ. فهي طريقُ الحفاظِ على الأمةِ، وصيانةِ الدينِ، وقد يقصُرُ فقهُ بعضِ الناسِ؛ فيظنُّ أنها أقلُّ من فروضِ الأعيانِ.

يقولُ الأمامُ الجوينيُّ رحمه الله: «إن القيامَ بما هو من فروضِ الكفاياتِ، أحرىٰ بإحرازِ الدرجاتِ وأعلى في مثوبةِ القرباتِ، من فروضِ الأعيانِ. فإن ما تَعيَّنَ على المتعبِّدِ المكلفِ، لو تركَه اختصَّ بالإثمِ وحدَه، وإذا أقامه انفردَ بالأجرِ وحدَه، أمَّا لو تعطلَ فرضٌ من فروضِ الكفاياتِ، لعمَّ الإثمُ الكافةَ، على اختلافِ الرُّتبِ والدرجاتِ. فالقائمُ به كافٍ نفسَه وكافٍ جميعَ المخاطبين ورافعٌ عنهم الحرجَ والعقابِ، وآملٌ في أفضلِ الثوابِ فكيف يستهانُ بقدرِ مَنْ يُحلُّ محلَّ المسلمين أجمعين؟!» اهـ كلامه.

ومن نقصِ الفقهِ كذلك. ما يبدو من اختلالٍ في التوازناتِ عندَ بعضِ أصحابِ الوظائفِ والأعمالِ. فتراه مجتهداً في العباداتِ العينيةِ. وهذا حقٌ ومتعينٌ، ولكن حينَ يلي عملاً من أعمالِ المسلمينَ فالسآمةُ على محياه باديةٌ، والتبرمُ على جبينِه مرسومٌ.. يأتيه أصحابُ الحوائجِ والمراجعاتِ، فيؤخرُ هذا، ويهملُ هذا، ويضيِّع أوراقَ هذا، إن حقوقَ الناسِ ومصالحهم لا يجوز العبثُ بها، ولا التسويفُ فيها بغيرِ حقٍّ.

هلا تأملتمْ تخفيفَ اللهِ على الصالحين من عبادِه في نوافلِ العباداتِ من أجلِ القيامِ بمهماتِ الأمةِ ومصالحها العامة، اقرءوا إن شئتم قولَه عزَّ شأنُه: ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

إن العباداتِ والأعمالِ عينيَّها وكفائيَّها وسائلُ لتزكيةِ الفردِ، ورفعةِ الجماعةِ، والحفاظِ على قوةِ الأمةِ وعزةِ الدين.

أيها الإخوةُ، أيها الشبابُ، لابد من ارتفاعِ الهمم، ونفضِ غبارِ الكسلِ، إنك لا تكادُ ترى سبباً لأنواعِ البَطالاتِ المكشوفةِ والمقنّعةِ إلا سقوطَ الهمةِ وفتورِ العزيمةِ، فالرجلُ إنما يتركُ الجِدَّ في طلبِ العملِ، ويتهاونُ في السعي من أجلِ الرزقِ حين تنحطُّ همتُه وتصغرُ نفسُه، أما من شمَّر عن الساعدِ، وضربَ في الأرضِ ابتغاءَ فضلِ اللهِ. طرقَ الأبوابَ، وسلكَ المسالكَ، استسهلَ كلَّ صعبٍ من أجلِ معالي الأمورِ، فهو الجديرُ بالحياةِ الكريمةِ تأسياً بعظماءِ الرجالِ. حتى قال ابنُ الجوزي «ينبغي للعاقلِ أن ينتهي إلى غايةِ ما يمكنه، فلو كان يتصورُ صعودُ السمواتِ لرأيتَ من أقبحِ النقائصِ رضاه بالأرضِ، ولو كانت النبوةُ تحصلُ بالاجتهادِ رأيتَ المقصرَ في تحصيلِه في حضيضٍ».

وإذا كان العملُ يُلبسُ أهلَه لباسَ الاستغناءِ والكرامةِ، فإن في البطالةَ ثوبَ حقارةٍ فَضْفاضاً. يقولُ عمرُ رضي الله عنه: «أرىٰ الفتىٰ فيعجبُني، فإذا قيلَ لا حرفةَ له سقط من عيني».

ويقول أيضاً: «مكَسَبةٌ فيها دناءةٍ خيرٌ من مسألةِ الناس». ويأبى الرجالُ أصحابُ الهممِ العاليةِ، الرضا بالدونِ من العيَشِ، حتى لو وجدوا من يكفلُ لهم معاشَهم ها هو عبدالرحمنِ بن عوفٍ لا يقبلُ عَرضَ أخيه من الأنصارِ سعدِ بن الربيعِ؛ ليشاطرَه مالَه، بل

قالَ: دلوني على السوقِ فنزلَ وعمِلَ في التجارةِ، حتى أصبَح من أغنياءِ الصحابةِ، ينفقُ على الجيوشِ في سبيلِ اللهِ، ويسيِّرُ القوافلَ لنصرةِ دينِ اللهِ.

وأبوالوليدِ الباجيُّ: أحدُ علماءِ الإسلامِ، يرحلُ من الأندلس في طلبِ العلمِ إلى بغدادَ، في حالٍ من البؤسِ والفاقةِ.. فمَا كان منه إلا أنَ اختارَ عملاً قد لا نراه مناسباً لَمقامِه العلميِّ إذ أجَّرَ نفسَه لحراسةِ دربِ بغدادَ في الليلِ ليستعينَ بأجرتِه على طلبِ العلمِ بالنهارِ.

إن البطالةَ أيها الناسُ، تجعلُ صاحبَها كَلاًّ على غيرِه، يتنكر له العارفون، ويستثقلُه حتى الأقربون، تتفككُ من حوله الأواصرُ، وتتقطع الصلاتُ، إنها مصيبةٌ ماحقةٌ، تحترقُ في سعيرِها الفضائلُ والمصالحُ، وتذوبُ في مضاعفاتِها الأفرادُ والجماعاتُ.

فاتقوا اللهَ يرحمكُم اللهُ واعملوا صالحاً وأحسنوا: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥].

مع أيد تبتغي محبة الله (العمل والعمال)

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، إن كافةَ الأعمالِ المباحةِ ممتدحةٌ في الإسلام، محترمةٌ في الأمةِ، ولكنَّ الاحتقارَ والعارَ في أن يعيشَ المرءُ القادرُ عالةً على سعي غيرِه.

وليس بعدَ أنبياءِ اللهِ قدوةٌ، فقد زاولوا مناشطَ من الأعمالِ متنوعةً، وما نقصَ ذلك في اصطفاءِ اللهِ لهم، ولقد قال سبحانه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣].

وقال نبيُّكم محمدٌ ﷺ: «**ما بعثَ الله نبياً إلا رعىٰ الغنم**»[1].

فكلُّ عاملٍ له كرامتُه، وكلُّ حرفةٍ لها مكانُها، والحاجةُ لكلٍّ قائمةٌ، والثوابُ على قدرِ النيةِ والعملِ. وكلُّ عملٍ أو صناعةٍ أو حرفةٍ تسدُّ حاجةً وتجلبُ نفعاً فهي عملٌ صالحٌ إذا نصحَ فيها

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٥١٦ ـ ح٢٢٦٢)، وابن ماجه (٢/ ٧٢٧ ـ ح٢١٤٩).

صاحبُها وأتقنَ، لا تقومُ على حرامٍ، ولا تعينُ على حرامٍ، ولا يخالطُها حرامٌ.

فليهنأْ كلُّ مسلمٍ بعملِه، واعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلقَ له.

هذا، وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين نبيكم محمد بن عبدالله، فقد أمركم بذلك ربكم، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

بين الغرور والعزة وبناء الأمة

الخطبة الأولى

الحمدُ لله كتبَ العزةَ لنفسِه ولرسولِه وللمؤمنين. والذلةَ والصغارَ للمخالفين، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يذلُّ من والاه، ولا يعزُّ من عاداه، بيدِه مقاليدُ الأمورِ، وأَزِمَّةُ الخلائقِ أجميعن. وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، جُعل رزقُه تحت ظلِّ رمحِه، والذلةُ والصغارُ لمن خالفَ أمره، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ذوي النفوسِ الكبيرةِ، والهممِ العاليةِ، اندكتْ بعزائمِهم صروحُ الباطلِ، وتهاوتْ بمعاولهم قِلاعُ الضالين، ورضي اللهُ عن التابعينِ أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها المسلمون: الغرورُ والإعجابُ بالنفسِ أمراضٌ تبتلىٰ به بعضُ النفوس، يبعثُ عليها نعمةٌ من اللهِ مخَّولةٌ، أو بسطٌ في الرزقِ ممدودٌ، أو علمٌ متميزٌ، أو جاهٌ عريضٌ. كما قد يكون الدافعُ اعتداداً بالأحسابِ، أو تفاخراً بالأنسابِ، أو تعاظماً بالقبائلِ والعشائرِ، واحتماءً بحمىٰ الجاهليةِ المقيتِ.

والغرورُ كما يصيبُ الأفرادِ تقعُ فيه أممٌ، وتصابُ به شعوبٌ. ولقد قال قومُ عادٍ كما في كتابِ اللهِ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ

ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟﴾ [فصلت: ١٥] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

فردَّ اللهُ عليهم غرورَهم وتعاظمَهم: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨]. فليس ثمة شعبٌ متميزٌ على آخر، وليس بين اللهِ وبين خلقه سببٌ غيرُ طاعته واتباعِ أمرِه والعملُ بمرضاته: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

وفي مقام آخر قالتْ طوائفُ من أهلِ الكتابِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. إنه الغرورُ المطبوعُ عليه هؤلاء القوم، غرورٌ فلسفوا عليه خياناتِهم وجشعَهم، مدعين أن لهم في ذلك مستنداً من الدين.

قفلهم الغرورُ فجعلوا للأخلاقِ مقاييسَ متعددةً، فالأمانةُ وحفظُ الحقِّ محصورٌ في بني ملتِهم، أما غيرُهم من الأميين فلا حرجَ في أكلِ أموالِهم، ونهبِ حقوقِهم، والتدليسِ عليهم.

وأمةُ محمدٍ ﷺ خيرُ الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولكنْ هذه الخيريةُ خاضعةٌ لسنةِ اللهِ في الطاعةِ والتقوىٰ والإيمانِ، وصلاحِ الحالِ بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وإذا هي قصرتْ أو خالفت أدالَ[1] اللهُ عليها، ووقعَ عليها عدلُ

---

(١) أدال: نصر.

الله في عبيدِه، وحينما حصلَ شيءٌ من تقصيرٍ في أولِ عهدِها حوسبتْ عليه، وجوزيت به: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

خالفوا أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ في أُحُدٍ، فمضتْ فيهم سنةُ اللهِ التي لا تُحابي أحداً. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥].

هذا هو الغرورُ في بعضِ صورِه، وتلك هي بعضُ المظاهرِ في الغفلةِ عن سنةِ اللهِ.

أما العزةُ والثقةُ بالنفس فشيءٌ غيرُ الغرورِ، العزةُ خلقٌ محمودٌ أينما وجدَ، والثقةُ بالنفسِ خصلةٌ كريمةٌ لا طغيانَ معهَا ولا تَعالي.

المسلمُ عزيزٌ غيرُ مغرور، معتدٌ بنفسه في مواقفِ الذُّلِّ والهوانِ، يأبىٰ أن يُسامَ خُطةَ خسفٍ، لا يقبلُ النيلَ من دينه ولا نفسِه ولا أن يُمسَّ في أهلِه ولا مالِه بغيرِ حقٍّ. جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريدُ أخذَ مالي؟ قال: «**فلا تعطِه مالَك**». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتلْه**». قال: أرأيتَ إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيدٌ**». قال: أرأيتَ إن قتلتُه؟ قال: «**هو في النارِ**»[1] رواه مسلم.

من عزةِ المؤمنِ ألا يكونَ مستباحاً لكلِّ طامعٍ، أو غرضاً لكلِّ هاجمٍ. عزتُه ونخوتُه تقتضي أن يستميتَ دون دينِه ونفسِه وعرضِه ومالِه.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٢٤ ـ ح١٤٠).

ومكمنُ العزةِ في المؤمنِ قوةُ إيمانِه، وجميلُ صبرِه، وحسنُ ثباتِه. غيرَ هيابٍ ولا وَجِلٍ، ولو تكررَ منه الإخفاقُ والفشلُ.

والأمةُ تكونُ عزيزةً حين تربي أبناءَها على خلقِ الشجاعةِ، وصرامةِ العزمِ، وعلوِّ الهمةِ، تكون عزيزةً حين تَلِدُ أبطالاً، وتُعدُّ أجيالاً، وتبذلُ جهوداً لا يقعدُ بها بخلٌ، ولا يُلهيها غِنىٰ.

لا يصنعُ التاريخَ إلا الرجالُ الأعزةُ، أهلُ الحقِّ والإيمانِ، يُغيِّرون مجرىٰ التاريخِ بكفاحِهم المتواصلِ، وعزائمِهم التي لا تلينُ. تسيرُ الدنيا في ركابِهم ولا يسيرونَ في ركابِها. وأولُ من يجبُ أن يتحلىٰ بالعزةِ ويمتطي صهوةَ الكرامةِ، ويبتعدُ عن الغرورِ؛ رجالُ الأمةِ الذين وُكلَ إليهم تدبيرُ شئونها من العلماءِ والمعلمينَ والقادةِ والسياسيين، قياداتُها وأولو الأمرِ فيها، في جماعاتِها ودولِها، وأصحابُ النفوذِ فيها. قياداتٌ صالحةٌ مصلحةٌ قويةٌ راشدةٌ طاهرةٌ مؤمنةٌ. ذلك ركنٌ ركينٌ من أركانِ العزةِ، ودعامةٌ من دعائِم الحفاظِ على الحقِّ.

ولتعلموا رحمكم اللهُ: أن العزةَ لأهلِ الإيمانِ والحقِّ باقيةٌ ما استقاموا على النهجِ، وأصلحوا نفوسَهم، وحافظوا على الصلاحِ، وأخذوا بدروبِ الاستقامةِ ومسالكِ الفضيلةِ.

ذلك أن العزةَ لا تجتمعُ مع السفاسفِ والدنايا، والبعدِ عن اللهِ ومحاداةِ اللهِ ورسولِه، والجرأةِ على انتهاكِ حرماتِه، والمجاهرةِ بالفسوقِ والمعاصي.

تَذِلُّ الأمةُ ـ أيها الإخوةُ ـ وتفقدُ كرامتَها حين تنحرفُ نفوسُها عن غاياتِها، وتضلُّ أقدامُها طريقَها حين يتلاشىٰ الدينُ من مظاهرِ

الحياةِ؛ فتتغيرُ وجوهُها وقلوبُها، يحلُّ محلَّ عزةِ المؤمنِ ورجولةِ المجاهدِ صورُ النساءِ وعلائمُ الكفارِ، تصطبغُ ثيابُهم بألوانِ أعداءِ اللهِ، تختفي علومُ الإسلامِ ومعارفهُ لتحلَّ محلَّها ثقافاتٌ ضالةٌ ومقاييسُ منحرفةٌ. تنحرفُ في سلوكِها الراشدِ لتتمسكَ بعاداتٍ باليةٍ وتقاليدَ جاهليةٍ. غاضَ من قلوبِها عزةُ الإيمانِ وكرامةُ الإسلامِ.

استصغروا أنفسَهم، واستعظموا أعداءَهم، وتناسوا إيمانَهم وجنودَ ربِّهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١].

نفوسٌ صغيرةٌ ذليلةٌ فقدتْ طعمَ العزةِ، وأفئدةٌ غافلةٌ لاهيةٌ نسيتْ ربِّها، واستخفتْ بوعدِه ووعيدِه في الدنيا والآخرةِ.

أين العزةُ فيمن يرىٰ في اتباعِ أوامرِ اللهِ عبئاً ثقيلاً على كاهلِه؟ ويرى اللذةَ والبهجةَ في سلوكِ المعاصي، ودروبِ المخالفاتِ؟ إنه الضعيفُ المستضعَفُ، الهينُ على نفسِه، الخاضعُ لكلِّ قوةٍ، المنحرفُ مع كلِّ تيارٍ، يرتعشُ خوفاً ويرتعدُ فَرَقاً يقول: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

أيها الناسُ، لم تَبْنِ أمةٌ مجدَها، ولم ينلْ شعبٌ عزتَه بالانقيادِ خلفَ الملذاتِ، أو بانتشارِ الفوضىٰ والظلمِ وغيابِ الحقِّ والعدلِ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، إن عزَ هذه الأمةِ، ورفعةَ أهلِ الحقِّ لا تتمُّ ولن تكونَ إلا بالعضِّ على هذا الدينِ عقيدةً وشريعةً، صدقاً

وعدلاً، إحلالاً للحلالِ، وتحريماً للحرام، ثباتاً في الموقفِ، لا يزعزعه تهديدٌ ولا إغراءُ، ومن فقدَ الجُرأةَ، ورضيَ بالحياةِ الهينةِ، واستثقلَ حَملَ الشدائدِ؛ فلن يحققَ مجداً، أو يُحرزَ عزاً، ويحفظَ حقاً، ولكنه سيسيرُ في ركابِ الآخرين، ويجرفه التيارُ، ويَهلَكُ في الغابرين: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

بين الغرور والعزة وبناء الأمة

الخطبة الثانية

الحمد لله وحدَه، نصر عبدَه، وأعز جندَه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بالحقِّ أعزَّه، وبملائكته أمدَّه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على أمره والتزم عهدَه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها الأحبةُ: واعلموا أن نقدَ الذاتِ، وتجاوزَ الأخطاءِ وتصحيحَها من مظاهرِ الكمالِ الإنساني، ودليلُ الصدقِ مع النفسِ، ومعرفةِ الواقعِ والطبائعِ.

كما أن الفشلَ في بعضِ المواطنِ، أو الفتراتِ لا يجوز أن يكونَ مثبطاً للعزائمِ، مؤدياً إلى قتلِ الهممِ.

ولقد وجه الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين إلى سنته في هذا الشأن، فقال: عزَّ من قائلٍ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فلقد أصابَ المسلمين في غزوةِ أحدٍ ما أصابَهم من انتكاسةٍ وقتلٍ وقروحٍ وكسرٍ للمعنوياتِ، حتى أشيعَ فيهم قتلُ رسولِهم محمدٍ ﷺ فواسىٰ القرآنُ جروحَهم، وهوَّنَ عليهم قروحَهم، ورفعَ من

معنوياتِهم مؤكداً لهم ألاَّ وهنَ ولا حزنَ مادامَ الإيمانُ باقياً: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ واستقيموا على أمرِ ربِّكم؛ تصلحْ أحوالُكم؛ وتُحفظْ هيبتُكم، ويتحققْ عزُّكم.

حال الأمة وسنن الله في التغيير

الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، من يطع اللهَ ورسولَه فقد رشدَ، ومن يعصي الله ورسولَه فلا يضرُّ إلا نفسَه، ولن يضرَّ اللهَ شيئاً. وأشهد ألا إلـه ألا الله وحـده لا شـريـك لـه، وأشهـد أن محمـداً عبـده ورسوله وصفيُّه وخليلُه، أظهر به الدينَ، وأعلى به الملةَ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فيقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أيها المسلمون: من دينِ الإسلام تُستمدُّ الأحكامُ، وبدينِ الإسلام تستقيمُ الأحوالُ، وترتفعُ الأعلامُ، شئونُ الأمةِ فرديةً كانت أو اجتماعيةً، ماديةً أو معنويةً، محليةً أو دوليةً، سلميةً أو حربيةً، كلُّها محكومةٌ بدينِ اللهِ، ليس لهذه الأمةِ رصيدٌ غيرُه، وليس لها قيامٌ بدونِه.

حريٌّ بالأمةِ وهي تعيشُ خِضمَّ الأحداثِ، ومتغيراتِ الأيامِ أن تحسَّسَ موقعَها وموقفَها، وأن تتلمسَ دربَها وطريقَها.

أين العروةُ الوثقىٰ؟ وكيف المعتصم؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أمةُ محمدٍ ﷺ خيرُ أمةٍ أُخرجتْ للناس، هذا كلامُ ربِّنا في وحيٍ يُتلىٰ، وخبرٍ لا يتخلفُ، أمةٌ وسطٌ، شَهيدةٌ على الناسِ.

هذه الخيريةُ والوسطيةُ في أمةٍ مؤمنةٍ، يحمدونَ اللهَ في السراءِ والضراءِ، يذكرونَ اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِهم، وفي مساجدِهم ومجالسِهم. أناجيلُهم في صدورِهم، رهبانٌ بالليلِ، فرسانٌ في النهارِ، يجاهدونَ في سبيلِ اللهِ، ولا يخافون لومةَ لائمٍ، هم الآخِرون السابقون، غايتُهم ومقصَدُهم إخراجُ الناسِ من الظلماتِ إلى النورِ، إخراجُ الناسِ من عبادةِ العبادِ إلى عبادَةِ ربِّ العبادِ، ومن جورِ الأديانِ إلى عدلِ الإسلامِ، ومن ضيقِ الدنيا إلى سعةِ الآخرةِ. هم أولياءُ اللهِ وأحباؤُه، يأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ، ويقيمون الصلاةَ، ويؤتون الزكاةَ، ويطيعون اللهَ ورسولَه. هؤلاء هم خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناسِ، محفوظون بدينِ اللهِ، مستقيمون على هديِ رسولِ اللهِ ﷺ، أكمل اللهُ لهم دينَهم، وأتم به عليهم نعمتَه.

تنبعُ خيريةُ الأمةِ، وتتأكدُ وسطيتُها في دينِها الكاملِ الخاتمِ. حاربَ الشركَ، وما يُفضي إليه، وفضحَ الانحرافاتِ في الدياناتِ السابقةِ من اليهوديةِ والنصرانيةِ وغيرِها. ابتدعوا في دياناتِهم، فابتعدوا عن هديِ ربِّهم، دينُ هذه الأمةِ الخيِّرةِ كاملٌ تامٌ، لا يقبلُ التجزئةَ؛ إيمانٌ بكلِّ ما جاء به القرآنُ الكريمُ، وصحَّ به النقلُ عن النبيِّ المعصومِ ﷺ، كمالٌ وشمولٌ في التوحيدِ

والنبواتِ والقضاءِ والقدرِ، والبعثِ والنشورِ، الخيريةُ والوسطيةُ في تمامِ العبادةِ وشمولِها، حيثُ رُسمتْ حدودُها، وحُدِّتْ صفاتُها، ونُبِّه على أركانِها وشروطِها، ومُنعَ الإحداثُ والابتداعُ فيها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وفي الحديث: «**من أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»(١). رواه البخاريُّ ومسلمٌ واللفظُ له.

نظرٌ شاملٌ في كلِّ مناحي الحياةِ، ومعاملاتِها وعاداتِها، أصولٌ عامةٌ، ونظمٌ مفصلةٌ.

حَفِظَ هذا الدينُ لهذه الأمةِ خيريتَها ووسطيتَها، حفظَ للناسِ حقوقَهم، الأقربين منهم والأبعدين، حدَّ الحدودَ، وشرعَ التعازيرَ، وصانَ الدماءَ والأنفسَ والأموالَ والأعراضَ، أمرَ بالعدلِ والإحسانِ، والصدقِ والأمانةِ، والوفاءِ والصبرِ والعفافِ والحياءِ، والتعاونِ على البرِّ والتقوىٰ، ونهىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغيِ.

ومن علائمِ أهلِ النفاقِ في هذا الدينِ خُلفُ الوعدِ، وكَذِبُ الحديثِ، والفجورُ في الخصومةِ، وخيانةُ الأماناتِ. وحوتْ آدابُ الإسلامِ فيما حوت من أجلِ هذه الأمةِ الخيِّرةِ، وهذه الأمةِ الوسطِ، حوتْ آدابَ الأكلِ والشربِ، والنومِ واليقظةِ، واللباسِ والزينةِ. والمشيِ والجلوسِ، والزيارةِ والاستئذانِ، والتحيةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٥ ـ ح٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣ ـ ح١٧١٨).

واللقاءِ، وأدبِ الحديثِ والطريقِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

لو صدقَ المسلمون في دينِهم والتزموا آدابَه وأحكامَه بهذا الكمالِ والشمولِ؛ لتميزوا بالحقِّ والخيرِ، ولعرَفَ بعضُهم بعضاً، ولسوفَ يتميزونَ بهيئاتِهم ولباسِهم، كما يتميزون بعقائدِهم وشعائرِهم، ولسوف يتميزون بالتنزُّه عن الموبقاتِ والفواحشِ، كما يتميزون بالآدابِ الفاضلةِ، والأعمالِ الخيِّرةِ، وكما يُعرفون بإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، فإنهم يُعرفون بالأكلِ باليمينِ، وإفشاءِ السلامِ، وتشميتِ العاطسِ.

إنها آدابٌ رفيعةٌ خفيفةٌ، تكشفُ كلَّ الكشفِ عن شخصيةِ المسلمِ المميَّزةِ، ذلكم المسلمُ الخلوقُ العابدُ التقيُّ.

أيها المسلمون، هذا الحقُّ، وهذا الخيرُ هو لهذه الأمةِ محفوظٌ ما استقامتْ على الطريقة، واستكملتْ شروطَ المهمةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إن على المسلمين اليومَ وبين أيديهم كتابُ ربِّهم وسنةُ نبيِّهم محمدٍ ﷺ أن يتقوا ربَّهم. ألا فليتقِ اللهُ المسلمونَ.. ألا فليتقوا ربَّهم، ويراجعوا أحوالَهم، وينظروا في سننِ اللهِ، وأحوالِ من قبلُهم، وأحوالِهم مع غيرِهم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤].

الخلافةُ في الأرضِ لم تكن إلا من أجلِ إقامةِ الحقِّ والعدلِ، من أجلِ تطهيرِها من الرجسِ والشركِ والفسوقِ، ونقائِها في العقائدِ والأخلاقِ والأحكامِ.

أمرُ الخلافةِ والتمكينِ منوطٌ بالأعمالِ الصالحةِ. واللهُ سبحانه ناظرٌ كيف يعملون، مطلعٌ على ما يبرمون، وكلٌّ من ظلمَ وخالفَ فلن يُفلِتَ من سنةِ اللهِ في الظالمين.

المذنبون والمقصرون فريقان: فريقٌ يقعُ في الذنبِ، ثم يرجعُ ويتعظُ ويتوبُ، وفريقٌ يصابُ بذنبه، ويصرُّ على حنثِه حتى يُطبعَ على قلبه: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠٠] إذا طُبعَ على القلبِ فقد وَصَلَ الفسادُ إلى حالٍ لا يقبلُ صاحبُها خيراً، ولا يفقهُ قولاً، ولا تنفعهُ عبرةٌ ولا ذكرىٰ: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

أيها المسلمون، ما أعاق الأمةَ اليومَ، وما حاق بها من بلاءٍ إلا أنها في كثيرٍ من مواطنِها وأوضاعِها اختارتْ غيرَ ما اختارَ الله، ودانتْ بمناهجَ على غيرِ طريقِ رسولِ اللهِ ﷺ، اختلطتْ عليها السبلُ، واصطبغتْ بغيرِ صبغةِ اللهِ، تغيرتْ أحوالُهم، وفرطوا في دينِهم، أضاعوا الصلاةَ، واتبعوا الشهواتِ، أكلوا الربا، وفشا فيهم الفحشُ والزنا، اتبعوا خطواتِ الشيطانِ، تفرقوا شيعاً وأحزاباً، وتركوا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ، لم يكونوا أشداءَ على الكفارِ، ولا رحماءَ بينهم، ولم يُعدُّو ما استطاعوا من قوة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أما أعداءُ الأمةِ فإنهم مخذولون مهزومون، وخبرُ اللهِ فيهم لا يتخلفُ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١] إنه ضُرٌّ لا

يؤدي إلى هدم كيان الأمة، ولا إلى إضمحلالها. إنه ضمانٌ قرآنيٌّ حقٌ، وخبرٌ إلهيٌّ صدقٌ، مؤكدٌ بخبرٍ آخرَ: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١]. ويتبعهُ خبرٌ ثالث: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران: ١١١] إنها بشاراتٌ كريمةٌ مشروطةٌ بمحافظةِ الأمةِ على دينها: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فهل يهتدي المسلمون إلى العروةِ الوثقىٰ؟ وهل يعرفون كيف المعتصمُ؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [النور: ٥٥ ـ ٥٧].

حال الأمة وسنن الله في التغيير

الخطبة الثانية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والشكرُ له على جزيلِ فضلِه وكريم إحسانِه. وأشهد ألاَ إله إلا الله وحده لا شريك له. اعترافاً بجوده وامتنانه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله، الداعي إلى هُدىٰ اللهِ ورضوانِه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأتباعِه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ: إن أمةَ الإسلام مسئولةٌ عن حمايةِ الحقِّ، وإقامةِ المُثُلِ العليا، ونشرِ الفضائلِ الكريمةِ، تأخذُ على يدِ الظالمِ، وتحاربُ الجريمةَ. إن غايتَها في ذلك تهذيبُ البشريةِ، ومناهضةُ النزعاتِ الشيطانيةِ، ووضوحُ الفرقانِ بين الحقِّ والباطلِ، والخيرِ والشرِ، والحسَنِ والسيءِ، والفضيلةِ والرذيلةِ.

إن في دينِ هذه الأمةِ تلازماً وثيقاً بين العقائدِ والعباداتِ، وبين سلوكِ الإنسانِ وأخلاقِه في البيتِ والعملِ والسوقِ والمدرسةِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]. إنه تلازمٌ يوجبُ على المسلمين أن يأخذوا بالدينِ كلِّه، فالدينُ كلٌ لا يتجزأُ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة: ٨٥].

ولم تؤتَ الأمةُ، ولم تحصلْ النكباتُ إلا من أناسٍ ظنوا أن الإسلامِ مقصورٌ على علاقةِ العبدِ بربِّه، ولا صلةَ له بالمجتمعِ، ولا بالحياةِ.

إن الخروجَ على أحكامِ الإسلامِ وأصولِه اعتقاداً أن غيرَه أقربُ إلى الحقِّ، أو أدنىٰ إلى العدلِ، أو أحفظُ للمصلحةِ؛ من اعتقد هذا؛ فقد خلعَ رِبقةَ الدينِ من عنقِه.

فاتقوا الله ربَّكم ، اتقوا الله ربَّكم أيها الناسُ، واستمسكوا بدينِكم وأقيموا الدينَ ولا تتفرقوا فيه، أقيموه في أنفسِكم وأهلِيكم، وسائرِ جوانبِ حياتِكم. وعودوا إلى ربِّكم، وتوبوا إليه.

الهـوىٰ والخـلاف

الخطبة الأولى

الحمدُ لله على ما منحَ من النعماءِ، والشكرُ له على عظيمِ الآلاءِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأعوذُ به من مكرِ الأعداءِ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، جعلنا على المحجةِ البيضاءِ، وحذر من الاختلافِ والفرقةِ والشحناءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبهِ، استقاموا على النهجِ، وقصدوا الحقِّ، فكانوا إخوةً أصفياءَ، ورضي الله عن التابعين، ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم، واجتنب سبيلَ أهلِ الأهواءِ.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا اللهَ حقَّ تقاتهِ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون. اتقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً، يصلحْ لكم أعمالكم، ويغفرْ لكم ذنوبَكم، ومن يطعِ الله ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيماً.

أيها الإخوةُ في اللهِ، عقيدةُ التوحيدِ تجمعُنا، ودارُ الإسلامِ تُؤوْينا، ولكن من المحزنِ أن يحسَّ المسلمُ الغيورُ بغاراتٍ شعواءَ، يشنُّها خصومُ الإسلامِ على الإسلامِ وأمةِ الإسلامِ، خصومٌ من الداخلِ والخارجِ.

أغراضٌ متباينةٌ، وأهواءٌ كامنةٌ، وراءَ اتساعِ هذه الهجماتِ، وإلحاحٌ مقيتٌ من مُسْعرِيها، مع كثرةِ الدخَلاءِ، وفشوِّ سوقِ النفاقِ.

أيها الإخوةُ في العقيدةِ وطلابَ الحقيقةِ: على حسابِ مَنْ تُستثارُ المشاعرُ المشبوهةُ؟.

إن أصحابَ الأغراضِ والأهواءِ لا يجدون مُتنفساً في صدورِهم إلا بتتبعِ الهفواتِ، واستغلالِ الزلاتِ، وتلفيقِ الاتهاماتِ.

إن الهوىٰ ما خالطَ شيئاً إلا أفسدَه. بالهوىٰ يخرجُ العالِم من السنةِ إلى البدعةِ، وبالهوىٰ يقعُ الزاهدُ المتزهدِ في الرياءِ والسمعةِ، وبالهوىٰ يقعُ المسئولُ في الظلمِ، ويبتعدُ عن الحقِّ والحكمةِ.

إذا ساد الهوىٰ، واختلفتْ النياتُ؛ تولدتْ الجرأةُ على اللهِ وعلى الناسِ، وفشتْ الطعونُ والمكائدُ، ونُصِبتْ حبائلُ المكرِ وشباكُ الخَديعةِ. ومن ثَمَّ تحصلُ الفُرقةُ والشحناءُ، ويتمكنُ الأعداءُ، ويذلُّ أهلُ الإسلامِ.

إن أهلَ الأهواءِ يريدون في الأمةِ اختلافاً وتنافراً، وتنابذاً وتنابزا، يريدون منها أن تذِلَّ بعد عزِّها، وتنحطَّ بعد رِفعتِها، يريدونها أن تتفرقَ في دينِها شيعاً ومذاهبَ وأحزاباً.

أيها المحللون الإخباريون، أيها الساسةُ المحترفون من المسلمين: إنكم مسئولون عن أمانةِ الكلمةِ، مسئولون عن جمعِ الأمةِ على الحقِّ، لا يجوزُ الركون إلى مفاهيم غيرِ المسلمين،

والجنوحُ إلى تصوراتِ الكافرين، والرضا بتحليلاتِ المارقين، وتفسيراتِ المشبوهين. ﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ [النساء: ٤٦].

وقد وردَ في الخبرِ: «**لا تسألوا أهلَ الكتابِ عن شيءٍ، فإنهم لن يَهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تُصدِّقوا بباطلٍ وإما أن تكذِّبوا بحقٍّ**»[1]. رواه البخاريُّ بمعناه.

أيها العلماءُ، أيها الدعاةُ، أيها الكُتَّابُ: لا يتنازعُ الناسُ، ولا تتسعُ بينهم الشقةُ؛ إلا حين يكون الهوىٰ متبعاً، ويُعجبُ كلُّ ذي رأيٍ برأيه.

إن الاختلافَ في وجهاتِ النظرِ بذاتِه لا يثيرُ نِزاعاً، ولا يولِّد تنافراً، ولكن صاحبَ الهوىٰ والمعجبَ بنفسِه يجعلُ الحقَّ في كفةٍ، ونفسَه المخذولةَ في كفةٍ.

إن الخلافَ العلمي لا يثيرُ حفائظَ النفوس، ومكنوناتِ الصدورِ إلا عند من قلَّ في دينِ اللهِ فقهُهُ، وضعفتْ تربيتُه، وساءَ قصدُه ونيتُه.

أما العلماءُ الراسخون، والدعاةُ الصادقون، والكتَّابُ المخلصون فأولئك عن هذا مبعدون، ذلكم ـ أيها الإخوةُ ـ لأن سنةُ الله في البشرِ أن يختلفوا ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف مرفوعا (٦/ ١١٠ ـ ح١٠١٥٨)، (١٠/ ٣١٢ ـ ح١٩٢٠٩) وفيه انقطاع، وأخرجه موقوفا (١٠/ ٣١٣ ـ ح١٩٢١٢)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: سنده حسن (١٣/ ٣٤٥)، ومعناه عند البخاري (١٣/ ٣٤٥ ـ ح٧٣٦٣).

والفقهاءُ والعلماءُ والدعاةُ ليسوا بدعاً من البشر، وليسوا بخارجين عن هذه السنةِ، فالأنظارُ متفاوتةٌ، والأدلةُ مختلفةُ، والاستنتاجُ متباينٌ، وكلُّ ذلك خلافٌ سائغٌ ووجهاتُ نظرٍ محترمةٌ، ومن أصابَ من أهل الاجتهادِ فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ.

حجَّ عثمانُ رضي الله عنه سنةَ تسعٍ وعشرين، فأتمَّ الصلاةَ في منى وعرفةَ أربعَ ركعاتٍ، فتكلَّم الناسُ في ذلك، وعابَ عليه جمعٌ من الصحابة. حتى قال له عليٌّ رضي الله عنه: لقد أحدثتَ أمراً والعهدُ برسولِ اللهِ ﷺ لا يزالُ قريباً، وإنك قد عِهدتَ النبيَّ ﷺ وأبابكرٍ وعمرَ يصلون ركعتين، وأنت صليتَ ركعتين صدراً من خلافتِك. فقال عثمان: هذا رأيٌ رأيتُه، وفي بعضِ رواياتٍ، إن عبدَالرحمن بنَ عوفٍ ناقشَه بنحو ما قالَ عليٌّ رضي الله عنه، فقال عثمانُ: إني أُخبرتُ أن بعضَ من حجَّ من اليمنَ وجفاةَ الناس قالوا: إن الصلاةَ للمقيم ركعتان، واحتجوا بصلاتي وقد اتخذتُ بمكةَ أهلاً. فقال عبدُالرحمن: ما في هذا عذرٌ، فخرجَ عبدُالرحمن فلقيَ عبدَالله بن مسعودٍ، فقال: يا أبا محمدٍ، لقد غُيِّرَ ما نعلمُ. قال ابن مسعودٍ: فماذا أصنعُ؟ قال: اعمل بما ترىٰ وتعلمُ، قال ابنُ مسعود: الخلافُ شرٌّ كلُّه، وقد صليتُ بأصحابي أربعاً، فقال عبدُالرحمن: قد صليتُ بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوفَ أصلي أربعاً.

أيها المسلمون: ما من شكٍ في أن خلافَهم في هذه المسألةِ شديدٌ، ولكنه خلافٌ في الرأي، لم يُرِدْ به عثمانُ رضي اللهُ عنه عِصياناً ولا تنكراً، حاشا وكلا، وما كان صادِراً عن هوىً في

النفس، ولكنه رأيٌ غلبَ عنده رجحانُه، ومخالفوه من الصحابةِ كعبدالرحمنِ بن عوف وعبدِاللهِ بن مسعود لم يكن عندهم تحزبٌ ولا تعصبٌ؛ بل تركوا ما كان عندَهم أرجحَ وأقوىٰ، وعدلوا إلى المرجوحِ الضعيفِ؛ لما يرونه ويدركونه من أن الخلافَ شرٌّ فأتمُّوا الصلاةَ، ولم يقصروا، توحيداً للكلمةِ، ووحدةِ للصفِّ.

أيها الفضلاءُ: بمثلِ هذا النظرِ البصيرِ، والقلبِ السمْحِ، يُنظَرُ في مسائلِ الخلافِ، فيرتفعُ الملامُ، ويُحفظ حقُّ الأئمةِ الأعلامِ.

الاختلافُ في الرأيِ لا يمكنُ أن يكونَ مؤدياً إلى فتنةٍ، أو مُورثاً فُرقةً، إلا إذا صاحبَه بغيٌ أو هوىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

وبناءً على هذا أيها الإخوةُ: فإن كلَّ ما أوجبَ فتنةً، وأورثَ فُرقةً؛ فليس من الدينِ في شيءٍ، وليس من نهجِ محمدٍ ﷺ في شيءٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

إن من علاماتِ الرجولةِ، ودلالاتِ الكمالِ أنكَ حين تُخالِفُ امرأً في تفكيرِه، أو تعارِضُه في وجهةِ نظرِه، لا ينطوي فؤادُك على كرِهِه، أو يمتلىءُ صدرُك بالغيظِ منه، وينطلقُ لسانُك بتجريحِه واتهامِه.

إن من المآسي أن ترىٰ كاتباً مغرضاً، أو قارئاً مسيئاً، أو مستمعاً متجنياً، يطالعُ في سيرِ الرجالِ، ويقرأُ في كتبِهم، ويستمعُ إلى تسجيلاتِهم، فلا يستوقفُه إلا ما ينسبُ إليهم من هناتٍ، أو يَزِلُّون فيه من أخطاءٍ، أما ما أفاءَ اللهُ عليهم من

محامدَ، وما قدَّموه للناس من حقٍّ وخيرٍ فلا يأبهون به، ولا يذكرونه، إنهم كجيرانِ السَوءِ، إذا رأوا خيراً دفنوه، وإذا رأوا شراً طاروا به وأذاعوه.

إن التماسَ الأخطاءِ وتحريفِ الكلِمِ، وتأويلَ النصوصِ، من أجلِ التشهيرِ والتنقيصِ، لا يقيمُ عوجاً، ولا يرفعُ خسيسةً.

وباللهِ نعوذُ وإليه نلتجىءُ من أقوامٍ رائدُهم الهوىٰ، وقائدُهم الشيطان، وحاكمُهم التعصبُ، ومركبُهم التجني، وبالله نستغيثُ من فئاتٍ تتلمسُ العيبَ للبُرَءاء والأخطاءَ للمصيبين، والذنبَ لمن لا ذنب له.

إن المؤمنَ الحقَّ، ورجلَ الدعوةِ الصِّدقَ: هو الذي يملكُ نفسَه في مثلِ هذه المقاماتِ، ويتثبتُ في هذه المنعطفاتِ، يملكُ زمامَ لسانِه وفكرِه وقلمِه من أن يُفلتَ بسببِ كلمةٍ طائشةٍ، أو وشايةٍ حاقدةٍ.

ألا فاتقوا اللهَ أيها الأحبةُ، اتقوا اللهَ جميعا، والزموا التآخي متواضعين، واجتمعوا على الإسلامِ متحابين، وانشروا التسامحَ مع العاثرين. فإنه إن يُصبْ الإسلامَ في هؤلاء فلا أملَ في غيرِهم من الزنادقةِ المتنكرين لكلِّ شريعةٍ أَو دينٍ.

اللهم إنا نسألُك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، ونسألُك كلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، ونعوذ بك أن نقولَ زُوراً، أو نغشىٰ فُجورا، أو نتكلفَ ما لا يعنينا. اللهم اجمعْ على الحقِّ كلمتَنا، وأصلحَ لنا شأنَنا، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

الهـوىٰ والخـلاف

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تجاوز عن الذنوب وعفا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، أفضل الخلق وأزكاهم شرفا. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أهلِ البرِّ والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، واعلموا أنه ينبغي للمسلم أن يكونَ أوسعَ أُفُقاً، وأكثرَ حكمةً، وأشدَّ تدقيقاً فيما يقولُ ويكتَبُ، وفيما يأتي ويسمعُ.

وكم هو جميلٌ من المثقفِ وطالبِ العلمِ أن ينظرَ في رأي المخالفِ، ويزنُه بميزانِ العدلِ والإنصافِ، ويبذلَ وسَعه في الفهم والإفهام، مع التباحثِ والمذاكرةِ مكاتبةً أو مشافهةً. والأهَمُّ من ذلكَ معرفةُ أقدارِ الرجالِ وسوابقِ فضلِهم، والاعترافُ بجهودِهم، وجميلِ أفعالِهم.

يقول سعيدُ بنُ المسيِّبِ: ليس من عالمٍ ولا شريفٍ ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيبٌ، ولكن من كان فضلُه أكثرَ من نقصِه ذهبَ نقصُه لفضلِه، كما أن منْ غلبَ عليه نقصانُه ذهبَ فضلُه.

وقال غيره: لا يسلمُ العالمُ من الخطأ، فمن أخطأ قليلاً وأصابَ كثيراً فهو عالمٌ.

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، وتحروا العدلَ. وإياكم والانسياقَ في الهوىٰ، والوقوعَ في التجريح، فالذين يؤذون المؤمنين والمؤمناتِ بغير ما اكتسبوا قد احتَملوا بهتاناً وإثماً مبيناً.

محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

الخطبة الأولى

الحمد لله يبدىءُ ويعيدُ، خلق السمواتِ والأرضَ بالحقِّ، يكورُ الليلَ على النهارِ، ويكورُ النهارَ على الليلِ. أحصىٰ على الخلقِ أعمالَهم، فهو بكلِّ شيءٍ محيطٌ، وعلى كلِّ شيءٍ شهيدٌ، أحمده سبحانه وأشكره، وأسأله من فضلِه المزيدَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو الوليُّ الحميدُ.. وأشهد أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه.. دعا إلى اللهِ وهاجرَ في سبيلِ اللهِ وجاهدَ وصابرَ.. حتى أقامَ الملةَ، ورفعَ رايةَ التوحيدِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ الهجرةِ والنصرةِ والتأييدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون حقَّ التقوىٰ ، فالأعمار تُطوىٰ، والآجالُ تَفنىٰ، والمُؤَمِّلُ يقعدُ به أملُه، والمُسوِّف يعاجلُه أجلُه. فاتقوا اللهَ وأحسنوا، إن الله يحبُّ المحسنين.

أيها الإخوةُ المسلمون: تتعاقبُ أمواجُ السنينَ على ساحلِ الحياةِ. فتنفي الخبثَ، وتطرحُ الغُثاءَ، وتركُم الأحداثَ، ويزدادُ سجِّلُ التاريخِ صفحةً بعدَ صفحةٍ، وابنُ آدمَ بأمرِ اللهِ محمولٌ على هذه الأمواجِ. تتقاذفه من هنا وهناك. والفلكُ الدائرُ يتحركُ ـ

بإذن الله ـ فيلفظُ القشرَ، ويصفِّي الأكدارَ، ويحفظُ اللُّبابَ.

وفي استقبالِ عامٍ وتوديعِ آخرَ.. تأمَّلوا وتدَّبروا.. اقرءوا ما خطَّه التاريخُ في صفحتِه التي طواها الدهرُ بالأمس. هل انجلتْ غواشي الغفلةِ عن العيونِ السادرةِ؟ هل ارتفعَ الذلُّ عن النفوسِ العزيزةِ؟ هل اجتمعتْ القلوبُ المتنافرةُ؟ هل ملَّتْ النفوسُ الحديثَ عن الآمالِ والبشائرِ؟ هل لم تستفدْ من زمنِها، وتقلُّبِ الأيامِ بها إلا الجدلَ العقيمَ في تأييدِ رأيٍ وتفنيدِ آخرَ؟ هل هي خُططٌ بالكلامِ، وانتصاراتٌ بالأماني والأحلامِ؟.

أيها الإخوةُ، من أجلِ إجاباتٍ شافيةٍ، ونظراتٍ صادقةٍ أمامَ هذه التساؤلاتِ.. لابد من وقفةٍ محاسبةٍ جادةٍ، ومراجعةٍ دقيقةٍ.. فلقد تفجرتْ في وجوه الأمةِ الأهوالُ، واغبَّرتْ في عيونِها الآمالُ.. بين أنَّاتِ الشاكي، ودموعِ الباكي، وانكسارِ الجناحِ المَهيضِ.

أيها الإخوةُ: أمامَنا حالاتٌ من التأملِ، حالُ التأملِ الأولىٰ: إن هذه الأمةَ، أمةَ الإسلامِ ـ حين هاجرتْ من مكةَ إلى طيبةَ ـ هاجرتْ وهي ضعيفةٌ في قواها، راسخةٌ في إيمانِها.. ثم انطلقتْ من طيبةَ الطيبةَ غالبةً في الشرقِ والغربِ..في الشمالِ والجنوبِ. انطلقتْ من قُريَّاتِ الجزيرةِ إلى قاراتِ الدنيا. ذلكم هو دينُ الله الذي به الأمةُ قامتْ، وإليه دعتْ، وبه فازتْ. إنه توحيدُ اللهِ وتوحيدُ الكلمةِ، وتوحيدُ القوةِ وتوحيدُ الغايةِ. أعلنتْ الأمةُ كلمةَ اللهِ، وبلغتْ رسالةَ الحقِّ، وحملتْ أمانةَ العلمِ، أرشدتْ ـ بتوفيقِ اللهِ ـ الضالَّ فاهتدىٰ، وانتصرتْ للذليلِ فاعتزَّ، وعلَّمتْ الجاهلَ فاستنارَ. مكَّنتْ في حكمِها وأرضِها لعناصرِ الحقِّ والخيرِ.

فتربتْ عليها كلُّ نفس، وازدهرَ بها كلُّ جنس. وانتشرتْ في كلِّ أفقٍ، وحققتْ للإنسانِ الطريدِ والمستعبدِ، حققتْ له الأمانَ في أخوَّةٍ ساميةٍ، ومواساةٍ راحمةٍ، ومساواةٍ عادلةٍ، وحريةٍ حقةٍ.. استنارتْ فيها العقولُ، ونمتْ فيها المداركُ.

لماذا كانت الأمةُ كذلك؟ ولماذا حققتْ كلَّ ذلك؟ لأن رسالتَها وحيُ السماءِ، وليستْ وحيَ الجوعِ والمطامعِ. أوحاها ربُّنا الذي خلقَ الموتَ والحياةَ، وجعلَ الظلماتِ والنورِ.. الذي يعلمُ المفسدَ من المصلحِ.. هذا حالٌ من التأملِ.

ولكن في فترةٍ من الزمنِ.. ضعُفتْ الكواهلُ عن حَملِ التكاليفِ، واستثقلتْ أعباءَ المجدِ، وغلبتها سِنةٌ من النومِ والكسلِ.. فلما استيقظتْ، لتمسحَ الكرىٰ عن الجفونِ، وتنفضَ الغبارَ عن المتاعِ... فإذا العالمُ يعصفُ به سعارٌ من الجشعِ المسلحِ، والطمعِ الباغي، وإذا الدينُ الحقُّ يغطيه غبشٌ المزاجَ الغربيِّ الكافرِ بعلمانيتِه وماديتِه، وإذا المنتسبونَ لموسىٰ ـ عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ـ ينهجون نهجَ المكرِ والدَّسِ، ويتعاملون تعاملَ الرِّبا والغشِّ، والمنتسبون لعيسىٰ ـ عليه السلامُ ـ ينشرونها حروباً وخصوماتٍ، ويروِّجونَها تفسُّخاً وخنا في أصقاعِ الدنيا وأطرافِ المعمورةِ.. حضارةٌ ماديةٌ.. هي علةُ شقاءِ هذا العصرِ.. تباعدتْ بها القُربىٰ، وتنافستْ فيها الأطماعُ، وتنامتْ فيها الأحقادُ، واضطربَ الناسُ في سبيلِ المعاشِ، وألهبهم حوافزُ النهمِ والطمعِ، وتخاصموا على بلادِ الضعفاءِ، وحكَّموا في رقابِهم السلاحَ.. فكانت الدنيا بحضارتِهم عذاباً أليماً.. ينضجُ الجلودَ، ولا يزهقُ الأرواحَ، وهذا حالٌ من التأملِ آخرُ..

أما الحالُ الثالث ـ أيها الأخوةُ ـ فإن الإسلامَ حقٌّ بذاتِه، وقوتُه من داخلِه، ولا يزالُ كتابُ اللهِ محفوظاً. . . يعمرُ القلوبَ، ويغمرُ النفوسَ بالحياةِ والقوةِ. . حياةِ الروحِ وقوةِ الإيمانِ.

نعم ـ بحمدِ اللهِ ـ الإسلامُ روحٌ، فهو حياةٌ وعقيدةٌ، وهو قوةٌ وشريعةٌ، وهو دستورٌ ومحبةٌ، وهو سلامٌ وأمانٌ.

وهؤلاءِ الكفارُ ورجالُ الاستعمارِ. . هالهم سِرُّه، وراعهم حقيقتُه. . فحاولوا أن يطفئوه في مشرقِ نورِه، ويخنقوه في مصدرِ صوتِه. . من أجلِ أن يسرقوا الضمائرَ في الظلامِ، ويسلبوا الكنوزَ والذخائرَ في الغفلةِ.

ولقد أخطئوا ـ واللهِ ـ فهمَه، وجهلوا قوتَه. . إنه نورٌ اللهِ يسطعُ ما سطعت الشمسُ، ونداءُ السماءِ يرتفعُ ما ارتفعَ الحقُّ.

ويتأكدُ هذا أيها الإخوةُ، ونحن في حالِ التأملِ، ومقامِ النظرِ والمحاسبةِ. تتأكدُ قوةُ الإسلامِ وحقيقةُ هذا الدين. . حين برزتْ في هذا العصرِ دعواتُ إصلاحَ، وقام رجالٌ مخلصون فَقِهوا في دينِ اللهِ، وصحتْ فيهم عقائدُه. . من لدنْ محمدِ بنِ عبدِالوهابِ ـ رحمه اللهُ ـ ومن ناصرَه، والروّادِ المصلحين المخلصين من بعدِه، وعلى أثرِه في رجالِ الدعوةِ وشبابِ الصحوةِ مصداقاً لقولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يزالُ من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ، لا يضرُّهم من خذلَهم ولا من خالَفهم حتى يأتيهم أمرُ الله وهم على ذلك**»[1] متفق عليه، واللفظ للبخاري من حديث معاوية.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٧٣١ ـ ح٣٦٤١)، ومسلم (٣/ ١٥٢٤ ـ ح١٠٣٧).

فأخذتْ تسري في جذعِ الأمةِ الحياةُ، وتنشرُ في سيقانِها الربوعُ، وأشبالُ الفاتحين وأحفادُ الأبطالِ قاموا لينفضوا عن المعدنِ الكريمِ غبارَ الزمنِ، ويميطوا عن الجوهرِ الأصيلِ قتامَ العوادي في حكمةٍ وصبرٍ.. وجدٍّ ومصابرةٍ.. يخطون للأجيالِ وصيةَ المستقبلِ.

موقفُ المحاسبةِ، ونظرُ التأملِ، يؤكد أن المسلمين الصادقين لا تتزعزعُ فيه الثقةُ بأن المستقبلُ لهذه الدعوةِ التي آمنوا بها، وما عليهم إلا أن ينهضوا بحقوقِ هذا الدينِ، ويثبتوا على صراطِه المستقيم.. مهما تكاثرت المحنُ، وترادفت الفتنُ، يقينٌ جازمٌ بأن نصرَ اللهِ للمؤمنين حقٌ، ولو كان الواقعُ المشاهدُ يستبعدها، والظرفُ الراهنُ يرتابُ فيها: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧] نعم، يوقنون بأن النصرَ لهم ولو طالَ الأمدُ وامتدَّ السُّرىٰ.

المسيرةُ الصحيحةُ، والسيرُ على الجادةِ... يقتضي أن يؤديَ المؤمنُ واجبَه في دينِ اللهِ من غيرِ تعجلٍ للنصرِ، فليس الأمرُ متعلقاً بفوزِه الشخصيِّ، أو اندحارِ عدوِّه الحاضرِ.. فمن يدري فلربما تحوَّلَ هذا الخصمُ إلى صديقٍ مؤمنٍ.. يعتزُّ به دينُ اللهِ.

المؤمنون يعملون ويغرسون، وإنهم ليرقبون ثمارَ غرسِهم في المستقبلِ القريبِ أو البعيدِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ ـ ٥٢].

المؤمنون يدعون إلى الله، ويعملون من أجلِ دينِهم من غيرِ أن

يخامرَهم قنوطٌ، أو يداخلَهم شكٌ، ولن يسأموا تكاليفَ الجهادِ، ومعاناةَ الصبرِ والمصابرةِ، ولو كلَّفهم ذلك الهجرةَ والاستشهادَ والتضحيةَ.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤١ ـ ٤٤].

محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

الخطبة الثانية

الحمد لله شرحَ صدورَ المؤمنين لطاعتِه، وسهَّلَ لهم سُبُلُ الخيرِ والإحسانِ، وأعان على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أنزل عليه الكتابَ واصطفاه لرسالتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه وسيرتِه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ، واجتهدوا في الأعمالِ الصالحةِ، فالأعمارُ سريعةُ الذهابِ.. إن هي إلا أيامٌ وشهورٌ، وأعوامٌ سريعةُ المرورِ.

أيها المسلمون: ها أنتم في مقتَبلِ عامٍ هجريٍ جديدٍ. جعله الله عامَ خيرٍ وبركةٍ وأمنٍ وأمانٍ، وجمعَ فيه كلمةَ المسلمين على الحقِّ والهدىٰ، وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه.

أيها الإخوةُ: ولئن كنتم تستلهمون من أعوامِكم الصبرَ، وتأخذون من تاريخِكم الدروسَ. فإن من أظهرِ دروس الهجرةِ، درسَ التضحيةِ والفداءِ الإيثارِ. وأوضاعُ المسلمين الحَاضرةُ في كثيرٍ من المواقعِ والديارِ تحتاج مدَدكم ورِفدَكم ومعروفَكم وإحسانكم. فلقدَ حلّتْ بإخوانٍ لكم في مواطنَ شتىٰ كروبٌ

وكوارثُ.. عجزتْ عنها كواهلُهم، ونزلت بهم قوارعُ دهمتهم في ديارِهم ومنازلِهم، ومن نماذجِ هؤلاء المسلمين في بلادِ البوسنةِ والهرسكِ، ولقد وجَّه النداءَ وليُّ أمرِ هذه البلادِ ـ يحفظه الله ـ من بعدِ نداءِ إخوةِ الإسلامِ، وأمر بتكوينِ لجانٍ من أجلِ ذلك.. كي تستنهضَ هممَكم وتذكِّرَكم بحقوقِ إخوانِكم عليكم.. فبادرَ مسئولون، واستجابَ موسرون.. فجادوا بما جادوا. تقبل اللهُ منا ومنهم.. ولقد كان لكم بلاءٌ حسن في أفغانستان وفي مواقَع أخرى منكوبةٍ، فأحسنَ الله إليكم وزادَكم من فضلِه. ولا زال إخوانُكم بحاجةٍ.. فاعرفوا نعمَ اللهِ عليكم، واستفتحوا عامَكم بالذي هو خير.. قدِّموا لأنفسِكم من غير منٍّ ولا أذىٰ.. اقدُروا نعمَ اللهِ حقَّ قدرِها... أمنٌ ورخاءٌ وصحةٌ وعافيةٌ، وقد جاءَ في الخبرِ: «**إن لله أقواماً يختصُّهم بالنِّعم لمنافعِ العبادِ، ويقرُّهم فيها ما بذلوا لها، فإذا منعوها نزعَها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم**»[1]. فلا تتركوهم وفقكم اللهُ وبارك لكم فيما آتاكم. لا تتركوهم يتجرَّعون غصصَ المحنِ والابتلاءاتِ.. قفوا إلى جانبِهم وشدُّوا من أزرِهم.. أَسْهِموا بمشاركةٍ تدفعُ الضوائقُ، وترفعُ كابوسَ المحنةِ، وتقومُ بسدِّ الخَلَّةِ، ولا تحقِروا من المعروفِ شيئاً، ومن كان في حاجةِ أخيه؛ كان اللهُ في حاجتِه.

هذا من حقوق إخوانِكم، ولا تنسوا حقوقَ أنفسِكم، فإنكم في أيامٍ فاضلةٍ.. فأروا اللهَ من أنفسِكم خيراً وقد كان نبيُّكم

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في (قضاء الحوائج)، والطبراني في الأوسط، وأبونعيم في الحلية، والخطيب في التاريخ وحسن إسناده الألباني.

محمدٌ ﷺ يخصُّها بصيام، ويحثُّ على صيامِها. ذلكم هو يومُ عاشورا، ويومٌ قبلَه أو يومٌ بعدَه.

يقولُ عبدُاللهِ بنُ عباس رضي الله عنه: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يتحرىٰ صيامَ يوم فَضَّلَهُ عَلى غيره إلا هذا اليومَ يومُ عاشوراءَ، وهذا الشهرَ يعني: شهرَ رمضانَ»[1] متفق عليه واللفظُ للبخاري.

وتقولُ حفصةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها: «أربعٌ لم يكن يدعُهنَّ النبيُّ ﷺ: صيامُ يوم عاشوراءَ، وعشرُ ذي الحجةِ، وثلاثةُ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وركعتا الفجرِ»[2] خرَّجه النسائي.

وعنْ بعضِ أزواجِ النبيِّ ﷺ: «أن رسول اللهِ ﷺ كان يصومُ تسعاً من ذي الحجةِ، ويومَ عاشوراءَ، وثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وأولُ إثنين من الشهرِ وخَمِيسَيْنِ»[3] رواه أبوداود، والنسائي واللفظُ له.

فبادروا ـ وفقكم اللهُ ـ إلى الصالحاتِ وتزودوا من الباقياتِ، وأكثروا من الصلاةِ والسلامِ على رسولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٨٧ ـ ح٢٠٠٦) واللفظ له، ومسلم (٢/ ٧٩٧ ـ ح١١٣٢).
(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٧)، والنسائي (٤/ ٢٢٠ ـ ح٢٤١٧)، وابن حبان انظر الاحسان (١٤/ ٣٣٢ ـ ح٦٤٢٢)، وأبويعلى في مسنده (١١/ ٤٦٩ ـ ح٧٠٤١).
(٣) أخرجه النسائي (٤/ ٢٠٥ ـ ح٢٣٧٢)، وأبوداود (٢/ ٣٢٥ ـ ح٢٤٣٧).

التعاون والمسئولية الجماعية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أنقذ به اللهُ من الضلالةِ، وهدىٰ به من العمىٰ، وجمع به من الفُرقة. فالذين آمنوا به واتبعوه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم، كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه، كانوا بنعمةِ ربِّهم إخوانا، وعلى الحقِّ أعوانا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها الناسُ: لقد منَّ اللهُ علىٰ المؤمنين إذ جعلهم أمةً واحدةً فيما يقولون وما يفعلون، وما يأتون وما يذرون. ربُّهم واحدٌ، وعبادتُهم واحدةٌ، ألَّف بين قلوبِهم، ونزعَ العداوةَ من صدورِهم، زيَّنَ الإيمانَ في قلوبِهم، ووقاهم حَميَّةَ الجاهليةِ. دعوتُهم توحيدٌ واتحادٌ، وحياتُهم إخاءٌ وتعاونٌ. صلاتُهم واحدةٌ، وقبلتُهم واحدةٌ. بيوتُ اللهِ تجمعُهم، وحكمُ اللهِ يشملُهم. المفاضلةُ بينهم بتقوىٰ اللهِ والعملِ الصالحِ.

بحقائقِ الوحدةِ ومظاهرِها ملكوا العبادَ، وسادوا البلادَ، وسعُدَ

بهم الأشقياءُ، وبعدلِهم ضعُفَ الجبابرةُ، وانتصفَ الضعفاءُ. لقد كانوا في الحقِّ كالبنيانِ المرصوصِ، فعزَّ دينُهم، وحُفِظَت أوطانُهم، وصينتْ أعراضُهم وأموالُهم.

ولمثلِ هذا جاء التوجيهُ في محكم التنزيل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ولمثلِ هذا آخىٰ النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصارِ، موضحاً هذه الصورةَ للأجيالِ القادمةِ من أمتِه بقول: «**المؤمنُ للمؤمن كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً**»[1] متفق عليه من حديثِ أبي موسى وزادَ البخاريُّ: «**وشبَّكَ بين أصابعِه**».

أيها الإخوةُ في الله: وفي وقفةٍ عند هذا التمثيلِ النبويِّ الكريم نقول: إن الجدارَ إذا كان قائماً وحدَه فعمُرُه قصيرٌ، تُزَلْزِلُه الهزاتُ، وتزعزعُه العواصفُ، وقد ينهارُ أمامَها انهيارا. أما إذا اتصلَ بغيرِه وتكوَّنتْ به غرفةٌ، وارتبطتْ بها غرُفاتٌ، وتراصَّ البنيانُ، وتماسكَ العمرانُ، فحينئذٍ يرسخُ البناءُ، وتستقرُّ الأركانُ، فلا يتأثرُ بالحوادثِ. فالجدارُ وحدَه ضعيفٌ، ولكنه بأمثاله قويٌّ شديدٌ.

ذلكم هو مثلُ المؤمنِ للمؤمنِ. بنيانٌ مرصوصٌ يشدُّ بعضُه بعضا.

المسلمون بجماعتِهم مسئولون عن حمايةِ الحقِّ، وإقامةِ المُثُلِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩ ـ ح٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٥).

العليا، والأخلاقِ الكريمةِ، يَدُلُّون على الخيرِ، ويحاربون السوءَ، يأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ. يتعاونون على البرِّ والتقوىٰ، تعاوناً يشملُ أمورَ الحياةِ كلِّها. بقدرِ ما تشمله هاتان الكلمتان الجامعتان: كلمةُ البرِّ وكلمةُ التقوىٰ. فالبرُّ جماعُ كلِّ خيرٍ، والتقوىٰ اتقاءُ كلِّ شرٍ.

نعم إن بابَ التعاونِ مفتوحٌ، يلجُه كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فلا يتركُ مناسبةَ خيرٍ إلا سارعَ فيها، ولا يرى نافذةَ سوءٍ إلا اتقاها وأغلقها. وبهذا يكونُ المؤمنُ عوَّاناً مِعْواناً، وعند حدودِ اللهِ وقَّافا.

أيها الإخوةُ في اللهِ، هذا التعاونُ مبدأٌ من مبادىءِ هذا الدينِ، يجبُ أن يشيعَ في الأمةِ، فالأفرادُ حقٌّ عليهم أن يتعاونوا في دفعِ الكروبِ، وتجنبِ الخطوبِ. يتآزرون في جلبِ المصالحِ ودرءِ المفاسدِ. والله في عونِ العبدِ مادام العبدُ في عونِ أخيه.

تعاونٌ في الأسرةِ حيث تكونُ الزوجةُ ظلاًّ وارفاً، وسكناً دافئاً، ويكونُ الزوجُ قوّاما منفقاً، وحامياً أمينا. تعاونٌ بينهما في رعايةِ صغارِهما لينشئوا تنشئةً مؤمنةً، ثم تتسعُ الدائرةُ لتحيطَ بالأقربين والجيران، رحمةً ومواساةً، ودفعاً للبأساءِ، ومشاركةً في السراءِ والضراءِ.

تعاونٌ مع ولاةِ الأمورِ، قيامٌ بحسنِ الطاعةِ، والتزامٌ بالأدبِ، واحترامٌ للنظمِ الشرعيةِ؛ من أجلِ سعادةِ الدنيا وانتظامِ مصالحِ العبادِ. تعاونٌ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، وطاعةِ ربِّ العالمين. حتى لقد أقسمَ الحسنُ البصريُّ ـ رحمه الله ـ بأن طاعةَ ولاةِ أمورِ

المسلمين غيظٌ للأعداءِ، وفُرقتُهم كفرٌ بالنعمةِ، ويجمعُ هذا وصيةُ رسولِ اللهِ ﷺ في حجةِ الوداعِ حين قال: «اعبدوا ربَّكم، وصلوا خمسَكم، وصوموا شهرَكم، وأدوا زكاةَ أموالِكم، وأطيعوا ذا أمرِكم تدخلوا جنةَ ربِّكم»[1] رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وابن حبان والحاكم من حديث أبي أمامة.

تعاونٌ يشملُ طبقاتِ الأمةِ، وفئاتِ المجتمع. الصناع المهرةُ قوةٌ، والزراعُ الكادحون قوةٌ، والعلماءُ والخبراءُ وأصحابُ المعارفِ والأفكارِ كلُّ أولئك قوىً فعالةٌ حينما يفشو بينهم التعاونُ: تعاونٌ يحققُ التكافلَ والتكافؤَ، بهم تسعدُ الأمةُ، ويقوى البنيانُ.

بل إن الإنسانَ المسلمَ يرتقي بنظرته التعاونيةِ إلى الحياةِ كلِّها. فيشملُ الأحياءَ كلَّهم برحمتِه وإحسانِه. حتى يدخلَ تحت ذلك الكلبُ اللاهثُ، وكلُّ كبدٍ رطبةٍ.

معاشرَ الأحبةِ: بتحقيقِ التعاونِ على البرِّ والتقوىٰ، يهونُ كلُّ عسيرٍ، ويتحققُ كلُّ مطلوبٍ، وتُحَلُّ المشكلاتُ، ويأمَنُ الخائفُ، ويُنْصَرُ المظلومُ، وتُسْتَرَدُّ الحقوقُ. إذا سادَ التعاونُ على وجهِه؛ يكون في الأمةِ الحراسُ، الذين يقومون بمحاربةِ تياراتِ الشرِّ والإلحادِ، ويدفعون الناسَ إلى الخيرِ والسلوكِ الحسنِ، ويُسْهِمُ كلُّ عضوٍ في بناءِ الأمةِ على صرحِ الحقِّ والعزةِ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥١)، والترمذي (٢/٥١٦ ـ ح٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٠/٤٢٦ ـ ح٤٥٦٣).

والكرامةِ، وبمثلِ هذا تستردُّ أمةُ الإسلامِ حقوقَها المنقوصةَ وأراضيَها المغصوبةَ. وتبقىٰ متماسكةً شامخةً مهما تكاثرتْ الزلازلُ، وتوالتْ العواصفُ، وأجْمعَ الأعداءُ أمرَهم، وأجلبوا بخيلِهم ورَجِلِهم.

والعكسُ بالعكسِ أيها الإخوةُ، حينما يكون التعاونُ على الإثمِ والعدوانِ.. فلسوفَ يقلُّ الظهيرُ، ويَضْعُفُ النصيرُ، ويتفرقُ الإخوانُ، ولسوف يَيْبَسُ العودُ، ويذهبُ المعدودُ والمحدودُ، ولسوفَ يضيعُ الحقُّ، ويضعفُ الخلقُ، ويتسعُ الخرقُ.

إن التخاذلَ والتدابرَ، وتقطيعَ عُرىٰ الإخاءِ لن يجلبَ إلا الضعفَ والخورَ.. فَصَيْحةٌ من العدوِّ تكفي لزعزعةِ الأمةِ، وفَرْضِ أنواعِ المذلةِ. فلا دنيا حفظوا، ولا ديناً أقاموا.. وذلك هو الخسرانُ المبينُ.

إن التخاذلَ في التعاونِ، وحجَبِ الخيرِ عن الناس دليلُ ضعفِ الإيمانِ وكذبِ الإدعاءِ، وضلالِ المقصدِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧].

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ واستيقنوا أن التعاونَ سلاحٌ ماضٍ، وجيشٌ غلابٌ، وعُدةٌ عتيدةٌ، تنفعُ بإذنِ اللهِ في البأساءِ وفي الضراءِ، وتدفعُ كيدَ الأعداءِ. إنه سلاحُ الائتلافِ، وسلاحُ ضمِّ اليدِ إلى اليدِ، ومعونةُ الأخِ للأخِ. ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

التعاون والمسئولية الجماعية

الخطبة الثانية

الحمد للهِ جميلِ الثناءِ، جزيلِ العطاءِ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضلُ الأنبياءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأوفياءِ، وأصحابِه النجباءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ، الإنسانُ مهما كثُرَ مالُه، وعظُمَ جاهُه، وكبُرَ عقلُه، واتسعتْ علومُه ومداركُه.. فإنه لا يستطيعُ القيامَ بأمرِ نفسِه وحدَه، ولا يباشرُ كلَّ شيءٍ بعملِ يدِه. فهو محتاجٌ لعونِ أخوانِه، ولن يبلغَ مرادَه إلا حين يكونُ أليفاً مألوفاً... يبذلُ من نفسِه لإخوانِه مثلَ ما يريدُ أن يُبْذلَ له.

إن المؤمنَ الحقَّ هو الذي يقدِّرُ مسئوليتَه نحوَ إخوانِه ومجتمعِه وولاةِ أمرِه، يدركُ أن أمرَ الأمةِ لا يستقيمَ إلا إذا تحملَ مسئوليتَهُ تجُاهَ ذلك كلِّه، ما جلَّ منه وما حقُر، وما كبُرَ منه وما صَغُر: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وإذا أردتم مثالاً حياً وصورةً ناصعةً من صورِ التعاونِ وحفظِ حقوقِ المتعاونين في شريعةِ محمدٍ ﷺ فتأملوا في مصرفٍ من مصارفِ الزكاةِ.. ذلكم هو مصرِفُ الغارمين، إن فيهم طائفةً تحملوا مغارَم لإصلاحِ ذاتِ البينِ فحُفظَ لهم نصيبُهم من الزكاةِ، ولو كانوا أغنياءَ، جزاءَ ما قدَّموا نحو جمعِ الكلمةِ وتحقيقِ التآلفِ، فلقد وفَّوا بمسئوليتِهم الجماعيةِ وحقِّهم الاجتماعي.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ وقوموا بمسئولياتِكم، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، واعتصموا بحبلِ ربِّكم، وصلوا خمسَكم، وصلوا أرحامَكم، وأطيعوا ذا أمرِكم؛ تدخلوا جنةَ ربِّكم.

عندما تختـل المـوازين

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُالله ورسوله، بعثه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله حجاجَ بيتِ اللهِ، اتقوا اللهَ جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

معاشرَ الإخوةِ: كتابُ ربِّنا يهدي للتي هي أقومُ، يهدي للتي هي أقومُ بعقائِده الواضحةِ، وتوحيدِه الخالصِ، ينبِذُ الخرافةَ والجهالةَ.

يهدي للتي هي أقومُ في العباداتِ، واستقامةِ السلوكِ، في تكاليفُ ميسرةٍ، واعتدالٍ في المنهجِ، وقصدٍ في العملِ.

يهدي للتي هي أقومُ في علاقاتِ الناس بعضِهم ببعضٍ أفراداً وأزواجاً، وشعوباً وحكاماً، دولاً وأجناساً، سِلماً وحرباً. يهدي للتي هي أقومُ في عقائدَ وأحكامٍ وشرائعَ متوازنةٍ، لا مدخلَ فيه

للهوىٰ والمحاباةِ، ولا مجالَ فيها للمصالحِ الخاصةِ والأغراضِ، وأحكامُه وشرائعُه هي العدلُ، وهي القسطَاسُ، توزنُ بها القيمُ، وتتميزُ بها الحقوقُ، وتُقاسُ بها الأعمالُ والتصرفاتُ.

ميزانُ حقٍّ وضعه اللهُ، ولم يضعْه البشرُ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩].

هذا التوازنُ وهذا العدلُ أمرُه خطيرٌ، وشأنُه عظيمٌ، يعجَزُ أن يستقلَّ به الإنسانُ، لا يدركُه بعقلِه المحدودِ، ولا ينالُه بعلمِه القاصرِ.

البشرُ تُؤثِّرُ عليهم الميولُ النفسيةُ، والنزعاتُ الشخصيةُ، والعلاقاتُ الأسريةُ، والانتماءاتُ الحزبيةُ، والارتباطاتُ الإقليميةُ والعنصريةُ، فكلُّ هذه غالبةٌ عليهم لا محالةَ، شعرُوا أو لم يشعرُوا، شاءوا أم أبوا.

من أجلِ هذا، فإن أيَّ منهجٍ أو نظامٍ يضعُه البشرُ لأنفسِهم فهو محلُّ النقصِ والخللِ، يتجاذبه الإفراطُ أو التفريطُ، والغلوُّ والتقصيرِ. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

يقالُ ذلك أيها الإخوةُ، ويأتي التذكيرُ بهذه الحقيقةِ، وعالمُ اليومِ يموجُ بمبادىءَ وشعاراتٍ، والألسنُ تلوكُ نظماً وقوانينَ زعموا أنهم حققوا بها المساواةَ والحريةَ، وحفظوا بها حقوقَ الإنسانِ، وأقاموا بها العدلَ والقسطَ بين الناس. وواقعُ الناسِ ظلمٌ وتهارشٌ، وفتنٌ وبأساءُ، وتنازعٌ وشقاءُ إلاَ ما رحم ربي.

إن هؤلاء المنحرفين عن الحقِّ، الصادين عن سبيلِ اللهِ أوضحَ أمرَهم كتابُ اللهِ الذي يهدي للتي هي أقومُ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥]. ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

كلُّ هؤلاء مختلةٌ موازينُهم، بسببِ كفرِهم وفسادِ سرائرِهم. ميزانُ الخيرِ والشرِّ، والصلاحِ والفسادِ، والحقِّ والباطلِ، يتأرجحُ عندهم مع الأهواءِ الذاتيةِ، والمصالحِ العارضةِ، والتوجهاتِ الفكريةِ.

هذا أنموذَجُهم فرعونُ، يقولُ في ميزانِه الفرعونيِّ في حقِّ نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

إن من عجبِ القولِ أن يقولَ فرعونُ الضالُّ الوثنيُّ عن داعي الحقِّ موسى كليم اللهِ عليه السلام أنه: بدلَ الدينَ وأظهرَ الفسادَ. ويزولُ العجبُ إذا علمنا أنها كلماتٌ ومصطلحاتٌ يقولُها كلُّ صاحبِ هوىٰ، وكلُّ ذي طغيانٍ، وهي تُهمٌ توجَّهُ لكلِّ مُصلحٍ وداعٍ إلى الخيرِ، إنها كلماتُ الخداعِ والمكرِ لإثارةِ المشاعرِ، وتهييجِ النفوسِ ضدَّ الحقِّ وأهلِ الحقِّ.

وهو منطقٌ واحدٌ، ومسلكٌ واحدٌ، يتكررُ كلَّما التقىٰ الحقُّ الباطلُ، والإيمانُ والكفرُ، والصلاحُ والفسادُ، على توالي الزمانِ

واختلافِ المكانِ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٣] قصةٌ قديمةٌ مكرورةٌ تعيشها الأجيالُ المتعاقبةُ بين حينٍ وحينٍ.

وما مصطلحاتُ الكفارِ التي يلوكونُها في وسائلِ إعلامِهم من التطرفِ والأصوليةِ والإرهابِ ونظائرِها إلا على نفسِ الشاكلةِ، يقلِّبونها كيف شاءوا، ويصرِّفونها كيفما أرادوا.

ثم يقولُ فرعونُ، وبنفس الميزانِ الطائشِ: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: ت٢٩]. وردَّ عليه القرآنُ الذي يهدي للتي هي أقومُ، ردَّ عليه ميزانَه المختلَّ: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ [هود: ٩٧].

أما أعداءُ الإسلامِ اليومَ فينهجون ذاتَ المنهجِ، ويكيلون بنفسِ المكيالِ. انظروا إليهم وقد قال كتَّابهم وساستُهم: إن المسلمينَ شعوبٌ غيرُ متحضرةٍ، شعوبٌ متعطشةٌ للدماءِ، وإزهاقِ أرواحِ الأبرياءِ، المسلمون في ميزانِهم كمٌّ هائلٌ من البشرِ غيرُ متحضرٍ، ولا يستحقُّ الوجودَ.

هكذا تختلُّ موازينُهم، وهكذا الحالُ حين تكونُ الموازينُ أرضيةً بشريةً.

لقد أصابهم العمىٰ، وكسا قلوبَهم الرانُ، فعجَزوا أن ينظروا إلى حالِهم، وقد سلَّحوا أنفسَهم، ورسموا على راياتِهم الصليبَ يظلِّل جيوشَهم، التي طالما اشتغلتْ بالسلبِ والنهبِ، واستلابِ الخيراتِ، وقهرِ الشعوبِ في المشارقِ والمغاربِ، تثيرُ الرعبَ، وتجلبُ الفزعَ. هذا هو العدوُّ بميزانِه وبمبادئِه يريدُ أن يقنع نفسَه أو غيرَه بأن المسلمين مصاصو دماءٍ.

كيف يكونُ ذلك، وها هم قد جثَموا على الشرقِ الأعزلِ يبغون استذلالَه أو استئصالَه، ارجعوا إلى عهودِ الاستعمارِ القريبةِ حين كانت جحافلُ جيوشِهم تجوسُ خلالَ الديارِ، يبحثون عن أسواقٍ لبضائِعهم وأراضٍ لبني جنسِهم؛ ليستبدلوا بالمواردِ والخيراتِ، ويفتشوا عن مصادرِ الثرواتِ في ظاهرِ الأرضِ وباطنِها، غذاءً لبطونِهم ومدداً لمصانعِهم، يبحثون عن ذلك وقلوبُهم مليئةٌ بالجشعِ، وأفواهُهم فاغرةٌ بالشرهِ. تتقدمُهم دباباتٌ، وتعلوهم طائراتٌ، لم تكن حروباً في سبيلِ اللهِ، ولا لمصلحةِ الإنسانيةِ، ولا من أجلِ حقوقِ الإنسانِ، لكنها كانت في سبيلِ الشهواتِ الذاتيةِ، والأهواءِ الأنانيةِ، حملاتٌ وغاراتٌ على شعوبٍ وادعةٍ آمنةٍ، لم يكن ذنبُها إلا أن اللهَ قد أنعمَ عليها بِخصبٍ وموارد.

ولئن كانوا في هذه الأيامِ أظهروا تحضُّراً واستمساكاً بالقوانينِ الدوليةِ والمواثيقِ العالميةِ، فما ذلك إلا لأنهم أحسُّوا بنوعٍ من الاطمئنانِ، وشيءٍ من إحكامِ السيطرةِ، ولو اختلَّ شيءٌ من ذلك لما حفظوا عهداً ولما التزموا بقانونٍ، وإنَّ لهم من البراعةِ في تفسيرِ القوانينِ، ولَيِّ العباراتِ ما يجدون فيه ألفَ مخرجٍ، وينفذون به من ألفِ معبرٍ، ناهيك بما أعدَّوا به أنفسَهم من فنونِ الأسلحةِ الفتاكةِ، هذا واقعُهم وهذا هو مكيالُهم وميزانُهم.

وها هي المواقعُ الملتهبةُ من الأرضِ بحروبِها ومجاعاتِها ومشردِيها، هل ميزانُهم فيها واحدٌ؟ وهل مواقفُهم وقراراتُهم فيها عادلةٌ؟ ألا ساءَ ما يحكمون.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعتصموا بحبلِ اللهِ، واستمسكوا بكتابِ اللهِ، وأقيموا الوزنَ بالقسطِ، ولا تخسروا الميزانَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

عندما تختـل المـوازين

الخطبة الثانية

الحمد للهِ معزِّ من أطاعه، ومذلِّ من عصاه، أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لا إله غيرُه، ولا ربَّ سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكرمه ربُّه بالرسالةِ واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها الناسُ، واعلموا أن هناك قضايا كثيرةً تثارُ في عالمِ اليوم طاشتْ فيها الموازينُ، وكثرتْ فيها الدعاوى من الحريةِ والمساواةِ، وحقوقِ الإنسانِ وقضايا المرأةِ، ومصائبِ الربا، أين منها ميزانُ القرآن؟ وماذا بلغتْ في ميزانِ الناس؟ إنها ما زالتْ وستبقىٰ دعاوى عريضةً باسم الانتصارِ للمرأةِ، ومحاربةِ التفرقةِ العنصريةِ، والدندنةِ حول المساواةِ والحريةِ، وحقوقِ الإنسانِ، نعم إنها دعاوى لها بريقُها عند المهزومين، والمغلوبِ على أمرِهم، ولكنها عند التحقيقِ والتدقيقِ سرابٌ يحسبُه الظمآنُ ماءً، حتى إذا جاءه لم يجدْه شيئاً بل سوف يجدُ كبيراً متعاظماً يحتضنُ صغيراً محقوراً، يربِّتُ على كتفٍ؛ ليأكلَه حالاً، أو يحتفظَ به حتى يسمنَ فيأكلَه مآلاً.

إنها شريعةُ الغابِ، الغاياتُ التي تبرُّرها الوسائلُ مغلفةً بأغلفةٍ رقيقةٍ من القانونِ والمدنيةِ، ودعوى التحضرِ والتقدمِ.

ومن خلالِ هذه الموازينِ المضطربةِ ينشأُ جيلٌ مقهورٌ، ليس في علمِه وثقافتِه إلا تاريخُ الدولِ الغالبةِ، لا يعجبُه إلا فكرُها، ولا يكبرُ في عينِه إلا رجالُها.

أيها المسلمون: هذا هو الواقعُ الحزينُ المهيمنُ على كثيرٍ من بقاعِ الأرضِ، ولكن المؤمنَ موقنٌ بأن اللهَ حافظٌ دينَه، مُعْلٍ كلمَتَه، ولن يزالَ في أمةِ الإسلامِ موفقون، يهدون بالحقِّ وبه يعدلون، ولا تزالُ في أمةِ محمدٍ ﷺ طائفةٌ على الحقِّ منصورةٌ، لا يضرُّهم من خذلَهم، ولا من خالَفهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ. وميزانُ الحقِّ ظاهرٌ، والمحجةُ بيضاءُ، وما على أهلِ الحقِّ من المسئولين والعلماءِ والدعاةِ إلا أن يصدُقوا في النوايا، ويشمِّروا في العملِ، فرجلُ الأصالةِ وصاحبُ الاستقلالِ المحمودِ والميزانِ العدلِ، هو المسلمُ المستمسكُ بدينِه، الواثقُ به، المعتزُّ بتعاليمه. سددَ اللهُ الخطىٰ، وباركَ في الجهودِ، وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه.

في استقبال رمضان

الخطبة الأولى

الحمد للهِ سهَّلَ للعبادِ طرقَ العبادةِ ويسَّرَ، وأفاضَ عليهم من سحائبِ الجودِ وسوابغِ الإنعامِ مالا يعدُّ ولا يحصرُ، أحمده سبحانه وأشكرُه، شرعَ مواسمَ، وهيأ مناسباتٍ ينيبُ فيها العبدُ إلى ربِّه، ويغسلُ قلبَه وجوارحَه من دنسِ الذنوبِ ويتطهرُ.

وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، نبيٌّ غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخرَ، اللهم صلِ وسلم وبارك على محمد وعلى آلِ محمدٍ وعلى صَحْبِ محمدٍ، ما اتصلتْ عينٌ بنظرٍ، وأذنٌ بخبرٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المحشرِ.

أما بعـدُ:

فأصيكم ونفسي ـ عبادَ الله ـ بتقوىٰ اللهِ حقَّ تقاته، وسارعوا إلى مغفرةِ ربِّكم، ورضوانِه وجناتِه.

أيها المسلمون، في تقلُّبِ الأيامِ ودروانِ الأفلاكِ فرصٌ للتأملِ، ووقفاتٌ للنظرِ، فرصٌ ووقفاتٌ تحتاجهُا الأممُ والأفرادُ لتنظرَ في أحوالِها، وتتفكرَ في شئونِها، تسعىٰ في إصلاحِ ما فسدَ من أوضاعِها، وتجدِّدُ ما ضعُف من مقوماتِها، وتعالجُ ما اختلَّ من شئونِها وموازينِها، فتراتٌ ولحظاتٌ قد تكونُ فاصلةً في تاريخِ

الفردِ والجماعةِ، ومفتاحاً لمستقبلٍ مشرقٍ وخيرٍ عميمٍ.

نعم ـ أيها الإخوةُ ـ في الحياةِ تقلبٌ في السراءِ والضراءِ، وفي دروبِ الزمنِ خطوبٌ ومشاقٌ، وفي النفوسِ نوازعُ شهوةٍ وهوىٰ، وفي الصدورِ دوافعُ غضبٍ وانتقامٍ.

تجدُّ الليالي والأيامُ وتتجددُ، والغافلون الهازلون في غمرةٍ ساهون، وكأنما رضيتْ أمتُنا ـ أمةُ الإسلامِ ـ في عصورِها المتأخرةِ، وأوضاعِها المترديةِ، ألا تأخذَ من الحياةِ إلا جانبها الهامشيَّ، وجزءَها العابثَ، فلا تراها إلا في ذيلِ القائمةِ، تتأثرُ ولا تؤثرُ، وتقلدُ ولا تقودُ، وكأنما همُّها أن تعيشَ عِيشةَ الصعاليكِ على تقاليدِ الأممِ وفضلاتِها، لا تتميزُ بعقيدةٍ، ولا تعتدُّ بشخصيةٍ، ولا تفاخرُ بدينٍ ولا مبدأٍ.

يقالُ ذلك ـ معاشرَ الإخوةِ ـ والأمةُ تستقبلُ قريباً شهرَها المعظمَ، ويحلُّ بساحتِها موسمُها المباركُ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. شهرُ الصيامِ والذكرِ، وشهرُ الفتحِ والنصرِ، شهرُ العزةِ والكرامةِ، وشهرُ الجودِ وأنواعِ العبادةِ.

إن رمضانَ آتٍ بعدَ أيامٍ فكيف حالُ الناسِ؟ وكيف حالُ الأمةِ؟ وما هي مراسمُ الاستقبالِ؟.

هل من وقفةٍ صادقةٍ للمحاسبةِ؟ هل من وقوفٍ جادٍّ للتأملِ؟ لعل الأمةَ تستبينُ منعطفاً تستقيمُ به على الجادةِ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ شهرُ رمضانَ، شهرُ الحقِّ والعزةِ والقوةِ، شهرُ الحريةِ الحقةِ والانعتاقِ من الشهواتِ والأهواءِ.

من انهزمَ بينه وبين نفسه فلم يطقْ الصبرَ ساعاتٍ من نهارٍ؛ فلسوفَ يكونُ أشدَّ انهزاماً أمامَ أعباءِ المجاهدةِ والجهادِ، ومن لم يطقْ الصبرَ سويعاتٍ، فلسوف يكونُ عاجزاً عن التصدي أياماً وشهوراً وأعواماً.

المنهزمون في الميدانِ الصغيرِ مع أنفسِهم ليسوا أهلاً لأن يُحرزوا النصرَ لأمتِهم في ميدانِها الكبير، من أعلنَ استسلامَه في معركةٍ مع شهوةٍ نفسيةٍ محدودةٍ فأين منه الرجولةُ؟ وأين منه الجدُّ والصرامةُ؟.

لا يعرفُ معنى الدينِ، ولا يدركُ سرَّ الصومِ إلا من صدقَ إيمانه، وصحَّ للهِ تعبدُه، فأخذَ الأحكامَ بعزمٍ، واستمسكَ بالدينِ بقوةٍ.

الصائمُ الحقُّ قويٌّ لا ينهزمُ، ولغيرِ اللهِ لا يخضعُ، ولأهوائِه ورغباتِه لا يستسلمُ. بريءٌ من الأنانيةِ والأثرةِ، يعيشُ مع أمتِه بقلبِه وروحِه، يفرحُ لفرحِها ويأسىٰ لأساها، يجوعُ معَهم، ويفطرُ معَهم، ويستقبلُ العيدَ معهم، يتذكرُهم ويتذكرُ حاجاتِهم؛ من أجلِ هذا فإن نفسَ الصائمِ الصادقِ أسمىٰ النفوسِ، وأجودُها بالعطاءِ، وأقربُها إلى ربِّها والنَاسِ. لقد كان القدوةُ الأولىٰ محمدٌ ﷺ أجودَ الناس، ولكنه كان في رمضانَ يزدادُ جوداً، فكان ريحاً مرسلةً، سخاءً ونفعاً وكرماً وإنفاقاً.

وزوجهُ أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها، أنفقتْ في يومٍ واحدٍ مائةَ ألفِ درهمٍ وهي صائمةٌ، فقالت لها خادمتُها: لو أبقيتْ لنا ما نفطرُ به اليوم؟ فقالت عائشةُ رضي الله عنها: لو ذكرتِني لفعلتُ.

ما هذا السموُّ العجيبُ في النفسِ الصائمةِ حتى إنها تنسىٰ حاجاتِها ومطالَبها، وكأنَّها لا تَذكرُ إلا أُمَّتَها، وحاجاتِ أُمَّتِها؟؟!!.

لا يقسو الأغنياءُ على الفقراءِ، ولا يقطعُ القريبُ صلةَ القربىٰ، ولا يتنكرُ الجارُ لحقِّ الجارِ إلا حين تصبحُ العباداتُ رسوماً خاليةً عن روحِها وأسرارِها، فتُنسىٰ الروابطُ الاجتماعيةُ، ويعيشُ الفردُ لنفسِه لا للناسِ، ويكسبُ لبطنِه وفرجِه لا لأمتِه وشئونِها.

لا يظلمُ الظالمُ ولا يستعلي المستعلي إلا حين ينسىٰ حقَّ الأمةِ، فيزعمُ أن له من العبقريةِ والقوةِ والدهاءِ وقوةِ الشخصيةِ، ما تزيِّنُ له نفسُه الاستعلاءَ وتسوغُ له الظلمَ.

معاشرَ المسلمين، إن رمضانَ آتٍ بعدَ أيامٍ. بلَّغنا اللهُ وإياكم أيامَه، وتقبلَّ منا ومنكم صيامَه قيامَه.

إنه آتٍ وفي الأمةِ تعساءُ يستقبلونه على أنه شهرُ جوعٍ نهاريٍّ، وشبعٍ ليلي، نومٌ في الفرشِ والمساجدِ في النهارِ إلىٰ ما بعد العصرِ، وسمرُ في الليلِ ممتدٌ إلى طلوعِ الفجرِ، ليس رمضانُ عندهم إلا موسمٌ للموائدِ الفاخرةِ، بألوانٍ من الطعامِ والشرابِ زاخرةٌ، ذو العملِ منهم يتبرمُ من عمله، وصاحبُ التعاملِ يسيءُ في تعامله، وذو الوظيفةِ تثقلُ عليه وظيفتُه.

وجوهُهم عابسةٌ، وصدورُهم ضيقةٌ، وألسنتُهم سليطةٌ، وغيظُهم حانقٌ، لا يرون في رمضانَ إلا جوعا لا تتحملُه أمعاؤُهم، وعطشاً لا تقوىٰ عليه عروقُهم. يقابلُ هؤلاءِ التعساءَ قومٌ رضي اللهُ عنهم ورضوا عنه، يستقبلونَ شهرَهم ليجدِّدوا فيه

صلَتهم مع ربِّهم، ويعيشون نهارَهم عيشةَ الأبطالِ في المعارك، ويقطعونَ ليلَهم بلذيذِ المناجاةِ وصادقِ الابتهالاتِ. إيثارٌ جميلٌ، وصبرٌ كريمٌ، وتهذيبٌ في الخُلقِ نبيلٌ. لا يقابلون الإساءةَ بالإساءةِ، ولا يردون البذاءَ بالبذاءِ: «**وإن سابَّه أحدٌ، أو قاتلَه قال: إني صائمٌ**»[1] رواه البخاري ومسلم.

بالله عليكم أيُّ الفريقين أحقُّ بأن تفتحَ له أبوابُ الجنانِ، وتسدَّ عنه أبوابُ النيرانِ؟ أي الفريقين قد صُفِّدتْ شياطينُه؟ ومَنْ منهم أحقُّ بنفحاتِ الرحمنِ؟ ومن الأحرىٰ بموافقةِ ليلةِ القدرِ، فتغفرَ ذنوبُه، ويدركَ رحمةَ ربِّه وينجوَ من نارِ السعيرِ؟؟.

أيها المسلمون، إن الصائمين القائمين هم الذين تصلحُ بهم الأوضاعُ، وتُكسَبُ بهم المعاركُ، وتَسْعدُ بهم المجتمعاتُ.

اللهم بلِّغنا رمضان، ووفقنا لصيامِه وقيامِه، واقبلنا فيه، وتقبلْه منا، اللهم زدْنا ولا تنقصْنا، وأعطِنا ولا تحرمْنا، وأكرْمنا ولا تُهِنّا، وآثِرْنا ولا تؤثرْ علينا، وأرضنا وارضَ عنا، واجعلنا مجتمعين غيرَ متفرقين، مغفوراً لنا إنا كنا مذنبين، وأحسنْ عاقبَتنا في الأمورِ كلِّها، وأجرْنا من خزيِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ، وكفرْ عنا سيئاتِنا، وأجزلْ حسناتِنا، وتبْ علينا إنك أنتَ التوابُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٦ ـ ح١١٥١).

في استقبال رمضـان

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ما تعاقبَ الجديدانِ وتكررتْ المواسمُ، أحمدُه سبحانه وأشكره شكر الصائمِ القائمِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، حميدُ الشيمِ وعظيمُ المكارمِ، صلَّى اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه، كانوا على نهجِ الهدىٰ معالمَ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واعلموا أن بلوغَ شهرِ رمضانَ أمنيةٌ كان يتمناها نبيُّكم محمدٌ ﷺ ويسألُها ربَّه، حتى قالَ: «**اللهم بارك لنا في رجبَ وشعبان، وبارِكْ لنا في رمضان**»[1] رواه أحمد من حديث أنس.

فها هو الشهرُ الكريمُ يحُلُّ بالساحاتِ، فاستعدوا واجتهدوا، فما أكرَمَ اللهُ أمةً بمثلِ ما أكرمَ به أمةَ محمدٍ ﷺ. في هذا الشهرِ ذنوبٌ مغفورةٌ، وعيوبٌ مستورةٌ، ومضاعفةٌ للأجورِ، وعتقٌ من النارِ.

---

(١) أخرجه أحمد في زوائد عبدالله (١/ ٢٥٩).

أكرموا هذا الوافدَ العظيمَ، جاهدوا أنفسَكم بالطاعاتِ، ابذلوا الفضلَ من أموالِكم في البرِّ والصِّلاتِ، استقبلوه بالتوبةِ الصادقةِ، والرجوعِ إلى اللهِ، جدِّدوا العزمَ مع ربِّكم، وشدُّوا العزمَ على الاستقامَةِ، فكم من مؤملٍ بلوَغه أصبحَ رهينَ القبورِ.

ها هو من طالتْ غيبتُه قد قرُبَ، فيا غيومَ الغفلةِ تقشَّعِي، ويا قلوبَ المشفقين اخشعي، ويا جوارحَ المتهجدين اسجدي لربِّكِ واركعي، وبغيرِ جنانِ الخلدِ أيها الهممُ العاليةُ لا تقنعي، فطوبىٰ لمن أجابَ وأصابَ، وويلٌ لمن طُردَ عن البابِ.

المواساة في شهر المواساة

الخطبة الأولى

الحمد للهِ نعمُه تترىٰ، وإحسانُه لا يُحدُّ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، أعطىٰ فأجزلَ، وأنعمَ فأسعدَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليه المعوَّلُ، وإليه المستندُ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُ الله ورسولُه، عبدٌ شكورٌ يواسي الأحمرَ والأسودُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، القدوةِ في البرِّ والإحسانِ، والخلقِ الأمجدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فأوصيكم ونفسي عبادَ الله بتقوىٰ اللهِ، فمن اتقىٰ اللهَ وقاهُ، ومن لاذ به حماهُ، وأسعدَه ولا أشقاهُ.

أيها المسلمون: في رمضانَ المعظَّم يجتمعُ شملُ الأسرةِ المسلمةِ على مائدةِ الإفطارِ اجتماعاً ينتظَمُ عقدُه، ويظهرُ جمالُه على هذه المائدةِ، وفي هذا الوقتِ المحددِ، ولا يكون ذلك غالباً إلا في هذا الشهرِ الكريمِ المباركِ.

أمسياتٌ وأنسٌ يعيشها الصائمون مع أُسرِهم وإخوانِهم وذويهم، تمتلىءُ نفوسُهم غبطةً، وتنشرحُ قلوبُهم بهجةً، يستشعرون فيها السرورَ والفرحةَ: «**للصائمِ فرحتان، فرحةٌ عند**

فطرِه، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه»[1] جزء من حديثٍ رواه البخاريُّ ومسلمٌ واللفظُ له.

إنه التفافٌ أُسريٌّ محببٌ للنفوس، حتى إن الأسرةَ لتشعرُ بلوعةِ الفقدِ وألمِ الفراقِ عند غيابِ عزيزٍ لديها، سواءٌ كان ابناً مغترباً، أو أخاً مسافراً، أو صديقاً مفارقاً، تشعر بفقدِ هؤلاءِ في هذه المناسباتِ الرمضانيةِ أكثرَ من أيِّ مناسباتٍ أخرىٰ.

أيها الإخوةُ، إن حقاً على من اجتمعَ شملُه، وانتظمَ عِقدُ أهله في هذه الأيامِ المباركةِ أن يحمدَ اللهَ ويشكرَه، ويعرفَ لربِّه فضلَه ونعمتَه.

ولكن ـ أيها الأحبةُ ـ كيف يكونُ الشكرُ على وجهه؟ وكيف يقومُ العبدُ بالحمدِ على حقيقتِه؟.

هذه النعمةُ التي تعيشُها مع أسرتِك، وإخوانِك ورفاقِك، في أمنٍ وأمانٍ، وعزٍّ وهناءٍ، هل فكرتَ في إخوانٍ لك حلَّتْ بهم ظروفٌ، ووقعتْ بهم نكباتٌ، ودالتْ[2] عليهم الأيام؟؟.

هل تأملتَ ـ بارك اللهُ فيك وفي أهلِك، وحفظَ عليك شملَك ـ هل تأملتَ: كم في الناسِ من فقراءَ ليسوا بأقلَّ ذكاءً من الأغنياءِ؟ وبؤساءَ ليسوا بأقلِّ علماً بأمور الحياةِ من السعداء؟ غير أن ظروفاً أحاطتْ بهم، فعاشوا تحتَ وطأةِ البؤسِ، وهمومِ الحاجةِ، وعواملِ التشريدِ؟؟.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٦ ـ ح١١٥١).

(٢) دالت الأيام: أي دَارَت.

إن جلوسَك مع أحبابِك وذويك في هناءٍ وسعادةٍ ـ أدام اللهُ سعادَتك ـ ينبغي أن يبعثَ فيك تفقدَ أصنافٍ من البؤساءِ، وألوانٍ من التعساءِ.

فيهم فقراءُ لا موردَ لهم، ونسوةٌ لا عائلَ لهن، وأيتامٌ لا آباءَ له، ومشردون لا أوطانَ لهم.

يتامىٰ فقدوا أحضانَ من يرعاهم، عاجزون عن أن يصلوا إلى قُوتِهم بأيديهم، أطفالٌ يتضورون جوعاً، وآباءُ يقطعون حسراتٍ، وأمهاتٌ ملكوماتٌ، تحجَّرُ الدمعُ في أعينِهنَّ.

مشردون ولاجئون، وأبناء سبيلٍ وغرباءُ، شُرِّدوا عن أوطانِه، ما شرَّدهم إلا القوىٰ الجائرةُ، وما فرقتهم إلا السياساتُ الظالمةُ، وما ضاعتْ حقوقُهم إلا بالخياناتِ السافرةِ.

نعم أوطانٌ استباحها الغرباءُ، وشعوبٌ تخطَّفها الموتُ والتشريدُ، وحقوقٌ دفنها الباطلُ، وغطتها المظالمُ، ومستقبلٌ يكتنفُه الغموضُ والظلامُ، هؤلاء البؤساءُ فيهم المنفيُّ الذي يتقلبُ في بلادِ الأعداءِ، والضعيفُ الذي يتلهىٰ بالبكاءِ، والطريدُ الذي يَهيمُ في الصحراءِ، وشبهِ الصحراءِ، تفرقوا تحت كلِّ كوكبٍ، وتشرذموا في كلِّ صِقْعٍ، إخوانٌ لنا في الدين يعيشون أياماً قاسيةً، ويذوقون مراراتٍ متنوعةً في فلسطينَ وأفغانستانَ، وفي بورما والصومالِ، وفي الهندِ وكشميرَ، وممن حولكم محتاجون وملهوفون، غَلَّتْ هذه النكباتُ أيديَهم، وأكلتْ لحومَهم، وشربتْ دماءَهم.

ثقُلتْ عليهم أعباءُ الحياةِ، وتوالتْ عليهم نوائبُ الدهرِ،

واشتدَّ عليهم شظَفُ العيشِ، تراكم كلُّ ذلك على ظهورِهم الضعيفةِ، وملأ نفوسَهم الحزينةَ، فتساقطوا في طريقِ الحياةِ، فأصبحوا عُرضةً لذئابِ الرذيلةِ، وسباعِ الفسوقِ، وجراثيمِ المرضِ، ومصائبِ الجهلِ.

من ذا يسمعُ هذه الأنباءُ فلا يذوبُ قلبه حزناً؟.

كيف يصلحُ الحالُ وأنت ترىٰ في الناس من يقفُ موقفَ المتفرجِ، يسمعُ الأنينَ ولا يكترثُ؟ ومن يرىٰ الدمعَ فلا يلتفتُ؟ بل يأبىٰ بعضُهم إلا أن يجرِّعَهم غُصصاً من الذلِّ والهوانِ.

أين الصالحون المحسنون الصائمون القائمون الذين بين جوانحِهم أفئدةٌ رقيقةٌ، ونفوسٌ إلى الخيرِ سباقةٌ، يؤمنون حقاً بإخوةِ الإسلامِ، وحقِّ الجوارِ ووشائجِ القربىٰ؟؟ وهل يرحمُ اللهُ من عباده إلا الرحماءَ؟.

من هو هذا السعيدُ الذي يصومُ للهِ، ويتفقدُ عيالَ اللهِ، ليُطعمَ جائعاً، ويُسعدَ عائلاً، ويُكَفْكِفَ عبرةً، وينصرَ طريداً، وينقذَ شريداً؟؟.

ولتعلموا ـ أدامَ الله عليكم نعمَه، ورزقكم شكرَها، والمزيدَ منها ـ أن سنةَ اللهِ قد دلَّتْ على أن الرحيمَ الشفوقِ المحسنَ المواسيَ يعيشُ في دنياه حياةً طيبةً. اسمعوا إلى قولِ المؤمنةِ الحكيمةِ خديجةَ رضي الله عنه لحبيبِها محمدٍ ﷺ: «واللهِ لا يخزيك اللهُ أبدا إنك لتصلُ الرحمَ، وتحملُ الكَلَّ، وتُكسبُ المعدومَ، وتَقري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ»[1] رواه

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٠ ـ ح٣)، ومسلم (١/ ١٣٩ ـ ح١٦٠).

البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ عائشةَ، بأبي هو وأمي ﷺ.

نعم إن السخيَّ النبيلَ الكريمَ المفضالَ، المبادرَ للمواساةِ لا يكون إلا ذا أخلاقٍ عاليةٍ، ورحمةٍ حانيةٍ، وشفقةٍ مشفقةٍ، كلُّه عفوٌ وحِلمٌ وصفحٌ. ولتجَدنَّه متواضعاً، لا يطيشُ به كبرٌ، ولا تستخفُّه خيلاءُ، ولتجدَّنه أقربَ الناسِ إلى الشجاعةِ في الحقِّ، والقوةِ في الخيرِ، والعزةِ في النفسِ. ولا يجبنُ في مواقفِ البذلِ، ولا يتأخرُ عن ميادينِ العطاءِ إلا البخلاءُ والأراذلُ أهلُ الحرصِ على الدنيا، المقصرون في حقوقِ اللهِ وحقوقِ الناسِ.

والمسلمُ الكريمُ والمحسنُ الحقُّ هو الذي يتحرىٰ ذوي الحاجاتِ سواءً عرفَهم أو لم يعرفْهم. جاءتْ امرأةٌ إلى عبداللهِ بنِ جعفر، فسألتْه فأعطاها، وأجزلَ لها العطاءَ، فعاتبَه بعضُ أصحابِه، وقالوا: إنها لا تعرفُك، وقد كان يرضيها اليسيرُ، فقال: إن كانت ترضىٰ باليسير فإني لا أرضىٰ إلا بالكثيرِ، وإن كانت لا تعرفُني فأنا أعرِفُ نفسي وأعرفُ ربِّي.

أيها الإخوةُ في الله، إن تذكرتم نعمَ اللهِ، وتذكرتم شهرَكم شهرَ المواساةِ، فتذكروا هؤلاء ليس بالصدقةِ والجودِ فحسْبُ، ولكن ضمُّوا إلى ذلك أن تكفِّروا ما قد يكون من سيئاتٍ في حقِّ إخوانِكم هؤلاء.

ألا تظنون أن بعضَ بؤسِهم، وأسبابَ حرمانِهم قد يكون من تفريطِ المجتمعِ بحقوقِهم، وتقصيرِه في شئونِهم، أشعروهم واستشعروا معهم ـ رحمكم اللهُ ـ بحقِّ الإخوَّةِ، وصلةِ الدينِ، ووشائجِ القربىٰ، وأسبابِ الرحمِ.

ألا فليبسطْ القادرُ يدَه بما يستطيعُ، مدُّوهم بالغذاءِ، وأحسنوا إليهم بالكساءِ، وأسعفوهم بالدواءِ. الغنيُّ يواسي بمالِه، والطبيبُ يتقدمُ بعلاجِه، والصيدليُّ بدوائِه، والمعلِّمُ ينقذُ من الجهالةِ.

ولقد ظهرتْ في بلادِ الإسلام هيئاتُ إغاثةٍ، ومنظماتُ برٍّ، وجمعياتُ خيرٍ، فيَحسُنُ دعمُهاَ، والتنسيقُ فيما بينها، وسدُّ خَللِها؛ ليعمَّ النفعُ كلَّ موقعٍ، ويصلَ البرُّ إلى كلِّ محتاجٍ.

أيها المسلمون، بالمواساةِ والإنفاقِ والجودِ والسخاءِ تبلغُ الأمةُ سؤددَها وسيادتَها، وتحفظُ دينَها، وتصونُ أعراضَها، وتحمي ديارَها، ويقوىٰ اتحادُها، نعم إن كلَّ هذا لا يتحققُ إلا بالمواساةِ، وبذلِ المالِ في وجهه، ومعرفةِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

[الإنسان: ٨ ـ ١٢].

المواساة في شهر المواساة

الخطبة الثانية

الحمد لله المتفردِ بكلِّ كمالٍ، والشكرُ له فهو المتفضلُ بجزيلِ النوالِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الدنيا والآخرةُ وإليه المآلُ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحبُ الخلقِ العظيم، والشريفِ من الخلالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، إذا كانتْ المواساةُ والرحمةُ لازمةً لهؤلاءِ المحتاجين في كلِّ حينٍ، فهي في شهرِ المواساةِ والجودِ والإحسانِ ألزمُ، ولئن كان بعضُ دعاةِ الإنسانيةِ وحقوقِها من غيرِ المسلمين بل من أعداءِ المسلمين يُظهرون أمامَ هذه المناظرِ البائسةِ شفقةً وعطفاً، فإن المسلمَ بأخيه أحقُّ وأبرُّ، وأولىٰ وأرحمُ.

أيها المسلمون، وإذا تحركت عندكم دواعي الإحسان ـ وهي متحققةٌ بإذن الله ـ وقام عندكم حقُّ المواساةِ، فليكن ذلك متمشياً مع آدابِ الإسلامِ فابذلوا بوجهٍ طَلْقٍ، وبشاشةٍ محيا، ولا تنتظرْ من مخلوقٍ جزاءً ولا شكوراً.

اجتهدوا في البذلِ بخفُيةٍ وسرٍ، فمن السبعةِ الذين يظلِّهم اللهُ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، «**رجلٌ تصدقَ بصدقةٍ فإخفاها، حتى لا تعلم شمالُه ما تنفقُ يمينُه**»[1] متفقٌ عليه من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

وجميلٌ منكم المبادرةُ بتفقدِ ذوي الحاجاتِ وإغاثةِ الملهوفين من قبلِ أن يلجئوا إلى مسألةٍ، فيمدُّوا أيديَهم، ويُريقوا ماءَ وجوهِهم.

وإياكم والمنَّ بالعطاءِ، أو اتباعَ الصدقةِ بالأذىٰ من التعنيفِ وعبوس الوجه، ورفع الصوتِ والاستعلاءِ فكلُّ ذلك مبطلٌ للصدقةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ولا يمنُّ بعطائِه إلا الذي لم يَتَرَبَّ على الفضائلِ، ولم يعرفْ مكارَم الإخلاقِ.

وفقكم الله وباركَ لكم فيما أعطاكم، وأحسنَ إلينا وإليكم، ورزقنا ذكرَه وشكرَه، وتقواه وحسنَ عبادتِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٤٤ ـ ح١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم (٢/ ٧١٥ ـ ح١٠٣١).

في ذكرى بدر واغتنام العشر

الخطبة الأولى

الحمد للهِ لا شيءَ قبله، ولا شيءَ بعدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزم الأحزابَ وحده، أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدنَا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، دعا وبلَّغَ وبشَّرَ وأنذرَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، شهرُ رمضانَ شهرُ القرآن والفرقانِ، شهرُ كتابِ اللهِ، منارِ الهدايةِ، ومنبعِ السعادةِ والطريقِ إلى الحسنىٰ وزيادةٍ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] قرآنٌ وفرقانٌ يملأ العقولَ حكمةً، والقلوبَ طهارةً، والنفوسَ انشراحاً وبهجةً.

وفي شهرِ رمضانَ أيها الإخوةُ، فرقانٌ من نوعٍ آخرَ، فرقانٌ بين الحقِّ والباطلِ، فرقانُ بدرٍ.. المعركةِ الكبرىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وفي رمضانَ فرقانُ الفتحِ ـ فتحِ مكةَ ـ ذلكمْ الذي عَلتْ به كلمةُ الدين، ومنه انطلقَتْ فتوحاتُ المسلمين إلى الشرقِ

والغربِ.. فرقانٌ بَدَّدَ الظلماتِ، وانتشرتْ به الهداياتُ.

قوةُ الحقِّ وفرقانُه في بدرٍ والفتح من رمضانَ، استوثقتْ به عُرىٰ دولةِ الإسلام.. فمدَّ سلطانَه العادلَ، وساسَ الأممَ بعقيدةِ التوحيدِ وشريعةِ الصلاحِ والإصلاحِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

جديرٌ بأمةِ الإسلامِ ـ أيها الإخوةُ ـ وهي تعيشُ هذه الأيامَ المباركةَ.. كما تعيشُ حالاتٍ وأوضاعاً شتىٰ، فيها مدٌّ وجزرٌ، فيها تفرقٌ واختلافٌ، فيها تحدياتٌ كبرىٰ في مواجهةِ الأعداءِ، جديرٌ بها أن تستلهمَ من تاريخِها العبرَ. فيما صامه المصطفىٰ ﷺ من رمضاناتٍ كانت تُبعثُ السرايا، وتُجَّهزُ الجيوشُ، وتُخاضُ المعاركُ. الدعوةُ إلى اللهِ فيه قائمةٌ بقوتِها، في رمضانَ هدِّمتْ أصنامٌ لأهلِ الجاهليةِ كبرىٰ ـ اللاةُ ومناةُ وسواعُ، فيه هُدَم مسجدُ الضرارِ، فيه وفَدَتْ وفودٌ تعلنُ إسلامَها. إنه رمضانُ الإيمانِ والقوةِ والدعوةِ.

جديرٌ بالأمةِ أن تقفَ عند درسٍ من هذه الدروسِ الرمضانيةِ.. من أجلِ محاسبةِ النفسِ، وتصحيحِ المسارِ، وتثبيتِ الأقدامِ على هديٍ من كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها المسلمون، فتلكم وقفةٌ عندَ فرقانِ بدرٍ الكبرىٰ.

في بدرٍ ظهرتْ قوةُ الإسلامِ ودولتُه، ظهرتْ قوةٌ تُهابُ، ويُحسبُ لها كلُّ حسابٍ.

كانت فرقاناً في حسابِ الهزائمِ والانتصاراتِ وأسبابِهما. إن ظواهرَ الأسبابِ كانت ترجِّحُ كفةَ المشركين في عَدَدِهم وَعُدَدِهم.

وكان المسلمون قلةً في ذلةٍ ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

يقودُ أهلَ الشركِ الشيطانُ وجنودُه ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ . . ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وفي جانبِ أهلِ الإيمانِ معيةُ الله وتأييدُه، ومددُ الملائكةِ: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال: ١٢].

في صفوفِ الكفارِ إبليسُ وفرعونُ هذه الأمةِ أبوجهلٍ، وفي صفوفِ أهلِ الإيمانِ محمدٌ وجبريلٌ عليهما السلامُ.

في فرقانِ بدرٍ وَهَت صفوفُ المشركين أمامَ جحافلِ الحقِّ والإيمانِ، ولقي المصيرَ الفاجعَ سبعون، جُلُّهم من صناديدِ الشركِ ورؤسائِه.. دارتْ عليهم كؤوسُ الردىٰ، فتجرَّعوها صاغرين، وسقط في الأسرِ سبعون، وفرَّ البقيةُ هاربين.

كانت الغزوةُ في السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ في يوم الجمعةِ السابعَ عشرَ من رمضان، حين بلغَ النبيَّ ﷺ أن عيراً لقريشٍ قادمةٌ من الشام؛ فندبَ أصحابَه لأخذِها، واستطاعَ قائدُها أبوسفيانَ النجاةَ بها، ولكنَّ قريشاً أصرَّتْ على الخروجِ بطراً ورئاءَ الناسِ وصداً عن سبيلِ الله، حتى قال أبوجهلٍ: واللهِ لا نرجعُ حتى نبلغَ بدراً ونقيمَ فيها ثلاثاً ننحرُ الجزورَ، ونطعمُ الطعامَ، ونسقي الخمرَ، وتسمعُ بنا العربُ فلا يزالون يهابوننا أبداً.

وأعلمَ النبيُّ أصحابَه أن اللهَ قد وعدَه إحدى الطائفتين، إما العيرَ وإما قريشاً، وأخذَ من أصحابِه الرأيَ والمشورةَ، فقال

قائلُ المهاجرين: امضِ لما أمركَ اللهُ، فواللهِ لا نقولُ كما قالتْ بنو إسرائيلَ: اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتلُ عن يمينِك وعن شمالِك ومن بين يديكَ ومن خلفِكَ.

وقال قائلُ الأنصارِ سيدُّهم سعدُ بن معاذٍ رضي الله عنه: اظعنْ حيثُ شئتَ، وصِلْ حبلَ من شئتَ، واقطعْ حبلَ من شئتَ، وخذْ من أموالِنا ما شئتَ، وما أخذتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تركتَ، وما أمرتَ فيه من أمرٍ فأمرُنا فيه تبعٌ لأمرِك، فواللهِ لئن سرتَ بنا حتى تبلغَ بَرْكَ الغِمَاد ـ موضعٌ في أقصىٰ اليمن ـ لنسيرنَّ معك، ولئن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضتَه لنخوضنَّه معك، وما نكرهُ أن تكونَ تلقىٰ العدوَّ بنا غداً، إننا لصُبْرٌ عند الحربِ صُدْقٌ عند اللقاءِ، ولعل اللهَ يريك منا ما تَقرُّ به عينُك، فَسُرَّ عليه الصلاة والسلام لِما سمعَ من كلامِ المهاجرينَ والأنصارِ ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فواللهِ لكأنيِّ أنظرُ إلى مصارعِ القوم»، فسارَ إلى الموقعِ واختارَ المكان الأصلحَ بعد الاستشَارةَ، واَستنزلَ نصرَ الله بالتضرعِ والدعاءِ: «اللهم هذه قريشٌ جاءتْ بفخرِها وخيلائِها وخيلِها تحادُّكَ وتكذبُ رسولَك، اللهم نصرَك الذي وعدتَني، اللهم عهدَك ووعدَك، اللهم إن تهلكْ هذه العصابةُ اليومَ لا تعبدْ» وسُجلتْ استغاثتُهم في قرآنٍ يُتلىٰ إلى يوم القيامةِ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ..﴾ [الأنفال: ٩] وأغفىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ إغفاءةً، ثم خرجَ يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥]، وأخذَ كفاً من ترابٍ أو حصىٰ فرمىٰ به الكفارَ وقال: «شاهتْ الوجوهُ» ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فهزُمتْ جموعُ الكفرِ، وولَّوا الأدبارَ.

تلك هي خلاصةُ المعركةِ، ولكن دروسَها وعبرَها لا تنتهي، دروسٌ في الإيمانِ، ودروسٌ في الأسبابِ، وتوجيهاتٌ في الطاعةِ والتخطيطِ، وتربيةٌ في أدبِ المكاسبِ والمغانمِ.

إنها إحدى معاركِ الإسلامِ الفاصلةِ، كُتبتْ سطورُها في سجلِّ الخلودِ، تسجِّلُ بدرٌ للأجيالِ والتاريخِ.. أن لا أثرَ للقوةِ مهما اكتملتْ فيها الوسائلُ والعُددُ، ومهما كانتْ القيادةُ والتخطيطُ.. لا أثرَ لذلك أمامَ قوةِ الإيمانِ، وصحةِ التوحيدِ، وصفاءِ العقيدةِ، وعدالةِ القضيةِ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ.. ولعل في أفغانستانَ وانتفاضةِ أهلِ الأرضِ المباركةِ، ما يعيدُ شيئاً من ذكرىٰ معاركِ الإسلامِ الفاصلةِ.

ولئن كان المسلمون مأمورين بأخذِ القوةِ والعُدَّةِ والحيطةِ والحذرِ؛ فإن الإيمانَ لابدَّ أن يكونَ جازماً وقاطعاً بأن النصرَ من عندِ اللهِ وحدَه.

انظروا ـ يرحمُكم اللهُ ـ إلى التربيةِ القرآنيةِ حينما أمدَّ اللهُ رسولَه والمؤمنين بالملائكةِ يومَ بدرٍ، لم يكنْ مدداً من أجلِ النصرِ، ولكن طمأنينةٌ وبشرىٰ.. اقرءوا كتاب الله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩ ـ ١٠].

أيها الأمةُ المجاهدةُ، تلك عقيدةٌ من درسِ بدرٍ يجبُ أن يستقرَّ في قلبِ كلِّ مسلمٍ، فلا إعجابَ بالقوةِ، ولا اعتماد عليها، ولكنه احتياطٌ وأخذٌ بالأسبابِ، وإرهابٌ لأعداءِ اللهِ.

ومن هنا أيها المسلمون، فيجبُ أن يتعانقُ السلاحُ الماديُّ مع التكوينِ الإيمانيِّ، يلتقيان في خوضِ معركةِ الحقِّ والجهادِ، كما هو صنيعُ المصطفىٰ ﷺ مع جندِه في بدرٍ، هيأ الجيشَ، ونظَّمَ الجندَ، واختارَ المواقعَ، ورفعَ المعنوياتِ، ثم توجَّه إلى ربِّه في عريشِه في ضراعةٍ وإلحاحٍ، يستنزلُ النصرَ، ويناشدُ المعونةَ والمددَ، حتى قال له أبوبكرٍ: يا نبيَّ اللهِ حسبُك مناشدتَكَ ربَّك، فإن اللهَ منجزٌ لك ما وعدَك.

أما درسُ المكاسبِ والمغانم، فلقد تحمَّل المهاجرون والأنصارُ متاعبَ العَيْلةِ، ومشكلاتِ الفقرِ، وضحَّوا بأموالِهم وأنفسِهم، وهجروا أوطانَهم في سبيلِ اللهِ.. وهذا مسجلٌ لهم محفوظٌ، ولكن عليهم وعلى أتباعِهم من بعدِهم أن يَمضُوا في هذا الطريقِ، وفي جميعِ الأحوالِ، في حالِ النصرِ والقوةِ، وحالِ الضعفِ والفاقةِ. فالغايةُ في الحالين واحدةٌ.. إنها نصرةُ العقيدةِ، وإعلاءُ كلمةِ اللهِ، ورفعةُ هذا الدينِ، وقد كان هذا التوجيهُ ظاهراً قبلَ المعركةِ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

وهو ظاهرٌ كذلك بعدَ المعركةِ، حين سألوا عن الأنفالِ.. فصرفَهم الجوابُ القرآنيُّ إلى التقوىٰ والطاعةِ وإصلاحِ ذاتِ البينِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١.. ﴾ [الأنفال: ١].

وحينما اختلفوا في شأنِ الأسرىٰ جاءَهم التوجيهُ الرباني: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا

وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ . ﴾ [الأنفال: ٦٧].

الخلاصةُ ـ أيها المؤمنون ـ ليس للمؤمنين أن يجعَلوا من النظرِ إلى المالِ ميزاناً للحُكمِ في القضايا الكبرىٰ التي تقومُ على الدينِ والعقيدةِ وكمالِ العبوديةِ للهِ ربِّ العالمين.

فاتقوا اللهَ ـ يرحمُكم اللهُ ـ وخذوا من شهرِكم ودهرِكم العبرَ، وصِلُوا الماضي بالحاضرِ عزةً وقوةً، وصدقَ تعلقٍ وتوجهٍ.

نفعني اللهُ وإياكم بهدي كتابِه وبسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

في ذكرى بدر واغتنام العشر

الخطبة الثانية

الحمد لله معزِّ من أطاعَه واتقاه، ومذلِّ من خالفَ أمرَه وعصاه. وفَّقَ من شاءَ من عبادِه للعملِ بما يحبُّه ويرضاه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه، في السماءِ إله، وفي الأرضِ إله، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، طوبىٰ لم والاه وتولاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه. جاهدوا في اللهِ حقَّ جهاده، وكان هواهم تبعاً لهداه، والتابعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم أن نلقاه.

أما بعدُ:

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واعلموا أن انتصاراتِ بدرٍ أعقبتْ المسلمين قوةً بعدَ ضعفٍ، وعزةً من بعدِ ذلةٍ.. تصفُها السورةُ البدريةُ سورةُ الأنفال في قولِه سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

نعم أيها الإخوةُ، لقد كان هؤلاء أذلَّ الناس وأشقاهم عيشاً، وأجوعَهم بطوناً، وأعراهم جلوداً، وأشدَّهم ضَلالاً.. من عاش منهم عاش شقياً، ومن ماتَ منهم مات قصياً، يُؤكلون ولا

يَأكلون، ما يُعلمُ، قبيلٌ[1] من حاضرِ أهلِ الأرضِ يؤمئذٍ كانوا أشرَّ منهم منزلاً، حتى جاء اللهُ بالإسلامِ فمكَّنَ لهم في البلادِ، وأوسعَ لهم في الأرزاقِ، وبعث فيهم نبيَّه وجعلهم ملوكاً.

فهل يعي المسلمونَ العبرَ؟ وهل يتبعون آثارَ من سلفَ؟.

ثم انظروا - رحمُكم الله - إلى شهرِكم واعرفوا فضلَه فقد تصرمَّت أيامُه، فها أنتم مقبلون على عشرِه الأخيرةِ، أعظمُ أيامِه فضلاً، وأرفعُها قدراً، وأكثرُها أجراً. تصفو الأوقاتُ للذيذِ المناجاةِ، وتسكبُ العبراتُ بكاءً على السيئاتِ، فكم لربِّ العزةِ من عتيقٍ من النارِ، وكم من أسيرٍ للذنوبِ وصلَه الله بعد القطعِ، وكتب له السعادةَ من بعدِ طولِ شقاءٍ، قدّم في أيامِه المباركةِ توبةً صادقةً أتبعها بعملٍ في الباقياتِ الصالحاتِ.

إنها الفرصةُ إذا أُفلتتْ فلن تنفعَ بعدها الحسراتُ، والأعمارُ بيدِ اللهِ، فاغتنموا رحمني الله وإياكم شريفَ الأوقاتِ.. فما الحياةُ إلا أنفاسٌ معدودَةٌ، وآجالٌ محدودةٌ، والأيامُ مطاياكم إلى هذه الآجالِ، فاعملوا وأمِّلوا وأبشروا، فالمغبون - واللهِ - من انصرفَ أو تشاغلَ بغيرِ طاعةِ اللهِ، والمحرومُ من حُرمَ ليلةِ القدرِ، والمأسوفُ عليه من أدرَك شهرَ رمضانُ فلم يُغفرْ له.

---

(١) قبيل: أي قبيلة وجماعة.

في قدسية الحرم وأمنه

الخطبة الأولى

الحمد للهِ المتفردِ بكلِّ كمالٍ، والشكرُ له فهو المتفضلُ بجزيلِ النوالِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله. خصه ربُّه بشريفِ الخصالِ. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ.، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآل.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، بيتُ اللهِ المعظمُ ملتقىٰ جموعِ المؤمنين، وقبلةُ أهلِ الإسلامِ أجمعين.. تتوجه إليه القلوبُ، وتَفِدُ إليه الوفودُ من كلِّ فجٍ عميقٍ، في كلِّ قتٍ وحينٍ؛ ليشهدوا منافعَ لهم.

ما برِحَ هذا البيتُ المشرَّفُ ـ بحفظِ اللهِ وكنَفِه ـ يطاولُ الزمانَ، شامخُ الأركانِ، في منعةٍ من اللهِ وأمانٍ، يتطلعُ إليه المسلمون، ويتنافسُ في بلوغِ رحابِه المتنافسون، يعيشون في أمنه وأمانه، وتوافرِ خيراتِه، وأرزاقه ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص: ٥٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

لقد جمعَ اللهُ لهذا البيتِ، وأهلِ البيتِ، وقاصدي هذا البيتِ ـ

مزيتين بهما تحصلُ السعادةُ بتمامها، والطمأنينةُ بكمالِها: ضمانُ الرزقِ، والأمانُ من الخوفِ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ٣ ـ ٤].

وإن من التحدثِ بنعمِ اللهِ ـ أيها المؤمنون ـ الإشارةَ إلى جلاءِ هاتين المزيتين، وظهورِهما واقعاً معاشاً، وأمراً ملموساً ـ ولله الحمدُ والمنةُ ـ رغدٌ في العيشِ، واستبابٌ في الأمنِ، توفرٌ في المطاعمِ والمشاربِ، يُجبىٰ إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ ـ مما يشهدُه الحاضرُ والبادِ.

فواجبٌ على كلِّ مسلمٍ أن يُسهمَ في المحافظةِ على هذا الجوِّ الآمنِ، والطمأنينةِ السابغةِ، من أجلِ الطائفينَ والعاكفينَ والقائمينَ والركعِ السجودِ، من أجلِ المقيمين والوافدين. لا يسعُ مسلماً قصدَ هذه البقاعَ الطاهرةَ ـ يرجو الرحمةَ، ويؤملُ في المغفرةِ، ويتطلعُ إلى عملٍ مبرورٍ، وسعيٍ مشكورٍ ـ إلا البعدُ عن كلِّ ما يشوشُ على المتنسكين، أو يكدرُ صفوَ المتعبدين.

لقد خاطبَ اللهُ أهلَ الإيمانِ وناداهم بنداءِ الإيمانِ، لتجنبِ انتهاكِ حرمةِ شعائرِ هذا البيتِ.. زماناً ومكاناً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

بل لقد نهىٰ ـ سبحانه ـ عن مجردِ الجدالِ تعظيماً لحرمةِ المكانِ والشعائرِ، وانصرافاً لصفاء التعبدِ والتزودِ بزادِ التقوىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وحينما قال سعدُ بن عبادةَ لأبي سفيان يومَ الفتح: «اليومَ يومُ الملحمةِ، اليومَ تستحلُّ الكعبةُ» غضبَ النبيُّ ﷺ ونَزعَ الرايةَ منه وأعطاها ابنَه قيساً وقال: «**هذا يومٌ يعظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ، ويومٌ تُكسىٰ فيه الكعبةُ**»[1] جزءٌ من حديثٍ طويلٍ رواه البخاريُّ كما قالُ ﷺ في صلحِ الحديبيةِ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لا يسألونني - قريشٌ - خُطةً يعظمون فيها حرماتِ اللهِ إلا أعطيتُهم إياها**»[2] جزءٌ من حديثٍ طويلٍ رواه البخاريُّ وغيرُه.

وحرمةُ المؤمنين - أيها المؤمنون - أعظمُ عندَ اللهِ من حرمةِ البيتِ والزمانِ:

وفي التنزيل: كفَّ اللهُ المؤمنين عن دخولِ مكةَ من بعد أن أظفرَهم على الكفار، من أجلِ فئةٍ مؤمنةٍ مستضعفة: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥].

ومع كلِّ هذه النصوصِ الواضحةِ والتأكيداتِ الجليةِ - وأمثالُها كثيرٌ - تجرَّأَ بعضُ ضعافِ النفوسِ ممن ينتسبُ إلى هذا الدينِ، ويزعمُ أنه يعظمُ شعائرَ اللهِ ومَشاعرَه، فانتهكوا جميعَ هذه الحرماتِ مجتمعةً، حرمةَ المؤمنين، وحرمةَ المكانِ، وحرمةَ الزمانِ. فأحدثوا في جوارِ بيتِ اللهِ تخريباً، وأصمُّوا الآذانَ تفجيراً. لم يدفعهم إلى التخريبِ إلاخرابُ الذممِ، وفسادُ الضمائرِ. استطالةٌ صارخةٌ للنيلِ من قدسيةِ حرمِ اللهِ، والنيلِ من

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٥٩٧ - ح٤٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٨٨ - ح٢٧٣١، ٢٧٣٢).

دماءِ المؤمنين، فما لهؤلاءِ القومِ يصبُّون جامَ غضبِهم على أهلِ الإسلامِ، ويدَعَون أهلِ الأوثانِ.

لقد كثُر هرجُهم، وطفحَ الغيظُ من صدورِهم.. جعلوا الإسلامَ مطيةً لتحقيقِ مآربَ مشبوهةٍ، ومقاصدَ مدخولةٍ.. انتهكوا حرماتِ المؤمنين، وروَّعوا الآمنين، وعبثوا بالمقدساتِ.

ولقد ظنوا ظنَّ السوءِ.. ظنوا أنهم مانعتُهم تخطيطاتُهم وترتيباتُهم، ظنوا أن اللهَ لن يكشفَ أمرَهم؛ فأتاهم اللهُ من حيثُ لم يحتسبوا، ولكنّ اللهَ الكريمَ ذا الفضلِ العظيم، أقرَّ أعينَ أهلِ الحقِّ والإيمانِ.. فوفقَّ القائمين على أمرِ هذه البلادِ وخدمةِ الحرمين الشريفين، فردُّوا كيدَ الكائدين في نحورِهم، وتمَّ على أيديهم ـ بتوفيقِ اللهِ ـ القبضُ على عناصرِ الفسادِ، ومعاولِ التخريبِ.. فضلاً من اللهِ ونعمةً، واللهُ عليمٌ حكيمٌ، وازدادَ الذين آمنوا إيماناً بأن للبيتِ رباً يحميه، وما هو إلا أن أخذتْ العدالةُ مجراها، فقال قضاةُ الشرعِ الشريفِ مقالتَهم، وأصدرُوا على ضوءِ الكتابِ والسنةِ حكمَهم فجاء الحقُّ وظهرَ أمرُ اللهِ، وأعلنتْ براءةُ الأبرياءِ، وخسرَ هنالك المبطلون، وقُطعَ دابرُ القومِ الذين ظلموا، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

أيها المؤمنون، ومع يقين المؤمنِ أن اللهَ حافظٌ دينَه وبيتَه، ومُعْلٍ كلمتَه، وجاعلٌ كيدَ الكائدين في تضليلٍ.. إلا أن المسئوليةَ عظيمةٌ.. فلابدَّ من الوقفةِ الصادقةِ من أجلِ وضعِ الأشياءِ في مواضعِها، والأسماءِ في مسمياتِها. فالأسلامُ إسلامٌ، والإجرامُ إجرامٌ، والإصلاحُ غيرُ الفسادِ، وإيذاءُ المؤمنين، وانتهاكُ المقدساتِ والحرماتِ، غيرُ التضحيةِ والجهادِ والفداءِ.

يأبىٰ الله والمؤمنون أن يكونَ الخيرُ والحقُّ والإصلاحُ.. في ترويعِ المسلمين، وتحويفِ الآمنين المؤمنين، والاعتداءِ على العزَّلِ، وتقتيلِ الأبرياءِ.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، اتقوا الله يا ولاةَ أمورِ المسلمين، فإن أمةَ الإسلامِ الآنَ بكافةِ شعوبِها في أشدِّ الحاجةِ من أيِّ وقتٍ مضىٰ إلى جمعِ كلمتِها، والتمسكِ بدينِها، وتوحيدِ خطِّ مسيرتِها على الكتابِ والسنةِ في الأساليبِ، والمناهجِ، والوسائلِ، وشتىٰ مساراتِ الحياةِ.. من أجلِ أن تتوثَّقَ الروابطُ، وتُحمىٰ الأمةُ من العبثِ والفوضىٰ والفسادِ والإلحادِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٧].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

في قدسية الحرم وأمنه

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفىٰ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه محمدٍ المصطفىٰ، وآله وأصحابه، ومن سارَ على نهجِهم واقتفىٰ.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون، لقد أعان اللهُ القائمين على أمرِ هذه البلادِ، وهيأ لهم السبلَ في خدمةِ الحرمين الشريفين.. على وجهٍ يستبشرُ به أهلُ الإيمان.. حكَّموا الكتابَ والسنةَ، وأظهروا أمرَ الشريعةِ.. فرايةُ الدينِ مرفوعةٌ، وأهلُ الحقِّ ظاهرون.. زادهم اللهُ صلاحاً وإصلاحاً، وبحكمِه والتحاكم إليه إيماناً وتسليماً، وبارك في الجهودِ، وسددِ الخطىٰ.

وإن هذا الخيرَ المشهودَ، مع ما يرجىٰ من أملٍ في المزيدِ منشودٍ، عائدٌ إلى الاستقامةِ على الحقِّ، والقيامِ بواجبِ الشكرِ، ومعرفةِ نعمِ اللهِ وقدْرِها حقَّ قدرها، وصرفِها في مراضي اللهِ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧] ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٧].

إنهم يأكلون ويشربون، ومن الخيراتِ في حرمِه يُرزقون، ولكن (لعلهم يشكرون)، فالغايةُ من السكنىٰ بجوارِ البيتِ الحرامِ

إقامةُ الصلاةِ، والقيامُ بواجبِ العباداتِ والطاعاتِ، والشكرُ على توافرِ الخيراتِ.

فاتقوا الله ـ يرحمْكم اللهُ ـ واعرفوا لهذا البيت حرمتَه، وعظِّموا شعائرَ اللهِ.. فذلك من تقوىٰ القلوبِ. اهـ.

بناء البيت ومنافع الحج

الخطبة الأولى

الحمد لله خص بيتَه بمزيدٍ من التكريم والتفضيلِ. وافترض حجَّه على من استطاعَ إليه السبيلَ، فارتفعَ النداءُ غلى حجِّ هذا البيتِ بأمرِ اللهِ على لسان إبراهيمُ الخليلِ، أحمده سبحانه وأشكر، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الموحىٰ إليه من هذه البطاحِ بأشرفِ تنزيلٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، خيرِ صحبٍ وأكرمِ جيلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم حجاجَ بيتِ اللهِ، وأوصيكم عبادَ اللهِ جميعاً ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فخيرُ الزادِ التقوىٰ.

عباد الله، يقول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧].

المسجدُ الحرامُ هو أولُ بيتٍ بُنِيَ على ظهرِ الأرضِ لعبادةِ اللهِ وحدَه، بناهُ الخليلُ إبراهيمُ وشاركه ابنُه إسماعيلُ عليهما السلام.

أما إبراهيمُ: فهو رمزُ التوحيدِ والحنيفيةِ، وخصمُ الشركِ والوثنيةِ. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩].

وأما إسماعيلُ: فهو المسلمُ المستسلمُ المنقادُ لأمرِ ربِّه ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

ونبيُّ الإسلامِ محمدٌ ﷺ وأمةُ الإسلامِ هما ثمرةُ دعوةٍ صدرتْ من هذين النبيين الكريمين البانيين لهذا البيتِ العتيقِ. لقد صدرتْ دعوتُهما وهما ينشئان بنيانَه ويعليان أركانَه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩].

إنه البيتُ الذي أراده المولىٰ تبارك وتعالىٰ قِبْلَةً واحدةً لهذه الأمةِ، يكون به قيامُها، وإليه مثابتُها ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

وفي حديثٍ قرآنيٍّ آخرَ عن نشأةِ هذا البيتِ، حديثٌ عن القاعدةِ التي قام عليها هذا البناءُ؛ ليبقى خالداً، عامراً بإذن اللهِ إلى ما شاء اللهُ، إنها قاعدةُ التوحيدِ، فعلى التوحيدِ أقيمَ هذا البيتِ من أول يوم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

ولما أقيم هذا البيتُ على قواعدِ التوحيدِ ومبادىءِ الحنيفيةِ، والخلوصِ من الشركِ وأهلِه، صدرَ الأذانُ الإبراهيميُّ ـ بأمرِ اللهِ ـ لحجِّ هذا البيتِ، وتعظيمِ حرماتِ اللهِ وشعائرِه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

ومنذُ ذلك النداءِ والوفودُ تتقاطرُ على هذا البيتِ، ممتدةٌ في الأزمنةِ إلى ما شاءَ اللهُ، يتوافدون من كلِّ فجٍّ، رجالاً على أقدامِهم، وركباناً على ما سخر اللهُ لهم، ولا يزالُ وعدُ الله يتحققُ منذ ذلك النداءِ المباركِ، ولا تزالُ أفئدةٌ من الناس تهوي إلى البيتِ الحرامِ، وما فتئتْ النفوسُ تتطلعُ إلى رؤيةِ هذا البيتِ والطوافِ حولَه، والتقلبِ في عرصاتِ مشاعرِه.

يتوافدون من كلِّ فجاجِ الأرضِ القاصي منها والداني، وحناجرُهم تجأرُ بإجابةِ التوحيدِ ونداءِ الإخلاصِ: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لل لبيك). يجيبون داعيَ التوحيدِ بإعلانِ التوحيدِ.

إن هذه الجموعَ الملبيةَ المستجيبةَ تأتي منضويةً تحتَ رايةِ العقيدةِ، حيث تتوارىٰ في ظلِّها فوارقُ الأجناسِ، وتمايزُ الألوانِ، وتباعدُ الأوطانِ.

إن هذه الأمةَ تشهدُ قوَّتَها في تجمعِها، وتدركُ عزَّها في ترابطِها بحبلِ اللهِ المتينِ.

ومن هنا ـ إخوةَ الإسلامِ ـ فإن هذا البيتَ هو الملتقىٰ الجامعُ لهذه الأمةِ. يتلاقىٰ فيه المسلمون مجرَّدين من كلِّ آصرةٍ سوىٰ

آصرةِ الإسلامِ، متخلين عن كلِّ سمةٍ إلا سمةَ الدين. ولقد بلغَ مظهرُ التساوي في هذا الصعيدِ المعظمِ أن تساوتْ ملابسُهم، وتوحدتْ ثيابُهم فتجردوا من كلِّ زينةٍ إلاَ ثوباً يواري عوارتِهم.

إن البيتَ ومشاهدَ الحجِّ ليؤكدُ لهذه الأمةِ أن رابطةَ الإسلامِ هي الرابطةُ الوثقىٰ، وأن نسَبهُ هو النسبُ الثابتُ، وصبغةَ الدينِ هي الصبغةُ السائدةُ. لا تفاضلُ إلا بالتقوىٰ، إنه نبذٌ صارخٌ لحمّيةِ الجاهليةِ وفخارِها. ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وهو من أجلِ هذا موسمٌ تصفو فيه النفوسُ، وهي تستشعرُ قربَها من ربِّها يومَ أن قرُبَتْ من بيتِه، تطوف حولَ البيتِ بأجسادِها وأفئدتِها.

موسمُ عبادةٍ ولقاءٍ تلتقي فيه الدنيا والآخرةُ، حتى أصحابُ التجاراتِ يجدون في موسم الحجِّ من غيرِ حرجٍ سوقاً رائجةً لتجاراتِهم وبضائعهم ابتغاءَ فضلِ اللهِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وماذا في ذلك؟؟ إن هذا البيتَ يُجبىٰ إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ. ما تفرَّقَ في أرجاءِ الدنيا يجتمعُ في أرضِ الحرمِ، سوقٌ عالميةٌ قائمةٌ في تسهيلاتٍ معاصرةٍ، وفرَّها ولاةُ الأمورِ في الحرمين الشريفين فيما وفَّرو ـ حفظهم الله ـ من إنجازاتٍ عظامٍ في الحجِّ وطرقِه ومشاعرِه ومبانيه.

ينضمُّ إلى ذلك ـ أيها الحجاجُ ـ ما يجبُ التحلي به من آدابٍ؛ يستكملُ بها الحاجُّ تعظيمَ حرماتِ اللهِ وشعائرِه.

إن المسلمَ في أوقاتِ العبادةِ والحضورِ في الرحابِ الطاهرةِ، يلتزمُ بأكملِ الآدابِ وأفضلِ الأحوالِ. . ناهيك بالحضور في هذا البيتِ المعظم والمشاعرِ المقدسةِ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] إنها آدابٌ في اللسانِ والجوارحِ تُعَظَّمُ بها الشعائرُ، وتُعرفُ بها آدابُ زوارِ بيتِ اللهِ.

فللجماعةِ آدابٌ قد تختلفُ عن آدابِ الأهلِ والأقربين، فحقٌّ على حجاجِ بيتِ اللهِ، وهم في رحابِهِ أن يختاروا الطيبَ من القولِ، وتحُلُّ التقوىٰ عندهم محلَّ الفسوقِ، والخلقُ الجميلُ محلَّ الجدلِ والمراءِ.

ومن أجلِ هذا جاءَ في الحديثِ الصحيح: «من **حجَّ هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسُق، رجعَ كيومِ ولدتْه أمُّه**»[1] متفق عليه. واللفظُ للبخاريِّ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

إن الإقبالَ على اللهِ بتلك الهيئةِ المؤدبةِ، والتقلبَ في المشاعرِ والشعائرِ مع حفظِ حقوقِ الإخوانِ، والالتزامَ بآدابِ الإسلام؛ يمحو من النفوسِ آثارَ الذنوبِ، وظلمةَ الأثام. فيتحرى الحاجُّ كلَّ برٍ، ويتباعدُ عن كلِّ منكرٍ عبادةً للهِ وأخوَّةً للمؤمنين.

أيها الإخوةُ، إن الحجَّ في وفودِه وحشودِه تأكيدٌ لهذه الارتباطاتِ، وتجسيدٌ لتلك الإحساساتِ، حضورٌ في الأبدانِ، وشهودٌ في القلوبِ.

إنك ترىٰ هذا الزرافاتِ من الناسِ وهي تَؤمُّ هذا البيتَ ولها

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٥ ـ ح١٨٢٠)، ومسلم (٢/ ٩٨٣ ـ ح١٣٥٠).

عجيجٌ بالتلبيةِ، تشاركها بتلبيتِها كلُّ الكائناتِ مِنْ حولِها مسبحةً بحمدِ ربِّها، وكأنَّ الوجودَ في الحرمِ والمشاعرَ وماحولهما، والطرقَ السالكةَ إليهما قد تحولتْ إلى وفودٍ حاشدةٍ تجأرُ لربِّها ذاكرةً، شاكرةً، حامدةً، ممجدةً، كما في الحديثِ: «**ما من مُلَبٍّ يلبِّي إلا لبَّىٰ ما عن يمينِه وشمالِه، من حجرٍ أو شجرٍ أو مدَرٍ حتى تنقطعَ الأرضُ من ههنا وههنا**»[1]. رواه الترمذيُّ، وابن ماجه واللفظُ له من حديثِ سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه.

حجاجَ بيتِ اللهِ، بهذا وأمثالِه تتبينُ عظمةُ النسكِ وحكمةُ التشريعِ، ويبقىٰ الحجُّ رمزَ الوحدةِ والتوحيدِ، وعنوانَ البذلِ والتضحيةِ، ويبقىٰ ملتقىٰ المسلمين الأكبرَ في يومِ الحجِّ الأكبرِ. ويظلُّ زمانُه ومكانُه الموعدَ المضروبَ لاجتماعِ المؤمنين الموحدين الوافدين من مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، يفردون بالعبادةِ ربَّهم، ويرجمون الشيطانَ عدوَّهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحج: ٢٧ ـ ٢٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٩ ـ ح٨٢٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٧٤ ـ ح٢٩٢١).

بناء البيت ومنافع الحج

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل الحجَّ كفارةً للذنوبِ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأسأله ذكراً تطمئنُّ به القلوبُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، علامُ الغيوبِ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بكلِّ كمالٍ منعوتٌ، وإلى كلِّ قلبٍ محبوبٌ، اللهم فصلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقبَ الشروقُ والغروبُ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهِ ـ عبادَ الله ـ واعلموا رحمكم اللهُ.. أن مما يؤكدُ سموَّ معاني الحجِّ، وأهدافِ زيارةِ هذا البيتِ المعظمِ، والحفظَ على لزومِ الأدبِ مع الإخوانِ، التطلعَ إلى حجٍّ مبرورٍ، فالحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةَ.

ومن أعظم مجالاتِ برِّ الحجِّ.. ميادينُ التعاملِ مع الناسِ، وحسنِ العلاقاتِ معهم، حتى إنه لما سُئلَ رسولُ الله ﷺ: ما الحجُّ المبرورُ؟ قال: «**إطعامُ الطعامِ وطيبُ الكلامِ**»[1]. رواه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٥، ٣٣٤)، والطبراني في الأوسط واسناده حسن انظر مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٧)، والبيهقي (٥/ ٢٦٢)، والحاكم (١/ ٤٨٣) =

أحمدُ والطبرانيُّ وابنُ خزيمةَ والبيهقيُّ من حديثِ جابرٍ، وكلُّها ألوانٌ من العلاقاتِ الحسنةِ يحافظُ عليها المسلمُ مع إخوانِه.

وقد سُئلَ سعيدُ بن جبيرٍ: أيُّ الحجِّ أفضلُ؟ قال: من أطعمَ الطعامَ، وكفَّ اللسانَ.

أيها الإخوةُ، ماذا يصنعُ من يؤمُّ هذا البيتَ إذا لم يكن فيه ورعٌ يحجزُه عما حرَّم اللهُ، وحِلمٌ يضبطُ به جهلَه، وحسنُ صحبةٍ لمن يصحبُ!!! فلا تحقرنَّ أخي الحاجُّ من المعروفِ شيئاً، ولو أن تفرغَ من دلوكِ في إناءِ المستسقي، ولو أن تُنَحِّي الأذىٰ من طريقِ الناس، ولو أن تلقىٰ أخاكَ ووجهُك إليه منطلقٌ، فخيرُ الناسِ أنفعُهَم للناس.. وأصبرهُم على أذى الناسِ.

ولقد أعدَّ اللهُ جناتِ عدنٍ.. للذين ينفقون في السراءِ والضراءِ، والكاظمين الغيظَ، والعافين عن الناسِ، واللهُ يحبُّ المحسنين.

فاتقوا اللهَ - رحمكم الله - وتوبوا إلى ربِّكم، وتوسلوا إليه بصالحِ أعمالِكم.

= وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

من فضل البيت وأسرار الحج

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا. من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واحفظوا أوامرَ ربِّكم، وعظِّموا حرماتِه وشعائرَه ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] اختار لكم صفوةَ خلقِه محمداً ﷺ؛ يعلمُكم الكتابَ والحكمةَ ويزكيكم. وكلُّ ذلك أيها المؤمنون، اختيارٌ في اختيارٍ في اختيارٍ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

وكما اختارَ سبحانه في الأمم والنبيين، اختارَ من الأماكنِ أشرفَها، ومن البقاعِ أفضلَها. بيتٌ شَرُفَت مكانتُه، وحُددتْ معالمُه، وأسستْ دعائمُه. بوأ اللهُ لإبراهيمَ - عليه السلام -

مكانَه.. بناه الأبوان الكريمان: إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام. في إنابةٍ، وخشوعٍ، وتضرعٍ، ودعاءٍ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

وأمةُ الإسلامِ ورسولُ الإسلامِ ـ عليه الصلاة والسلام ـ هما إجابةُ هذه الدعوةِ المباركةِ. فلقد اقترنَ أصلُ هذه الأمةِ ببناءِ هذا البيتِ وتطهيرِه ومناسكه: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٨ ـ ١٢٩].

إن هذه الأمةَ تجدُ في البيتِ والحجِّ والمناسكِ أصلَها العريقَ، الضاربَ في أعماقِ التاريخِ من تلك العهودِ الأولىٰ: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا...﴾ [الحج: ٧٨].

إن هذه الصِّلاتِ العقائديةَ والتاريخيةَ؛ سرٌّ من أسرارِ حجِّ هذا البيتِ. يجدُ فيه المؤمنون ما يشدُّهم إليه، إنها قبلتُهم أحياءً وأمواتاً. يجدون فيه رايتَهم التي يفيئون إليها رايةَ العقيدةِ والتوحيدِ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠ ـ ٣١].

تنمحي في ظلالِ هذا البيتِ فوارقُ الأجناسِ والألوانِ والأوطانِ، تتجلىٰ في عرصاتِ المناسكِ قوةُ التجمعِ والتوحيدِ

والترابطِ.. تضم الملايين والملايين من الخلائق يحنُّون إليه كما تحنُّ الحمائمُ إلى أوكارِها... في أفئدتِهم من الحنينِ شوقٌ، وفي قلوبِهم من المشاعرِ فيضٌ. يفدون إليه من أعماقِ القاراتِ، ومن شطآنِ المحيطاتِ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

إن الإنسانيةَ واحدةٌ من آدمَ إلى إبراهيمَ إلى محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، شرفُها في عبادةِ ربِّها، وولاؤُها لواحدنيتِه، وعملُ الشيطانِ وجهدُه تعكيرُ هذه العبادةِ، وتقطيعُ ذلك الولاءِ فكان إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ نموذجَ النبوةِ الأولىٰ شعاراً للتوحيدِ، ومناراً للعبادةِ الخالصةِ. ثم جاء خاتمُ المرسلين محمدٌ ﷺ فأرسىٰ القواعدَ لألوفِ المساجدِ التي تتبعُ هذا البيتَ في الوسيلةِ والهدفِ.. فدوائرُ صفوفِ المصلين حولَ الكعبةِ لا تزالُ تنداحُ وتتسعُ حتى تشملَ الدنيا كلَّها.

حقاً ـ أيها الإخوة ـ إن الأمةَ لتجدُ أصلَها وأصالَتها من خلالِ هذا البيتِ وتاريخِه، ومن خلالِ مناسكِه ومتعبداتِه.

وكأنكم بهذه الأمةِ وهي تتجلىٰ طيفَ إبراهيم عليه السلام، وهو يودعُ فِلْذةَ كبدِه إسماعيلَ وأمَّه، ويتوجه بقلبِه الدافقِ، ودمعِه الخانقِ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وها هي هاجرُ تتطلبُ الماء لطفلِها ولنفسِها..

وفي ذلك الجوِّ اللاهبِ .. حولَ مكانِ البيتِ.. تهرولُ بين

الصفا والمروةِ.. قد نهلها العطشُ، وبلغَ منها الجهدُ، وأضناها الإشفاقُ.. وفجأةً فإذا هي بالنبعِ يتدفقُ زمزمَ الرُّواءِ والشفاءِ.

وتتسارعُ الأطيافُ.. فإذا إبراهيمُ وإسماعيلُ يرفعان القواعدَ من البيتِ بأمرِ ربِّهما: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

ويزداد التاريخُ في الاستعراضِ.. فإذا عبدُ المطلبِ بنُ هاشمٍ ينذرُ دمَ ابنِه العاشرِ.. إنه عبدُاللهِ الذي يُفدىٰ بما يزيدُ على المائةِ من النوقِ.. ليأذنَ اللهُ بخروجِ أكرمِ الخلقِ على اللهِ المصطفىٰ المختارِ محمدٍ ﷺ. ويمرُّ الزمنُ فإذا بهذا الفتىٰ يضعُ الحجرَ الأسودَ موضعَه من البيتِ بيمينِه لتنطفىءَ نارُ الفتنةِ، ثم يبعثُه اللهُ من جوارِ بيتِه هادياً ومبشراً ونذيراً.

أيها الإخوةُ، إن الحجَّ إلى هذا البيتِ.. هو خاصةُ هذا الدين، وهو سرُّ التوحيدِ. إنه خاصةُ الحنيفيةِ، وزيارةُ المحبِّ لمحبوبِه، وإجابةُ دعوتِه، ومحلُّ كرامتِه في شعارٍ قديمٍ جديدٍ، لم يضعفْ صداه على مرِّ القرونِ وتعاقبِ الأجيالِ: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك).

في أشهر الحجِّ تنطلقُ قوافلُ الملبين... قاصدين هذا البيتَ، مؤكدين الولاءَ لربِّ هذا البيتِ... تتزايدُ تلك القوافلُ رويداً رويداً، فإذا ما قرُبَ الموسمُ؛ تحولَّ إلى سباقٍ نشطٍ دؤوبٍ.. يقطعون الفيافيَ والقفارَ، ويمخرون عبابَ البحرِ، ويطيرونَ في جوِّ السماءِ.. آمِّين هذا البيتَ من المشارقِ والمغاربِ، وفودٌ استوعبتْ البرَّ والبحرُ والجوَّ.. لا تسمعُ إلا هتافاً واحداً للواحدِ

الأحدِ.. في استعراضٍ خاشعٍ منيبٍ.. يلبون ويكبرون.. يسبحون ويهللون، كلَّما علوا نشزاً أو هبطوا وادياً، وإذا تلاقتْ الركبانُ، وتقابلتْ الأفواجُ في مواكبَ مهيبةٍ تعظيماً لله، وأداءً لشعائرِ اللهِ، بالدعاءِ والابتهالاتِ لهم عجيجٌ، وبالبكاءِ لهم نشيجٌ.. أملاً في حطِّ الخطايا والأوزارِ، تلبياتٌ ونداءاتٌ تهزُّ المشاعرَ، وتتجاوبُ معها الأوديةُ والوهادُ.. ذكرٌ وشكرٌ، وحمدٌ وتمجيدٌ: «**ما من مسلمٍ يلبي إلا لبىٰ ما عن يمينِه وشمالِه، من حجرٍ أو شجرٍ أو مدرٍ، حتى تنقطعَ الأرضُ من ها هنا وها هنا..**»[1].

إن الحجَّ أيها المؤمنون، رحلةٌ أيمانيةٌ عميقةٌ في عباداتٍ عظيمةٍ وذكرياتٍ كريمةٍ. في الحجِّ ملتقىٰ المسلمين الأكبرُ، وفي البيتِ مثابتُهم العظمىٰ.. ملتقىٰ الموحدين في المشارقِ والمغاربِ، يشهدون منافعَ لهم.

إن تجمعاتِ الدنيا مهما بلغتْ في أهدافِها.. لن تبلغَ سموَّ هذا الاجتماعَ الشاملَ المترابطَ المتآخي، المتضامنَ في أهدافِه وآمالِه.

إنه ليس لقاءَ أجسادٍ، ولا من أجل حملِ ألقابٍ، إنه فرصةُ الإعدادِ، وخطةُ الإنقاذِ. موسمٌ جامعٌ يُنتهزُ فيما يُنتهزُ للتوجيهاتِ العامةِ، والنظرِ في قضايا الأمةِ الكبرىٰ، تجسدُه كلَّ التجسيدِ، ويمثلُه حقَّ التمثيلِ.. كلماتُ المصطفىٰ ﷺ، كلماتُ الوداعِ من المشفقِ الحريصِ بكلِّ حبٍّ ونصحٍ في وصيةِ مودعٍ: «**تركتُ فيكم**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٩ ـ ح٨٢٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٨٤ ـ ح٢٩٢١).

ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتابَ اللهِ وسنتي»[1]. **«إن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا»**[2].

كلماتٌ موجزاتٌ بليغاتٌ. رسمت سياساتِ العلاقاتِ البشريةِ، إنسانيةً واجتماعيةً ودوليةً.. مبينةً طبيعةَ هذا التجمعِ ووظيفتَه: **«كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ ولا عجميٍ إلا بالتقوىٰ»**[3]. رواه أحمدُ والترمذيُّ بمعناه: **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضَكم رقابَ بعضٍ»**[4]. متفق عليه من حديثِ جريرٍ.

لقاءاتٌ وتوجيهاتٌ في رحابِ هذا البيتِ.. من أجلِ رفعةِ البشريةِ وترقيِّها في مدراجِ الشرفِ والكرامةِ.

إنها تعاليمُ الإسلامِ، وحراسةُ الدينِ، ورفعُ رايةِ الحقِّ، وتحديدُ المواقفِ من العابثين، والمبيتين للأمةِ الضياعَ.

أيها الإخوةُ في اللهِ، حجاجَ بيتِ الله، هذا هو البيتِ، وذلكم هو الحجُّ في الشعائرِ والمشاعرِ. فَلَئِنْ أُصيبَ المسلمون في أعصارِهم المتأخرةِ بضعفٍ وتفككٍ.. وتفرقٍ وتشتتٍ.. تجلَّت فيه سيطرةُ الأجنبيِّ، واستحكامُ العدوِّ فما ذلك إلا لغلبةِ نزعةِ الأنانيةِ الضيقةِ، والعصبيةِ المقيتةِ، والبعدِ عن منهجِ الحقِّ،

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٩٣) وصححه.
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٦)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، والترمذي (٥/ ٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠) بمعناه.
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٥)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).

والقيامِ بأمرِ اللهِ. والإسلامُ في تعاليمِه ووصاياه لا يعرفُ هذه الفوارقَ ولا يرضاها، والحجُّ في عظمتِه وحقيقتِه وغايتِه أكبرُ برهانٍ على نبذِها، والبراءةِ منها ومن دعاتِها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيمَ

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

من فضل البيت وأسرار الحج

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل بيتَه مثابةً للناسِ وأمنا. أحمده سبحانه وأشكره يقبل التوبةَ عن عبادِه، ويعفو عن السيئاتِ فضلاً منه ومَّناً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أكرمنا به ربُّنا فبعثه مِنّا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا الله أيهـا المـؤمنـون. واعـرفـوا لهـذا البيـتِ فضلَـه وخصائصَه. فهو بلدُ المقدساتِ، ومُتنزَّلُ الرحماتِ. مُلتقىٰ وفودِ اللهِ. حرَّمهُ اللهُ وحمىٰ حماه، وجعلَ قصدَه مكفراً لما سلفَ من الذنوبِ ماحياً للأوزارِ، حاطًّا للخطايا: «**من أتىٰ هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسقْ رجع كيومِ ولدتَه أمُّه**»[1]. رواه البخاريُّ ومسلمٌ واللفظُ له من حديثِ أبي هريرةَ.

خيرُ أرضِ اللهِ، وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ. يتجردُ قاصدُ هذا البيتِ من لباسِ أهلِ الدنيا.. مفارقاً الأهلَ والأولادَ والأوطانَ..

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٥ ـ ح١٨٢٠)، ومسلم (٢/ ٩٨٣ ـ ح١٣٥٠).

في تذللٍ وخضوعٍ للهِ، وتواضعٍ لعبادِ اللهِ.

سموٌّ وارتفاعٌ فوقَ مقاييس أهلِ الدنيا، وتركٌ لألوانِ الرفاهيةِ والترفِ.. تتجلىٰ فيه المساواةُ بأسمىٰ معانيها. حتى قال بعضُ أهلِ العلم: إذا كان أشرفُ حالاتِ المرءِ أن يأتيَ يومَ القيامةِ آمناً. فأشرَفُ أحوالِه في الدنيا أن يكونَ في عرفاتٍ مُحرماً.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون وتقربوا إلى ربِّكم بتعظيم حرماتِه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧٦].

خطبة عيد الفطر المبارك
المناسبات وهموم الأمة

الخطبة الأولى

اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. .اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ.

اللهُ أكبرُ خلق الخلقَ وأحصاهم عدداً، وكلُّهم آتيه يومَ القيامةِ فرداً. الله أكبرُ عزَّ سلطانُ ربِّنا، وعمَّ إحسانُ مولانا. . خلقَ الجنَّ والإنسَ لعبادِته، وعنت الوجوه لعظمتِه، وخضعتْ الخلائقُ لقدرتِه.

الله أكبرُ عدد ما ذكره الذاكرون. . الله أكبر كلما هلل المهللون، وكبر المكبرون. الله أكبر ما صام صائمٌ وأفطر. الله أكبر ما تلا قارىءٌ كتابَ ربِّه فتدبر. الله أكبر ما بذل محسنٌ فشكر، وابتُلي مبتلىً فصبر.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبةُ للمتقين. الحمدُ لله وفقَّ من شاءَ لطاعتِه فكان سعيُهم مشكوراً، ثم أجزل لهم العطاءَ والمثوبةَ فكان جزاؤهم موفوراً. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره إنه كان حليماً غفوراً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يُتمُّ بنعمتِه الصالحاتِ، ويُجزلُ بفضلِه العطياتِ، إنه

كان لطيفاً خبيراً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله صلى وصام، واجتهد في عبادةِ ربِّه حتى تفطرت قدماه.. فكان عبداً شكوراً.. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهاتِ المؤمنين، وعلى أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله والله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: هذه الأرضُ الطيبةُ الآمنةُ بأمانِ اللهِ ثم برعايةِ قادتِها، ويقظةِ مسئولياتِها.. هذه الأرضُ التي تحكي تأريخَ الإسلامِ المجيدِ.. تأريخَ نشأةِ دين اللهِ في هذه البطاحِ.. تحكي قصةَ الانتصارِ والكفاحِ.. سيرةَ النماذجِ المثاليةِ العاليةِ. ومصارعِ الشهداءِ في سبيلِ الحقِّ.. بلدٌ وتاريخٌ قفزتْ فيه البشريةُ إلى أبعدِ الآفاقِ ديناً ودنيا، علماً وعملاً، فقهاً وخلقاً.

أرضٌ طيبةٌ، وجوٌّ عابقٌ.. تزدحمُ فيه هذه المشاهدُ والمواسم حيةً نابضةً.. تختلطُ فيها مشاعرُ العبوديةِ وأصواتُ الذكرِ والتلاوةِ والدعاءِ والتكبيرِ والإقبالِ على اللهِ ربِّ العالمين.

ويقترنُ بقدسيةِ المكانِ شرفُ الزمانِ، فشهرُ الخيرِ والبركةِ.. شهرُ رمضانَ.. شهرُ هذه الأمةِ، نزل فيه كتابُها، وتحقَّق فيه كثيرٌ من انتصارتِها، قطعَ اللهُ فيه دابرَ الوثنيةِ، وقوَّض بنيانَها، شهرُ صيامٍ وقيامٍ، وعملٍ وجهادٍ، وجدٍ واجتهادٍ.. زادٌ لما بعده من الشهور.

في هذه الأجواءِ يغمرُ قلبَ المتأملِ شعورٌ كريمٌ فياضٌ بانتماءِ أفرادِ هذه الأمةِ إلى هدفٍ واحدٍ، وغايةٍ واحدةٍ.. إنها أمةُ محمدٍ ﷺ، ودينُها دينُ الإسلامِ.. دينُ اللهِ ربِّ العالمين.

الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله والله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد.

أيها الأحبةُ في اللهِ: ما أحوجَ الأمةَ في أيامِ محنِها وشدائدِها، وأيامِ ضعفِها وتيهِها إلى وقفاتٍ عند مناسباتِها في أعيادِها وعباداتِها تستلهم العبرَ، ويتجددُ فيها العزمُ على المجاهدةِ الحقةِ ويعمُّ فيها التوجهُ على محاربةِ كلِّ بغيٍ وفسادٍ.. ما أحوجها إلى دروسٍ تستعيدُ فيها كرامتَها، وتردُّ على من يريدُ القضاءَ على كيانِها.

إن قضيةَ القضايا وأصلَ الأصولِ كلمةُ التوحيدِ وشعارُ الإسلامِ وعلَمُ الملةِ (لا إله إلا الله) كلمةٌ تُخلعُ بها جميعُ الآلهةِ الباطلةِ من دونِ اللهِ، فيها نبذٌ لأمرِ الجاهليةِ كلِّه.. إثباتُ العبادةِ لله وحده لا شريكَ له. فالله هو الخالقُ وحدَه وما سواه مخلوقٌ، وهو الرازقُ وما سواه مرزوقٌ.. وهو القاهرُ وحده وما سواه مقهورٌ.. هذا هو دليلُ التوحيدِ وهذا هو برهانه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] والأمواتُ قد أفضوا إلى ما قدَّموا ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ومن قضايا ديننا الأصيلةِ أن الناسَ متساوونُ في التكاليفِ حقوقاً وواجباتٍ، لا فرقَ بين عربيٍّ ولا عجمي إلا بالتقوىٰ.. لا تفاضلَ في نسبٍ، ولا تمايزَ في لونٍ.. فالنزعاتُ العنصريةُ والنعراتُ الوطنيةُ والعصبياتُ القبليةُ ضربٌ من الإفكِ ومسالكِ الجاهليةِ.

ومن الواقعِ الرديءِ في عصرِنا المعاصرِ أن توصفَ حضارةُ اليوم بحضارةِ العنصرياتِ والقومياتِ. والدولُ الموصوفةُ بالتقدمِ تضمرُ في نفسِها احتقاراً لأبناءِ القاراتِ الأخرىٰ، ولم تفلحْ المواثيقُ النظريةُ ولا التصريحاتُ الخطابيةُ، فإنك ترى هذا التمييزَ يتنفسُ بقوةٍ من خلالِ المجالاتِ السياسيةِ والميادينِ الاقتصاديةِ والقضايا الاجتماعية، ويأتي كتابُ ربِّنا ليدحضُ كلَّ ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

ويأتي نبيُّنا محمدٌ ﷺ ليعلَن منذ مئاتِ السنينَ ضلالَ هذا المسلكِ: «**أيها الناسُ إن ربَّكم واحدٌ وإن أباكم واحدٌ.. كلُّكم لآدمَ.. وآدمُ من ترابٍ، وإن أكرَمكم عند اللهِ أتقاكم، ليس لعربيٍّ فضلٌ على عجميٍّ إلا بالتقوىٰ**»[1].

الله أكبرُ الله أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٤١١)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد (٣/٢٦٦).

أيها المسلمون: أمةٌ شرّفها اللهُ بالإسلامِ، فكيف ترضىٰ غيرَه بديلاً.. كيف يحلو لها أن تتخلفَ عنَ السيرِ تحتَ لوائِه، وترضىٰ أن تُقادَ ذليلةً تحتَ ألويةِ الجاهليةِ.. ليس إلا الإسلامُ جامعاً للقلوبِ المتنافرةِ، وليس غيرُ الدينِ مؤلفاً بين هذه الشعوبِ المتناثرةِ.. جامعةٌ إسلاميةٌ تتضاءلُ أمامها الثاراتُ القبليةُ، والدعواتُ العنصريةُ، والانتماءاتُ الحزبيةُ.. به تتلاشىٰ كلُّ دعاوىٰ الجاهليةِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: ألم تستبنْ الأمةُ بعد طولِ هذه المعاناةِ وبعد هذا التمزقِ المخزي في سراديبَ مظلمةٍ وطرقٍ ملتويةٍ.. ألم تستيقنْ أن التخلَي عن دينِها هو الانتحارُ والدمارُ، وهو قرةُ عينِ الاستعمارِ؟!.

إننا إذا رُمنا صلاحاً فيجبُ أن يبدأَ الإصلاحُ من الداخلِ.. يجبُ إيقافُ حركةِ التمزيقِ الفكريِ والروحيِ.. يجبُ القضاءُ على الانهزامُ النفسيِّ في مجالاتِ التربيةِ والمناهجِ والإعلامِ.. لقد جربَ المسلمون في هذه الأعصارِ وفي كثيرٍ من الأمصارِ مناهجَ ومشاربَ، وتعددتْ منهم مسالكُ ومذاهبُ، فلم يصحَّ لهم منها شيءٌ، ولم تغنهم لا قليلاً ولا فتيلاً.. بل كلُّها طريقٌ إلى التمزقِ والتبارِ.

لا طريقَ إلا صراطُ اللهِ، ولا نهجَ إلا نهجُ المصطفىٰ محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ.

أيها المسئولون.. أيها الدعاةُ.. أيها المربون: يجبُ إحياءِ الإخوةِ الإسلاميةِ ودعائمِ الحبِّ في اللهِ.. تلتقي الأمةُ بفئاتِها

وجماعاتِها على العقيدةِ الحقةِ، ونصرةِ دينِ اللهِ.. الولاءُ للإسلامِ وحدَه، يستعلي هذا الولاءُ على كلِّ انتماءٍ أو انتسابٍ.

إن جميعَ الحروبِ المعلنةِ على المسلمين: ساخنِها وباردِها، عسكريِّها وفكريِّها، كلُّها باسمِ الدينِ، ولا يكونُ الانتصارُ عليها إلا بالتمسكِ بالدينِ.

يجبُ أن يكونَ الاهتمامُ بقضايا المسلمين الكبرى وشئونِهم العامةِ، فلا تضيَّعُ الأوقاتُ بمسائلَ ومجادلاتٍ لا تُحلُّ بها للمسلمين مشكلاتٌ. ويجبُ أن تُطرحَ القضايا على بساطِ البحثِ بين المختصين، ويُبذلُ الجهدُ في تمييز الصوابِ من الخطأِ، والراجح من المرجوحِ، ويحترمُ رأيُّ كلِّ مجتهدٍ، سواءٌ كان مخطئاً أو مصيباً. والتحاملُ على المجتهدِ وتجريحُه مسلكٌ في الدينِ منكورٌ، وخطأُ المجتهدِ لا يبيحُ النيلَ من عرضِه.. ولا يسوِّغُ أبداً تلمسَ المعايبِ للبرآء، والتشهي بإلصاقِ التهمِ بالناس، وكما تستغفرُ لخطأِ نفسك، فاستغفرْ لخطأِ أخيك: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

إن على أهلِ العلمِ والدعوةِ والتربيةِ أن يعلموا أن الحقَّ ليس حِكراً على مسلكٍ وليس محصوراً في رأي بشرٍ، والخلافُ في الرأي لا يجوزُ أن يكون مصدرَ لجاجةٍ أو غضبٍ، فذلك قائدٌ إلى فسادِ المقاصدِ والخللِ في الغاياتِ.

إن حقَّ النقدِ وإبداءِ الملاحظاتِ لا يجعلُ الحقَّ حِكراً على الناقدِ.. لماذا يتحولُ الخلاف في وجهاتِ النظرِ إلى عنادٍ

شخصيٍّ وانتصارٍ ذاتي، ثم إلى عداءٍ ماحقٍ للدينِ والدنيا؟!.

والأدهىٰ والأمرُّ أن يبدأَ الخلافُ في فرعيةٍ صغيرةٍ، ثم يرقىٰ إلى الاتهامِ في أصولِ الإسلامِ وقواعدِ الديانةِ، ويترقىٰ في الجزئياتِ إلَى التشكيكِ في المقاصدِ والنياتِ.. هناك من يوغلُ في النقدِ والجدلِ حتى يدخلَ في دائرةِ التجريحِ والغيبةِ، وتتبعِ الزلاتِ والعثراتِ من غيرِ فقهٍ في واجبِ النصحِ، وحسنِ الظنِّ، وأقدارِ الرجالِ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

وإن من النصفِ في القولِ أيها الإخوةُ أن ينظرَ العلماءُ والدعاةُ في الأولوياتِ.. ينظرون في الأهمِّ ثم المهمِّ.. فالأصولُ غيرُ الفروعِ.. والسنةُ غيرُ الواجبِ.. والمكروهُ غيرُ الحرامِ، فلكلٍّ قيمتُه ووزنُه، ولكلٍّ موقعُه وأثرُه، ومن كان ذا فكرٍ محصورٍ وإدراكٍ ضيقٍ وعلمٍ قليلٍ فإن الموازينَ عنده تختلُّ، ولديه الأولوياتُ تختلطُ، وقد ينحدرُ في التعصبِ المقيتِ والانحيازِ المذمومِ لرأيٍ أو عالمٍ أو فئةٍ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أيها الإخوةُ: وكما يُنكَرُ الغلوُّ في الدينِ والتعصبُ للرأيِ يُنكَرُ التسيبُ والتهتكُ فلا إفراطَ ولا تفريطَ، وكما يُطالَبُ الدعاةُ بالاعتدالِ والحكمةِ يطالبُ المدعوون بالبعدِ عن التذبذبِ والتناقضِ.

لقد تفتحتْ أعينُ كثيرٍ من الغيورين بعدَ عهودِ الاستعمارِ على واقعٍ غيرِ سارٍّ في كثيرٍ من ديارِ الإسلامِ .. استُبيحَ الحمىٰ ونُهبتْ الديارَ، وتركَ آثاراً غليظةً: فكريةً ونفسيةً، ووقعُ كثيرٍ من بلادِ المسلمين في أزماتٍ ماديةٍ ومعنويةٍ خانقةٍ .. تداعتْ عليها الذئابُ المسعورةُ، ومزقتهم السياساتُ المشئومةُ .. استُجلبتْ نظمٌ وثقافاتٌ لا تمتُّ إلى الإسلامِ بصلةٍ .. صورٌ كثيرةٌ من الضياعِ واللامبالاةِ تمتلىءُ بها مواقعُ كثيرةٌ من الساحةِ .. مناهجُ في التربيةِ مضطربةٌ .. مظاهرُ للكاسياتِ العارياتِ المائلاتِ المميلاتِ، وفوق كلِّ ذلك دعواتٌ سافرةٌ لإلحادٍ وعلمانيةٍ وإباحيةٍ، ومظاهرُ زندقةٍ ونفاقٍ .. ألِفَ جمهورٌ منهم الربا والزنا والخمرَ واللهوَ المحرمَ .. مردوا على إضاعةِ الصلواتِ واتباعِ الشهواتِ .. ينكرُ منكرُهم أن يكونَ للإسلامِ تدخلٌ في شئونِ التشريعِ، أو نظرٌ في قضايا المجتمعِ، ويستنكرُ أن يكونَ الولاءُ للهِ ولرسولِه ولدينه مُقدَّماً على الولاءِ للعنصرِ أو الترابِ .. ينكرون أن تكون قواعدُ التربيةِ والسلوكِ مقرونةً بشعائرِ التعبدِ والخضوعِ للهِ ربِّ العالمين.

هذه نماذجُ من مواقفِ الخورِ والجبنِ ومظاهرِ الانهزامِ النفسيِ، وآثارِ حروبِ التشكيكِ والشبهاتِ والشهواتِ.

في هذه الأجواءِ ظهرتْ نداءاتٌ مخلصةٌ ودعواتٌ صادقةٌ وتطلعاتٌ مؤمنةٌ ترنو إلى الدينِ منقذاً وهادياً وإلى الإسلامِ موحداً وجامعاً، صاحَبَها اجتهاداتٌ جادةٌ وتوجهاتٌ محمودةٌ، وقَد يكونُ صاحبَها بعضٌ من تعجلٍّ، وزيادةٌ من حماسٍ، هي ردودُ فعلٍ على قدرِ الفعلِ، غير أن ذلك لا يجوزُ أن يكونَ سبيلاً إلى غمطِ

الحقوقِ وأهلِ الصوابِ، فلقد أخطأَ فيهم أناسٌ فظنوا بهم غيرَ الحقِّ، وأصدروا مرئياتٍ ومواقفَ تنقصُها الرويةُ والتأني.

وإنَّ منْ لم يعشْ للإسلامِ ودعوتِه ولم يهتمَّ بقضايا أمتِه، ولم تشغلْه همومُها ومآسيها .. وكأنَّه لم يعشْ إلا لنفسِه ومصالحِه الشخصيةِ الضيقةِ .. كيف يكونُ مؤهلاً للقولِ النَّصَفِ والحكمِ العدلِ؟!!.

اللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أيها الإخوةُ: لعل بهذه الإشاراتِ والإلمحاتِ تكون بداياتٌ صحيحةٌ للإصلاحِ، ولمِّ الشملِ، ورأبِ الصدعِ الفكريِّ، والعلوِّ بالنفسِ إلى قصدِ الحقِّ وحدَه.

إن الاستمساكَ الحقَّ بالإسلامِ يصبَغُ في المسلم السريرةَ ويحفظهُ في المسيرة.. يستمسكُ بحبلِ اللهِ، يحبُّ في اللهِ، ويبغضُ فيه، ويعطي من أجلِه ويمنعُ، يخاصمُ فيه ويسالمُ، ويعتزلُ ويخاللُ. إن للدين آثاراً في الأخلاقِ والأعمالِ ظاهرةً، لا تملُّقَ ولا مداهنةَ، ولا غشَّ ولا خيانةَ ولكن رأفةٌ بالمؤمنين ورحمةٌ.

ألا فاتقوا اللهَ أيها الأحبةُ.. فإن الدعوةَ إلى دينِ اللهِ وردَّ الأمةِ إلى الجادةِ مسئوليةٌ كبرىٰ يتحملها قادةٌ حاكمون، ومربون مخلصون، وشبابٌ متدفقٌ، وشيوخٌ مجربون. سدَّد اللهُ الخطىٰ، وباركَ في الجهودِ، وتقبلُ من الجميعِ صالحَ الأقوالِ والأعمالِ، وغفرَ الذنوبِ، وسترَ العيوبَ، فهو الغَفورُ الرحيمُ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

خطبة عيد الفطر المبارك
المناسبات وهموم الأمة

الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعا) اللهُ أكبرُ أوجدَ الكائناتِ بقدرتِه فاتقنَ ما صنعَ.. اللهُ أكبرُ شرَعَ الشرائعَ فأحكم ما شرعَ.. الله أكبرُ لا مانعَ لما أعطىٰ ولا معطيَ لما منعَ.

الحمدُ للهِ وكفىٰ، وسلام على عبادِه الذين اصطفىٰ.. الحمد للهِ أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، أحمدُه سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تكفلَ لكلِّ حيٍّ برزقِه، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه.. مصطفاه من رسلِه ومجتباه من خلقِه.. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: لقد كان من وافرِ حظِّ الإسلامِ وعنوانِ سعادتِها وكرامةِ اللهِ لها تهيئةُ زمنِ الكسبِ المبرورِ لصرفِ لحظاتِ العمرِ وسويعاتِ الحياةِ في سبُلِ الطاعاتِ ومسالكِ

الخيراتِ.. سعيٌ حثيثٌ للتزودِ من الباقياتِ الصالحاتِ.

ولقد كان شهرُكم شهرُ رمضانَ المباركُ ميداناً للتنافس شريفاً اجتهدَ فيه أقوامٌ.. جعلوا رضا اللهِ فوقِ أهوائِهم، وطاعَتَه فوقَ رغباتِهم.. أذعنوا لربِّهم في كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ.

لقد صاموا شهرَهم وحافظوا على صيامِهم فعَظُمَ في ربِّهم رجاؤُهم، وقصَّرَ آخرون فأضاعوا أوقاتَهم وخسِروا أعمالَهم، ما حجبَهم إلا الأهمالُ والكسلُ والتسويفُ وطولُ الأملِ.

والأدهىٰ من ذلك والأمرُّ أن يوفق أناسٌ لعملِ الطاعاتِ والتزودِ في فرصِ الخيراتِ، حتى إذا ما انتهىٰ الموسمُ نقضوا ما أبرموا، وعلى أعقابِهم نكصوا.. أين دروسُ الصلاحِ والطهرِ والاستقامةِ والتقىٰ من هذا الشهرِ الكريمِ؟!.

إن استدامةَ العبدِ على النهجِ المستقيمِ والمداومةَ على الطاعةِ من غيرِ قَصْرٍ على وقتٍ بعينِه أو شهرٍ بخصوصِه أو مكان من أعظمِ البراهين على القبولِ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وإن من مظاهرِ الإحسانِ ومواصلةِ العملِ الصالحِ والتوديعِ بالحسنىٰ إخراجَ زكاةِ الفطرِ حيث تأتلفُ القلوبُ ويتعاطفُ الغنيُّ مع الفقيرِ.. فُرضتْ طهرةً للصائمِ وطعمةً للمساكينِ.. وما اشتكىٰ فقيرٌ إلا بقدرِ ما قصَّرَ غنيٌّ، ومقدارُها صاعٌ من طعامٍ من غالبِ قوتِ البلدِ كالأرزِ والبرِّ والتمرِ عن كلِّ مسلمٍ، ووقتُ إخراجِها الفاضلُ يومُ العيدِ قبلَ الصلاةِ.. فأخرجوها رحمكم الله طيبةً بها نفوسُكم.. تُكفُّ بها يدُ المسكينِ عن الطلبِ ويستغنىٰ

بها عن المسألةِ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: ومن مظاهرِ الإحسانِ بعد رمضانَ الإحسانُ في العيدِ.. فالعيدُ موسمُ بهجةٍ بعدَ أداءِ الفريضةِ.

وقد قيل: من أراد أن يرىٰ أخلاقَ الأمةَ فليراقبْها في أعيادِها.. إذ تنطلقُ فيه السجايا على فطرتِها، وتبرزُ العواطفُ والميولُ والعاداتُ على حقيقتِها، والمجتمعُ السعيدُ الصالحُ هو الذي تسمو أخلاقُه في العيدِ إلى أرفع ذروةٍ، وتمتدُّ فيه مشاعرُ الإخاءِ إلى أبعدِ مدىٰ.. حيث يبدو المجتمعُ في العيدِ متماسكاً متعاوناً متراحماً.. تخفقُ فيه القلوبُ بالحبِّ والودِّ والبرِّ والصفا.

إن العيدَ في الإسلام ـ أيها الإخوةُ ـ غبطةٌ في الدينِ والطاعةِ، وبهجةٌ في الدنيا والحياةِ، ومظهرٌ للقوةِ والإخاءِ.. إنه فرحةٌ بانتصارِ الإرادةِ الخيِّرةِ على الأهواءِ والشهواتِ، والخلاصِ من إغواءاتِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ، والرضا بطاعةِ المولىٰ، والوعدِ الكريمِ بالفردوسِ، والنجاةِ من النارِ.

في الناسِ ـ أيها الإخوةُ ـ من تطغىٰ عليه فرحةُ العيدِ فتستبدَّ بمشاعرِه ووجدانِه لدرجةٍ تنسيه واجبَ الشكرِ والاعترافِ بالنعمِ، وتدفعُه إلى الزهوِّ بالجديدِ، والإعجابِ بالنفسِ حتى يبلغَ درجةَ المخيلةِ والتباهي. وما علم هذا المتباهي أن العيدَ قد يأتي على أناسٍ قد ذلُّوا من بعد عزٍّ، فتهيجَ في نفوسِهم الأشجانُ، وتتحركَ في صدورِهم كثيرٌ من الأحزانِ.. ذاقوا من البؤسِ ألواناً بعد رغدِ

العيشِ، وتجرعوا من العلقمِ كيزاناً بعد وفرةِ النعيم، فاعتاضوا عن الفرحةِ بالبكاءِ، وحلَّ محلَّ البهجةِ الأنينُ والعناءُ.. أما نظر هؤلاء في الإطفالِ والأيامىٰ في البوسنةِ والهرسكِ، ومشردي بورما والصومالِ؟؟. كم من يتيم ينشدُ عطفَ الأبوةِ الحانيةِ، ويتلمسُ حنانُ الأمِّ الرؤوم.. يرنو إلى من يمسحُ رأسَه، ويخففُ بؤسَه.. كم من أرملةٍ توالتْ عليها المحنُ.. فقدتْ عشيرَها تذكرتْ بالعيدِ عزاً قد مضىٰ تحت كنفِ زوجٍ عطوفٍ، كلُّ أولئك وأمثالُهم قد استبدلوا بعد العزِّ ذلاً، وبعد الرخاءِ والهناءِ فاقةً وفقراً.

فحقٌّ على كلِّ ذي نعمةٍ ممن صام وقام أن يتذكرَ هؤلاء.. فيرعىٰ اليتامىٰ، ويواسي الأيامىٰ، ويرحمَ أعزاءَ قومٍ قد ذلُّوا، وغرباءَ قد شُرِّدوا.

كم هو جميلٌ أن تظهرَ أعيادُ الأمةِ بمظهرِ الواعي لأحوالِها وقضاياها، فلا تحولُ بهجتُها بالعيد دون الشعورِ بمصائبِها التي يرزخُ تحتها فئامٌ من أبنائِها حيثُ يجبُ أن يطغىٰ الشعورُ بالإخاءِ قوياً، فلا تُنسىٰ البوسنةُ والهرسكُ، ولا تُنسىٰ فلسطينُ، ولا الصومالُ والفلبينُ والإخوةُ في الهندِ وكشميرَ، ولا أراضٍ للمسلمين أخرىٰ منكوبةٌ بمجاهديها وشهدائِها، بيتاماها وأراملها.. بأطفالِها وأسراها.. لماذا يُتركون يستجدون أممَ الأرضِ لقمةً وكساءً، وخيمةً وغطاءً.. وفي المسلمين أغنياءُ وموسرون؟!.

وكم هو جميلٌ أن يقارنُ الفرحَ بالعيدِ وبهجته السعيُ في تفريجِ كربةٍ، وملاطفةِ يتيم، ومواساةِ ثكلىٰ.. يقارنُه تفتيشٌ عن أصحابِ الحوائجِ.. فإن لم تستطعِ خيلاً ولا مالاً؛ فاسعفْهم

بكلمةٍ طيبةٍ، وابتسامةٍ حانيةٍ، ولفتةٍ طاهرةٍ من قلبٍ مؤمنٍ.

إنك حين تأسو جِراحَ إخوانِك إنما تأسو جراحَك، وحين تسدُّ حاجةَ جيرانِك إنما تسدُّ حاجةَ نفسك: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن الابتهاجَ بالعيدِ نعمةٌ لا يستحقُّها إلا الشاكرون، وما الشكرُ عليها إلا صمودٌ لنوائبِ الدهرِ، ويقظةٌ لدسائسِ العدوِّ، وعمارةٌ للأرضِ بنشرِ دينِ اللهِ.

ومن هنا أيها الإخوةُ: فإن أعيادِ المسلمين يشاركُ فيها حقَّ المشاركةِ، ويبتهجُ فيها صدقَ الابتهاجِ أهلُ الطاعاتِ من الصائمين والقائمين والركعِ السجودِ.. أما من لم يصمْ عاصياً للهِ، ولم يقمْ بما أوجبَ اللهُ عليه؛ فلا عيدَ له ولا بهجةَ.

العيدُ مناسبةٌ لإطلاقِ الأيدي الخيِّرة في مجالِ الخيرِ حيث تعلو البسمةُ الشفاةَ وتغمرُ البهجةُ القلوبَ.. مناسبةٌ لتجديدِ أواصرِ الرحمِ في الأقرباءِ، والودِّ مع الأصدقاءِ.. تتقاربُ القلوبُ على المحبةِ، وتجتمعُ على الألفةِ، وترتفعُ عن الضغائنِ.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، وودِّعوا شهرَكم، وابتهجوا بعيدِكم بالبقاءِ على العهدِ، واتباعِ الحسنةِ الحسنة، فذلك من علاماتِ قبولِ الطاعاتِ، وقد ندَبكَم نبيُّكم محمدُ ﷺ بأن تُتْبعوا رمضانَ بستٍ من شوالٍ، فمن فعلَ ذلك فكأنما صامَ الدهرَ كلَّه[1] تقبلُ اللهَ منا ومنكم الصيامَ والقيامَ وسائرَ الطاعاتِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٢ ـ ح١١٦٤).

خطبة عيد الأضحى
وقفات مع خطبة الوداع

الخطبة الأولى

اللهُ أكبرُ (تسعاً)، اللهُ أكبرُ خلقَ الخلقَ وأحصاهم عدداً، وكلُّهم آتيه يومَ القيامة فرداً، الله أكبرُ عزَّ سلطانُ ربِّنا، وعمَّ إحسانُ مولانا، عنت الوجوهُ لعظمتِه، وخضعت الخلائقِ لقدرتِه. اللهُ اكبرُ عددَ ما ذكره الذاكرون، واللهُ أكبرُ كلما هلل المهللون وكبَّر المكبرون. الله أكبرُ ما أحرموا بالحجِّ والعمرةِ ملبين، وقصدوا هذا البيتَ الأمين، فطافوا وسعوا وشربوا من زمزمَ، وصلوا خلفَ المقام، وفي الحِجْرِ والتزموا الملتزمَ. الله أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً.

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، والحمدُ لله وكفىٰ، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفىٰ، أحمدُه سبحانه وأشكره، لا أحصي ثناءً عليه، فتح أبوابَه للتائبين، ورحمتُه قريبٌ من المحسنين. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، إلهَ الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، أدى رسالةَ ربِّه، ونصحَ أمتَه، وبلَّغَ البلاغَ المبين ـ صلى اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته أجمعين، ومن دعا بدعوتِهم واهتدى بهديهم إلى يومِ الدينِ، وسلم تسليماً كثيراً.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: هاهم حجاجُ بيتِ اللهِ يخطون خطواتِهم على هذه الأرضِ الطيبةِ الآمنةِ بأمانِ اللهِ، ثم بيقظةِ مسئوليها، هذه الأرضِ التي تحكي تاريخَ الإسلامِ المجيدِ، تاريخَ نشأةِ هذا الدينِ في هذه البطاحِ. قصةَ الانتصارِ والكفاحِ، سيرةَ النماذجِ المثاليةِ العاليةِ، ومصارعَ الشهداءِ في سبيلِ الحقِّ، بلدٌ وتاريخٌ، قفزتْ فيه البشريةُ إلى أبعدِ الآفاقِ، ديناً ودنيا، علماً وعملاً فقهاً وخلقاً.

أرضٌ طيبةٌ، وجوٌ عابقٌ، تزدحمُ فيه هذه المناظرُ والمشاهدُ، حيةً نابضةً، تختلطُ فيه مشاعرُ العبوديةِ، وأصواتُ التلبيةِ، والإقبالِ على الربِّ الرحيمِ.

في هذه الأجواءِ يغمرُ قلبَ المتأملِ، شعورٌ كريمٌ فياضٌ، بإنتماءِ أفرادِ هذه الأمةِ إلى هدفٍ واحدٍ وغايةٍ واحدةٍ، إنها أمةُ محمدٍ ﷺ، ودينُها دينُ الإسلامِ دينُ اللهِ ربِّ العالمين.

ما أحوجَ الأمةَ في أيامِ محنِها وشدائدِها، وأيام ضعفِها وتيهِها، إلى دروسٍ من تاريخِها تتأملُها، وإلى وقفاتٍ عند مناسبتِها، تستلهمُ منها العبرَ، ويتجددُ فيها العزمُ على الجهادِ الحقِّ، ويصحُّ فيها التوجُه على محاربةِ كلِّ بغيٍ وفسادٍ.

ما أحوجَها إلى دروسٍ تستعيدُ فيها كرامتَها، وتردُّ على من يريدُ القضاءِ على كيانِها.

وإن في حَجَّةِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ الوداعيةِ التوديعيةِ لعبراً ومواعظَ، وإن في خُطبِها لدروساً جوامعَ.

فلقد خطبَ عليه الصلاة والسلام خُطباً في موقفِ عرفةُ، ويوم الحجِّ الأكبرِ وأيامِ التشريقِ ـ أرسىٰ فيها قواعدَ الإسلام، وهدمَ مبادىءَ الجاهليةِ، وعظَّمَ حرماتِ المسلمين. خطبَ الناسَ وودعَهم، بعد أن استقرَّ التشريعُ، وكمُلَ الدينُ، وتمتْ النعمةُ، ورضي اللهُ هذا الإسلام ديناً للإنسانيةِ كلِّها، لا يَقبلُ من أحدٍ ديناً سواه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ألقىٰ نبيُّكم محمدٌ ﷺ في هذا المقامِ العظيمِ كلماتٍ جامعةً موجزةً، تحكي المبادىءَ الكبرىٰ لهذا الدينِ.

وأنبياءُ الله حين يبلغون رسالاتِ الله ليسوا تجارَ كلام، ولا عارضي أساليبَ، فكلماتُهم قوالبُ حقٍّ وأوعيةُ معانٍ، وشفاءٌ لما في الصدورِ، ودواءٌ لما في القلوبِ.

في حجةِ الوداعِ ثبَّتَ النبيُّ ﷺ في نفوسِ المسلمين أصولَ الديانةِ، وقواعدَ الشريعةِ، ونبَّه بالقضايا الكبرىٰ على الجزئياتِ الصغرىٰ.

ولقد كانتْ عباراتٍ توديعيةٍ بألفاظِها ومعانيها وشمولِها وإيجازِها، استشهدَ الناسَ فيها على البلاغِ.

كان ﷺ من خلال تبليغه كلماتِ ربِّه يمتلىءُ حباً ونصحاً وإخلاصاً ورأفةً: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٣].

لقد عانىٰ وكابد من أجلِ إخراجِهم من الظلماتِ إلى النورِ، حتى صنعَ منهم ـ بإذنِ ربِّه ـ أمةً جديدةً، ذاتَ أهدافٍ واضحةٍ، ومبادىءَ ساميةٍ، هداهم من ضلالٍ، وجمعهم بعدَ فُرقةٍ، وعلَّمهم بعد جهلٍ.

أيها الإخوةُ في اللهِ، إخواني حجاجَ بيتِ اللهِ:

وهذه وقفاتٌ مع بعضِ هذه الأسسِ النبويةِ، والقواعدِ المصطفويةِ، والأصولِ المحمديةِ.

إن أولَ شيءٍ أكدَ عليه في النهي من أمرِ الجاهليةِ الشركُ باللهِ، فلقد جاءَ بكلمةِ التوحيدِ (لا إله إلا اللهُ) شعارِ الإسلامِ وعَلَمِ الملةِ، كلمةٌ تُخْلَع بها جميعُ الآلهة الباطلةِ، ويَثْبُتُ بها استحقاقُ اللهِ وحدَه للعبادةِ.

فالله هو الخالقُ وما سواه مخلوقٌ، وهو الرازقُ وما سواه مرزوقٌ، وهو القاهرُ وما سواه مقهورٌ. هذا هو دليلُ التوحيدُ وطريقُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

والأمواتُ قد أفضوا إلى ما قدَّموا، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤].

ومن القضايا المثارةِ في الخطابِ النبويِّ التقريرُ بأن الناسَ متساوون في التكاليفِ حقوقاً وواجباتٍ، لا فرقَ بين عربيٍّ ولا عجميٍّ إلا بالتقوىٰ، لا تفاضلَ في نسبٍ، ولا تمايزَ في لونٍ،

فالنزاعاتُ العنصريةُ والنعراتُ الوطنيةُ ضربٌ من الإفكِ والدجلِ.

ومن الواقعِ الرديءِ في عصرنا أن توصفَ حضارةُ اليومِ بحضارةِ العنصرياتِ والقومياتِ. والشعوبُ الموصوفةُ بالتقدمِ تضمُر في نفسِها احتقاراً لأبناءِ القاراتِ الأخرى، ولم تفلحْ المواثيقُ النظريةُ، ولا التصريحاتُ اللفظيةُ، فإنك ترىٰ هذا التمييزَ يتنفسُ بقوةٍ من خلالِ المجالاتِ السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ.

ويأتي نبيُّنا محمدٌ ﷺ لينبه منذُ مئاتِ السنينِ على ضلالِ هذا المسلكِ، ويعلنُ في ذلك المشهدِ العظيمِ: «**أيها الناسُ إن ربكم واحدٌ، وإن أباكم واحدٌ، كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من ترابٍ، وإن أكرمُكم عند الله أتقاكم، ليس لعربيٍّ فضلٌ على عجميٍّ إلا بالتقوىٰ**» وفي روايةٍ عند الطبراني عن العَدَّاءِ بن خالدٍ قال: قعدتُ تحت منبرِه ﷺ يومَ حجةِ الوداعِ، فصعِدَ المنبرِ فحمدَ اللهَ، وأثنىٰ عليه وقال: «**إن اللهُ يقول**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣] **فليسَ لعربيٍّ على عجميٍّ فضلٌ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ فضلٌ، ولا لأسودَ على أحمرَ فضلٌ، ولا لأحمرَ على أسودَ فضلٌ إلا بالتقوىٰ. يا معشرَ قريشٍ لا تجيئوا بالدنيا تحملونَها على رقابِكم، وتجيءُ الناسُ بالآخرةِ، فإني لا أغني عنكم من اللهِ شيئاً. أيها الناسُ إن اللهُ قد أذهبَ عنكم عِبِّيَةَ**[1] **الجاهليةِ وتعاظمَها بآبائِها فالناسُ رجلان: رجلٌ تقيٌّ كريمٌ**

---

(١) عِبِّيَّة الجاهلية: الكِبر والفَخر والنخوة.

على اللهِ، وفاجرٌ شقيٌّ هينٌ على اللهِ، والناسُ بنو آدمَ، وخَلق اللهُ آدمَ من ترابٍ»[1] رواه الترمذيُّ واللفظُ له، وأبوداودَ وغيرُهما. اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

معاشرَ الحجاجِ أيها الأحبةُ: حفظُ النفوسِ وصيانةُ الدماءِ قضيةٌ خطيرةٌ يثيرها خطابُ الرسولِ عليه السلَامُ إلى الأمةِ في كلماتِه التوديعيةِ التأصيليةِ: ذلكم أن حكمَ القصاصِ في النفسِ والجراحاتِ، كان من حِكَمِهِ التشريعيةِ: زجرُ المجرمين عن العدوان.

وقد عَجَزتْ الأممُ المعاصرةُ بتقدُّمِها وتقنيةِ وسائلِها أن توقفَ سيلَ الجرائمِ، وإزهاقَ النفوسِ، وزادَ سوءُها وانكشفتْ سوأتَها، حين ألغتْ عقوبةِ الاقتصاصِ من المجرمينَ، واكتفتْ بعقوباتٍ هزيلةٍ بزعمِ استصلاحِ المجرمين، وما زاد المجرمين ذلك إلا عتواً واستكباراً في الأرضِ ومكرَ السَّيِّء. ولكنه في شرعِ محمدٍ ﷺ محسومٌ بالقصاصِ العادلِ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] إن في القصاصِ حياةً حين يكفُّ من يَهمُّ بالجريمةِ عن الإجرام، وفي القصاصِ حياةٌ حين تُشفىٰ صدورُ أولياءِ القتيلِ من الثأرِ الذي لم يكنْ يقفُ عند حدٍ لا في القديمِ ولا في الحديثِ. ثأرٌ مثيرٌ للأحقادِ العائليةِ، والعصبياتِ القبليةِ، يتوارثُه الأجيالُ جيلاً بعد جيلٍ، لا تكفُّ معه الدماءُ عن المسيلِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد (٣/ ٢٦٦)، ورواية الطبراني أخرجها الطبراني في الكبير (١٨/ ١٣ ـ ح١٦)، والترمذي (٥/ ٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠)، وأبوداود (٤/ ٣٣١ ـ ح٥١١٦) بالمعنى.

ويأتي حسمٌ عمليٌّ ومباشرةٌ تطبيقيةٌ من محمدٍ ﷺ في هذا الموقفِ العظيمِ، وفي إلغاءِ حكمٍ جاهليٍّ في مسألةِ الثأرِ، فاستمعْ إليه وهو يقولُ: «**ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليةِ تحتَ قدميَّ موضوعٌ، ودماءُ الجاهليةِ موضوعةٌ، وإن أولَ دمٍ أضعُ من دمائِنا دمَ ابنِ ربيعةَ بن الحارثِ. كان مُسترضَعاً في بني سعدٍ فقتلته هذيلٌ**»[1].

أيها الإخوةُ، إن في القصاصِ والحدودِ وأحكامِ الجناياتِ في الشريعةِ، حياةً ورحمةً، حياةً أعمَّ وأشملَ، حياةً تَشملُ المجتمعَ كلَّه، رحمةٌ واسعةٌ غيرُ مقصورةٍ على شفقةٍ ورِقَّة تَنْبُتُ في النفس نحو مستضعفٍ أو أرملةٍ أو طفلٍ، ولكنها رحمةٌ عامةٌ للقويِّ والضعيفِ والقريبِ والبعيدِ، والأمنُ المبسوطُ في بلادِ الحرمين خيرُ شاهدِ صدقٍ لقومٍ يتفكرون، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

معاشرَ الإخوةِ، أما قضيةُ المرأةِ، وما أدراكَ ما قضيةُ المرأةِ، وكأنها قضيةُ كلِّ عصرٍ وكلِّ جيلٍ وكلِّ أمةٍ، يأتي الخطابُ النبويُّ في هذا الحشدِ الهائلِ ممن عاصرَ الجاهليةَ، ليضعَ الناسَ على الحقِّ، والطريقِ المستقيمِ.

إن مواريثَ العربِ والجاهليةِ قبلَ الإسلامِ احتقرتْ المرأةَ وازدرتْها بل لعلها رأتْ أنها شرٌّ لابد منه، وفي أمم التقدمِ المعاصرِ أسفَّتْ بها في شهواتِها إلى مدىً منحطٍ. وإذا كانتَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٩ ـ ح١٢١٨).

مواريثُ الجاهليةِ قد جعلتْ المرأةَ في قفصِ الاتهامِ ومظاهرِ الاستصغارِ، فإن مسلكَ التقدمِ المعاصرِ قد جعلها مصيدةً لكلِّ الآثامِ، ولكنَّ هديَ محمدٍ ﷺ أعطىٰ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وحفظَ لكلٍّ نصيبَه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢] في مسلكٍ وسطٍ، ومنهجٍ عدلٍ، فالنساءُ شقائقُ الرجال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] وفي التوجيه النبويِّ: «**فاتقوا اللهَ في النساءِ، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانةِ اللهِ، واستحللتم فروجَهن بكلمةِ اللهِ، ولكم عليهن أن لا يوطِئْنَ فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غيرَ مبرِّحٍ، ولهنَّ عليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروفِ**»[1]. إن إصلاحَ عوجِ المرأةِ راجعٌ إلى زوجِها؛ ليمنعَ العوجَ والنشوزَ، وليعيدَ الاستقرارَ إلى جوانبِ البيتِ في معالجةٍ داخليةٍ.

اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

وثمةَ وقفةٌ نبويةٌ ـ أيها الإخوةُ ـ في هذا المشهدِ التوديعيِّ العظيم. إنها قضيةُ وَحدةِ الأمةِ، وقضيةُ الخلافِ المذمومِ. يوقفُ فيها الرسولُ ﷺ أمتَه على أمرٍ حاسمٍ، وموقفٍ جازمٍ: «**وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ اللهِ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٩ ـ ح١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٦)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).

«**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**». متفقٌ عليه من حديثِ جريرٍ «**ألا إنَّ الشيطانَ قد يئس أن يعبده المصلون؛ ولكن في التحريش بينهم**»[1] رواه مسلمٌ والترمذيُّ واللفظُ له.

إنه تحذيرٌ مبكرٌ من الرؤوفِ الرحيم بالمؤمنين من فناءٍ ذريعٍ، إذا هي استسملتْ للخلافِ، واسترسلتْ في الغفلةِ عن سننِ اللهِ، والجهلِ بما يَحيكهُ الشيطانُ وإخوانُ الشيطانِ من مؤامراتٍ.

إنها وصايا أودَعها النبيُّ ﷺ ضمائرَ الناس. لا تتضمنُ قضايا فلسفيةً ولا نظرياتٍ خياليةً. مبادىءُ بسطها النبيُّ الكريمُ المبلِّغُ البليغُ في كلماتٍ سهلةٍ سائغةٍ، وإنها على وجازتِها أهدىٰ وأجدىٰ من مواثيقَ عالميةٍ طنانةٍ لا واقعَ لها. ذلك أن قائلها وواصفَها محمداً ﷺ كان عامرَ الفؤادِ بحبِّ الناس، والحرصِ عليهم والرأفةِ بهم. شديدَ التأكيدِ على ربطِهم باللهِ وسننِه وإعدادِهم للقائه.

وإذا كان الإسلامُ في العهدِ النبويِّ قد دفنَ النعراتِ الجاهليةَ، والعصبياتِ الدمويةَ، والشيطانُ قد يئسَ أن يُعبدَ في ذلك العهدِ، لكننا نخشى تجددَ آمالِه في هذه العصورِ المتأخرةِ. تتجددُ آماله في الفُرقةِ والتمزيقِ. فالعالمُ الإسلاميُّ اليومَ تتوزعُه عشراتُ القومياتِ، وتمشي جماهيرُه تحت عشراتِ الراياتِ، وهي قومياتٌ ذاتُ توجهاتٍ مقيتةٍ. ما جلبتْ لأهلِها إلا الذِّلَّ الصغارَ، والفرقةَ والتمزقَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٦٦ ـ ح٢٨١٢)، والترمذي (٤/٢٩١ ـ ح١٩٣٧) وحسنه واللفظ له.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ، حجاجَ بيتِ اللهِ، أمةَ الإسلام: ما أحوجَ الأمةَ إلى مثلِ هذه الدروسِ النبويةِ.. أما تتكررُ الروحُ التي سادتْ حجةَ الوداعِ، لكيَ تتشبعَ هذه الكثرةُ العدديةُ للمسلمين اليومَ بكثافةٍ نوعيةٍ، وطاقاتٍ روحيةٍ؟ أما يحجُّ المسلمون ليشهدوا منافعَ لهم تمحو فرقتَهم، وتسوي صفوفَهم، وتردُّ مهابتَهم؟؟.

إن الحجَّ العظيمَ في معناه الكبيرِ يكون فيه الشيطانُ وأعوانُه أصغرَ وأحقرَ. فيَغيظُ أعداءُ اللهِ ويرجعون خاسئين، ناكصين على أعقابِهم مذمومين مدحورين، يغيظُ الكفارَ حين يرون جموعَ هذه الأمةِ، وقد استسلمتْ لربِّها، وأطاعتْ نبيِّها، واجتمعتْ كلمتُها.

فيا أيها الناسُ.. **«اعبدوا ربَّكم ـ كما أوصى نبيُّكم ـ وأقيموا خمسَكم، وصوموا شهرَكم، وأدوا زكاةَ أموالِكم، وأطيعوا ولاةَ أمرِكم؛ تدخلوا جنةَ ربِّكم»**[1].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥١)، والترمذي (٢/٥١٦ ـ ح٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٠/٤٢٦ ـ ح٤٥٦٣).

خطبة عيد الأضحى
وقفات مع خطبة الوداع

الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعاً)، اللهُ أكبرُ أوجدَ الكائناتِ بقدرتِه فأتقنَ ما صنعَ، الله أكبر شرعَ الشرائعَ فأحكم ما شرع، الله أكبر لا مانعَ لما أعطى، ولا معطي لما منعَ.

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ مصطفاه من رسلِه ومجتباه من خلقِه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا الله عبـادَ الله، واعلمـوا أن ضعـفَ حـالِ المسلميـنَ، واضطرابَ أمورِهم، لم يكن إلا من عندِ أنفسِهم، تسلطُ الأعداءِ لا يكونُ إلَّا بسببِ الأعمالِ والإهمالِ، فيا حكامَ الإسلامِ ويا ولاةَ أمورِ المسلمين، اتقوا اللهَ فيما وَلِيْتُم، وأقيموا الدينَ، ولا تتفرقوا فيه، ارفعوا رايةَ الكتابِ والسنةِ، اتقوا اللهَ في توجيهِ الرعيةِ، وجِّهوهم إلى ما فيه ترسيخُ الإيمانِ وحبُّ الإسلامِ.

من دروس الهجرة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وحدَه، لاشيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَه، هو الأولُ والآخِرُ، والظاهرُ والباطنُ، قدَّرَ الليلَ والنهارَ، وقدَّرَ القمرَ منازلَ؛ لتعلموا عددَ السنين والحسابَ. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الدنيا والآخرةُ، وإليه المآبُ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسوله، بعثه للناس كافةً بشيراً ونذيراً يتلو عليهم آياتِه، ويزكيهم ويعلمُهم الحكمَةَ والكتابَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خيرِ آلٍ وأصحابٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون. اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللهِ، ثم تُوفىٰ كلُّ نفسٍ ما كسبت، وهم لا يظلمون.

معاشرَ الإخوةِ: ها أنتم تزدلفون إلى عامٍ جديدٍ وقد ودعتم عاماً من عُمُرِكم، مضى بما أودعتموه من عملٍ، فمن أحسنَ فليحمدِ اللهِ، وليستزدْ فخيرُ الزادِ التقوىٰ، ومن قصَّرَ فلا يلومنَّ إلا نفسه، ولا زالَ في الأجلِ فسحةٌ، وربُّك يتوبُ على من تابَ.

اللهم اجعل عامَنا هذا عامَ خيرٍ وبركةٍ وأمنٍ وأمانٍ وسلامةٍ

وإسلام، اللهم وفقنا فيه لصالح العملِ، وجنبنا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطَنَ، واجمع اللهم فيه كَلمةَ المسلمين على الحقِّ، وأعزَّ الإسلامَ وأهلُه، وأذلَّ أهلَ الكفرِ وأعداءَ الملّةِ.

أيها الإخوةُ، في مقتبلِ العامِ وفي ورودِ المناسباتِ يُستعذبُ الوقوفُ عند سيرةِ محمدٍ ﷺ، والتأملِ في أحاديثِ الهجرةِ، ومواقفِ التحملِ، ومواطنِ البذلِ والتضحياتِ.

وقوفٌ يستثيرُ الهممَ، وتأملٌ يزيدُ في الإيمانِ، ويزكّي الخُلقَ، ويقوِّمُ المسيرةَ.

وقوفٌ ليس سرداً للقصصِ في المناسباتِ، أو تأليفَ صيغٍ، ونظمَ نعوتٍ عند ورودِ الذكرياتِ.

وقوفٌ وتأملٌ يؤكدُ أن الرباطِ بمحمدٍ وكتابِ محمدٍ ودينِ محمدٍ ﷺ أقوى وأعمقُ وأوثقُ من روابطِ ملفقةٍ لا تعدو كلماتٍ باللسانِ، وأحاديثَ في المناسباتِ.

إنه لا يكتفي بالخفيفِ من المظاهرِ والرسومِ إلاَّ من أعجزَه حِملُ المسئوليةَ، وأعياه عبءُ التكاليفِ.

إن الحبَّ رخيصٌ حين يكون زَعماً وكلاماً؛ ولكنه غالٍ وثقيلٌ حين يكون عملاً وتضحيةً وإقداماً ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

عبادَ اللهِ: إن الهجرةَ النبويةَ موقعٌ من مواقعِ التأملِ العظامِ في هذه المسيرةِ المحمدية المباركةِ؛ وإن لها لخبراً، وإن فيها لعِبراً.

ودروسُ الهجرةِ تؤكدُ بكلِّ جلاءٍ ووضوحٍ أن التفريطَ في العقيدةِ،

والتساهلَ في الدينِ ومبادىءِ الملةِ مآله هلاكُ النفوسِ، وخرابُ الديارِ.

في عِبَرِ الهجرةِ إذا فُقد الدينُ فلن يغنيَ من بعدِه وطنٌ ولا مالٌ ولا أرضٌ.

معاشرَ الإخوةِ: وهذه وقفةٌ عند درسٍ من هذه الدروسِ، إنه درسُ صحةِ الانتسابِ إلى هذا الدينِ، وصدقِ الاعتزازِ بمبادئِه، فلا انتماءَ إلى غيرِه، ولا يجوزُ أن ينافسَه رابطةٌ أخرىٰ.

إنه انتسابٌ وارتباطٌ لا يخضعُ لحدودٍ جغرافيةٍ، ولا تمايزاتٍ قوميةٍ.

ارتباطٌ يتمثلُ في عبوديةٍ وآدميةٍ؛ عبوديةٌ للهِ الواحدِ القهارِ، وانتسابٌ إلى الأبوينِ آدمَ وحواءَ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] «**كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوىٰ**»[1] رواه أحمدُ والترمذيُّ بنحو منه.

إنسانيةٌ يتعارفون بها، وتقوىٰ يتمايزون بها، تأكَّدَ كلُّ هذا في درسِ الهجرةِ، أمةٌ واحدةٌ تترقىٰ فيها العلاقاتُ من الإخوَّةِ إلى المحبةِ إلى الإيثارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] التبعيةُ العليا إلى الإسلامِ وحدَه تتقاصرُ دونَها الانتماءاتُ الأرضيةُ، والعلاقاتُ القبليةُ،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، والترمذي (٥/ ٣٦٣ ـ ح ٣٢٧٠) بمعناه.

والارتباطاتُ الحزبية: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضا**»[١] متفقٌ عليه من حديثِ أبي موسى، ولقد ضمَّ مجتمعُ الهجرةِ في مجلسِ محمدٍ رسول الله ﷺ أبابكرٍ القرشيَّ، وسلمانَ الفارسيَّ، وصهيباً الروميَّ، وبلالاً الحبشيَّ، «**فسلمانُ منا أهلَ البيتِ**»[٢] ونعم العبدُ صهيبٌ، وخشخشةُ نعلي بلالٍ مسموعةٌ في الجنةِ.

ومن رضي باللهِ رباً؛ ترفَّعَ عن الأغراضِ الشخصيةِ، ومن قَبِلَ الإسلامَ ديناً؛ لم يرضَ بغيرِ نهجه بديلاً، ومن آمنَ بمحمدٍ ﷺ نبياً رسولاً؛ لم يمشِ تحتَ لواءٍ غير لوائه، أو يهتدِ بغيرِ سنتِه.

إن استحقاقَ أمةِ الإسلامِ للعيشِ الكريمِ والبقاءِ على هذه الأرضِ بعزةٍ وكرامةٍ؛ مرتبطٌ بولائِها لربِّها، وعملِها من أجلِ دينِها.

وحينما يجيلُ المتبصرُ نظرَه في واقعِ بعض المنتسبين إلى هذه الأمةِ، وانهزامِهم أمامَ تياراتِ الإلحادِ الوافدةِ، ومبادىءِ مدنيةِ العصرِ الزائفةِ، ونداءاتِها الكاذبةُ، وعواملِ وحدتِها المصطنعةُ. ويربطُ بين هذا وبين الجيلِ الذي صنعَه محمدٌ ﷺ بأمرِ ربِّه وبإذنِه؛ الجيلُ الذي آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل اللهِ؛ يدركُ كم كان درسُ الهجرةِ عظيماً في جلاءِ عزةِ المؤمنِ وبذلِه

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩ ـ ح٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٩٨) وسكت عنه وضعفه الذهبي، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٣) وانظر مجمع الزوائد (٦/ ١٣٠، ٩/ ١١٧، ١١٨).

وتضحيته؛ لقد تنكَّر أقوامٌ من المنتسبين إلى الإسلام لمبادىءِ الإسلام؛ فجَرَوْا خلفَ شعاراتٍ، وانضوَوْا تحت رايات ما زادتهم إلا تباراً، وما نالوا منها إلا ذلاً وصغاراً. اختلفوا في السياسةِ شيعاً وأحزاباً، وطوائفَ وألقاباً فذهبتْ ريحُهم، وضعفتْ دولتُهم، وتمكنَ الأعداءُ منهم، وضربَ بعضُهم بعضاً، تنابزوا بالألقابِ، وتقاذفوا بالسبابِ، فدنياهم ذلٌّ وخصامٌ، وآخرتُهم تبعاتٌ جسامٌ.. بدلوا نعمةَ اللهِ كفرا، وأحلوا التنافرَ والتخاصمَ محلَّ التكافلِ والتعاونِ.

في هذا العرضِ السريعِ، وفي هذا الخضمِّ المتلاطمِ يتأملُ المتأملُ في دروسِ الهجرةِ؛ أين أخوةُ المهاجرين والأنصارِ التي ربطتْ أبناءَ ذويَ اليسارِ بعفةِ ذوي الخصاصةِ؟! أين هذا من مبادىءِ هذا العصرِ بإنسانيته الكذابةِ وحقوقِه المزيفةِ؟! مبادىءُ ملفقةٌ أمدَّتْ الموسرين بأسبابِ الجشعِ والطمعِ، وأوقدتْ في صدورِ ذوي الحاجةِ نارَ الحقدِ والحسدِ، أشعلتْ سعيرَ الفتنةِ بين الطبقاتِ، وسنتْ في ذلك نظماً وتشريعاتٍ، فتذبذبَ هؤلاء وأولئك، فأظلمتْ بهم السبلُ، واختلطتْ عليهم المسالكُ، وما ظلمهم اللهُ ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون.

وفي ميدانِ البيوتِ والأسرِ يقومُ بيتُ آل أبي بكرٍ، ونساءُ آل أبي بكرٍ بمهمةٍ مهمةٍ في الهجرةِ المباركةِ من مواقعِ انسائيةٍ ووظائفَ بيتيةٍ. أما متقدمةُ هذا العصرِ فقد أوقدوا نارَ الفتنةِ في بيتِ الزوجيةِ الهانىءِ، وعُشِّ الأسرةِ الهادىءِ. إن مبادئَهم المقيتةَ أوحتْ إلى المرأةِ أن وفاقَها مع الرجلِ في بيتِ الأمانِ والطاعةِ ـ فقدانٌ لشخصيتِها، وقضاءٌ على حريتِها، فخرجتْ إلى المصانعِ

والمعاملِ والملاهي والمفاتنِ تفتشُ عن سعادتِها المزعومةِ، وتمثلتْ الرجلَ عدواً يغتصبُ حقوقَها، ويعتدي على كيانِها، فتمرَّدت عليه زوجاً راعياً لحقوقِها صائناً لعفافِها، ولكنها أسملتْ إليه نفسَها خليلاً يعبثُ بها ويدوسُ شرفَها، هذه من صورِ إنسانيةِ هذا العصرِ؛ ألا ساءَ ما يزرون.

وفي دروس الهجرةِ أين شورىٰ محمدٍ ﷺ مع الإخوةِ من المهاجرينِ والأنصارِ، أين ذلك من ديموقراطياتٍ فاسدةٍ تفترضُ في الحكوماتِ أحزاباً تلتمسُ المغانمَ لنفسِها، وتسوقُ المنافعَ لمؤيديها، وتجرُّ المغارمَ على معارضِيها، ديموقراطياتٌ في الحكمِ فاسدةٌ جعلتْ الشعوبَ تنظرُ إلى حكوماتِها نظرَ الطيرِ إلى الصائدِ، لا نظرَ الجنديِّ إلى القائدِ، يغلبُ فيهم الساخطُ الناقدُ على الناصحِ المساعدِ، ألا ساءَ ما يحكمون.

فيا أصحابَ الفكرِ والنظرِ، تلك من أنباءِ الهجرةِ وعِبَرِها، فاتقوا الله ربَّكم، فإن من نسي الإسلامَ وأرخصَ رسالتَه وولَّىٰ وجهَه نحوَ الشرقِ أو الغربِ فلن يستجلبَ نصراً أو يستردَّ عزاً، فاحذروا رحمكم اللهُ أن تزلَّ قدمٌ بعد ثبوتِها فيأتي اللهُ البنيانَ من القواعدِ، ويخرُّ السقفُ، وتذوقوا السوءَ بما صددتم عن سبيلِ الله. ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي رسوله الكريم، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

من دروس الهجرة

الخطبة الثانية

الحمد للهِ شرح صدورَ المؤمنين لطاعتِه، وأعانَهم على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه الكتابَ، واصطفاه لرسالتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابِه، ومن سار على نهجِهِ وسيرتِهِ.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، فخيرُ الزادِ التقوىٰ، فما هي إلاَّ أعمارٌ تُطوىٰ، وأجيالٌ تفنىٰ، كم من مؤملٍ قعد به أملُه، وكم من مسوفٍ عاجلَه أجلُه، فاجتهدوا في العملِ وأحسنوا، إن اللهَ يحبُّ المحسنين.

إن المؤمنَ يا عبادَ اللهِ بين مخافتين: عاجلٍ قد مضىٰ لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه؛ وآجلٍ قد بقي لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه، فليأخذْ العاقلُ الحازمُ من نفسِه لنفسِه، ومن دنياة لآخرتِه، ومن شبابِه لهرمِه، ومن صحتِه لمرضِه، ومن حياتِه لموتِه.

إن في مراحلِ العمرِ وتقلباتِ الأيامِ لوقفاتٍ، يحاسبُ فيها الحصيفُ نفسَه، فيستثقلُ ذنبَه، ويستغفرُ ربَّه، ويراجعُ أعمالَه فمن الخيرِ يزدادُ، وعن التقصيرِ يُقلعُ، والحسناتُ يذهبنَ السيئاتِ،

ذلك ذكرى للذاكرين، ولكن يأبى من ابُتلي بالغفلةِ ـ والعياذُ بالله ـ إلا جِماحاً وعِناداً تغلبُه على الشرِّ نفسُه، أنساه الشيطانُ ذكرَ ربِّه، تمرُ به العبرُ، وتحيطُ به الزواجرُ فما يتضرعُ لربِّه ولا يستكينُ، تقصيرٌ في الطاعاتِ، وإغراقٌ في المخالفاتِ، أهملَ في الإنابةِ والمتابِ، أضاعَ الفرصَ، ولم يستفقْ إلا يومَ الحسابِ، نعوذُ باللهِ من الخذلانِ.

اللهم لا تدعْنا في غمرةٍ، ولا تأخذْنا على غِرَّةٍ ولا تجعلْنا عبرةً، ونعوذ بك أن نكونَ من الغافلين، واستجبْ اللهم دعاءَنا ياربَّ العالمين.

خطبـة الاستسقـاء

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين. الرحمنِ الرحيمِ. مالكِ يومِ الدينِ. لا إله إلا اللهُ، ولا نعبدُ إلا إياه، مخلصينَ له الدينَ ولو كره الكافرون. لا إله إلا اللهُ، يحكمُ ما يشاءُ، ويفعلُ ما يريدُ. لا إله إلا اللهُ، يفرِّجُ الكروبَ، ويغفرُ الذنوبَ، ويسترُ العيوبَ، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تكنُّه القلوبُ.

أحمدُه سبحانه، يجودُ بأعظمِ مطلوبٍ، ويعمُّ بفضلِه وإحسانِه كلَّ مربوبٍ. خلق فسوَّىٰ، وقدرَ فهدى، نعمُه تترىٰ، وفضلُه لا يُحصىٰ، لا معطي لما منع، ولا مانعَ لما أعطى، وكلُّ شيءٍ عنده بقدرٍ وأجلٍ مسمىٰ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، في السماءِ إلهٌ، وفي الأرضِ إلهٌ. وهو الحكيم العليم، وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما، وعنده علمُ الساعةِ، وإليه ترجعون. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربِّه وأتقاهم لمولاه، وأكثرُهم له استغفاراً وأصدقُهم شكَراً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه، سبحان فارجِ الكرباتِ، سبحانَ مجيبِ الدعواتِ، سبحان مغيثِ اللهفاتِ. يَعْجَبُ من قنوطِ عبادِه وقُربِ

غِيَرِه[1]، ينظرُ إليهم أزلين[2] قنطين فيظلُّ يضحكُ يعلمُ أن فرَجهم قريبٌ. سبحانه قد تكفَّلَ برزقِ جميعِ المخلوقاتِ، عمَّ بفضلِه وسترِه حتى أصحابَ الذنوبِ والخطيئاتِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله ـ أيها الناسُ ـ وتوبوا إليه، واستغفروه، فالذنوبُ كثيرةٌ، ورحمة اللهِ قريبٌ من المحسنين، والأعمالُ سيئةٌ، والتفريطُ كبيرٌ، واللهُ لا يصلحُ عملَ المفسدين.

عبادَ اللهِ، ما أصابَ أهلَ الأرضِ من شدةٍ، وما وقعَ فيهم من محنةٍ، إلا ليعلمَ اللهُ الذين صدقوا ويعلمَ الكاذبين. يبتلي عبادَه بالمصائبِ تارةً، ويعاقبُهم على أعمالِهم تارةً، وما ظلمهم اللهُ ولكن كانوا هم الظالمين.

معاشرَ الإخوةِ: لا تفسدُ الأحوالُ ولا تضطربُ الأوضاعُ إلا بطغيانِ الشهواتِ، واختلاطِ النياتِ، واختلافِ الغِيَرِ والمداهناتِ. لا تكونُ ضَعَةُ[3] المجتمعِ، ولا ضياعُ الأمةِ، إلا حينَ يُترَكُ للناسِ الحبلُ على الغاربِ، يعيشون كما يشتهون. بالأخلاقِ يعبثونَ، وللأعراضِ ينتهكون، ولحدودِ اللهِ يتجاوزون من غير وازعٍ، ولا ضابطٍ، وبلا رادعٍ، ولا زاجرٍ.

أيها المسلمون: التقصيرُ في فرائضِ اللهِ وفشوِّ المنكراتِ يؤدي إلى سلبِ نورِ القلبِ، وانطفاءِ جذوةِ الإيمانِ، وموتِ الغيرةِ على

---

(١) الغِيَر: تغير الحال.

(٢) أزلين: أي يائسين.

(٣) الضعة: الذلة وضعف الحال.

حرماتِ اللهِ فيستمرىءَ الناسُ المعاصيَ، ويحيقُ بالقومِ مكرُ اللهِ.

إن المنكراتِ إذا كثرَ على القلبِ ورودُها، وتكررَ في العينِ شهودُها، ذهبتْ من القلوبِ وحشتُها وأصبحتْ النفوسُ تعتادُها. يقولُ بعضُ الصالحين: إن الخوفَ كلَّ الخوفِ من تأنيس القلوبِ بالمنكراتِ لأنها إذا توالتْ مباشرتُها ومشاهدتُها، أَنِستْ بها النفوسُ. والنفوسُ إذا أنستْ شيئاً قلَّ أن تتأثرَ به. ومن ثمَّ تدعو فلا يستجابُ لها.

أيها الإخوةُ في الله، إن الحصنَ الحصينَ، والدرعَ الواقيَ، والسياجَ الحامي من كلِّ ذلك بإذن اللهِ هو الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ. إنه الوثاقُ الذي تتماسكُ به عُرىٰ الدين، وتحفظُ به حرماتُ المسلمين. يَحمي أهلَ الإسلام من نزواتِ الشياطينِ، ودعواتِ المبطلين. بفشوِّه وتأييدِه تظهرُ أعلامُ الشريعةِ في البلادِ، ويكونُ السلطانُ لأحكامِ الإسلامِ على العبادِ.

إنه مجاهدةٌ دائبةٌ دائمةٌ، يقومُ بها كلُّ مسلم حسبَ طاقتِه في بيتِه وفي سوقِه وفي كلِّ مرفقٍ، يقومُ من أجلِ بقاءِ أعلامِ الدينِ ظاهرةً، والمنكراتِ قصيةً مطمورةً. هو فيصلُ التفرقةِ بين المنافقين، والمؤمنين: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

يقول الغزاليُّ رحمه الله: فالذي هجرَ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ خارجٌ عن هؤلاءِ المؤمنين.

بارتفاعِ رايةِ الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكرِ، يعلو أهلُ الحقِّ والإيمانِ، ويندحرُ أهلُ الباطلِ والفجورِ. يقولُ سفيانُ رحمه الله: إذا أمرتَ بالمعروفِ شددتَ ظهرَ أخيك، وإذا نهيتَ عن المنكرِ أرغمتَ أنفَ المنافقِ. ويقولُ الإمامُ أحمدُ: إن المنافقَ إذا خالطَ أهلَ الإيمانِ فأثمرتْ عدواه ثمرتَها صار المؤمنُ بين الناسِ معزولاً؛ لأن المنافقَ يصمتُ عن المنكرِ وأهلِه فيصفُه الناسُ بالكياسةِ والبعدِ عن الفضولِ، ويسمون المؤمنَ فضولياً.

إذا تعطلتْ هذه الشعيرةُ ودُكَّ هذا الحصنُ وحُطِّمَ هذا السياجُ فعلى معالمِ الإسلامِ السلامُ، وويلٌ يومئذٍ للفضيلةِ من الرذيلةِ، وويلٌ لأهلِ الحقِّ من المبطلين وويلٌ للصالحين من سفهِ الجاهلين، وتطاولِ الفاسقين.

ولا يضعفُ هذا الركنُ العظيمُ إلا حين تستولي على القلوبِ مداهنةُ الخلقِ، وتضعفُ مراقبةُ الخالقِ، ويسترسلُ الناسُ في الهوىٰ، وينقادون للشهواتِ.

جاء في حديث حسنٍ عند الترمذي عن حذيفةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيدِه لتأمرنَّ بالمعروفِ، ولتنهونَّ عن المنكرِ، أو ليوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عقاباً منه فتدعونَه فلا يستجيبُ لكم**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٠٦ ـ ح٢١٦٩) وقال: حديث حسن، والبيهقي في =

وفي حديثٍ آخر عنه ﷺ: «**ما من قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشكُ أن يعمَّهم اللهُ منه بعقابٍ**»[1]. أخرجه ابنُ ماجه، وأبوداودَ واللفظُ له، من حديثِ أبي بكرٍ رضي الله عنه. وإسنادُه صحيحٌ.

أيها الإخوةُ: إذا كثرُ الخبَثُ استحقَّ القومُ الهلاكَ. وبكثرةِ الخبثِ تنتقصُ الأرزاقُ، وتُنزَعُ البركاتُ، ويعمُّ الفسادُ، وتفشو الأمراضُ، وتسودُ الفوضىٰ، وتضطربُ الأحوالُ.

أقبلَ رسولُ الله ﷺ يوماً على أصحابِها فقال: «**يا معشرَ المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تدركوهنَّ: لم تظهرْ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعْلِنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ، والأوجاعُ التي لم تكنْ مضتْ في أسلافِهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيالَ والميزانَ، إلا أُخذوا بالسنين وشدةِ المؤنةِ، وجورِ السلطانِ عليهم، ولم يمنعوا زكاةَ أموالِهم، إلا مُنعوا القطرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَروا، ولم ينقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه، إلا سلَّط عليهم عدواً من غيرِهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهم بكتابِ اللهِ، ويتخيروا مما أنزلَ الله، إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينهم**»[2]. أخرجه الحاكمُ وابن ماجه واللفظُ له.

= السنن الكبرى (١٠/ ٩٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧ ـ ح٤٠٠٤).

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٨) واللفظ له، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٩ ـ ح٤٠٠٩)، وأحمد (٤/ ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩١).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٢ ـ ح٤٠١٩) وهو حديث حسن.

عبادَ الله: إن للمعاصي شؤمَها، وللذنوبِ آثارَها، فكم أهلكت من أمةٍ، وكم دمرتْ من شعوبٍ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٩].

بالمعاصي تزولُ النعمُ، وتَحِلُّ النقمُ، بسببها تتوالى المحنُ، وتتداعى الفتنُ: ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴾ [الرعد: ١١] ولا تزالُ المعاصي يجرُّ بعضُها بعضاً حتى تألفَها الأفئدةُ وتأنسَ بها النفوسُ، ومن ثمَّ يُطبعُ على القلوبِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

إن في بلادِ اللهِ الواسعةِ معالمَ شاخصةً من مساكنِ الذين ظلموا أنفسَهم، تنطقُ بمصارعِ أهلِها، وتُخبرُ عن سوءِ صنيعِهم وعاقبةِ أمرِهم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٨].

فاتقوا الله ـ يرحمكم الله ـ واتعظوا، واعتبروا، وبادروا بالتوبةِ، وتعجلوا الإنابةَ، فقد جعل اللهُ لكم في التوبةِ ملاذاً مكيناً، وملجأً حصيناً، يَلجُه المذنبُ معترفاً بخطيئتِه، نادماً على فعلتِه، غيرَ مصرٍ على سيئتِه، يحتمي بحمى الاستغفارِ.

من تدَّنَس بشيءٍ من قذرِ المعاصي وأوحالِ الذنوبِ فليبادرْ بغسله بماءِ التوبةِ، وطهورِ الاستغفارِ، فربُّكم يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين، «.. **يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ،**

وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً؛ فاستغفروني أغفرْ لكم..»[1].

وفي محكم التنزيل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

ومن ظنَّ أن ذنباً لا يسعُه عفوُ اللهِ فقد ظنَّ بربِّه ظنَّ السَّوءِ، وكم من عبدٍ كان من إخوانِ الشياطينِ فمنَّ اللهُ عليه بتوبةٍ محتْ سيئاتِه، وحطتْ أوزارَه، فصار صواماً قواماً قانتاً آناءَ الليلِ، ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه.

في الصحيحين واللفظُ للبخاريِّ من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن عبداً أذنبَ ذنباً فقال: ربِّ أذنبتُ ذنباً فاغفرْ لي، فقال ربُّه: أَعلِمَ عبدي أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي..**»[2].

وركبَ عليه الصلاةُ والسلامُ دابتَه يوماً فحمدَ اللهَ ثلاثاً، وكبَّرَ ثلاثاً، وقال: «**سبحانَك إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت**» ثم ضحِك وقال: «**إن ربَّك ليعجبُ من عبدِه إذا قال: ربِّ اغفر لي، يعلمُ أنه لا يغفرُ الذنوبَ غيري**»[3] أخرجه الترمذيُّ وصحَّحه وأبوداودَ واللفظُ له، حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ـ ح٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٤ ـ ح٧٥٠٧) واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢١١٢ ـ ح٢٧٥٨).

(٣) أخرجه أبوداود (٣/ ٣٤ ـ ح٢٦٠٢)، والترمذي (٥/ ٤٦٧ ـ ح٣٤٤٦) وقال: حديث حسن صحيح.

ما من ليلةٍ يختلطُ ظلامُها، ويُرخىٰ عليها سربالُها، إلا ولله فيها عبادٌ مخلصون، تتجافىٰ جنوبُهم عن المضاجعِ فيُفيضُ عليهم من جودِه وإحسانِه وعفوِه وغفرانِه.

من ذا الذي دعاه فلم يستجبْ له؟ ومن ذا الذي سألَه فلم يعطِه؟ من ذا الذي أناخَ ببابِه فأقصاه؟ سبحانه ذو الفضلِ، ومنه الفضلُ، أعطىٰ عبادَه ما سألوا، وجادَ عليهم بما لم يسألوا: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

مُلكُه لا يُحَدُّ، وخزائنه لا تنفدُ. هل يؤمَّلُ في كشفِ الشدائدِ غيره؟! وهل يُرجىٰ في جميلِ العوائدِ إلا خيره!! بيده خزائنُ السمواتِ والأرضِ، فيا بؤسَ القانطين من رحمتِه، ويا خسارةَ المصرِّين على معصيتِه.

وها أنتم ـ عبادَ الله ـ قد حضرتُم في هذا المكانِ الطاهرِ بين يدي ربِّكم، تشكونَ جدبَ ديارِكم، وتبسطون إليه حاجتَكم، وذلكم الجدبُ وتلكُم الحاجةُ بلاءٌ من ربِّكم، لتُقبِلوا عليه، وتتقربوا بصالحِ العملِ لديه. وفي البلاءِ ألطافٌ يدركه أهلُ الإيمانِ، وتتمخَّصُ فيها قلوبُ أهلِ الإخلاصِ رقةٌ في القلبِ، وافتقارٌ في النفسِ، وتذللٌ بين يدي العزيزِ الغفارِ، واستكانةٌ لجنابِ الواحدِ القهارِ.

وفي كتابِ اللهِ قومٌ مذمومون، لم يستكينوا عند البلاءِ، ولم يرجعوا إلى ربِّهم في البأساءِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

فاستكينوا إلى ربِّكم، وارفعوا أكفَّ الضراعةِ إليه، ابتهلوا، وادعوا، وتضرعوا، واستغفروا، فالاستغفار مربوطٌ بما في السماءِ من استدرار، اقرءوا إن شئتم قولَ نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢]

وقول هودَ عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

ونبيُّكم محمدٌ ﷺ يقول: «**من أكثرَ من الاستغفارِ، جعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيثُ لا يحتسبُ**»(١) أخرجه أبوداودَ، وابنُ ماجه في سننِه عن ابنِ عباس رضي الله عنهما.

وأكثروا من الصلاةِ والسلام على المصطفىٰ الهادي البشير، إمامِنا وقدوتِنامحمدِ بنِ عبدِاللهِ. فالدعاءُ، موقوفٌ بين السماءِ والأرضِ حتى يُصلَّىٰ على النبيِّ ﷺ كما جاءَ في الأثرِ، اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلى آله وأزواجِه وأصحابِه.

ربَّنا ظلمنا أنفسَنا، وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين، اللهم أنتَ اللهُ لا إله إلا أنتَ، أنتَ الغنيُّ ونحن الفقراءُ،

---

(١) أخرجه أبوداود (٢/ ٨٥ ـ ح١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤ ـ ح٣٨١٩)، وأحمد (١/ ٢٤٨). وقال الشيخ أحمد شاكر: اسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٤/ ٢٢٣٤) ط. دار المعارف ١٣٦٧هـ.

أنزلَ علينا الغيثَ ولا تجعلْنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً، طَبَقاً، سَحَّاً، مجللاً عاماً نافعاً غيرَ ضار، عاجلاً غيرَ آجل، اللهم تُحيي به البلادَ، وتغيثُ به العبادَ، وتَجعلُه بلاغاً للحاضرِ والبادِ. اللهم سقيا رحمةٍ، لا سقيا عذابٍ، ولا هدم، ولا بلاءٍ، ولاغرقٍ. اللهم اسقِ عبادَك وبلادَك وبهائمَك، وانشُرْ رحمتَك، وأحْي بلدَك الميتَ، اللهم أنبتْ لنا الزَرعَ، وأدِّرَ لنا الضرعَ، وأنزلَ علينا من بركاتِك، واجعل ما أنزلتَه علينا قوةً لنا على طاعتِك، وبلاغاً إلى حينٍ. اللهم إنا خلقٌ من خلقك، فلا تمنعْ بذنوبنا فضلَك.

سبحانَ اللهِ، على اللهِ توكلنا، ربنا لا تجعلْنا فتنةً للقومِ الظالمينَ، اللهم ارفعْ عنا من الجوع، والجَهْدِ، والعُريِّ، واكشفْ عنا من البلاءِ ما لا يكشفه إلا أنت. اللهم إنا نستغفرُك إنك كنت غفاراً، فأرسلْ السماءَ علينا مِدراراً. اللهم اسقنا الغيثَ، وآمنَّا من الخوفِ، ولا تجعلنا آيسين، ولا تُهْلكنا بالسنين، اللهم ارحمْ الأطفالَ الرُّضعَ، والبهائمَ الرُّتعَ والشيوخَ الرُّكَّعَ، وارحم الخلائقَ أجمعين. ربَّنا لا تؤاخذْنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحملْ علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلِنا ربَّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. اللهم انصرْ دينَك، وكتابَك، وسنةَ نبيِّك وعبادَك الصالحين. اللهم أصلحْ لنا ديننَا الذي هو عصمةُ أمرنا، وأصلحْ لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلحْ لنا آخرتَنا التي إليها معادُنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير، والموتَ راحةً لنا من كلِّ شر. اللهم ادفع عنا الغلاءَ، والبلاءَ

والوباءَ، والربا والزنا، والزلازلَ والمحنَ، وسوءَ الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلدِنا وعن سائرِ بلادِ المسلمين. اللهم من أرادَنا وأرادَ بلادَنا ومقدساتِنا بسوءٍ فأشغلْه بنفسِه، واجعل كيدَه في نحرِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه، اللهم إنا ندرأُ بك في نحورِهم، ونعوذُ بك من شرورِهم، اللهم ردَّ عنا كيدَ الكائدين، وعدوانَ المعتدين، واقطع دابرَ الفساد والمفسدين، اللهم آمنا في أوطانِنا، وأصلحْ أئمتنا وولاةَ أمورِنا، وأيد بالحقِّ إمامَنا ووليَّ أمرِنا، وأعزَّه بطاعتِك، وأعزَّ به دينَك وارزقْه البطانَة الصالحةَ التي تدلُّه على الخيرِ وتعينُه عليه. ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النار.

عبادَ الله، اقلبوا أرديَتكم تأسياً بنبيِّكم محمدٍ ﷺ. واجتهدوا في الدعاءِ، وألحُّوا في المسألةِ. ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابةِ، وأكثروا من الاستغفارِ والصدقةِ وصلةِ الأرحام، واحفظوا الحقوقَ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم عسىٰ ربُّكم أن يرحمَكم فيغيثَ القلوبَ بالرجوعِ إليه، والبلدَ بإنزال الغيثِ عليه. سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عما يَصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلِّ اللهم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وآله وصحبهِ وسلمَ.

وقفة مع محاسبة النفس

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ خلقَ كلَّ شيءٍ فقدره تقديراً. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وألتجىءُ إليه من يوم كان شرُّه مستطيراً، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه. بعثَه بين يدي الساعةِ بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، تعالىٰ ربُّنا وتنزَّه أن يخلقُ السمواتِ والأرضَ وما بينهما بلا حكمةٍ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٦] وتباركَ وتقدَّسَ أن يَتركَ الإنسانَ بلا مهمةٍ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

خلقَ الخلقَ ليعبدوه، وأنشأهم من الأرضِ واستخلفهم فيها ليطيعوه ويتقوه. فمن أرادَ دوامَ العافيةِ، ورامَ حُسنَ العاقبةِ.. فليعبدْ اللهَ وليتقْه؛ عبادةً وتقوىٰ على الدوامِ، واستقامةً على الهدىٰ في جميعِ الشهورِ والأيامِ، ليس لعمومِ الطاعةِ زمنٌ محدودٌ، وليس للتقوىٰ موسمٌ مخصوصٌ..

إنها حقُّ اللهِ على العبادِ. يعمرون بها أوقاتَهم، ويستعملون فيها أبدانَهم، ويخلصون بها له قلوبَهم.

ولئن تفاضلتْ بعضُ الأيام والشهورِ، وتضاعفتْ في بعضِ المواسمِ الأجورُ. فما ذلك إلَا من أجلِ مزيدِ العملِ، وتنشيطِ الهممِ.. تألفُ فيها النفوسُ الطاعةَ، وتستيقظُ فيها من بعدِ غفلةٍ.

والمغبونُ من لم يعرفْ ربَّه إلا في أيامٍ معلومةٍ أو ساعاتٍ معدودةٍ.. ثم يعودُ من بعدِ ذلك إلى غيِّه وغفلتِه، ينتكسُ في المعاصي، ويرتكسُ في الآثامِ.. نعوذ باللهِ من الخذلان.

معاشرَ الإخوة، ولئن ودَّع المسلمون مواسمَ الخيرِ من ذي الحجةِ.. فهاهم في وداعِ عامٍ هجريٍّ ليستقبلوا عاماً غيرَه.

فحقٌ عليهم الوقفةُ الصادقةُ مع النفس محاسبةً ومساءلةً. فواللهِ لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقَظون، ولتجزوُنَّ بما كنتم تعملون. فجنةٌ للمطيعين، ونارٌ جهنمَ للعاصين ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠].

إخوتي في اللهِ: من غفلَ عن نفسِه تصرمتْ أوقاته، ثم اشتدتْ عليه حسراتُه. وأيُّ حسرةٍ على العبدِ أعظمُ من أن يكونَ عمرُه عليه حجةً. وتقودُه أيامُه إلى المزيدِ في الردىٰ والشِّقوةِ.

إن الزمانَ وتقلباتِه أنصحُ المؤدبين، وإن الدهرَ بقوارعِه أفصحُ المتكلمين.. فانتبهوا بإيقاظِه، واعتبروا بألفاظِه.

وردَ في الأثرِ: «أربعةٌ من الشقاءِ: جمودُ العينِ، وقسوةُ

القلبِ، وطولُ الأملِ، والحرصُ على الدنيا».

معاشر الإخوة، من حاسبَ نفسَه في الدنيا خفَّ في القيامةِ حسابُه، وحَسُنَ في الآخرةِ مُنقلبُه، ومن أهملَ المحاسبةَ دامتْ حسرتُه وساءَ مصيرُه. وما كان شقاءُ الأشقياءِ إلا لأنهم كانوا لا يرجونَ حسابا. وقعوا ضحايا خداعِ أنفسِهم، وأحابيلِ شياطينِهم، وافتهم المنايا وهم في غمرةٍ ساهونَ.

في الشبابِ من غرَّه شبابُه فنسي فُقدانَ الأقرانِ، وغفلَ عن سرعةِ المفاجآتِ، وتعلقَ بالآمالِ والأماني، وما هي واللهِ إلا أوهامُ الكسالى، وأفكارُ اللاهين، وما الاعتمادُ عليها إلا بضائعُ الحمقىٰ، ورؤوسُ أموالِ المفاليسِ، والتمني والتسويفُ إضاعةٌ للحاضرِ والمستقبلِ.

وفي أهلِ العلمِ من جدَّ في التحصيلِ وغفلَ عن العملِ، أُعطوا علوماً فصرفُوها في الرياءِ والمجادلاتِ، والعلوِّ على الأقرانِ، يمزِّقُ دينَه من أجلِ ترقيعِ دنياه، لا يتحاشىٰ غيبةً، ولا يسلمُ من حسدٍ.

وفي أهلِ الدنيا من صرفَ أموالَه في الشهواتِ والمحرماتِ.

وأشدُّ هؤلاءِ من كسَب مالاً؛ فأدخله النارَ وورثه من بعده قومٌ صالحون عملوا فيه بطاعةِ اللهِ؛ فأدخلهم الجنةَ.

ليس أعظمُ حُمقاً ممن ضيعَ مالَه وأصلحَ مالَ غيرِه، وقد علم أن مالَه ما قدَّم، ومالَ غيرِه ما خلَّف.

ألا ينظرُ هؤلاء وهؤلاء؟؟ لقد وهنَ العظمُ، وابيضَّ الشعرُ، ورحلَ الأقرانُ، ولم يبقَ إلا الرحيلُ.

عجيبٌ حالُ هذا الغافلِ: يوقنُ بالموتِ ثم ينساه، ويتحققُ من الضررِ ثم يغشاه، يخشىٰ الناسَ واللهُ أحقُّ أن يخشاه، يغترُّ بالصحةِ وينسى السقمَ، ويفرحُ بالعافيةِ ولا يتذكرُ الألَم، يزهو بالشبابِ ويغفلُ عن الهرمِ، يهتمُّ بالعلمِ ولا يكترثُ بالعملِ، يحرصُ على العاجلِ ولا يفكرُ في خسرانِ الآجلِ. يطولُ عمُره ويزدادُ ذنبُه، يبيضُّ شعرُه ويسودُّ قلبُه. قلوبٌ مريضةٌ عزَّ شفاؤها، وعيونٌ تكحلتْ بالحرامِ فقلَّ بكاؤها. وجوارحُ غرِقتْ في الشهواتِ فحقَّ عزاؤها.

سبحانَ الله ـ عبادَ الله ـ ألم يأنِ لأهلِ الغفلةِ أن يدركوا حقيقةَ هذه الدارِ. أما علموا أن حياتَها عناءٌ، ونعيمَها ابتلاءٌ. جديدُها يبلىٰ، وملكُها يفنىٰ، وُدَّها ينقطعُ، وخيرُها يُنتزعُ. المتعلقون بها على وجلٍ إما في نعمٍ زائلةٍ أو بلايا نازلةٍ، أو منايا قاضيةٍ.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩] العمرُ قصيرٌ، والخطرُ المحدقُ كبيرٌ. والمرءُ بين حالين: حالٍ قد مضىٰ لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه، وأجلٍ قد بقي لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه.

وإذا كان الأمر كذلك أيها الأحبة، فعلى صاحبِ البصرِ النافذِ أن يتزودَ من نفسِه لنفسِه، ومن حياتِه لموتِه، ومن شبابِه لهرمِه، ومن صحتِه لمرضِه. فما بعدَ الموتِ من مستعتَبٍ، ولا بعدَ الدنيا سوىٰ الجنةِ أو النارِ.

ومن أصلحَ ما بينه وبين ربِّه كفاه ما بينه وبين الناس، من صدقَ في سريرتِه حسُنتْ علانيتُه، ومن عمِل لآخرتِه كفاه اللهُ أمرَ دنياه.

والمحاسبةُ الصادقةُ ما أورثتْ عملاً، فعليك يا عبدَاللهِ أن تستدركَ ما فاتَ بما بقي، فتعيشَ ساعتَك ويومَك، ولا تشتغلْ بالندمِ والتحسرِ من غيرِ عملٍ. واعلم أن من أصلحَ ما بقي غُفرَ له ما مضىٰ، ومن أساءَ فيما بقي أُخذَ بما مضىٰ وبما بقي. والموتُ يأتيك بغتةً، فأعطِ كلَّ لحظةٍ حقَّها، وكلَّ نَفَسٍ قيمتَه، فالأيامُ مطايا، والأنفاسُ خطواتٍ، والصالحاتُ هي رؤوسُ الأموالِ، والربحُ جناتُ عدنٍ، والخسارةُ نارٌ تلظىٰ، لا يصلاها إلا الأشقىٰ. وأنت حسيبُ نفسِك.

قرأ الحسنُ رحمه الله قولَه تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧] فقال: يا ابنَ آدمَ: بُسِطتْ لك صحيفتُك، ووكِّلَ بك ملكان أحدُهما عن يمينِك، والآخرُ عن شِمالِك، فصاحبُ اليمين يكتبُ الحسناتِ، وصاحبُ الشمالِ يكتبُ السئاتِ. فاعملْ ما شئتِ أقللْ أو أكثرْ؛ فإذا متَّ طويتْ صحيفتُك، وجُعلتْ في عنقِك؛ فتخرجُ يومَ القيامةِ؛ فيقالُ لك: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤] ثم قال رحمه الله: عدَل ـ واللهِ ـ من جعلكَ حسيبَ نفسِك.

فاتقوا الله ـ رحمَكم الله ـ وتزودوا في دنياكم ما تُحرزون إلى أنفسِكم غدا، فن اتقىٰ اللهَ نصحَ نفسَه، وقدَّم توبتَه، وقاوم شهوتَه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ١٨ ـ ٢٠].

وقفة مع محاسبة النفس

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ، هدمَ بالموتِ مشيدَ الأعمارِ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفرُه حكمَ بالفناءِ على أهلِ هذه الدارِ. وأشهد ألا إله إلا الله لا شريك له، شهادةً أرجوا بها النجاةَ من عذابِ النارِ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ المختارُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه المهاجرين والأنصارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعدُ:

أيها المسلمون، إن في قوارعِ الدهرِ لعبرا، وإن في حوادثِ الأيامِ لمزدجراً، أوقاتٌ تطوىٰ فَتخرِّبُ عامراً وتعمرُ قفراً، تُعيرُ مرةً وَتسلُبُ أخرى، فاحذروا زخارَفها المضلةَ، من تكَّثرَ منها لم يزددْ من الله إلا بعدا.

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن من أشدِّ ما يفسدُ العمرَ ويقتلُ الوقتَ صحبةَ البطالين ومعاشرةَ الهاملين. أصحابِ الجهالاتِ واللهو والعبثِ، بهم يضيعُ الزمنُ، ويفسدُ العملُ، وتسوءُ الصحبةُ، فواجبٌ على من نصحَ نفسَه وعرفَ وقتَه أن ينفِرَ منهم؛ فالنبتةُ الفاسدةُ تُفسدُ ما جاورَها، والماءُ والهواءُ يُفسدُهما مقاربةُ الجيفِ.

وفي أحضانِ البطالةِ والبطالين تُولدُ الرذائلُ وتنبتُ جراثيمُ فناءِ الأفرادِ والأمم. والعاطلون هم الموتىٰ، ومن لم يشغلْ نفسَه بالحقِّ تشاغلتْ بالباطلِ، والإناءُ إن لم تشغلْه بالماءِ شغلَه الهواءُ. فمن عزَم على حفظِ ما بقي له من سويعاتِ عمرِه فلا يصاحبْ إلا الجادينَ العاملين، الأخيارَ النابهين، البررةَ الصالحين. الذين يحرصون على أوقاتِهم أشدَّ من حرصِ الشحيحِ على دراهمِه ودنانيرِه.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ وجدُّوا في العملِ، واعتبروا بما سلفَ فالفرصُ تفوتُ، والأجلُ موقوتٌ، والإقامةُ محدودةٌ، والأيامُ معدودةٌ، ولن يؤخرَ الله نفساً إذا جاءً أجلُها. واللهُ خبيرٌ بما تعملون.

الـوصـية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، بالعبادةِ أمرَ، وبوجوه البرِّ والكمالاتِ وصَّىٰ، أحمده سبحانه وأشكره، كرمُه لا يحدُّ، وآلاؤه لا تحصىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُالله ورسولُه.. بعثَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه، فالسعيدُ من أطاعه واتبعه، والويلُ لمن خالفَ وعصىٰ، صلى وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله ـ عبادَ الله ـ وعظموا أمرَه واجتنبوا مساخطَه، وخذوا من أيامِكم عبراً، واستوصوا بأنفسِكم وأهليكم خيراً.

أيها المسلمون: ابنُ آدمَ يتقلبُ في هذه الحياةِ ـ ما أمدَّ اللهُ له من العمرِ ـ يتقلبُ مراحلَ وأطواراً من الطفولةِ والشبابِ، والكهولةِ والهرمِ، يمرُّ خلالها بأحوالٍ من العسرِ واليسرِ، والفقرِ والغنىٰ، والحزنِ والسرور، والصحةِ والمرضِ، والقوةِ والضعفِ، وهو في جميعِ هذه الأطوارِ، وفي كلِّ تلك الأحوالِ

بحاجةٍ إلى التذكرِ والتذكيرِ، والوصايا والتوجيهِ. بحاجةٍ إلى التوبةِ النصوحِ، والثباتِ على الحقِّ، وتحري العدلِ، واحتسابِ الثوابِ، وإحسانِ الظنُ بربِّه، متقلباً بين الرغبةِ والرهبةِ، والخوفِ والرجاء: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

كلُّ ابن آدمَ بحاجةٍ إلى هذا.. غير أنَّ هناك فئاتٍ من الغافلين والمرضىٰ والعجزةِ والمسنين ذوي حقوقٍ وأموالٍ. قد ينسيهم حرصهُم على حقوقِهم، وتنميتُهم أموالَهم ـ ينسيهم ذلك ـ حقوقَ الآخرين من أصحابِ الديونِ والودائعِ، أو ذوي الفقرِ والحاجةِ من الأقربين وغيرِ الأقربين، فإذا ما أصابتْه مصيبةٌ أو أحسَّ بدنوِّ أجله؛ راجعَ نفسه، وندم على ما أسلفَ، ولقد علم اللهُ اللطيفُ المنانُ ضعفَ هذا المخلوقِ، فهيأ له برحمتِه فسحةً، وفتحَ له بابَ أملٍ من أجلِ أن يعملَ صالحاً، وكما شرعَ له ميدانَ حسناتٍ حالَ الحياةِ؛ فقد شرعَ له فرصاً بعد المماتِ، وفي مثلِ هذا جاءَ قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات الإنسانُ انقطعَ عنه عمله إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»[1] رواه مسلمٌ وغيرُه واللفظُ له.

وفي حديثٍ آخر«**إن اللهَ تصدقَ عليكم عند وفاتِكم بثلثِ أموالِكم زيادةً لكم في أعمالِكم**»[2] رواه ابنُ ماجه من حديثِ أبي هريرةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٥٥ ـ ح١٦٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠٤ ـ ح٢٧٠٩).

ولمثلِ هذا شُرعتْ الوصيةُ، وتكاثرتْ النصوصُ في الحثِّ عليها. إذا وُجدَ مُقتضيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

وفي الحديث الصحيح: عن ابن عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ﷺ إنه قال: «**ما حقُ امرىءٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصي فيه يبيتُ ليلتين**» وفي روايةٍ: «**ثلاث ليالٍ إلا ووصيتُه عنده مكتوبةٌ**» قال عبدُالله بن عمر: ما مرتْ عليَّ ليلةٌ منذُ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي»[(١)] متفقٌ عليه، واللفظُ لمسلم، وفي حديثٍ آخر حسنِ الإسنادِ: «**المحرومُ من حرم وصيتَه**»[(٢)]، وقال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه: «من صوابِ الأمرِ للمرءِ أن لا تفارقَه وصيتُه». «**ومن ماتَ وقد أوصىٰ ماتَ على سبيلٍ وسنةٍ**»[(٣)] حديثٌ عند ابن ماجه.

معاشرَ الأحبةِ: من لزمتْه حقوقٌ شرعيةٌ للهِ أو لعبادِ اللهِ، من زكواتٍ وكفاراتٍ وديونٍ وودائع، فليسارعْ في أدائِها، وليبادرْ في قضائِها.. مادام قادراً على الأداء، متمكناً من القضاءِ. وإلا فليوصِ بذلك وصيةً واضحةً في لفظِها ومعناها، مجودةً في

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤١٩ ـ ح٢٧٣٨)، ومسلم (٣/ ١٢٤٩، ١٢٥٠ ـ ح١٦٢٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠١ ـ ح٢٧٠٠) وفي سنده يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠١ ـ ح٢٧٠١) وفي سنده بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه ولم يصرح بالتحديث. وشيخه يزيد بن عوف مجهول.

كتابتِها، عادلةً في شهودِها، من أجلِ ان تُحمدَ سيرتُه، وتُحفظَ حقوقُه، ولا يبقى أهلُه من بعده في منازعاتٍ، ويلقى ربَّه وقد أدىٰ ما عليه، وأبرأ ذمتَه، وابيضتْ صحيفتُه، وحسنتْ بإذن اللهِ خاتمتُه، وخفَّ في الآخرةِ حسابُه، ومن قصَّرَ فقد تعرَّضَ لحرمانِ الثوابِ، وأهملَ في براءةِ الذمةِ.

ومن لم تكنْ عليه حقوقٌ، ولم تلزمْه واجباتٌ وله ورثةٌ محتاجون وذريةٌ ضعفاءُ، فليبدأ بهم، ولا يقدِّم عليهم وصيتَه؛ لأنهم أحقُّ بمالِه وأولى بمعروفِه، وأعظمُ في ثوابه ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩]. وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: «**إنكَ إن تدعْ ورثتَك أغنياءَ خيرٌ من أن تدَعهم عالةً يتكففون الناسَ**»[1]. متفقٌ عليه واللفظُ للبخاري، وفي الخبرِ الآخرِ: «**ابدأ بنفسِك ثم بمن تعولُ**»[2]. أصلُ ذلك في الصحيحين. وأرادَ رجلٌ أن يوصيَ فقال له عليٌ ـ رضي الله عنه ـ: «إنك لم تتركْ مالاً طائلاً، إنما تركتَ شيئاً يسيراً فدعه لورثتِك». وسألَ رجلٌ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ فقال: إن لي ثلاثةَ آلافٍ، وعندي أربعةُ أولادٍ أفأوصي؟ قالت: اجعل الثلاثةَ للأربعةِ. أما إذا فاضَ مالُ اللهِ عندك، وبسطَ اللهُ لك في الرزقِ، فلتدخرْ لنفسِك عملاً صالحاً، وصدقةً جاريةً، يمتدُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤٢٧ ـ ح٢٧٤٢) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٢٥٠ ـ ح١٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٤١٠ ـ ح٥٣٥٥، ٥٣٥٦)، ومسلم (٢/ ٦٩٢ ـ ح٩٩٧).

لك ثوابُها، ولتبدأ بالأقربين من غيرِ الوارثين، فهم أحقُّ ببركَ وأولى بفائضِ مالكَ، حتى لا يتعرضوا لمهانةِ الفقرِ، وذلِّ الحاجةِ، وإنه لك في ذلك صدقةٌ وصلةٌ، وليحزِمْ المسلمُ أمرَه، ولا يؤخرْ إلى شهودِ أماراتِ الموتِ. جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجراً؟ قال: «**أن تتصدقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشىٰ الفقرَ وتأملَ الغنىٰ، ولا تُمْهِلْ حتى إذا بلغتْ الروحُ الحلقومَ قلتَ: لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلانٍ..**»[1] متفقٌ عليه واللفظُ للبخاري.

وليُعلم ـ وفقكم اللهَ ـ أن وجوهَ البرِّ كثيرةٌ، من فقراءِ الأقاربِ غيرِ الوارثين، وعمارةِ المساجدِ وخِدمْتها، وبناءِ الأربطةِ والمساكنِ للمحتاجين من أهل العلمِ والفضلِ والصلاحِ، وقضاءِ ديونِ المعسرين، والصدقةِ على المحاويجِ، والإنفاقِ على طلبةِ العلمِ، وتعليمِ القرآنِ، وسقيِ الماءِ، وتعبيدِ طرقِ المسلمين، وطبعِ الكتبِ المفيدةِ ونشرِها، والوصيةِ بالحجِّ والأضاحي عن نفسِه وغيرِه، وهذا البابُ بفضلِ اللهِ واسعٌ ووجوهُ البرِّ فيه لا تنحصرُ.

ثم احذروا وصيةً الإثمِ والجُنَفِ، وإياكم والمضارةَ بالوصيةِ، وقد قال نبيُّكم محمدٌ ﷺ: «**إن الرجلَ ليعملَ والمرأةُ بطاعةِ اللهِ ستينَ سنةً ثم يحضرُهما الموتُ فيضارانِ في الوصيةِ فتجبُ لهما النارُ**»[2] ثم قرأ أبو هريرةَ راوي الحديثِ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٤ ـ ح١٤١٩)، ومسلم (٢/ ٧١٦ ـ ح١٠٣٢).
(٢) أخرجه أبوداود (٣/ ١١٣ ـ ح٢٨٦٧)، والترمذي (٤/ ٣٧٥ ـ ح٢١١٧) =

بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٢- ١٣] روى الحديثَ أبوداودُ والترمذيُّ واللفظُ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، وهو عند ابنِ ماجه بلفظٍ مقاربٍ.

سبحانَ اللهِ ـ يا عبادَ الله ـ كيف يتجرأُ هذا المخذولُ ليضارَّ في وصاياه، وهو في حالةٍ من إدبارِ الدنيا وإقبالِ الآخرةِ. في حالٍ يصدقُ فيها الكذوبُ، ويتوبُ فيها الفاجرُ، وأيُّ قسوةٍ أشدُّ من هذه القسوةِ. فنعوذُ باللهِ من الخذلان.

في الوصيةِ الجنَفِ يغلبُ الجشعُ، ويحلُّ الطمعُ، ويضيعُ الحلالُ، وإن ربَّك لبالمرصادِ. ألا وإن من جارَ في وصيتِه وظلَم؛ ماتَ على جهالةٍ، وسلكَ مسالكَ الضلالةِ.

إن من صورِ الإضرارِ بالوصيةِ ـ عياذا بالله ـ أن يقرَّ بكلِّ مالِه أو بعضِه لغيرِ مستحقٍّ، أو يُقِرَّ على نفسِه بدينٍ لا حقيقةَ له.. من أجلِ أن يمنعَ الوارثَ من حقِّه، أو يبيعَ شيئاً بثمنٍ بخس، أو يبيعَ بيعاً صورياً، أو يشتريَ بثمنٍ فاحشٍ من أجلِ أن يُضِرَّ بالورثةِ ويمنعُهم حقوقَهم أو يبخسَهَا، وتحرمُ الوصيةُ للوارثِ، وقد حكى الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ.

والوصيةُ لا تصحُّ في الأمورِ المبتدعةِ، والمسائلِ المحرمةِ

= وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه بلفظ مقارب (٢/ ٩٠٢ ـ ح٢٧٠٤).

كالنياحةِ، والتبذيرِ، والبناءِ على القبورِ، والتكفينِ بالحريرِ والديباجِ والدفنِ في المسجدِ أو في بيتٍ خاصٍ، إلا أن يجعلَ ذلك مقبرةً عامةً للمسلمين. ذكرَ ذلك فقهاءُ المذاهبُ الأربعةِ وغيرُهم رحمةُ اللهِ على الجميعِ.

ألا فاتقوا اللهَ - أيها المسلمون - واتقِ اللهَ يا عبدَاللهِ، فعن عبدِاللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**»[1] وكان ابنُ عمرَ يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظرْ الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرُ المساءَ، وخذْ من صحتِك لمرضِك، ومن حياتِك لموتِك. رواه البخاريُّ، ولقد قال اللهُ في أقوام ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٤٩ - ٥٠] ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. نفعني الله وإياكم بالقرآنِ العظيم وبهدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٧ - ح٦٤١٦).

الوصيـة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ إقراراً بوحدانيتِه، والشكرُ له على سوابغِ نعمتِه، اختصَّ أهلَ الصدقِ والإيمانِ بصدقِ معاملتِه، ومَنَّ على العاصي بقبولِ توبتِه، ومدَّ للمسلمِ عملاً صالحاً بوصيتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيتِه وألوهيتِه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المفضَّلُ على جميعِ بريتِه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأزواجِه وذريتِه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعملوا أن من أدبِ الوصيةِ أن يوصيَ المسلمُ بنيه وأهلَه وأقاربَه، ومن حضرَه واطَّلع على وصيتِه - يوصيهم بتقوىٰ الله وطيبِ العملِ، وإن لكم في إبراهيمَ وبنيه عليهم السلام أسوةً، وفي نبيِّكم محمدٍ ﷺ أعظمَ قدوةٍ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] وأوصىٰ محمدٌ ﷺ بكتابِ اللهِ، وقال: «**الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكت أيمانُكم**»[1]، وحذّرَ من الفتنِ، وأمرَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧)، والحاكم (٣/ ٥٧) وصححه، وأبوداود (٤/ ٣٤٠ - ح٥١٥٦)، وابن ماجه (٢/ ٩٠١ - ح٢٦٩٨).

بالطاعةِ ولزوم الجماعةِ، وأوصىٰ بأصحابِه السابقين وبالمهاجرين وأبنائِهم، كما أوصىٰ ابنته فاطمةَ ـ رضي الله عنها ـ إذا هو ماتَ أن تقولَ: إنا للهِ وإنا إليه راجعون.

أيها الإخوةُ، وهذه صيغةٌ مأخوذةٌ من جملةِ ما أوصىٰ به بعضُ أئمةِ الإسلامِ من الصحابةِ رضوان اللهِ عليهم ومَنْ بعدهم. حيثُ رأوا أن يقولَ الموصي مخاطباً أهله، ومن حضرَه واطَّلع على وصيتِه: أوصىٰ فلانٌ، وهو يشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له. إلهاً واحداً. فرداً صمداً. لم يتخذْ صاحبةً ولا ولداً. ولم يشركْ في حكمِه أحداً. ويشهدُ أن محمداً عبده ورسولهُ. أرسلَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كره المشركون، ويشهدُ أن عيسىٰ عبدُاللهِ ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، والجنةُ حقٌ وما أعده الله لأوليائِه حقٌ، والنارُ حقٌ، وما أعده الله لأعدائِه حقٌ، وهو قد رضي باللهِ رباً وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً، وبالقرآنِ إماماً، على ذلك يحيىٰ، وعليه يموتُ إن شاء الله، ويشهدُ أن الملائكةَ حقٌ، والنبيينَ حقٌ، وأن الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأن اللهَ يبعثُ من في القبورِ.

ثم يقول: اعلموا أني مفارقُكم وإن طالَ المدىٰ، فهذه أدواتُ السفرِ تُجمعُ، ومنادي الرحيلِ يُسْمعُ، والمرءُ لو عُمِّرَ ألفَ سنةٍ لابدَّ له من هذا المصيرِ كما ترون.

إن اللهَ كتبَ الموتَ على بني آدمَ فهم ميتون، فأَكْيَسُهم أطوعُهم لربِّه وأَعمْلُهم ليوم معادِه. وهذه وصيةُ مودعٍ ونصيحةُ مشفقٍ، حسبي وحسبُكم اللهُ الذي لم يخلقْ الخلقَ هملاً، ولكن ليبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ

إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٧ ـ ١٨] أعظمُ فرائضُ اللهِ بعدَ التوحيدِ: الصلاةُ، اللهَ اللهَ في الصلاةِ، فإنها خاصةُ الملةِ، وأمُّ العبادةِ، والزكاةُ أختُها الملازمةُ، والصومُ عبادةُ السرِّ لمن يعلمُ السرَّ أخفىٰ، والحجُّ مع الاستطاعةِ، ركنٌ واجبٌ، هذه عُمُدُ الإسلامِ وفروضُه، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين، وعلى من يناوئُكم ظاهرين. وتلقَوْا ربَّكم غيرَ مبدلين ولا مغيرين. واسلكوا في الاعتقادِ مسلكَ السلفِ الصالحِ وأئمةِ الدينِ، ولا تخوضوا فيما كره السلفُ الخوضَ فيه، وعليكم بالعلمِ النافعِ، فالعلمُ وسيلةُ النفوسِ الشريفةِ، وشرطُه الإخلاصُ والخشيةُ للهِ مع الخيفةِ. وخيرُ العلومِ علومُ الشريعةِ، وانبذوا العلومَ المذمومةَ فإنها لا تزيدُ إلا تشكيكاً. وأطيعوا أمرَ من ولاه اللهُ عليكم، واجتنبوا الفتنَ وأسبابَها، ولا تدخلوا في الخلافِ، والزموا الصدقَ فإنه شعارُ المؤمنين، والكذبُ عورةٌ لا تُوارىٰ، وحافظوا على الحشمةِ والصيانةِ، وأوفوا بالعهدِ، وابذلوا النصحَ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم، ولا تطغَوا في النعمِ، ولا تنسوا الفضلَ بينكم، ولا تنافسوا في الحظوظِ السخيفةِ، وإذا أسديتمْ معروفاً فلا تذكُروه، وإذا برز قبيحٌ فاستروه، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، واحذروا الظلمَ، وصلوا الأرحامَ، وأحسنوا إلى الجيرانِ، واعرفوا حقَّ الأكابرِ، وارحموا الأصاغرَ، واحذروا التباغضَ والتحاسدَ، واعلموا أن جماعَ الأمرِ تقوىٰ اللهِ،

كان اللهُ خليفتي عليكم في كلِّ حالٍ، وموعدُ الالتقاءِ دارُ البقاءِ، والسلام عليكم من حبيبٍ مودعٍ، واللهُ يجمعُ إذا شاءَ هذا الشملَ المتصدعَ، ألا فاتعظوا أيها المسلمون.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
اتبعوا ولا تبتدعوا	٧
سورة (ق) ويوم النشور	١٦
الشيطان مداخل ومكائد	٢٤
الذين هم في صلاتهم خاشعون	٣٣
المشتغلون بالذكر	٤٣
مفاهيم واسعة للأعمال الصالحة	٥٣
قصة يوسف عليه السلام وآيات للسائلين	٦١
المؤمن القوي	٧٠
لا تدخلوا حتى يؤذن لكم	٧٩
الحجاب والجلباب	٨٨
رأي في العنوسة وتأخير الزواج	٩٧
ابنَ آدم: مَرِضتُ ولم تعدني	١٠٦
طيب الكسب والمكسب	١١٧
في التربية والتعليم	١٢٥
الأمانةوالمسئولية	١٣٢
الكلم الطيب والخبيث	١٤٠
من أحاديث الإجازة	١٤٩
حديث بين الشباب والشيوخ	١٥٧
واجب الأمة نحو علمائها	١٦٤
غزو الكويت بين الاحتراف في الإجرام والتضليل في الإعلام	١٧٣
من وحي أحداث الكويت (جدال عن الظلم والظلمة)	١٨٣
بعد اندحار العدوان (انقشاع الغمة والشكر على النعمة)	١٩٣

الموضوع	الصفحة
نعوت أهل الإيمان وصفات عباد الرحمن	٢٠١
حقوق الطريق وآدابه	٢٠٩
بين اليأس والأمل	٢١٩
في بناء الشباب	٢٢٧
هل نتخذ من فتح كابل طريقاً للخلاص؟	٢٣٦
مع أيدٍ تبتغي محبة الله (العمل والعمال)	٢٤٦
بين الغرور والعزة وبناء الأمة	٢٥٤
حال الأمة وسنن الله في التغيير	٢٦٢
الهوى والخلاف	٢٧٠
محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل	٢٧٨
التعاون والمسئولية الجماعية	٢٨٧
عندما تختل الموازين	٢٩٤
في استقبال شهر رمضان	٣٠٢
المواساة في شهر المواساة	٣٠٩
في ذكرى بدر واغتنام العشر	٣١٧
في قدسية الحرم وأمنه	٣٢٦
بناء البيت ومنافع الحج	٣٣٣
من فضل البيت وأسرار الحج	٣٤١
خطبة عيد الفطر (المناسبات وهموم الأمة)	٣٥٠
خطبة عيد الأضحى (وقفات مع خطبة الوداع)	٣٦٤
من دروس الهجرة	٣٧٥
صلاة الاستسقاء (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر)	٣٨٣
وقفة مع محاسبة النفس	٣٩٤
الوصية	٤٠١
الفهرس	٤١٢

من خطب المسجد الحرام

توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

"المجموعة الثالثة"

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

توجیهات و ذکری

حُقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ.

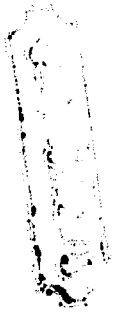

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شر الشيطان وشركه.. من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد ضل وغوىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عميا، وآذاناً صُمّا، صلى الله عليه وآله وصحابته ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه هي المجموعة الثالثة من (توجيهات وذكرى.. من خطب المسجد الحرام) وأسأل الله أن ينفعني بها وسابقتها وإخواني - وحسبي منهم دعوة صالحة ونصيحة صادقة ـ كما أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه موافقة لمرضاته وأن يسدد الجميع للعلم النافع والعمل الصالح إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

صالح بن عبدالله بن حميد
مكة المكرمة
الأربعاء ٢١/ ١٠ /١٤١٨هـ

حلاوة الإيمان
الخطبة الأولى

الحمدُ لله ملأَ بنور الإيمانِ قلوبَ أهلِ السعادةِ، فأقبلتْ على طاعةِ ربِّها منقادة، فحقَّقُوا حُسنَ المعتقدِ وحسنَ العملِ وحسنَ الرضا وحسنَ العبادةِ. أحمده سبحانهُ واشكرهُ وقد أذنَ لمن شكره بالزيادةِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُبلِّغُ صاحبَها الحسنىٰ وزيادةً. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المخصوصُ بعمومِ الرسالةِ وكمالِ السيادةِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيا أيها الناس أوصيكُم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَ فتقواه خيرُ زادٍ، وهي نِعمَ العُدّةُ ليومِ المعادِ.

أيها المسلمون: يجدُ المتبصِّرُ في أمورِ الحياةِ وشؤونِ الأحياءِ يجدُ فئاتٍ من الناسِ تعيشُ ألواناً من التعبِ والشقاءِ، وتنفثُ صدورُها أنواعاً منَ الضجرِ والشكوىٰ، ضجرٌ وشقاءٌ يعصفُ بالأمانِ والإطمئنانِ، ويُفْقِدُ الراحةَ والسعادةَ، ويتلاشىٰ معهُ الرضىٰ والسكينةُ. نفوسٌ منغمسةٌ في أضغانِها وأحقادِها وبؤسِها وأنانيتِها، ويعودُ المتبصرُ كرةً أخرىٰ ليرىٰ فئاتٍ من الناسِ أخرىٰ قد نَعِمَتْ بهنيءِ العيشِ وفيوضِ الخيرِ، كريمةً على نفسِها، كريمةً على الناسِ، طيبةَ القلبِ سليمةَ الصدرِ طليقةَ المُحيَّا. ما الذي فرَّق بين هذينَ الفريقين؟ وما الذي باعدَ بين هاتين الفئتين؟ إنه الإيمانُ وحلاوةُ الإيمانِ.

«ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللهِ رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً»[1]. بذلك أخبرَ الصادقُ المصدوقُ عليه الصلاة والسلام كما أخبر أن «ثلاثاً مَنْ كنَّ فيهِ وجدَ حلاوةِ الإيمانِ أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكرَه أن يعودَ في الكفرِ بعد إذْ أنقذَهُ اللهُ منه كما يكرهُ أنْ يُقْذَفَ في النارِ»[2].

أيها الإخوةُ: للإيمانِ طعمٌ يفوقُ كلَّ الطعومِ، وله مذاقٌ يعلو على كلِّ مذاقٍ. ونشوةٌ دونَها كلُّ نشوةٍ.

حلاوةُ الإيمانِ حلاوةٌ داخليةٌ في نفسٍ رضيةٍ وسكينةٍ قلبيةٍ تسريْ سريانَ الماءَ في العودِ، وتجري جريانَ الدماءِ في العروقِ. لا أرقَ ولا قلقَ ولا ضيقَ ولا تضييقَ بل سعةٌ ورحمةٌ، ورضىً ونعمةٌ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٧٠]، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ١٢].

الإيمانُ باللهِ هو سكينةُ النفسِ، وهدايةُ القلبِ، وهو منارُ السالكينَ وأملُ اليائسينَ، إنه أمانُ الخائفينَ ونصرةُ المجاهدينَ. وهو بُشرىٰ المتقينَ ومنحةُ المحرومين. الإيمانُ هو أبُ الأملِ وأخُ الشجاعةِ وقرينُ الرجاءِ. إنه ثقةُ النفسِ ومجدُ الأمةِ وروحُ الشعوبِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٢ ـ ح٣٤)، وأحمد (١/ ٢٠٨).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ٧٧ ـ ح١٦) واللفظ له، ومسلم (١/ ٦٦ ـ ح٤٣).

وأول منافذِ الوصولِ إلى حلاوةِ الإيمانِ وطعمِ السعادةِ الرضىٰ باللهِ عزَّ وتباركَ رباً مدبراً فهو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، رحمٰنُ الدنيا والآخرةِ ورحيمُهما، قيومُ السمواتِ والأرضينَ، خالقُ الموتِ والحياةِ والأكوانِ. مسبغُ النعمِ، يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاهُ وكاشفُ السوءِ. أعطىٰ كلَّ شيءٍ خَلقَهَ ثم هدىٰ، سوَّىٰ الإنسانَ ونفخ فيهِ من روحِه، أطعمُه من جوعٍ، وكساهُ من عريٍّ، وأمنهُ من خوفٍ، وهداه من الضلالةِ، وعلَّمه من بعدِ جهالةٍ.

إيمانٌ بالله تستسلمُ معه النفسُ لربِّها، وتنزعُ إلى مرضاتِه، تتجردُ عن أهوائِها ورغباتِها، تعبُده سبحانه وترجوهُ وتخافهُ وتتبتلُ إليه، بيده الأمرُ كلُّه، وإليهِ يُرجعُ الأمرُ كلُّه، رضيً باللهِ ويقينٌ يدفعُ العبدَ إلى أن يَمُدَّ يديه متضرعاً مخلصاً: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1].

ومذاقُ الحلاوةِ الثاني ـ أيها الأخوةُ ـ الرضىٰ بالإسلام ديناً، دينٌ من عندِ اللهِ أنزلَه على رسولِه ورضيُه لعبادِه ولا يَقْبَلْ ديناً سواه.

اسمعوا إلى هذا التجسيد العجيبِ للرضىٰ بدين اللهِ؛ غضبَ عمرُ بن الخطابِ رضي اللهُ عنهُ على زوجتهِ عاتكةَ فقال: لها: والله لأسُوأنَّكِ. فقالتْ لهُ: أتستطيعُ أن تصرِفَنيْ عن الإسلامِ بعد إذ

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٢ ـ ح٤٨٦)، والنسائي (٣/ ٢٤٩)، وأبوداود (٢/ ٦٤ ـ ح١٤٢٧)، والترمذي (٥/ ٤٨٩ ـ ح٣٤٩٣) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (١/ ٩٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٢ ـ ح٣٨٤١).

هداني اللهُ إليه؟ فقال: لا. فقالت: أيُّ شيءٍ تسوءُني إذنْ؟؟؟ الله أكبرُ إنها واثقةٌ مطمئنةٌ راضيةٌ مستكينةٌ مادام دينُها محفوظاً عليها حتىٰ ولو صُبَّ البلاءِ عليها صباً.

بل إن إزهاقَ الروحِ مستطابٌ في سبيل اللهِ على أي جنبٍ كان في اللهِ المصرعُ. الإسلام منبعُ الرضاء والضياءِ ومصدرُ السعادةِ والاهتداءِ.

ومذاقُ الحلاوةِ الإيمانيةِ الثالثُ: الرضىٰ بمحمدٍ ﷺ رسولاً ونبياً. محمدٌ الناصحُ الأمينُ والرحمةُ المهداةُ والأسوةُ الحسنةُ فلا ينازعُه بشرٌ في طاعةٍ، ولا يزاحمُه أحدٌ في حكمٍ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

الرضىٰ بمحمدٍ ﷺ اهتداءاً واقتداءاً. وبسنته استضاءةً وعملاً.

أيها الإخوةُ: إذا صحَّ الإيمانُ ووقرَ في القلبِ فاضَ على الحياةِ، فإذا مشىٰ المؤمنُ على الأرضِ مشىٰ سويًّا، وإذا سار سار تقيًّا، ريحانةٌ طيبةٌ الشذَىٰ، وشامةٌ ساطعةٌ الضياءِ. حركاتهُ وسكناتُه إيمانيةٌ مستكينةٌ: «**فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمعُ به، وبصرهُ الذي يبصرُ به، ويده التي يبطشُ بها، ورجلَه التي يمشي عليها، ولئن سألنيْ لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[1].

من ذاق حلاوة الإيمان طابَ عيشُه، وعرفَ طريقهُ، ومن عرف طريقَهُ سارَ على بصيرةٍ، ومن سارَ على بصيرةٍ نال الرضىٰ وبلغَ المَقْصِدَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٤٨ ـ ح٦٥٠٢)، وأحمد (٦/٢٥٦).

نعمْ يمضيْ في سبيلِه لايباليْ بما يَلقَىٰ فبصرُه وفكرُه متعلقٌ بما هو أسمىٰ وأبقىٰ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

هل رأيتَ ـ رحمك اللهُ ـ زيًّا ومَنْظراً أحسنَ وأجملَ من سمتِ الصالحينَ؟؟.

وهل رأيتَ ـ وفقكَ اللهُ ـ تعباً ونصباً ألذَّ من نعاسِ المتهجدين؟؟.

وهل شاهدتَ ـ حفظكَ اللهُ ـ ماءً صافياً أرقَّ وأصفىٰ من دموعِ النادمينَ على تقصيرِهم والمتأسفين؟؟؟.

وهل رأيتَ ـ رعاكَ اللهُ ـ تواضعاً وخضوعاً أحسنَ من انحناءِ الراكعينَ وجِبَاهِ الساجدين؟؟؟.

وهل رأيتَ ـ عافاكَ اللهُ ـ جنةً في الدنيا أمتعَ وأطيبَ من جنةِ المؤمنِ وهو في محرابِ المتعبدين؟؟؟ إنه ظمأ الهواجرِ ومجافاةَ المضاجعِ فيالذةَ عيشِ المستأنسين؟؟؟.

هذه حلاوتهم في التعبدِ التحنُّثِ.

أما حلاوتُهم في سبْحِ الدنيا وكدِّها وكدحِها. فتلكَ عندُهم حلاوةٌ إيمانيةٌ تملأُ الجوانحُ بأقدارِ اللهِ في الحياةِ. اطمئنانٌ بما تجري به المقاديرُ، رضىً يسكنُ في الخواطرِ فيُقْبِلُ المؤمنُ على دنياه مطمئناً هانئاً سعيداً رضياً. مهما اختلفتْ عليه الظروفُ وتقلبتْ به الأحوالُ والصروفُ. لا ييأسُ على ما فات ولا يفرحُ بطراً بما حصَّلَ. إيمانٌ ورضىٰ مقرونٌ بتوكلٍ وثباتٍ، يعتبرُ بما مضىٰ ويحتاطُ للمستقبلِ ويأخذُ بالأسبابِ، لايتسخطُ على قضاءِ الله،

ولا يتقاعسُ عن العملِ، يستفرغُ جهدهُ من غيرِ قلقٍ، شعارُه ودثارُه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨]. موقنٌ أن «**ما أصابهَ لم يكنْ ليخطئَه، وما أخطأهُ لم يكن ليصيبَه**»(١). لو اجتمعَ أهلُ الأرضِ والسمواتِ على نفعه بغيرِ ما كُتبَ له فلن يستطيعوا، ولو اجتمعوا على منعِه عما قُدِّرَ له فلن يبلغوا. لا يُهلكُ نفسه تحسراً، ولا يستسلمُ للخيبةِ والخذلانِ. معاذ الله أن يتلمسَ الطمأنينةَ في القعودِ والذلةِ والتخاذلِ والكسلِ، بل كلُّ مساراتِ الحياةِ ومسالِكها عندُه عملٌ وبلاءٌ وخيرٌ وعدلٌ وميدانٌ شريفٌ للمسابقاتِ الشريفةِ. جهادٌ ومجاهدةٌ في رباطةِ جأشٍ، وتوكلٍ وصبرٍ. ظروفُ الحياةِ وابتلاءاتُها لا تكدر له صفاءاً ولا تزعزُ له صبراً «**عجباً لأمرِ المؤمنِ أمرُه كلُّه خيرٌ إن أصابته سراءُ شكرَ فكان خيراً لهُ، وإن أصابته ضراءُ صبرَ فكان خيراً له، ولا يكونُ ذلك إلا لمؤمنٍ**»(٢).

بالإيمان الراسخِ يتحررُ المؤمنُ من الخوفِ والجبنِ والجزعِ والضجرِ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ۚ هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

«**لا مانعَ لما أعطىٰ ربُّنا ولا مُعطيَ لما منعَ ولا ينفعُ ذا الجدِّ منه الجدُّ**»(٣).

---

(١) مأخوذه من حديث أخرجه الترمذي (٤/ ٣٩٣ ـ ح٢١٤٤) وقال: حديث غريب، وأبوداود (٤/ ٢٢٥ ـ ح٤٦٩٩، ٤٧٠٠)، وابن ماجه (١/ ٣٠ ـ ح٧٧)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٩٥ ـ ح٢٩٩٩)، وأحمد (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٨ ـ ح٨٤٤)، ومسلم (١/ ٣٤٧ ـ =

و﴿ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

حلاوةٌ ورضا تقومُ في حياةِ الكفاحِ على هذهِ الأصولِ والمبادىءِ؛ إذا أُعطيَ تقبَّلَ وشكرَ، وإذا مُنِعَ رضيَ وصبرَ، وإذا أُمرَ ائتمرَ، وإذا نُهيَ ازدجَرَ، وإذا أذنبَ استغفرَ.

بهذا الإيمان وبهذا المذاق ينفكُّ المؤمنُ من ربقةِ الهوىٰ ونزعاتِ النفسِ الأمارةِ بالسوءِ وهمزاتِ الشياطينِ وفتنِ الدنيا بنسائِها ومالِها وقناطيرِها ومراكبِها وسائرِ مشتهياتِها وزينتِها، سعادةٌ وحلاوةٌ ملؤُها القناعةُ. سعادةٌ وحلاوةٌ يُتَباعَدُ بها عن الشحِّ والتقتيرِ والبخلِ والإمساكِ، وينطلقُ في معاني الكرمِ والإيثارِ والعطاءِ.

إن في حلاوةِ الإيمانِ ترطيباً لجفافِ المادةِ الطاغيةِ، وحداً من غُلواءِ الجشعِ والجزعِ، وغرساً لخلالِ البرِّ والمرحمةِ. ومن ثمَّ تتنزَّلُ السكينةُ على القلوبِ وتغشىٰ الرحمةُ النفوسَ:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢٣].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

= ح٤٧٧، ٤٧٨).

حلاوة الإيمان
الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ لا مانعَ لما أعطىٰ، ولا معطيَ لما منعَ أحمده سبحانه وأشكرهُ فضلهُ مُرتجىٰ وفي عفوهِ الطمعُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له منحَ الخيرَ وللمكروه دَفَعَ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه دعا إلى الحقِّ وجاهدَ في اللهِ وأشاد منارَ الإسلام ورفَعَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ الإيمانِ والرضىٰ والتقىٰ والورعِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الفزع.

أما بعد فاتقوا الله رحمكم الله فالسعيدُ من خاف يومَ الوعيدِ وراقبَ ربَّه واتقاهُ فيما يبدىءُ وما يعيدُ.

أيها المسلمون: من ضعُفَ إيمانُه يَضجُّ من البلاءِ لأنه لا يعرفُ المبْتَلِي، ويخافُ السفرَ لأنه لا زادَ له، ويَضِلُّ الطريقَ لأنه لا دليلَ معهُ.

فيالخسارةَ المستوحشينَ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

من فقد الإيمان انفرطَ أمرُه وانحلَّ عِقْدُه، يقولُ ويفعلُ من غيرِ رقيبٍ، ويسيرُ في دنياهُ من غيرِ حسيبٍ، سيرتُهُ مطبوعةٌ بطابَعِ الأَثرةِ والأنانيةِ. معدومُ الثقةِ بنفسِه وبالناسِ يَحِلُّ التدابرُ عندَهُ محلَّ التراحمِ، والتفرقُ محلَّ التعاونِ.

بغيرِ الإيمانِ وحلاوةِ الإيمانِ يعودُ الناسُ وحوشاً ضاريةً، يقطعونَ حِبالَهم مع اللهِ ومع الناسِ، انقادوا لنفوسِهم الأمارةِ بالسوءِ واجتالتُهم شياطينُ الجنِّ والإنسِ.

والحضارةُ المعاصرةُ بماديَّاتِها المغرقةِ وتقنياتِها الجافةِ خيرُ شاهدٍ على أن السعادةَ والحلاوةَ لا تحقِّقُها شهواتُ الدنيا ولا ماديَّاتُها، لا ترىٰ المرءَ فيهم إلا منهوماً لا يشبعُ، شهواتُه مستعِرةٌ ورغباتُه متشعِّبَةٌ، يجرهُ الحرصُ على الخِصامِ فيَشقىٰ ويُشقِي، ويغرسُ العداوةَ والعداونَ حيثما حلَّ وارتحلَ.

لقد أورثتهم حياتُهم هذه أمراضاً نفسية، واضطراباتٍ اجتماعيةً، وتقلُباتٍ فكريةً، كان مفزعُهم إلى المخدراتِ والمهدئاتِ والعياداتِ النفسيةِ والعلاجاتِ العصبيةِ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله وآمنوا بربِّكم وأطيعوا رسولَكم واستمسكوا بدينِكم (رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ رسولاً ونبياً).

بين حب الله والحب في الله
الخطبة الأولى

الحمد لله ألَّفَ بين قلوب المؤمنينَ فأصبحُوا بنعمتِهِ إخواناً، ونزع الغلَّ من صدورِهِمْ فكانوا في الدنيا أصحاباً وفي الآخرةِ خلاناً، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تبلغني لديه زلفىٰ ورضواناً. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه تصديقاً به وإيماناً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأتباعِه على دينه قولاً وعملاً وعدلاً وإحساناً.

أما بعد: فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، اتقوه حقَّ التقوى، اتقوه ما استطعتم، وتقربوا إليه، أحِبُّوا ربَّكم من كلِّ قلوبِكمْ.

فمحبتُه سبحانه منزلةٌ عليا، ومرتبةٌ عظمىٰ تَنَافَسَ فيها المتنافسون، ومن أجلها شَمَّر المتسابقون، وبرَوْح نسيمها تروح العابدون.

محبة الله قوتُ القلوبِ، وقرةُ العيونِ، وبهجةُ النفوسِ، من رُزقها ذهب بشرف الدنيا والآخرة، ومن حُرِمَها فهو في دياجيرِ الظلماتِ بل في عداد الأموات.

محبةُ اللهِ دلتْ عليها الفطرُ، وجُبِلتْ عليها النفوسُ، وأدركتْها العقولُ السليمةُ، بل لقد تنزَّلتْ بها الكتبُ، ودعت إليها الرسلُ:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل‌عمران: ٣١]، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وكيفَ لا تُدرِكُها العقولُ، ولا تُقْبِلُ عليها الفطرُ، وما من نعمةٍ في الوجودِ إلا وربُّنا مُسْديْها، وما من إحسانٍ في الدنيا والآخرةِ إلا ومولانا قد أولاه، وهو الذي يرفعُ البأساءَ ويكشفُ الضراءَ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣]. هو أكرمُ الأكرمين، وأجودُ الأجودين، يعطي قبل أن يُسألَ، ويعطي فوقَ المؤمَّلِ، يشكرُ القليلَ من العملِ، ويُنمِّيه، ويغفرُ الكثير من الزَّللِ ويمحوهُ، يحبُ الملحِّينَ إليه، ومن لم يسألْه يغضبْ عليه، يسترُ على عبدِه، والعبدُ لا يستر نفسه، ويرحمُهُ حيثُ لا يرحمُ العبدُ نفسَهُ، أرسلَ لهدايتِهِ الرسلَ، وأنزلَ من أجله الكتبَ، بلْ يَنزِلُ سبحانه كلَّ ليلةٍ وينادي: «**هلْ من سائلٍ فأُعطيَهُ، هل من مستغفرٍ فأغفرَ له، هل من داعٍ فاستجيبَ له**»[1] وذلك كلَّ ليلةٍ.

من أحقُّ بالحبِّ من هذا البرِّ الرحيم، من أحق بالحمدُ ومن أحق بالذكرِ والشكرِ، أجودُ من سُئِلَ وأوسع من أعطىٰ.

معاشر الأحبة: هذه المحبةُ الساميةُ، وهذا الشرفُ السامقُ تُغذِّيْه شعبُ الإيمان، وتنمِّيْه التقلبات بين سراء غامرةٍ وضراءَ مُدْبرةٍ والعيشُ في مراحلِ الجهادِ والمجاهدةِ والصبرِ والمصابرةِ.

فربُّكَ يحبُّ المتقينَ، ويحبُّ المحسنينَ، ويحبُّ الصابرين، وهو يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين، ويحب المتوكلين، ويحبُّ

---

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري ٣/ ٣٥ ـ ح١١٤٥)، ومسلم (١/ ٥٢١ ـ ح٧٥٨).

الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله الصلاةُ، ويحبُّ من العملِ ما داومَ عليه صاحبُه، ويحبُّ ان تؤتىٰ رخصُه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمُه.

وهو لا يحبُّ الفسادَ، ولا يحبُّ الكافرين، ولا يحبُّ الظالمين، ولا المعتدين، ولا يحبُّ من كان مختالاً فخوراً ولا من كان خواناً أثيماً.

حبُّ اللهِ لا ينالُه إلا المصْطَفَوْن من عباده. والتلذُّذُ بحبِّ اللهِ ليس متاحاً لكلِّ أحدٍ، ولكنه فضلٌ وسُموٌّ يتخيَّرُ اللهُ له من يشاءُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤].

نعم أيها الأحباب ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ من ذا يستطيعُ أن يفرضُ على الله حبَّه ـ تعالى الله ـ ولكنَّه يمنُّ بحبِه على من يشاء.

غير إنه سبحانه لا يُضِيْعُ زُلْفَىٰ من تودَّدَ إليه، وهو يعطي من تعرَّضَ لعطائه، ويهبُ الخير للأيْدي الممتدَّةِ إليْه.

أما من أدبرَ وتولىٰ فلا نصيبَ سوى الطردِ والهوان.

فحبُّ الله لا يرتبطُ بعواطفَ شخصيةٍ، ولا بروابطَ نسبيةٍ، ولا بعلائقٍ ماديةٍ، ولكنّهُ يعلو ويهبطُ بمقدار القربِ والبعدِ من المولى عزَّ وتبارك: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ [هود: ٤٦].

أيها الإخوة في الله: وحين يُرزقُ العبدُ محبةَ الله فإن ذلك ينعكسُ على سلوكِهِ لِيصْطَبِغَ بحياتِه التزاماً بالأوامرِ، وبعداً عن النواهي، يحبُّ ربَّه، ويتلقىٰ أوامِرَه بالحفاوة والإعظامِ والتنفيذِ،

ولاؤه لله، يعيشُ في أرض الله سلماً لأوليائه حرباً على أعدائه: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

حين يُرزقُ العبدُ حبَّ الله فإنه يُثمر عندَه الحبَّ في الله، فمن حلاوة الإيمان «**وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله**»(١).

إذا قوي حبُّ العبد لربِّه فتراه يحبُّ كلَّ من يقومُ بحقِّ الله في علم أو عمل، تراهُ يحبُّ كلَّ من فيه صفةٌ مرضيةٌ عند الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

هذه الثمرة من الحبِّ ليست شعاراً أجوفَ لكنها إخاءٌ روحيٌ وتعاقدٌ على الوفاءِ بتعاليمِ الإسلامِ وتحكيمِ شرائعِه وإبلاغِ هدايتِه.

في مجتمع الحبِّ في الله المُلْتَقى على شعائرِ اللهِ يقومُ إخاءُ العقيدةِ مقامَ إخاءِ النسبِ، صلتُهُ النسبِ محكومةٌ بحقائقِ الإسلامِ ومناهجه ومباهجه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أواصرُ الحبِّ الصادقِ في اللهِ هي التي جمَعتْ أبناءَ الإسلام، وأقامت دولتَهُ، ورفعتْ رايتَهُ، وفيها جاهدتْ الأمةُ وصبرتْ وصابرتْ.

إخاءٌ خالصٌ للهِ وودٌ قائمٌ على الإيمان بالله، وترابطٌ يَشدُّهُ حبلُ الله:

---

(١) متفق عليه. البخاري (١/ ٩١ ـ ح٢١)، ومسلم (١/ ٦٦ ـ ح٤٣) واللفظ له.

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

تلونت عواطفُهم الإنسانيَّةُ بالحبِّ في اللهِ والبغضِ في اللهِ حبٌّ وبغضٌ تبعاً لما يصيبُ الإسلامَ وأهْلَهُ من خيرٍ أو شرٍ يحبِّون أهلَ التقوىٰ الصلاحِ، ويكرهونَ أهلَ الإلحادِ والمبتدعاتِ، يمنعونَ الأذىٰ عن إخوانِهم، يردُّون عنهم عادياتِ الزمن.

مدينةُ رسولِ اللهِ ﷺ احتضنتْ الإسلامَ وأهلَ الإسلام على حبِّ الله، فكان الإيثارُ والسماحةُ والنَّدىٰ، والمساواةُ والمواساةُ، فشاعَ الحبُّ ونبتَ الاحترامُ وسادتْ التضحياتُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] إنه إخاءُ الحبِّ في الله وليس إخاءَ المنافعِ الزائلةِ والغاياتِ الدنيَّةِ.

أيها الإخوة: وهذا الحبُّ كما يكون بين الإخوانِ والرفاقِ المتعاصرينَ فإنه يحملُ طابعَ الاستمرارِ والبقاءِ ما بقيَ الإيمانُ، فلا يقتصرُ هذا الحبُّ على أبناءِ الجيلِ، ولكنه حبُّ الخلفِ الصالحِ للسلفِ الصالحِ، فتحسُّ الأمةُ برابطةٍ علويةٍ تجمُعها بسلفِها وتشدُّها إليها: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠].

كم من إمامٍ نحريرٍ وعالمٍ فذٍ وعابدٍ صالحٍ لم نر أشخاصَهم ولا صورَهم طويتْ قلوبُ الأمةِ على محبتِّهم والحماس لهم ولأمثالِهم وللمَجيْدِ من تاريخِهم، وما ذلك إلا لأن الأبصارَ والبصائرَ تعلقتْ بمواهبِهم الجليلةِ، وخصائصِهم المتميزةِ، وَصَلنا بهم الدينُ ووثَّقنا بهم الحبُّ في اللهِ لا نريدُ منهم ولا يريدون منا جزاءً ولا شكوراً.

ها هو الإمام البخاري يضيقُ عليه بلدُه فيخرجُ منها فينشُرُ عِلمَه في بلادِ اللهِ الواسعةِ وكان الجزاءُ الألهيُّ أن أباعبدالله البخاري كرَّمته الأمصارُ والأعصارُ منذ ظهرَ إلى بقيةِ الدَّهرِ: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۗ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ [ص: ٤٩]، وقبلهُ شيخُهُ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ خرجتْ بغدادُ كلُّها وراءَ جنازَتِهِ.

تَلْتَفُّ الأمةُ في سلَفِها وخلَفِها حول رجالاتِ الإسلامِ من الأئمَّةِ والفقهاءِ والعبادِ الصلحاءِ الذين أناروا الطريقَ بالعلمِ والصلاحِ والجهادِ، وحبَّبُوا إلى الناسِ ربَّهم وشرحوا صدورَهُم بذكرِهِ.

موقفُ الحبِّ هذا ـ أيها الإخوة ـ ليس لأجيالِ السلف من الخلف ولكنَّه محفوظٌ كذلك لأجيالِ المستقبلِ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ونبيُّكم محمدٌ ﷺ يقول: «**وَدِدْتُ أنَّا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أو لسنا إخوانك يارسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢١٨ ـ ح٢٤٩) واللفظ له، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٩ ـ ح٤٣٠٦)، والنسائي (١/ ٩٤)، وأحمد (٢/ ٣٠٠)، ومالك (١/ ٢٩ ـ ح٢٨).

هذه بعض آثارِ هذه المحبةِ في الدنيا وعلى النَّاس، أما في الآخرةِ عند المليكِ المقتدرِ فاسمعوا هذه الكوكبة من مشكاةِ النبوةِ، أخرج مسلم وغيرُه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول اللهُ تعالىٰ يومَ القيامةِ: أين المتحابون بجلالي؟ اليومَ أظِلُّهم في ظلي يومَ لا ظلَّ إلا ظلِّي**»[1]. وجاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله: رجلٌ يحبُّ القومَ ولمَّا يلحقْ بهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**المرءُ مع من أحبَّ**»[2]. وفي الحديث المتفق عليه: «**من السبعة الذين يظلُّهمُ اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: رجلان تحابَّا في اللهِ اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه**»[3].

وإن من عبادِ الله أُناساً ما هُمْ بأنبياءَ ولا شهداءَ يغْبِطُهمُ الأنبياءُ والشهداءُ بمكانهم من اللهِ، قالوا: يارسول اللهِ تخبرُنا من هم. قال: «**هم قومٌ تحابُّوا في الله على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموال يتعاطونها**»[4].

اللهم إنا نسألُك حبَّك وحبَّ من يحبُّك، وعملاً يبلغُنا حبَّكَ، اللهم ارزقنا حبَّك وحبَّ من يحبُّك، اللهم ما رزقتنا مما نحبُّ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٨ ـ ح٢٥٦٦)، وأحمد (٢/ ٢٣٧، ٣٣٨، ٣٧٠، ٥٣٥)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٥٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٥٧٣ ـ ح٦١٧٠) واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢٠٣٤ ـ ح٢٦٤٠).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٢/ ١١٥ ـ ح٦٨٠٦)، ومسلم (٢/ ٧١٥ ـ ح١٠٣١)، ومالك (٢/ ٩٥٢).

(٤) أخرجه أبوداود (٣/ ٢٨٨ ـ ح٣٥٢٧) وصححه الألباني.

فاجعله قوةً لنا فيما تحبُّ، وما صرفتَ عنا مما نحبُّ فاجعله انصرافاً إلى ما تحبُّ، اللهم آمين يارب العالمين.

بين حب الله والحب في الله
الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ويرضى ربنُّا، أحمده سبحانه وأشكره، تحبَّبَ إلى عباده بالنِّعم، وقام بأرزاقِهم، فما لأحدٍ منهم عنهُ غِنىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له البقاءُ ولمن سواه الفَنا، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ إلى الهدى ودين الحق أرشدنا، وعلى المحجة البيضاءِ أوقَفَنا، صلى الله وسلم وبارك علينه وعلى آله وأصحابه ساروا على نهجِه وتقرَّبوا إلى الله بحبِّه فكانوا أئمتَنا وقدوتَنا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الفنا.

أما بعد: فاتقوا الله أيها الناس، وأحبوا ربَّكم لما يَغذُوكم من نعمِه ويُنَزِّلُ لكم من رزقِهِ.

واعلموا أن من تمام محبته محبَّةَ ما يحبُّه وكراهةَ ما يكرهُه، فمن أحبَّ شيئاً مما كرهَهُ اللهُ، أو كرِه شيئاً مما يحبُّه اللهُ لم يكمُل توحيدُه ولم يتمحضْ تصديقُه، وكان فيه من الشرك الخفيِّ بحسَبِ ما كرهَ مما أحبَّه اللهُ، وبحسب ما أحبَّه مما كرههُ اللهُ.

واعلموا أن من أعظم الأسباب الجالبة لمحبة الله قراءة القرآنِ بالفهِم والتَّدبُّرِ، والتقربَ إلى اللهِ بالنوافلِ بعد الفرائضِ.

وفي الحديث القدسي: «**ما تقرب إلى عبدي بشيء أحبَّ إلى**

مما افترضتُه عليه، ولا يزالُ عبدي يتقربُ إلى بالنوافلِ حتى أحبَّه»[1].

وداومُوا ذكرَهَ باللِّسانَ والقلبِ والعمَلِ، والزموا الجدَّ والصدقَّ في تقديمِ ما يحبُّه ربكم على ما تحبُّه أنفسكمُ في الظاهرِ والباطنِ.

وأديموا النَّظَرَ في نعمِ الله وإحسانِه، وكرمِه وجودِه، وأظهروا الصدقَ في الأنكسارِ والخضوعِ والتذللِ بين يديه، وصدقَ المناجاة وتخيَّر الأوقاتِ الفاضلةِ، ومجالسَّة الصالحين، ومجانبةَ أسبابِ البعدِ والحرمانِ من المعاصي والمنكراتِ وقرناءِ السوءِ.

فكلُّ هذه مما يجلبُ محبةَ الله ويوصلُ إلى قربِه. فاتقوا الله رحمكم الله.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٨ ـ ح٦٥٠٢)، وأحمد (٦/ ٢٥٦).

عزنا في إسلامنا
الخطبة الأولى

الحمد للهِ أكملَ لنا الدينَ وأتمَّ علينا النعمةَ وجعلنا أهلَ الإسلام في الناس خيرَ أُمَّة. أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ وكان بُشرىٰ للمؤمنين ونُذراً للمخالفين ولجميعِ العالمينَ رحمةً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له وأشهدَ أن سيدَّنا محمداً عبده ورسوله كَمُلَ به بناءُ النبوةِ وخُتِمَ به ديوانُ الرسالةِ ونمتْ بِبعثتهِ مكارمُ الأخلاقِ محاسنُ الأفعالِ، فالفلاحُ لمن تبعَهُ والخزيُ والخسارُ لمن عصاهُ وخالف أمره. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كانوا على الحقِّ أعلاماً وللهدى أئمةً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ حقَّ تقاتِهِ اتقوا اللهَ مااستطعتُم واحذروا غضبَهَ ومقتَهَ فكم أغدقَ خيراً وكشفَ ضُرَّاً وسترَ عيباً ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

أيها الإخوة المسلمون: لا حياةَ لأمةِ الإسلام إلا بالإسلام، بقاؤها مرهونٌ بالمحافظةِ عليه، وفناؤُها راجعٌ إلَى التفريطِ فيهِ، تدومُ بداومهِ في قلوبِها وتضمحلُّ باضمحلالهِ من نفوسِها وديارِها. إنه دستورُها ونظامُها بل هو عزُّها وحياتُها.

دينٌ كاملٌ في مبناهُ، وافٍ في معناهُ، سامٍ في مغزاهُ، لاترىٰ فيه عوجاً ولا أمتاً. دينٌ نسبهُ اللهُ إلى نفسهِ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وأكملهُ لنبيِّه، ورضيه لخلقه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

لا يقبلُ اللهُ التدينَ بسواهُ، ولا يرضىٰ أن يُعبدَ بغير مقتضاهُ، لا ينجو المكلفُ بغير اتباعِه، من آمن به اهتدىٰ ومن أعرضَ عنه لم يقبلِ اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

أيها الإخوةُ: لقد عاشَ الدينُ بأحكامهِ قروناً متطاولةً، طوَّفَ في الآفاقِ شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، نزل السهولَ والوديانَ، واقتحمَ الصحاري والجبالَ، وحلَّ بالمدنِ والأرياف لاقىٰ مختلفِ العاداتِ والتقاليدِ، وتَقلَّبَ في شتىٰ الظروفِ والبيئاتِ، عاصر الرخاءَ والشدةَ، والفقرَ والغنىٰ، وصاحبَ الأمنَ والخوفَ، والقوةَ والضعفَ واجهَ الأحداتَ في جميعِ هذه الأطوارِ، وحكمَ وأفتى في كلِّ هذه الأدوارِ، فكانت له اليدُ الطولىٰ والسلطانُ الممدودُ لم يَعجزْ عن قضيةٍ ولم تُعْجِزْهُ نازلةٌ.

الرحمةُ غايتهُ، واليسرُ مسلكُهُ، والحقُّ منهجهُ، ماقَصُرَ عن حاجةٍ ولا قَعَدَ عن الوفاءِ بمطلبٍ.

عقيدةُ التوحيدِ فيه سبيلُ القوةِ، ودعوةُ الإخاءِ منهُ سبيلُ التعاونِ، ومبدأُ المساواةِ عنده سبيلُ العدلِ، والبرُّ في وصاياه سبيلُ المحبةِ، والسلام في تعاليمهِ أصلُ العلاقاتِ. وكلُّ أولئكَ مبادىءُ معلومةٌ من هذا الدينِ بالضرورةِ لا موضعَ فيها لتأويلٍ أو تعسفٍ.

دينٌ أنزله اللهُ عز وجلَّ بعلمِهِ على نبيِّه محمدٍ ﷺ، لم يضعْهُ البشرُ، ولم تنشئْهُ التقاليدُ والمجتمعاتُ. ما يضعهُ البشرُ محلُّ العجزِ والقصورِ، يتأثرُ بمؤثراتِ المكانِ والزمانِ، والحالِ والثقافةِ، ويخضع لتقلُّباتِ الهوىٰ والمزاجِ ومؤثراتِ الوراثةِ والعواطفِ.

هذا الدينُ أنزلهُ اللهُ الذي له الخلقُ والأمرُ ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكهُ ربُّ الناسِ ملكُ الناسِ إلهُ الناسِ.

لم يضعهُ البشرُ حتى يُخْضعوهُ لغاياتِهم ومشتهياتِهم ولكنه نزلَ من عند اللهِ ليرتقيَ به المجتمعُ وينصاعَ لهدايتِهِ وتوجيهِهِ، فكلمةُ الإسلامِ هي العليا ليقوم الناسُ بالقسطِ وتتحققَ مصالحُ العبادِ في المعاشِ والمعادِ.

غايةُ دينِ اللهِ إقامةُ الحقِّ والعدلِ المطلقِ بين الناسِ جميعاً. تحقيقُ الإخاءِ بينهُم وصيانةُ دمائِهم وأعراضِهم وأموالِهم وعقولِهم، كما هو صيانةٌ لدينِهم وأخلاقِهم.

لايغلبُ فيه قانونٌ على اقتصادٍ، ولا مادةٌ على أخلاقٍ، ولا دُنيا على دينٍ، إنه قضاءٌ واقتصادٌ، وروحٌ وأخلاقٌ، ودينٌ ودنيا.

أحكامهُ وتشريعاتهُ جامعةٌ بين الثباتِ والسعةِ، ثباتٌ في الأصولِ والمقاصدِ يستعصىٰ على الذوبانِ والميوعةِ والخضوعِ لكلِّ تغييرٍ. وهو في ذاتِ الوقتِ واسعٌ ذو مرونةٍ بفروعِهِ ووسائلِهِ، يتكيفُ ويواجهُ التطورَ ويلائمَ كلَّ وضعٍ يعلمُ ذلك ويقولُ به الراسخون في العلمِ والفقهِ.

يصوِّبُ الخطأَ، ويقوِّمُ المعوجَّ، ويهدي للتي أقومُ لكنه لا يذوبُ

أو يسوغُ أو يبررُ.

هدايةٌ للعالمينَ أجمعينَ، ورحمةٌ للناسِ كافةً؛ لا يختصُّ بجنسٍ من البشرِ ولا يُحدُّ بإقليمٍ من الأرضِ. بل هو للإنسانِ من حيثُ هو إنسانٌ للأبيضِ والأسودِ، والعربيِّ والعجميِّ المشرقيِّ والمغربيِّ فلا عنصرية ولا عصبيةَ ولا طبقيةَ ولا مذهبيةَ. الناسُ فيه سواءٌ، متساوون في حقوقِهم وواجباتِهم، مكلفون حسبَ قدراتِهم، عبيدٌ لربٍّ واحدٍ، وأبناءٌ لأبٍ واحدٍ. أبطلَ الدينُ بينهم فوارقَ الجنسِ واللونِ واللغةِ والأرضِ والطبقةِ والمالِ والجاهِ والسلطانِ.

في ظلِّ الإسلامِ تربَّىٰ الفردُ الحرُّ الكريمُ، يؤمنُ بربِّه ويعتزُّ بدينِه ويشعرُ بكرامتِه ويثقُ بحقِّه في حياةٍ آمنةٍ كريمةٍ عادلةٍ لا سلطانَ فيها لغيرِ الحقِّ ولا استعلاءَ لغيرِ الشرعِ ولا فضلَ إلا بالتقوىٰ.

لقد حررَ دينُ اللهِ العقولَ من الخرافاتِ والأوهامِ والظلمِ والقسوةِ.

نعم ـ أيها الإخوةُ ـ لقد رفعَ الإسلامُ مستوى المسلمينَ الأخلاقيَّ الثقافيَّ، أقام فيهم قواعدَ النظامِ الاجتماعيِّ والوحدةِ الاجتماعيةِ في نظامٍ أسريٍ عجيبٍ في برِّ والدينِ، ومودةٍ زوجيةٍ، وصلةٍ للأرحامِ.

وفي العلاقاتِ العامةِ نصحٌ بناءٌ، وصدقٌ في الرأيِ في أدبِ جمٍ، وقصدٍ حسنٍ، وسترٍ للعيوبِ، وبعدٍ عن الفضائحِ، ولم تبْنَ قاعدةُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ والنصحِ لكلِّ مسلمٍ إلا على هذا الأساسِ المكينِ المتينِ.

لقد أوجدَ الإسلامُ في أتباعهِ فيما أوجَدَ توازناً عجيباً بينَ الإذنِ بالمتاعِ الحسنِ والتحذيرِ من الإغراقِ في الملذاتِ، لقد علَّمهم دينهُم أن يواجهوا صعابَ الحياةِ ويتحملوا أثقالَها وبلاءَها بلا شكوىٰ ولا مللٍ، كما علمهم أن يأخذول بأسبابِها وسننِها في عزيمةٍ وتوكلٍ.

أما على مستوى العلاقاتِ الإنسانيةِ والدوليةِ فبناؤُها على أصل التسامحِ والجدالِ بالتي هي أحسنُ، حتى في أعظمِ حالاتِ الشدةِ والعدوانِ، بل حتى في ساعاتِ اشتعالِ الحروبِ حتى قال كاتبٌ غيرُ مسلمٍ:

(الحقّ أن الأممَ لم تعرفْ فاتحينَ متسامحينَ مثلَ المسلمين ولا ديناً سمحاً مثلَ دينِهم لم يحملِ المسلمونَ شعباً ولا أمةً بطريقِ الإكراهِ على اعتناقِ الإسلام، وقد كانوا قروناً عدةً يملكون من القوةِ والنفوذِ ما يُغريهم بذلكَ لولا سلطانُ الشريعةِ فوق رؤوسِهم ووازعِ الإيمانِ في صدورِهم، ولكن الشعوبَ دخلتْ في دينِ اللهِ ولم تخرجْ منه لِما رأوا من الحقِّ والرحمةِ والعدلِ حسنِ المسلكِ).

وكاتبٌ منهم آخرُ يقول: (إن المسلمينَ وحدَهم هم الذين جمعوا بين الغيرةِ لدينِهم وروحِ التسامحِ نحو أبناءِ الأديانِ الأخرىٰ إنهم مع امتشاقِ[1] الحسامِ لنشرِ دينِهم تركوا من لم يرغبُوا فيه على ديانتِهم، لقد أُعفيَ البطارقةُ والرهبانُ وخدمُهم من الجزية، وحرَّم نبيُّهم قتلَ الرهبانِ لعكوفِهم على العباداتِ، ولم يمسَّ عمرُ

---

(١) امتشاق الحسام أي سل السيف.

ابن الخطابِ النصارىٰ بسوءٍ حين فتحَ بيت المقدس في حين ذبح الصليبيونَ ـ والكلامُ لا يزالُ للكاتبِ منهم ـ المَسلمينَ وحرقوا اليهودَ بلا رحمةٍ حين دخلوا بيتَ المقدس. لقد نجحَ الإسلامُ حين فشلتِ الدياناتُ الأخرىٰ في مزجِ الإَيمانِ العميقِ بالتسامحِ الدينيِّ). اهـ كلامه.

وكأنكم أيها الإخوةُ تقولون لهذا الكاتبِ وقومهِ: هل الحالُ معادٌ في ديارِ البوسنةِ والهرسكِ؟.

أيها الإخوة في الله:

إن هذا الدينَ نعمةٌ وبركةٌ، ونظامٌ وقوةٌ مع حسنِ معتقدٍ وجمالٍ في الطبعِ وكرمٍ في الخلقِ توازنٌ وتكاملٌ وشمولٌ لا يوجدُ له نظيرٌ في أي بقعةٍ من بقاعِ العالمِ يسكنها رجلٌ أبيضُ أو أسودُ.

إن قواعدَ الإسلامِ ومبادئَه وأحكامَه وتوجيهاتِه تكفلُ للعالمِ نظامَه وسلامةَ وللمجتمعِ وحدتَه وقوتَه وللفردِ سعادتَه وكرامتَه مهما تطاولَ الأمرَ وتغيرَ الحالُ.

وإن ما يعرفُ بديهياً في حقائقِ الإسلامِ وتعاليمهِ من زمنٍ بعيدٍ يعتبر أمانيَّ كثيرَين ممن يعيشونَ في ظلالِ النظمِ الأُخرىٰ حتى عصرِنا هذا.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكُم اللهُ واعلموا أنه لن يجمعُ شعوبَ الإسلامِ ولن يعيدَ إليها عزَّها وكرامتَها إلا صدقُ تمسكِها بدينِها وحسنُ معتقدِها بإسلامِها فلن يُصْلحَ آخرُ هذه الأمةِ إلا بما صَلحَ به أولُها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

عزنا في إسلامنا

الخطبة الثانية

الحمد لله هدانا للإسلام، أحمده سبحانهُ وأشكرُه حمداً وشكراً يستجلبان مزيدَ الإنعام. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له له الملكُ القدوسُ السلامُ. وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جاء بالكتابِ والحكمةِ فشرعَ الشرائعَ وبيَّنَ الأحكامَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أكملَ صلاةٍ وأعظمَ بركةٍ وأزكى سلامٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ وأوثقَ العرىٰ كلمةُ التقوىٰ وخيرَ المللِ ملةُ إبراهيمَ وأفضلَ السننِ سنةُ محمدٍ عليهما الصلاةُ والسلامُ، وخيرَ الأمورِ عوازمُها وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وأعمى العمىٰ الضلالةُ بعد الهدىٰ وخيرَ الزادِ التقوىٰ فاتقوا الله رحمكم الله.

أيها الإخوةُ: يقولُ شمسُ الدينِ الحافظُ ابنُ القيِّم رحمه الله في وصفِ الشريعةِ المطهرةِ: حَسْبُ العقولِ الراجحةِ والآراءِ الفاضلةِ أن تُدركَ حسنَها، وتشهدَ بفضلِها، فما طرقَ العالمَ شريعةٌ أكملُ ولا أجلُّ ولا أعظمُ منها، فهي نفسُها الشاهدُ والمشهودُ له، والحجةُ والمحتجُّ له، والدعوىٰ والبرهانُ. أعظمُ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بها على عبادِهِ، وما أنعمَ عليهم بنعمةٍ أجلَّ من أن هداهُم لها وجعلَهم من أهلِها، ارتضاها لهم وارتضاهم لها.

هذه هي الشريعةُ في نصاعتِها ونضارتِها وفضلِها وعظمتِها.

ثم انظروا وفقكم اللهُ إلى الإمام المفسرِ قتادةَ بن دعامةَ رحمهُ اللهُ وهو يصفُ حالَ العربِ قبل الرسالة وهو يتلوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يقول قتادة:

كان هذا الحيُّ من العربِ أذلَّ الناس ذُلاًّ. وأشقاهُ عيشاً وأبينَهُ ضلالةً وأعراه جلوداً وأجوعَه بطوناً بينَ فكيّ أسدِ فارسَ والروم، لا واللهِ ما في بلادهِم يومئذٍ شيءٌ يحسدونَ عليهِ، من عاش منهم عاشَ شقياً ومن مات رُدِيَ إلى النارِ، يُؤكلون ولا يأكلون. والله ما نعلم قبيلاً[1] يومئذٍ من حاضر الأرضِ كانوا فيها أصغرَ حظاً وأضعفَ شأناً منهم حتى جاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالإسلام فورَّثكُم به الكتابَ وأحلَّ لكُم به دارَ الجهادِ، ووضعَ لكم به الأرزاقَ، وجعلكم به ملوكاً، وبالإسلام أعطى اللهُ ما رأيتُم فاشكروا نعمتُه فإن ربَّكم منعمٌ يحبُّ الشاكرينَ، وإن أهلَ الشكرِ في مزيدٍ من اللهِ، فتعالىٰ ربنا وتبارك.

---

(١) أي جماعة أو قبيلة.

نظرات في سورة العصر
الخطبة الأولى

الحمدُ لله جعل كتابَه إلى كل خيرٍ هادياً، ومن كل داء شافياً، وعما سواه مُغنياً وكافياً، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، قام بالحق داعياً، وكان للتوحيد حامياً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً متوالياً.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي ـ عباد الله ـ بتقوىٰ اللهَ، فالموصِي بها كثير، والعاملُ بها قليل.

أيها المسلمون: القرآنُ كتابُ الله العزيز، المصدرُ الأول، والمرجع المقدم في كل عصرٍ وفي كلِّ أمر، يُرْجعُ إليه لتُسْتَقىٰ منه المعارفُ الحقَّه، والعلومُ الصحيحة، يُرْجعُ إليه لينضبط المسلم في مسيرته، ويحفظ نقاء فطرته. في القرآنِ العظيم تحقيقُ الحياةِ الفاضلةِ في قضايا الفردِ والأمةِ، علميةً وعمليةً، اجتماعيةً وسياسيةً، في العلاقاتِ والنُّظمِ، وفقهِ التنظيماتِ الدستوريةِ والاقتصاديةِ والعلاقاتِ الدَّوليةِ.

القرآن كتابٌ من ربنا لا ريبَ فيه، ما شانه نقصٌ ولا شابَه زيادة، هو المرجع الموثق: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، استوعبَ حقائقَ النبوةِ الأولى، وقدم خلاصةَ هداياتها: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

لقد حمل القرآنُ العظيمُ بين دِفَّتَيْهِ الشُّهودَ التاريخيَّ بما قص من أخبار الماضين، والشهودَ الحضاريَّ بما تجسد من سيرةِ سيِّدِ المرسلين ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وبما تمثل من أحوال خير القرون المفضلين. وحَمَل الشهودَ المستقبلي بما أصَّلَ من قواعدَ، وأسَّسَ من مبادىءَ، ورسم من معالمَ، وكلَّف من نظرٍ وتدبرٍ في سننِ اللهِ والأنفسِ والآفاقِ.

يجب أن يتأكَّد كلُّ مُسلمٍ وكلُّ عالمٍ وكلُّ رجلِ دعوةٍ، كما يجب أن يعلم كلُّ مخالفٍ وجاحدٍ ومُتَنكِّرٍ أن أي محاولةٍ للإصلاحِ تتجاوزُ القرآن أو تهجرُه أو تَتَخطَّاهُ فهي محاولةٍ خاسئةٌ خاسرةٌ، أبصارُ أصحابِها كليلةٌ، وبصائرُهم صَدِئةٌ.

ومع هذا ـ أيها الإخوة ـ فإن واقعَ كثير من المسلمينَ من قرآنِهم مُؤرِّقٌ، وعلاقةَ كثيرٍ منهم بكتابهم يَحْكمها نوعٌ من الهجرِ خطيرٌ، ويسودُها نصيبٌ من العقوقِ كبيرٌ، وكأنهم قد حذوَا حذو أهل الكتاب: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨].

إن أعداءَ الإسلامِ جادُّونَ في فتنة المسلمين عمَّا أُنزِل إليهم لِيَتَطلَّعوا إلى مناهج أخرىٰ، ويتعاملوا مع مبادىءَ غيرِ ملةِ الإسلامِ: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

يا أهل القرآن: ومن أجل مزيدٍ من الاعتبارِ والنَّظرِ هذه وقفةُ تَأمُّلٍ وتدبرٍ مع سورةٍ من سور القرآن الكريم، سورةٍ من أقصر سوره، سورةٍ ذاتِ آياتٍ ثلاثٍ، جمعتْ علومَ القرآنِ وغاياتِهِ،

تضمَّنتْ جميعَ مراتبِ الكمالِ الانساني؛ من الإيمانِ الصادقِ، والعملِ الصالحِ، والإحسانِ إلى النفس، والإحسانِ إلى الغير. في هذه السورة العَظيمة، يتمثلُ نهجُ الإسلامِ وطريقُه، وتبرزُ معالمُه وأركانِه.

هذه السورةُ الكريمةُ تؤكِّدُ أنه ليس إلا طريقٌ للنجاة واحدٌ على امتدادِ الزمانِ في جميع الأعصارِ، وامتدادِ الإنسانِ في كلِّ الأمصارِ، ليس هناك للربحِ إلا سبيلٌ واحدٌ.

تقول بعضُ الرواياتِ؛ كما أخرجَ الطبرانيُّ في الأوسطِ والبيهقيُّ في الشُّعبِ: إن الرجلينِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدُهُما على الآخر هذه السورة[1]. إنها سورةُ العصرِ. يقول الله عز وجل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

الصلاحُ وسبيلُ الاصلاحِ يرتكزُ على معالمَ أربعةٍ: الإيمانُ والعملُ الصالحُ، والتواصيْ بالحقِّ، والتواصيْ بالصبرِ.

بُدئت السورةُ بالقسمِ بالعصرِ، وهو الدَّهرَ كلُّه أو جزءٌ منه وسِرُّ القَسَمِ بالدَّهرِ أو بجزءٍ منه في هذه السورةِ أو غيرها من الضحى والفجرِ والليلِ والنهارِ والصبحِ والغسقِ لاشتمال ذلك على أصنافِ العجائبِ. يشتمل على بديعِ التكوينِ الربَّاني، الدالِّ على عظيمِ قدرتِه سبحانه وسعة علمه، فالدَّهرُ أيامُ الله، يُجْرِي فيها بحكمتهِ

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. انظر المجمع (١٠/ ٢٣٦)، والبيهقي في الشعب.

ما يشاء من الخلقِ والرزقِ، والإحياءِ والإماتةِ، والإعزازِ والإذلالِ، والخفضِ والرَّفعِ، قدرٌ يَنْفُذُ، وآيةٌ تظهرُ، أمةٌ تذهبُ وأخرى تأتي، دولةٌ تعلو وأخرى تهبطُ، ليلٌ يعقبه نهارٌ، ونهارٌ يطرده ليلٌ. موجودٌ شبيهٌ بالمعدوم ومتحركٌ يضاهي السَّاكنَ، بجريانِ الليلِ والنهارِ؛ تنتظم مصالحُ العالم على أكملِ ترتيبٍ وأتمَّ نظامٍ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ١٠ ـ ١١].

الزمنُ والعصرُ وعاءُ الإنسانِ وظرفُهُ، تجري فيه أعمالُهُ، ويقعُ فيه ما يرجو من سعادةٍ وما يخشى من خسارٍ. فيه يقوم الناسُ إلى زروعِهم وتجاراتِهم، وأرزاقِهم وأسواقِهم.

ذلكم هو العصر الذي أقسم الله به.

أما المقسمُ عليه، فخسارةُ الإنسانِ كلِّ إنسانٍ؛ الأحمرِ والأسودِ، في الشرقِ وفي الغربِ، من الشمالِ ومن الجنوبِ. كلُّ هؤلاءِ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ [إبراهيم: ١٨]. خسرانُ الكفرِ والضلالِ والعصيانِ، تفسدُ فِطَرُهُم وتسُوءُ مقاصِدُهم.

ولا ينجوْ ولن ينجوَ إلا من استكملَ أسباب النجاةِ التي دلت عليها السورةُ الكريمةُ.

وأولُها الإيمانُ باللهِ وبما جاء من عندِ اللهِ؛ عبادةً لله وخضوعاً، فهو سبحانه القويُّ الأعلىٰ. الإيمانُ الحقُ يودع في القلبِ نوراً، ويورثُ في الرُّوح طُمأنِينَةً ويملأُ النفسَ أُنساً، فيزولُ الخوفُ والاضطرابُ كما ينتفي الكبرُ والاستعلاء.

حينما تصفوْ النفوسُ بالإيمانِ فإن المشاعرَ تَصفوْ وتَعلوْ، وتُحسُّ بكرامتِها على اللهَ، فَتَجزِمَ بمراقبة ربِّها عليها، واطلاعِهِ على مكنوناتِ صدورِها وضمائِرِها.

الإيمان هو الأصل الذي يُنْبِتُ فروعَ الخيرِ ويَنْشُرُ ثِمارَ الصَّلاحِ وترتبطُ به جميعُ مسالكِ الحياةِ الطَّيبةِ.

الإيمانُ الحقُّ هو برهانُ سلامةِ الفطرةِ، إذا فُقِدَ فسدتِ الحياةُ وفسدَ الإنسانُ. بفقد الإيمان لا يصحُّ عملٌ ولا تستقيمُ حالٌ ولو كان على ظاهرِه مسحةُ صلاحٍ أو بَريقُ منفعةٍ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

أما العملُ الصالحُ فهو ثمرةُ الإيمانِ، وهو صورته الخارجيةُ. إن الإيمانَ هو الدافعُ الصحيحُ للحركةِ المباركةِ، والعملِ الصالحِ، والعناءِ الشامخِ، والتعميرِ الراسخِ..

إن الإيمانَ ليس إنكماشاً ولا سلبيةً ولا انزواءً، والنوايا الطيبةُ، والمقاصدُ الحسنةُ وحدَها لا تكفي، فالإيمانُ آثارُهُ حركةٌ خيِّرةٌ ومسيرةٌ بانيةٌ.

أما التواصي بالحقِّ وبالصبرِ فهو ركنُ الرابطةِ بين أبناء المجتمعِ وأفرادِ الأمةِ. التواصيْ بالحقِ والصبرُ عليه هو منهجُ أمةِ الإسلام، أمةِ الخيرِ الشاهدةِ على الأممِ، القيِّمةِ على أهلِ الأرضِ، أمةِ الحقِّ والعدلِ.

أمةٌ متواصيةٌ حارسةٌ للحقِّ متواصيةٌ به ومتواصيةٌ بالصبرِ عليه.

إن التواصيَ بالحقِّ ضرورةٌ لبقاءِ الأُمةِ. ومردُّ ذلك ان النهوضَ بالحقِّ مسئوليةٌ ثقيلةٌ، والمعوقاتُ كثيرةٌ، وهوى النفوس أعظمُ، وتقديرُ المصالح وتشابُكُها، واختلافُ التصوراتِ واختلالُها، وتدَخُّلُ أهلِ الجورِ والظلمِ والهوىٰ، كلُّ ذلك يحتِّمُ لزومَ التواصي بالحقِّ، والتذكيرِ به، والتعاونِ الجادِّ على تحقيقه، والاستمساكِ به. مضموم إلى ذلك التواصيْ بالصبرِ، فالصبرُ مطيَّةٌ لا تَكْبُوْ، صبرٌ على الأذى والمشقة وتبجُّح أهلِ الباطلِ وانتفاخِ أهلِ الشرِ، صبرٌ على طولِ الطريقِ وبطءِ الحركةِ وتعدُّدِ المراحلِ، صبرٌ على انطماسِ بعضِ المعالمِ وبُعْدِ المقصدِ وعلوِّ الهمةِ.

وقد جاء اللفظُ القرآنيُّ: (وتواصوا)، ولم يقلْ (أوصوا) تأكيداً للمسؤليةِ الجماعيَّةِ، فالنجاةُ إنما تناطُ بحرصِ كلِّ فردٍ من أفرادِ الأمةِ على الحقِّ في نفسهِ ودعوتِهِ إليه غيْرَهُ.

والحقُّ والإيمانُ والعملُ الصالحُ كلُّ أولئكِ لا تقومُ إلا بالحراسةِ المجتمعةِ المتواصيةِ المتكافئةِ المتضامنةِ.

إن شرطَ النجاةِ من الخسرانِ والسلامةِ من الضياعِ أن يعرف الناسُ الحقَّ، ويُلْزِمُوا به أنفُسَهم، ويُمَكِّنوه من قلوبِهم وأعمالِهم، ثم يُوصي به بعضُهم بعضاً.

إنهم إن لم يفعلوا ذلك فقد عرَّضُوا أنفُسَهم لسبيل الخاسرين. فالخسرانُ قرينٌ لكل عملٍ لا إيمانَ معه، وهو قرينٌ لكلِّ أمةٍ لا تأخذ بمبدأ التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

نظرات في سورة العصر
الخطبة الثانية

الحمد لله أوضح السُّبلَ، ورَفَعنا بالقرآنِ العظيمِ إلى أعلى المُثُلِ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَّنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضلُ الأنبياءِ والرسلِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعي ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فاتقوا الله رحمكم الله.

قال العلامة شمسُ الدين ابن القيم رحمه الله إن الأخذ بهذه السورةِ يَقُودُ إلى بلوغِ درجاتِ الكمالِ الإنسانيِّ، ويتحققُ ذلك بأن يكونَ المرءُ كاملاً في نفسِه، مكملاً لغيره. فكمالُه بنفسِه بإصلاح قوَّته العلميةِ والعمليةِ، فالقوةُ العلميةُ بالإيمانِ والقوةُ العمليةُ بالعملِ الصالحِ، وتكميلُهُ غَيْرَهُ بتعليمِهِ إيَّاهُ، وصبرِه عليْه، وحثِّه على العلمِ والعمل.

وكلُّ ذلك أخذٌ بالحقِّ ، وانقيادٌ له، وتوجيهٌ إليه، واسداءٌ للنصحِ، ومحبةٌ للناصحين.

ورحم اللهُ الإمامَ الشافعيَّ فقد قال: (لو ما أنزل اللهُ حجةً على خلقه إلا هذه السورةَ لوسعتهم).

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، وأقرأوا كتابَ ربِّكم واتلوه حقَّ تلاوتِه، ثم صلوا وسلموا على نبيكم محمد رسول الله فهو النعمة المسداة والرحمة المهداة.

زهد وعفة

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدىءِ المعيدِ، ذي العرشِ المجيدِ، الملكُ ملكهُ والخلقُ خلقُه يحكمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريد. أحمدُه سبحانُه واشكرُه وأتوبُ إليهِ وأستغفرُه وأسألُهُ من فضلِه المزيدَ. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُه أقامَ أعلامَ الملةِ وأشادَ إركانَ التوحيدِ، منصورٌ بربِّ العزةِ فحازَ المجدَ التليدَ، ومازاده ذلكَ إلا تواضعاً وما كان في الدنيا إلا زاهداً يأكلُ ما يجدُ ويرفأُ[1] ثوبهُ ويخصفُ نعلهَ ويحلبُ شاته وقال: «**إني ابن امرأة تأكلُ القديدَ**»[2].

صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسان من سائر العبيد.

أما بعدُ: أيها الناسُ اتقوا الله ربَّكُم فتقواه عُدَّةُ يومِ المعادِ، وتمسكوا بكتابِ ربِّكم وسنةِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ فالتمسكُ بهما جهادٌ من أعظم الجهادِ. والزموها كلما تكاثرتْ الأهواءُ وتشعَّبتْ السبلُ واستشرىٰ الفسادُ.

---

(١) يرفأ ثوبه: يُصلح ما تمزق منه بالخياطة.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٠٠ ـ ح٣٣١٢)، والحاكم (٢/ ٤٦٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

أيها الإخوةُ المسلمون: تضمَّن الإسلامُ فيما تضمَّنَ طائفةً من الارشاداتِ المتصلةِ بحياةِ المسلمِ الخاصةِ. ارشاداتٍ تُرتِّبُ شؤونَه النفسيَّة والبدنيَّة، آدابٌ تتعلقُ بمطعمهِ ومشربهِ وملبسهِ ومسكنهِ. بل إنها تهذيبٌ لآمالهِ وتوجيهٌ لتطلعاتِه في الحياةِ كلِّها. تعليماتٌ وآدابٌ تحفظُهُ من الجنوحِ إلى الرهبانيةِ المغرقةِ وتقيهِ من الوقوعِ في أوحالِ الماديةِ الجشعةِ.

وسطيةٌ بين رهبانيةٍ لا تطيقُها النفسُ ويتعذبُ بها الجسدُ وبهيميةٍ قاتلةٍ قائمةٍ على عبثِ الشهواتِ ومطاوعةِ الأهواءِ.

وبموجبِ هذه التوجيهاتِ وبمقتضىٰ هذه الآدابِ فإن المسلمَ يقسِمُ آمالهَ ورغائبه على معاشهِ ومعادهِ ويطلبُ الخيرَ لنفسهِ في يومهِ وفي غدهِ. إنه تحقيقٌ للسعادةِ في الدارين، والنعمةِ في الحياتين. ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢]، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ . .﴾ [القصص: ٧٧].

ومن أجلِ مزيدِ بسطٍ لهذا المعنىٰ وإيضاحٍ لذاتِ المقصودِ تأمَّلوْا ـ رحمكم الله ـ هذه القصةَ التي جرتْ على مائدةِ محمدٍ ﷺ، وتأملوْا معها التفسيرَ النبويَّ الكريمَ فلقد أضافَ رسولُ الله ﷺ ضيفاً كافراً فأمرَ له بشاةٍ فحلبتْ فشربَ من حِلابَها، ثم أُخرىٰ فشربه ثُمَّ أخرىٰ فشربه حتى شربَ حلابَ سبعَ شياهٍ، ثم إن هذا الضيفَ أصبحَ فأسلمَ فأمرَ له رسولُ اللهِ ﷺ بشاةٍ فشربَ حِلابَها،

ثم أخرى فلم يَستَتِمَّها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أن المؤمنَ ليشربُ في معىً واحدٍ والكافرَ يشربُ في سبعةِ أمعاءٍ**»[1]. أخرجَ هذا اللفظ مسلمُ رحمه الله في صحيحهِ من خبرِ أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوةُ: إن ذلكم الرجلَ انتقل من الجاهليةِ إلى الإسلام وحينما انتقلَ عرف الربَّ وفهم التكاليفَ فأخذت همتُه إلى الآخرةَ تترقىٰ. نعم لقد ارتفعتْ همتُه لتأسيس حياةٍ أعزَّ وأعلىٰ وأغلىٰ. فكان أن عزَفَ عن دنايا أهل الدنيا ومشتهياتِ البطونِ.

وهكذا في توجيهاتِ الإسلامِ وآدابهِ ميزانُ الوسطِ والاعتدالِ ومفهومُ الزهدِ والعفةِ والقناعةِ.

في هذا الميزان: ملذاتُ الطعامِ والشرابِ ورغائبُ النفوسِ العاجلةِ أنزلُ قدراً من أن يتفانىٰ الناسُ فيها على النحوِ البهيميِّ الشائنِ.

أيها الإخوةُ: إن التوسطَ لبُّ الفضيلةِ. والتوسطُ في حقيقتهِ أن تملكَ الحياةِ لتُسخرَها في بلوغِ المثلِ العليا، وليس من التوسطِ أن تملكَ الحياةِ ثم تسخرُها للمشتهياتِ والرخيصةِ.

لاشك أيها الإخوة. إن للجسدِ مطالبَ أجمعَ العقلاءُ على لزومِ تحقيقِها، كما أجمعوا على أن في انتقاصِها إضراراً به، وذمُّ الحياةِ الماديةِ إنما يقصدُ به بطنةُ المترفينَ وبَشَمُ الممعودينَ[2].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٩/٤٤٦)، ومسلم (٣/١٦٣٢ ـ ح٢٠٦٣) واللفظ له.

(٢) بَشِم من الطعام ـ بشماً: أكثر منه حتى اتَّخَمَ وسئمه، والممعود: هو من فسدت معدته فلم تستمرىء الطعام، والمراد: أن معدته صارت لا تستمرىء الطعام بسبب كثرته والاسراف فيه.

ولزيادةٍ في فهمِ الوسطِ والتوسطِ في هذا البابِ فهذه وقفةٌ قصيرةٌ مع مفهومِ الزهدِ القرينِ والنظيرِ للعفةِ والقناعةِ.

إن الزهدَ ليس بتحريم الحلالِ ولا بإضاعةِ المالِ، ولكن الزهادة في الدنيا ألاَّ تكونَ بما في يديْك أوثقَ مما في يدِ اللهِ، وأن يكون حالُك في المصيبةِ كحالكَ إذا لم تصبْ بها، وأن يكون مادُحك وذامُك في الحقِّ سواءً هكذا قال السلفُ. ويُعلِّقُ على ذلك الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمهُ اللهُ فيقول: كلُّ هذه من أعمالِ القلوبِ لا من أعمالِ الجوارحِ، ولهذا قيلَ: لا نشهدْ لأحدٍ بالزهدِ فإن الزهدَ في القلبِ، وعليه فإن مبنىٰ الزهدِ على قاعدتين عظيمتينِ إحداهما: الثقةُ بما عند اللهِ، ثانيهما: اليأسُ مما في أيدي الناس.

وشمسُ الدين ابنُ القيم رحمه الله يقولُ: ليس المرادُ بالزهدِ في الدنيا خلوَّ اليدِ والقعودَ صفراً، وإنما المرادُ اخراجُها من القلبِ بالكليةِ فلا يلتفتُ إليها ولا يَدعُها تساكنُ قلبَه وإن كانتْ في يده. فليس الزهدُ أن تتركَ الدنيا من يدكَ وهي في قلبِكَ، وإنما الزهدُ أن تتركَها من قلبكَ وهي في يدِكَ، والقلبُ المعلقُ بالشهواتِ لا يصحُّ له زهدٌ ولا ورعٌ. ليس الزهدُ الرضا بشظفِ العيشِ والذلِّ والاستكانةِ والابتذالِ والخضوعِ المصطنعِ، وليس هو بهجر الناس والبعدِ عن معتركِ الحياةِ، لكنه قصدٌ في الطلبِ وزهدٌ في الحظوظِ والرغباتِ.

أيها الإخوة: إن الزهدَ معنى شريفٍ، إنه حالةٌ من الرضا والتوكلِ والعملِ. رضاً يرتفعُ به عن التسخطِ على ما ليسَ في

اليدِ، وتوكلٌ يتقي به الحرصَ المهلكَ على المكنونِ في الغيبِ، عملٌ وكدحٌ تحصلُ به العفةُ والاستغناءُ.

الزهدُ ـ يا طلابَ الزهدِ ـ أن يكون لك من هُمُومِكَ الجادةِ وهمتِك العاليةِ ما هو أعلى وأغنىٰ، ولك من أَشْغالِك وانشغالِك ما هو أنفعُ وأجدىٰ.

الزهدُ ـ يا أهلَ الزهدِ ـ أن تشيحَ بوجهكِ وتربأَ بنفسكَ عما لا يُهمُّكَ من أفعالِ السوءِ ومقالاتِ السوءِ وفضولِ الحديثِ والعملِ، فلك من همِّكَ ما يصرفُك، وعندكَ من شأنِك ما يغنيكَ.

الزهدُ ـ في أسمى معانيهِ ـ يحفظُ عليكَ اهتماماتك فلا توزِّعُها مجاناً يعبثُ بها كلُّ همَلَ ممن لا قضيةَ له ولا عملٌ.

أهل الزهدِ هم أهل التقىٰ والخشيةِ، أعفُ الناسِ ألسناً، وأكثرُهم لفراغهِ شَغْلاً.

نعم إنهم أعزُّ أنفساً، وأشمُّ أنوفاً، وأعلى رؤوساً. إن الزهدَ على حقيقتهِ هو مجاهدةُ النوازعِ الفاسدةِ، والانانياتِ المفرطةِ، واللؤم في الطبعِ، والتعديْ والتحديْ وحبِّ الظهورِ وسوءِ الغرورِ.

. إن أزماتِ الناس والعالم لم تنشأْ إلا من غيابِ هذا المفهومِ الناصِعِ. لم تنشأ إلا من الأَثَرَةِ المفرطةِ والتحاسدِ والبغيِ والاستعلاءِ المستبدِّ والتدخلاتِ الجائرةِ. ومن أجل هذا فإن من قلَّ زهدُه عظمتْ الدنيا في عينهِ فأحبَّ المدحَ وكرِه الذمَّ وربَّما تركَ كثيراً من الحقِّ خشيةَ الذمِّ واقتحم كثيراً من الباطلِ رجاءَ المدحَ.

والحَظُوْا ـ حفظكم الله ـ هذه الصورةَ التطبيقيةَ المعاصرةَ لتربطوا بين حقيقةِ الزهدِ وسموِّ الهدفِ وعلوِّ الهمةِ وأنواعِ الاهتماماتِ.

إنها صورة باهتةٌ لبعضِ الشبابِ وقد جعل من جسمهِ ولباسهِ محطَّ زينةٍ يسيرُ بها في الناس يرتقبُ نظراتِ الإعجابِ تنهالُ عليه من هنا وهناكَ. إن هناك فتيَاناً أغْراراً يقضون الساعاتِ الطوالِ في البيوتِ وغيرِ البيوتِ وأمامَ المرايا وغيرِ المرايا ليس لهم من همٍّ ولا عملٍ إلا استكمالُ وجاهتِهم وللاطمئنانُ إلى أناقتِهم ولو أنهم كُلِّفُوا ببذلِ هذا الوقتِ في تَزوُّدٍ من علمٍ أو جدٍّ في عملٍ أو تفقهٍ في دينٍ أو اشتغالٍ بدعوةٍ لنفروا ونكصوا. إنهم يحسَبُون أتساقَ الملابسِ على الأجسادِ عنوانَ الكمالِ وعلامةُ الرجولةِ ألا ساء ما يَحسبون.

وفي مقابل ذلك فليس من المطلوبِ القصدُ إلى الملابسِ الرثةِ والهيئةِ المتبذلةِ أو لبسِ المرقَّعاتِ وارتداءَ الخرقِ الباليَاتِ كما يظنُّ بعض جهلةِ المتعبدين.

انصتوا إلى هذا الجوابِ الحكيمِ من الفقيهِ الزاهدِ الصحابي الكريمِ عبدِالله بن عمر رضي الله عنهما فقد سأله سائلٌ عما يلبسُ من الثيابِ فقال: البس ما لا يزدريكَ فيه السفهاءُ ولا يعيبكَ به الحكماءُ.

وأوضحُ من ذلك وأصدقُ قولُ نبيِّنا محمدٍ عليه الصلاة والسلام: «**ما على أحدكم إن وجَدَ سعةً أن يتخذَ ثوبينِ ليومِ الجمعةِ غير ثوبيْ مهنتِهِ**»[1].

---

(١) أخرجه أبوداود (١/ ٢٨٢ ـ ح١٠٧٨)، وصححه الألباني، وأخرجه ابن ماجه (١/ ٣٤٩ ـ ح١٠٩٦) واللفظ له، ومالك في الموطأ (١/ ١١٠ ـ ح١٧).

هذا هو الزهدُ وذلكم هو الوسطُ، وهذا هو مفهومُ العفةِ والقناعةِ الرضا وأخذِ المرءِ مما يجدُ.

إن التجمَّلَ وحسنَ السمتَ في إسلامنا محبوبٌ مرغوبٌ، ولكنه ذو علامةٍ فارقةٍ عمن يزخرِفُ ظاهرَ بدنِه ويهملُ باطنَه.

ومرةً أخرىٰ أيها الأخوة أين هذا الاعتدالُ من بدعِ عالمِ اليوم التى لا تنتهي؟؟ فللصيفِ عندهم لباسٌ، وللشتاءِ زَيٌ، ولباسُ الخريفِ غيرُ الربيعِ. وملابسُ الليلِ لا تصلحُ للأصيلِ وهندامُ الصباحِ لا يناسبُ العشيِّ. وهذا شططٌ سمجٌ يفرضه على مجتمعاتِ الشرقِ والغربِ النساءُ وعبيدُ النساءِ وأشباهُ النساءِ، وهو هوسٌ يبرأ الإسلامُ منهُ، ويتنزهُ عنهُ العقلاءُ فضلاً عن الأتقياءِ.

وبعدُ أيها الإخوة: فإن كِفْلاً من ضياعِ الأمةِ وتصدعِ المجتمعِ يرجعُ إلى الجهلِ بهذه الحقائقِ وغيابِ هذه المفاهيمِ ضياعُ العفةِ والقناعةِ وتشويهُ مفهومِ الزهدِ واندراسُ وضاءَتِه ونصاعَتِه.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واعرفوا الحقائقَ من الزيوفِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾

[الأعراف: ٣١ ـ ٣٣].

زهد وعفة
الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم في شأنه، الدائم في سلطانه، أحمده سبحانه على جزيل برِّه وإحسانه، وأشكره على سوابغ كرمه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً تُبَلِّغُ إلى رِضوانه، واشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله أشاد منار الإسلام وأحكمه في بنيانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

أيها الإخوة: أن ترويضَ النفس بمستوىً من المعيشةِ يتحققُ به الكفافُ ويُبْعِدُ بصاحبه عن الفضَولِ أعونُ شيء على العزةِ ورفعِ الهامةِ والهمةِ ونيل رضا المولىٰ تباركَ وتعالىٰ.

إن قدرةَ الواجدِ على ضبطه نفسَهَ وقدرةَ من قُدِرَ عليه رزقُه على التحكمِ في إرادتِهِ. محاربةٌ لرذائلِ الشَّرَهِ والطمعِ، وقوةٌ على البذلِ في وجوهِ الحقِّ.

وذلكم لا يُحدُّ بحدٍ ولا يَدخُلُ تحت ضبطٍ فالناسُ تختلفُ في طبقاتِها وعيشِها، واللهُ فضَّلَ بعضَهم على بعضٍ، وجعلَ بعضَهم لبعضٍ سُخرياً وحدُودُ الكفايةِ يختلفُ باختلافُ الطبائعِ والأحوالِ والبيئاتِ.

غير أن المجرِّبينَ قد علموا انه لا يتفقُ طمعٌ في الدنيا مع

الانتصارِ للمثل العليا، ولا يجتمعُ الحرصُ لاعلاءِ كلمة اللهِ مع الحرصِ على الاستكثارِ من المغانم.

ولقد علموا أن الدنيا حينَ تكونُ غايةً فهي مذمومةٌ وحينَ تكون وسيلةً إلى الحقِّ والخيرِ فهي مُتَمدحَةٌ، ولقد جاء في الخبر: «**إن الدنيا حلوةٌ خَضِرةٌ، فمن أخذها بحقِّها بورك له فيها، ورُبَّ متخوضٍ فيما اشتهتْ نفسُه ليسَ له يومَ القيامةِ إلا النارُ**»[1].

وصدق الله العظيم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل: ٥ ـ ١١].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله وأقيموا الدينَ واستقيموا على الشرعِ واعبدوا ربَّكم وافعلوا الخيرَ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات انظر مجمع الزوائد (١٠/٢٤٦) والترغيب والترهيب (٤/١٦٢).

كفالة اليتيم
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ لا يقولُ إلا حقًّا، ولا يَعِدُ إلا صِدقاً، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعبَّدا ورقَّاً، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، أنبلُ الناسِ خُلقاً وأصدُقُهم نُطقا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فاتقوا اللهَ عباد الله فإن تقوى ربِّكم عليها المعوَّلُ، والزموا سنةَ نبيِّكم محمدٍ صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصدرُ الأولُ.

أيها المسلمون: الأمةُ مكلفةٌ برعايةِ مصالِحها وحقوقِها، مأمورةٌ بالتعاونِ فيما بينها على البرِّ والتقوىٰ، والمودةِ والنُّصرةِ. التفاضلُ فيما بينها بالتقوىٰ والعملِ الصالحِ، والتسابقِ في البرِّ والمعروفِ، والتنافسِ في الفضلِ والإحسانِ.

ودينُ الإسلام أثبتَ لها حقوقاً وواجباتٍ في فِئاتِها وطبقاتِها. إنها حقوقٌ وواجباتٌ ثابتةٌ، مقرونةٌ بحقِّ اللهِ سبحانه في الإفرادِ بالعبادة:

﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ

بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ... الآيات إلى آخر الحقوق العشرة في قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قوله سبحانه في مقام آخر: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ في سبع عشرة آية مختتمة بقول الحق سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ . . ﴾.

حقوقٌ عُظمىٰ، ووصايا كبرى، التقصيرُ فيها من الكبائر، والتفريطُ فيها من الموبقاتِ. حقوقٌ للوالدين والأقربين، واليتامى والمساكينِ، وأبناءِ السبيل والجيرانِ، والأصحابِ والأغرابِ.

وهذه وقفةٌ ـ معاشرَ الأحبةِ ـ مع حقٍّ من هذه الحقوقِ تضمنتْه هذه الآياتُ الكريماتُ، حقٌ عظيمٌ يتأكد التذكيرُ به، والمسلمون بمشكلاتِهم ومحنِهم يتزايدُ فيهم صاحبُ هذا الحقِّ وتتنوع في تكاثره الأسبابُ، إنه حقُ اليتيم؛ يتيم أفغانستانَ، ويتيم البوسنةِ والهرسكِ، ويتيم الصومالِ، اليتيم المسلم في كلِّ مكانٍ.

أيها الإخوةُ: ومن أجلِ ابرازِ محاسنِ الإسلام، والتذكيرِ بسبْقِه في هذا الميدانِ وكلِّ ميدانٍ، تحسنُ الإشارةُ إلى تعاظم النفاقِ الدوليِّ المعاصرِ حولَ حقوقِ الإنسانِ. لقد أعلنوا عن هذه الحقوقِ حين كانَ الدبُّ الأحمرُ الشيوعيُّ فَاغِراً فاهُ ليلتقمَ ديموقراطيتَهم، وما تسيطرُ عليه من أرزاقِ الناس وأسواقِ العالم. يا تُرىٰ من هو هذا الإنسانُ الذي نادوا بحقوقِه؟ وأظهروا التعاطفَ معه؟؟.

إن المتبصرَ يرى أَناسِيَّ كثيراً تُهدرُ حقوقُهم في أحضانِ دعاةِ هذه الحقوقِ وبين ظَهْرانَيْهِم، يا تُرىٰ ما حالُ أهلِ البوسنةِ والهرسك؟؟.

إن كثيراً من هذه الشعوبِ بواقعِ حالِها وما يجري أمامَ أعينِها تدركُ أن هذه أغلظُ كِذْبَةٍ في دعاوىٰ ديموقراطيتِهم، وأكبرُ تشويهٍ في رمز حريتِهم.

إن الإنسانَ المقصودَ أعلاهُ، هو عندهم جنسٌ من الموادِّ الخامِ يُولدُ ليُستَثمرَ أو يُستهلَك. في مقياسِهم لكلِّ لونٍ من البشرِ قيمتُه، ولكلِّ ملةٍ من الملِلِ حسابُها.

القويُ عندهم له حقٌّ وليس عليه واجبٌ، والضعيفُ عليه واجبٌ وليس بإزائِه حقٌ.

وليُعلمْ حقَّ العلمِ أن الرعايةَ الدقيقةَ للحقوقِ لا تتحققُ على وجهِها بمجردِ قانونٍ من عندِهم يُصدَرُ، أو دستورٍ مُلزمٍ، فكم من تشريعاتٍ وُضِعتْ، ومعاهداتٍ أُبْرمتْ، وظلَّ السلبُ والنهبُ على أيدي اللصوصِ يسطون بقوتِهم وتلاعبِهم، ويستطيلون بمكرِهم وتلوُّنِهم.

لا يمنعُ إلا التقوىٰ الصادقةُ والوازعُ الدينيُّ الخالصُ. إن مظلَّةَ العدالةِ في الإسلامِ تحمي الضعافَ، وتَحنُوا على الصغارِ، وتحفظُ حقوقَهم، وتنظمُ علاقاتِهم، فلا يُسْتَذلُّ ضعيفٌ لضعفِه، ولا يُعْتدىٰ على عاجزٍ لعجزِه.

ولقد ذلتْ ولسوفَ تذلُّ كل أمة تُضيِّع ضعيفَها ويتيمَها، وتجعلُ من نفسِها مَسْبَعةً لا يعيشُ فيها إلا الوحوشُ الضاريةُ، أو الثعالبُ الماكرةُ.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها الأخوةُ: فَحسْبُ اليتامىٰ أن يكونَ أُسْوتُهم محمداً ﷺ فتلك ـ وربِّك ـ هي الإنسانيةُ بجلالتِها، وهي الحقوقُ باسمى معانِيها.

وحسبُ الأوصياءِ أن يعلموا أن يُتْمَ محمدٍ ﷺ قد رعاه ربُّه وتولاَّه، فآواهُ وهداهُ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦].

وحسبُ كافلِ اليتيم أن يكونَ مع النبيِّ ﷺ في جناتِ عدنٍ كهاتين، وأشارَ عليه الصَلاةُ والسلامُ بأصبعهِ السبابةِ والوسطىٰ[1].

وقد يَرغبُ مُحبُّ الخيرِ أن يعرفَ السرَّ في بلوغِ الكافلِ هذه المنزلةَ العظيمةَ، والرتبةَ الشريفةَ ليكون قريناً لنبيِّه ﷺ في المقامِ العظيمِ.

يقولُ أهلُ العلمِ: إن محمداً ﷺ كتبَ الله على يديه هدايةَ قومٍ كانوا في ضلالٍ مبينٍ، قام عليهم، وأصلحَ شأنَهم، علَّمهم وأرشدَهم، ودلَّهم على الحقِّ والطريقِ المستقيمِ.

وكذلك كافلُ اليتيمِ، يحفظُ يتيمَه في حالِ صِغَره لا يعقلُ ولا يفقه، فيدلُّه ويهديه، ويهذِّبهُ ويربِّيه، فإذا ما بلغَ مبلغَ الرجالِ، كان رجلاً سوياً، محفوظَ الحقوقِ، موفورَ الكرامةِ، مع ما يتحمل الكافلُ من تبعاتِ الوصايةِ والرعايةِ، وشؤونِ التربيةِ وحسنِ العنايةِ، وما يَحُفُّ بذلك من تقوىٰ ونزاهةٍ وعفافٍ.

هذه هي الإنسانيةُ، وهذه هي حقوقُها في دينِ اللهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٠ ـ ح٦٠٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٧ ـ ح٢٩٨٣).

أيها الإخوةُ في الله: إن لليتيم حَظّاً موفوراً في نصوصِ الكتابِ والسنةِ، رعايةً وحِفظاً، وتربيةً وتأديباً، وعنايةً شديدةً في الكفِّ عن إيذائه وقهرِه، وزجرِه أو نهرِه.

لقد تنزلتْ الآياتُ في حقِّه في أوائلِ ما تنزلَ من القرآنِ المكيِّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى: ٩]، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ١، ٢]، ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ [الفجر: ١٧]، ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥..﴾[البلد: ١١ ـ ١٥].

وفي الحديثِ: «**إني أُحَرِّجُ حقَّ الضعيفين اليتيم والمرأةِ**»[1]. وفي حديثٍ عند مسلم: «**كافلُ اليتيم لهُ أو لغيرِه أنا وهو كهاتين في الجنةِ**». قال الإمامُ ابنُ بطالٍ: حقٌّ علىٰ من سمعَ هذا الحديثَ أن يعملَ به ليكونَ رفيقَ النبيِّ ﷺ في الجنةِ. ولا منزلةَ في الآخرةِ أفضلُ من ذلك.

وكان ابن عُمرَ رضي الله عنهما لا يجلسُ على طعامٍ إلا على مائدتهِ أيتامٌ.

أيها الإخوةُ المسلمون: اليتيمُ فردٌ من أفرادِ الأُمةِ ولَبِنَةٌ من لَبِنَاتِها. غيرُ اليتيمُ يرعاهُ أبواهُ، يَعيشُ في كنفِهما تُظَلِّلُه روحُ الجماعةِ، يُفيضُ عليه والداه من حنانِهما، ويمنحانِه من عطفِهما،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٣٩)، والحاكم (١/ ٦٣) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٢/ ١٢١٣ ـ ح٣٦٧٨) وحسنه الألباني.

ما يجعلهُ ـ بإذنِ اللهِ ـ بشراً سوياً، وينشأُ فيه إنشاءً متوازناً.

أما اليتيمُ فقد فَقَدَ هذا الرَّاعيَ، فأَحسَّ بالعُزلة، ومال إلى الإنزواءِ، يَنْشُدُ عَطْفَ الأبُوةِ الحانيةِ، ويَرْنُو إلى من يَمسَحُ رأسَه، ويُخَفِّفُ بُؤسَه، يتطلعُ إلى من يُنسيه مرارةَ اليُتْمْ والآمَ الحرمان. كم من أُمٍّ لأيتامٍ يَحُوم حَولَها صِبْيَتُها وأعَيْنُهم شاخصةٌ نَحْوَها، لعلهم يجدون عندها إسعافاً.

وإنْ شِئتُم أن تذرفوا الدَّمعَ ساخناً فاذكروا ساعةَ الاحتضارِ وَدُنوِّ الأجلِ، وتذكروا حالَ الصِّبْيةِ الصِّغارِ والذُّريةِ الضِّعافِ الذين يتركهم هذا المُحتَضَرُ وراءَه، يخشى عليهم صروفَ الحياةِ، وبلاءَ الدهرِ، يتمنى لهم ولياً مُرشداً يرعاهم كرعايتهِ، ويربيهم كتربيتهِ، يعوِّضهم برَّه وعطفَه.

من تذكَّرَ هذه الساعةَ، وعاشَ هذه الحالة، فَليَذكُرْ حالَ اليتيم: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩].

إن اليتيمَ إذا لم يجدْ من يستعيضُ به حنانَ الأبِ المُشفقِ والرَّاعيَ الرَّافقِ، فإنه سيخرجُ نافرَ الطَّبعِ، وسيعيشُ شاردَ الفكرِ، لا يحسُّ برابطةٍ، ولا يَفِيْضُ بمودةٍ.

وقد ينظرُ نظرَ الخائفِ الحذرِ، بل قد ينظرُ نظرَ الحاقدِ المتربِّصِ، وقد يتحولُ في نظرتهِ القاتمةِ إلى قوةٍ هادمةٍ.

أيها المسلمون: مِنْ خيارُ بيوتِ المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَن إليه.

خَفْضُ الجناحِ لليتامىٰ والبائسينَ دليلُ الشهامةِ، وكمالِ

المروءةِ. «**صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ**»[1]، وتحفظُ من المِحَنِ والبلايا. إن كنت تشكو قسوةً في قلبِكَ فَأَدْنِ منك اليتامىٰ وأمسحْ على رؤوسِهم، وأجلِسْهَم على مائدتِك، وألِنْ لهم جانبَك.

إذا رجوتَ أَنْ تَتقي لَفْحَ جهنَّمَ فارحم اليتامىٰ وأَحْسِن إليهم ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الدهر: ٨ ـ ١١].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه ﷺ....

(١) وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر» أخرجه الطبراني (٨/ ٣١٢) من حديث أبي أمامة وحسنه البيهقي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

كفالة اليتيم
الخطبة الثانية

الحمدُ لله دلَّ على الحقِّ ورفعَهُ، ونهىٰ عن الباطلِ ووضعَهَ، أحمدُهُ سبحانهُ وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، لا مانعَ لما أعطاهُ ولا معطيَ لما منعَهُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، حازَ من الفضلِ والشرفِ أكملَهُ وأجمَعَهُ، صلى الله وسلَّمَ وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثرَهُ واتبَعَهُ.

أما بعدُ. لا تقومُ الحقوقُ على وجهها ولا يُحفظُ للناس أشياؤُهُم إلا حينَ يأخذونَ كتابَ ربِّهم بقوةٍ، يرجونَ وعدَهُ، ويخافونَ وعيدَه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء: ٢] أي: إثماً عظيماً.

لقد تَحرَّجَ الذين عندهم أيتامٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ حين سمعوا هذهِ القوارعَ فعزلُوا طعامَ الأيتامِ وشرابَهم، فصاروا يأكلون مُنْفردينَ، ويعيشونَ مُنعزليْن، وامتنعَ آخرونَ من كفالةِ الأيتامِ تحرُّجاً وتعفُّفاً، وكان هذا موضعَ حرجٍ آخر، فعزلُ اليتيم ونبْذُهُ في ركن من أركان البيتِ وفصْلُه عن أترابِه من الأطفالِ له الأثرُ السيءُ في تربيتِه وضياعِ مالِه، فسألوا رسولَ الله ﷺ فنزَلَ القرآنُ مجيْباً لهم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٠]

ولقد رُفعَ الحَرجُ بتوجيهٍ عميقٍ وهدفٍ عالٍ: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ إن الغايةَ هي إصلاحُ اليتيم، إصلاحٌ بكلِّ معاني الإصلاحِ، من التهذيبِ والتربيةِ والتنشئةِ على الدينِ والعلمِ والخلقِ القويم. وهذا أعَظمُ وأهمُّ من الاشتغالِ باصلاحِ المالِ وحدَه، وكلٌّ من الإصلاحينِ مطلوبٌ: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ إنهم إخوانُكم وشأنُ الأُخوَّةِ المساواةُ والمخالطةُ في الكسبِ والمعاشِ، مخالطةً في أخوةٍ صادقةٍ مبنيةٍ على المسامحةِ وانتفاءِ مظنةِ الطَّمع.

أما إذا فسدتِ النوايا واستُغِلَّ ضعفُ اليتيمِ وقلةُ ادراكِه، فقد جاء الوعيدُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

وكم من نُظَّارٍ على أوقافٍ، وأصياءَ على أيتامٍ انزلقوا في الشبهاتِ ثم ترقَّوا إلى المحرماتِ فغلَبَتْهم أطماعُهم حتى أصبحَ واحدُهم غنياً من بعد فقرٍ، قاسياً من بعد لينٍ، فويلٌ لهم، ثم ويلٌ لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، وفي الحديث «**أربعٌ حقٌّ على الله ألا يدخلَهُم الجنةَ ولا يذيقهَمْ نعيمَها: مدمنُ خمرٍ وآكلُ ربا وآكلُ مالِ اليتيمِ والعاقُّ لوالديه**»[1].

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ وأدوا لذوي الحقوق حقوقَهُم واحفظوا أماناتِكُم وقُوا أنفسُكم وأهليكم ناراً.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٣٧) وقال صحيح الإسناد، قال الذهبي: إبراهيم قال النسائي: متروك. وفي الترغيب والترهيب قال: رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد قال الحافظ: فيه إبراهيم بن خيثم بن عراك، وهو متروك. وقال الألباني: ضعيف جداً.

اصلاح ذات البين
الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرور أنْفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَّنا ونبينَّا محمداً عبدُ الله ورسولُه، بعثهُ بالهدى ودينِ الحق، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيها المسلمون. اتقوه وأصلحوا ذات بينِكم وأطيعوا اللهَ ورسوله إن كنتم مؤمنين.

أيها المسلمون: لو قلَّبَ البصيرُ النظرَ في العالمَ من حولِه، هذا العالم بقواتِهِ وتقنيَّاتِهِ ونظمه ومبادئه، ثم رجع بصرَهُ إلى الواقعِ وما يغصُّ به من مشكلاتٍ، وما ينوءُ به من ويلاتٍ على مستوى كثيرٍ من الدولِ والشعوبِ والأفرادِ لوجدَ أن أصحابَ هذه القُوىٰ ومُلاَّكَ هذه التقنياتِ لا يُصرِّفُهم إلا مصالحُ ذاتيَّةٌ، ولا يبعثُهم إلا أنانياتٌ مستحكمةٌ، قستْ قلوبُهم، وفسدتْ بواطنُهم، وخبُثتْ نياتُهم، ولو حَسُنَ لفظهُم ولانتْ ألسنتُهُم، ورقَّتْ ابتساماتُهم. بل إن حالَهم وواقعَ أمرِهم حبُّ السوءِ لغيرهم والميلُ إليه وتوسعتُه والدعوةُ إليه.

من الذي وراءَ الحربِ الطاحنةِ غيرِ المتكافئةِ في البوسنةِ والهرسكِ؟

ومن هو المتخاذلُ في شأن الفئاتِ المتناحرةِ المتهالكةِ في الصومالِ؟ من الذي يزرعُ المشكلاتِ الطائفيةَ، وينمي النعراتِ القوميةِ؟ ويوزعُ الاتهاماتِ الانتمائيةِ، ويغذِّيْ الأحقادَ العنصريةَ؟ وسائر المشكلاتِ الدوليةَ والإقليميةَ؟ إنهم الذين يعملون على نشر الشرِّ بين الناس، وقلما يعملون على حلِّ المشكلاتِ والغضِّ عن الغلطاتِ، ودَمْح الزلاتِ، تراهم يتركونَ المختلفينَ حتى يستفحلَ أمرُهُم، ويشتدَّ خصامُهم، وإنهم في كثيرٍ من المواقفِ قادرونَ على الإصلاحِ واطفاءِ الفتنِ ولكنهم لا يفعلون، بل يقدِرُون في كثير من الأحيانِ على تحديدِ ما يترتبُ على فسادِ ذاتِ البينِ ثم لا يصلحون، وقد يهدِّؤُن بعض المناطق الساخنةِ إلى حين.

والأشدُّ والأنكىٰ أن يُرىٰ من خلالِ تحركاتِهم ووسائلِ إعلامِهم من يلهبُ نارَ العداوةِ ويوقدُ سعيرَ البغضاءِ وكلَّما خبتْ نارُها أوقدوا أوارَها.

ويضمُّ إلى هذا السوءِ حالٌ أسوأُ، تلكم هي المكاييلُ المتباينةُ التي يكيلون بها حين ينظرونَ في مشكلات العالم يكيلون بها، وهم يتحدثون عن محكمة العدلِ الدوليةِ، وحقوق الإنسانيةِ بالسويةِ.

أيها الإخوة في الله: في هذا الخِضمِّ، ومن بين أمواجِ هذا البحر المتلاطم يجملُ الحديثُ ويحسنُ التذكيرُ بشيء من مزايا دين محمدٍ ﷺ، لعلَ الشاردين من قومِنا يرجعون.

إنه الحديث عن إصلاح ذاتِ البينِ. إصلاحُ ذات البين بما يُذْهِبُ وغَرَ الصِّدورِ ويجمعُ الشملَ ويضمُّ الجماعةَ ويزيلُ الفرقةَ. الإصلاحُ بين الناس في دين اللهِ مبعثُ الأمنِ والاستقرارِ، ومنبعُ الألفةِ

والمحبةِ، ومصدرُ الهدوءِ والطمأنينةِ. إنه آية الاتحاد والتكاتُف، ودليلِ الأُخُّوةِ، وبرهانُ الإيمانِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

الصلحُ خيرٌ تهبُّ به على القلوبِ المتجافيةِ رياحُ الأنس ونسماتُ النَّدىٰ، صلحٌ تسكنُ به النفوسُ ويتلاشىٰ به النزاعُ، الصلحُ نهجٌ شرعيٌ يصانُ به الناسُ وتحفظُ به المجتمعاتُ من الخصام والتفكك. نهجٌ يمسكُ عن الاندفاع وراءِ الحميةِ الجاهليةِووالنظراتِ القاصرةِ، والحماساتِ الانفعاليةِ.

بالصلح تُسْتَجْلبُ المودات،وتُعْمرُ البيوتاتُ،ويُبَثُّ الأمنُ في الجنبات..ومن ثَمَّ يتفرغُ الرجالُ للأعمالِ الصالحةِ، يتفرغون للبناءِ والإعمارِ بدلاً من إفناءِ الشهورِ والسنواتِ في المنازعاتِ، والكيدِ في الخصوماتِ، وإراقةِ الدماءِ، وتبديدِ الأموالِ، وإزعاجِ الأهلِ والسلطاتِ

هذا هو الاصلاح ـ أيها الأحباب ـ أما المصلحون والساعون في الاصلاح، فرجالٌ نبلاءٌ شَرُفَتْ نفوسُهم وصفَت قلوبُهم وصحتْ عزائمُهم وأشرقتْ ضمائرُهم، شخصياتٌ كريمةٌ بعيدةٌ عن الانفعالاتِ النفسيةِ، والرواسبِ الشعوريةِ، والملابساتِ المشبوهةِ، حريصون على حفظ الأسرارِ وكتمانِ ما يكدِّرُ أو يشوشُ، متنزهون عن الرغبةِ في غلبةِ طرفٍ على آخر، راغبون في خير الجميع. إنهم ذوو مروءاتٍ فضلاءُ، رائدُهم حكمةٌ عاقلةٌ، وكلمةٌ رزينةٌ، وتصرفاتٌ موزونةٌ، يحسنون الدخولَ كما يحسنون الخروجَ، يعينون المسؤولين، ويساعدون القضاة. الله أكبر يا عباد الله:

«**كل سلامي من الناس عليه صدقة كلُّ يومٍ تطلُعُ فيه الشمسُ قال: تعدلُ بين الاثنين صدقةٌ**»[1]. ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٤].

وأخرجَ أبوداودَ والترمذيُّ وابن حبانَ في صحيحه، وقال الترمذيُّ حديثٌ صحيحٌ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أُخبرَكم بأفضلَ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ**» قالوا: بلى يارسولَ الله قال: «**إصلاحُ ذاتِ البَينِ، فإن إفساد ذاتِ البينِ هي الحالقةُ**»[2]. وفي بعض الروايات: «**هي الحالقةُ لا أقولُ تحلقُ الشعرَ ولكن تحلقُ الدينَ**». وفي حديث حسنهُ الذهبي: «**أفضلُ الصدقةِ إصلاحُ ذات البين**». ويقول الإمام الأوزاعيُّ رحمه اللهُ: «ما خطوةٌ أحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من خطوةٍ في إصلاحِ ذاتِ البينِ».

وكم يبلُغُ النُّبْلُ ببعضِ الأفاضلِ ليضمَّ إلى حكمةِ عقلِه وحسنِ لفظِه بذلَ مالِه، من أجلِ أن تقرَّ الأعينُ بكسبِ ودَّ المتصالحين.

معاشر الإخوة: وميادينُ الإصلاحِ كثيرةٌ فكلَّما هبَّ نزاعٌ فهو قابلٌ للإصلاحِ. إنها ميادينُ واسعةٌ في الدماءِ والأموالِ والأقوالِ والأفعالِ وكلِّ مايقعُ فيه التداعِي والتنازعُ. إصلاحٌ على نَهجِ الشرعِ يرادُ به وجهُ اللهِ وابتغاءُ مرضاتِه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]. إصلاحٌ في

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٩ ـ ح١٠٠٩).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٨٠ ـ ح٤٩١٩)، والترمذي (٤/ ٥٧٢ ـ ح٢٥٠٩) وقال: حديث صحيح، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، وصححه الألباني.

نطاق جماعةِ المؤمنين وطوائفهم وفئاتِهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا . .﴾ [الحجرات: ٩]، وإصلاحٌ في نطاقِ الأسرةِ وبيتِ الزوجية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]. ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

إصلاح بين الأفراد: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٨] إصلاح يعدلُ بين اثنين، ويجمعُ بين متهاجرين، ويقرِّبُ بين متظالمين، يقادان إلى صلحٍ لا يحلُّ حراماً ولا يحرِّم حلالاً.

كما يجري الإصلاحُ - أيها الأخوة - بين أصحابِ الحقوقِ في الوصايا والأوقافِ إذا انحرفت وصياهم وأوقافُهم عن مسلكِ الشرعِ المطَّهر: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة: ١٨٢].

أما طريقُ الإصلاحِ وأسلوبُه فيبدأ بكلمةٍ طيبةٍ، كلمةٍ طيبةٍ من رجلٍ عاقلٍ، ونبيلٍ لبيبٍ، يسره أن يسودَ الوئامُ بين الناس، كلمةٍ من رجلٍ قد امتلأ قلبُهُ صلاحاً، لا يريد إلا الإصلاحَ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٣٥].

استيقنوا أيها الإخوةُ: أن كثيراً من النفوسِ يكفي في إزالةِ شحنائِها كلمةٌ رقيقةٌ، ولمسةٌ رفيقةٌ تطفىءُ نارَ الحقدِ والضغينةِ، ويتلاشى معها الانفعالُ والشَّططُ، يبتعدُ بكلمتهِ عن التصريح، ويدخلُ في أبوابِ الكناياتِ والمعاريضِ، بل إن الشرع قد أفسحَ

له المجالَ ليُبالغَ في الكلامِ ويُطنِبَ في الثناءِ ولو جافىٰ الحقيقةَ ودخلَ في دائرةِ الكذبِ، وهذا الصادقُ المصدوقُ عليه الصلاة والسلامُ يقول: «**ليس الكذَّابُ الذي يُصْلحُ بين اثنين**» أو قال: «**بين الناس فيقولُ خيراً ويَنمْي خيراً**»(١). وفي حديث آخرَ: «**لا يصلحُ الكَذِبُ إلا في ثلاثٍ: الرجلُ يكذبُ في الحربِ، والحربُ خدعةٌ، والرجلُ يكذبُ بين الرجلين ليُصلحَ بينهما، والرجل يكذبُ للمرأةِ ليُرْضيَها بذلك**»(٢).

واسمعوا رعاكم الله إلى هذه الطُّرفةُ العمرية: رُويَ أن رجلاً في عهد عمر رضي الله عنه قال لزوجته: نَشَدْتُكِ اللهَ هل تُحبينني؟ فقالت: أما إذا نشدَّتني اللهَ فلا أحبُّك. فخرج الرجلُ حتى أتى إلى عمر رضي الله عنه وأخبرهُ، فأرسل إليها عمرُ فقال: أنتِ التي تقولين لزوجل لا أحبك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين نشدَني بالله أفأكذبه؟ قال: نعم فاكذبيْه. ليست كلُّ البيوتِ تُبْنىٰ على الحبِّ، ولكنَّ الناس يتعاشرُون بالإسلام والإحسان. وأصدقُ من ذلك وأبلغُ قولُ اللهِ تبارك وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩] فليفقَهْ هذا المخدُوعون بِقَصَصِ الغرامِ ومايبثُ في وسائل الإعلامِ.

والإصلاحُ وإن كان سبيلُهُ الكلمةَ الطيبةَ، والتصرفَ الحكيمَ،

---

(١) متفق عليه. البخاري (٥/ ٣٥٣ ـ ح٢٦٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠١١ ـ ح٢٦٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٤)، وأبوداود (٤/ ٢٨١)، والترمذي (٤/ ٢٩٢ ـ ح١٩٣٩) دون قوله ليرضيها، ومسلم (٤/ ٢٠١٢ ـ ح٢٦٠٥) بمعناه.

لكنه قد يحتاجُ فيه إلى بذل أموالٍ، فَيَنْبَري مُوفقون من أصحابِ المروءاتِ والمكرماتِ ليَدْفعوا كريمَ أمَوالِهم وعزيزِ مدخراتِهم فيدفِنوا الشحناءَ، وينزعوا التشاجرَ، وتقديراً لهذا النبلِ واعترافاً بهذا الجميلِ فقد جاء التشريعُ ليخص هؤلاءِ بنصيبٍ من أموال الأغنياءِ من أجل الإعانةِ على سد هذا المرفقِ والحفاظِ على هذه المكارمِ فجعل في الزكاة نصيباً للغارمين، بل ذهب التشريعُ إلى إباحةِ المسألةِ لمن تحمَّلَ غرامةً في هذا البابِ تقديراً لعظمِ الفعلِ، واعترافاً بأهميةِ الدَّورِ، وحتى لا يُثْقلَ ساداتِ القومِ المصلحين حِمْلُ المغارم. حدَّثَ قبيصةُ بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال: تحمَّلتُ حمالةً (يعني غرامةً) فأتيتُ رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «**أقِمْ حتى تأتينا الصدقةُ فنأمرَ لكَ بها. ثم قال: ياقبيصةُ إن المسألةَ لا تحلُّ لأحدٍ إلا لثلاثةٍ: رجلٍ تحمَّلَ حمالةً فحلت له المسألةُ حتى يصيبَها ثم يمسك. . .**» **الحديث**[1].

أيها الإخوة: هذا هو نهجُ الإصلاحِ في الإسلامِ صدقٌ في التوجُّهِ، وإخلاصٌ لله، وإفشاءٌ للمودةِ، أين هذا من دعاوى أهل هذا العصرِ العريضةِ في حقوقهم ونظامهم العالمي الجديد الذي يفسدون في كثير منه ولا يصلحون. والله المستعان والله غالب على أمره. . .

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٢٢ ـ ح١٠٤٤)، وأبوداود (٢/ ١٢٠ ـ ح١٦٤٠)، والنسائي (٥/ ٨٨)، وأحمد (٣/ ٤٧٧).

اصلاح ذات البين
الخطبة الثانية

الحمدُ لله وكفىٰ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له شهادةً أرجوا بها لديه الزلفىٰ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المصطفىٰ صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد: فأوصيكُم ونفسي ـ أيها المسلمون ـ بتقوى الله، فتقوى الله أقوم وأقوى، واستمسكوا من دينكم بالعروة الوثقى. أيها المسلمون: إن كثيراً من قضايا المحاكم ومخافر الشرطة وحوادث المستشفيات والسجون راجعٌ إلى التقصير في مبدءِ الإصلاح بين الناس حتى تفشى الشرُّ في كثير من المجتمعات، ونال البعيدَ والقريبَ، أُهلكت نفوسٌ وأُهدِرتْ أموالٌ وتمزقتْ أُسرٌ وغَرِقَتْ في أوحالِ القطيعةِ والعواقبِ الوَخيمةِ. فَجِدُّوا في الإصلاحِ وفقكُم اللهُ والتزموا مسالكَ الشرعِ.

أيُّها المصلحون الموفقون: أنتم تعلمون أن أقوم المسالكِ وأنْجعِ الوسائلِ التي تصفو بها القلوبُ، وتتطهرُ بها النفوسُ أن يجعلَ المرءُ من نفسه ميزاناً بينه وبين الآخرين فما يحبُّهُ لنفسِهِ يحبُّهُ لهم، وما يكرهُهُ لنفسه يكرهُهُ لهم «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1].

---

(١) متفق عليه. البخاري (١/ ٧٣ ـ ح١٣)، ومسلم (١/ ٦٧ ـ ح٤٥).

ينضمُّ إلى ذلك إخلاصُ القصدِ لله، فلا يدخلُ في الصلح لشهوةٍ ذاتيةٍ، أو شهرةٍ اجتماعيةٍ، دافعُهُ ابتغاءُ مرضاةِ اللهِ، وحبُّ المؤمنين، والحرصُ على جمعِ كلمتِهم والجدُّ في تحرِّي العدلِ بينهم والصدقُ والإحسانِ إليهم، فلا يُلحظُ منه حيفٌ أو يَبْدرُ منه تعسفٌ.

كما ينبغي أن تعلم أيها المصلحُ الموفقُ: أن السعيَ في الإصلاحِ قد يحتاجُ فيه إلى الكتمانِ، فيكون إصلاحاً بطريق النَّجوى مع المتنازِعَين ﴿۞لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ [النساء: ١١٤].

إن من الناس من يصدُّه عن قبول الصلحِ والرضا بهِ اعلانُهُ وتحدُّثُ الناس به، ومنهم من يشترِطُ أنَ يكون خصمُهُ هو المبتدىءَ بطلبِ المصالحةِ، والجهرِ والاعلانُ في مثل هذا قد يفسدُ المساعيَ.

فاتقوا الله رحمكم الله وأصلحوا ذات بينكم.

الإصلاح بين الناس
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ شرحَ بفضلِهِ صدورَ أهلَ الأيمانِ بالهدىٰ، وأضلَ من شاءَ بحكمتهِ وعدلِهِ فلن تجدَ له ولياً مرشداً. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه واستغفرُهُ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً وأحصىٰ كلَّ شيءً عدداً، وأشهدَ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أن سيدَّنا ونبيننا محمداً عبده ورسوله كرُم أصلاً وطابُ مَحتداً. خصَّهُ ربُّه بالمقامِ المحمودِ وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلهَ وأصحابِه هم النجومُ بهم يُهتدىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدىٰ.

أما بعدُ فأوصيكم أيهُّا الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، اتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينِكم وأطيعوا اللهَ ورسولهَ إن كنتم مؤمنين.

أيها المسلمون: أصلحوا ذاتَ بينكم، فالاصلاحِ عنوانُ الإيمان في الإخوان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

الاصلاحُ مصدرُ الطمأنينةِ والهدوءِ ومبعثُ الاستقرارِ والأمنِ، وينبوعُ الألفةِ والمحبةِ.

أيها الإخوةُ: لقد أقضَّتْ مضاجِعَ القضاةِ القضايا، وامتلأتْ كثيرٌ من السجونِ بالبلايا، ناهيك بما في مراكزِ الشرطةِ وأسِرَّةِ المشافي من المآسي. بل إن مشكلاتِ الأمةِ الكبرىٰ في الصومالِ

وأفغانستانَ، ومواقع من ديارِ المسلمين أخرىٰ تحتاجُ كلَّ الحاجةِ إلى الصالحين المصلحين.

ألا ينبريْ خيِّرون بمساعى حميدةٍ هنا وهناك ليطفئوا نارَ الفتنِ ويَنْزَعوا فتيلَ اللهبِ.

إن التنازعَ مفسدٌ للبيوتِ والأسرِ، مهلكٌ للشعوبِ والأممِ، سافكٌ للدماءِ مبددٌ للثرواتِ. ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] بالخصوماتِ والمشاحناتِ تُنْتَهكُ حرماتُ الدين، ويعمُّ الشرُّ القريبَ والبعيدَ. ومن أجلِ ذلك سمىٰ رسول الله ﷺ فسادَ ذاتِ البينِ بالحالقةِ، فهي لا تحلقُ الشعرَ ولكنها تحلقُ الدين.

إن الأمةَ تحتاجُ إلى إصلاحٍ يُدخلُ الرضا على المتخاصمْينَ، ويُعيدُ الوئامَ إلى المتنازعْين. إصلاحٌ تسكنُ به النفوسُ، وتأتلفُ به القلوبُ. إصلاحٌ يقومُ به عُصبةٌ خيِّرون، شرُفَتْ أقدارهم، وكَرُمتْ أخلاقُهم، وطابتْ منابتُهم، وإنهم بمثلِ هذه المساعي الخيِّرةِ يبرهنون على نبلِ الطباعِ، وكرمِ السجايا.

فئاتٌ من ذوي الشهامةِ من الرجالِ والمقاماتِ العليةِ من القوم، رجالٌ مصلحون ذَوُوْ خبرةٍ وعقلٍ وإيمانٍ وصبرٍ، يَخْبُرون الناسَ في أحوالِهم ومعاملاتِهم، حذَّاقٌ في معالجةِ أدوائِهم، أهلُ إحاطةٍ بنفوسِ المتخاصمينْ وخواطرِ المتباغضيَنْ والسعي بما يرضيْ الطرفين.

أيُّها الأحبةُ: إن سبيلَ الإصلاحِ عزيمةٌ راشدةٌ، ونيةٌ خَيِّرةٌ، وإرادةٌ مصلحةٌ.

وبريدُ الإصلاح: حكمةُ المنهجِ، وجميلُ الصبرِ، وطيبُ الثناءِ،

سبيلٌ وبريدٌ يقومُ به لبيبٌ تقيٌ يسرُّهُ أن يسودَ الوئام بين الناس: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩].

أيها الإخوةُ: وللإصلاحِ فقهٌ ومسالكٌ دلتْ عليها نصوصُ الشرعِ وسارَ عليها المصلحونَ المخلصون.

إن من فقهِ الإصلاحِ صلاحَ النيةِ، وابتغاءَ مرضاةِ اللهِ، وتجنُّبِ الأهواءِ الشخصيةِ والمنافعِ الدنيويةِ. إذا تحقق الإخلاصُ حلَّ التوفيقِ وجرىٰ التوافقُ وأنزلَ الثباتَ في الأمرِ والعزيمةَ على الرشد.

أما من قصدَ بإصلاحه الترؤسَ والرياءَ وارتفاعَ الذِّكرِ والاستعلاءَ فبعيدٌ أن ينالَ ثوابَ الآخرةِ، وحريٌ ألا يُحالفَ التوفيقَ مسعاه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

ومن فقهِ الإصلاحِ سلوكُ مسلكِ السرِّ والنجوىٰ. فلئن كان كثيرٌ من النجوىٰ مذموماً فإن ما كان من صدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس فهو محمودٌ مستثنىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

أيُّها الإخوةُ: وهذا فقهٌ في الإصلاحِ دقيقٌ، فلعلَّ فشلَ كثيرٍ من مساعي الصلحِ ولجانِه بسببِ فشوِّ الأحاديثِ، وتسرُّبِ الأخبارِ، وتشويشاتِ الفَهومِ مما يفسد الأمورَ المبرمةَ والاتفاقياتِ الخيِّرةَ.

إن من الخيرِ في بابِ الإصلاحِ أن يسلكَ به مسلكَ النجوىٰ والمسارَّةِ فمن عرفَ الناسَ وخبرَ أحوالَهم لاسيما فيما يجريْ بينهُم من منازعاتٍ وخصوماتٍ وما يستتبعُ ذلك من حبٍ للغلبةِ

وانتصارٌ للنفس أدرك دقةَ هذا المسلكِ وعمقَ هذا الفقهِ. إن من الناس من يأبىٰ أن يسعىٰ في الصلح فلانٌ أو فلانةٌ، ومنهم من يأنفُ أن يعرفَ الناسُ أنه قد دخلَ في مصالحةٍ مع فلانٍ، وآخر يصرُّ على أن تكون المبادرةُ من خصمه. وتمشياً مع هذه المسالكِ السريةِ والتحركاتِ المحبوكةِ أذن الشارعُ للمصلح بنوعٍ من الكذبِ في العباراتِ والوعودِ. «**فليس الكذابُ بالذي يُصلحُ بين الناس فينْميْ خيراً أو يقولَ خيراً**»[1]. هذا هو حديث رسول الله ﷺ وفي خبرٍ آخر عنه يقول عليه الصلاة والسلام: «**لا يصلحُ الكذبُ إلا في ثلاثٍ؛ رجلٌ يُصلحُ بين اثنينِ، والحربُ خدعةٌ، والرجلُ يُصلحُ امرأتَه**»[2]. ويقولُ نعيمُ بنُ حمادٍ: قلت لسفيانَ ابن عيينةَ: أرأيتَ الرجلَ يعتذرُ من الشيء عسى أن يكون قد فعله ويُحرِّفُ فيه القولَ ليرضي صاحبَهُ أعليه فيه حرجٌ؟ قال: لا. ألم تسمع قوله ﷺ: «ليس بكاذبٍ من قال خيراً أو أصلحَ بين الناس»[3]، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]. فإصلاحهُ فيما بينه وبين الناس أفضلُ إذا فعلَ ذلك للهِ وكراهةَ أذىٰ المسلمين، وهو أولىٰ به من

---

(١) متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٣ ـ ح٢٦٩٢)، ومسلم (٤/ ٢٠١١ ـ ح٢٦٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٤)، وأبوداود (٤/ ٢٨١)، والترمذي (٤/ ٢٩٢ ـ ح١٩٣٩) دون قوله: ليرضيها، ومسلم (٤/ ٢٠١٢ ـ ح٢٦٠٥) بمعناه.

(٣) هذه رواية بالمعنى للحديث المتفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

أن يتعرضَ لعداوةِ صاحبِه وبغضِه فإن البُغَضَةَ حالقةُ الدينِ، قلت: أليس من قال ما لم يكنْ فقد كذبَ؟ قال: لا؛ إنما الكاذبُ الآثمُ فأما المأجورُ فلا. اهـ.

فالمصلحُ يُخبرُ بما علمهُ من الخيرِ ويسكتُ عما علمهُ من الشرِّ والنقصِ.

وليَعلمْ محبُّو الإصلاحِ والساعون فيه ـ أثابهم اللهُ وأنجحَ مساعيَهم ـ أن الشرَّ لا يُطفأ بالشرِّ كما أن النارَ لا تُطفأ بالنارِ ولكنه بالخيرِ يُطفأ، فلا تسكنُ الإساءةُ إلا بالإحسانِ، ولهذا فقد يحتاجُ المتنازعان إلى أن يتنازلا عن بعضِ الحقِّ فيما بينهما.

وإن من البصرِ بأحوالِ الناس أن يعلمَ أصحابُ المروءاتِ من المصلحين؛ أن النفوسَ مجبولَةٌ على الشحِّ وصعوبةِ الشكائمِ[1] مما يستدعي بذلاً في طولِ صبرٍ وأناةٍ؛ فربُّكم يقول: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء: ١٢٨]. إنها النفوسُ الشحيحةُ التي تحملُ صاحبَها وغيرَها على ما تكرهُ.

ولكن في مقابلِ هذه النفوسِ الشحيحةِ يترقىٰ أصحابُ المروءاتِ من المصلحين الأخيارِ ليبذُلوا ويَغرَموا، نعم يبذلون الوقتَ والجهدَ، ويصرفونَ المالَ والجاهَ، ولقد قدَّر الإسلامُ مروءتَهم، وحفظ لهم معروفَهم، فجعل في حسابِ الزكاةِ ما يحملُ عنهم غرامتَهم ـ باركَ الله فيهم ـ لئلا يُحْجِفَ ذلك بساداتِ

---

(١) الشكيمة: فلان ذو شكيمة إذا كان صارماً حازماً صعب الانقياد، وصعوبة الشكائم: صعوبة الانقياد.

القومِ المصلحين.

أيُّها الإخوةُ في الله: وميدانُ الصلح واسعٌ عريضٌ؛ في الأفرادِ والجماعاتِ والأزواجِ والزوجاتِ، والكفارِ والمسلمينَ، والفئاتِ الباغيةِ والعادلةِ، في الأموالِ والدماءِ، والنزاعِ والخصوماتِ.

ومن أجل ذلكَ فقد عَظُم ثوابهُ، وكبرُ أجرُه، فهو أفضل من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ، فقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ لأصحابه يوماً: «**ألا أخبرُكم بأفضلِ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله؛ قال: إصلاح ذاتُ البينِ، فإن فساد ذاتِ البين هي الحالقةُ، لا أقول تحلقُ الشعرَ ولكن تحلقُ الدِّينَ**»[1]. ولقد باشرَ الصلحَ بنفسِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ حين تنازعَ أهلُ قباءٍ، فندب أصحابه وقال: «**اذهبوا بنا نُصلحْ بينهم**»[2].

وخرجَ عليه الصلاة والسلامُ للإصلاحِ بين أناسٍ من بني عوفٍ حتى تأخرَ عن صلاةِ الجماعةِ[3].

والإمامُ الأوزاعيُّ رحمه اللهُ يقول: «ما خَطوةٌ أحبُ إلى الله عزَّ وجلَّ من خَطوةٍ في إصلاحِ ذاتِ البين».

إذا كان الأمر كذلك أيُّها الإخوةُ: فمن ذا الذي لا يقبلُ الصلحَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٢ ـ ح٢٥٠٩ وقال: حديث صحيح دون قوله «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» وأشار الترمذي إلى ضعفها، وأخرجه أبوداود (٤/ ٢٨٠ ـ ح٤٩١٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٤)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٤ ـ ح٢٦٩٣).

(٣) متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٠ ـ ح٢٦٩٠)، ومسلم (١/ ٣١٦ ـ ح٤٢١).

ولا يسعىٰ فيه، ليسوا إلا أناساً قد قستْ قلوبُهم، وفسدتْ بواطنُهم وخبُثَتْ نيَّاتُهم؛ حتى كأنهم لا يحبون إلا الشرَّ، ولا يسعون إلا في الفساد، ولا يَجْنحونَ إلا إلى الظلمِ.

والأشدُّ والأنكىٰ أن ترىٰ فئاتٍ من الناس ساءتْ أخلاقُها وغُلُظَتْ أكبادُها، لا يكتفون بالسكوتِ والسكونِ بل في أجوائِهم يستفحلُ الخصامُ ويقسوا الكلامُ وما أشبه هؤلاءِ بأعداءِ الإسلام وأهلِ النفاقِ، إنهم يلهبون نارَ العداوةِ ويوقدونَ سعيرَ البغضاءِ كلَّما خبتْ نارُ الفتنِ أوقدوها. ولا غَرو بعد ذلك أن تضيعَ الحقوقُ وتُهدرَ الحرماتُ ويَرِقَّ الدينُ وتُنزعُ البركاتُ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ اتقوهُ وأصلحوا ذاتَ بينكم.

الإصلاح بين الناس
الخطبة الثانية

الحمدُ لله لا تُحصىٰ نعمهُ ولا تُحدُّ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه واستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفواً أحدٌ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا رسولُ الله محمدٌ، اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد وعلى أصحاب محمد والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فاتقوا اللهَ أيُّها الناسُ، فتقوىٰ اللهِ خيرُ زادٍ.

أيُّها الإخوةُ: الكريمُ لا يحقدُ ولا يحسدُ ولا يَبْغي ولا يفجُرُ، إن بلغَهُ عن أخيهِ ما يكرهُهُ التمس له عذراً، فقد علمَ أن الاعتذارَ يُذهبُ الهمومَ، ويُجلي الأحزانَ، ويدفعُ الأحقادَ، ويزيلُ الصدودَ.

إن حقاً على إخوةِ الإيمانِ أن يسودَ بينهم أدبُ المحبةِ، أدبُ ينفي الغشَّ والدَّغلَ مع استسلامٍ للهِ بما يصنعُ، ورضاً بما يكتُبُ.

اسمعوا رحمكم الله إلى هذا الحديث: روىٰ أبوهريرةَ رضي الله عنهُ أن رسول الله ﷺ قالَ: «**تُفْتحُ أبوابُ الجنةِ يوْمَ الأثنين ويوْمَ الخميس فيغفرُ اللهُ لكلِّ عبدٍ مسلمٍ لا يُشركُ باللهِ شيئاً إلاَ رجلاً كانتْ بَينَهُ وبين أخيه شحناءُ، فيقالُ: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا،**

أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا»[1]. قال الحافظُ ابن عبدالبرِّ رحمه الله: يدلُّ هذا الحديثُ على أن الذنوبَ إذا كانتْ بين العبادِ فسامحَ بعضُهم بعضاً سقطتْ المطالبةُ بها من قبلِ الله عزَّ وجلَّ. الله أكبرُ يا عبادَ اللهِ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

وسمعَ رسولُ الله ﷺ صوتَ خصوم بالبابِ عاليةً أصواتُهما؛ إذا أحدُهم يَسْتَوْضِعُ الآخرِ ويَسترْفِعُهُ - أي يطلبُ منه أن يُخَفِّفَ عنه دينه؛ وهو يقولُ واللهِ لا أفعلُ، فخرجَ عليهما رسولُ اللهِ ﷺ وهو يقولُ: «**أين المتألِّي على اللهِ ألا يفعلَ المعروف**»؟؟ فقال: أنا يا رسولَ الله. فله أيُّ ذلك أحبَّ[2]، فعدَلَ الرجلُ عن يمينِه واستجابَ لتذكيرِ رسول الله ﷺ طاعةً للهِ ورسولِهِ واستجابةً لداعي الحقِّ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكُم الله؛ فمن أراد الثوابَ الجزيلَ والذكرَ الجميلَ وراحةَ القلبِ فليْحلُمْ على الجاهلِ وليعْفُوا عن المعتدي وليقبلْ الصلحَ ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

هذا وصلو وسلموا على نبي الهدى ودين الحق اللهم صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٧ - ح٢٥٦٥)، وأبوداود (٤/ ٢٧٩ - ح٤٩١٦)، والترمذي (٤/ ٣٢٧ - ح٢٠٢٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١/ ٥٥٣ - ح١٧٤٠) بمعناه، وأحمد (٢/ ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٦٥).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري (٥/ ٣٦٢ - ح٢٧٠٥)، ومسلم (٣/ ١١٩١ - ١٥٥٧).

صلوا أرحامكم
الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ونستهديْه ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له وأشهدَ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه ومجتباهُ من رسلِه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ ربكم، اتقوه تقوىٰ من خافَ ورجا فاستقامَ، وأدو حقوقَه التى افترضها عليكم في دينِ الإسلامِ، واشكروا المولى على ما أولى من الإفضال وجزيلِ الإنعامِ.

أيها الإخوةُ: صلاحُ الأسرةِ طريقُ أمانِ الجماعةِ، وصلةُ الرحمِ سبيلُ حفظِ الأمةِ. فالزوجانِ وما بينهما من وطيدِ العلاقةِ، والوالدان وما يترعرع في احضانِهما من الوِلْدانِ، والأقربون وأولو الأرحامِ وما ينتشرُ بينهم من وئامٍ، كلُّ أولئك يُمثِّلُ الجماعةَ المجتمعةَ والأُمةَ المؤتلفةَ في طبيعتِها وبنائَها وحاضرِها ومستقبلِها، من خلالِ هذا البناء تمتدُّ وشائجُ القربىٰ، وتتقوىٰ أواصرُ التكافلِ، ترتبطُ النفوسُ بالنفوسِ، وتتعانقُ القلوبُ القلوبَ، في هذه الروابطِ المتماسكةِ والرَحِم الموصولةِ تنموا الخصالُ الكريمةُ وتنشأُ الأجيالُ الوفيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

لقد شاءَ المولىٰ تعالىٰ وتباركَ بلطفه وتدبيره وحكمته وتقديره أن يكونَ بناءُ الإنسانيةِ على وشيجةِ الرحمِ وقاعدةِ الأسرةِ من ذكرٍ وأنثىٰ من نفسٍ واحدةٍ وطبيعةٍ واحدةٍ. رحمٌ وقربىٰ تتوثَّقُ عراها، ويتجذَّرُ نباتُها ليقومَ على سوقِه بإذن ربِّه، فيُحمىٰ من المؤثراتِ ويُحفظُ من العادياتِ.

وفي كتابِ الله اقترنَ حقُّ اللهِ وحقُّ الوالدين وحقُّ الأقربين في أكثرَ من آيةٍ ووصيةٍ: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . .﴾ [الإسراء: ٢٣] ثم قال سبحانه: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ . .﴾ [الإسراء: ٢٦].

وفي مقام آخرَ قُرِنتْ الرحمُ بحقِّ اللهِ في التقوىٰ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] اتقوها أن تقطعوها، واعرفوا حقَّها أن تهضِمُوها.

يقولُ بعضُ أهلِ العلم: ما بُعثَ أنبياءُ اللهِ في أواسطِ البيوتِ من أقوامِهم إلا لما يُقدِّر الناسُ من أمرِ الرحمِ، ويعرفونَ من شأنِ القرابةِ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وحينما قلَّتْ عشيرةُ نبي اللهِ لوطٍ عليه السلام وضعُفَ ركنُ قرابتِه أعذَرَ نفسَه بقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠]. ومن ثمَّ قال نبيُّنا محمدٌ ﷺ: «**يغفرِ اللهُ للوطٍ إنْ كانَ ليأوْي إلى ركنٍ شديدٍ ولكنه عنىٰ عشيرتَهُ، فما بعثَ اللهُ نبياً بعدَه**

إلا في ثروةٍ من قومه»[1].

ومن بعدِ لوطٍ قال قومُ شعيبٍ لشعيبٍ عليه السلام: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١] وامتنَّ اللهُ على نبيِّه محمدٍ ﷺ بقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى: ٦].

أيها الإخوةُ: ما سُمِّيتْ الرحمُ رحماً إلا لما فيه من داعيةِ التراحمِ وأسبابِ التواصلِ ودوافعِ التضامنِ.

وقد قال عليٌّ رضي الله عنه: (عشيرتُك هم جناحُك الذي بهم تُحلِّقُ، وأصلُكَ الذي به تَتعلَّقُ، ويدُك التي بها تصولُ، ولسانُك الذي به تقولُ، هم العُدَّةُ عند الشدةِ، أكرمْ كريمَهم، وعُدْ سقيمَهم، ويسِّرْ على معسِرِهم، ولايكن أهلُك أشقىٰ الخلقِ بكَ). وما المرءُ ولا المروءةُ إلا رحمٌ موصولةٌ، وحسناتٌ مبذولةٌ، وهفواتٌ محتملةٌ، وأعذارٌ مقبولة.

بصلةِ الرحمِ تَقْوىٰ المودةُ وتزيدُ المحبةُ وتشتدُّ عُرىٰ القرابةِ وتضمحلُّ البغضاءُ ويَحِنُّ ذو الرحمِ إلى أهلِه.

وفي الخبر عنه ﷺ: «**إن صلة الرحمِ محبةٌ في الأهلِ، ومثراةٌ في المالِ، ومنسأةٌ في الأثرِ**»[2].

بصلةِ الرحمِ تزيدُ الأعمارُ، وتُعْمَرُ الديارُ وتُباركُ الأرزاقُ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٧٤ ـ ح٣١١٦) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٢/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٠٩ ـ ح١٩٧٩) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحمد (٢/ ٣٧٤)، والحاكم (٤/ ١٦١) وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي.

وتُستجلبُ السعادة، وتُتَّقَىٰ مصارعُ السوءِ.

أيُّها الأحبةُ: إذا كتبَ اللهُ لعبدِه التوفيقَ فكان إلفاً مألوفاً محباً لأهلِه، رفيقاً بأقربائه، حفياً بعشيرته، انتصر بالأُلفةِ على أعادِيْه، وامتنع بالإحسانِ من حاسدِيْه، فسلمَتْ له نعمتُهُ، وصَفَتْ له معيشتُه فيجتمعُ عليه الشملُ، ويمتنعُ عنه الذلُّ، وخيرُ الناسِ أنفعُهُم للناسِ.

ولقد علمَ العقلاءُ والحكماءُ وأصحابُ المروءاتِ أن تعاطفَ ذوْي الأرحامِ وتوادَّ أهل القربىٰ يبعثُ على التناصرِ والأُلفةِ ويُجَنِّبُ التخاذلَ والفرقةَ.

النفسُ الرحيمةُ الواصلةُ، الكريمةُ الباذلةُ، يورثُ اللهُ لها ذكراً حسناً في الحياةِ وبعدِ الممات، الألسنُ تلهجُ بالثناءِ والأيديْ تمتدُّ بالدعاءِ. تعيشُ بين الناس بذكرِها وذكرَاها أمداً طويلاً. يُبارِكُ لها في الحياةِ فتكونَ حافلةً بجليلِ الأعمالِ وجميلِ الفعالِ وعظيمِ المنجزاتِ وكثرةِ الآثارِ. من وصَلَ أقاربَه أحبهُ الله وأحبهُ الناسُ ووُضعَ له الذكرُ والقبولُ. وجبلتْ النفوسُ على حبِّ من أَحسنَ إليها، ألم تقلْ الرحمُ وهي متعلقةٌ بعرشِ الرحمنِ: «**من وصلني وصلَهَ اللهُ ومن قطعنى قطعهُ اللهُ**»[1]؟؟.

وقال لها ربُّ العزةِ في الحديثِ القدسيِّ: «**من وصلكِ وصلتُهُ ومن قطعكِ قطعتُهُ**»[2]. وإنكم لتعلمون أن من وصلَهُ اللهُ فلنْ

---

(١) متفق عليه. أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨١ ـ ح٢٥٥٥) واللفظ له، والبخاري (١/ ٤٣١ ـ ح٥٩٨٩).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٠ ـ ح٥٩٨٨) واللفظ له، ومسلم =

ينقطعَ أبداً.

«فمنْ سرَّهُ أن يُبسطَ لهُ في رزقِهِ ويُنسأَ لهُ في أثرِهِ فليصلْ رحمَهَ»[1].

أيها المسلم: من حقِّ أهلكَ وأرحامكَ أن تعودَ مريضَهُم وتواسيَ فقيرَهم، وتتفقدَ محتاجَهم، وترحمَ صغيرَهم، وتكفلَ يتيمَهم، وتوقرَ كبيرَهم، وتقدِّمَهم ببرِّكَ وإحسانِكَ على من سواهَم، تبشُّ بهم عند اللقاءِ، وتُلينُ لهم في القولِ، وتحسنُ لهم في المعاملةِ، ما بين زيارةٍ وصلةٍ، وتفقدٍ واستفسارٍ، ومهاتفةٍ ومراسلةٍ، تبذلُ المعروفُ، وتُبادِلُ الهدايا والتحياتِ. في حبٍ وعدلٍ وإحسانٍ وفضلٍ، وخفضِ جناحٍ ودعاءٍ.

أيها الأخُ الفاضلُ: ولا يقفُ الأمرُ عند هذا الحدِّ، بل إن عليكَ أن تصلَهم وإن جَفَوْا، وتحلمَ عليهم وإن جَهلوا، وتُحسنَ إليهم ولو أساءوا، فقد قال نبيُّك محمدٌ ﷺ: **«ليسَ الواصلُ بالمكافىءِ ولكنَّ الواصلَ من إذا قَطَعتْ رحمُه وصلَها»**[2].

نعمْ ـ حفظكَ اللهُ ـ إن من صلةِ الرحم أن تغفرَ الهفوةَ، وتسترَ الزلةَ؛ فأيُّ صارمٍ لا ينبو؟ وأي جوادٍ لا يَكبوا؟ وما العقلُ والفضلُ

= (٤/ ١٩٨١ ـ ح٢٥٥٤).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٩ ـ ح٥٩٨٥)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢ ـ ح٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٧ ـ ح٥٩٩١)، وأبوداود (٢/ ١٣٣ ـ ح١٦٩٧)، والترمذي (٤/ ٢٧٩ ـ ح١٩٠٨) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/ ١٦٣).

والنبلُ إلا أن تصلَ من قطعكَ، وتعطيَ من حرمَك، وتعفوَ عمَّنْ ظلمك، وتَحْلُمَ على من جَهلَ عليك. ويزدادُ النبلُ ويعظُمُ الفضلُ وتسمو النفسُ حين تُحسِنُ الظنَّ بهم وتحملُ أخطاءَهم على المحملِ الحسنِ. وتنظرُ في عثراتِهم نظرَ العاذرِ الكريمِ.

اسمعْ ـ رعاك اللهُ ـ إلى هذه القصةِ التي تَنْضحُ نبلاً وشرفاً:

حُكيَ عن بنتِ عبدالله بن مطيعٍ أنها قالت لزوجِها طلحةَ بن عبدالرحمنِ بن عوفٍ ـ وكان أجودَ قريشٍ في زمانِه ـ قالت: ياطلحةُ ما رأيتُ قوماً ألأمَ من إخوانِكَ؟؟؟ قال: ولمَ ذاكَ؟ قالت: أراهم إذا أيْسَرْتَ وكثُر مالُك زارُوكَ ولزِموكَ، وإذا أعسرتَ تركوك؟؟؟ قال: هذا والله من كَرمِهم؛ يأتوننا في حالِ القوةِ بنا عليهم، ويتركُوننَا في حالِ الضعفِ بنا عنهم.

فانظروا ـ كيف تأوَّلَ بكرمِهِ هذا التأويلَ، وفسرَّ بنبيلِ أخلاقِه هذا التفسيرَ، حتى جعلَ قبيحَ فعلِهم حسناً وظاهرَ غدرِهم وفاءاً. وهذا محضُ الكرمِ ولبابُ الفضلِ وبمثلِ هذا يلزمُ ذوي الفضلِ أن يتأولوا الهفواتِ ويدمحوا الزلاتِ من إخوانِهم وأرحامِهم وأصهارِهم، إنه تغافلٌ مع فطنةٍ، وتآلفٌ صادرٌ عن وفاءٍ. وعلاقاتُ الرحمِ ووشائجُ القربىٰ لا تستقيمُ ولا تتوثقُ إلا بالتغافلِ، فمن شدَّدَ نفَّرَ، ومن تغاضىٰ تآلفَ، والشرفُ في التغافلِ، وسيِّدُ قومِه المتغابي.

أين هذا ـ أيها الناس ـ من إناسٍ ماتتْ عواطفُهم، وغلبَ عليهم لؤمهم؟؟ فلا يلتفتُ إلى أهلٍ، ولا يسألُ عن قريبٍ، ولا يودُّ عشيرةً، إن قَرُبوا أقصاهم، وإن بعدُوا تناساهم، بل يبلغُ به اللؤمُ أن يقرِّبَ أصحابَه وزملاءَه، ويجفوا أهلَه وأقرباءَه، يُحسنُ

للأبعدينَ، ويتنكرُ للأقربينَ، بطون ذوَيْ رحمِهِ جائعةٌ، وأموالُه في الأصدقاءِ والصِّحابِ ضائعةٌ. تراه يحاسبُ لهفوةٍ صغيرةٍ، ويقطعُ رحمهَ لزلةٍ عابرةٍ، إما بسببِ كلمةٍ سمعها، أو وشايةٍ صدَّقها، أو حركةٍ أساء تفسيرها.

معاذ اللهِ عبادَ اللهِ ربَّما كان بين الإخوةِ والأقاربِ من القطيعةِ ما يستحقون به لعنةَ اللهِ من فوق سماواته اقرؤا إن شئْتُم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢،٢٣]. نعم يستحقون اللعنةَ، وتحلُّ بهم النقمةُ وتزولُ عنهم النعمةُ. والجنةُ تبلغُ ريحُها خمسمُائةِ عامٍ ولا يجدُ ريحَها عاقٌ ولا قاطعُ رحمٍ.

من لم يصلْ رحمَهُ ويتعاهدْ بخيره أقاربَه فلا خيرَ فيه ولا نفعَ منه. من ذا الذي قد فاضَ مالُه يأكلُ ويشربُ ويكتسيْ ويتمتعُ وأقاربُه الضعفاءُ عراةٌ جائعونَ، ورَحِمُهُ البؤساءُ مهملون ضائعونَ؟؟؟.

ولقد قال علي بن الحسين رضي الله عنه وعن آبائه: (يابنيَّ لا تصحبنَّ قاطعَ رحمٍ فإني رأيتُه ملعوناً في كتابِ اللهِ في ثلاثةِ مواضعَ، ومن لم يصلح لأهلِهِ لم يصلحْ لك ومن لم يذبَّ عنهم لم يذبَّ عنك).

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واحذروا سخطَ ربِّكم وصِلُوا أرحامَكم ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

صلوا أرحامكم
الخطبة الثانية

الحمد للهِ خلقَ من الماءِ بشراً فجعله نسباً وصِهراً، أحمده سبحانه على كل فضلٍ واشكره على كل نعمةٍ، وأتوبُ إليه واستغفره إعلاناً وسراً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له أحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبْراً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أعلى الناس منزلةً وقدراً، وأوصلُهم رَحِماً وبرَّاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الناس: صلةُ الرَّحم حقٌ لكلِّ من تربطُك به صلةُ نسبٍ أو قرابةٍ، وكلُّ من كان أقرَبَ كان حقُه أولىٰ وألزمَ «**أمُّكَ وأباكَ ثمَّ أدناكَ أدناكَ**»[1]. وأسرعُ الخيرِ ثواباً البرُّ وصلةُ الرحم، وأسرعُ الشرِّ عقوبةً البغيُ وقطيعةُ الرحم. ألم تعرفوا أن شريفَ خصالِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ؟ ـ وخصالهُ كلُّها شريفةٌ ـ ألم تقرأوا نعتَ خديجةَ لحبيبها محمد ﷺ؟ : (كلا واللهِ لا يخريكَ اللهُ أبداً، إنكَ لتحمِلُ الكلَّ وتصلُ الرحمَ وتَقْري الضيفَ وتُكسِبُ المعدومَ وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ)[2]. صلةٌ كريمةٌ تحوطُها السماحةُ، ويظلِّلُها الحلمُ، ويُحيطُ بها العفوُ، ويحكمُها ضبطُ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٤١٥ ـ ح٥٩٧١)، ومسلم (٤/ ١٩٧٤ ـ ح٢٥٤٨).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ٣٠ ـ ح٣)، ومسلم (١/ ١٤١ ـ ح١٦٠).

النفس. حسنُ معاملةٍ تعلو بها المراتبُ ويكثرُ بها الأحبابُ، وتُستَجلبُ بها المودّاتُ، وتَحسنُ بها العواقبُ.

فحذارِ حذارِ رحمكم اللهُ من التساهلِ مع أحقِّ الناس بحسنِ صحبتِكم. وإياكم إياكم أن تتظارَفوا[1] وتتكايَسوا[2] مع الأبعدين وتنسوا الأقربين فإنكم إن فعلتم غَبَنْتُم أنفُسَكُم وظلمتُم الحقَّ الذي عليكم، وقد علمتم أن تقطيعَ الأرحام يهدمُ كيانَ الأُسرة، ويزلزلُ أركان العشيرةِ ويجعلُ أفرادها مرتعاً للفتنِ ونهباً للأحقادِ وفريسةً للتمزُّق. وقد قيل في مأثورِ الحِكَم: لا تقطعِ القريبَ وإن أساءَ فإن المرءَ لا يأكل لحمَه وإن جاعَ.

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واستعينوا بالله على مرضاتِه واستمسكوا بآدابِ شريعتِه تولانا الله جميعاً في أنفسنا وذوينا ومحبيِّنا، وأعاننا على امتثالِ أمرِه وطاعتِه واتباعِ نبيِّه بمنِه وكرمِه.

---

(١) تتظارفوا: مأخوذ من الظرف وسماحة النفس.

(٢) مأخوذ من الكيس وحسن التعامل.

النفس الإنسانية
الـداء والـدواء
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ بيدِه الملكُ والملكوتُ، وله العزةُ والجبروتُ، أنشأنا من الأرضِ نَسمَا، واستعمرنا فيها أجيالاً وأُمما. أحمدُه سبحانه وأشكرهُ، وأتوبُ إليه وأستغفرهُ له الدوامُ والبقاءُ وهو حيٌ لا يموتُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه الموصوفُ بجميلِ النعوتِ، صلى اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلى آلِهِ وأصحابِهِ والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ موعود لن يتخلفَ ولن يفوتَ.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ أوصيكمْ ونفسيْ بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ فتقوى اللهِ بإذن اللهِ كفايةُ كلِّ همٍّ وزوالُ كلِّ غم. ومن اتقىٰ الناسَ من دونِ اللهِ فلن يُغْنوا عنه من اللهِ شيئاً. الزموا طاعةَ اللهِ واجتنبوا معصيتهُ، فبالطاعةِ حياةُ القلوبِ كما بالطعامِ حياةُ الأجسادِ. وأضرارُ المعاصي كأضرار السمومِ.

أيها الإخوة في الله: تتقاذفُ أمواجُ السنينَ على شواطىءِ الحياةِ. فينتفيْ الخبثُ، ويُطرحُ الغُثاءُ، وتتراكمُ الأحداثُ ويزدادُ سجلُّ التاريخِ صفحةً من بعدِ صفحةٍ، والأفلاكُ تدورُ بإذن اللهِ فَيُلْفَظُ القِشرُ، ويُحْفظُ اللُّبابُ، وكلُّ ذلك عند ربِّكَ مسطورٌ في كتابٍ.

وابنُ آدمَ بأمرِ اللهِ محمولٌ هنا وهناكَ على مركبَ السنينَ والأيامِ.

في استقبالِ عامٍ وتوديعِ آخرَ تأملوا في أحوالِكمُ وتدبروا، وحاسبوا أنفسَكم وتساءَلوا. اقرأوا ما خطَّهُ التاريخُ في صفحاتِه فبينَ أيديكم صفحة تُطْوىٰ غدا أو بعد غد. هل أيقظتْ من دهرِها القلوبَ السَّكْرىٰ؟ وهل انجلت غواشي الغفلةِ عن العيونِ السادرةِ؟.

ألم تُدركْ تلكَ النفوسُ أن الأنفاسَ معدودةٌ والأجالَ محدودةٌ، الصاحبُ مفارقٌ، والعشيرُ منقطعٌ. عِشْ ما شئتَ فإنك ميِّتٌ، وأحببْ من شئتَ فإنك مفارِقٌ، واعمل ما شئتَ فإنك مَجْزِيٌّ.

أيها الناسُ: أغرَّ الشبابَ نضارةُ الحياةِ وصحةُ المزاجِ؟ أنسوا فقدانَ الأقرانِ وسرعةَ المفاجأتِ؟ أغرَّ الأصحاءَ امتلاءُ الأجسامِ؟ ألم يروا من مات من غير سقم؟ أغرَّ آخرين طولُ الإمهالِ وكأنَّهم لم يروا مأخوذين على غرةٍ ومن غير علةٍ؟.

إن تقلباتِ الدهرِ، وتصرماتِ الأيامِ يجبُ أن تكون مواقفَ محاسبةٍ ومُساءلةٍ.

حظُّ الإنسانِ من الدنيا عُمُرُه، فياترى بماذا يعمره؟ كم حسراتٍ لمن تحت التراب، حسراتٌ أورثها طولُ الأملِ. رَكَنَ هذا المتحسرُ إلى الدنيا ولم يتفكَّرِ بالرحيلِ وحينما تفكرَ سوَّف بالعمل، ولم يزْل كذلكَ حتى تخطَّفَهُ الموتُ. كم حسرةٍ له تحتَ الترابِ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ . .﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

إن حقاً على كلِّ ذي لبٍ أن يقفَ وقفةَ صدقٍ مع نفسه ومع الزمنِ. فوربِّ السماءِ والأرضِ لتموتُنَّ كما تنامونَ، ولتبَعثُنَّ كما تستيقظون، ولتجزَوُنَّ بما كنتم تعملون.

كلُّ الناس عند ربِّهم موقوفون، وكلُّهم عنده مسؤلون، الأممُ مسؤولةٌ والمرسلون مسؤلونَ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

أهلُ الصدقِ مسؤلون: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب:٨] وحين يُسألُ الصادقونَ فويلٌ يومئذٍ للمكذبين ولعنةُ الله على الكاذبين.

أهلُ النعيم مسؤلونَ والنعيمُ في نعمِ اللهِ لايحصىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

رحمني الله وإياكم فلتنظرْ نفسٌ ما قدمتْ لغدٍ. ابنَ آدمَ كلُّكَ مسؤلٌ. يداكَ ورجلاكَ، وجوارحُكَ وجلدُك، كلُّ ذلكَ مستنطقٌ مستشهدٌ ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

نعمْ واللهِ إنكم مسؤلون: ماذا كنتُم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين؟.

«ولا تزول قدما عبد يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن عمرِهِ فيم أفناهُ وعن علمهِ فيم فعلَ به وعن مالهِ من أين اكتسبهُ وفيم أنفقَهُ وعن جسمهِ فيم أبلاه»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٢٩ ـ ح٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

ومن أرادَ محاسبةَ نفسهِ صادقاً مخلصاً فليعرفْ أدواءَ النفوسِ وليعرفْ دواءَها.

إن من المحاسبةِ ألا تطمعَ في النجاةِ وأنت مذنبٌ، ولا تطمعَ في الكمال وفيكَ عيبٌ. استغفرْ لذنبِك واصلحْ من نفسِك واسلكْ سبيلَ الهدىٰ وتخيَّرْ طيبَ[1] الغذاءِ والزمْ طريقَ أهل التُّقىٰ.

أيها الأحبابُ: إن النفسَ إذا أُهمِلَتْ، ولأهوائِها استسلمتْ، فسدتِ الأرضُ، وانتشرَ الهرجَ والمرجَ[2]، وانتُهِكَ العرضُ وسُفِكَتْ الدماءُ.

إن دقةَ المحاسبةِ يؤكدُ أن القليلَ من الماءِ تُبَلُّ به العروقُ ويَذْهبُ بالعطش، ولكنه إذا صارَ لُجةً ملاءَ الأمعاءَ وكتمَ الأنفاسَ وأزهقَ الأرواحَ.

والمجاهدةُ والمحاسبةُ ركنُها وعمادُها الإخلاصُ لله والسيرُ على منهجِ رسولِ اللهِ ﷺ.

تأمَّلوَاْ أحوالَ هؤلاءِ الثلاثةِ من بني آدمَ في مقاصدهم وأعمالِهم: لصٌ وحارسٌ ومتعبدٌ. أما اللصُّ فيحيْ ليلهَ ليأكلَ أموالَ الناسِ بالباطلِ ويخونَ النائمينَ الآمنينَ، وأما الحارسُ فيحيْ

---

(١) أي: الحلال من الغذاء.

(٢) الهرج: هو القتل، والمرج: الفوضىٰ والاضطراب، وقال: المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٢٧): الهرج: هو الاختلاف والفتن، وقد فسر في بعض الأحاديث بالقتل لأن الفتن والاختلاف من أسبابه، فأقيم المسبب مقام السبب.

ليله أجيراً يؤديْ واجباً. وأما المتعبدُ فقد تجافىٰ جنبهُ عن المضْجعِ يدعوْ ربَّه خوفاً وطمعاً خشيَ الرحمنَ بالغيبِ وجاءَ بقلبٍ منيبٍ. كلُّ هؤلاء قد أحيا ليله ما فاوتَ بينهم إلا القصدُ والعملُ.

كم من عاملةٍ ناصبةٍ تصلىٰ ناراً حاميةً هؤلاء هم متعبدةُ اليهودِ النصارىٰ والهنودِ وأضرابُهم ممن قد يطوون بطونهم جوعاً ويعتزلونَ في الأديرةِ والصوامعِ والمعابدِ: ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤].

كم فتيانٍ نضرةٍ ذوي أجسامٍ ممتلئةٍ تُرْهقُ أجسادَها بفنونٍ من رياضةِ الأبدانِ، يُغمْضِونَ أعينَهم عن العواقبِ، مشتغلون بالوسائلِ عن الغاياتِ تتسعُ عندهم دائرةُ الآمالِ والأماني، أين هؤلاء من المحاسبة ذاتِ الأخلاصِ والمتابعةِ، والتفريقِ بين الوسائِل والغاياتِ إن من أعظمِ الأدواء الغفلةَ والتوانيَ والإصرارَ والتسويفَ وطولَ الأملِ واستبعادَ الأجلِ.

هذا من الداءِ ومن وصفاتِ الدواءِ التوجُهُ إلى اللهِ بتوبةٍ نصوحٍ تُنْجيْ من الإصرارِ، وخوفٍ من المولى يزيلُ التسويفَ ورجاءٍ عظيمٍ يبعثُ على مداومةِ العمل، وعمرانِ القلبِ واللسانِ بذكرِ اللهِ وبالقرآنِ.

أما من ابتلي بداء الرياءِ والاشتغالِ بتزيينِ الظاهرِ فيخشعَ من غيرِ خشوعٍ، ويتعبدَ بجوارحه وقلبُه في ذهولٍ فطريقةُ المحاسبةِ والمعالجةِ الاشتغالُ بحفظِ الأسرارِ واصلاحِ السرائِر فمن أصلحَ سريرتَه أصلح اللهُ علانيته وليعلَمْ هذا المتزينُ أن هؤلاء الخلقَ الذين يتزينُ لهم لن ينفعوه ولن يضروه إلا بما كتبهُ اللهُ له وعليهِ

ولْيعلمْ كذلك أن هؤلاء الخلقَ الذين يتزينُ لهم لا يحبونهُ ولا يكرهونهُ إلا بمقدارِ ما يجعلهُ اللهُ في قلوبِهم. ولقد قيل: (زينةُ الظاهرِ مع الفجورِ يورث الإصرار).

أيها المسلمون: وإذا أحسَّ العبدُ بفقدانِ لذةِ الطاعةِ فذلك من سُقْمِ القلبِ وغِلَظِ الغِشَاوةِ، ومداوةُ ذلكَ بأكلِ الحلالِ، وادامةِ الذكرِ، وصدقِ التضرعِ.

ومن ابتليَ بالاشتغالِ بعيوبِ الناسِ فلينصرفْ إن كان صادقاً في المحاسبةِ إلى عيوبِ نفسِه، وليوطِّنْ نفسُه على حبِّ الصالحينَ وطاعةِ أهلِ العلمِ والفضلِ والصلاحِ ولْيستيقنْ أن من سترَ على أخيه المسلمَ سترَ الله عورتهَ «**ومن تتبعَ عورةَ أخيه تتبعَ اللهُ عورتهَ حتى يفضحهَ في جوفِ بيتهِ**»[1]. وليحسنْ الظنَّ بإخوانِه فينظر لهم بعين الزيادةِ وإلى نفسهِ بعين النقصِ وقد قال بعضُ الصالحين: (لك فضلٌ وأنت في خيرٍ ما لم تُعجَبْ بفضلِكَ وتزدرِ غيرَكَ فإذا رأيتَ فضلكَ وانتقصت غيرَكَ فلا فضلَ لكَ).

أما الغارقون في الملذاتِ المتكاسلون عن الصالحاتِ فليعلموا أن النفس إذا شبعتْ بَطرتْ، وإذا بَطرتْ تجاوزتْ في حظوظِها وحدودِهَا وحقوقِها، ورانَ على قلبِها ما كسبتْ. وعلاجُ ذلك وحسابُه ميزانُ النبوة: «**ما ملأ ابنُ آدم وعاءً شراً من بطنهِ، بحسْبِ ابن آدمَ لقيماتٌ يُقمْنَ صُلبَه، فإن كان لا محالةَ فثلثٌ لطعامهِ وثلثٌ**

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٧٠ ـ ح٤٨٨٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٩)، والترمذي (٤/ ٣٣١ ـ ح٢٠٣٢) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ٨٥٠ ـ ح٢٥٤٦)، وصححه الألباني.

لشرابِه وثلثٌ لنفسهِ»[1].

أيها الإخوة: أدواء النفوس كثيرةٌ، والمعاني في الكتابِ والسنةِ معلومةٌ، والمحاسبةُ واجبةٌ، فالكيِّسُ من دان نفسَهُ وعمِلَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ من أتبعَ نفسَه هواها وتمنىٰ على اللهِ الأماني.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٠٩ ـ ح٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٤/ ١٣٢)، وابن ماجه (٢/ ١١١١ ـ ح٣٣٤٩)، والحاكم (٤/ ١٢١) وسكت عنه وصححه الذهبي، وصححه الألباني.

النفس الإنسانية
الـداء والـدواء
الخطبة الثانية

الحمدلله كتبَ على الخلائقِ الفناءَ والزوالَ، فكان لكلٍّ نازلٍ في هذه الدنيا رحيلٌ وانتقالٌ. أحمده سبحانه وأشكره وهو الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوُله بعثُه ربه بالهدى ودينِ الحقِّ فهدىٰ بإذن ربه من العمىٰ وأنقذ من الضلالِ، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبه الصادقينَ في الأقوالِ والأعمالِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآلِ.

أما بعد فيا أيها الناسُ: على أيِّ شيء تُطوىٰ صحائفُ هذا العامِ، ومن ترىٰ هذا الذي لم يبقَ من أجله سوى ساعاتٍ أو أيامٍ.

ألا فبادروا بالمحاسبة رحمكم اللهُ، فمن البلاءِ تضييعُ الأوقاتِ والاشتغالُ بما لا يغنيْ ولا ينفعُ.

حريٌّ بالناصح نفسَهُ الجادِّ في المحاسبةِ أن يعرف عزَّ الوقتِ وعزَّ الأشياءِ، فكَلُّ عملٍ تكرهُ الموتَ من أجله فبادرْ بتركَهُ، كفاكَ همُّ يومِك، فلماذا همَّ الصيفِ وهم الشتاءِ، وماذا أبقيتَ لهمِّ الآخرة؟.

اصحبوا الأخيارَ وابتعدوا عن الأشرارِ «**فمن تشبه بقومٍ فهو**

منهم»[1]، **«والمرءُ مع من أحبَّ»**[2]، **«فلا تصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكلْ طعامَك إلا تقيٌ»**[3]، وصحبةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيارِ، والصداقةُ عداوةٌ إلا ماصافيتَ، وجمعُ المالِ حسرةٌ إلا ما تصدَّقتَ وواسيتَ.. والنَفسُ إن لم تشغلْها بالحقِّ شغلتكَ بالباطلِ، ومن تركَ ما لا يعنيهِ اشتغلَ بما يعنيه والعكسُ بالعكسِ.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله.

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٠، ٩٢)، وأبوداود (٤/ ٤٤ ـ ح٤٠٣١)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٠/ ٥٧٣ ـ ح٦١٧٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٤ ـ ح٢٦٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبوداود (٤/ ٢٥٩ ـ ح٤٨٣٢)، والترمذي (٤/ ٥١٩ ـ ح٢٣٩٥) وقال: حديث حسن، والحاكم (٤/ ١٢٨) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني.

هذا أبوبكر (رضي الله عنه)
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ القديم سلطانُهُ، العميم فضلُهُ، الجزيلِ إحسانُه، أحمده سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله بدعوتِهِ وجهادِهِ قامتْ للدينِ أركانُهُ وشِيْدَ بنيانُهُ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فإن تقوىٰ اللهِ خلفٌ من كلِّ شيءٍ، وليسَ من تقوىٰ اللهِ خلفٌ.

أيها المسلمون: ما كان تزويقَ ألفاظٍ، وما كان حديثاً يُفترىٰ ذلك الحديثُ الذي روىٰ به التاريخُ أنباءَ أعظم ثلَّةٍ ظهرتْ على وجهِ الأرضِ في دنيا الناسِ وفي ميدانِ العقيدةِ والإيمانِ.

إن التاريخَ الإنسانيَّ بعرضِهِ وطولِهِ لم يشهدْ من الصدقِ والتوثيقِ وتحرِّيْ الحقِّ والحقيقةِ مثلَ ما شهدَ تاريخُ الإسلامِ في سِيَرِ رجالِهِ السابقين.

إن التاريخَ لم يشهدْ رجالاً اشتدَّ باللهِ عزمُهم، وصدقتْ لله نواياهُم، في غاياتٍ شريفةٍ من الإيمانِ والإصلاحِ، نذروا لها حياتَهم، صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه في جسارةٍ وتضحيةٍ. إنه لم يشهدْ كما شهدَ في الرجالِ من صحبِ رسولِ اللهِ ﷺ رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

كيف أنجزَ هؤلاءِ الأبرارُ هذا الإنجازَ، وفتحوا هذه الفتوحَ في بضع سنينَ. كيف شادوا بقرآنِ اللهِ وكلماتِه نظاماً جديداً، وعالماً فريداً يهتزُّ نضرةً ويتفوقُ قوةً وقدرةً. في لمحِ البرقِ وضيائِه أضاؤا الإنسانيةَ بحقيقةِ التوحيدِ وصفاءِ العقيدةِ ونورِ الشريعةِ. إن هذا وربِّك الإعجازُ في الإنجازِ، ويقودُ هذا الإعجازُ إلى إعجازٍ آخرَ يتمثلُ في سِيَرِهُم الذاتيةِ وطبائِعهم النفسيةِ التي صاغَ الدينُ فضائلها، وهذَّب القرآن سجاياها. عاشُوا مع نبيِّهم محمدٍ ﷺ ﴿ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] نفوسٌ صدقتْ في إيمانِها، فتولَّدتْ فيها قوةُ الثباتِ، وحقيقةُ الولاءِ، فكان ذلك البذلَ العظيمَ الذي بذلوا، والهولَ الشديدَ الذي احتملوا، والفوزَ الكبيرَ الذي حازوا. لقد حرَّروا البشريةَ من وثنيةِ العبوديةِ، وتِيْهِ الضَّميرِ، وضلالِ المسيرِ وضياعِ المصيرِ.

في دراسةِ السيرِ والتاريخِ لسلفِنا الصالحِ نشهدُ كتائِبَ الحقِّ وهي تطويْ العالمَ بإيمانِها، ترفعُ راياتِ الحَقِّ لتعلن توحيدَ الربِّ وتحريرَ الخلق.

أيُّها الإخوةُ: وهذه وقفةٌ مع سيرةِ رجلٍ من هؤلاءِ الرجالِ، بل إنه رجلٌ لا كالرجالِ، إنه الصديقُ أبوبكرٍ خليفةُ رسولِ الله الأولُ والمؤمنُ برسولِ اللهِ من الرِّجالِ الأُولُ. رضي الله عنه وأرضاه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً. سبقَ إلى الإيمانِ، وبادرَ إلى الرفقةِ، ولازمَ الصحبةَ واختصَّ بالمرافقةِ في الغارِ والهجرةِ: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فمن سرَّه أن ينظرَ إلى عتيقٍ من النارِ فلينظر إلى أبي بكرٍ. كيف لا وقد أعلنَ المصطفىٰ ﷺ وهو على المنبرِ خطيباً: «**إن أمنَّ الناسِ عليَّ في صحبتهِ ومالهِ أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غيرَ ربي لاتخذت أبابكرٍ، ولكن أُخوَّةُ الإسلامِ ومودتُهُ، لا يبقىٰ بابٌ في المسجدِ إلا بابَ أبي بكرٍ**»[1].

وفي أفرادِ البخاري: «**إن الله بعثنيْ إليكم فقلتم: كذبَ، وقال أبوبكرٍ: صدقتَ، وواساني بنفسهِ ومالهِ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟؟**»[2].

ويزدادُ الأمرُ وضوحاً ووضاءً حين يقول عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وكافيناهُ بها ما خلا أبابكرٍ فإن له يداً يكافيْهِ اللهُ بها يومَ القيامةِ**»[3].

أبوبكرٍ الأبيضُ النحيفُ اللطيفُ خفيفُ العارضينِ جعدُ الشعرِ دقيقُ الساقينِ خفيفُ اللحمِ يخضبُ بالحناء والكتمِ.

هو الوقورُ جميلُ السمتِ يغارُ على مروءتِهِ ويتجنَّبُ ما يريبُ لم يشربْ الخمرَ في الجاهليةِ لإنها تُخلُّ بوقارِ مثلِهِ. وقد سئلَ عن ذلك يوماً فقال: كنتُ أصونُ عِرضِي وأحفظُ مروءتي.

أيُّها الإخوةُ في اللهِ: أصحابُ المقاماتِ والقياداتِ وذووُ الشرفِ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (١/ ٦٦٥ ـ ح٤٦٦) واللفظ له، ومسلم (٤/ ١٨٥٤ ـ ح٢٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٢ ـ ح٣٦٦١).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٨ ـ ح٣٦٦١) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم ٥٦٦١.

والوجاهاتِ يعتصمونَ بالوقارِ والاحتشامِ، ويستزيدونَ من خلائق الصدقِ والمروءةِ والوفاءِ، في شفافيةِ نفسٍ، ورهافةِ حسٍ. لقد بلغتْ نفسُه قُصارىٰ ما تبلغُهُ نفسٌ طيبةٌ منْ رعايةِ حقوقِ الناسِ، ومسارعةٍ إلى الخيراتِ، ودرءٍ للشرورِ وساقطِ الأمورِ.

يقولُ ربيعةُ الأسلمي رضي الله عنه: جرىٰ بينيْ وبين أبي بكرٍ كلامٌ فقال لي كلمةً كرهتُها، ونَدِمَ أبوبكرٍ عليها، فقال: يا ربيعةُ ردَّ علي مثلها حتى يكونَ قصاصاً. قلت لا أفعلُ. قال: لتقولنَّ أو لأستعدينَّ عليكَ رسول الله ﷺ؛ فقلتُ: ما أنا بفاعلٍ. فانطلق أبوبكرٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ. وجاءني ناسٌ من قومي من أسلمَ فقالوا: رحمَ اللهُ أبابكرٍ في أي شيءٍ يستعدي عليك؟ وهو الذي قالَ لكَ ما قال؟؟ فقلت: أتدرون من هذا.. أبوبكر؟ ثاني اثنين وهو ذو شيبةٍ في الإسلام إيَّاكُم لا يلتفتْ فيراكُم تنصروني عليه فيغضبْ فيأتي رسولَ الله ﷺ فيغضبُ لغضبهِ فيغضبُ اللهُ لغضبهما فيهلكَ ربيعةُ. وانطلق أبوبكرٍ وتبعتهُ وحدي حتى أتى رسول الله ﷺ فحدثَهُ الحديثَ كما كان، فرفع رسول الله ﷺ إليَّ رأسَهُ فقال: يا ربيعةُ مالكَ وللصِّديق؟ فقلتُ يارسولَ الله كان كذا وكذا، فقال لي أبوبكرٍ كلمةً كرهتُها وطلبَ منيِّ أن أقولَ كما قالَ حتى يكونَ قصاصاً فأبيتُ؟؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: أجَلْ لا تردَّ عليه. ولكنْ قلْ: قد غفر اللهُ لكَ يا أبابكرٍ.

أبوبكرٍ يكرهُ أن يسيءَ إلى أحدٍ لأنهُ ـ وهو الودودُ المؤدَّبُ ـ يعلمُ ما توقعُهُ الإساءةُ في النفس من ألمٍ قد يخرجُها عن طورِها في حلمِها وأناتها. لقد كان يتحاشَىٰ السَّقَطَ من الكلام، وإذا مدحُهُ مادحٌ قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، واغفرْ اللَهم لي ما لا يعلمون،

واجعلني خيراً مما يظنون.

لقد كان كريمَ النزعاتِ والطوايا، سريعَ التأثرِ بمآسيَ من حوَله، مع طموحٍ عجيبٍ إلى المُثُل العليا، يسابقُ إلى الخيراتِ، ويبادرُ إلى صنوفِ البرِّ والإحسانِ، ومواساةِ ذوي الحاجاتِ.

صلى رسولُ الله ﷺ الفجرَ ذاتَ يوم بأصحابه، فلما قضىٰ صلاته قال: «**أيُّكم أصبحَ اليومَ صائماً؟** قالَ أبوبكرٍ: أنا، قال: **من تبع منكم اليومَ جنازةً؟** قال أبوبكرٍ: أنا، قال: **من أطعمَ اليومَ مسكيناً؟** قال أبوبكرٍ: أنا، قال: **فمن عاد منكم اليومَ مريضاً؟ قال أبوبكرٍ: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرىءٍ إلا دخلَ الجنةَ**»(١)

أيُّها الإخوةُ: إن أبابكرٍ رضي الله عنه بأفعاله الجميلةِ، ومبادراتِهِ المتنوعةِ يدخلُ الجنةِ ليس من بابٍ واحدٍ ولكن من أبواب الجنة جميعها؛ فلقد عدَّدَ رسول الله ﷺ أبوابَ الجنةِ فكان مما قال: «**من كان من أهل الصلاةِ دُعيَ من بابِ الصلاةِ، ومن كان من أهل الجهادِ دُعيَ من بابِ الجهادِ، ومن كان من أهلِ الصدقةِ دُعيَ من بابِ الصدقةِ، ومن كان من أهلِ الصيامِ دُعيَ من بابِ الصيامِ وبابِ الريانِ.** فقال أبوبكرٍ رضي الله عنه: ما على الذي يُدعىٰ من تلك الأبوابِ من ضرورةٍ؟؟؟ وهل يدعىٰ من كلِّها أحدٌ يا رسولُ اللهِ؟ قال: **نعم. وأرجوا أن تكون منهم يا أبابكرٍ**»(٢)

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥٧ ـ ح١٠٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٣ ـ ح٣٦٦٦)، والترمذي (٥/ ٥٧٤ ـ ح٣٦٧٤) وقال: حديث صحيح، والنسائي (٤/ ١٦٩).

ومن أجلِ هذا فلا جرَمَ أن يقولَ عمرُ وعليٌّ رضي الله عنهما: ما سابَقْنا أبابكرٍ إلى خيرٍ قطُّ إلا سَبَقنا عليه.

أيها الإخوة: ولئن كان أبوبكرٍ أليفاً مألوفاً سمحاً ودوداً ليناً سهلاً حسنَ الحديثِ أديبَ المجالسةِ فلتعلموا أن هذا الرفيعَ من السجايا والجميلَ من المحامدِ يؤازِرُهُ قسطٌ وافرٌ من رجاحةِ العقلِ وحصيفِ الذكاءِ الذي يتميزُ به ويحتاجُهُ ذوو الأقدارِ الكبيرةِ من الرجالِ، فقد قيلَ فيه وفي أبي عبيدةَ بن الجراحِ رضي الله عنهما: «**هما داهيتا قريشٍ**»، ولقد كان أبوبكرٍ أسرعَ إلى الفطنةِ والإدراكِ فيما يُعرِّضُ به النبيُّ ﷺ لأصحابه من التلميحِ دون التصريح. يُحدِّثُ أبوسعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه يقول: جلس رسولُ الله ﷺ على المنبرِ يوماً فقال: «**عبدٌ خيرَّهُ اللهُ أن يؤتيَه زهرةَ الدنيا وبينَ ما عندهُ فاختارَ ما عندهُ**»[1]، فبكىٰ أبوبكرٍ وبكىٰ، وقال: فديناكَ بآبائنا وأمهاتنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّرَ. وكان أبوبكرٍ أعلَمَنا بهِ.

ويقترنُ بدماثةِ الخلقِ وهدوءِ الطبعِ ورجاحةِ العقلِ قوةٌ في الحقِّ وشجاعةٌ في النفسِ وإخلاصٌ للمبدأ فحين أسلم أعلن إسلامه، وجهر بصلاته، ولقَي من الأذىٰ في مكة ما لقي، وتحملَ في ذلك ما تحملَ.

وفي المعاركِ كان القريبَ من رسول اللهِ ﷺ، شهدَ المشاهدَ كلَّها وكانت معه الرايةُ يومَ تبوكٍ، ولم تُذكر له قطُّ هزيمةٌ في

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (٧/ ٢٦٨ - ح٣٩٠٤)، ومسلم (٤/ ١٨٥٤ - ح٢٣٨٢) واللفظ له.

ساعة من ساعات الشدةِ لا في أحدٍ ولا الخندقِ ولا حنينٍ، ولا ثبتَ أحدٌ حيث يصعبُ الثباتُ إلا كان هو أولَ الثابتين لم يفارقْ نبيَّه محمداً ﷺ لا حضراً ولا سفراً.

ولقد اجتمعتْ تلك الصفاتُ كلُّها وبرزتْ في أجلىٰ صورها وأبهىٰ ممارساتِها حينما تولىٰ الخلافةَ بعد رسولِ الله ﷺ، فلقد كان خيرَ خليفةٍ، أرحمَ الناسِ وأحناهم عليهم في عفةٍ وصدقٍ ودعةٍ وحزمٍ، وأناةٍ وكَيْسٍ، ويَقظةٍ ومتابعةٍ، ومن ردَّ أهلَ الردةِ إلا أبوبكرٍ، الضعيفُ عنده قويٌّ حتى يأخذَ الحقَّ له والقويُّ عنده ضعيفٌ حتى يأخذَ الحقَّ منه. نعم لقد كان قوةً للضعيفِ ونَصفةً للمظلومِ، ومفزعاً للملهوفِ، فهو الخليفةُ الشفيقُ، وهو الراعيْ الرفيقُ، يذودُ الأمةَ عن مراتعِ الهلكةِ، ويحمي من الحرِّ والقرِّ، يهتمُّ بشؤنِهم، ويغتمُّ لشكَايتِهم، وصيُّ اليتامىٰ، وخازنُ المساكينِ، كالقلبِ بين الجوانحِ، تصلحُ بصلاحهِ كلُّ الجوارحِ.

أيُّها الإخوةُ: والحديثُ يطولُ في مسيرةٍ لا ينقضيْ منها العجبُ. فهل تعي الأمةُ في أعقابِ الزمنِ، وفي مواضعِ الفتنِ المجيدِ من تاريخِها؟ أم هل يعي شبابُها أن روحَ التاريخَ يكَمنُ في سيرِ الرجالِ الأفذاذِ؟ ولكن ما الحيلةُ إذا كان الرجالُ لا يقدِّرون الرجال:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

هذا أبوبكر (رضي الله عنه)
الخطبة الثانية

الحمد للهِ رفعَ قدرَ أولي الأقدارِ، أحمده سبحانه وأشكره على فضلهِ المدرارِ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ المختارُ، صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار، من المهاجرين والأنصار والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله رحمكم الله أيها المسلمون. الأممُ والشعوبُ كما تحقِّقُ العزَّ والمجدَ يَمسُّها الضعفُ والهوانُ. وتاريخُ الإسلامِ ليس مجردَ أحداثٍ مدونةٍ، ووقائعَ مسجلةٍ، ولكنه عقيدةُ الأمةِ ودينُها ومقياسُها وميزانُها وعظتُها واعتبارُها. التاريخُ هو الكنزُ الذي يحفظُ مدخراتِ الأمةِ في الفكرِ والثقافةِ والعلمِ والتجربةِ، وهو الذي يمدُّها ـ بإذن الله ـ بالحِكمِ التي تحتاجُها في مسيرةِ الزمنِ وتقلُّبِ الأحداثِ. والأمةُ التى لا تَحسنُ فقهَ تاريخِها ولا تحفظُ حقَّ رجالِها أمةٌ ضعيفةٌ هزيلةٌ ضالةٌ عن حقائق سننِ اللهِ، مضيعةٌ لمعالمِ طريقِها.

أيها الإخوةُ: وإن شئتُم مزيداً من سيرةِ هذا الرجلِ المباركِ، والقدوةِ الحسنةِ فلتعلموا أن هذا الإلفَ المألوفَ الرحيمَ بالغرباءِ قبلَ الأقربين غزيرُ الدمعةِ شجيُّ النشيج، هذه الرحمةُ والرقةُ لم تمنعْ المؤمنَ الصدِّيقَ من أن ينهض لمبارزة ابنه الكافرِ يومَ بدرٍ حين شهِد الحربَ مع المشركينَ، فقد رأىٰ من البرِّ في الدينِ أن

ينهضَ بنفسِهِ لمبارزة ابنه، ولا يدعُ ذلكَ لأحدٍ من المسلمين، ولكن النبيَّ ﷺ استبقاه وهو يقول: «**متعنا بنفسك يا أبابكر**»[1]. ولم تكتملْ القصةُ بعدُ فلقد أسلمَ الأبنُ عبدالرحمن فقال لأبيه أبي بكر: «يا أبتِ لقد أهدفتَ إليَّ يومَ بدرٍ فانحرفتُ عنكَ، فقال أبوه: ولكنك لو هدفتَ إليَّ لم أنحرفْ عنك». الله أكبرُ ما هذه الحِدَّةُ؟ وما هذا الجدُّ والصرامةُ؟؟ وما هذا الحزمُ والحسمُ؟؟.

أما وصايا الحكمةِ وتوجيهاتُ القيادةِ فلأبي بكرٍ رضي الله عنه منها القِدْحُ المُعلَّىٰ. يقول لعكرمة بن أبي جهلٍ في وصيةٍ: مهما قلتَ إني فاعلٌ فافعلْ ولا تجعلْ قولك لغواً لا في عقوبةٍ ولا في عفوٍ، لا تتوعدْ على معصيةٍ بأكثرَ من عقوبتِها، لأنك إن فعلتَ أثمتَ وإن تركتَ كذبتَ.

رضي الله عن أبي بكرٍ وأرضاهُ، وطابَ ذكرُه حياً وميتاً ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧٤)، والبيهقي (٨/ ١٨٦).

رويداً أيها المراؤن
الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ علامِ الغيوبِ ومكنوناتِ القلوبِ، البصيرِ بالنياتِ وخفايا الطوياتِ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره هو غفارُ الذنوبِ ودامحُ الزلاتِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المخصوصُ بأشرفِ المقاماتِ، والمؤيدُ بالآياتِ الباهراتِ. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ المكرماتِ وعنوان السعاداتِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي أيها الناسُ بتقوىٰ الله عزَّ وجلَّ.

أيُّها الإخوةُ: هاهم حجاجُ بيتِ اللهِ قد ولَّوا وجوهَهم شطرَ ديارِهم، ورَنَتْ[1] أبصارُهم إلى أهلهم وذويهم، تقبل الله منَّا ومنهم، وأعادهم سالمين غانمين، مغفورةً ذنوبُهم محطوطةً خطيئاتُهم.

أيُّها الإخوةُ: وماذا بعد؟ هل لا يعرفُ المسلمون ربَّهم إلا في أيامٍ معلومةٍ أو ساعاتٍ محدودةٍ؟.

إن تفاضلَ بعضِ الأيام والشهورِ في زيادةِ الأجورِ ماهو إلا من أجلِ مزيدِ العمل، ونشاطِ الهمم لتألفَ النفوسُ الطاعةَ. وتستيقظَ فيها من بعد غفلةٍ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ

---

(١) رنت: أي توجهت.

كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

سبحان الله عبادَ اللهِ: من الناس من يقول ربَّنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق أعرضَ عن الآخرةِ، وجعل الدنيا همَّه ضَعُفَ عنده الإخلاصُ، ووهَنَ رجاؤُه في ربِّه، بل إنه ليُمزِّقُ دينَه من أجلِ ترقيعِ دُنياه. ليس له في قصد ابتغاءِ مرضات الله شيءٌ. يطلبُ المنزلةَ عند الناس. بإظهارِ خصالِ الخيرِ والقصدِ إلى بيتِ اللهِ والانتسابَ إلى حجاجِ بيتِ اللهِ، يُظهرُ خصالَ الخيرِ المقربةِ إلى اللهِ في القولِ والمظهرِ والعلمِ والعملِ. إن مرضُ الرياءِ يفعلُ صاحبُه الأفعالَ رياءً وسمعةً وتحدثاً. يُريْ الناسَ أعمالَهَ الصالحةَ ويُزيِّنُها، يُسمِعُهم تِلاوتَه وأحاديثَه ومواعظَه وتذكيرَه. يتحدثُ إليهم بسابقِ فضلِه وصالحِ عملِه الخفيِّ منه والماضي. وهذا لعمرُ الله بحر من الهلاك لا ساحل له.

يبتغي هذا المبتلىٰ كسبَ المديحِ واتقاءَ الذمِّ واستدرارَ الأموالِ وقضاءَ الحاجاتِ.

هذا المريضُ يقول قولاً ويطلبُ علماً. ويعملُ عملاً. ويبذلُ مالاً . . لا يريدُ وجه اللهِ ظاهرُ فعلِه جميلٌ وباطنهُ قبيحٌ، يُصلي ويتصدقُ، ويصومُ ويحجُ. . يُظهرُ الحزنَ على أمرِ الإسلام، ويُبدِيْ الخوفَ من أهوالِ يومِ الدين، يُطرقُ رأسَهُ ويتثاقلُ في مشيتِه. يتكلَّمُ بكلامِ أهلِ العلمِ، ويسلك مسالك أهلِ الصلاحِ. . يحركُ شفَتيْهِ في همهمةِ الذاكرين والمسبِّحينَ، وقلبُه بغيرِ اللهِ

مشغولٌ، وعلى سِواهُ يُعَوِّلُ، يبتغيْ ثناءَ الجاهلينَ. ويستميلُ قلوبَ المخلوقين. لا يصنعُ الخيرَ حباً فيه، ولا يتركُ الشرَّ كرهاً له، إذا خلا بنفسهِ ارتكبَ العظائِمَ، يَكْسَلُ إذا كان وحدَهُ، وينشطُ إذا كان في الناس. ينقصُ عند الذمِّ، ويزيدُ عند الثناءِ يتبهرجُ بلباس الصلحاءِ، ويتزيَّا بزيِّ الأخيارِ، وهو ليس من هؤلاءِ ولا هؤلاءِ، متشبِّعٌ بما لا يملكُ مُتدثرٌ بثوبي زورٍ. يتخشَّعُ من غير خشوعٍ، ويتعبدُ من غير حضورٍ. . ترىٰ بدناً ولا ترىٰ قلباً. أخصبُ الناسِ لساناً، وأجدبُهم فؤاداً. لم يقصدْ وجهَ اللهِ فيثابُ، ولم يَخْفَ رياؤه فيُحمَدَ.

رأتْ أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها رجلاً متماوتاً، فقالت: ما بال هذا؟ فقالوا: إنهُ رجلٌ صالحٌ. فقالت: لا أبعد اللهُ غيرَه. كان عمرُ رضي الله عنه أصلحَ منه كان إذا مشىٰ أسرعَ، وإذا ضربَ أوجعَ، وإذا أطعمَ أشبعَ، فدعوا التصنعَ فإن الله لا يقبلُ من متصنِّعٍ عملاً.

وقال بعضُ الواعظين لمحمد بن واسعٍ رحمه الله: ما لي أرىٰ القلوبَ لا تخشعُ، والعيونَ لا تدمعُ، والجلودَ لا تقشعرُّ فقال محمدٌ: يافلانُ: ما أرىٰ القومَ أُتُوا إلا من قِبَلِكَ. إن الذكرَ إذا خرجَ من القلبِ وقعَ على القلبِ.

الرياء ـ أيها المسلمونَ ـ من أمراضِ القلوب، وغوائلِ النفوس، ومكائدِ الشيطانِ، يُبتلىٰ به العلماءُ والعبادُ والأغنياءُ الصلحَاءُ، وكلٌّ مشمرٍ لسلوك طريقِ الآخرةِ.

بالرياء تجدُ النفوسُ مَخلصاً من مشقةِ المجاهدةِ إلى لذة القبولِ

عند الخلقِ، وكأنها لم تقنعْ بإطلاعِ الخالقِ تبارك وتعالىٰ. رضيتْ بحمدِ الناسِ فانصرفتْ عن مقصدِ وجهِ اللهِ. ومن أجل هذا فإن الرياءَ لا يكون إلا ممن رقَّ دينُه وقَصُرَ في جنبِ اللهِ نظرُه.

أيُّها الأحبةُ: ياترىٰ ماذا يبتغي المرائي من الناس؟؟ ألم يعلمْ أن قلوبَهم ليستْ في أيديهم؟ ألم يعلمْ أنها بين أصبُعَينِ من أصابعِ الرحمنِ يقلِّبُها كيف يشاء[1]؟.

يقول الحافظُ ابنُ الجوزيِّ رحمه الله: والله لقد رأيتُ من يُكثرُ الصومَ والصلاةَ والصدقةَ ويتخشعُ في نفسهِ ولباسهِ، والقلوبُ تَنْبُوا عنهُ، وقدرُه عند الناس ليس بذاكَ. ورأيتُ من هو دونَ ذلك بمراتبٍ، والقلوبُ إليه تتهافتْ، وعلى محبتهِ تَجْتَمعُ.

فمن أصلحَ سريرتَه فاحَ عبيرُ فضلِه، وعبقتْ القلوبُ بنشرِ طيبهِ. فاللهَ اللهَ في السرائرِ فما ينفعُ في فسادِها صلاحُ الظاهرِ. اهـ.

أيُّها المسلمون: إن الخلقَ لا يُكرِمون أحداً إلا بقدرِ ما جعلَ اللهُ لهُ في قلوبِهم، وإن من خُذلانِ اللهِ للعبدِ أن يُعمي بصيرتَه فيتقربَ للمخلوقينَ بفعلَ ما يحبونهَ، وإن أغضبتَ ربَّه واستحقَّ مقتَهُ. أما علِم أن اللهَ يحولُ بين المرءِ وقلبهِ، ويحولُ بينَه وبينَ ما يشتهي: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة: ١٣].

ما الناسُ ـ أيُّها المبتلىٰ ـ إلا عبيدٌ أذلةٌ ضعفاءُ عَجَزةٌ، يدُ اللهِ

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥ ـ ح٢٦٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٠ ـ ح٣٨٣٤)، وأحمد (٢/ ١٦٨) ولفظ مسلم: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد. يصرفه حيث يشاء».

آخذةٌ بنواصيهم، وحكمهُ العدلُ ماضٍ فيهم. إن العالمَ كلَّه أعجزُ من أنْ يَدفعَ أجلاً أو يَجْلبَ رزقاً أو يُجيرَ من نائبةٍ.

من قصدَ رضا المخلوقِ بإغضابِ الخالقِ حجبَ اللهُ عنهُ فضلَه ووكَلَهُ إلى نفسِه. ومن أصلح ما بينهُ وبين الخلقِ وأهملَ ما بينُه وبين ربِّه انتكس عليه مقصودُهُ وعادَ حمدُه ذمّاً، (ومن التمسَ رضا الناسِ بسخطِ اللهِ سخِطَ اللهُ عليهِ وأسخطَ عليهِ الناسَ)[1]، فلا ديناً أقامَ ولا دنيا أصابَ، نَصَبٌ بلا فائدةٍ وعملٌ من غيرِ أجرٍ والله أغنىٰ الشركاءِ عن الشركِ.

ياتُرىٰ من أحسنَ العملَ حين يراهُ الناسُ وأساءَ فيه حين يخلو بنفسِه من يخادعُ؟ وبمن يستهينُ؟.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة: ٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢].

فرويداً بنفسِكَ ورفقاً بحالكَ، فإنك مسئولٌ عما تُخفيه، ومحاسبٌ على ما تبديْه، وما عند ربِّك أقربُ مما في يديكَ.

فاتقِ اللهَ يا عبدَاللهِ، فمن أصلحَ ما بينهُ وربِّه كفاه ما بينهُ وبينَ الناسِ، ومن صدقَ في سريرتِه حَسُنتْ علانيتُه ومن عملَ لآخرتهِ كفاهُ اللهُ أمر دنياه.

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٥٢٧ ـ ح٢٤١٤)، ورواه الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير يحي بن سليمان الحفري وقد وثقه الذهبي في آخر ترجمة يحي بن سليمان الجعفي انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٤) والحديث صححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة رقم ٢٣١١.

اللهَ اللهَ في إخلاص الباطنِ وصدقِ القلبِ فالناقدُ بصيرٌ، والجزاءُ دقيقٌ، والحكمُ العدلُ لا يحابي، والمجازيْ لا يجورُ، والحفيظُ لا يُضيِّعُ.

إن النفسَ التي تتحررُ من رقِّ الهوىٰ وبواعثِ الرياء هي التى تسيرُ في طريقِ الإخلاصِ، تسيرُ مطمئنةً بالإيمانِ متأدبةً بحكمةِ الإسلامِ منقادةً لمواعظهِ الحسنةِ. تعيشُ صادقةً مع ربِّها بامتثالِ أمرهِ، واجتنابِ نهيهِ، ورعايةِ حدودِهِ، والرضا بقضائِهِ، وحسنِ الأدبِ معهُ، وكثرةِ ذكرِهِ، وتعدادِ نعمهِ، مع سلامةِ القلبِ من الاعتراضِ على الأقدارِ.

من ابتغىٰ وجهَ اللهِ كان اللهُ في عونِه وكفاهُ شرَّ خلقِهِ ومن التمسَ رضا اللهِ بسخطِ الناسِ رضي اللهُ عنه وأرضىٰ عنه الناسَ.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم.

رويداً أيها المراؤن
الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وحدَه لا شيءَ قبلَهُ ولا شيءَ بعدهُ، هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ. أحمدهُ سبحانهُ وأشكرهُ وأتوبُ إليه وأستغفرُه وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه ربُّه في الأميين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعد. أيُّها الإخوةُ فلئِنْ كان هذا هو الرياءَ، وذلكم هو خطرَهُ وأثرَه، فلا ينبغيْ أن يكون هاجِسُه مانعاً من العملِ وموقعاً في الارتيابِ فذلك مدخلٌ شيطانيٌ عريضٌ يجرُّ إلى البطالةِ وتركِ سبلِ الخيرِ. والمرءُ رقيبُ نفسِه وبصيرُ قلبِه فمادامَ الباعثُ على العملِ صحيحاً وللشرعِ موافقاً فلا تتركْ الخيرَ وفعلَه لمثلِ هذا الهاجسِ.

ولقد قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمه الله: «العملُ من أجلِ الناس شركٌ وتركُ العملُ من أجلِ الناسِ رياءٌ، والإخلاصُ أن يعافيكَ اللهُ منهما». وقال بعض السلف: «من تركَ العملَ خوفاً من عدمِ الإخلاصِ فقد تركَ الإخلاصَ والعملَ جميعاً». بل إن قصدَ المصلحةِ الدنيويةِ الناتجةِ من عملِ الخيرِ والتي في طريقه لا تؤثرُ في صحةِ الإخلاصِ وحسنِ القصدِ، فمن حجَّ البيتَ فلا جناح

عليه أن يبتغيَ فضلَ اللهِ في التجارةِ، ومن قصدَ التطهرَ في الوضوءِ فلا عليهِ أن يتلذَّذَ بالتبرُّدِ، ومن طلبَ العلمَ ليُصلحَ نفسَه ويُعلِّمَ غيرَهُ، فهو على طريقِ الحقِّ يسيرُ، فليس تركُ الرياءِ بتركِ العملِ، لاسيما وأن من أعمالِ الإسلامِ ماهو مشروعٌ علانيةً، من صلاةِ الجماعةِ وحجِّ بيتِ اللهِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ وطلبِ العلمِ وأمثالِها، فهذا يُفعلُ ظاهراً كما شُرِعَ ويكونُ الإخلاصُ بالمجاهدةِ والاعتمادِ على اللهِ.

وأما مالا يكونُ من الأعمالِ بهذه المثابةِ فينبغي كتمانُه إلا لمن أمِن الرياءَ أو كان من أهلِ الإمامةِ والاقتداءِ.

وثمَّتَ جانبٌ آخرُ أيها الإخوةُ: وهو أن المسلمَ يعملُ العملَ وقد أخلصَ للهِ فيه ثمَّ ينشرُ اللهُ له الثناءَ الحسنَ في قلوبِ المؤمنين وعلى ألسنتِهم فلْيفرحْ بفضلِ اللهِ وليستبشرْ بذلكَ فقد جاءَ في الحديثِ عند مسلم من روايةِ أبي ذرٍ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ أنه سُئلَ عن الرجلَ يعملُ العملَ من الخيرِ يحمَدُهُ الناسُ عليه قال: «**ذلكَ عاجلُ بُشرىٰ المؤمنِ**»[1].

ألا فاتقوا اللهَ يرحمكم واعملوا وأخلصوا فالإخلاصُ موطنُه القلبُ والقلبُ محجوبٌ عن الأبصارِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٤ ـ ح٢٦٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٢ ـ ح٤٢٢٥)، وأحمد (٥/ ١٥٦، ١٥٧).

هذه هي الرشوة
الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدَه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له وأشهد أن سيدَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بشَّرَ وأنذَرَ وبلَّغَ البلاغَ المبينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا اللهَ أيها الناسُ، اتقوه وأخلصوا له الدينَ وأحسنوا العبادةَ.

أيها المسلمون: تُبْتلىٰ الأممُ في أيامِ محنتِها وانتقاصِ أطرافِها وضعفِ نفوسِ أبنائِها بأمراضٍ كثيرة تُضْعفُ شأنها وتقوِّضُ صفاءَ عيشِها وطمأنينةَ مسيرتِها وسلامةَ طرقِ الكسبِ فيها وتقضي على حياتِها.

إن من شرِّ ما تصابُ به الأممُ في أهلِها وبنيها أن تمتدَّ أيدي فئاتٍ من عُمَّالِها وأصحابِ المسؤلياتِ فيها إلى تناولِ ما ليسَ بحقٍّ. فصاحبُ الحقِّ عندهم لاينالُ حقَّهُ إلا إذا قدَّمَ مالاً. وذو الظلامةِ فيهم لا تُرْفَعُ مظلمتُه إلا إذا دفعَ رشوةً.

أيها الإخوةُ: وفي قراءةِ تاريخِ الأمم: لقد نعتَ اللهُ قوماً من قبلِكُم بأنهم: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]. إنهم أقوامٌ طالَ عليهم الأمدُ فقستْ قلوبُهم، وانطفأتْ جذوةُ

الإيمانِ في صدورِهم، وثقلَتْ عليهم التكاليفُ وكرهوا الشرائعَ، فأحبوا الكذبَ وألِفوا الزورَ وسمعوه وسعِدوا به وكرهو الحقَّ ونبذوا الصدقَ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ ﴾ [المائدة: ٤١، ٤٢].

هذه طبيعةُ القلوبِ حين تفسدُ، والأرواحُ حين تُطمَسُ، تحبُّ الباطلَ والزورَ: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾ [المائدة: ٤١].

نعم أيها الإخوةُ: مسالكُ الباطلِ وأساليبُ السحتِ رائجةٌ في المجتمعاتِ المنحرفةِ، أما طرقُ الحقِّ وأنوارُ الصدقِ فهي عندهم مظلمةٌ مُعْتِمةٌ.

وفي نعتٍ آخرَ لهؤلاء وأمثالهم: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [المائدة: ٦٢، ٦٣]. مسئولية مشتركة بين الواقع في الإثمِ والمقصِّرِ في الأمرِ والنهي.

سورٌ قرآنيةٌ لنفوسٍ مريضةٍ قد استشرىٰ الفسادُ في أحشائِها،

وسقطتْ القيمُ من حسابِها.

مسارَعةٌ بإرتكابِ الآثام، واجتراءٌ في العداونِ على الحقوقِ، وتهارشٌ وتكالبٌ على أنواعِ السحتِ لقد سيطرَ الشرُّ على تفكيرِها، وامتلأتْ بالحرامِ أجوافُها، فاستباحت حِمى اللهِ ومحارمَهُ. ولا تَسَلْ ـ عافاك اللهُ ـ عما ينجُم من الأضرارِ التي لا حصرَ لها من أكلِ السحتِ وبذلِ الرَّشاوىٰ فالكرامةُ ضائعةٌ، والحقوق مهضومةٌ، والنبوغُ مقبورٌ، والجِدُّ مدفونٌ، والغيرةُ على مصالحِ الأمةِ مضمحِلَّةٌ. والأمانةُ في خدمتِها غائبةٌ، وتقديرُ المخلصينَ متلاشٍ.

الرشوةُ خيانةٌ عند جميع أهلِ الأرضِ وهي في دينِ اللهِ أعظمُ إثماً وأشدُ مقتاً: «**لعن رسولَ الله ﷺ الراشي والمرتشي**»[1].

إنها تُخفي الجرائمَ، وتسترُ القبائحَ وتزيِّفُ الحقائقَ.

بالرشوةِ يُفلِتُ المجرمُ ويُدانُ البريءُ. بها يَفسدُ ميزانُ العدلِ الذي قامتْ به السمواتُ والأرضُ وقامَ عليه عمرانُ المجتمعِ، هي المِعولُ الهدَّامُ للدينِ والفضيلةِ والخُلقِ.

الرشوةُ أيها الناس: تلبسُ عند أهلها ثياباً مستعارةٌ، فتأخذُ صوراً متلوِّنةً، وأغراضاً متعددةً. فهذه هديةٌ وتلك إكراميَّةٌ، وهذه محاباةٌ في بيعٍ أو شراءٍ، وذلك ابراءٌ من الدَّينِ. والصورُ في ذلك لا تتناهىٰ. وسُبُلُ الشياطينِ وأعوانِهم في ذلك عريضةٌ واسعةٌ.

---

(١) أخرجه أبوداود (٣/ ٣٠٠ ـ ح٣٥٨٠)، والترمذي (٣/ ٦٢٣ ـ ح١٣٣٧) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ٧٧٥ ـ ح٢٣١٣) ولفظه «لعنة الله على الراشي والمرتشي»، وأحمد (٥/ ٢٧٩)، وصححه الألباني.

في القطاعِ العامِّ والقطاع الخاصِّ وفي المؤسساتِ وفي الشركاتِ.

أما أغراضَها عندَهم فمتعددةٌ: طمسٌ لحقٍّ أو سكوتٌ على باطلٍ، وتقديمُ لمتأخرٍ وتأخيرٌ لمتقدمٍ، ورفعٌ لخاملٍ، ومنعٌ لكفءٍ، وتغييرٌ للشروطِ، وإخلالٌ بالمواصفاتِ، وعبثٌ بالمناقصاتِ، وتلاعبٌ في المواعيدِ، في أغراضٍ لاتتناهىٰ.

أما الراشي والمرتشي والرائشُ فإنهم ـ لا بارك اللهُ فيهم ولا لهم ـ متساعدون على تضييع الحقوقِ ويروِّجون لأكلِ أموال الناسِ بالباطلِ، ويزرعون السيءَ من الأخلاقِ، ومن ثمَّ تستمرئُ الأمةُ هذا المرعىٰ الوبيلَ.

الراشي والمرتشي والرائشُ ملعونون عند اللهِ على لسانِ رسول اللهِ ﷺ، مطرودون من رحمةِ اللهِ ممحوقٌ كسبُهم، زائلةٌ بركتُهم، خسروا دينَهم وأضاعوا أمانتَهم، استسلموا للمطامعِ، واستعبدتهم الأهواءُ. وأغضبوا الربَّ، وخانوا الإخوانَ، وغشوا الأمةَ، في نفوسٍ خسيسةٍ وهممٍ دنيئةٍ.

كم من مظالمِ انتهُكْتْ، وكم من دماءٍ ضُيِّعتْ، وكم من حقوقٍ طُمستْ، ما أضاعها وما طمسها إلا الراشونَ والمرتشون فحسبهم اللهُ الذي لا تنامُ عينُه، وويلٌ لهم مما عملت أيديْهم وويلٌ لهم مما يكسبونَ.

أيها الإخوةُ: الرشوةُ فخُّ المروءةِ، ومصيدةُ الأمانةِ، وغرقُ الديانةِ وحبائِل الشرفِ.

بفشوِّ الرشوةِ تصابُ مصالحُ الأمةِ بالشللِ، وعقولُ النابغةِ بالقصمِ، ومواهبُ المفكرينَ بالجمودِ، وجهودُ العاملينَ بالفتورِ

وعزائمُ المجدينَ بالخورِ.

أيُّ خيرٍ يُرجىٰ في قومٍ مقياسُ الكفاءةِ فيهم ما يتزلفُ به المرؤوسُ لرؤسائِهِ من قرابينَ؟ وأيُّ إنتاجٍ يُرتجىٰ لأعمالٍ لا تسيرُ عندهم إلا بعدَ هدايا الراشين والمرتشين؟.

نفِدت ثرواتٌ، وهُدِمتْ بيوتٌ، وأُهينتْ نفوسٌ، وفُرقتْ جماعاتٌ، وارتفعَ باطلٌ، وغابَ حقٌّ، وما كان ذلك إلا بسببِ الرشاوىٰ المحرمةِ والخصوماتِ الفاجرةِ والإدلاءِ إلى الحكامِ بالباطلِ.

وإنك لترىٰ في المفتونين من هؤلاء من يزعمُ أنه ذو شطارةٍ ودهاءٍ وقد عَمِيَ عما أصابَه من الأرْزاءِ وتَعبِ النفسِ والقلبِ وإيذاءِ عبادِ اللهِ والاستغراقِ في الحرامِ فتراهُ مع أقرانِهِ بالفسقِ يتنابذون، وبالحسدِ والكيدِ يتعاملونَ، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الخاسرون.

ولقد جاء في الخبر عنه ﷺ: «...**وما من قومٍ يظهرُ فيه الرَّشا إلا أُخِذوا بالرعبِ**»[1]، «**والراشيْ والمرتشيْ في النارِ**»[2].

وقد أخرجَ البخاريُّ رحمه اللهُ في صحيحهِ عن أبي حميدٍ الساعديِّ رضي الله عنه قال: «استعملَ رسول الله ﷺ رجلاً من بني أسد يقالُ له ابن اللُّتْبِيَّةِ على صدقةٍ فلما قدِمَ قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي؛ فقامَ النبيُّ ﷺ فصعِدَ المنبرَ فَحمدَ اللهُ وأثنىٰ عليه ثم قالَ: **ما بالُ العاملِ نبعثُهُ فيأتي فيقولُ: هذا أُهدي لي؟ فهلَّا جلسَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٥)، وضعفه الألباني في الضعيفة (رقم١٢٣٦).

(٢) انظر مجمع الزوائد (٤/ ١٩٩).

في بيتِ أبيهِ وأمِّه فينظرُ أيهدى له أم لا؟. والذي نفسيْ بيدِه لا يأتي بشيءٍ إلا جاء به يومَ القيامة يحملُه على رقبتِهِ إنْ كان بعيراً له رُغاءٌ أو بقرةٌ لها خوارٌ أو شاةٌ تَيْعَرُ، ثم رفعَ يديه حتى رأينا عُفرَتي[1] إبطيْهِ. ألا هلْ بلغتُ (ثلاثاً)»[2].

بلىٰ لقد بلَّغ عليه الصلاةُ والسلامُ. فوالله «**لن تزولَ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسأل عن مالِهِ من أين اكتسبهُ وفيم أنفقهُ**»[3]، وإن الله لا يمحو السيءَ بالسيءِ ولكن يمحو السيءَ بالحسنِ. فأنىٰ يُستجابُ لهؤلاء دعوةٌ؟؟ وأنىٰ تنزلُ بهم بركة؟؟ ومتى يُرجىٰ لهم صلاح؟؟ وهم ذوو جرأةٍ على اللهِ حتى إنهم ليأخذون من الحرامِ الصُّرَاحِ لا يتوبون ولاهم يذَّكرون؟؟؟.

يقولُ يوسفُ بن أسباطٍ: إن الرجلَ إذا تعبدَ قال الشيطانُ لأعوانِه: انظروا من أين مطعمُهُ، فإن كان مطعمَ سوءٍ قالَ دعوه يتعبُ ويجتهدُ فقد كفاكُم نفسَهُ. قال الحافظ الذهبيُّ رحمه الله: ويؤيدُ ذلك ما ثبتَ في الصحيح من حديث رسولِ اللهِ ﷺ «**في الرجلِ يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ ومطعمهُ من حرامٌ ومشربهُ من حرامٌ وغُذيَ بالحرامِ فأنَّىٰ يُستجابُ لذلك**»[4].

---

(١) عُفْرَتيْ إبطيه: بضم العين وفتحها والأشهر الضم. انظر لسان العرب (٤/ ٥٨٥) مادة عفر، وعفرة الأبَط: هي البياض ليس بالناصع.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٢/ ٣٦٤ ـ ح٦٩٧٩)، ومسلم (٣/ ١٤٦٣ ـ ح١٨٣٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٩ ـ ح٢٤١٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣ ـ ح١٠١٥)، والترمذي (٥/ ٢٠٥ ـ ح٢٩٨٩)، =

لهذا قال بعضُ السلفِ: لو قمتَ قيامَ الساريةِ مانفعكَ حتى تعلمَ مايدخلُ بطنكَ أحلالٌ أم حرام.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ وراقبوا ربَّكم، فرُبَّ متخوضٍ في مالِ اللهِ له النارُ يومَ القيامةِ، ألا يخشىٰ أكَلَةُ السحتِ أن يُسْحِتَهُم اللهُ بعذابٍ وقد خاب من افترىٰ؟؟؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

= وأحمد (٢/ ٣٢٨).

هذه هي الرشوة
الخطبة الثانية

الحمد للهِ حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالحقِّ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أنوار الحق ومصابيحِ الدجىٰ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ وسار على نهجهم واقتفىٰ.

أما بعد أيها الناس: خاطبَ النبيُّ ﷺ صاحبهَ كعبَ بنَ عُجْرةَ رضي الله عنه فقال له: «**يا كعبُ بنَ عجرةَ: إنه لا يدخلُ الجنةَ لحمٌ أو دمٌ نبتَ من سحتٍ، النارُ أولىٰ به. يا كعبُ: الناسُ غاديانِ فغادٍ في فكاكِ نفسِهِ فمعتِقُها، وغادٍ فموبقها**»[1].

وفي الخبرِ الآخرِ: «**إن العبدَ ليقذفُ اللقمةَ الحرامَ في جوفهِ ما يتقبلُ اللهُ عملَهُ أربعينَ يوماً، وأيُّما عبدٍ نبتَ لحمُهُ من سحتٍ فالنارُ أولى بهِ**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ٥١٣ ـ ح٦١٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، (ح٦١٥) بدون الجملة الأخيرة «الناس غاديان...»، وأحمد في المسند (٣/ ٣٢١، ٣٩٩)، والحاكم (٤/ ٤٢٢) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وأخرج الجملة الأخيرة مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٣ ـ ح٢٢٣).

(٢) رواه الطبراني في الصغير انظر مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٩١) وقال: وفيه من لم أعرفهم.

فاتقوا اللهَ رحمكمُ اللهُ وليتقِ اللهَ هؤلاءِ المقصرونَ، فهلاَّ أخذوا بأوامر ربهم، واستمسكوا بتوجيهاتِ نبيِّهم ففي ذلك ما يحفظُ حقوقَهم، ويطهرُ قلوبَهم ويملأُ بالرضا والإيمانِ نفوسَهم، ويمنعُ تقاطُعَهم وشحناءِهم وتحاسدَهم وبغضاءَهم.

فطوبىٰ لمن أكلَ طيباً وعمِلَ في سنةٍ، طوبىٰ لمن حَسُنَ تعاملُه وعفَّ في طعمتِهِ، حَفِظ الأمانةَ وصدَقَ في الحديثِ وأَمِنَ الناسُ بوائقَهُ.

القضاءُ والقضاة

الخطبة الأولى

الحمدُ لله قضى بالحقِّ وأمر بالعدلِ، أحمدهُ سبحانه وأشكرُهْ، ذو الجودِ والاحسانِ، والكرمِ والفضلِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ من خاف مقام ربهِ يومَ الفصل، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُالله ورسولهُ بالهدى بعثه، وبالحقِّ أنزلَ عليه الكتابَ، وبالحقِّ نزل، صلى الله وسلَّم وباركَ عليهوعلى آله وأزواجِه وأصحبِه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ. أما بعد:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله واستمْسكوا بدينكِم. تَمَسَّكُوا بأقوى سببٍ من تقواه، فإن ذلكم هو سبيلُ العزةِ والرفعةِ وطريقُ السلامةِ والنجاة.

أيها المسلمون: العدالةُ في القضاءِ والمساواةُ بين الناس في الأحكامِ خصائصُ ومبادىءُ تشرُفُ بها الحضاراتُ، وتزكو بها المجتمعاتُ، وتستضيءُ بها دروبُ الحياة.

ورسلُ اللهِ الكرامِ عليهم الصلاةُ والسلامُ بعثهم اللهُ ليبُثُّوا في الناس ميزانَ الحقِّ ولِيذيقوهم حلاوةِ القِسْط: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وتاريخُ الإسلامِ في القضاءِ وَضَّاءٌ، وقضاةُ المسلمينَ وفقهاءُ الملةِ لهم في هذا باعٌ طويلٌ، نَضجتْ معهم الأمةُ الإسلاميةُ، وسَمَتْ في معرفةِ الحقِّ وأدركَتْ مفهومَ العدالةِ ووَضَحَ لديها معنى الجريمةِ، واستقبحتْ القبيحَ، واستحسنتْ الحسنَ. فالحقُّ عندها ثابتٌ لا يتغيرُ، والعدلُ في قاموسها لا يختلفُ أو يتلَّونُ.

إن الفضيلةَ والعدالةَ والحقَّ معانٍ ساميةٌ ثابتةٌ لا تتغيرُ بتغيرِ الزمانِ، ولا بِتَبدُّلِ المكانِ.

إنها لا تُمَارَسُ لعارضٍ يعرِضُ، أو من أجلِ طارىءٍ يَطرأُ، وتطبيقُ الشريعةِ وإقامةُ الحدودِ في هذه البلادِ المباركةِ من خيرِ الشواهدِ على رسوخِ هذه المبادىءِ.

ومن أجل هذا فلا يهولنَّكَ ما تسمعُ به في حضارةِ اليومِ من زعمِ العدالةِ، ودعوى المساواةِ. فإن اللصوصَ إذا كونوا عصابةً للسَطو فقد يقتسمون المكاسبَ بينهم بالسويةِ، والسراقُ أيضاً قد لا يبغيْ بعضُهم على بعضٍ من أجلِ أن يحموا أنفسَهم من قبضةِ حُرَّاسِ العدالةِ. وفي زمنِكَ هذا قد تَتَمشىٰ بعضُ الدولِ الكبرى بموجَبِ قانون العدلِ واستقامةِ السياسةِ ورعايةِ الفضيلةِ، لكنهم لا يفعلون ذلك لوجهِ اللهِ أو للحقِّ المجردِ، فالغايةُ عندهم تبرِّرُ الوسيلةَ، ولكنَّهم يأخذونَ بهذه المبادىءِ ابقاءً لتَوازُعاتِهم الدوليةِ ومحافظةً على مصالحِهم المرسومةِ وأهدافِهم المرجُوَّة.

أيها الإخوة: إن القضاءَ العادلَ تُساسُ به الديارُ ويسودُ به الحقُّ، وتعيشُ به الأمة في ظلِّ الأمنِ ودوْحةِ الاطمئنانِ.

لولا القضاءُ العادلُ لعمَّت الفوضىٰ، ولفسُد النِّظامُ ولسادَ الاضطرابُ.

أيها الإخوة: إن القضاءَ في تاريخِ الإسلامِ وضاءٌ قضاءٌ مبنيٌّ على العلمِ والحكمةِ والعدلِ والقوةِ والحزمِ الأمانةِ.

التحاكمُ إلى شرعِ اللهَ من مقتضياتِ الإيمانِ باللهَ، ومن مستلزماتِ صدقِ المتابعةِ لرسولِ الله ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

مَنصبُ القضاءِ في الإسلامِ منصبٌ شرعيٌ، ووظيفةٌ شريفةٌ، فريضةٌ محكمةٌ، وسنةٌ متبعةٌ. ويكفيها شرفاً ورفعةً أن تولاها رسلُ الله عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

ولقد تقلَّدَه من بعدِ المصطفىٰ ﷺ سادات الإسلامِ من الخلفاءِ الراشدين، وكبارِ الصحابةِ والتابعين وتابعيهم.

ونبَّهَ رسولُ الله ﷺ إلى مقامِ الغبْطَةِ فيه بقوله: «**لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه اللهُ الحكمةَ فهو يقضي بها ويعلِّمها**»[1]، «**وإن المقسطينَ عند اللهِ على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ وكلتا يديه يمينٌ، الذين يعدلونَ في حكمِهم وأهلِهم وما وَلُوا**»[2].

---

(١) متفق عليه. البخاري (١/ ١٩٩ ـ ح٧٣)، ومسلم (١/ ٥٥٩ ـ ح٨١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٨ ـ ح١٨٢٧)، والنسائي (٨/ ٢٢١)، =

معاشرَ الأحبةِ: ويسموا القضاءُ بسمو غايتِه، وغايتُه معدودةٌ من أجلِّ الغاياتِ إن لم تكنْ أجلَّها، إنها نصرةُ المظلوم، وكفُّ الظالم، وقطعُ المنازعاتِ وفضُّ الخصوماتِ، والاصلاحُ بين الناسِ، وأداءُ الحقوقِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ.

والقاضيْ العَدْلُ حينَ يقعدُ مقعدَ الحكم فإنما يقعدُ مقاعدَ الأنبياءِ، يقعدُ ليفصل في الدِّماءِ والأبضاعِ، والأموالِ والحدودِ والحلالِ والحرامِ.

إن حقاً على من جلسَ مجالسَ الرسلِ أن يكونَ مؤمناً مخلصاً، حاضرَ القلبِ، متوقِّدَ الذِّهنِ، يسوِّي بين الخَصمين في مجلسِه، يستمعُ إلى البيناتِ ببصرٍ نافذٍ، عن الصوارفِ والشواغلِ، لا يجعلُ للعاطفةِ أثراً في حكمِه لا ينظرُ إلى صداقةٍ ولا يعتبر بقرابة، ولا تؤثِّرُ فيه عداوةٌ. طاهرَ اليدِ، نقيَّ القلبِ، قوياً في الحكم، صارماً في الحقِّ، قاضي فاضلٌ، لا يهابُ ذا حرمةٍ، ولا يُداهنُ ذا رتبةٍ، لا يقبلُ شفاعةً، ولا تستفزُّه الأهواءُ، ولا يأسُرُه المديحُ والإطراءُ، حليمٌ لا تُزَعْزِعُه المكدِّراتُ، مالكٌ لزمامِ أمره، ضابطٌ لهوى نفسِه، يَزنُ بميزانِ البصيرِ الناقدِ، والمخلصِ الحاذقِ، دقيقٌ في تَفَرُّسِ الصوابِ بين تَشَعُّبَاتِ الأقوالِ وخليطِ المزاعمِ.

ذلكم هو القاضي العدلُ، الظاهرُ على الحقِّ، الممسكُ بميزانِ العدلِ، لا ترتجفُ له يدٌ، قلبهُ منضبطٌ بخشيةِ اللهِ يخافُ يوماً تتقلبُ في القلوبُ والأبصارُ.

= وأحمد (٢/ ١٦٠)، وصححه الألباني.

حدَّثَ أحمدُ بنُ سهل قال: كنتُ جاراً لقاضي مصرَ بكارِ بن قتيبةَ، فمررتُ مرةً على بيته في أولِ الليلِ، فسمعتهُ يقرأُ هذه الآيةَ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦]. قال ابنُ سهلٍ: فقمتُ في السحرِ فسمعتهُ يقرأها ويرددُها وهو يبكيْ. فقد أحيا ليلَهُ بهذه الآيةِ. لقد كان بكارٌ رحمه الله من أعدل القضاة حكماً، ومن أشرفهم أمَامَ أولي الأمرِ موقفاً.

وإن شئتْم قصةً في نزاهةِ مسلكِ القضاءِ فاسمعوا إلى هذه الدُّرةِ من تاريخِ قضاةِ الإسلام:

يُروى أن أبا القاسمِ بن حماس بن مروانَ بن سماكٍ الهمذاني من أكابرِ تلاميذِ سحنونَ المالكيِّ الشهيرِ، تولى حماسٌ هذا قضاءَ الجماعةِ في أواخر القرنِ الثالثِ الهجري، وفي فترةِ توليِّه القضاءَ كان يحملُ بنفسهِ الماءَ لبيتهِ من الصهاريجِ العامةِ في قُلَّةٍ كبيرةٍ، وصادفَ أن رجلاً من أهلِ القيروان بنى عند بابه دكاناً فاعترضَ عليه جارُه قائلاً: إنك تُعَطِّلُ الطريقَ وتُضَيِّقُ على المارَّةِ، وتؤذي النساءَ في دخولِهن وخروجِهن، فذهبا إلى القاضي حماس، وكانا لا يعرفانهِ فلقياه في الطريقِ يحمل قُلَّةَ الماءَ إلى أهلهِ، فقالا له: أينَ القاضيْ؟ فقال: ماذا تريدان؟ قالا: نتحاكمُ إليه في خلافٍ بيننا. قال: تحاكما فثالثكمُا هو القاضي حماسُ. وأخذَ القلةَ الكبيرةَ ووضعها على رجلِه ولم يضعْها على الأرضِ فقال له صاحبُ الدكان: ولم لا تضعُ القلةَ على الأرضِ يرحمك الله؟ فقال القاضي: إنها كبيرةٌ وإنها تضايقُ المارةَ والطريقُ ليس ملكاً

لي فلا أُضَيِّق عليهم، قال صاحب الدكان: رحمَك اللهُ لقد قضيتَ في مسألتِنا، وانصرفا وهدمَ صاحبُ الدكانِ دكانَهُ.

إنهم قضاةٌ عدولٌ لا يطمعُ شريفٌ في حيفهم، ولا ييأسُ ضعيفٌ من عدلهم، القويُّ عندهم ضعيفٌ حتى يأخذوا الحقَّ منه، والضعيفُ عندهم قويٌّ حتى يأخذوا الحقَّ له.

أيها الإخوةُ: ومع كلِّ هذه النصاعةِ في السيرةِ وعلى الرغمِ من علو المرتبةِ والشرفِ، فمن المعلوم أن القضاة بشرٌ كسائرِ البشرِ لا يملكون الوقوفَ على خبايا النفوس، ولا يطلعونَ على خفايا الأمورِ، يتعرضون لمواقف حرجةٍ، وتفاجئهم فتنٌ مدلهمةٌ، تنطلق من أخصامٍ ذوي مشاعرَ سريعةِ التقلُّبِ، ودموعٍ تستدرُّ العطفَ، وقد يكونَ من هؤلاء كذابون محتالون، وقد يكون منهم أصحابُ نفوذٍ غاشمٍ، ينتصرون بالباطلِ ويصاولون بالعدوان، ويَحْجبُون بالمغالطاتِ والأكاذيب. هذه معاناة للقضاة شديدةٌ ـ أعانهم اللهُ وسدَّدهم، وألهمهم الإخلاص والصواب.

من أجل هذا فحقٌّ للقضاةِ أن يعانوا، وحقٌّ لهم أن تُهيأَ الأجواء المناسبةُ والظروفِ الملائمةُ في المكانِ والزمانِ، تُحْفظُ مكانتُهم، وتتأكَّد حصانَتُهم، وتُعرفُ منزلتُهم، ويحمىٰ مقامُهم، فإنهم يمشون في مزالقَ وَعَرةٍ، ومسالكَ موحشةٍ، وحسبُ الموفقِ منهم أن يُرزقَ الجدَّ والإخلاصَ، وتحري الحقِّ، والبعدَ عن الحيفِ بأنواعه؛ حيفِ التقديرِ وحيفِ التعاملِ وحيفِ السماعِ وحيفِ العاطفةِ.

وبعد أيها الإخوة: فهذه إلماحاتُ لقضاءِ الشرعِ وقُضَاتِه، أما آن لصرعى ظلمِ القوانين الوضعيةِ وضحايا الإنحرافَات البشريةِ أن تلتمس أمنها وطهارةَ بيوتها وعِفةَ نسائها ونزاهةَ رجالها بتحكيم شرعِ اللهِ وتنصيبِ قضاةِ الشرعِ العدولِ ليبُسطَ لهم الأمنُ ويَعمَّ ربوعَهم الرخاءُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

القضاء والقضاة

الخطبة الثانية

الحمدُ لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وفضله وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً تُبَلِّغُ المُبتغَىٰ من رضوانه، وأشهدُ أن سيدَّنا محمداً عبدُه ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأشادَ الملةَ حتى قام الدين على أركانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابهِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد فقد أخرجَ البخاريُّ ومسلمُ وغيرُهما من حديث أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ سمعَ خصومةً ببابِ حُجْرته فخرَجَ إليهم فقال: «**إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصمُ فلعلَّ بعضَكم أن يكون أبلغَ من بعضٍ، فأحسِبُ أنه صادقٌ فأقضي له بذلك فمنْ قضيتُ له بحقِ مسلمٍ فإنما هي قطعةٌ من النار فليأخذْها أو ليترُكْها**»[1].

أيها المسلمون: المتفردُ بالاطلاع على بواطنِ الأُمور وكشفِ مكنوناتِ الصدُّور هو الله وحدَه سبحانه.

فليتقِ الله الخصمان.

قد يكون أحدُهما قويَّ الحجةِ، بليغَ التأثيرِ، أقومَ قيلاً من صاحبه، وأقدرَ على توضيحِ حجتهِ، وجلاءِ الغامِضِ في قضيته،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٣/ ١٨٤ـ ح٧١٨١)، ومسلم (٣/ ١٣٣٧ـ ح١٧١٣).

ذَرْبَ اللسانِ، بليغَ البيانِ، طويلَ المران. أما صاحبهُ فدونه في المحاجَّةِ، لا يقدِرُ على بيانٍ، ولا يفقَهُ الحوار، وقد يكون الحقُّ في جانبهِ، والصدقُ في عبارته، ولكنَّ عِيَّهُ وضعفَهُ سترَ معالِمَ حقِّه.

ثم يأتي من بعد هؤلاء منْ يقُومُ بمهمةِ الدفاعِ والمحاماةِ عن الخصمينِ أو أحدِهما، إن عليهم أن يتقوا الله ربَّهم، فلا يجادلونَ عن الذين يختانون أنفسهم. وليستعملوا علمَهم وبلاغَتَهم وقوة عارضَتِهم في نصرة الحقِّ، ودحضِ الباطلِ، في عبارةٍ سياجُها الأدبُ، متنزهون عن التشهيرِ بالخَصْم والثَّلْمِ في العِرْضِ.

وويلٌ لهم ثم ويلٌ لهم إن استحلُّوا حراماً، أو منعوا حقاً، الويلُ لهم إن عرفوا الحقَّ والحقيقةَ ثم لم يستجيبوا لها ولم ينقادوا لها. إنهم إن استطاعوا البراءةَ أمام القاضي فأنَّىٰ لهم البراءةُ من أحكم الحاكمين: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء: ١٠٨، ١٠٩].

مواهب الرجال وحاجات الأمة
الخطبة الأولى

الحمدُ لله خلقَ الخلقَ وأحصاهم عدداً، وكلُّهم آتيه يومَ القيامةِ فرداً، رفعَ بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ليتخَّذَ بعضُهم بعضاً سُخْرياً، قدَّرَ بحكمتِهِ وعدلِهِ ورحمتِهِ وفضلِهِ ولا يظلمُ ربُّك أحداً.

أحمدُه سبحانهُ وأشكرُهُ وأتوبُ إليه وأستغفرُهُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له لم يتخذْ صاحبةً ولا ولداً، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُه، أعْظِمْ به رسولاً وأكْرِمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسان ومن سار على الحقِّ واتَّبعَ الهُدى.

أما بعدُ: فأوصيكُم ـ أيها الناسُ ونفسي ـ بتقوىٰ اللهَ، فهي الوصيةُ الجامعةُ، والموعظةُ لأولي الألبابِ الموقظةُ النافعةُ.

أيها الإخوةُ الأحبَّةُ: المسلمُ الحقُّ يعرفُ ربَّه ويؤمنُ به إلهاً واحداً فرداً صمداً، يُقيمُ صِلتَهُ بربِّه على الخضوع والانقيادِ والسمعِ والطاعةِ، يؤمنُ برسالةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، يصدِّقُه فيما أخبرَ، ويطيعُهُ فيما أَمرَ، ويجتنبُ ما عنه نهى وزجرَ، يتعاونُ مع إخوانه في العقيدةِ في بناء مجتمعٍ مؤمنٍ يُقيمُ الصلاة ويؤتيْ الزكاة ويأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ ويحلُّ الطيباتِ ويحرمُ الخبائثَ.

يقومُ بالدعوة إلى اللهِ ونشرِ الحقِّ والخيرِ في آفاق الدنيا

بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ والجَدَلِ بالتي هي أحسنُ والجهادِ في سبيل اللهِ حياةً كلُّها مطبوعةٌ بمبادىء الإسلامِ وقواعدِه، مصبوغةٌ بأخلاقه وآدابه.

وإلى كلِّ هذا يتوجَّهُ النشاطُ الفرديُّ والجماعيُّ، في الحياةِ وفي المعاشِ لخدمة دين اللهِ وتحقيقِ غاياتِ الرسالة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. وهي غاياتٌ وأهدافٌ لا يمكن أن يحققَها المسلمُ بمفردِهِ ولا جماعةٌ مسلمةٌ بمفردِها ولكنَّها مسئوليةُ المسلمين جميعاً أينما كان موقعُهم، وكيفما كانتْ اهتماماتُهم ومواهبُهم.

ومن أجل هذا ـ معاشرَ الإخوةِ ـ فإن كَدْحَ المسلمَ لربِّه ليس مقصوراً على المسجدِ وحدَه، ولكنه يتجاوزُه إلى الحقلِ والمصنعِ، والمتْجَرِ والمكتبِ، والبرِّ والبحرِ.

لقد خلق الله البشرَ معادنَ ومواهبَ، وطاقاتٍ وخصائصَ، فمن صلح لأمرٍ قد لا يصلحُ لآخرَ ومن سدَّ ثغراً لا يسدُّ كلَّ الثغورِ، ألا ترىٰ أن الجيشَ يحتاجُ إلى ميمنةٍ وميسرةٍ، ورجُلِ ساقةٍ، ورجلِ حراسةٍ، بل يحتاجُ إلى من يخلفُ المجاهدينِ في أهليهم: «**ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا**»[1].

هؤلاء هم صحبُ رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين. فيهم أبوبكر الخليفةُ الصديقُ، وعمرُ العبقريُّ الفاروقُ الذي لم يَفْرِ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٦/٥٨ ـ ح٢٨٤٣، ومسلم (٣/١٥٠٦ ـ ح١٨٩٥) واللفظ له.

أحدٌ فَرْيَهُ، وعثمانُ المنفقُ في سبيلِ اللهِ الذي لا عليه ما فعلَ بعد ما قدَّم وبذلَ، وعليٌّ ذو الرأي والشجاعةِ وحلِّ المعضلاتِ، ومعاذُ الفقيهُ، وأُبيٌّ القارىءُ، وأبوذرٍ صادقُ اللهجةِ الورِعُ الزاهدُ، وسيفُ اللهِ خالدٌ. كلٌ قد علم رسولُ الله ﷺ موقعهُ وموهبَتَهُ وبلاءَه في دينِ اللهِ، وقلْ مثلَ ذلك في سلمانَ وعمارٍ وابنِ عباسٍ وابن مسعودٍ وصهيبٍ وبلالٍ وابن عمروٍ وابنِ عمرَ وأبي هريرةَ وأبي عبيدةَ وأصحابِ بدرٍ والشجرةِ ومن أنفقَ من قبلِ الفتح وبعدَه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠].

أيها المسلمون: إن الله سبحانه بحكمتهِ ورحمتهِ، وعدلهِ وفضلهِ، قد وزَّعَ بين الناسِ مواهبَهم في العلمِ والفكرِ، ونوَّعَ طرائقَهم في الخُلُقِ والسلوكِ، وعدَّدَ مهاراتِهم في العملِ والكسبِ.

والمسلكُ العدلُ والمنهجُ الأقومُ أن يُستفادَ من كلِّ مسلمٍ ذي موهبةٍ في موقعِهِ. والفضلُ بينهم بالتقوى وحسنِ العمل.

فهذا عالمٌ ينشرُ علمَه، قد أخذَ على عاتقه إزالةَ غشاوةَ الجهلِ عن الناسِ وتبصيرهم بحقِّ الله عليهم، يرفعُ الله له بعلمهِ الدرجات، وذلك محتسبٌ آمرٌ بالمعروفٌ ناهٍ عن المنكر أعطىٰ لذلك نفيسَ وقتِه وصرفَ عظيم جهدِه، وتحمَّل من أذى الناسِ ما تحمل.

وآخرُ قد رقَّ قلبه للأكبادِ الجائعةِ والبطونِ الخاويةِ فكان ينفقُ مما أتاه الله، أو يسعى بشدةِ ساقيه ليأخذ من الأغنياءِ أو يشرحَ

الحالَ لذوي الرأيِ والوجهاءِ.

وأولئكَ قد فُتحَ لهم بابُ الجهادِ فهم يغنون فيه الغناءَ الواسعَ، ينتقلونَ من موقعٍ إلى موقعٍ، حاملين أرواحهم على أكُفِّهم، يبذلُونها رخيصةً في سبيلِ اللهِ ويُعِزُّون أهلَ الإسلام، وآخرون منهم سخَّرهم اللهُ لدعوةِ غير المسلمين فاهتموا بشؤن الجالياتِ وغير الجالياتِ، ورُزقوا الصبرَ ودماثةَ الخُلُقِ ووسائلَ البذلِ والتضحيةِ في الجهدِ والوقتِ والمالِ مما لا يَضيعُ أجره عند اللهِ.

وانظروا إلى ذلكم الذي قد وهبه اللهُ قلماً سيالاً ولساناً صادقاً فهو يصولُ ويجولُ في معارك فكريةٍ ومناقشاتٍ إسلاميةٍ شعراً، ونثراً، إذاعةً ونشراً، دفاعاً عن حياضِ الإسلامِ وساحاتهِ لينفيَ عنه الدخلاءَ ويكشفَ الأُجَراءَ.

ولا يغيبُ عن البالِ من رُزقَ الصبرَ والاحتسابَ فجلسَ للناشئةِ الصغارِ يقضي زهرةَ شبابه وخلاصةَ عُمُرِه من أجل التَّنْشئةِ والتربيةِ يعلمُهم كتابَ اللهِ والنافعَ من العلومِ، تربيةً على الإسلامِ وفضائله. ناهيكَ بالطبيبِ النِّطاسيِّ الذي قد برَعَ في تخصصه فخفَّفَ بإذن اللهِ الآلامَ وواسى الجروحَ وحفظَ على المسلمينَ عوراتِهم يعاونهُ إخوةٌ له فنيون مهرةٌ من الصيادلةِ والممرضين، سيماهم الصلاحُ، ومسلكُهم الحشمةُ والأدبُ، ورائدُهم البراعةُ الإخلاصُ.

وانظروا إلى من شرحَ الله صدورَهم فقاموا على الناس من أجل تيسير أمورِ الزواجِ ومكافحةِ مظاهرِ الإسرافِ، وقاموا في دعمِ الجمعياتِ الخيريةِ وهيئاتِ البرِّ والإغاثةِ.

ماذا يقال أيها الناس؟ إن هذه أنواعٌ من الحاجاتِ وألوانٌ من

المواهبِ مما لا يقعُ تحتِ حصرٍ كلُّها جهودٌ خيِّرةٌ ومسالكُ لازمة لا تستغنى الأمةُ عن واحدٍ منها، فكيف بها مجتمعةً.

إنها دروبُ خيرٍ لايمكنُ أن يُتقنِها واحدٌ أو فئةٌ، ناهيكَ بأن يقوم بها فردٌ أو جماعةٌ.

إن هذه الحاجاتِ وأمثالَها مهما اختلفتْ مراتبُها وأَولوياتُها وبواعثُها ومناسباتُها فهي مطلوبةٌ للأمةِ في كلِّ وقتٍ.

ومن أجل هذا ـ وفقكم الله ـ فلا ينبغي الخوضُ والاشتغالُ بالبحثِ أيِّ السبلِ أفضلُ وأيُّها أولىٰ ولكن اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له.

عاتب رجلٌ الإمام مالكاً رحمهُ اللهُ لما رأى فيه من انصرافٍ كليٍّ إلى العلم، فأجابه مالك رحمه الله: (إن اللهَ قسمَ بين الناس الأعمالَ كما قسمَ بينهم الأرزاقَ فَرُبَّ رجلٍ فُتحَ له في الصلاةِ ولَم يُفتحْ له في الصَّومِ وآخرُ في الصدقةِ وآخرُ في الجهادِ[1] قال مالكٌ: فنشرُ العلمِ من أفضلِ أعمالِ البرِّ، ورضيتُ بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنتَ فيه، وأرجوا أن يكون كلانا على خيرٍ). اهـ.

واعلموا رحمكمُ الله أن عِظَمَ الأجرِ على قدرِ الإحسانِ في العملِ والإخلاص فيه، (عِظَمُ الفضلِ والمثوبةِ بَحَسبِ تفاضلِ أعمالِ القلوبِ لا بمجردِ أعمالِ الجوارحِ، وكم من عاملَيْنِ

---

(١) أي في النوافل من هذه العبادات أما الصلوات المفروضة والزكاة الواجبة فهذه مفروضة فرض عين على كل من استكمل شرائط الوجوب.

أحدُهُما أكثرُ عملاً بجوارحهِ والآخرُ أرفعُ عند اللهِ في جنته) هكذا يقرِرُّ المسألةَ شمسُ الدين ابنُ القيم رحمه الله. وفي الحديثِ الصحيح: «**كلمتان خفيفتان على اللسانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ ثقيلتان فَي الميزانِ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[1].

فلا ينبغي ـ أصلح الله بالكم ـ الاشتغالُ بالمفاضلاتِ اشتغالاً يقودُ إلى التنافرِ واحتقارِ الطيِّبِ من الأعمالِ وانتقاصِ الصالحِ من الرجال.

إن هذا النوعَ من المفاضلاتِ والانتقاداتِ يولِّد التهوينَ والازدراءَ لأقوامٍ قائمينَ على ثغورٍ من ثغورِ الإسلامِ.

والأشدُّ والأنكى حين تَنْبُتُ الأثرةُ في النفوسِ وحبُّ الظهورِ ورغبةُ التفردِ ورذيلةُ الحسدِ، ومن ثمَّ يتوجهُ القصَدُ إلى استرضاءِ الجماهيرِ واستكثارِ الأتباعِ.

إن تصحيح الأخطاءِ وتقويمَ الاعوجاجِ وإصلاحَ الأغلاطِ أمرٌ محمودٌ ومطلوبٌ، وما قامَ قائمُ النصيحةِ ولا سوقُ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ إلا من أجل هذا.

غير أن النقدَ الذي يعني تَتَبُّعَ العوراتِ وتلمُّسَ الهفواتِ وتحقيرَ الاهتماماتِ والتنكرَ للقدراتِ مسلكٌ مفسدٌ وتيارٌ مُغْرِقٌ، ومن تتبعَ عوراتِ الناسِ أفْسدهمُ.

ومن غير المبالغِ فيه ـ مع شديدِ الأسفِ ـ أن هذا النوعَ من

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٣/ ٥٤٧ ـ ح٧٥٦٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٢ ـ ح٢٦٩٤).

النقدِ والجدلِ أسهمَ كثيراً في صُنعِ هزائمِ الأئمةِ وذوبانِ قضاياها. فينضمُّ إلى كيدِ الأعداءِ خذلانُ الأصدقاءِ. إن الانهماكَ في هذا النوعِ من النقدِ، والخوضَ في تتبعِ الزلاتِ دليلٌ على فقدانِ الثقةِ، فترى هذا المنقوصَ يبحثُ عن عيوبِ الآخرين فإذا لم يجدْها اصطنعها واختلقها وتعسَّفَ التأويلاتِ من أجلِ اثباتِها. فاستغلق عنده العقلُ فلا يستوعبُ جديداً ولا يرضى مزيداً.

ولقد علمتم أن بخسَ الناس أشياءَهم، وتلمسَ أخطائِهم ومعايبِهم لايرفعُ خسيسةً ولا يقيمُ عوجاً ولا يخدمِ هدفاً، إذا فشا هذا المسلكُ افتقدَ المجتمعُ توازنَه، وضلَّتْ فيه فَئامٌ من الناس، وكأنَّ هذا المجتمعَ عندُهم قد انشَطَرَ إلى شَطْرين لا ثالث لهما أنبياء معصومون وشياطينُ مدحورون.

أيها الناسُ: ما أَنْبلَه من شعورٍ أن تُثنيَ على من يستحقُّ الثناءَ، وتكشفَ جوانبَ فضلِه وتعترفَ بمقدرتِه وجميلِ عملِه وكبيرِ أثرِه وتستغفرَ اللهَ لهُ فيما قد أخطأ فيه. وكم هو جميلٌ كذلك أن يدركَ الناسُ أن الخطأَ في البشرِ ليس بمعيبٍ، فهو لا يحطُّ قدراً، ولا يسلبُ فضيلةً، ولا يُخرجُ من جنةٍ إن كان من أهلها ولا يُدخل ناراً إن كان ليس من أهلها «**وكلُّ بني آدمَ خطاءٌ وخيرُ الخطائين التوابون**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له (٤/ ٥٦٨ ـ ح٢٤٩٩) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مَسْعَدة عن قتادة، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٠ ـ ح٤٢٥١)، وأحمد (٣/ ١٩٨)، والحاكم (٤/ ٢٤٤) وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: فيه علي بن مسعدة لين الحديث.

والعبرةُ بكثرةِ الفضائلِ، وإذا بلغَ الماءُ قلتين لم يحملْ الخبثَ، فمن غلبتْ فضائلُهُ هفواتِه اغْتُفِرَ له ذلكَ، ورحمَ اللهُ الحافظَ ابنَ رجبٍ حيثُ يقولَ: (والمنصفُ من اغتفر قليلُ خطأِ المرءِ في كثيرِ صوابه).

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واحفظوا لكلِّ ذي فضلٍ فَضْلَه، واغفروا لذي الزلةِ زلتَهُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

[الزخرف: ٣١، ٣٢].

مواهب الرجال وحاجات الأمة
الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمرَ، وأشكره على نعمه وآلائه وأسأله المزيد من فضله وكرمه وقد تأذَّن بالزيادةِ لمن شكر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلمُ ما ظهرَ وما استترَ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ، الشافعُ المشفَّعُ في المحشرِ، اللهم صلِّ وسلِّمْ وباركْ على عبدِكَ ورسولك محمدٍ وعلى آله وأصحابه السادةِ الغررِ، والتابعين ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون اتقوا اللهَ حقَّ التقوى، واستمسكون من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا سخطَ الجبارِ فإنَّ أجسادكم على النارِ لا تقوى.

أيها الإخوةُ: لا ينبغي أن تكونَ حياةُ المسلمِ وبخاصةٍ أهل العلم والفضلِ والدعوةِ لا ينبغي أن تكون حياتهم مُسخَّرةً للنقدِ، وتَتَبُّعِ الأخطاءِ، فترىٰ المبتلىٰ بمثل هذا إذا حضرَ في لقاءٍ، وتحدَّثَ في منتدى، أو تصدَّرْ في جماعةٍ لا تكونُ كلماتهُ إلا سياطاً يُلْهبُ بها نفوسَ السامعينَ، فلا ينفضون من عنده إلا وقد امتلأتْ رؤُوسهم، وشُحِنَتْ صدُورُهم، فلا يروْن إلا سوءاتٍ، ولا يسيرون إلا في عثراتٍ. ولكنَّ طريقَ الانصافِ أن يألفَ الناسُ حديثُ المحاسنِ، والثناءَ على المحسنين، وحفظَ حقوقِ الصابئينَ، وفتح أبوابِ الأملِ في دروبِ السالكين، فلا يعينوا

الشيطانَ على صاحبهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميةَ رحمه الله:

(ومن سلكَ طريقَ الاعتدالِ عظَّمَ من يستحقُّ التعظيمَ وأحبَّه ووالاه وأعطى الحقَّ حقَّه فيعظِّمُ الحقَّ ويرحمُ الخلقَ ويعلمُ أن الرجلَ الواحدَ تكون له حسناتٌ وسيئاتٌ فَيُحمْدُ ويُذَمُّ، ويثابُ ويُعاقبُ، ويُحَبُّ من وجهٍ ويُبْغَضُ من وجهٍ، هذا هو مذهبُ أهل السنة والجماعة).

ويقولُ الحافظُ الذهبيُ رحمه الله: (ونحبُّ السنةَ وأهلَها، ونحبُّ العالمَ على ما فيه من الاتباعِ والصفاتِ الحميدةِ ولا نُحبُّ ما ابتدعَ فيه بتأويلٍ سائغٍ وإنما العبرةُ بكثرة المحاسن).

أيها الإخوة: إن من أماراتِ النُّبْلِ والكرامةِ أن تُخالِفَ امرءاً في رأيه أو تعارِضَه في وجهةِ نظرِه، ثم لا ينطويْ فُؤادُك إلا على محبتِه وتقديره واحترامه، وتأبىٰ كلَّ الإباءِ أن تجرْحه في شَخْصه أو تنالَ من قدرِه، فُنُبْلَكَ وحُسْنُ أرومَتِك[1] يوكدُ لكَ أنَّ الخلافَ في الرأي ليس طريقاً إلى النقصِ من أقدارِ الرِّجالِ، والحطِّ من مقامات الأفذاذِ والجحدِ لفضائلِ الكرامِ.

فاتقوا الله رحمكم الله وأحسنوا الظنَّ بإخوانكم وأصلحوا ذاتَ بينِكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

---

(١) الأرومة: الأصل.

حقوق الإنسان بين الواقع والمثال
الخطبة الأولى

الحمدِ لله فالقِ الحب والنوىٰ، المطَّلع على الضميرِ وما حوىٰ، رَشَد بفضلِه من رَشَد وغَوىٰ بعدلِه من غوىٰ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدُه لا شريكَ له يعلمُ السرَّ والنجوىٰ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسوله بلَّغَ الرسالةَ وأدىٰ الأمانةَ فما نطقَ عن الهوىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجهم واهتدىٰ.

أما بعد فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهُ حق تقاتِه واعملوا بطاعتهِ ومرضاتِه.

أيها المسلمون: إن قدْرَ الإنسانِ عند اللهِ لعظيمٌ، وإن مكانتَهُ لرفيعةٌ، فهو كريمٌ في الأرضِ كريم عند أهل السماءِ.

لقد نفخَ اللهُ فيه من روحِه، وجعله في الأرضِ خليفةً، وأسجدَ له ملائكتَه معترفةً بفضلِه وتميُّزِه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١، ٧٢].

بهذا التكريمِ الإلٰهي وبهذه النفخةِ الربانيةِ أصبح بشراً سوياً وعلى سائرِ المخلوقاتِ متميزاً.

وإن نقائِصَهُ وأخطاءَهُ لا تُهدرِ كرامتَهَ ولا تُلغِي مكانتَهُ، ولقد قالت الملائكةُ المقربون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]. فجاء الجوابُ من العليمُ الأعلىٰ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ

﴿مَا لَا نَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠] بهذه النظرةِ، وعلى هذا التوجيهِ بدأتْ القافلةُ الإنسانيةُ تشقُّ طريقَها في هذه الحياةِ وتمارسُ مهمتَها في الخلافةِ.

فالبشرُ المنبثونَ في قارَّاتِ الدُّنيا أسرةٌ واحدةٌ وأصلٌ واحدٌ لامكانَ فيهم لتفاضلٍ في أساسِ الخِلقةِ ولا ألوانِها ولا لغاتِها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، «**كلكم لآدم وآدم من تراب**...»[(١)]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ونظراً لما يصيبُ الإنسانَ من ضعفٍ ويتعرضُ له من مزالقَ فقد تعاهدَه ربُّه بمنِّهِ وفضلِه بإرسالِ الرسلِ إليه تترىٰ تدلُّهُ على الحقِّ وتهديه إلى سواءِ السبيلِ.

وحينما أشرقتْ الأرضُ بنورِ الإسلام في الجزيرةِ كان العالمُ فيها ومن حولِها قد عصفتْ به المظَالمُ وأحاطتْ به الأرزاءُ والمغارمُ، وكرامةُ الإنسانِ في تلك الأصقاعِ وما وراءَها قد شوَّهَها الظلمُ والاستعبادُ. فجاء المسلمون بدينِهم ـ وبإذن ربِّهم ـ فكانوا هم القادرين على محو هذا المنكرِ ونشرِ الحقِّ والمعروفِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠) وقال: هذا حديث غريب، وأحمد (٢/٣٦١، ٥٢٤) بلفظ «الناس بنو آدم وآدم من تراب»، وحسنه الألباني بلفظ «الناس ولد آدم، وآدم من تراب» وعزاه لطبقات ابن سعد (١/٥) في الصحيحة(١٠٠٩).

هم القادرون على بسطِ ألوان العدلِ والكرامةِ والخيرِ والفضيلةِ مما لم يكنْ معهوداً في أسلافِهم.

لم يكن خروجُهم غزواً متسلطاً ولم تكن فتوحاتُهم سلباً ولا اجتياحاً، ولكنَّه كان جهاداً ومجاهدةً، أثْمرَ السعادةَ للبلادِ المفتوحةِ قبلَ أن يُثمرَ الخيرَ للفاتحين. ولم تمض بُرهةٌ من الزمنِ حتى كان النابغون من الأجناس الأخرىٰ يتقدمونَ الصفوفَ ويؤمُّون في المحاريبِ ويعتلون المنابرِ ويتسنَّمون المناصبَ في القرىٰ والمدائنِ، وأبناء الفاتحينَ من تحتِهم آذانٌ صاغيةٌ ورعايا طائعةٌ. لقد تآخوا في دينِ اللهِ، اجتمعوا على صدقِ المودةِ، وتعاونوا على لأوىٰ العيشِ فلا يبغي قويٌ ولا يبخلُ غنيٌ، ولا يظلمُ ذو جاهٍ، وكلُّ مؤمنٍ لأخيه كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً، يحملونَ رسالةَ الحقُّ، انتفتْ عن عقولِهم الخرافةُ، وزال عن صدورِهم الغلُّ، وتطهرتْ نفوسُهم من الرذائلِ. يرفضون الهوانَ وينشدون العزةَ.

هذه هي الحقيقةُ، وهذا هو التاريخُ وتلك هي مسيرةُ الإنسانيةِ فما حالُ الإنسانِ اليوم؟ ومن هو الإنسانُ الذي يشقىٰ عالمُ اليومِ المتحضرُ من أجلِ حقوقِه وينادِيْ بكرامتِه ورفاهيتِه؟ وماهي الموازينُ لدىٰ المُنصَّبين على حقوقِ الإنسانِ من هيئاتٍ ومنظماتٍ ومجالسَ؟؟؟.

يعيبُون علينا ـ أهل الإسلامِ ـ تحكيمُ شرعِ ربِّنا، ويَنْبزُوننا بتطبيقِ حدودِ اللهِ وحفظِ محارمِه. وهم يعلمون كما نعلمُ أن مبادئهم وأنظمتَهم قد عجزتْ بتقدُّمِها وتقنيةِ وسائِلِها أن توقفَ سيلَ الإجرام وإزهاقِ النفوسِ وتحفظَ حقوقَ الناسِ؟؟؟.

أمَّا نحنُ في شريعتِنا وتطبيقِنا فإن لنا في القصاصِ حياةً، حياةٌ وأيُّ حياةٍ، حياةٌ أعمُ وأشملُ حياةٌ تشملُ المجتمعَ كلَّه في رحمةٍ واسعةٍ غير مقصورةٍ على شفقةٍ محدودةٍ نحو مُستضْعفٍ أو أرملةٍ أو طفلٍ، ولكنها رحمةٌ عامةٌ للقويِّ والضعيفِ، والفردِ والجماعةِ، والدولةِ والأمةِ، والقريبِ والبعيدِ.

وما الأمنُ والرخاءُ المبسوطان في هذه البلادِ ، ولله الحمدُ والفضلُ ـ إلا خيرُ شاهدٍ على صدقِ طريقنا وشدةِ قناعتِنا والإصرارِ في تَمسكنا واستمساكِنا،ولو عتبتْ علينا ـ أهلَ الإسلامِ ـ منظمةُ العفوِ الدوليةُ فعتبُها مردودٌ.

لماذا يُوجَّه اللومُ والغضبُ والاتهامُ إلى عالَم الضعفاءِ وفئاتِه ويُغضُّ الطرفُ عن عالَمِ الأقوياءِ وممارساتِه؛ قتلٌ وسرقةٌ وغصبٌ وخطفٌ وقذفٌ بالسوءِ، فلا ترىٰ إلا غضاً عن السَّوْءاتِ، وتهويناً من الجرائمِ، واعتذاراً عن الأخطاءِ، تُدفنُ القضايا، وتتلوَّنُ الحججُ ويُتعَسَّفُ في البراءَةِ، بل يتحولُ الظالمُ مظلوماً والطالبُ مطلوباً. أما الضعفاءُ فمتهمون بشراسةِ الطبعِ، وهمجيةِ السلوكِ، وسفكِ الدماءِ، وإهدارِ حقوقِ الإنسانِ.

اليهودُ في الأرضِ المحتلةِ، والصربُ في أرضِ البلقانِ والهندوسُ في كشميرَ ومجرمون آخرون في بلادٍ شتىٰ؛ كلُّهم يمارسون القتلُ والذبحَ والاغتصابَ والسفكَ والتصفياتِ العرقيةِ والدينيةِ وكلَّ ما هو محرمٌ انسانياً وحيوانياً، يمارسون ذلك ضدَّ المسلمين والضعفاءِ في طولِ الأرضِ وعرضِها لا لشيءٍ سوىٰ أنهم مسلمون وضعفاءُ.

يطالبون غيرُهم باحترامِ الإنسانِ وحقوقِه ويدْعُون إلى النهجِ الأمثلِ في التعاملِ ويتزعمونَ المؤتمراتِ الدوليةَ والمجالسَ العالميةَ رافعين الصوتَ باحترامِ حقوقِ الإنسانِ وتوفيرِ الرفاهيةِ للمجتمعِ وتحقيقِ الديمقراطياتِ في الحكمِ، هكذا ينادون ولكنهم يَعْمَوْن ويعجزون أن يروا ما يجري على أراضيهم من خطاباتٍ سياسيةٍ عنصريةٍ ضدَّ الأقلياتِ في ديارِهم والنازحين إليهم.

حقوقٌ مزيفةٌ ومبادىءُ ملفقةٌ من خلال صورٍ كثيرةٍ من الديموقراطياتِ زائفةٍ تفترضُ في الحكوماتِ أحزاباً تلمتسُ المغانمُ لنفسِها، وتسوقُ المنافعَ لمؤيِّديْها، وتجرُّ المغارمَ على معارضِيها، يغلبُ فيهم الساخطُ الناقدُ على الناصِحِ المساعدِ.

أين هذا من دينِ محمدٍ وشورىٰ محمدٍ وأصحابِ محمدٍ وأتباعِ محمدٍ ﷺ ورضي عن أصحابِه وأتباعِه؟؟؟.

إنها حقوقُهم وديموقراطياتُهم لا يقبلونَها إلا بمواصفاتٍ هم وضعُوها تتحقَّقُ من خلالِها مصالحُهم فإذا ما اهتزت المصالحُ أو خالف المسارُ أهواءَهم بحثوا عن كبشِ فداءٍ يُحَمِّلُونه أوزارَهم وضوائِقَهم الماليةَ وخساراتِهم الماديَّة وألصقوا به التهمِ ما شاءوا من التجاوزاتِ في حقوقِ الإنسان ومجافاتِ الديموقراطيةِ والبشاعةِ في الأحكامِ والوحشيةِ في التنفيذِ في مقولاتٍ ومصطلحاتٍ يصنفونَ بها سلوكياتِ الحكوماتِ والشعوبِ والأنظمةِ من غير قاعدةٍ ثابتةٍ أو ناموسٍ واضحٍ. ثم أنزلوا سَخَطَهم وأرعدُوا وزمجرُوا وملأوا أرجاءَ المعمورةِ ضجيجاً، وأَصَمُّوا الآذانَ عويلاً، وبهذا يتهربون من مسؤلياتِهم وفشلِهم وتناقضِهم في

تحقيقِ مبادئهم المعلنةِ. والهيئاتُ واللجانُ والمنظماتُ الدوليةُ والإقليميةُ تسبِّح بحمدهم وتبارِكُ.

الله ـ أيُّها المسلمون ـ كم تغلي قلوبُ الأعداءِ حقداً؟ وكم يَعضُّون الأناملَ غيظاً؟ يريدون قطعَ دابرَ الدين كي تخورَ القُوىٰ ويُتَّبعَ الهوىٰ وتَعمَّ البلوىٰ؟؟ يريدون ألا يَعزَّ إسلامٌ ولا يقوىٰ يقينٌ ولا يتمُّ تمكينٌ. يُصرِّون على تمزيقِ أهلِ الإسلام قُطعاناً في بقاعِ الأرضِ لا مرعىً يجودُ ولا راعٍ يذودُ ولا دولةٌ تُؤْوي، يعاملونَهم كما يعاملون الأرقاءَ ولا ينالونَ حقوقَهم إلا بطريقِ الاستجداءِ. وقد علموا أن المستجديْ يسألُ ولا يفاوضُ، ويقبلُ ولا يعارضُ؟؟؟.

وبعدُ أيُّها المسلمون: فيعادُ السؤالُ مرةً أخرىٰ: من هو الإنسانُ الذي يشقىٰ العالمُ المتحضرُ من أجل حقوقِهِ وينادي بكرامتِه ورفاهيتِه؟ هل هو الإنسانُ المستقيمُ السويُّ الذي يرعىٰ الحقَّ ويجتنبُ الباطلَ؟؟ أم هو المجرمُ الأشرُ الذي لا يعرفُ حقاً ولا باطلاً عبدُ الدرهمِ والدينارِ ورقيقُ المصالحِ الشخصيةِ والإنانيةِ المستحكمةِ؟؟ ألا ساء ما يحكمونَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٤، ٤٥].

حقوق الإنسان بين الواقع والمثال
الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، أحمدهُ سبحانهَ واشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، إلهُ الأولين والآخرين. وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوىٰ الله عز وجلَّ، اتقوه حقَّ تقاتهِ، اتقوه ما استطعتم، اتقوه وقولوا قولاً سديداً يصلحْ لكم أعمالكم ويغفرْ لكم ذنوبَكم ومن يطعِ اللهَ ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيماً.

أيها المسلمون: إن الأعداءَ يظهرون تحضُّراً واستمساكاً بالمبادىء والمواثيقِ حين تَتحقَّقُ مصالِحَهم وتتأكدُ لهم الطمأنينةُ على رغباتِهم وأهدافِهم، ولو اختلَّ شيءٌ من ذلك لما حفظوا عهداً ولما التزموا بميثاقٍ، وإن لهم من البراعةِ في تفسيرِ النصوصِ والتواءِ العباراتِ والتلاعبِ بالمصطلحاتِ ما يوجدون فيه لأنفسِهم ألفَ مخرجٍ ومخرجاً ناهيكُم بما يُضْمرونَه في أنفسِهم من احتقارٍ لأبناءِ الشعوبِ الأخرىٰ. وإنكَ لترىٰ التمييزَ وذلك الاحتقارَ يتنفسُ بقوة من خلال المجالات السياسيةِ والميادينِ الإقتصادية

والتصنيفاتِ الإجتماعيةِ.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واستمسكوا بدينِكم واعتصموا بربِّكم فربُّكم أعلمُ بمن هو أهدى سبيلا.

محنة أفغانستان (قل هو من عند أنفسكم)
الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديهِ ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بشرَ وأنذرَ وبلغَّ البلاغ المبينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيهُّا الناسُ، اتقوه يجعلْ لكم فرقاناً ويكفرْ عنكُم سيئاتِكم ويغفرْ لكم والله ذو الفضلِ العظيمِ.

أيها المسلمون: لقد دأبَ المربُّون والكاتبون والمتحدِّثون والواعظون حين حديثِهم عن المتردِّي من أوضاعِ المسلمين، والبائسِ من أحوالِهم، لقد دأبوا أن يُلقوا باللَّومِ والتَّبعةِ على أعدائِهم. من عدوانٍ ومكرٍ وإيذاءٍ ودسائس، وهذا حقٌ غيرُ منكورٍ، وشاهدُه في التاريخِ الماضي والحاضرِ مثبوتٌ غيرُ مجهولٍ، ولكنَّ الوقوفَ في محاسبةِ النفس، والدقةَ في التشخيصِ، والصدقَ في المعالجةِ ينقصُهُ كثيرٌ من الرَّويَّةِ والمصارحةِ والاعترافِ.

وإن بين أيديكُم حدثاً كبيراً ووضعاً مؤرِّقاً يجبُ أن يكونَ

مناسَبَةً مناسِبَةً لمراجعةِ طريقةِ تفكيرِنا، وعلاجِ أمورِنا، وحلِّ قضايانا.

إنها صورةٌ من الصورِ الدالةِ في أوضحِ برهانٍ على أن في المسلمين أوبئةً كثيرةً وبلايا مستشريةً جاءَتهم من عندِ أنفسهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۖ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وفي عتابٍ تربويٍّ قرآنيٍّ آخرَ: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

إن هذا الحدثَ ـ أيُّها الإخوةُ ـ وتلكَ الصورةَ هي الاقتتالُ الشائنُ والحربُ الطاحنةُ والبلاءُ المزمنُ والمدمنُ بين الأخوةُ في أفغانستان.

لقد كان المجاهدون في حربِ الأعداءِ نبراساً تَشْرَئِبُّ له الأعناقُ، ونوراً فتياً يهتدي به السائرون في آفاقٍ اشتدَّ ظلامُها، وأملاً في الخلاصِ لنفوسٍ كثيرةٍ تراكمتْ بَأْساؤُها، رجالٌ دافعوا عن دينِهم ونافحوا من أجلِ حقوقِهم، هم الرجالُ يَقْتلون في سبيلِ اللهِ ويُقتَلون، رفعوا من معنويةِ الأمةِ الثَّكلىٰ.

أيُّها الإخوةُ في أفغانستانَ: مُدَّتْ إليكم الأيدي من كلِّ بقاعِ الإسلامِ، فجاهدوا معكم بأموالِهم، وشاركوا في صفوفِكم متراصِّينَ معكم، فيهم من تعلمونَ ومن لا تعلمونَ من إخوانِكم العربِ والعجمِ، لقيَ ربَّه من لقيَهُ مع شهدائِكم في جبالِ أفغانَ وأوديتِها. انطَلقت الألسُنُ بالخطبِ، والأقلامُ بالمقالاتِ. وصدرتْ الفتاوىٰ، ونُظِمتْ الأشعارُ، وارتفعتْ الأيدي بالدعاءِ،

ونُصِرتُم في المحافلِ الدوليةِ وقُرَّت الأعينُ بدحرِ عدوِّكُم.

لقد حظيتُم بنصرِكم بثلاثِ مَيْزاتٍ لم تجتمعْ لشعبٍ مثلِكم في هذا العصرِ، إخراجُ العدوِّ من الديارِ، وعزيمةٌ لا تحدُّ، واستبشارٌ لأمةِ الإسلامِ في المشارقِ المغاربِ. فنصرُكم كان محسوباً نصراً لأمةِ الإسلامِ كلِّها، نصرٌ في المبادىءِ والمُثُلِ، ونصرٌ في إثباتِ الوجودِ، أثبتَ جهادُكم أن البارجاتِ والمعاهداتِ، والمندوبينَ الساميِّن، والمبعوثين الدَّوْليِّين بضاعةٌ لا تزدهرُ إلا في أوحال المؤمراتِ، ومستنقعِ أشباه الرجالِ، ولكنها ورقةٌ خاسرةٌ في ساحةِ الجهادِ الخالصِ والإيمانِ الصادقِ والرؤيةِ المؤمنةِ. فهل تغيَّرَ الحالُ منكم وهل نبتتْ الأوحالُ والمستنقعاتُ فيكم؟؟.

نعم لقد دبَّ الخلافُ بينكمُ ولم يكن خلافَ رأيٍ ولا مقارعةَ حجةٍ بحجةٍ، ولكنه ـ مع الأسف ـ كان خلافَ عسكرٍ لجأ فيه كلُّ طرفٍ منكم إلى سلاحِه وعتادِه الملطخِ بدمِ الأعداءَ فارتدَّ ليدمِّر الدارَ وشامخَ البناءِ. إنها جُرأةٌ شنيعةٌ على أهلِكم وديارِكم وأبنائِكم.

أيها الشقيقةُ أفغانستانُ: هل النكبةُ من أبنائِك أشدُّ من النكبةِ على أيدي أعدائِك. خيبةٌ ساحقةٌ في القادةِ والأمنياتِ. كانت الأمنيةُ ديناً محفوظاً، وحكماً مستقراً، وتنميةً وصحةً، وإدارةً للبلادِ حسنةً بعد طولِ تِيْهٍ وتشرُّدٍ، ولكنَّ الأهواءَ السياسيةَ العارمةَ ذاتَ الرياحَ العاتيةِ عصفتْ بالنفوسِ قبل الجماداتِ.. أترىٰ الأعداءَ في أفغانستان شرَّدوا وقَتَّلوا وخرَّبوا والأبناءُ كذلك يفعلون.

الأعداءُ هدَموا المساجدَ ودكُّوا عالي المنائرَ أكذلك الأبناء يفعلون؟؟ لم يفرقْ الأعداءُ بين طفلٍ وامرأةٍ وأعزلَ أكذلك الأبناء يفعلون؟؟؟ قاتل الأعداءُ من أجل حزب على حسابِ أمةٍ وشعبٍ وكذلك الأبناءُ يفعلون؟؟؟.

كفى خزياً وخجلاً ومعرةً[1]. إن المحنةَ أقسىٰ، والألمَ أعظمُ حين يكونُ الظلمُ من ذوي القربىٰ، وأعظمُ وأعظمُ حين لا تكونُ القربىٰ قربىٰ نسبٍ ولكنها قربىٰ عقيدةٍ ودينٍ.

المؤمنون أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم، أما أن يشتدَّ بعضُهم على بعضٍ، ويضربُ بعضُهم رقابَ بعضٍ. فكيف الحالُ؟ ما هو التفسيرُ؟.

لقد أثخنتُم الجراحَ بعد التئامٍ، وأعظمتُم الفجيعةَ من بعدِ سكونٍ، ونكَّستُم الرؤوسَ من بعد رِفعةٍ، ونقضتُم الغزلَ أنكاثاً من بعدِ قوةٍ؟؟؟ ألهبتُم صدورَ الأمةِ غيظاً، وجَرَّعتمُوها الموتَ أنفاساً، وأفسدتم أمرها بالعصيانِ والخذلانِ؟؟؟.

إن الأمةَ لم تندمْ على ما قدمتْهُ لكم من دعمٍ في الأنفس والأموالِ والمواقفِ لأنها فعلتْ ذلكَ ابتغاءَ وجهِ اللهِ، ولسوفَ تفعلهُ في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ موقعٍ وكلَّما دعى الداعي. ولكنها تتأسَّفُ وتأْسىٰ لما آلَ إليه حالُكم. ألا تتقون اللهَ في أنفسكم؟؟؟ ألا تتقون اللهَ في أهليكم وديارِكم وذراريكم؟؟؟ ألا تتقون الله في أمتكم المسلمة؟؟؟ واللهِ إنها لتهتزُ مع كلِّ طلقةِ مدفعٍ،

---

(١) المعرة: الإثم والمساءة.

وإنها لترتعشُ مع كلِّ غارةِ طائرةٍ. وتهيمُ على وجهها في كلِّ لحظةٍ مع أطفالِكم ونسائِكم ومشرديكم؟؟؟.

يا إخوتَنا يا أحبَّتنا. أجيبوا داعي الشرعِ، فدولتُكم مسلمةٌ. احذروا البغيَ والخروجَ على من وليتمُوه أمرَكم فتلك مصيبةٌ لدينِ اللهِ حالقةٌ. اجعلوا للصلح موضعاً، احذروا شقَّ العصا فعاقبةُ ذلك وخيمةٌ والله وخيمةٌ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

هذا هو الخطاب للإخوة في أفغانستان.

أما الخطابُ للأعداءِ والشامتين والذين في قلوبهم مرضٌ فليعلموا أن المسلمين يفقهون سننَ الله في التاريخ والأمم، وحكمتَهُ في البلاءِ والامتحانِ. الاقتتالُ كرهٌ لنا، ووقوعُه مبغوضٌ عندنا، لا نطلبُه ولا نتمناه في غير سبيلِ اللهِ، وندرؤه ما استطعنا، ولكنَّ قدرَ الله وحكمتَه في الابتلاءِ لابدَّ واقعٌ، وأمرَهُ لابدَّ بالغٌ، فقد اقتتلَ الأعداءُ والأصدقاءُ، والصالحون والطالحون، وفي الماضين من أسلافِنا الأخيارِ معتبرٌ، فالطوائفُ من أهلِ الإيمانِ قد يقتتلون: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ [الحديد: ٢٣]. كما اقتتل الرفاقُ[1] من غير أهلِ الإيمانِ، وصفىٰ بعضُهم بعضاً قتلاً وسجناً وطرداً. والمسلمُ يعرفُ سننَ اللهِ في

---

(١) الرفاق: مصطلح يتداولوه الشيوعيون يصف به بعضهم بعضا. والمراد أن الشيوعيون جرت مقتلات عظيمة فيما بينهم من أجل الكراسي والمناصب وكذلك الأحزاب والفئات والطوائف الأخرىٰ.

الثباتِ والتغيير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا﴾ [الرعد: ١١]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١].

والمعركةُ الإيمانيةُ ليست معركةَ سلاحٍ وخيلٍ ورجالٍ فحسْبُ، ولكنها معركةٌ كبرىٰ في عالمِ النفسِ والقلبِ والضميرِ في إخلاصٍ وتجردٍ وحسن سيرةٍ وسلوكٍ. إنه تعبئةٌ كاملةٌ من أجلِ الانتصارِ الأكبرِ. النفسُ المؤمنةُ لا تنتصرُ في معركةِ الحربِ والطِّعانِ إلَّا حين تنتصرُ في معركةِ الإيمانِ والخُلقُ والنظامُ في طهرِ نفسي ونقاءٍ قلبيٍ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥].

والذين انتصروا في معاركِ العقيدةِ وراءَ أنبيائِهم هم الذين دخلوا المعركةَ وبدأوها بالاستغفارِ من الذنوبِ وصدقِ الالتجاءِ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

وقد يغلبُ المبطلون الذين يرفعون رايةَ الباطلِ صريحةً في بعضِ المواطنِ والمعاركِ لحكمةٍ يعلمُها اللهُ، أما الذين يرفعون رايةَ العقيدةِ ولا يخلصون لها فلا يمنحون النصرَ حتى يبتليَهم ربُّهم فيتمحصوا ويتمحضوا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. في صفوفِ المؤمنين طوائفُ قد أهمتْهُم أنفسُهم فهي محورُ تفكيرِهم، ومحلُّ اهتمامِهم ومرتكزُ

انشغالِهم، لم يملأْ الإيمانُ قلوبَهم، ولم تنشرحْ بنوره صدورُهم، هم في قلقٍ وتأرجُح على المستقبلِ ومن المستقبلِ: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] فكأنهم لا يعرفون اللهَ حقَّ المعرفةِ: ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ، فنفوسُهم ملأىٰ بالوساوس والهواجس، حافلةٌ بالاعتراضاتِ والاحتجاجاتِ، قد شحنت أفئدتُهم بهذا السؤالِ: ﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؟؟.

أيُّها الإخوةُ: هذه نظرةُ المسلم، وهذا هو تفسيرُ الأحداثِ والوقائعِ، والله غالبٌ على أمرِه ولكنَ أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

محنة الأفغان (قل هو من عند أنفسكم)
الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالهدىٰ، صلى اللهُ وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبهِ والتابعينَ ومن سار على نهجِهم واقتفىٰ.

أما بعدُ فاتقوا الله أيُّها الناسُ، اتقوه حقَّ التقوىٰ، اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربِّكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

أيُّها الإخوةُ: بلادُ الحرمينِ الشريفينِ بقيادِتها وشعبِها وعلمائِها وشبابِها واكبتْ الجهادَ الأفغانيَّ من أولِ مراحلِه، وسارتْ معه حيثُ سارَ، شاركتْهُ بالمالِ والنفسِ واللسانِ والقلبِ والقلمِ، أيدتْه في المواقف ونصرَتْهُ في المحافلِ وشاركها في ذلك دولٌ إسلاميةٌ وشعوبها من حين دبَّ الخلافُ ولم تزلْ الجهودُ تُبْذَلُ والمساعيَ تتوالى في إخراجِ الإخوة من تلكَ السراديبِ والمتاهاتِ، فالوفودُ إليهم تتابَعُ، ونداءاتُ النصحِ والصلحِ تتعالىٰ، وخطاباتُ التوجيهِ مع المبعوثين تتراسلُ.

أيُّها الإخوةُ القادةُ في أفغانستانَ: أجيبوا داعيَ الصلحِ حكِّموا أهلَ العلمِ والرأي من المسلمين. اتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينكِم وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

لاتكترثوا بالكلماتِ الخَطابيَّةِ الجوفاءِ التى جلبْتها الدبلوماسيةُ المعاصرةُ، وزرعتْها المخالطاتُ الرسميةُ المتكلفةُ، فشوهتْ الأخلاقَ، ومسختْ الصورَ، بل إن منها ما يحلِقُ الدينَ ويفسدُ الرأيَ. انظروا إلى المستقبلِ بأعينِكم الإسلاميةِ لا بأعينِ غيرِكم. اقرأوا التاريخَ بثقافةٍ شرعيةٍ وقلوبٍ متدينةٍ، احذروا تفسيراتِ الكافرين، وتحليلاتِ المُغرضِين من الإعلاميِّينَ والإخباريِّينَ، أنتم بإسلامِكم وقرآنِكم أدرىٰ بسننِ اللهِ في الأولين والآخرين، والمخلصينَ والمنافقين.

باركَ اللهُ في الجهودِ وسدَّدَ الخُطىٰ هدىٰ إلى الحق.

الأفغان بين التنازع وقطف ثمار الجهاد
الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ونستهديْه، ونُؤمنُ به ونتوكَّلُ عليه، ونُثْني عليه الخير كلَّهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له. يهدي بفضلِه إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم. وأشْهدُ أنَّ سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جَعَلنا على المحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله أيُّها المسلمون. فبتقوى ربِّكم تزكوا الأعمالُ، وتُنالُ الدرجاتُ. ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:٣]. وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

أيها المسلمون: رمضانُ شهرُ الله. شهرُ القرآنِ والفرقانِ. شهرُ القُرْبِ والقُرَبِ. شهرُ الجهادِ والمجاهدةِ، والصبرِ المصابرةِ. فيما صامَه نبيُّنا محمدٌ ﷺ من رمضاناتٍ كانت تُبعثُ السرايا، وتُجهَّزُ الجيوشُ، وتُدارُ المعاركُ، وتستقبلُ الوفودُ. الدعوةُ إلى اللهِ فيه قائمةٌ، وبعوثُ الإسلامِ تنطلقُ في أرضِ الله ناشرةً دينَ اللهِ. مناصرةً للضعفاءَ من عبادِ الله.

في رمضانَ هُدِّمتْ أصنامٌ لأهل الجاهلية عُظمىٰ، هُدِمتْ اللاتُ

وسواعُ، ومناةُ الثالثةُ الأخرىٰ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧] هُدِمَ مسجدُهم هذا في رمضان.

ومن الوفودِ التي تفدُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ في طيبةَ الطيبةِ معلنةً إيمانَها وولاءَها منها وفودٌ في رمضان.

إنه رمضانُ الإيمانُ والقوةِ ورمضانُ الدعوةِ والأملِ. دروسٌ رمضانيةٌ يقفُ عندها المسلمُ من أجلِ المحاسبةِ، وتصحيحِ المسارِ، وتثبيتِ الأقدامِ على هدْي كتابِ اللهِ عز وجلَّ وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ.

أيها الأحبة: يَسْترجعُ المسلمُ هذه الأحداثَ الرمضانيةَ وأَمثالَها فيحدوهُ الأملُ، ويستحثُّهُ الشوقُ إلى تجديدِ عهد قوةِ الإسلامِ ليرىٰ عزَّ الأمة ونَصرَها كما نُصِرَ ومُكِّنَ لسلفِها.

وفي رمضانِكم هذا من عامكم هذا[1] توجهتْ أنظارُ الأُمةِ إلى جهودٍ كريمةٍ تُبذَلُ، ومحاولاتٍ ومحاوراتٍ جادةٍ تُدارُ. نَهضتْ بها بلادُ الحرمينِ الشريفينِ. قلبُ ديارِ الإسلامِ وقبلتُها، ومَأرِزُ الإيمان فيها. تولتها قيادتُها الكريمة وآزرتْها في ذَلك دولةٌ إسلاميةٌ شقيقةٌ باكستانُ المسلمةُ.

أيها الإخوةُ: بلادُ الحرمينِ الشريفينِ بقيادتِها وشعبِها، وعلمائِها وشبابِها، واكبتْ الجهادَ الأفغانيَّ من أولِ مراحلِه،

---

(١) عام ثلاث عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة.

وسارتْ معَهُ حيثُ سارَ شاركتْهُ بالمالِ والنفسِ، واللسانِ والقلبِ. أيدتْهُ في المواقفِ، ونصرتْهُ في المحافِلِ. ورفعتْ أكُفَّها ضارعةً إلى مولاها طالبةَ المددَ والنصرَ، والتأييدَ والتمكينَ. وبعدَ دحرِ العدوانِ، وخروجِ الغاصبينَ من أفغانستانَ، وحينَ حانَ قَطَافُ ثمارِ النصرِ. دبَّ بينَ الإِخْوةِ من الخلافِ مادَبَّ، وحصلَ بينَهمْ من التنازعِ ما حصلَ، ودخلوا في أحوالٍ عصيبةٍ، وسراديبَ مظلمةٍ، وضاقتْ نفوسُ المؤمنينَ. وكان أهلُ هذه البلادِ وقيادتُها ممن ضاقَ بهذا الأمرِ ذرعاً. فجدَّتْ وسَعتْ ـ بتدَيُّنِها لربِّها ومن موقعِ مسؤلياتِها ـ سعتْ وجدَّتْ في إخراجِ الإِخوةِ من تلك السراديبِ والمتاهاتِ فكانتْ الوفودُ إليهم تتوالىٰ، ونداءاتُ النصحِ تتعالى، وخطاباتُ التوجيهِ تتراسَلُ.

ومع الإصرارِ والمتابعةِ، وحسنِ النيةِ بإذن الله حصلَ هذا الاجتماعُ وأثمر ذلك الاتفاقُ. باركَ اللهُ في الجهودِ وسدَّد الخطىٰ وأصلحَ القلوبَ والأعمالَ.

لقد اجتمعَ لذلك شرفُ الزمانِ وشرفُ المكانِ. أمَّا الزمانُ فرمضانُ المعظمُ في موافقاتِ بدرِ الفرقانِ. وأما المكانُ فمكانُ الفتحِ مكةُ المكرمةُ أقدسُ بقعةٍ وأطهرُ أرْضٍ.

أيُّها الإخوة الأفغانُ: مُدَّتْ إليكم الأَيدي من كلِّ بقاعِ الإسلامِ. فجاهَدُوا معكُم بأموالِهم، وشاركُوا في صفُوفِكم متراصِّينَ معكُمْ فيهم من تعلمون، وفيهم من لا تعلمون من إخوانكم العربِ والعجمِ. لقيَّ ربَّهُ من لقيه مع شهدائِكم في جبالِ أفغانَ وأوديتِها. وأُطْلِقَتْ الألسنُ بالخطبِ والمقالاتِ، وصدَرتْ الفتاوىٰ، ونُظِمَتْ الأشعارُ، وارتفعتْ الأيدي بالدعاءِ، ولقدْ أبْلَيْتُم وأبْلَوا في ذلك

الجهادِ بلاءً حسناً، وقرَّتْ الأعينُ بدحرِ عدوِّكم، ثم ظهرَ منْكُم من يريدُ الدنيا ومنكُم من يريدُ الآخرةَ ثم صرفكُم عنْهم ليْبتَليَكم.

ألا تلتمسون عفوَ اللهِ لعلَّ اللهَ أن يعفُو عنَّا وعنكم؟؟ أنسيتُم أنكم أثبتُم بجهادِكُم أن البارجاتِ والمعاهداتِ والمندوبينَ الساميِّينَ والمبعوثينَ الدوليِّينَ بضاعةٌ لا تزدهرُ إلا في أوحالِ المؤمراتِ، ومستنقعِ أشباه الرِّجالِ ولكنَّها ورقةٌ خاسرةٌ في ساحةِ الجهادِ الخالصِ، والإيمانِ الصادقِ، والرؤيةِ الواضحةِ؟؟.

أيها الإخوةُ والقادةُ: أغْلىٰ ما يملكُه المسلمُ في هذه الحياةِ بعدَ الإيمانِ باللهِ عقدُ الإخوةِ في اللهِ. رابطةُ القومِ الذين تحبُّهم في اللهِ الذين تعاهدتَ معهم على نصرةِ دينِ اللهِ.

إخاءٌ تغذيْه شعبُ الإيمان وتُنميْهِ في السراءِ والضراءِ مراحلُ الجهادِ في سبيلِ اللهِ.

ولقد علمتُم وجربتُم أن تعكيرَ صفوِ هذه الأخوة يبدأُ بهناتٍ صغيرةٍ، وهزاتٍ خفيفةٍ.. يتوالىٰ النَّفْخُ فيها مقروناً بتطلعاتٍ سياسيةٍ، ومآربَ شخصيةٍ، واغراءاتٍ دنيويةٍ حتى إذا ما نفرتْ القلوبُ، وضاقتْ الصدورُ... ازدادَ الشقُّ.. فانتَفْختْ الأوداجُ، واحمرَّتْ الأعينُ فثارَ النِّزاعُ وسالتْ الدماءُ، وحينئذٍ تفشلونَ وتذهبُ ريحكُم.

أيها الإخوةُ الأفغانُ أيها الأخوةُ الصوماليونُ أيها المسلمون في كلِّ مكان: أنتم خيرُ من يعلمُ أن بوادرِ الفرقةِ إذا نجمتْ وأطَّلتْ برأسِها رأيتَ المتربصينَ والانتهازيِّينَ يلتفُّونَ مع أوَّلِ متمرِّدٍ، ويتقوقعون حول أوَّلِ شاذٍ.

أيها الإخوةُ: من أجل اتفاقٍ دائم وتلاحم أقوىٰ اجتنبوا كثرة العتابِ وابتعدوا عن الجدلِ والمماراةِ. احذروا إظهارَ التعاليَ والتمايزَ، وتعدادَ المكاسبِ والخسائرِ، عليكم بدفنِ الممارساتِ السلبية التي ظهرتْ في الساحةِ. تجنبوا الحديثَ عنها وعن آثارِها، فإن هذا يُذكيْ نارَ الفتنِ. الزموا القولَ الحسنَ في جميعَ الأحوالِ. لا تذكروا أنفسَكم إلا بخيرٍ، واحفظوا لإخوانكم غَيْبَتَهم. وابتعدوا عن أساليبِ التعريضِ والتلميح والتلويح ذاتِ الدلالاتِ السلبيةِ. وبخاصةٍ في مثل ظروفكم هذهَ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

لا تكترثوا بالكلماتِ الخطابيةِ الجوفاءِ التي جلبتها الدبلوماسيةُ المعاصرةُ، وزرعتْها المخالطاتُ الرسميةُ المتكلَّفةُ، فشوهتْ الأخلاقَ، ومسختْ الصورَ، بل إن منها ما يحلِقُ الدينَ ويُفسدُ الرأيَ.

أيها الإخوةُ الأحبةُ: إن اختلافَ الأفهام وتباينَ الآراءِ من سننِ اللهِ في الحياةِ، ولايمكنُ أن يكونَ هذا الاختلافُ بمجرِّده.. سبباً للتقاطعِ والشقاقِ أبداً أبداً. ولكن تأكَّدوا ـ يارعاكم اللهُ ـ أن سببَ الشقاقِ إنما هو بانضمامِ عواملَ أخرىٰ من البغيْ والهوىٰ، والتطلعِ إلى المطامعِ والمراتبِ إنهم أصحابُ النفوس المريضةِ الذين يستغلُّونَ تباينَ الأنظارِ، واختلافَ الأفكارِ للتنفيس عن أهوائِهم الباطنةِ وغاياتِهم المدخولةِ. ومن ثمَّ ينقلبُ الحوارُ إلى ضربٍ من العنادِ والجدلِ العقيمِ.

إن دينكم قد أعطىٰ للخلافِ في وجهاتِ النظرِ مقاماً كريماً، نعمْ لقد أعطىٰ للعقولِ فسحةً واسعةً في الفهمِ، حتى أعطىٰ المخطىء بعضاً من نصيبِ المصيبِ فللمصيبِ أجرانِ وللمخطىء أجرٌ.

حقاً إن الدينَ قد وسِعَ الجميعَ في كنفه الرَّحبِ ماداموا مخلصينَ في طلبِ الحقِّ جادِّينَ في معرفتهِ، باذلينَ الوسعَ في الوصولِ إليهِ. لماذا تضيقُ عقولُكم بما وسعهُ دينكم؟ ولِمَ القسوةُ والجفاءُ فيما وسَّع الدين أمرَه ودائرتَه؟.

أيها القادةُ: انظروا إلى المستقبلِ بأعينِكم الإسلاميةِ لا باعينِ غيرِكُم. اقرأوا التاريخَ بثقافتِكم الشرعيةِ وقلوبِكُم المتدينةِ. احذروا تفسيراتِ الكافرينَ وتحليلاتِ المغْرضين من الإعلاميين والإخباريِّين.

إنكم بإسلامكم وقرآنكم أدرىٰ بسنن اللهِ في الأوَّلين والآخرين والمخلصين والمنافقين.

لا تقرأوا أو تسمعوا بعقولِ صنعها التنصيرُ واستعبدها الغربُ احذروا المستغربينَ كما تحذرون المستشرقين.

أيها الإخوةُ المسلمون: إن الناسَ إذا لم يجمعْهم الحقُّ، فرقهم الباطلُ. إذا لم توحدهم عبادةُ الرحمنِ، فرقتهم عبادة الأهواءِ والشيطانِ. إذا لم يصدقُوا في رجاءِ نعيمِ الآخرةِ تقاتلوا على متاعِ الدنيا. وإن دوران المعاركِ وتطاحنَهاَ من أجل حطامِ الدنيا ومتاعِها من مسالك الكافرينِ والجاهليةِ الظلماءِ **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقاب بعض»**[1].

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ٢٦٢ ـ ح١٢١)، ومسلم (١/ ٨١ ـ ح٦٥).

وإن من أصول البيعة للأئمة السمعَ والطاعةَ في العسرِ واليسرِ والمنشطِ والمكرهِ وتحمُّل الأثرةِ. نعم من لقيَ أثرةً فليصبرْ. إن المرءَ الصالحَ لا يكترثُ لفقدانِ حظٍّ من الدنيا. إنه لو انتُقصَ في إسنادِ منصبٍ أو بُخسَ في تقديرِ مُرَتبٍ لا يملأُ الآفاقَ صياحاً وشغباً فإن الغضبَ على هذا النحوِ الشائنِ شيمةُ منافقةٌ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٨، ٥٩].

ألا فاتقوا الله جميعاً رحمكم الله فخيرُ الزادِ التقوىٰ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

الأفغان بين التنازع وقطف ثمار الجهاد
الخطبة الثانية

الحمد للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدُه لا شريك له له الحمدُ في الآخرةُ والأولىٰ. وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه المبعوثُ بالهدى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياءِ وأصحابه النجباءِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واهتدىٰ.

أما بعد فاتقوا الله عباد الله.

أيها المسلمون: إن في الأمةِ من المآسي والقضايا ما يَنْدىٰ له الجبينُ ويتفَّطرُ له الفؤادُ.

إن ما تعيشُه الأمةُ من تمزقٍ وتشتتٍ وتقطيعٍ وتفرقٍ وإن تداعى أكلةَ القصعةِ ونشوبَ الأنيابِ والأظفارِ في جسدِ الأمةِ يُحتِّمُ أن تتحدَ القياداتُ المخلصةُ لتطويقِ هذه القضايا وإخراج الأمة من محنتها.

وإن هاتين الدولتين الكريمتين المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان المسلمة بِثقَلِهما السياسيِّ ووزنِهما الاقتصاديِّ، وموقِعهما الاستراتيجيِّ، وقاعدتِهما السكانيةِ الكثيفةِ الصلبةِ وقبل ذلكَ وبعدهُ عقيدتُهما الإسلاميةُ المتدفقةُ إن كلَّ ذلك ـ بإذن الله ـ قادرٌ على إيقافِ تيارِ المآسي في هذه الأمةِ إذا هو وُظِّفَ وَوَجِّهَ. ناهيكَ لو انضمَّتْ لَها دولٌ إسلاميةٌ عزيزةٌ، وتوحَّدَ

التوجُّهُ وجدَّتْ المطالبةُ إنهم بإذن الله قادرون على حمايةِ مسلمي البوسنةِ والهرسكِ، قادرونَ بإذن الله على ايقافِ المذابحِ الظالمةِ في الهندِ وكشميرِ، قادرون بإذن الله على مصالحةٍ مماثلةٍ في الصومالِ وغير الصومالِ مع سد رمقِ الجائعِ وكسوةِ العاريْ وعلاجِ المريضِ وتعليمِ الجاهلِ.

قادرونَ على ترميم جسدِ الأمةِ ورسمِ توجُّهٍ صادقٍ يوثِّقْ التلاحمَ بين القمةِ والقاعدةِ على أسسٍ من دين اللهِ ومصلحةِ الأمةِ الخالصةِ البعيدةِ عن تجاذُبِ التياراتِ، وتباينِ التوجهاتِ. مصلحةٌ خالصةٌ صادقةٌ لبُّها العقيدةُ وسياجُها حكمُ الشريعةِ. إنهم لذلكَ فاعلونَ إن شاء اللهُ. وكفى بربِّك هادياً ونصيراً.

المسلمون وقضية فلسطين
الخطبة الأولى

الحمد للهِ معزِّ من أطاعهُ واتقاه، ومذلِّ من خالفَ أمرَه وعصاه، لايَذِلُّ من والاه ولا يعزُّ من عاداه، ينصرُ من ينصرُه ويغضبُ لغضبِه ويرضىٰ لرضاه. أحمده سبحانه واشكره حمداً وشكراً يملآن أرضه وسماه، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه ومصطفاه. السعيدُ المنصورُ من اقتفى أثَرهُ واتبع هداه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وكلِّ من نصره ووالاه.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيها الناسُ فتقوىٰ اللهِ عروةٌ مالها انفصامٌ، ونورٌ تَستضِيءُ بها القلوبُ والأفهامُ.

أيها الإخوة: في مرور الأيامِ وتعاقبِ الأعوامِ وتراكُمِ الأحداثِ، يزدادُ سجلُّ التاريخِ صفحةً من بعدِ صفحةٍ، وفي مثلِ هذا يحسُنُ التأملُ ويلزمُ التدبُّرُ. هل انجلتْ غواشيْ الغفلةِ عن العيونِ السادرةِ؟ هل اجتمعتْ القلوبُ المتنافرةُ؟ هل ملَّتْ النفوسُ الحديثَ عن الأمالِ والبشائرِ.

أيها الإخوةُ: لقد تكاثرتْ نكباتُ الأُمَّةِ، وتوالتْ عليها الأحدَاثُ والغِيَرُ، وتفتَّقتْ فيها الجروحُ.

ولعمرُ الحقِّ إن هذا مظهرٌ من مظاهرِ الهوانِ في كثيرٍ من أجزائِها، وأرجائِها ولا تزالُ الأمةُ تُبتلىٰ بأحداثٍ وقضايا حتى

يُنسي آخرُها أوَّلَها، ويُغطِّي حديثُها على قديمِها، ياترىٰ ما هي أوضاعُ المبعدينْ[1] ؟ وماهي أنباءُ الانتفاضة[2] ؟ وماهي أخبارُ إخوانِنا في الهند؟ وماهي أحوال الصامدين في كشمير والمنكوبين في البوسنة والهرسك والصابرين في الفلبين؟ إنها تَتَلهَّىٰ بالجديدِ من غيرِ عملٍ، وتتأوَّه وتتأسَّف على الحاضر من غيرِ فعلٍ.

أيها الإخوةُ: وهذا حديثُ مراجعةٍ عن القضيةِ الأُولى وإعادةِ تقويمٍ للمسارِ فقضايانا متشابهةُ وعلاجُها واحدٌ.

أيها الإخوة: لم يسجْل التاريخُ قضيةً تجَّمعتْ فيها الأحقادُ العالميةُ، وبرزتُ فيها المتناقضاتُ الدوليةُ، وتجلى فيها التلاعبُ، بالمصطلحاتِ اللفظيةِ والعبثُ بالعباراتِ الوثائقيةِ مثلَما سجَّلَ في قضيةِ فلسطينَ المسلمةِ وقدسِها المقدسةِ، جاءتْ قضايا المسلمين بعدَها على شاكلتِها، الإلحادُ تآزر مع الصليبية، والشيوعيةُ في حينها تضامنتْ مع الرأسماليةِ، والشرقُ تآمرَ مع الغربِ، تألفتْ منها جميعاً حلقاتُ البغيِ المعلنِ والكيدِ المبَّطنِ.

---

(١) المبعدون: مجموعة من الشباب الفلسطيني قرابة ثلاثمائة فرد أظهروا مقاومة عنيفة للاحتلال اليهودي وكان لهم تأثيرنفاذ في داخل فلسطين المحتلة مما كان من حكومة اليهود إلا أن أبعدتهم إلى منطقة تسمىٰ مرج الزهور بين لبنان وشمال فلسطين المحتلة في الشهر السادس من عام ١٤١٣هـ الموافق الشهر الثاني عشر من عام ١٩٩٢م واستمر الابعاد حوالي سنتين.

(٢) الانتفاضة: حركة جهادية كفاحية في فلسطين المحتلة انطلقت في الشهر الرابع من عام ١٤٠٨هـ الموافق نهاية عام ١٩٨٧م وكان عمادها الأطفال وصغار الشباب وسلاحها الحجارة ولكنها أقضت مضاجع يهود وأدت إلى السلام الذي يجري التفاوض عليه الآن.

كما لم يسجلْ التاريخُ خطأ أو خطيئةً أبشعَ ولا أفظعَ من انخداعِ العربِ بخطةِ الأعداءِ في دحرجةِ قضيةِ القدسِ وفلسطينَ من دائرَتِها الإسلاميةِ الواسعةِ المتينةِ إلى متاهاتٍ وحفرٍ من الوطنيةِ والقوميةِ والمذهبيةِ والحزبيةِ والإقليميةِ والشرقِ أوسطيةِ، في نعراتٍ جاهليةٍ ومبادىءَ دخيلةٍ وشعاراتٍ مستوردةٍ.

لقد فُصلِتْ القضيةُ وبُتِرَتْ عن قوتِها المؤثرةِ وطاقتِها الدافعةِ الدافقةِ حتى تاهتْ في غبارِ النكساتِ والتواءِ المساوماتِ في مفاوضاتٍ تشبه التهديدَ ومراوغاتٍ حصيلتُها ضروبٌ من المواعيدْ.

سبق ذلك مصاحبةَ جِدٍّ من اليهودِ وأشياعِهم في زعزعةِ الأمةِ في عقائدِها، وتشكيكِها في مبادئِها، وتدميرِها في أخلاقِها. لقد امتدتْ أيدي اليهودِ وأعوانِ اليهودِ إلى قلوبِ العربِ لتنتزعَ منهمْ دينَ محمدٍ وتراثَ محمدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

لقد بلغَ تدميرُهم وتدبيرُهم مبلغاً مخيفاً؛ نبتَ في بني جلدةِ المسلمينَ من يرفضُ الإسلامَ ديناً ويَنكرُهُ منهاجاً، لقد اختلَّ بربِّهم إيمانُهم، واهتزتْ بدينِهم عقائدُهم، فيهم ملاحدةٌ يعتقدون أنهم أعلمُ من اللهِ بشؤنِ خلقهِ وأنهم أعدلُ منه في قَسْمِ رزقِهِ، ما كان في الدينِ حراماً زعموه حلالاً.

ولقد كان من هذه النابتةِ موجهونَ وساسةٌ، ومفكرون وأدباءُ، عبثوا بالأسس الدينيةِ والقيمِ الأخلاقيةِ والمقرراتِ التاريخيةِ. سخَّرُوا الأقلامَ والأعلامَ والأفلامَ لتقويضِ دعائمِ الحياةِ الصالحةِ والأخلاقِ الفاضلةِ، وأورثوا فوضىٰ فكريةً لا معروفَ فيها

ولا منكرَ، إنما هي انتهازيةٌ واقليميةٌ، وتحللٌ وأفرنجيةٌ وجاهليةٌ وعاميَّةٌ.

جبنٌ في النفوس والقلوبِ، وانفعاليةٌ في الإرادةِ والتصرفاتِ، وغرامٌ بالمتعِ الرخيصةِ في أدقِّ الساعاتِ وأحلكِ الأيامِ، وافتتانٌ من العامَّةِ بالملاهي والمعازفِ، فجمع لهم ذلك حبُّ الدنيا وكراهيَّة الموتِ، فجَبِنُوا عن المغامرةِ والإقدامِ، ونُزعتْ منهم المهابةُ وملأ قلوبَهم الوهنُ نعم لقد تكوَّنتْ أجيالٌ متنورةَ المعرفةِ لكنها مظلمةُ الروحِ، جوفاءُ القلبِ، ضعيفةُ اليقينِ، قليلةُ الدينِ، نافذةُ الصبرِ والجَلَدِ، فاقدةُ الخُلُقِ والإرادةِ، تبيعُ الحقَّ والأمةَ بمنافعَ شخصيةٍ، جاهٌ موهومٌ، وعزٌ مصطنعٌ في أهواءَ مشتتةٍ، وأهدافٍ متفرقةٍ. هذا نوعٌ من الزعزعةِ والهدمِ والتشكيكِ.

ولئن كانوا زَعزعوا فيها روحَ التديُّنِ وشريفَ الخُلُقِ فلقد سلكُوا في قضيتِها مسالكَ المنظماتِ والتجمعاتِ والحزبياتِ والهيئاتِ التي تتأرجح بين يمينٍ ويسارٍ، بشعاراتٍ زائفةٍ من العلمانيةِ والتقدميةِ والوطنيةِ والقوميةِ والديموقراطيةِ والشعبيةِ، اجتماعاتُهم وتنظيماتُهم ومؤتمراتُهم وقراراتُهم تَعِدُ ولا تُنْجِزُ، وتقولُ ولا تفعلْ، وتَشْجُبُ ولا تُقْدِمُ، قلوبٌ شتىٰ، ووجوهٌ متباينةٌ، فصمُوا العرىٰ بعد توثيقِها، ونقضوا الأيمانَ بعد توكيدِها، وفرقوا الكلمةَ بعد توحيدِها.

وفي ذاتِ الوقتِ الذي يسعىٰ فيه الأعداءُ إلى هذا الهدمِ وذلك التشتيتِ فإنهم جادُّونَ في بناءِ أنفسهم، استمداداً من تاريخهم، واعتماداً على تراثِهم، يجمعون بني قومِهم من شتاتِ الأرض وشُذَّاذِ الآفاقِ باسمِ الدينِ واسرائِيلَ والتوراةِ والتلمودِ. لقد

أشربَهم تلمودُهم أحقاداً زرقاءَ ينفُخُ فيها أحبارُ السوءِ بوصايا الزيْفِ من التوارةِ المحرَّفةِ ليتنادوا عليها وكأنَّها حقائقُ ومسلماتٌ.

إنها طبائعُ الملعونينَ من أسلافهم؛ قسوةٌ في القلوبِ كالحجارةِ أو أشدُّ، وشرهٌ في النفوس، وأكلُ سحتٍ، وفسادُ معتقدٍ، وبغيٌ في الأرضِ، وتطاولٌ على الخلقِ وربِّ الخلقِ.

هذا سبيلُهم في الزعزعةِ والهدمِ، أمَّا سبيلُهم في المفاوضاتِ والمحادثاتِ فسبيلُ المخادعةِ والتضليلِ والتلاعبِ بالاسماءِ والمصطلحاتِ والالتفافِ على التوصياتِ والقرارتِ. وإذا تأزمَّتْ الأُمورُ وخِيفَ من إفلاتِ الزمامِ كُوِّنتْ لجانٌ وتراسلَ المندوبونَ بأسماءٍ وألوانٍ ومبادراتٍ ومهدئاتٍ؛ امتصاصاً للغضبِ وتهدئةً للأوضاعِ، والمريضُ إذا اشتد مرضهُ قبلَ المسكناتِ، والضعيفُ إذا غلبهَ يأسهُ رَكَنَ إلى المهدئاتِ.

أيها الإخوةُ: هذه هي القضيةُ، وذلكم هو وضعُها، وأخواتُها مثلُها.

إن القضيةَ ليست غامضةً ولا ملتويةً، وماهي بالمستعصيةِ ولا الشائكةِ، ولكنها تحتاجُ إلى شيءٍ من التذوقِ القرآني، والإلمامِ بطبائعِ الأشياءِ واستعراضِ النواميسِ الإلٰهيةِ والسننِ الأزليةِ.

إن إزالةَ أسبابِ الخذلانِ أهمُّ وأولىٰ من إزالةِ آثارِ العدوانِ، وطغيانُ اليهود لا يوقفهُ إلا الإسلامُ.

وإن ميلَ الميزانِ لا يُعدِّلُه إلا القرآنُ. الحل بيِّنٌ، والحقُّ واضحٌ، فهل يفيقُ الذين في سكرتِهم يعمهون؟؟.

لابد من ردِّ القضيةِ إلى خطِّها الأصيلِ، فتصبحَ قضيةً قويةً تتأبىٰ

على الوأدِ والاحتواءِ. لابد أن تعودَ القضيةُ إلى امتدادِها الإسلاميِّ بكل أفاقِه وأعماقِه. وهذا أمرٌ فصلٌ ليس بالهزلِ. إنه صراعُ عقائدَ، ومعركةٌ مع أشدِّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا.

كتابُ ربِّنا لا يزالُ غضاً كما نَزَلَ، ولا يزالُ قادراً على أن يجدِّدَ أمرنا كلَّه.

على الأمةِ أن تدركَ أن تفوقَ يهودَ سيظلُ خنجراً هامزاً غامزاً في لحومِ الشاردينِ وجنوبِهم حتى يؤبوا إلى القرآنِ شِرْعةً ومنهاجا. إذا عادَ الشاردونَ الى الحقِّ عادَ اليهودُ بإذن اللهِ إلى حجْمِهم وذلّتِهم المضروبةِ عليهم، وينقطعُ بهم حبلُ الناس ويبطلُ السحرُ والساحرُ، ويأتي وعدُ الحقِّ فلا ينفعُ اليهوديَّ شَيءٌ ولا يستره اتقاءٌ خلفَ حصىٰ، ولا يقيه حجرٌ، ولا يحميه سلاحٌ، ولا شجرٌ. «**يختبىءُ اليهوديُّ من وراءِ الحجرِ والشجرِ فيقولَ الحجرُ والشجرُ يامسلمُ ياعبدَالله هذا يهوديٌّ خلفي تعالَ فاقتلْه**»[1].

هذا هو خبرُ الصادقِ المصدوقِ عليه الصلاةُ والسلامُ. وهذا هو النداءُ يا مسلمُ يا **عبدَالله**. ولا نداءَ غيرُه هذا هو محورُ القضيةِ.

وليستيقنِ الجاهلونَ أنهم لن يروا نصراً ولن يحفظوا أرضاً ماداموا مصرِّين على الألقابِ الضالّةِ، ومناهجِ الإلحادِ الصارفةِ، إن هذا الرُّكامَ كلَّه نبتُ الشيطانِ وغرسُ الكفارِ، وهذا هو الذي يحجُبُ نصرَ الله ويمدُّ في حبالِ اليهودِ وحمايتِهم وكأنه الغرقدُ شجرُ اليهودِ.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٦/ ١٢١ ـ ح٢٩٢٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٩ ـ ح٢٩٢٢) واللفظ له.

يا مسلمُ يا عبدَالله يا جندَ القرآن يا جندَ الله: هذا هو كتابُ ربّكم وهذا هو حديثُه إليكم: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠]. ياأصحابَ سورةِ البقرةِ وآلِ عمران، يا قُراءَ التوبةِ والأنفالِ ويا مُرتلي الصفِّ والقتالِ[1] أحسنوا التلقيَ عن كتابِ ربكم، افهموا طبيعةِ يهودٍ وأشياعِهم فهماً قرآنياً وتعاملوا معهم تعاملاً قرآنياً، ليس تقريراً سياسياً يتلونُ بالمنافعِ والمتغيراتِ، وليس بحثاً اجتماعياً يخضعُ لاستنتاجاتٍ واحصاءاتٍ ولا تحليلاً نفسياً خاضعاً لتقويم البشرِ بأخطائِهم وتخبُّطاتِهم. حكمُ قرآنيٌ لا تشوبهُ شهواتٌ ولا شبهاتٌ، حقائقُ اليقينِ من ربِّ العالمين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

خطابٌ قرآنيٌ يخاطبُ المسلمَ في وجدانه وعقلِه وحسِّه وعصبِه وفكرِه وجسدِه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

إنها معركةُ حياةٍ ومصيرٍ يتقرَّرُ بها وجودٌ أو عدمٌ وانتصارٌ أو اندثارٌ: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]. صدق اللهُ العظيمُ وبلَّغَ رسولُه الكريمُ ونحن على ذلك من الشاهدينَ.

اللهم اجعلنا من شهداءِ الحقِّ القائمينَ بالقسطِ، واسلكنا في حزْبِك المفلحين، وجندِك الغالبين، ربنا اغفر لنا ذنوبَنا وإسرافَنا

---

(١) القتال: هي سورة محمد ﷺ.

في أمرِنا وثبتْ أقدامَنا وانصرْنا على القومِ الكافرين، إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ، وسبحان ربك رب العزة عمَا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المسلمون وقضية فلسطين
الخطبة الثانية

الحمد لله علا وقهرَ، وعزَّ واقتدرَ، ذي البطشِ والجبروتِ، لا محيدَ عنه ولا مفرَّ، أحمده سبحانه وأشكره لم يزل يوالي إحسانه من شكرَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له على رغمِ أنفِ من جحدَ به وكفرَ، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ والشافعُ المشفعُ في المحشرِ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادةِ الغررِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم العرض الأكبرِ.

أما بعد فاتقوا الله أيها الناسُ كما أمرَ، واجتنبوا الفواحشَ ما بطن منها وما ظهرَ، فدنياكم دارُ ممرٍ والآخرةُ هي المقرُّ.

فلسطينُ الكريمة قدسَنا المعظم ما أشدَّ ما تكابدين من عسْفِ القويِّ وكيدِ الماكرِ وقسوةِ الظالمِ وجفاءِ الأهل.

إن دموعَكِ منذُ الفاجعةِ بل الفواجع لم ترقأْ وإن جروحَكِ منذ تلك الوقائعِ لم تندَملْ. وإن صوتك الَجازعَ لن يزالَ مجلجلاً في الأعماقِ. غير أن جرحَكِ لن يواسىٰ وفتقَكِ لن يُرفأَ إلا حينَ يتنافسُ محبوكِ من المسلمين في مجدِ الموتِ وشرفِ التضحيةِ. وإن في صورِ المبعدينِ وأحرار المنتفضين لمسالكِ للنصرِ واحقاقِ الحقِّ.

سوف يفزعُ المحبونَ إليكِ فزعَ المغيثِ المسْعِفِ وليس فزعَ

النادبِ الآسفِ فمصابنا بكِ ومصابكِ بنا لا يفيدُ فيه بكاءٌ ولا ينفعُ فيه حزنٌ على ثراكِ وثرىٰ إخوانِكِ في كشميرَ والبوسنةِ والهرسكِ والصومالِ والفلبينِ، سوفَ يغضبُ مجدٌ، ويُسَطرُ تاريخٌ ويغاثُ ملهوفٌ إن غَضْبتُهم مفزِعةٌ وإن يقظتُهم مروِّعةٌ وما ذلك على الله بعزيز فالقرآنُ محفوظٌ والمحجةُ بيضاءُ والطريقُ أبلجُ وإن تتولوا يستبدلْ قوماً غيرَكم ثم لا يكونوا أمثالكم.

لا . . . يا مؤتمر السكان
الخطبة الأولى

الحمد للهِ خلقَ الخلائقَ وقَدَّرَ أقواتَها وقسَّم أرزاقها وحدَّد آجالها، فلن تموتَ نفسٌ حتى تستوفيَ رزقَها وأجلَها.

أحمدُه سبحانَه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه أبان الطريقَ وأوضحَ السبيلَ فاستبانتْ نفوسٌ الحقَّ وأجابتْ دعوةَ ربِّها، وضلَّتْ أخرىٰ فآثرتْ هواها على هُداها فاستلسمتْ لشهواتِها، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ الحقِّ واليقينِ، إيماناً بحقيقتِها وعملاً بمقتضياتِها. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، باتباعِه تبلغُ النفوسُ مُناها في آخرتها ودنياها. صلى اللهُ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيرُ الأمةِ وأزكاها وأبرُّها وأتقاها، والتابعينَ ومن تبعُهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ حقَّ التقوىٰ واستمسكوا من دينِكم بالعروةِ الوثقىٰ.

أيُّها المسلمون: كرَّمَ اللهُ بني آدمَ وحملَهم في البَرِّ والبحرِ والجوِّ ورزقهُم من الطيباتِ وفضَّلَهم على كثيرٍ ممن خلقَ تفضيلاً. بشرٌ مكرمٌ جعله اللهُ أهلاً لهدايتِه، ومحلاً لتكاليفِه، هو الوحيدُ بين المخلوقاتِ عاقلٌ ذو إرادةٍ متحكمٌ في رغباتِهِ قادرٌ على كبحِ جماحِ شهواتِهِ. نعم إن سرَّ التكريمِ وجوهرِ الإنسانيةِ العقلُ والإرادةُ

وقبولُ التشريعِ. بغيرِ كبحِ جماحِ النفسِ والتقديرِ الصحيحِ للمضارِّ والمنافعِ، والسيرِ على هُدىٰ اللهِ يكونُ الإنسانُ وحشاً كاسراً في غابةٍ مخيفةٍ.

كم من أمةٍ ابتعدتْ عن نورِ اللهِ، واستسلمتْ لنزواتِها وانطلقتْ لاهثةً وراءَ مشتهياتِها فزلَّتْ بها القدمُ ثم زالتْ إلى العدمِ زلَّتْ ثم زالتْ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وحضارةُ اليومِ بملاحدتِها وماديِّيْها على هذا الطريقِ المنحرفِ تنجرفُ، كفارٌ باللهِ وكفارٌ بالغيبِ لا يرجونَ للهِ وقاراً. استسلموا لعقولِهم واستعبدتْهم آلاتُهم وحاسباتُهم. يُخطِّطُون للدِّنيا ويدبِّرون في الكونِ بعيداً عن اللهِ وذكرِه وشكرِه. لسانُ حالِهم ومقالِهم يقولُ: (ربَّنا لقد أخطأتَ التقديرَ وأسأتَ التدبيرَ؛ فالأقواتُ غيرُ كافيةٍ، والمواردُ عندنا متناقصةٌ، والأرضُ لنا غيرُ متسعةٍ، تعالىٰ اللهُ عما يقولُ الظالمون الكافرون الجاحدون علواً كبيراً. ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

يدُ ربِّنا ملآىٰ لا تَغيضُها نفقةٌ سحاءَ الليلِ والنهارِ، سَوْقُ الرزقِ بإذنِ اللهِ، وتوزيعِه بحكمةِ اللهِ. خلقَ الأرضَ وباركَ فيها وقدَّرَ فيها أقواتَها، ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

يقالُ ذلكَ أيُّها الإخوةُ: وفي الأيامِ القريبةِ سوفَ يعقدُ

مؤتمرٌ[1] يتظاهرُ أصحابهُ بالحبِّ للبشريةِ والخوفِ عليهم. وهو يَنْضحُ بالكفرِ ويطفَحُ بالإلحادِ ويناوىءُ اللهَ في حِكَمِه وأحكامه. ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ٨٩].

مؤتمرٌ يُهدِّدُ ـ فيما يزعمون ـ بالانفجارِ السكانيِّ، ويُخوِّفُ بنقصِ خزائنِ اللهِ، مؤتمر يزعمُ أن الحلَّ لمشكلاتِ البشرِ بنشرِ الإباحيَّةِ المطلقةِ، وإقرارِ اللواطِ، وزواجِ الشواذِّ، وفوضىٰ الجنسِ بين المراهقينَ والأحداثِ والعُزَّابِ والمتزوجينَ وشرعيَّةِ الإنجابِ من غيرِ زواجٍ، وتَمرُّدِ الأبناءِ على ولايةِ الآباءِ والتنفيرِ من الزواجِ المبكرِ. وإباحةِ الإجهاضِ كلِّه.

تمردٌ على كلِّ الشرائعِ السماويةِ، والقوانينِ الشريفةِ، والأخلاقِ الساميةِ، والفطرِ السليمةِ، إلحادٌ صارخٌ وكفرٌ بواحٌ.

لقد أجْلَبوا بخيلِهم ورَجِلِهم وعُدَّتِهم وعَتَادِهم، وكتبوا واستكتبوا تنادوا من كلِّ جانبٍ، لقد زعموا أن قلَّةَ السكانِ تؤدي إلى زيادة التنميةِ. وهذا ميزان معكوسٌ، ومعالجةٌ سلبيةٌ. إن الموارِدَ لا تزيدُ ـ بإذن اللهِ ـ إلا إذا زادَ عددُ البشرُ، فالإنسان هو الوحيدُ من بين المخلوقاتِ على هذه الأرضِ الذي يتعاملُ ـ بإذن الله وهدايته ـ بالتنميةِ والزيادةِ والمزجِ والخلطِ والتركيبِ والتوليدِ والجمعِ والتفريقِ.

الصينُ أكثرُ الدولِ سكاناً وهي أرفعُها في التنميةِ معدَّلاً. هذا

---

(١) هو مؤتمر السكان انعقد في القاهرة في الفترة من ٢٩/ ٣/ ١٤١٥هـ الموافق ٥/ ٩/ ١٩٩٤م حتى ٨/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ١٣/ ٩/ ١٩٩٤م.

هو الحديثُ إليهم حسب مقاييسهم.

أما أهلُ الإسلامِ فينظرونَ إلى القضيةِ بمقياسٍ أكبرَ وأدقَّ؛ إن استدرارَ الأرزاقِ، واستجلابَ الخيراتِ، ورفعَ معدلاتِ التنميةِ، لا يكونُ ولنْ يكونَ إلا بالإيمانِ باللهِ رباً مدبِّراً، خالقاً حكيماً، عليه توكلْنا وإليه أنبنا وإليه المصيرُ. ومن مقتضياتِ هذا الإيمانِ اتباعُ الأوامرِ واجتنابُ النواهيْ، نؤكدُ الميثاقَ مع ربِّنا ولا ننقضُهُ، ومن ثَمَّ يكونُ الخضوعُ للهِ وتحكيمُ شرعِهِ، والبعدُ عن الظلمِ والتظالمِ، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، وأكلِ الربا، ومنعِ الزكاةِ وحقوقِ المالِ، وتقطيعِ الأرحامِ، وبخسِ الناسِ أشياءَهم، وتضييعِ الموارِدِ والثرواتِ، وتبديدِها فيما لا يرضي اللهُ والحذرُ من ارتكابِ الفواحشِ ما ظهرَ منها وما بطن والإثمِ والبغي بغيرِ الحقِّ والشركِ باللهِ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون.

هذه مقتضياتُ الإيمانِ ثمَّ يكونُ الأخذُ بسننِ اللهِ في العلمِ والعملِ وحسنِ الاستثمارِ، ومراجعةُ السياساتِ الاقتصاديةِ والخططِ التنمويةِ وبرامجِ التعليمِ والإعلامِ والاستفادةُ الكاملةِ من الفردِ والجماعةِ على نورٍ من اللهِ وهدْيِ الإسلامِ.

إن البلاءَ في سياساتِهم وليس في أناسيِّهم، خزائن الله لا تنفد، وإنما شحَّتْ أنظمتُهم الجائرةُ وحاقتْ بهم خططُهم الماكرةُ. ليس الحلُّ بمعاقبةِ الإنسانِ، وإهلاكِ الشعوبِ، والتعاملِ مع البشرِ كما يُتعاملُ مع النفاياتِ ليُلقىٰ الفائضُ منها في الزبالاتِ ألا ساء ما يحكمون؟؟؟.

أيُّها المسلمون أيها العقلاءُ: إن الأعدادَ البشريةَ وزيادتَها

ونقصَها وتوازنَها كلُّ ذلك خاضعٌ لسنةِ الله وحكمتِه، وقدَره وعلمِه: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد: ١١] ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ [فاطر: ١١].

وخضوعاً لهذه السننِ الإلهيةِ والحِكَم الربانيةِ جعل نبيُّنا محمدٌ ﷺ «من أعظم الذنوبِ وأكبرِها أن تقتلَ ولدَكَ خشيةَ أن يطعمَ معكَ»[(١)]. إن حقَّ الحياةِ محفوظٌ لكلِّ نسمةٍ، ولما أذن النبيُّ ﷺ بالعزلِ لمن سأله قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من نسمةٍ كائنةٍ إلى يوم القيامةِ إلا وهي كائنة**»[(٢)] وفي رواية «**اعزل عنها إن شئتَ فإنه سيأتيها ما قُدِّرَ لها**»[(٣)]. هذه هي العقيدةُ والواقعُ.

أيُّها الإخوةُ: هذا جانبٌ من القضيةِ، وثَمَّتَ جانبٌ آخرُ: إنهُ حكمُ الظالمِ على المظلومِ والقويِّ على الضعيفِ، فلقد صبوا جامَ غضبَهم على الدولِ الضعيفةِ والفقيرةِ، استبدوا بالثرَّواتِ واحتكروا الصادراتِ ثم اتهموا الدولَ الفقيرةَ بأن فقرَها وعوَزَها لكثرةِ سكانِها؛ أليسوا هم الذين يُتلِفون فائضَ الانتاجِ حتى لا تنخفضَ الأسعارُ؟ أليس أسعارُ ما يردُ منهم في تزايدٍ واسعارُ

---

(١) متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود أخرجه البخاري (٨/ ٣٥٠ - ح٤٧٦١)، ومسلم (١/ ٩٠ - ح٨٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (٧/ ٤٩٤ - ح٤١٣٨)و ومسلم (٢/ ١٠٦٢ - ح١٤٣٨)و وأبوداود (٢/ ٢٥٢ - ح٢١٧٢)، وأحمد (٣/ ٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦٤ - ح١٤٣٩)، وأبوداود (٢/ ٢٥٢ - ح٢١٧٣)، وابن ماجه في المقدمة (١/ ٣٥ - ح٨٩)، وأحمد (٣/ ٣١٢).

ما يصدرُ إليهم في تناقصٍ؟؟ اتفاقياتٌ ومعاهداتٌ جائرةٌ يُبرمونها مع هؤلاءِ الضعافِ الفقراءِ منحازةٌ مع دولِ الشمالِ وما يردُ من الشمالِ وما يُنتجُه الشمالُ؟؟ مساعداتُهم التي يمنُّونَ بها لا تصلُ إلا مخنوقةً بالديونِ، ومثقلةً بفوائدِ الربا، ومكبلةً بالشروطِ ومحدوديةِ الصرفِ بما لا يرفعُ رأساً أو يورثُ تنميةً. أما السِّتارُ الحديديِّ الغليظُ فمضروبٌ على التقنياتِ ووسائلِ تحسينِ الانتاجِ وتطويرِ وجوه الاستثمارِ، ناهيكَ بسياساتِهم المسعورةِ في التسلحِ وانفاقِ البلايينَ في انتاجِ السلاحِ وترويجِه، وافتعالِ الحروبِ ونشرِها، وزعزعةِ الاستقرارِ السياسيِّ، والمذابحِ الجماعيةِ والفتنِ الطائفيةِ. لقد ربَّينا أبناءَنا صغاراً فقتلتموهم كباراً قتلاً حسياً ومعنوياً.

إن عندهم من مخزونِ السلاحِ ما يكفي لتدمير الأرضِ وإهلاكِ الحرثِ والنسلِ عشراتِ المراتِ، ولو أنهم اكتفوا بمخزونٍ يكفي لتدميرِ العالمِ مرةً واحدةً لفاض في ميزانياتِهم ما يغطي مشروعاتِ الانتاجِ والخدماتِ في العالمِ أجمعَ. ولكنه الإجرامُ الغليظُ، والأنانيةُ المستحكمةُ والجورُ في التوزيعِ والاستئثارُ المقيتُ بما يملكون من صادرٍ وما يقدرون عليه من وارِدٍ. ومع ذلك يتبجَّحُون ويأمرون ويوصون ويقررون ثم يَنْحوُن باللائمةِ في المشكلةِ الإنمائيةِ والسكانيةِ على هذه الدولِ الضعيفةِ، ولكنه الثور يُضْربُ لما عافتِ البقرُ.

وإن أردتم شيئاً من الحقيقةِ ـ أيها الأحبةُ ـ فلتعلموا أن تكاثرَ الدولِ الضعيفةِ والفقيرةِ وبخاصةٍ دولُ الإسلامِ يخيفُهم ويُفْزِعُهم، طفحَتْ بذلك وثائقُهم وملفاتُهم. لقد قررتْ تلك الوثائقُ

والملفاتُ أن تزايدَ السكانِ يهدِّدُ مصالِحهم ويزعزعُ أمنَهم، ولقد قالوا فيما قالوا: إن أقطارهم أصبحتْ تذوبُ كالجليدِ تحتَ الشمسِ أمام تزايدِ الشعوبِ الأخرىٰ، ولقد كان بعضُهم أكثرَ صراحةً حين قال: إنهم يواجِهُون في المستقبلِ خطرَ الأسلمةِ (أي الدخول في الإسلام). لقد تعالت نداءاتُ كُتَّابِهم ومنظِّريهم في التحذيرِ من اختلالِ ميزانِ القوىٰ بين الشرقِ والغربِ حتى صرَّحوا بأن لدىٰ مناطقِ المسلمين خصوبةَ ما لديهم بأضعاف مما سوفَ ينقلُ السلطةَ والقوةَ في مدةٍ لا تتجاوزُ بضعةَ عقودٍ، هذا ما حفلتْ به حساباتُهم ونسبُهم المئويةُ.

نعم ـ أيها الإخوةُ ـ لقد تناقصتْ أعدادُهم، وقلَّتْ نِسبُ المواليدِ فيهم، فأصبحوا يدفعون الإعاناتِ للأسرِ لزيادةِ الإنجابِ، ولن تزدادَ أعدادُهم وقد استباحوا ما حرم اللهُ على ألسنةِ رسلِهِ ونزلتْ به كتبُهُ، فأحلُّوا السفاحَ واكتفىٰ الرجالُ بالرجالِ والنساءُ بالنساءِ، فصارَ حالُهم متردداً بين شذوذٍ وسِحاقٍ.

ألا فاشكروا الله أيُّها المسلمون إذ كثَّركم، وانظروا كيف كان عاقبةُ المفسدين.

ثم ألا فليخسأ الماديون، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

ليُثْبر الملاحدةُ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: ٦٠] ولينددحر الكافرونَ بالغيبِ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

والصَّغَارُ والذِّلةُ للإباحيينَ فلقد بايعَ المؤمناتُ رسولَ الله ﷺ ألا يزنِيْن ولا يَقْتلنَ أولادَهنَّ ولا يأتينَ بِبُهتانٍ يفترينهن بينَ أيديْهن وأرجلِهن.

ولنهنأْ بديننا ولنتمسكْ بالحقِّ من عند ربنِّا: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١] ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٧].

كلاَّ خابوا وعزَّتكَ يارَبَّنا وخسروا.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشركَ والمشركين واخذُل الكفرةَ والملاحدةَ وكلَّ من خذلَ الدينَ. اللهم أصلح أحوال المسلمين وباركْ لهم في أرزاقِهم وذريَّاتِهم واجعلهم شاكرين لنعمك قابليها.

لا . . . لمؤتمر السكان
الخطبة الثانية

الحمدُ لله القاهرِ فوقَ عبادهِ عزاً وسلطاناً، تعالى مجدُه وتعاظمَ ملكُه، قسمَ الخلقَ بعدلِه ورحمتهِ فمنتحلٌ كفراً ومنتحلٌ إيماناً، أحمدُه سبحانه وأشكره، وأسأله المزيدَ من فضله وكرمه والإعانةَ على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتَه، فطوبىٰ لمن ذُكِّروا بآياتِ ربِّهم فزادتهم إيماناً، وويلٌ ثم ويلٌ لمن ذكروا بآياتِ ربهم فخروا عليها صُماً وعُمياناً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله دعا إلى الحقِّ سراً وإعلاناً، فأشادَ للتوحيدِ منائرَ وكسر للشركِ أصناماً وهدَّم أوثاناً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كانوا للدين دعاةً وعلى الحقِّ أعواناً والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ. أيُّها الإخوةُ: إن هذا المؤتمرَ مؤامرةٌ صهيونيةٌ علمانيةٌ إلحاديةٌ دوليةٌ يمارسُ من خلالها إرهابٌ حضاريٌّ على الأخلاقِ والأُسرةِ، وحملةٌ شرسةٌ على ما بقي لأهلِ الإسلامِ من تفوقٍ في سلاحِهم البشريِّ وحِصنِهمُ الأخلاقيِّ.

إرهابٌ حضاريٌّ، وتعسفٌ دوليٌّ حين تحتمي التوصياتُ والمقرراتُ بمظلةِ الأممِ المتحدةِ لتمارَسَ من خلالِها الضغوطُ السياسيةُ، والمحاصرةُ الاقتصاديةُ، وتُربَطُ بها المساعداتُ الدوليةُ، وتعلو صيحاتُ التشنيعِ الإعلاميةُ، إنهم وبكلِّ صفاقةٍ سوف يصفُون المخالفينَ أو الممتنعينَ بالتحجرِ الفكريِّ والرجعيةِ

الدينيةِ والخروجِ على الإجماعِ الدوليِّ والتمردِ على العالمِ المتحضرِ.

إرهابٌ دوليٌّ حين تَفرضُ الدولُ الكبرىٰ بمنظِّريها الملاحدةِ رأيَها وتُملي أفكارَها، وتفرضُ رؤيَتها الخاصةَ على أمم الدنيا في دكتاتوريةٍ ضيقةٍ. لماذا يتخذون من أفكارِهم الإلحادَيةِ الماديةِ المنحرفةِ المصادمةِ لتعاليمِ الديانةِ الصحيحةِ المناقضةِ للإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِه وشرِه يجعلونها مسلماتٍ ومنحصرةً يجبُ أن يلتزمَ بها جميعُ دولِ العالمِ. هذا هو حالُهم حالُ الناسِ معهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكُم اللهُ واعتصموا بكتابِ ربِّكم واعملوا لدنياكُم وآخرِتكم.

بين يدي رمضان
الخطبة الأولى

الحمد لله خلقَ فقدَّرَ، وملكَ فدبَّرَ، وشرعَ فيسَّرَ، وبيده تصريف الأمور، أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ما تعاقبَ الجديدان وتوالتِ الشهورُ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الرحيم الغفور، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من صام وصلى، وأعطى واتقى، فكان هو العبدَ الشكورَ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه هم للاهتداءِ نجومٌ وفي الظُّلَمِ بدورٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم النشورِ.

أما بعد فأوصيكم ـ عباد الله ونفسي ـ بتقوى الله، فتقواه وقايةٌ من عذابهِ، واحذروا المعاصي فإنها موجباتٌ لغضب الربِّ وأليم عقابه.

أيها المسلمون: شرائعُ الإسلام وأحكامُه تمحيصٌ وبرهانٌ لصحةِ الإيمانِ، وهي دليلٌ على الفرقَانِ بين المتقين والفجارِ، وما كان الله ليذر الناسَ على ما يدَّعون بألسنتهم ويقولون بأفواههم.

ومن أجل هذا فإنه ما من يومٍ من أيام اللهِ إلا ولربِّنا فيه على عباده وظيفة من وظائفِ طاعاته، ولطيفةٌ من لطائفِ نفحاته يصيبُ بها من يشاءُ بفضلهِ ورحمتهِ.

والمرءُ في أيامِ اللهِ يتقلَّبُ بين السراءِ والضراءِ، وتُنَازِعُ نفسَه

نوازعُ الشهوةِ والهوى، ودوافعُ المحبةِ والبغضاءِ، يتقلبُ في الكدحِ للمعاشِ والضربِ في الأرضِ، يواجهُ كثيراً من الخطوبِ واللغوبِ.

وإن مسالكَ المرءِ وتقلباتِه هذه يجبُ أن تكونَ محكومةً بدينِ اللهِ، فمن عملَ بالإسلامِ عُرِفَ بهِ، ومن عمل للإسلام دعا إليه. ولا إسلامَ بدونِ عملٍ، ولا استقامةَ في دروبِ الحياةِ بلا تمسكٍ والتزامٍ. في الصلاةِ حلاوةُ المناجاةِ، وفي الزكاةِ روحُ الجودِ، وفي الجهادِ عزُّ النفسِ واباءُ الضيمِ. وقلْ مثلَ ذلك في كلِّ فرائضِ الإسلامِ وآدابِه، فيها ما يجلو عن الصدورِ همومَها، ويطهرُ النفوسَ من أدرانها ويملأُ القلوبَ بمذخورِ الخيرِ ونداوةِ الذكرِ.

ويأتي فرضٌ من فرائضِ الإسلامِ في موعدٍ من السنةِ معلومٍ ليتعالى النداءُ وتُستثارُ الهممُ: «**يا باغيَ الخيرِ أقبلْ ويا باغيَ الشرِّ اقْصُرْ ولله عتقاءُ من النارِ**»[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

شهرُ اللهِ المعظمِ، الموسمُ السنويُ للتجديدِ والتدريبِ والتهذيبِ. شهرُ المحاسبةِ لهذا الكدحِ الطويلِ.

يأتي سيدُ الشُّهورِ بعد أحد عشر شهراً وكثيرٌ من الناس قد استأسدت شهواتُهم وتنمرَّتْ أهواؤُهم، يأتي ليوقظَ روافدَ الخيرِ في القلبِ، وتتنافى أحاسيسُ البرِّ في النفوسِ، وتثورُ ألوانٌ من المحاسبةِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٦٦ ـ ح٦٨٢)، وابن ماجه (١/ ٥٢٦ ـ ح١٦٤٢)، والنسائي (٤/ ١٢٩)، وأحمد (٤/ ٣١٢، ٥/ ٤١١) وصححه الألباني.

شهرُ القرآنِ غُرَّةُ الزمانِ ومُتَّجرُ أهلِ الإيمانِ. صومُه فرضٌ وقيامُه مستحبٌ وأوقاتُه من أشْرفِ أوقاتِ العام، تتدفَّقُ أيامُه ولياليه بنبعِ الهدىٰ ومرابعِ الخيرِ، تتأكدُ فيه صلةُ العبدِ بربِّهِ، وتتوثَّقُ فيه عرىٰ المحبةِ لإخوانه.

في الصومِ صفاءُ القلبِ وزكاءُ النفسِ ونقاءُ البصيرةِ وميدانُ البرِّ.

شهرُ القرآنِ موعدٌ سنويُ، يتلاقىٰ فيه المسلمون على نظامٍ واحدٍ من المعيشةِ وعلى نمطٍ متوافقٍ من تغييرِ العوائدِ، توافقٌ في أوقاتِ الطعامِ واليقظةِ والرقادِ، وليس أصلح لتربيةِ الأمةِ من تعويدِها على القدرةِ على التكيُّفِ لمتغيراتِ الظروفِ وتقلباتِ الزمن.

ولقد أدركَ العقلاءُ أن القدرةَ على تهذيبِ النفوسِ ورياضتِها والتحكمِ في شهواتِها ومشتهياتِها من أعظمِ أسبابِ السعادةِ ودلائلِ علوِّ الهمةِ ومعالمِ النجاحِ في المهمَّةِ.

أدبُ الصومِ نظامٌ حازمٌ يطبعُ المسلمَ بطابعِ المبادرةِ في الطاعةِ، ويلقِّنُ درسَ الصبرِ، فهو شهرُ الصبرِ ويبرهنُ على صدقِ المراقبةِ؛ «**من صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدمَ من ذنبِه**»[1]، ويدلُّ على حقيقةِ الإخلاصِ للهِ ربِّ العالمين: «**يدعُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجلي**»[2]. فنال الصائمون عِظَمَ الجزاءِ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١/ ١١٥ ـ ح٣٨)، ومسلم (١/ ٥٢٣ ـ ح٧٦٠)

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ح١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١٦٤).

لما قدَّموهُ من حُسنِ البلاءِ: «**الصومُ لي وأنا أجزي بهِ**»[1].

غايةُ الصيام معالجةُ النفْس لتكتسبَ إرادةً صارمةً وعزيمةً جادةً، فلاتتهافتُ على الشهواتِ، ولا تتهالكُ على اللذائذِ، تملكُ الصبرَ والتصبرَ في مواجهةِ طيشِ الغرائزِ وبواعثِ الهوىٰ.

إن صومَ الصائمين نورٌ يتلألأُ في الوجوهِ، وخيرٌ يتدفقُ في البيوتِ، وذكرٌ تمتلىءُ به المساجدُ، ونداءٌ تصدعُ به المآذنُ، ومن ثمَّ فإنَّ نفحاتِ الربِّ الرحيمِ تجنيها نفوسُ المخلصينَ، وتسعدُ بها قلوبُ الذاكرين.

الصومُ الحقُّ مددٌ قويٌ لجندِ الحقِّ، ومنبعٌ من الجودِ فياضٌ كالرِّيحِ المرسلةِ تعمُّ ذوي الحاجاتِ والمساكين.

الصومُ الحقُّ إمساكٌ للجوارحِ عن الأذىٰ، وفطامٌ للنفوس عن الهوىٰ، يرتقي بالانسانيةِ إلى مدارجِ الكمالِ ومراقيْ االسُّؤْدَدِ، يرتقي بها من أسفل سافلينَ إلى أحسنِ تقويمٍ، فتتفجرُ فيها طاقاتُ الخيرِ وجوامعُ الصلاحِ.

وإن مَنْ كبح جماحَ شهوةِ الطعامِ والشرابِ لابد أن يفطنَ إلى الحكمةِ العليا من تطهيرِ النفس وتزكيتِها في الأقوالِ والأفعالِ والعزائمِ «**إذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يرفثْ ولا يَصَخبْ فإن سابَّه أحدٌ أوَ قاتله فليقلْ إني صائمٌ**»[2]، «**منْ لم يدعْ قولَ الزورِ والعملَ**

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١٦٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١١٥١).

به فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه»[1]. نعم: لا تسمعُ منه لغواً في حديثٍ، ولا غِلظةٍ في جدلٍ، ولا فجوراً في خصومةٍ، يكفُّ لسانَه عن البَذاءِ، ويُصافي خصمَه، إذا غلبهُ غضبٌ بادرَ بالاستعاذة ثم أعلن: (إني صائمٌ إني صائمٌ)[2].

معاشرَ الأحبةِ: ذلكم هو الصيامُ وأولئك هم الصائمون. أين هؤلاء من أقوامٍ لا يرون في الصومِ إلا حرماناً لشهواتِهم العارمةِ وغرائزِهم الجامحةِ، فوجوهُهم لاستقبال شهرهم عابسةٌ، وصدورهم به ضائقةٌ، ونفوسُهم فيه منقبضةٌ. ناهيك بأقوامٍ يتمتعون في بأنواعٍ من المعايشِ، وألوانٍ من المطاعمِ والمشاربِ، يسرفون على بطونِهم بالأكلِ حتى تمرضَ، وعلى جيوبِهم بالإنفاقِ حتى تنفد، ينفق أحدُهم في شهرِه ما يوازي إنفاقَهُ في عامِه كلِّه أو يكادُ.

استهلاكُ الأغذيةِ عندهم يتضاعفُ في رمضانَ، إن هؤلاء المغفلين يجوعون في النهار ليزدادَ نهمُهم بالليلِ.

أي مسكنةٍ بعيش فيها هؤلاء؟؟ إنهم لم يأخذوا من الحياةِ سوى جانبِها الفضوليِّ العابث، يتأثرون ولا يُؤَثِّرون، ولقد قال بعض الفضلاء: (لو صام المسلمون اليومَ صوماً صادقاً خالصاً لتخلصوا من مصائبِ أنفسهم وشرورِ أعمالهم، ولوصدقوا لما استطاعَ عدوٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ ـ ح١٩٠٣)، والترمذي (٣/ ٨٧ ـ ح٧٠٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٢/ ٣٠٧ ـ ح٢٣٦٢).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١١٥١).

أن يحيكَ لهم المؤامراتِ والدسائسَ والفتنَ).

أي غناءٍ وأي فائدةٍ أن يمسك بعضُ الناسِ عن الطعامِ والشرابِ ولكنَّه في سلوكِه وأعمالِه مجموعةٌ من المَتناقضاتِ والمهملاتِ عبثاً ولهواً وضياعاً.

إن همَّ هؤلاء أن يعيشوا صعاليكَ وطفيليين على موائِد الأممِ الجادةِ، لا يعتزون بعقيدةٍ، ولا يستمسكون بخلقٍ، ولا يخلصونَ في عبادةٍ.

أي مفهومٍ معكوسٍ لدى بعضِ المسلمينَ حين يسهرونَ في رمضانَ لتسليةٍ فارغةٍ ولغوٍ طويلٍ، بل إنهم ليُعدِّون لأنفسِهم برامجَ خاصةً كلُّها لهوٌ وضحكٌ ومجونٌ.

السهرُ في الليل أيها الإخوة وكما يعلمُ العقلاءُ والفضلاءُ لا يكون إلا لشرطيٍّ يحرسُ الأمنَ وجنديٍّ يحمي الثغرَ وطبيبٍ يرعى مريضاً ومتعلم يستدركُ ويستذكرُ وعاملٍ في نوبةٍ ليليةٍ، وماعدا ذلك فلا يكونَ السهرُ إلا لمتهجدٍ يتجافىٰ جنبُه عن المضجَع يدعو ربَّه خوفاً وطمعاً ويقطعُ ليلهَ تسبيحاً وقرآناً.

إن حقاً على المسلمين أن يبكُوا ولا يضْحكُوا وأن يَجدُّوا ولا يَهْزِلوا، أين الإحساسِ بضراوةِ العدوِّ وشراسة الكائدينِ؟؟.

أن أوصالاً كبيرة من جسد الأمَّة تُقَطَّعُ وتُنْتَقصُ، وتعيشُ وطأةً من الذلِّ والاستعبادِ، والفقرِ والإبادةِ، والابعادِ والتشريدِ.

أين الصيامُ من أناسٍ قد انطوت قلوبُهم على الحقدِ والحسدِ وتفريقِ كلمةِ المسلمينَ وإضعافِ سلطانِهم؟ أين أدبُ الصيامِ من فئاتٍ تحبُّ أهلَ الفسادِ وتأنَسُ بمجالسِ الغاوينَ؟.

هل صامَ من استغلَّ مصالحَ المسلمينَ، واستطالَ عليهم بلسانِه ويدِه، واشتغلَ بإيذاءِ المؤمنين والمؤمناتِ بغير مااكتسبوا؟ هؤلاءِ المهازيلُ الذين تنهزمُ عزائمُهم أمامَ جوع الصيامِ ومتطلباتِه كيف يعيشونَ لدينِهم وأمَّتِهم، إن من انهزمَ بينه وبين نَفسِه سوف يكونُ أشدُّ انهزاماً أمام أعداءِ الدينِ والأمةِ.

ومن أعلن استسلامَه في معركةٍ شهوانيةٍ تدومُ ساعاتٍ فقد حكمَ على نفسِه بفقدان خُلُقِ الرجولةِ الصابرةِ. ومن عزَّ عليه أن يعيشَ في جوِّ الرجالِ فقد أخرج نفسَه من قوافلِ الشهداءِ ومواقفِ الأبطالِ.

إن تقصير هؤلاء في صومِهم نموذجٌ شاهدٌ على تقصيرِهم في سائرِ فرائضِ دينهم وقضايا أمتهم.

ومن أجل هذا فإن المخالفات الفظيعةِ والجرائم الشَّنيعةَ إنما تنشأُ ممن قلَّ دينُهم ففسدتْ طباعُهم وساءتْ أوضاعُهم، ومن لا دينَ له حقيقٌ بكلِّ شرٍ بعيدٌ عن كلِّ خيرٍ جديرٌ بكل هوانٍ.

واعتبروا ـ يرعاكم اللهُ ـ بكثيرٍ من أحوال هؤلاءِ وماذا دخلَ عليهم من النقصِ والجهلِ وفسادِ الأخلاقِ والعقائدِ حتى صاروا يتهارجونَ فلا يقيمونَ فرائضَ ولا يحفظون حدوداً ولا إلى حق يهتدون.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واتخذوا من استقبالِ شهرِكم موقفَ محاسبةٍ فهو شهرٌ متتابعُ الأيامِ متكررٌ كلَّ عامٍ، وماذلكَ إلا ليتكرر الدرسُ وينمو الغرسُ.

اللهم قد أظلَّنا شهرُ رمضانُ فسلِّمْهُ لنا وسلمنا لهُ ووفقنا لصيامِهِ

وقيامِه وتقبَّلْه منا، اللهم وارزقنا فيه الجدَّ في العملِ والقوةَ في الطاعةِ وحسنَ العبادةِ، وأعذنا فيه من الفتنِ ما ظهرَ فيها وما بطنَ، ونسألُك اللَّهم التوفيقَ لكلِّ خيرٍ والمزيدَ من كلِّ برٍ وأوزِعْنا اللهَّم شكرَ نعمتِك ووفقنا لعملٍ صالحٍ ترضاهُ وأدخلنا بِرحمتك في عبادكَ الصالحين.

بين يدي رمضان
الخطبة الثانية

الحمد لله خصَّ بالتشريف والتفضيل بعضَ مخلوقاتِه، أحمده سبحانه واثني عليه بما هو أهله حمداً وثناءً يملآن أرضه وسمواتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له هو أعلمُ بمواضعِ اختيارهِ وكراماتِه، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ وصفيُّه من رسله ومُختارُه من بريَّاتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلِه وأصحابِه وأتباعِه من أهل محبتِه وموالاتِه.

أما بعد. فاتقوا اللهَ رحمكم الله واعلموا أن ربكم بفضلِه ومنِّه قد جعلَ شهرَ رمضانَ مضماراً لخلقِه يستبقُون فيه بطاعتِه. فبادروا وفقكم الله إلى الخيراتِ وأصلحوا من أحوالكم، فالمسئولية عُظمىٰ والمحاسبةُ دقيقة.

ولقد أوصىٰ أبوذر رضي الله عنه أصحابه يوماً فقال: (إن سفرَ القيامةِ طويلٌ فخذوا ما يُصْلِحُكُم، صوموا يوماً شديدَ الحرِّ لحر يوم النُّشورِ، وصلوا ركعتين في ظلمةِ الليلِ لظلمةِ القبورِ وتصدقوا بصدقةِ السرِّ ليوم عسير).

ولما قيل للأحنف بن قيس إنك شيخٌ كبيرٌ وإن الصومَ يُضْعِفُك قال: (إني أُعِدُّ لسفرٍ طويلٍ والصبرُ على طاعةِ الله أهونُ من الصبرِ على عذابِ الله).

فاستكثروا من الطاعاتِ والنوافلِ من بعدِ الفرائضِ، واسعوا في

قضاءِ حوائجِ المحتاجينَ وتفقدِ أحوال المساكينِ يقول الشافعيُّ رحمه الله: (أُحبُّ للصائمِ الزيادةَ في الجودِ في شهرِ رمضان اقتداءً برسول الله ﷺ ولحاجةِ الناس فيه إلى مصالِحهم ولتشاغلِ كثيرٍ منهم فيه بالعبادةِ عن مكاسبِهم).

وأصدقُ من ذلك وأبلغُ وأجمعُ، ما صَحَّتْ به الأخبارُ عن نبيِّنا محمدٍ ﷺ أنه قال مبشراً أصحابَه بقدوم رمضانَ وحاثاً لهم على المبادرةِ إلى الفضائل: «**أتاكُم رمضانُ شهرُ بركةٍ يَغْشاكُم اللهُ فيه، فَيُنزِلُ الرحمةَ ويَحُطُّ الخطايا، ويستجيبُ فيه الدعاءَ يَنظرُ تعالى إلى تنافُسَكُم فيه ويباهِيْ بكمْ ملائكتَهُ فأرُوا اللهَ من أنفسِكُم خيراً فالشقيُّ من حُرِمَ فيه رحمةَ اللهِ**»[1].

---

(١) قال الحافظ الهيثمي رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجده من ترجمه انظر المجمع (٣/ ١٤٢). وقال المنذري: رواه الطبراني، ورواته ثقات إلا أن محمد بن قيس لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل انظر الترهيب (٢/ ٩٩).

صوموا لعلكم تتقون

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ ما تعاقبَ الجديدانِ وتكرَّرتِ المواسمُ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه شكر التقيِّ الصائِم، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عاملٍ بها وعالم، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه حميدُ الشِّيم وعظيمُ المكارم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه كانوا على نهج الهدىٰ معالمٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم ونفسيْ ـ أيها الناسُ ـ بتقوىٰ اللهِ، فالعزُّ والشرفُ في التقوىٰ، والسعادةُ والعلا عند أهلِ التقوىٰ. التقوىٰ ـ أيها المسلمون ـ كنزٌ عظيمٌ، وجوهرٌ عزيزٌ. خيرُ الدنيا والآخرةِ مجموعٌ فيها: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]. القبول معَلقٌ بها: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]، والغفرانُ والثوابُ موعودُ عليها: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: ٥]. أهلها هم الأعلونَ في الآخرةِ والأولى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

غير أن أزمنتنا المتأخرةَ، وعصورَنا المادية كستْ قلوبَ أصحابِها طبقاتٍ من الغفلةِ، وعَشَتْ على أبصارها سحبٌ من الصدودِ كثيفةٌ. فَعَمُوا عن الطريق، وحَسُنَ ظنُّهم بالترقي في جاهِ الدنيا وسلطانِها، فالشقيُّ في ميزانِهم من قلَّتْ مادَّتُه وقُدِرَ عليه

رزقُهُ. وهذا لَعَمْرُ الحقِّ غفلةٌ شنيعةٌ، وجهلٌ في المقاييس عريضٌ. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

نعم أيُّها الإخوةُ: المتقون تَقَرُّ أعينُهم بالطاعاتِ في الدنيا، وبعالي الدرجاتِ من الجنةِ في الأخرىٰ.

يقالُ ذلك أيُّها المسلمون وقد أظلَّكُم هذا الشهرُ الكريمُ المباركُ، شهرٌ فرضَ اللهُ عليكم صيامَهُ لعلكم تتقون.

أيُّها الإخوةُ: غايةُ الصيامِ تقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ. تقوىٰ يتمثلُ فيها الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ. تقوىٰ صادقةٌ دقيقةٌ يتركُ فيها الصائمُ ما يهوىٰ حذراً مما يخشىٰ. ولئنْ كانتْ فرائضُ الإسلام وأحكامهُ وأوامرُه ونواهيْهِ كلُّها سبيلَ التقوىٰ، فإنَّ خصوصية الارتباطِ بين الصيامِ والتقوىٰ شيءٌ عجيبٌ.

أيُّها الإخوةُ: جوارحُ الإنسان عينٌ وأذنٌ ويدٌ ولسانٌ، وبطنٌ وفرجٌ، والقلبُ من ورائِها أصلُها وحاكمُها.

صامَ القلبُ واتقىٰ إذا جرَّدَ العبوديةَ للهِ وحدهُ، خضعَ لجلالهِ، وسعىٰ لقُربه، وأنِسَ بمناجاتِهِ. خلُص من الشركِ، وسلِمَ من البدعِ، وتطهَّرَ من المعاصي. قلبٌ تقيٌ يرىٰ الهوىٰ والشهوةَ والظنَّ والبغيَ، والعداوةَ والبغضاءَ، والغلَّ الحسدَ والجدلَ والمِراءَ أمراضاً قلبيةً فتاكةً تقتلُ الأفرادَ وتُهلِكُ الأممَ. القلبُ التقيُّ يرفضُها ويأباها ويتَّقيْها ويتقيَّؤُها، وصيامُه ينفيْها ويجفُوها.

قلبٌ صائمٌ متدينٌ للهِ بالطاعةِ، مستسلمٌ له بالخضوعِ والاستجابةِ، منقادٌ لتنفيذ الشرعِ في الأمرِ والنهي. عبوديةٌ للهِ خالصةٌ لا يصرفُه عنها شهوةٌ ولا شبهةٌ، ولا يشوشُ عليه فيها أَمَانٍ ولا طمعٌ، قلبٌ قويٌ تقيٌ، للهِ صلاتُه وصيامُه ونسكُه ومحياُ ومماتُه. «**فمن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدمَ من ذنبهِ**»(١).

وإذا صلحَ القلبُ صلحتْ الجوارحُ، فقامتْ بحقِّ الطاعةِ وكفَّتْ عن الآثام. فالبطنُ محفوظٌ وما حوىٰ، تركَ الطعامَ والشرابَ والشهوةَ مَن أجل اللهِ تُقىً عالٍ يقيْ النفسَ جماحَ غرائزِها، وإرادةٌ مستعليةٌ مستحكمةٌ تأخذ أمرَ ربِّها بقوةٍ، وتزدجرُ عن النواهيْ باستسلامٍ.

لقد كان على الهدىٰ وائتمرَ بالتقوىٰ من منع جسده تُخْمة الغذاءِ ليمنعَ جوارحَه السوءَ والأذىٰ. قلةُ الشَّبَعِ تكبحُ الجماحَ، وتُبْعدُ نزغاتِ الشياطين، والشيطانُ يجري من ابن آدمَ مَجرىٰ الدم(٢). قلةُ الشبعِ تجعلُ الجوارحَ أقربَ لفعلِ القربةِ. يَرقُّ القلبُ ويَغْزُرُ الدمعُ ويُخَذلُ الشيطانُ. وانظرْ ـ حفظَ اللهُ دينَكَ وزادَ في تُقاكَ ـ في ضعافِ مهازيلَ؛ ممن جاعَ نهارَهُ وملأَ في الليل بطنَه، فهو صريعُ لذةٍ عارمةٍ وعبدٌ لشهوةٍ جامحةٍ. هل حققَّ معنىٰ التقوىٰ حين تفنَّنَ بأطايبِ الطعامِ وألوانِ الموائدِ؟ بينما قليلٌ منه قد يُشْبع جياعاً ويُسعد أسراً؟؟ قليلٌ منه قد يُكَفْكِفُ دموعاً ويوقفُ عبراتٍ؟

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١/ ١٥٥ ـ ح٣٨)، ومسلم (١/ ٥٢٣ ـ ح٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٣١ ـ ح٢٠٣٩)، وأبوداود (٢/ ٣٣٣ ـ ح٢٤٧٠)، وابن ماجه (١/ ٥٦٦ ـ ١٧٧٩)، وأحمد (٣/ ١٥٦).

هل أعطىٰ واتقىٰ؟ أم كيف أعطى؟ وماذا اتقى؟ من جعل رمضانَ تبذيراً وفطرَهُ تُخمةً؟؟ مسكينٌ بائسٌ لا يرىٰ في الصومِ إلا جوعاً لا تتحمَّلُه مَعِدَتُهُ، وعطشاً لا تقوىٰ عليه عروقُهُ.

أي تقوىٰ وأي مقاومةٍ عند أمثالِ هؤلاءِ المهازيلِ؟؟ أولئك أقوامٌ انهزمتْ عزائِمُهم أمامَ جوعِ بطونِهم. لقد أورثَهُم الشِّبَعُ قسوةً، فجعلهم نَؤُومِين، وأقعدَهم كُسالاً.

ألا فاقعُدوا فأنتم الطاعِمُون الكاسون؟؟؟ من أعلن استسلامه في معركةِ لُقيماتٍ لا تدومُ سوى سُويعاتٍ فليس جديراً بأن يعيشَ عِزةَ المتقين، وعلياءَ الشهداءِ والمجاهدين.

اللهُ أكبرُ؛ لقد فُرِضَ الصيامُ لتمحيصِ التقوىٰ، وليصبحَ المسلمُ صائماً تقياً في مطعمه ومشرَبِه؛ قصدُه رضا محبوبِه: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»[1]، هذا حالُ البطنِ وما حوىٰ.

فياتُرىٰ مابال الرأس وماوعىٰ؟ من لم يَدعْ قولَ الزورِ والعملَ به كيف صامَ؟ وماذا اتقَىٰ؟ حظُّه من صيامِه الجوعُ والعطشُ ونصيبُه من قيامِه السهرُ والنصبُ. أين التقوىٰ في أسماعِهم وأبصارِهم؟ لغوٌ ولهوٌ وقيلَ وقالَ، وأصواتُ معازفَ، وصورٌ ماجنةٌ، وقِصصٌ خالعةٌ. في النهار نومٌ في تقصيرٍ، وفي الليلِ سهرٌ في غيرِ طاعةٍ، متبرمون في أعمالِهم سيِّئون في معاملاتِهم ويتثاقلون في أداءِ مسؤلياتِهم، نشاطٌ في اللهوِ والسمرِ، وكسلٌ في الجدِّ العبادةِ.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ح١٨٩٤، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١٦٥).

أيُّها الأحبةُ: شهرُكُم شهرُ التقوىٰ، شهرُكُم موسمٌ عظيمٌ للمحاسبةِ، وميدانٌ فسيحٌ للمنافسةِ، تصفو فيه نفوسٌ من داخلِها، وتقتربُ فيه قلوبٌ من خالِقِها. تفتحُ فيه أبوابُ الجنةِ، وتغلقُ أبوابُ النارِ، وتُصفَّدُ الشياطينُ، وتكثرُ دواعيْ الخيرِ وأسبابُ المثوبةِ.

رحمةٌ ومغفرةٌ وعتقٌ من النارِ. فأقبلوا على الطاعةِ، وتزودوا من التقى واستروِحُوا روائحَ الجنةِ وتعرَّضوا للنفحاتِ.

الصائمونَ المتقونَ لا يزالونَ في صلاةً وصيامً وتلاوةٍ وذكرٍ وصلةٍ وإحسانٍ وجدٍ وعملٍ. فاطلبوا الخيرَ دهرَكُم، وتعرَّضوا لنفحاتِ ربِّكم، فخيرُكُم من طالَ عمرُهُ وحسُنَ عملُه، وشرُّ الناسِ من طالَ عمرُه وساءَ عملُه.

أيُّها المتقونَ الصائمونَ: فتِّشُوا عن المحتاجين من أقربائِكم والمساكينَ من جيرانِكم والغرباءِ من إخوانِكم، لا تنسوا بِرَّهم وإسعادَهم، أشركُوهم معكم في رزقِ ربِّكم. اذكروا جوعَ الجائعين، ولوعةَ الملتاعين، وعبراتِ البائِسين، وغربةَ المشرَّدين ووحشة المهجَّرين.

اسألوا في شهرِ التقوىٰ والمحاسبةِ: هل قام بحقِّ التقوىٰ من باتَ شبعانَ وحولَه جائعٌ يستطيعُ إشباعَه فلم يفعلْ؟ وهل قام بحقِّ الشهرِ من رأى نفساً مؤمنةً بائسةً يستطيعُ إسعادها فلم يفعل؟.

أيُّها المسلمون: صوموا حقَّ الصيامَ لعلكم تتقون. ومن يتقِ اللهَ يكنْ اللهُ معَهُ، ومن كان اللهُ معَهُ فمعه الفئةُ التي لا تُغلبُ، والحارسُ الذي لا ينامُ، والهادي الذي لا يَضِلُّ، وإذا كان اللهُ

معك ياعبدَاللهِ فمن تخاف؟ وإذا كان عليك فمن ترجو؟؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

صوموا لعلكم تتقون

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جعلَ الصيامَ جُنةً، وسبباً موصلاً إلى الجنةِ، أحمده سبحانه وأشكرُه هدى إلى خيرِ طريقٍ وأقوم سنةٍ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه بعثه إلينا فضلاً منه ومنَّةً، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهِ أيُّها الناسُ، فالشهورُ والأعوامُ والليالي والأيامُ مواقيتُ الأعمالِ ومقاديرُ الآجالِ تمرُّ سريعاً وتنقضي جميعاً. إنها أيامُ الله خلقها وأوجدَها وخصَّ بعضَها بمزيدٍ من الفضلِ، فما من يومٍ إلا ولله فيه على عبادِه وظيفةٌ من وظائفِ طاعاتِه، ولطيفةٌ من لطائفِ نفحاتِه، يصيبُ بفضلِه ورحمتِه من يشاءُ من عبادِه وهو الغفورُ الرحيمُ. وإن بين أيديكم شهراً عظيماً، وأياماً فاضلةً ولياليَ شريفةً، فأحسنوا فيها الوِفادةَ وجِدُّوا فيها بالعملِ. فلم يكن سلفُكُم يستعدون لها بمزيدٍ من الأكلِ والشربِ، ولكن بالطاعةِ والعبادةِ والجودِ والسخاءِ، فهم مع ربِّهم عبادٌ طائعون، ومع إخوانهم بررةٌ محسنون، والأسوةُ في ذلك والأمامُ نبيُّكم محمدٌ عليه الصلاة والسلام فهو أجودُ ما يكونُ في رمضانَ[1]، ويجتهدُ فيه ما لا يجتهدُ في غيرِه، يحي ليلَه ويوقظُ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ ـ ح١٩٠٢)، =

أهلَه ويشدُّ المئزرَ[1] . ذلكم هو مسلكُ التقوىٰ، وهذه مراسمُ الاستقبالِ فاعملوا وأحسنو وأبشروا.

= ومسلم (٤/ ١٨٠٣ ـ ح٢٣٠٨) ونصه: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة».

(١) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (٤/ ٣١٦ ـ ح٢٠٢٤)، ومسلم (٢/ ٨٣٢ ـ ح١١٧٤) واللفظ له ونصه: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر».

قربات في العشر الأخيرة
الخطبة الأولى

الحمدُ لله أهلِ الحمدِ والشكرِ، والإحسانِ والبرِ، أحمدُه سبحانه فضلَ شهرَ رمضانَ وخصَّ أيام العشر، وعظَّم فيها ليلةَ القدرِ، وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، نِعَمُه تَجِلَّ عن الحصر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أكرمُ رسولٍ نزل عليه أشرفُ ذكرٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسِي بتقوىٰ الله عز وجل، فتقوىٰ الله أكرمُ ما أسررتمْ وأجملُ ما أظهرتم، وأفضلُ ما ادخرتم، أعاننا الله على لزومِها، وأوجب لنا ثوابَها.

أيُّها المسلمون: هذه أيامُ شهرِكم تتقلَّصُ، ولياليه الشريفةُ تتقضَّىٰ، تتقلَّصُ وتتقضىٰ شاهدةً بما عملتم، وحافظةً لما أودعتم، هي لأعمالكم خزائنُ محصنةٌ، ومستودعاتٌ محفوظةٌ، تُدْعَون يومَ القيامةِ: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [آل عمران: ٣٠] ينادي ربُّكم: «**ياعبادي إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم ثم أوَفِّيكُم إيَّاها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجدَ غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٥ ـ ح٢٥٧٧).

هذا هو شهرُكم، وهذه هي نهاياتُه، كم من مستقبلٍ له لم يستكملْهُ؟؟ وكم من مؤمِّلٍ بعود إليه لم يدْرِكْه. هلا تأملتم الأجل ومسيرَه، وهلا تبينتم خداعَ الأملِ وغرورَه.

أيها الإخوةُ: إن كان في النفوس زاجرٌ، وإن كان في القلوبِ واعظٌ، فقد بقيتْ من أيامه بقيةٌ. بقيَّةٌ وأيُّ بقيةٌ، إنها عشرُهُ الأخيرةُ. بقيةٌ كان يحتفي بها نبيُّكم محمدٌ ﷺ أيَّما احتفاءٍ. في العشرين قبلها كان يَخلطُها بصلاةٍ ونوم فإذا دخلتْ العشرُ شمَّرَ وجَدَّ وشدَّ المئْزرَ. هجرَ فِراشَهُ، وأيقظَ أهلَه[1]، يطرُق البابَ على فاطمةَ وعليٍ رضي الله عنهما قائلاً: «**ألا تقومان فتصليان**»[2] يطرُق البابَ وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، ويتجهُ إلى حُجُراتِ نسائه آمراً: «**أيقظوا صواحب الحجر فرب كاسية في الدنيا عاريةٌ يوم القيامة**»[3].

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (٤/ ٣١٦ ـ ح٢٠٢٤)، ومسلم (٢/ ٨٣٢ ـ ح١١٧٤) واللفظ له ونصه: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٢٢)، والبخاري (٣/ ١٣ ـ ح١١٢٧) ولفظه عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يارسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلا».

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٣ ـ ح١١٥)، (٣/ ١٣ ـ ح١١٢٦)، (١٠/ ٣١٥ ـ ح٥٨٤٤)، (١٠/ ٦١٣ ـ ح٦٢١٨)، ومالك في الموطأ مرسلا (٢/ ٩١٣) كتاب اللباس ح٨.

«لم يكن النبيَّ ﷺ إذا بقي من رمضانَ عشرةُ أيامٍ لا يدعُ أحداً من أهلِه يطيقُ القيامَ إلا أقامَهُ»[1].

أيُّها المسلمون: اعرفوا شرفَ زمانِكم، واقدروا أفضلَ أوقاتِكم، وقدموا لأنفسِكم لا تضيِّعُوا فرصةً في غير قربةٍ.

إحسانُ الظنِّ ليس بالتمنيِّ، ولكن إحسانَ الظنِّ بحسن العملِ، والرجاءُ في رحمةٍ مع العصيانِ ضربٌ من الحُمقِ الخذلانِ، والخوفُ ليس بالبكاءِ ومسحِ الدموع ولكنَّ الخوفَ بتركِ ما يُخافُ منه العقوبةُ.

أيُّها الأحبةُ: قدِّموا لأنفسِكم وجدُّوا وتضرَّعوا. تقول عائشةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها: يارسولَ اللهِ: أرأيتَ إن علمتُ ليلةَ القدرِ ماذا أقولُ فيها؟ قال قولي: **«اللهم إنك عَفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني»**[2].

نعم أيُّها الإخوةُ: الدعاءَ الدعاءَ. عُجُّوا[3] في عشرِكُم هذه بالدعاءِ. فقد قال ربُّكم عزَّ شأنهُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. أتعلمون من هُم هؤلاءِ العبادُ؟ الخلائقُ كلُّهم عبادُ اللهِ. ولكنَّ هؤلاءُ عبادُ مخصوصون إنهم عبادُ

---

(١) قال الحافظ في الفتح: رواه الترمذي ومحمد بن نصر من حديث زينب بنت أم سلمة. انظر البخاري مع الفتح (٤/ ٣١٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٩٩ ـ ح٣٥١٢) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٥ ـ ح٣٨٥٠) وصححه الألباني.

(٣) العج: رفع الصوت.

الدعاءِ، عبادُ الإجابة، إنهم السائلون المتضرعون سائلون مع عِظَم رجاءٍ ومتضرعون في رغبةٍ وإلحاحٍ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

إن للدعاءِ ـ أيُّها الإخوةُ ـ شأناً عجيباً، وأثراً عظيماً في حسنِ العاقبةِ، وصلاحِ الحالِ والمآلِ والتوفيقِ في الأعمالِ والبركةِ في الأرزاقِ.

أرأيتُم هذا الموفَّقَ الذي أدرَكه حظُّه من الدعاءِ ونالَ نصيبَه من التضرُّعِ والالتجاءِ يلجأُ إلى اللهِ في كلِّ حالاتِه، ويفْزَعُ إليه في جميعِ حاجاتِه، يَدعو ويُدْعىٰ لهُ، نال حظَّهُ من الدعاءِ بنفسه وبغيرِه، والداه الشفوقان، وابناؤه البررةٌ والناسُ من حوله كلُّهم يحيطونَه بدعواتِهم، أحبَّه مولاهُ فوضعَ له القبولَ، فَحَسُنَ منه الخُلُقُ وزانَ منه العملُ، فامتدتْ له الأيدي، وارتفعتْ له الألسنْ تدعو له وتحوطُه، ملحوظٌ من اللهِ بالعنايةِ والتسديدِ، وبإصلاح الشأنِ مع التوفيقِ.

أين هذا من محرومٍ مخذولٍ لم يذُقْ حلاوةَ المناجاةِ يستنكفُ عن عبادةِ ربِّه، ويستكبرُ عن دعاءِ مولاهُ. محرومٌ سدَّ على نفسِه بابَ الرحمةِ، واكتسى بحُجُبِ الغفلةِ.

أيُّها الإخوةُ: إن نزعَ حلاوةِ المناجاةِ من القلبِ أشدُّ ألوانِ العقوباتِ والحرمانِ. ألم يستَعِذْ النبيُّ ﷺ من قلبٍ لا يخشعُ وعينٍ لا تدمعُ ودعاءٍ لا يُسْمَعُ؟؟؟.

إن أهل الدعاءِ الموفَّقينَ حين يعُجُّون إلى ربِّهم بالدعاءِ، يعلمون أن جميعَ الأبوابِ قد توصدُ في وجوهِهم إلا باباً واحداً

هو بابُ السماءِ. بابٌ مفتوحٌ لا يُغلقُ أبداً، فتحهُ من لا يردُّ داعياً ولا يُخيِّبُ راجياً. فهو غياثُ المستغيثين، وناصرُ المستنصرين، ومجيبُ الداعين.

أيُّها المجتهدون: يجتمعُ في هذه الأيام أوقاتٌ فاضلةٌ وأحوالٌ شريفةٌ. العشرُ الأخيرةُ، جوفُ الليلِ من رمضانَ، والأسحارُ من رمضانَ، دبُرُ الأذانِ والمكتوباتِ، أحوالُ السجودِ، وتلاوةُ القرآنِ، مجامعُ المسلمين في مجالس الخيرِ والذكرِ، كلها تجتمعُ في أيَّامِكم هذه. فأين المتنافسون؟؟؟.

ألظُّوا[1] بالدعاءِ ـ رحمكم اللهُ ـ لا تسأموا ولا تعجَزُوا ولا تستبطؤا الإجابةَ. فيعقوبُ عليه السلامُ فقد ولدَهُ الأولَ ثم فقد الثاني في مُدَدٍ متطاولةٍ، ما زاده ذلكَ بربِّه إلا تعلقاً: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣] ونبيُّ اللهِ زكريَّا عليه السلام؛ كَبُرَ سنُّه واشتعلَ بالشيبِ رأسُهُ ولم يزلْ عظيمَ الرجاءِ في ربِّه حتى قال محقِّقاً: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم: ٤].

لا تستبطئْ الإجابةَ ـ ياعبدَاللهِ ـ قربُّكَ يُحبُّ تضرَّعَكَ، ويحبُّ صبرَك، ويُحبَّ رضاكَ بأقدارِه، رضاً بلا قنوطٍ، يبتليكَ بالتاخيرِ لتدفعَ وَسْوَاسَ الشيطانِ، وتصرفَ هاجسَ النفس الأمارةِ بالسوءِ، وقد قال نبيُّك محمدٌ ﷺ «**يُستجابُ لأحدِكم ما لم يعجلْ، يقولُ دعوتُ فلم يستجبْ لي**»[2].

---

(١) أي: ألحُّوا.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري(١١/ ١٤٥ـح٦٣٤٠)، ومسلم(٤/ ٢٠٩٥ـح٢٧٣٥)

أيُّها الإخوةُ: ويَجْمُلُ الدعاءُ وتتوافرُ أسبابُ الخيرِ ويعظُم الرجاءُ حينَ يقترنُ بالاعتكافِ، فقد اعتكفَ رسولُ الله ﷺ هذه الأيامَ حتى توفاه الله.

عجيبٌ هذا الاعتكافُ في أسرارِه ودروسِه؟؟؟.

المعتكفُ ذكرُ اللهِ أنيسُه، والقرآنُ جليسُه، والصلاةُ راحتُه، ومناجاتُ الحبيبِ متعتُه، والدعاءُ والتضرعُ لذتُه.

إذا أوىٰ الناسُ إلى بيوتِهم وأهليهم، ورجعوا إلى أموالِهم وأولادِهم لازمَ هذا المعتكفُ بيتَ ربِّه وحبَس من أجلِه نفسَهُ، ويقفُ عند أعتابِه يرجو رحمتَهُ ويخشىٰ عذابَه، لا يُطلقُ لسانَه في لغوٍ ولا يفتحُ عينَه لفحشٍ ولا تتصنَّتُ أذُنُه لَبذَاءٍ. سلِمَ من الغيبةِ والنميمةِ جانب التنابُزَ بالألقابِ، والقدحَ في الأعراضِ، ومسارقةَ الطبعِ من الأخلاقِ الرديئةِ، استغنىٰ عن الناسِ وانقطعَ عن الأطماعِ، علمَ واستيقنَ أن رضا الناسِ غايةٌ لا تدركُ.

في درسِ الاعتكافِ انصرَفَ المتعبدُ إلى التفكيرِ في زادِ الرحيلِ وأسبابِ السلامةِ، السلامةِ من فضولِ الكلامِ، وفضولِ النظرِ، وفضولِ المخالطةِ.

في مدرسةِ الاعتكافِ يتبيَّنُ للعابدُ أن الوقتَ أغلىٰ من الذهبِ فلا يبذلُهُ في غيرِ حقٍّ، ولا يشتري به ما ليسَ بحمدٍ، يحفظُهُ عن مجامعَ سيئةٍ، بضاعتُها أقوالٌ لا خير في سماعِها، ويتباعدُ بهِ عن لقاءِ وجوهٍ لا يسرُّ لقاؤُها.

أيُّها المسلمون: أيامٌ فاضلةٌ تُشْغلُ بالدعاءِ والاعتكافِ، وتُستغل فيها فُرصُ الخيرِ وإن من أعظَم ما يُرجىٰ فيها ويُتحرىٰ ليلةُ القدرِ:

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ ﴾ [القدر: ٢] من قامَها إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبه.

ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، خفيَ تعيينُها اختباراً وابتلاءً، ليتبيَّنَ العاملون وينكشفَ المقصِّرون، فمن حرصَ على شيءٍ جدَّ في طلبِه، وهان عليه ما يَلقىٰ من عظيمِ تعبِه.

إنها ليلةٌ تجريْ فيها أقلامُ القضاءِ بإسعادِ السعداءِ وشقاءِ الأشقياءِ: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ [الدخان: ٤] ولا يهلكُ على الله إلا هالكٌ.

فاتقوا الله رحمكم الله واعملوا وجددوا وأبشروا وأملوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾ [سورة القدر].

قربات في العشر الأخيرة
الخطبة الثانية

الحمدُ لله عَظُمَ شأنُه ودامَ سلطانُه، أحمدُه سبحانه وأشكرُه عمَّ امتنانُه وجَزُلَ إحسانُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه به علا منارُ الإسلام وارتفع بنيانُه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيُّها الناسُ: أُوصيكُم بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ فإن تقوىٰ اللهِ خلفٌ من كلِّ شيءٍ، وليس من تقوىٰ اللهِ خلفٌ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

أيُّها المسلمون: أيُّامكم هذه من أعظمِ الأيامِ فضلاً وأكثرِها أجراً، تصفو فيها لذيذُ المناجاةِ، وتُسكبُ فيها غزيرُ العبراتِ، كم للهِ فيها من عتيقٍ من النارِ؟؟ وكم فيها من منقطعٍ قد وصلته توبته؟؟.

المغبون من انصرفَ عن طاعةِ الله، والمحرومُ من حُرِمَ رحمةَ اللهِ، والمأسوفُ عليه من فاتتْ عليه فُرَصُ الشهرِ، وفرَّطَ في فضلِ العشرِ، وخابَ رجاؤُه في ليلةِ القدرِ، مغبونٌ من لم يرفعْ يديه بِدَعْوةٍ، ولم تذرفْ عينُه بدمعةٍ، ولم يخشعْ قلبه للهِ لحظةٍ. ويحَهُ ثم ويحَهُ أدرك الشهرَ ألم يحظَ بمغفرة؟؟ ألم ينلْ رحمةً؟؟ يا بؤسه ألم تُقَلْ له عثرةٌ؟ ساءت خليقتُه وأحاطتْ به خطيئتُه، قطَّع شهرَهُ

في البطالةِ وكأنُه لم يبقَ للصلاحِ عنده موضعٌ، ولا لحبِّ الخيرِ في قلبِه مَنْزَعٌ. طالَ رُقادُه حين قامَ الناسُ؟؟ هذا والله غايةُ الإفلاس والإبلاس؟؟ عصىٰ ربَّ العالمين، واتَّبعَ غيرَ سبيل المؤمنين؟؟ أُمِرَ بالصلاةِ فضيَّعَها، وَوَجبتْ عليه الزكاةُ فانتقَصَها ومنَعَها؟؟ دعتْهُ دواعيْ الخيرِ فأعرضَ عنها، مسؤلياته قصَّر فيها، وقصَّرَ فيمن تحت يديه من بنين وبنات. يفرط في مسئولياته وقد علم أن من سنة نبيِّكم ﷺ **أنه يوقظ أهله**[1]. أما هذا فقد اشتغل بالملهياتِ وقطَّع أوقاته في الجلبةِ في الأسواقِ والتعرض للفتنِ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله وقوا أنفسَكُم وأهليكم ناراً فإن الشقيَّ من حُرِم رحمة الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ١٦١ ـ ح٧٩٥) وقال: حديث حسن صحيح.

الحج مدرسة وموقف
الخطبة الأولى

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ، لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفواً أحدٌ، أحمده سبحانه حمداً لا يُحَدُّ، وأشكره شكراً لا يُعَدُّ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبةَ ولا ولدَ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوثُ إلى الأبيضِ والأحمرِ والأسودِ. صلى الله وسلم وبارك عليه هدى بإذن ربه إلى السبيلِ الأقومِ والمنهجِ الأرشدِ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم وجدَّ واجتهد.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ، جِدُّوا في طلبِ الخيراتِ واغتنموا أوقاتكم في الأعمالِ الصالحاتِ.

أيُّها الحاجُّ الكريمُ: هاأنت تخطو خطواتِك إلى هذه الأرضِ الطيبةِ، الطاهرةِ المقدسةِ، خطواتٍ وئيدةً مهيبةً، تقبل اللهُ حجَّكَ وغفرَ ذنبكَ وشكرَ سعيَكَ.

إنها أرضُ الإسلامِ الأولىٰ، لقد كانت ميداناً لأروعِ حوادثِ التاريخِ، وأخلدِ ملاحمِ الإنسانيةِ.

هذه الأرضُ المباركةُ بكعبتِها ومسجدِها، وشعائرِها ومشاعرِها، تَروِي تاريخاً طويلاً زاخراً بألوانِ الجهادِ وصورِ البطولاتِ ومصارعِ الشهداءِ وجميلِ الانتصاراتِ. يتردَّدُ في أجوائِها وأصدائِها نداءُ محمد ﷺ حينَ انبثقَ معهُ نورُ الإسلامِ،

فتغيرتْ معالمُ التاريخِ، وقَفَزتْ الإنسانيةُ إلى أسمىٰ آفاقِها.

هل تعيشُ أيها الحاجُّ ـ حفظك الله ـ هذه المشاعرَ والأحاسيسَ؟؟ وهل ملكتْ عليكَ روحَكَ وقلبَكَ ونفسكَ وجسَدَك؟؟ هل أدركتَ أن الحجَّ ركنٌ شديدٌ من أركانِ التواصلِ ورباطٌ وثيقٌ بين الماضيْ والحاضرِ والمستقبلِ؟؟ إنه شاهدُ التاريخِ ونورُ العقيدةِ وبرهانِ الإيمانِ. إنه الركنُ والرباطُ الذي يجعلُكَ تقفُ موقِفَ الناظرِ المتأمِّلِ والمحاسبِ والمقارنِ.

الحجُّ مدرسةٌ والحجُّ موقفٌ. ياترىٰ هل تحسنُ المقارنةَ؟ وهل تُتْقنُ الموازنة؟.

ها هو عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه يكتبُ لإمرائِه وولاتَهَ أن يوافوه بالموسمِ ليبحثَ شؤونَ الأقاليمِ وأمورِ الرعيةِ ليتحققَ من بَسْطِ العدلِ ويطمئنَّ على وصولِ الحقِّ.
هذا موقف؟؟؟.

وفي مقابله يقفُ رجلٌ من ساسةِ الغربِ صارخاً في قومِه؛ بل في العِلْيَةِ من قومِه ليقول: إن العقبةَ الكؤودَ أمامَ الاستقرارِ والتمكنِ من الإسلام وأهلِ الإسلامِ وديارِ الإسلامِ شيئانِ لابُدَّ من القضاءِ عليهما مهما كلَّفنا الأمرُ، أولهما: هذا الكتابُ ـ يعنى القرآن العظيمَ. وسكتَ قليلاً ثم اتجهَ نحو الشرقِ قائلاً وهذه؟؟ وأشار بيده نحو مكةَ والكعبةِ؛ ألا شُلَّتْ يَمِيْنُهُ.

أيُّها الحاجُّ ـ رعاكَ الله ـ وأنت تقفُ موقفَ المتأمِّلِ: كم حاولَ الأعداءُ تمزيقَ الأمةِ؟؟ كم اصطنعوا من الفواصلِ!! وكم افتعلو من الحواجزِ؛ جغرافياً وقومياً وحزبياً وسياسياً ومذهبياً وطائفياً.

لقد قطعوا الأسبابَ، وحرَّموا التواصلَ، وفصلوا الحاضرَ عن الماضي المجيدِ، وأظلموا الطريقَ نحو المستقبلِ المأمولِ.

نعم لقد حاولوا إطفاءَ جذوةِ الدِّينِ الموحِّدِ، وقتلَ اللغةِ المشتركةِ، وطمسَ التاريخِ المجيدِ، ولقد قطعوا ـ أخزاهم اللهُ ـ في تحقيق مآربهم شوطاً بعيداً. وما دمتَ في موقفِ الاعتبارِ ودروسِ الحجِّ فإن أمامكَ صورتين بائستين تجمعُ لكَ ذلك كلَّه؛ إنا صورةٌ من إخوانِك في فلسطين وصورةٌ من إخوانِك في البوسنةِ والهرسك.

أما الصورةُ من فلسطين؛ فحالُ اليهودي الآثم مع عصبته حين قتلَ المصلين الصائمينَ الركعَ السجودَ في جامعِ الخليلِ في فجرِ الجمعةِ من رمضان[1] في فلسطينِنا المحتلةِ وقد قال حكامُ صهيون إنه مجنونٌ. ومن كان مجنوناً فليس بمجرمٍ.

نعم؛ إن الأعمالَ التي يمارسُها صهيونُ وغلاتُهم في الخليلِ وفي القدسِ وفي غزةَ وفي كلِّ الأرضِ المحتلةِ أعمالُ مجانينَ إذا ما قيستْ بمقياسِ العقلِ، وهي أعمالُ مجرمين إذا ما وزنت بميزانِ العدلِ، وهي همجيةٌ إذا عُرِضتْ على معايير الإنسانيةِ، وهي قبل ذلك وبعدَهُ عداونٌ صارخٌ آثمٌ إذا ما قَيستْ بمقياسِ الدينِ والحقِّ.

هذه صورةٌ. أما الصورةُ من البوسنةِ. والبوسنةُ كلُّها مأساة الصورةُ التي تجسِّدُ شريعةَ الغابِ وقانونَ الاستبدادِ. شريعةٌ وقانونُ

---

(١) عام ١٤١٤هـ.

يكون الغاصبُ فيها مالكاً، والمعتدي مدافعاً، والمجرمُ محقاً.

إنها صورة قوارجدة[1] التي افترسها الصربُ المجرمونَ على سمعِ العالمِ وبَصَرِه، في دُوَلِه الكُبرىٰ ومنظمتِهِ المتواطئةِ.

سُئلَ أحدُ أصحابِ القرارِ في دولةِ كبرىٰ[2]: هل ستسمحُ دولتُه بسقوطِ مدينةِ قوارجدةَ في أيدي الصربِ؟.

فكان الجواب: إننا لن نتدخلَ من أجلِ منعِ حدوثِ ذلك؟.

ولفظاعةِ الجوابِ وشناعةِ المنطقِ سألوا زميلَه[3]، وقد كان أكثرَ نفوذاً منه، سألوه عن رأيه في إجابةِ صاحبِه فقال: إنها إجابةٌ مُرضيةٌ. أما متحدِّثُهم الرسميُّ فقد فتح الله عليه بهذا التصريح: (إن نوايا الصربِ غير واضحةٍ عندي، ولكنهم يواصلون الهجومِ والقصفِ، ولا أعرف ماذا سيفعلون؛ فلستُ خبيراً بنوياهم). ماهذه البراءةُ؟ بل ماهذه الصفاقةُ؟.

أما المنظمةُ الدوليةُ مظلةُ الحقِّ العدلِ والإنصافِ عندهم فيقول قائلها[4]: (من الواضح أن ما يحدثُ في البوسنةِ مهمٌ ويثيرُ القلقَ ولكنني لا أعتقدُ أنه يجبُ المبالغةُ في الآثارِ الاستراتيجيةِ لما يحدثُ). ما أرخصَ دماءَ البشرِ أمامَ الغاياتِ الاستراتيجيةِ. بل ما أرخصَ دماءَ المسلمين أمامَ شعارِهم الدولي المتأنقِ: ((حقوقِ الإنسانِ)).

---

(١) قوارجدة: منطقة في البوسنة.

(٢) وزير الدفاع الأمريكي.

(٣) وزير الخارجية الأمريكي كريستوفر.

(٤) قائد قوات الأمم المتحدة في البوسنة.

أيُّها الإخوةُ المسلمونِ: إن ما يحدثُ اليومَ في هذا الموقعِ سيمتدُّ إلى غيرِهِ. وما حالُ كشميرَ عنكم ببعيدٍ إنها على ذاتِ الطريقِ تسيرُ.

إن أطماعَ الأعداءِ لن تقفَ عند حدٍ. ولن تُعذرَ أمةُ الإسلامِ بِضَعفِها لأن ضعفِها بسببِ فُرقتِها.

إذنْ أينَ المخرجُ؟ وكيفَ المخرجُ؟.

المخرجُ جليٌّ، والطريقُ أبلجُ. ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

إنه الدينُ ولا شيءَ غيرُ الدينِ. إنه الدينُ الذي يُكسبُ الأمةَ تَميُّزاً يمنعُها من الذوبانِ والتميعِ والتطبيعِ، يُحصِّنُها مما يُرادُ بها، ويحفظُها مما يُخطِّطُ أعداؤُها.

إنها العقيدةُ التي تجمعُ كلمتَها، العقيدةُ التي تَحْصُرُ عداوتَها في أعدائِها.

لن يكونَ الغَبَشُ، ولن يكونَ اللَّبسُ في أمةٍ تُحسنُ قِراءةَ سورةِ الفاتحةِ من كتابِ ربِّها، تُردِّدُها وتَستيْقِنُها وتعملُ بها: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

الأمةُ في عقيدتِها تمثِّلُ الجسدُ الواحدَ والبنيانَ المرصوصَ. هل يجتمعُ الدينُ الصحيحُ والعقيدةُ الصافيةُ مع الثقةِ بالعدوِّ وتصديقِ

أخبارِهِ والاعتمادِ على وعودِه؟.

تُقرِّرُ العقيدةُ أن الركونَ إلى الذينَ ظلموا والرضا عن أحوالهم ليس له نتيجةٌ إلا أن يُسامَ المسلمون سوءَ العذابِ، تُمتهن الكرامةُ، وتداسُ المهابةُ، وتُسترخصُ الدماءُ ويُستباحُ الحمىٰ، وتُنتقصُ الديارُ وتُستنزَفُ الأموالُ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

تُقررُ العقيدةُ أن العدوَّ إذا علا أمرُهُ فلن يقبلَ من المسلم إلا الردةَ أو القتلَ: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ٢٠].

تُجلِّيْ العقيدةُ العلاقةَ مع العدوِّ في أجلىٰ صورةٍ، إنهم إنْ أبدوا الودَّ ظاهراً وتظاهروا بالحرصِ على مصالحِنا وحقوقِنا فما هذا إلا بظاهرٍ من القولِ، أما قُلُوبُهم وغاياتُهم فمنعقدةٌ على العداوةِ والبغضاءِ: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٨].

العقيدةُ تؤكِّدُ أن الأعداءَ لا يألون جهداً في إلحاقِ الضررِ بالمسلمينَ، وإذا حلَّتْ بالمسلمين الكوارثُ والمصائبُ، وخسروا الأهلَ والديارَ والأموالَ فذلك ما يشتهون، وتولَّوا وهم فرحون: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وفي النهايةِ فإن عقيدتَكَ أيُّها المسلمُ تؤكِّدُ لكَ أن أعداءَك مستمرون في القتالِ والايذاءِ سراً وجهراً قديماً وحديثاً، في صفاقةٍ ظاهرةٍ، أو خطةٍ ماكرةٍ، في حروبٍ باردةٍ أو معاركَ ملتهبةٍ، ليس

لهم غايةٌ إلا أن يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

وبعدُ أيها الأخوةُ فهذه مواقفُ، وهذه دروسٌ، والطريقُ أبلجُ، والمحجةُ بيضاءُ، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الحج مدرسة وموقف
الخطبة الثانية

الحمد للهِ حمداً كثيراً كما أمرَ، أحمده سبحانه وأشكرُه وقد تأذنَّ بالزيادةِ لمن شكر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ والشافعِ المشفَّعُ في المحشرِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادةِ الغررِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فاتقوا الله أيها الناس وأطيعوهُ، وعظموا أمره ولا تعصوه.

أيُّها المسلمون: إن مع العسر يسراً، وإن للكربِ نهايةً وإن الظلمات تحمل في أحشائِها الفجرَ المنتظرَ.

إن الدينَ الذي صلحَ به الأولون سيصلحُ به الآخِرون لا محالةَ.

إن الدين الذي ضَمِن العزةَ والمنعةَ والقوةَ لأسلافنا الماضين لا يزالُ هو الدينُ الذي لايغيِّرُه الزمنُ، ولا تجافيْهِ الفطرةُ، ولا تَنْسخُه المذاهبُ.

يجسِّدُ ذلك حقيقةَ التجسيدِ الحديثُ النبويُّ في قوله ﷺ: **«مثلُ ما بعثني به اللهُ من الهدىٰ والعلمِ كمثلِ غيثٍ أصاب أرضاً كان منها طائفةٌ طيبةٌ قبلتْ الماءَ وأنبتَتْ الكَلأَ والعشبَ الكثيرَ، وكان منها أجادبُ أمسكتْ الماءَ فنفعَ اللهُ بها الناسَ فشربوا منها**

وسقَوا وزَرَعوا، وأصابَ طائفةَ منها أخرىٰ إنما هي قيعانٌ لا تُمسكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً»[1] .

وإذا كان المَسلمون اليومَ في كثيرٍ من أحوالِهم قيعاناً تَحدَرتْ في رواسبِ العقائِد الخاطئةِ فأصبحت غايةُ الدينِ عندهم مظاهرَ من العبادةِ وظواهرَ من البدعِ وأقاويلَ من الوعظِ فقد آن الأوانُ ليكشفوا عن العيونِ غشاوةَ الباطلِ ويَجْلو عن القلوبِ صدأ الغفلةِ، فيُبصروا الطريقَ ويستبينوا الغايةَ، فيتعاطفون على البعدِ، ويتناصرون على القربِ، ويتحدون في مواقِفِهم من الأحداثِ، ويقيمون شرعَ اللهِ، ويصدقون مع ربِّهم مع أنفسِهم، وحينئذٍ تشرِق الصباحُ، وينجليْ الظلامُ، يهدي اللهُ لنورِهِ من يشاء ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الملك: ٢٠].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١/ ٢١١ - ح٧٩)، ومسلم (٤/ ١٧٨٧ - ح٢٢٨٢) واللفظ له.

خطبة عيد الأضحىٰ
كلكم لوامون فأين المصلحون؟
الخطبة الأولى

الله أكبر (تسعاً). الله أكبرُ خلقَ فقدَّرَ، وملكَ فقهرَ، وأرادَ فأمرَ، الله أكبرُ عزَّ سلطانُه وعمَّ إحسانهُ، عنت الوجوهُ لعظمَتِه، وخضعتْ الخلائقُ لقدرتِه. الله أكبرُ ما عبدَ عابدٌ ربَّهَ وشكرَ، وما أذنبَ مذنبٌ فأنابَ واستغفرَ. الله أكبرُ عددَ ما ذكرهُ الذاكرونَ وكبَّرهُ المكبِّرون، والله أكبرُ عددَ ما هلَّلَ المهللون ولبى الملبون، الله أكبرُ ما أحرموا بالحجِ والعمرةِ وقصدوا البيتِ العتيقَ، طافوْا سعَوْا والتزموا الملتزمَ، وصلَّوْا خلفَ المقامِ وفي الحِجْرِ وشربوا من ماءِ زمزمَ. الله أكبرُ كبيرا والحمدلله كثيراً وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلا.

الحمدللهِ فالقِ الإصباحِ جاعلِ الليلِ سكناً، خالقِ الخلقِ القائم بأرزاقِهم فما لأحدٍ عنه غِنىٰ. له الكمالُ والدوامُ سبحانَه وما سواهُ لهُ النقصُ والفنا.

أحمده سبحانهَ وأشكرهُ وأتوبُ إليه وأستغفره سراً وعلناً. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةَ حقٍ مخلصاً موقناً. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا وحبيبنَا محمداً عبدُاللهِ ورسولُه بحبِّه واتباعهِ ينالُ العبدُ المنىٰ، جاهدَ في الله حقَّ جهاده، وأَقامَ أَعلامَ الملةِ فما وهنَ عزمُهُ وما انثنىٰ. صلَّىٰ اللهُ وسلمَ وباركَ عليه وعلى آلهِ وأصحابِه قدوتِنا وأئِمتنا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الفنا.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أما بعد أيُّها المسلمون حجاجَ بيتِ اللهِ: توحيدُ الله افرادهُ بالعبادةِ ذلكمُ هو أصلُ الدينِ وقاعدتُه. التوحيدُ هو ملاكُ الإسلام ودعامتُه، لا تصح قربةٌ ولا عبادةٌ ولا يُقْبلُ عملٌ ولا طاعةٌ إلاَ بإخلاصِ التوحيدِ لله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ..﴾ [البينة: ٥] من ذا الذي يُرجىٰ خيرهُ ونفعهُ إلا اللهُ، ومن ذا الذي يُطاع أمرُه ويُنفَّذُ مرادُه إلا الله، من ذا الذي يُخشىٰ بأسُه ويُخافُ بطشهُ إلا الله. له العزةُ والملكوتُ، وبيده القوةُ والجبروتُ: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣] بيده التصريفُ والتدبيرُ. أرسلَ الرسلَ وشرعَ الشرائعَ ليحقَّ الحقَّ ويبطلَ الباطلَ وليقومَ الناسُ بالقسط: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

سبحانك ربي أنتَ أهلُ الحمدِ والمجدِ، لك الأسماءُ الحسنىٰ والصفاتُ العلا، أهلُ التقوىٰ وأهلُ المغفرةِ، لانُحصي عليك ثناءاً ولا نبلغُ حقَّكَ توقيراً وإجلالاً.

أيها المسلمون ذلكم الله ربكم وتلك هي أسماؤهُ وصفاتهُ، وذلكم هو خَلقُه وأمرُه.

المسلمُ الحقُّ يؤمنُ به إلٰهاً واحداً فرداً صمداً، يخضعُ له وينقادُ، لهُ يُصلي ويسجدُ، وإليه يسعىٰ

ويحفِد[1] يرجو رحمته ويخشىٰ عذابَه، يؤمنُ برسولِهِ محمدٍ ﷺ، يصدقهُ فيما أخبرَ ويطيعُهُ فيما أمرَ ويجتنبُ ما عنه نهىٰ وزجرَ.

هذا هو الدينُ، وذلكمُ هو التوحيدُ، وذلكمُ هو المسلمُ بعقيدتِه وعبادتِه وأخلاقِه وسلوكِه اصطبغتْ سريرتُه بالدينِ الحقِّ توكلاً على الله واستيثاقاً بحبلِه، فيه يحبُّ ويبغضُ، ومن أجله يعطي ويمنعُ، وفيه يخاصمُ ويسالمُ.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أيها الأخوةُ في الله حجاجَ بيتِ الله في هذه الأجواءِ العابقةِ بعبَقِ الإيمانِ، وأمامَ هذه المناظرِ والمشاهدِ الحيةِ النابضةِ، وحجاجُ بيتِ اللهِ يخطونَ خطواتِهم على هذه الأرضِ الطيبةِ، ويزدلفون في هذه المشاعرِ الأمنةِ بأمانِ الله ثم يقظةِ مسؤوليها ورعاية قادتِها؛ في هذه الأجواءِ يغمرُ قلبَ المتأملِ شعورٌ كريمٌ فياضٌ بانتماءِ أفرادِ هذه الأمةِ إلى هدفٍ واحدٍ وغايةٍ واحدةٍ، إنها أمةُ التوحيدِ والإيمانِ، أمةُ الرسالةِ المحمديةِ. صبغةُ التوحيدِ هذه وشعارُ الوحدةِ هذا يأبى أعداءُ الأمةِ إلا أن يَقْسروها على خلعِه وطمس لونه، وتشويه صورتِه إن أمتنا أيها المسلمون تعيشُ في أيامنا هذه أياماً كوالح.

إن جحيمَ السياسةِ المعاصرةِ، وتطاحنَ الاتجاهاتِ الوافدةِ أرسلَ شواظاً من الأحقاد والمهاتراتِ تشقىٰ بها البشريةُ اليومَ، وأمةُ الإسلامِ قد نالها منهُ نصيبٌ غيرُ يسير.

---

(١) أي: يُسرع في العمل والخدمة.

إن مدناً عظاماً تُدكُّ، وأمةً كبرىٰ تُمزَّقُ ووعياً فكرياً يُغيَّبُ. توالتْ على الأمةِ الضرباتُ، وكشَّر الأعداءُ عن أنيابِهم. هجومٌ من الأعداءِ على الديارِ يتجددُ، مطلوبٌ من المسلمين الارتدادُ عن دينهم، والتنازلُ عن ديارِهم والتنكرُ لمبادئِهم وشريعتِهم وما حال البوسنة والهرسك عنا ببعيد، يريدونَ قَسْرَهمُ على مبادىءَ تُناقضُ دينَهم قسراً، مبادىءُ من الحريةِ كاذبةٌ، ودعواتٌ من الديموقراطيةِ الكافرةِ وحقوقٌ إنسانيةٌ مزوَّرةٌ وتمردٌ على الشريعةِ وتطبيقِها.

أيها المسسلمون: ومع ضجيجِ الخصومةِ السافرةِ والجدلِ المتُنامي يعسرُ البحثُ عن الحقيقةِ، والتعرفُ على الصوابِ ومع الأسفِ كلَّ الأسف أنْه قد يذهبُ الرجالُ ولكن يبقى التلاومُ، والجدالُ يتعالىٰ دخانهُ ويتصاعدُ غبارهُ حتى يهدِّدَ وحدةَ الأمةِ ويَهزَّ كيانَها.

ومن جَرَّاءِ كلِّ ذلك فقد تقلَّبتْ بالأمة التياراتُ، وتسلَّطتْ عليها حركةُ تمزيقٍ فكريٍّ وروحيٍّ. لقد نِيْلَ منها حتى وقعتْ في دوَّامةٍ من التفككِ والفرقةِ في كثيرٍ من مواقِعِها.

ومن أجل هذا فقد أصبحَ لزاماً على أهلِ النصحِ والصدقِ والتأثيرِ والتوجيه من القادةِ والساسةِ والعلماءِ المربينَ والدعاةِ والمفكرينِ أصبح عليهم لزاماً كلٌّ من موقع مسئوليتِهِ حقٌّ عليهم أن يتداركوا الأمةَ، يتداركوها من الدَّاخل. . .نعْم فليتداركوها من الداخلِ.

فلقدْ عَلِمَ هؤلاء النخبةُ أن سلاحَ الأعداءِ كان بتقطيعِ أمةِ التوحيدِ وتمزيقها وصبغِها بألوانٍ من السياساتِ الثقافاتِ تتغيرُ

معها صبغةُ اللهِ.

ومن المعلومِ أنَّ الإنقاذَ ـ بإذن اللهِ وتوفيقِهِ ـ يكونُ بالرجوعِ إلى الجماعةِ فيدُ اللهِ مع الجماعةِ، وشعارُ الإسلامِ هو الجماعةُ، إلا أن الجماعةَ رحمةٌ وإن الفرقةَ بلاءٌ وعذابٌ.

يجبُ اختصارُ المسافاتِ وردمُ الفجواتِ التي تفصلُ بين المنتسبينَ إلى الإسلامِ.

ومن أجلِ ألا يكونَ ذلك خيالاً وأمانيَّ ولا خطاباً مجرداً يجبُ أن تبدأ الأمةُ بايقافِ تيارِ التلاومِ والتحسرِ والتذمرِ.

لقد توالتِ النكباتُ على الأمةِ فلم يجدوا متنفساً إلا أن يُقبِلَ بعضُهم على بعضٍ يتلاومون.

إنك ترىٰ المهتمَّ بالسياسةِ والقضايا الدوليةِ يُلقي باللائمةِ على الصهيونيةِ والشيوعيةِ والرأسماليةِ والصليبيةِ وهذا حقٌ ولكنه ليس كلَّ الحقِّ.

وترى رجلَ العلم والدعوةِ يبكي على الأخلاقِ وينُدبُ الفضائلِ ويتبرمُ من عوراتِ المجتمعِ ونقائِصِهِ بل تراه متَّهماً هذا في ورعِهِ وزهدِهِ وذاك في إخلاصهِ ونيَّته ويَزعمُ أن الآخرَ قد فتنتهُ الدنيا واتَّخذَ الدينَ مطيةَ هكذا يتلاومون.

والتجارُ في تجاراتِهم والصناعُ في صناعاتِهم والموظفون في وظائفهم يشكون من فشوِّ الغشِّ وفقدانِ الثقةِ وانتزاعِ الأمانةِ وفسادِ البضاعةِ وانتشارِ الغبنِ والتدليسِ والزورِ والتزويرِ.

وإذا تحدثَ الأديبُ والمفكرُ نثرَ عليكَ دموعَ الخنساءِ وملاء

أذنيكَ بتشاؤمِ ابن الرومي وأبي العلاءِ بأساليبَ من اللومِ والهجاءِ يتبرمُ من الفسادِ وضياعِ الحقوقِ وقلةِ الكفاءةِ ووضعِ غيرِ المناسبِ في المكان غيرِ المناسبِ هكذا يُسمَعُ السخطُ والتَّسخطُ من صادقٍ ومن حاقدٍ في تصريحٍ أو تلميحٍ يُلحْظُ هذا في كلِّ طبقةٍ ومجتمعٍ وفي كلِّ نادٍ ومجلسٍ.

أيها القادةُ أيها العلماءُ أيها المربون أيها المفكرونُ:

هل هذا النوعُ من التلاومِ يَحُلُّ مشكلةً؟ أو يُنْجِزُ قضيةً؟ إذا كنتم كلكم لائمينَ فمن هم الملومون؟ وإذا كنتم كلكم ناقدين فأين هم المصلحون؟.

يُحكى أن مالكَ بن دينارٍ وعظَ أصحابه موعظةً ذرفتْ منها دموعُهمْ وارتفعَ بها بكاؤهم ونشيجُهم وبينما هو كذلك إذ افتقد كتابه الذي بين يديْه فنظر إليهم وكلُّهم من أثرِ وعظهِ يمسحُ دموعَه ويُخفيْ نشيجَه ثم قال: ويحكم كلُّكم يبكي فمن سرق الكتاب؟.

نعم أيها الأحبة: إذا كنَّا نتلاوم ونكتفي بالتلاومِ فمن ذا الذي أضاع الأمة؟ ومن هو مصلُحها؟.

إن الاصلاحَ الصادقَ والطريقَ السديدَ يبدأ من البعدِ عن هذا النوعِ من التلاومِ المميتِ والنقدِ الهادمِ غير الهادفِ يبدأ بأخذِ الكتابِ بقوةٍ أخذِهِ بحزمٍ وجدٍ.

النقدُ والتلاومُ يجبُ أن يبقىٰ حبيساً في ركنٍ خاصٍ، لا يجوز أن تمتلىءَ به الساحةُ يلوكهُ من يفقَهُ ومن لا يفقَهُ يجبُ أن يكون نقداً بناءً في دائرةٍ محددةٍ.

لا يجوز السماحُ بمثل هذا التلاومِ ليكون متنفساً تُلقىٰ من خلفه

التبعةُ على الآخرين، ولا يجوز أن يكون سبيلاً لتوزيعِ الآهاتِ والاتهاماتِ هنا وهناك؛ إن هذا لا يزيدُ الأمةَ إلا خيالاً وخبالاً.

فكيف إذا صاحبَ هذا هوىً مغرضٌ ومقاصدُ مدخولةٌ؟؟؟ وكان مطيةً للتشهيرِ والتفتيشِ عن المعايبِ ونزعِ الثقةِ في الصالحينَ المخلصينَ؟؟؟.

إن هذا ـ كما علمتم ـ نوعٌ من الهروبِ من الواقعِ وارضاءِ النفسِ والقاءِ المسؤليةِ على الآخرين.

ومن أجلِ هذا فإنك ترىٰ هؤلاء وأمثالَهم يكتفون بتمجيدِ الماضي والتباكي عليه (وهو ماضٍ مجيدٌ حقاً وحقٌ عليه أن يُبْكىٰ) ولكنهم يُمجدِّونهَ وهم عاطلون، ويفاخرون به وهم مقصِّرون، ويغترُّون به وهم متخاذِلون، ولو فكرتَ ثم فكرتَ وتحقَّقْتَ ثم تحققت لعلمتَ أن ضعيفَ الهمةِ العاجزَ الكسولَ الذي يتمنىٰ على اللهِ الأمانيَّ هو الذي يَغْرَقُ ويُغْرِق في هذا التلاوم، ويتنفسُ من خلالِ هذا التباكيْ فيستعيضَ عن خذلانِه وتخذيله بهذه الجعجعةِ الفارغةِ.

وبرهانُ ذلك أنكَ ترى قُطْعاناً من الشبابِ كُسالىٰ سمَّارَ النوادي، ونوَّامَ الضُّحىٰ، لا يتجهون إلى علمٍ جادٍ، ولا إلى عملٍ مثمرٍ من أجلِ أن يرفعَ لهم شأناً ويبنيَ لهم مصنعاً وينبت لهم حقلاً ويحقق لهم اكتفاءً واستقلالاً. إنما هو متكىء على أريكته يوزعُ الاتهاماتِ ويلقيْ باللائمةِ على هذا وذاكَ وقد نامَ على وسادٍ عريضٍ من الأحلامِ والأماني ينتظرُ السماء أن تمطرَ ذهباً و فضةً.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

أيها الإخوة: إن الأمة تحتاجُ إلى مدرسةٍ تربَّىٰ بها الأجيالُ على الجدِّ القوةِ والخلقِ المتينِ والعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ تحتاجُ إلى مزرعةٍ ومصنعٍ تستغني بها الأمةُ عن الشرقِ والغربِ تحتاجُ إلى مصارفَ وشركاتٍ مؤمنةٍ تُستَثْمرُ بها أموالُ الأمةِ وطاقاتُها.

هذا جانبٌ في البناء.

جانبٌ آخر يجبُ التوجهُ إليه يقيْ من الاشتغالِ بالتلاوم والنقدِ الهادمِ ذلكم هو معرفةُ مواهب أبناء الأمة وتنميتُها والتعرفُ على القدراتِ وبناؤها. فربُّنا سبحانه كما فاوتَ بين الناسِ في ألسنتهم وألوانهم فقد فاوت بينهم في مواهبِهم وقدراتِهم.

والبناء الشامخُ لا يقومُ على أركانِه إلا حينَ يشاركُ في بنائِه كلُّ مختصٍ في مجالِه وميدانِه.

وإنَّ النظرَ الثاقبَ لحياةِ الصَّحْبِ الكرام مع رسولِ الله ﷺ لَيرىٰ في التربيةِ النبويةِ والإدارةِ المحمديةِ لشؤون الأمةِ مراعاةَ ذلك بجلاء. فطائفةٌ من كبارِ الصحابةِ وقادةِ الأمة لم يكونوا من مكثري الروايةِ فقد قامَ بهذه المهمةِ طائفةٌ منهم ممن رُزِقَ حافظةً مميزةً. وقد نبه عليه الصلاة والسلامُ على خصائصِ بعضِهم، فأقرأُهم أُبيٌّ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرام معاذٌ، وحبرُ الأمةِ فقيه الدينِ وعالمُ التأويل عبدالله بنُ عباس، واهتدُوا بهديِّ عمارٍ، وأبوذرٍ لا يسألُ الإمارةَ وخالدٌ سيفٌ من سيوفِ الله ناهيكَ بالقادةِ والسادةِ ذوي الخلافةِ الراشدةِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم.

كلٌ قد علمَ رسولُ اللهِ ﷺ موقعَه وموهبَتَه وبلاءَه في دينِ الله وأثَرَهُ.

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

أيها الأخوةُ في الله:

إن الطريقَ الصحيحَ والمنهجَ الأقومَ أن يُستفادَ من كلِّ مسلم ذي موهبةٍ في موقعه، يُعرفَ له فضلُه وأثرُه، والفضلُ بالتقوىٰ وحسنِ العملِ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فهذا عالمٌ ينشرُ علمهَ قد أخذ على عاتقِه أزالةَ غشاوةِ الجهلِ عن الناسِ يُبصرُهم بحقِّ اللهِ عليهم.

وذلكَ محتسبٌ آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المنكرِ أعطىٰ لذلك نفيسَ وقتِه وصرفَ له عظيمَ همتِه قد رُزِقَ من الصبرِ والحلمِ ما يتحمَّلُ به أذىٰ الناسِ.

وآخرُ رزقَ قلباً رقيقاً وصدراً حنوناً، توجَّهَ للأكبادِ الجائعةِ والبطونِ الخاويةِ فهو ينفقُ مما آتاه الله أو يسعىٰ بشدةِ ساقيهِ ليأخذَ من الأغنياءِ أو يشرحَ الحالَ لذوي الرأيِ من الوجهاءِ.

وآخرونَ قد فتحَ الله لهم بابَ الجهادِ فهم يُغْنونَ فيه الغناءَ الواسعَ ينتقلونَ من موقعٍ إلى موقعٍ، حاملين أرواحهم على أكُفِّهم يبذلونها رخيصةً في سبيلِ اللهِ ينصرونَ دين الله ويُعزُّون أهل الإسلامِ.

وآخرون منهم سخرَّهم اللهُ لدعوةِ غيرِ المسلمين فاهتموا بشؤون الجالياتِ وغيرِ الجالياتِ رزقوا الصبرَ ودماثةَ الخلقِ ووسائلَ البذلِ والتضحيةِ بالجهدِ والوقتِ والمالِ مما لا يضيعُ ثوابُه عند الله.

وانظرو إلى ذلكمْ الذي قد وهبهُ الله قلماً سيالاً، ولساناً صادقاً، فهو يصولُ ويجولُ في معاركَ فكريةٍ ومناقشاتٍ إسلامية شعراً ونثراً وإذاعةً ونشراً، دفاعاً عن حياضِ الإسلامِ وساحاتِه لينفي عنه الدخلاءَ ويكشفَ الأُجَرَاءَ. ولا يغيبُ عن البالِ من رُزقَ الصبرَ والاحتسابُ فجلسَ للناشئةِ الصغارِ يقضي زهرةَ حياته وخلاصةَ عمره في التربيةِ والتنشئةِ والتعليم يُعلمُهم كتابَ اللهِ والنافعَ من العلومِ تربيةً على الإسلامِ وفضائلِه. ناهيك بالطبيبِ الحاذقِ الذي قد برعَ في تخصُّصه فخففَ بإذن الله الآلامَ وواسىٰ الجروحَ وحفَظَ على المسلمين عوراتِهم يعاونُه أخوة له فنيون مهرةٌ من الصيادلةِ والممرضينِ وقل مثل ذلك في المهندسين والكميائيين وغيرهم من الفلاحين والمزارعين والصناع وكل ماهرٍ سِيْمَا كلِّ أولئك الصلاحُ ومسلكُهم الحشمةُ والأدبُ ورائدهُم البراعةُ والإخلاصُ وانظروا إلى من شرحَ الله صدورهم فقاموا في الناسِ من أجلِ تيسير أمورِ الزواجِ ومكافحةِ مظاهرِ الإسرافِ وقاموا في دعمِ الجمعياتِ الخيريةِ وهيئاتِ البرِّ والإغاثةِ في كلِّ مكانِ.

أيها الناسُ: إنَّ هذه أنواعٌ من الحاجاتِ، وألوانٌ من المواهبِ مما لا يقعُ تحتَ حصرٍ، كلَّها جهودٌ خيِّرةٌ، ومسالكٌ لازمةٌ لا تستغنيْ الأمة عن واحدٍ منها؛ فكيف بها مجتمعةً؟؟ إنها دروبُ خيرٍ لايمكن أن يُتقنَها واحدٌ وفئةٌ. ناهيكَ بإن يقومَ بها فردٌ أو جماعةٌ. وكلُّها مسالكُ، وكلُّها دروبٌ كفيلةٌ بأن تقي الأمةَ التلاوم المذموم، التلاوم المميتْ والنقد الهادم.

يجبُ أن يكونَ الأمرُ واضحاً في تباينِ الناس في قُدُرَاتِهم وإمكاناتِهم، فلا يطلبُ من أحدٍ ما لا يقدرُ عليه وَلا يُبْخسُ أحد

ما وهبهَ اللهُ.

يروى أن الخليفةَ المأمونَ ـ الخليفة العباسي ـ أراد من المؤرخِ الواقديِّ حِفظَ سورةٍ من القرآنِ من أواسطِ المفصَّلِ فلم يقدرْ فقالَ المأمونُ هذا رجلٌ فتح اللهُ عليه في التأريخ.

وعاتبَ رجلٌ الإمام مالكاً رحمهُ اللهُ لِما رأىٰ من انصرافِه التامَّ إلى العلم وتَرْكِ ما سواه؛ فأجابه مالكٌ رحمه اللهُ إن اللهَ قسمَ بين الناسِ الأعمالَ كما قسمَ بينهم الأرزاقَ فربَّ رجلٍ فُتحَ له في الصلاةِ ولم يُفتحْ له في الصوم، وآخرُ في الصدقةِ وآخرُ في الجهادِ قال مالك: (فنشرُ العلمِ من أفضلِ أعمالِ البرِّ ورضيتُ بما فُتح لي فيه وما أظنُّ ما أنا فيهِ بدونِ ما أنت فيه وأرجوا أن يكون كَلانا على خيرٍ).

أيها المسلمون حجاجَ بيتِ اللهِ: اتقوا الله ربَّكم واتجهوْا إلى العملِ الجادِّ. فكفى تلاوماً؟ وكفى نقداً؟ فإن حالَ الأمةِ اليومَ في كثيرٍ من المواقعِ يُساسُ بغيرِها، ويَبُتُّ في مصائرِها غيرُ أهلها، ويَبحثُ في قضاياها الأبعدون.

اتقوا الله رحمكم الله واعتبروا بكثرةِ الفضائلِ، وإذا بلغ الماءُ قلتين لم يحملُ الخبثَ، فمن غلبتْ فضائلُه هفواتِه اغتُفِرتْ له زلتُهُ فاحفظوا لأهل العلمِ فضلَهم ولأصحابَ المقاماتِ مقاماتِهم ولذي المواهبِ مواهبَهم.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي محمد ﷺ ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

خطبة عيد الأضحىٰ
كلكم لوامون فأين المصلحون
الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعا). الله أكبر عددَ من أمَّ البيتَ الحرامَ على مر السنين والشهورِ والأيامِ. الله أكبرُ ما ارتفعتْ أكفُّ الضراعةِ إلى المولىٰ بطلبِ الصفح ورفع الآثام، الله أكبرُ ما تفضَّلَ ربُّنا ومولانا بجزيلِ الفضلِ والإنعَامِ الله أكبر كَبيرا والحمدُ للهِ كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

الحمدُ للهِ دعا عبادَه إلى أشرفِ بيتٍ وأعظمِ مزارٍ، دعاهم إلى أمِّ القرىٰ ليُجْزلَ لهم الضيافةَ والقِرىٰ، ويَحطَّ عنهم الذنوبَ والأوزارَ، فأجابوا دعوتَهُ، ولبَّوْا نداءَهُ، ومن طَلَبَ المعاليَ تحملَ الأخطارَ. أحمدُه سبحانَه وأشكرهُ وأتوبُ إليه واستغفِرُهُ وهو العزيز الغفارُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أشرفُ من طافَ بالبيتِ المحرِّمِ وسعىٰ ورمىٰ الجمارَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه الأبرارِ وآلِهِ الأطهارِ والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعدُ. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ واعلموا أنَّ ضعفَ الأمةِ واضطرابَ أحوالِها في كثير من مواقِعها لم يكنْ إلا من عند أنفسِهم، تسلُّطُ الأعداءِ لم يكنْ إلا بسببِ سوءِ الأعمالِ وعِظَمِ الإهمالِ.

لقد قَطَعَتْ كثيرٌ من الشعوبِ الإسلاميَّةِ أشواطاً من اللَّهاثِ وراءَ الأعداءِ، أحسنَتْ الظنَّ بهم وحَسِبَتْ سرابَهم ماءاً حتى إذا جاءتْه لم تجدْه شيئاً بل وجدتْ سَبُعاً فاغراً فاهُ، ومجرماً آثماً شاهراً سيفهَ يريدُ ابتلاعَها وهلاكها.

خذوا هذا المثالَ من أمثلة السرابِ:

لايزالُ بعض المثقفينَ والمفكرينَ يربطُ ضَعفِ الأمةِ واضطرابِ أحوالها وبينَ قضيةِ المرأةِ ومسألةِ الحجابِ. لقد قالوا ـ وبئس ما قالوا ـ لقد ظنّوا وبالخيبةَ ما ظنوْا قالوا وظنوا إن القوةَ والمنعةَ والعلوَّ في العلمِ وشؤونِ الاجتماعِ لا ينسجمُ ولا يناسبُ مع فرضِ الحجابِ ومنعِ الاختلاطِ.

نعم لقد زعمُوا أن تَفسُّخَ المرأةِ وخلاعتِها هو الطريقُ إلى القوةِ، وهو مظهرُ العزةُ، لقد جعلوا من تبرجِ الجاهليةِ سبيلاً إلى المعرفةِ الحقةِ والعلمِ النافعِ.

أما السرابَ ـ أيها الواهمون ـ فهاهي معظمُ الشوارعِ والأسواقِ في كثيرٍ من ديارِ بني الإسلامِ قد فاضَتْ بمظاهرِ التبرجِ والسفورِ، ودخلتْ المرأةُ فيها كلَّ نادٍ، واختلطتْ بثعالبِ الرجالِ وسباعِها، فُتنتْ وفَتنتْ وأخذتْ زينتَها وأصباغَها.

فأي تقدمٍ جنوا؟ وأيُ قوةٍ حققوا؟ لقد أشبهوا أعداءَهم في المظاهرِ والقُشورِ؛ أجسامٌ باديةٌ وأنديةٌ بالفُحشِ عامرةٌ؟؟؟.

ما زادهم ذلك إلا ضياعاً ومجوناً، وقتلاً للاوقاتِ وهتكاً للأعراضِ.

سلوا الفتياتِ المسلماتِ المتأدباتِ المحتشماتِ هل منعتْ

الحشمةُ أو صدَّ الحجابُ من تحصيلِ علمٍ أو انجازِ عملٍ للمرأةِ مناسبٍ يتحقَّقُ به غايةٌ شريفةٌ من غير طريقٍ للفتنةِ والإثارةِ.

هل أثقلهنَّ الحجابُ عن ممارسةِ أيِّ نشاطٍ اجتماعيٍّ مشروعٍ يُرادُ من ورائِه إحقاقُ حقٍ أو ابطالُ باطلٍ أو معونةُ ضعيفٍ أو اسداءُ معروفٍ ونشرُ برٍ وإحسانٍ.

إن المؤمناتِ الطاهراتِ الحافظاتِ المحفوظاتِ يمارسنَ مسئولياتِهنَّ البيتيةَ والاجتماعيةَ أصنافاً وألواناً لا تُضاهيهنَّ تلك المسكينةُ التي تنفقُ ساعاتِها وأيامَها في النظرِ في عِطْفَيْها، وتتعهَّدُ زينتَها وأصبَاغها وبَهْرَجها.

ولقد علمَ المؤمنونَ والعقلاءُ أنه لا توجدُ أيُّ علاقةٍ بين العلمِ والعملِ والقوةِ والخيرِ وبين التبرجِ والتعطرِ والميلِ والإمالةِ.

ومثالُ من السرابِ آخرُ حين ظنَّ بعضُهم أن الاقتصادَ لا يُتصَّورُ قيامُه من غيرِ ربا، حتى عَشْعشَ ذلك في عقولهم وأُشْرِبَتْهُ قلوبُهم، وتصحيحُ هذا المفهومِ يسيرٌ؛ أليس قد عُمِرتْ بالربا مصارفُ كثيرةٌ من بلاد الأمة؟ وأُتيحَ لها في الحياةِ الاقتصاديةِ ميادينُ فسيحةٌ؟ وسبلٌ عريضةٌ؟ ودخلَ في كثيرٍ من معاملاتِهم ومجالاتِهم ومع هذا لم يَساعدْ في تحقيقِ التقدمِ الذي يحلمون به؟ ولا في التخلص من التخلُّفِ الذي يضجُّونَ منه.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله وارجعوا إلى دينكم وأزيلوا الغشاوات عن أبصاركم. ودعوا اللهاثَ وراء أعدائكم فإنهم ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

اتقوا الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وتعانوا على البرِّ

والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوانِ افعلوا الخيرَ وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادهِ واعلموا أنكم في أيامٍ فاضلةٍ ومواسمَ كريمةٍ، اشغلُوها بذكرِ اللهِ واعمرُوها بالتكبير والتهليلِ، وعظِّموا شعائرِ اللهِ وحرماتِه.

وإن من أعظمِ مايُتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجلَّ في هذه الأيام الأضاحي فهي سنةُ الخليلين إبراهيمَ ومحمدٍ عليهما الصلاةُ والسلامُ. جاءَ في الحديثِ عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**ما عَمِلَ ابنُ آدمَ يومَ النحرِ من عملٍ أحبَّ إلى اللهِ من إراقةِ دمٍ، وإنها لتأتيْ يومَ القيامةِ بقرونِها وأظلافِها وإن الدَّمَ ليقعُ من اللهِ بمكانٍ قبل أن يقعُ على الأرضِ فطيبُوْا بها نفساً**»[1].

ولتعلموا وفقني الله وإياكم لصالحِ العملِ: إنَّ وقتَ الذبحِ يبدأُ من بعدِ صلاةِ العيدِ إلى غروبِ الشمسِ آخرَ أيامِ التشريقِ. ولا يجزىء في الأضاحيْ: المريضةُ البينُ مَرضُها، ولا العوراءُ البينُ عَوَرُها، ولا العرجاءُ التى لا تطيقُ المشيَ مع الصحيحةِ، ولا الهزيلةُ التى لا مُخَّ فيها، ولا الهتماءُ التى ذهبتْ ثناياها من أصلها، ولا العضباءُ التي ذهبَ قرنُها أو أكثرَ أذنها، ولا الجدَّاءُ التي نشفَ ضرعها ويَبِسَ من الكِبَرِ، كما لا تجزىء الجرباءُ.

ولا يجزىءُ من الإبلِ إلا ما تمَّ له خمسُ سينينَ ومن البقرِ ما تمَّ له سنتانِ ومن المعزِ ما تمَّ له سنةٌ ومن الضأنِ ما تمَّ له ستةُ أشهرٍ،

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٠٤٥ ـ ح٣١٢٦)، والترمذي (٤/ ٧٠ ـ ح١٤٩٣) وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٤/ ٢٢١) وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي: فيه سليمان واه وبعضهم تركه، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع الصغير ـ ح٥١١٢ ص٧٣٨) ط. الثالثة.

وتجزىءُ البدنةُ عن سبعةٍ والبقرةُ عن سبعةٍ والشاةُ تجزىءُ عن الرجلِ وأهلِ بيتهِ ولا يبعُ منها شيئاً ولا يُعطيْ الجزارَ أجرتَه منها.

فاتقوا الله عباد الله وانْبِذُوا عن أنفسكم الشحَّ البخلَ، وانفقوا من مالِ اللهِ الذي آتاكم، وأكثروا من ذكرِ اللهِ وشكرهِ وصِلُوا أرحامَكم، وبَرُّوا والدَيْكم وأحسنوا إلى اليتامىٰ والمساكينَ، وتصافحوا وتناصحوا وتسامحوا، وأزيلوا الغلَّ والشحناء من قلوبِكم وتزاوَروا وتهادوا، واحذروا الكبرَ والغيبةَ والنميمةَ وكونوا عباد الله إخواناً.

خطبة الاستسقاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيم مالكِ يوم الدينِ. لا إله إلا الله يحكمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريدُ. لاَ إله إلا اللهُ الحكيمُ في عطائِهِ ومنعِهِ، وهو البصيرُ في خفضِهِ ورفعِه، كافيْ من استكفاهُ، ومجيبُ من دعاهُ، ومنجيْ من يخشاهُ، كفى به ولياً وكفى به وكيلاً.

أحمدُه سبحانه وأشكره يغفرُ ذنوبَ التائبين، ويُقيلُ عِثَارِ النادمينَ ولا يُبرمُه إلحاحُ الملحين. عرفتْهُ القلوبُ بلَهفَاتِها، وقصدتْهُ الخلائقُ في حاجاتِها.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعرَّف إلى خلقِه بالدلائِلِ والحقائِق، وتكفَّلَ بأرزاقِ جميعَ الخلائِقِ، له الحكمةُ فيما قدَّر وقضىٰ، ولا تُرفعَ إلا إليه الشكوىٰ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله هو الأخشىٰ لربه والأتقىٰ، أصدقُ العبادِ شكراً، وأعظمُهم لربهِ ذكراً، وأكثرُهم له استغفاراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نستغفر اللهَ العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ ونتوبُ إليه. اللهم أنتَ الملكُ لا إله إلا أنتَ، أنت ربُّنا ونحنُ عبيدك، ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، تباركت ربنا وتعاليتَ نستغفرُك ونتوبُ إليكَ. اللهم اغفر لنا ما قدَّمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنَّا وما أنت أعلمُ به منا أنت

المقدِّمُ وأنت المؤخِّرُ لا إله إلا أنت، سبحانك ربَّنا، لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

أما بعد أيُّها الناسُ فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله عزَّ وجلَّ فتقوىٰ اللهِ طريقُ النجاةِ والسلامةِ، وسبيلُ الفوزِ والغنيمةِ.

أيها المسلمون: ما حلَّ بسالِفِ الأممِ من شديد العقوباتِ ولا أُخذوا من غِيَرٍ[1] بفظيع المثُلاتِ إلا بسببِ التقصيرِ في الإيمانِ والتقوىٰ، وإيثارِ الشهواتِ وغلبةِ الأهواءِ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

إن كلَّ نقصٍ في العلومِ والأعمالِ، والتدبيرِ والأفهامِ، والقلوبِ والأبدانِ، والأشياءِ والممتلكاتِ سببه الذنوبُ والمعاصي والمخالفاتُ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

إن ما تُبتلىٰ به الديارُ من قلةِ الغيثِ ونقصِ الأمطارِ، وما ينشأ من غورِ مياهِ العيونِ والآبارِ وما ينالُ المواشي والزروعَ من نقصٍ وأضرارٍ ليس ذلك لعمرو اللهِ من نقصٍ في جودِ الباريْ جلَّ شأنُه وعَظُمَ فضلُه، ولا نقصٍ مما بيمينِه، بل إن يمينَه سبحانَهُ مْلأىٰ لا يَغيضُها نفقةٌ سحاءَ الليلِ والنهارِ. ولكن سببُ ذلك كلِّه - وربِّكم - إضاعةُ أمرِ اللهِ والتقصيرُ في جنبِ اللهِ. أين التوحيدُ وصحةُ

---

(١) الغِيَر: التقلبات وتغير الأحوال

المعتقدِ وصدقُ التعلقِ وصحيحُ التوكل عند كثير من الناس؟ التوحيدُ هو مفزعُ الخلائقَ إلى ربِّها وهو ملجؤها وحصنُها وغياثُها. هذا يونسُ عليه السلام: نادىٰ ربَّه في الظلماتِ ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] فجاءه الغوثُ الإلهي ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

ما حالُ المتهاونين بالصلاةِ تركاً وكسلاً؟.

أليس هذا في دين الله من أكبر الكبائر؟ بل هو خروجٌ عن الإسلامِ وردةٌ عند كثيرٍ من محققي أهلِ العلمِ.

«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر»[1].

وما هو حالُ الأغنياءِ مع الزكاة قرينةِ الصلاةِ وشقيقتها في كتاب اللهِ؟؟ إنها حقُّ الفقراءِ على الأغنياءِ؛ أين الخوفُ من اللهِ؟ وأين الرحمة بعباد الله؟: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١].

ضُمُّوا إلى ذلك ركنَ الدينِ الركينَ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ. كيف تبرأُ الذمةُ؟ ومتى تُوفَّىٰ المسؤليةُ؟ والرجلُ يقترفُ المنكرَ وصاحبُه إلى جواره لا يوجِّهُ ولا ينصحُ ولا يُنكرُ بحكمةِ الشرعِ وآدابِه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٤٦)، والترمذي (٥/ ١٥ ـ ح٢٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١/ ٣٤٢ ـ ح١٠٧٩)، والحاكم (١/ ٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة بوجه من الوجوه ووافقه الذهبي.

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] ناهيك يا عبدَالله بما بلي كثيرٌ من الناس من الرِّبا والزنا واللواط والسكر والتبرج في النساء والمخدرات والفحشاءِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨].

أيها المسلمون: الصلواتُ عند كثيرٍ من الناس قد ضُيِّعَتْ، والمحرماتُ قد انتُهكتْ، وأركانُ الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ قد اهتزتْ، والذِّمَمُ قد خَربتْ، والغيرةُ على المحارِم قد تضعضعت، والمعاملاتُ قد فسدتْ، والربا قد فشا، وشأنُ المعازفِ والمزاميرِ قد علا، في أنواعٍ من الوسائل مرئياً ومسموعاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد تقررَ عند أهلِ العلم بما صحَّ من الأخبارِ عن رسول اللهِ ﷺ أن منع الزكاةِ وأكلَ الحرامِ وتركَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ أسبابٌ خاصةٌ في منع القطرِ من السماءِ وعدمِ إجابةِ الدعاءِ. اللهم لا تقتلْنا بغضبِك، ولا تهلكْنا بعذابك وعافنا قبل ذلك.

معاشر الإخوة: لا تفسدُ الأحوالُ ولا تضطربُ الأوضاعُ في كثيرٍ من الأمم والشعوبِ إلا بطغيانِ الشهواتِ، واختلاطِ النياتِ، واختلافِ الغِيَرِ والمداهناتِ. لا تكونُ ضَعَةُ المجتمعاتِ ولا ضياعُ الأممِ إلا حين يُتركُ للناسِ الحبلُ على الغاربِ، يعيشون كما يشتهون، بالأخلاق يعبثونَ، وللأعراضِ ينتهكون، ولحدودِ الله يتجاوزون، من غير وازعٍ ولا ضابطٍ، وبلا رادعٍ ولا زاجرٍ.

أيها الإخوةُ: إذا كثرُ الخبثُ استحقَّ القومُ الهلاكَ، وبكثرةِ الخبثِ تُنتقصُ الأرزاقُ، وتنزعُ البركاتُ، ويعمُّ الفسادُ، وتفشو الأمراضُ، وتضطربُ الأحوال.

أقبل رسولُ اللهِ ﷺ يوماً على أصحابه فقال: «**خمسٌ إذا ابتليتم بهن - وأعوذُ باللهِ أن تدرِكُوهن - لم تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكنْ مضتْ في أسلافِهم، ولم ينقصوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخِذوا بالسنين وشدة المؤُنةِ وجورِ السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطرَ من السماءِ. ولولا البهائمُ لم يمطروا، ولم ينقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِهِ إلا سلَّطَ الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذ بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهم بكتابِ الله ويتخيَّروا مما أنزلَ اللهُ إلا جعلَ اللهُ بأسهم بينهم**»[1].

عباد الله: إن للمعاصي شؤمَها، وللذنوبِ آثارَها، فكم أهلكت من أمة، وكم دمَّرتْ من شعوبٍ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١] ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٩].

بالمعاصي تزولُ النعمُ، وتحلُّ النقمُ، وتتوالى المحنُ، وتتداعىٰ الفتنُ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٢ - ح٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

أيها الإخوة: لقد اقتضتْ حكمةُ اللهِ ومشيئته أن يبتلي في هذه الدارِ عبادَه، يبتليهم بالخيرِ والشرِ، يبلوهم بالحسناتِ والسيئاتِ. وفي هذه البلايا ألطافٌ يستشعرُها من صدقَ أيمانُه وأخلصَ للهِ قلبُه. بالبلاءِ يكونُ تحقيقُ التوحيدِ واليقينِ، وإذا اشتدَّ الكربُ وعَظُمَ الخطبُ يكونُ قربُ الفرجِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

البلاءُ يقطعُ قلبَ المؤمنِ عن الالتفاتِ إلى المخلوقينَ، ويوجبُ الإقبالَ على البرِّ الرحيمِ.

وفي كتابِ الله قومٌ مذمومون لم يستكينوا عندَ البلاءِ ولم يرجعوا إلى ربِّهم في البأساءِ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

ألا فاتقوا الله ربَّكم وتوجهوا إليه بقلوبِكم، وأحسنوا به الظنَّ في نفوسِكم. ارجعوا على أنفسِكم بالمحاسبةِ. ومن صدقَ في اللجوءِ صحتْ عنده التوبةُ. جانبوا أهلَ الفحشِ والتفحشِ، ومجالسةَ ذوي الردىٰ، ومماراةَ السفهاءِ احفظوا للناسِ حقوقَهم، ولا تبخسوهم أشياءَهم، صلوا الأرحامَ، واسوا الأراملَ واليتامىٰ، وتصدقُّوا بالدرهمِ والدينارِ والمدِّ والصاعِ، اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٦].

واحذروا تقلباتِ الزمنِ، فما الدنيا ألا أملٌ مُخترمٌ، سرورُها بالحُزنِ مشوبٌ، وصفوُها بالكدرِ مصحوبٌ، زواها الله عن الصالحين اختياراً، وبُسطتْ لغيرِهم اغتراراً.

تعجَّلوا الإنابة، وبادروا بالتوبة، وألحوُّا في المسألة، فبالتوبة النصُوحِ تُغْسَلُ الخطايا بطهور الاستغفارِ، وتُستَمْطَرُ السماءُ وتُستدرُّ الخيراتُ وتستنزلُ البركاتُ.

وها أنتم عبادَ اللهِ قد حضرتُم في هذا المكانِ الطاهرِ بين يدي ربِّكم تشكون جدَب ديارِكم، وتبسطونَ إليه حاجتكم، وذلكم الجدبُ وتلكمُ الحاجةُ بلاءٌ من ربِّكم لِتُقبلوا عليه، وتتقرَّبوا بصالحِ العملِ لديه، فأظهروا رقَّةَ القلوبِ، وافتقارَ النفوسِ، والذُلِّ بين يَدَيْ العزيزِ الغفارِ، استكِينُوا لربِّكم وارفعوا أكُفَّ الضَّراعةِ إليه، ابتهلوا وادعوا وتضرعوا واستغفروا، فالاستغفار مربوطٌ بما في السماءِ من استدرارِ.

اسمعوا مناشدةَ نوح عليه السلامُ لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] وقول هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

وورد عن نبيكم محمد ﷺ أنه قال: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**»[1] أخرجه أبوداود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأكثروا من الصلاة والسلام على المصطفى الهادي البشير إمامِنا وقدوتِنا محمدِ بنِ عبدِالله فالدعاءُ موقوف بين السماءِ والأرضِ حتى يصلَّىٰ على النبيّ ﷺ كما جاء في الأثر؛ اللهمَّ صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ اللهمَّ أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ أنزل علينا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا اللهم أغثنا، اللهم اسقنا غيثاً مُغيثاً هنيئاً مَريئاً طَبَقاً سحاً مُجَلِّلاً عاماً نافعاً غير ضارٍ عاجلاً غيرَ آجلٍ، اللهم تُحي به البلادَ وتغيثُ به العبادَ وتجعلُه

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٤٨)، وأبوداود (٢/ ٨٥ ـ ح١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤ ـ ح٣٨١٩)، والحاكم (٤/ ٢٦٢) وقال: صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي وقال: الحكم فيه جهالة.

بلاغاً للحاضرِ والبادِ. اللهم سُقيا رحمةٍ لا سقيا عذابٍ ولا هدمٍ ولا بلاءٍ ولا غرقٍ اللهم اسق عبادك وبلادَك وبهائِمَك وانشرْ رحمتَك وأحيِ بلدَك الميتَ، اللهم انبتْ لنا الزرْعَ وأدرَّ لنا الضرعَ وأنزلْ علينا من بركاتِك واجعلْ ما أنزلتَه علينا قوةً لنا على طاعتِك وبلاغاً إلى حينٍ، اللهم إنَّا خلقٌ من خلقِك فلا تمنعْ بذنوبِنا فضلَك.

سبحان اللهِ على اللهِ توكلْنا، ربَّنا لا تجعلْنا فتنةً للقومِ الظالمين، اللهم ارفعْ عنا من الجوعِ والجهدِ والعريِّ واكشفْ عنا من البلاءِ ما لا يكشفُه إلا أنتَ. اللَهم إنا نستغفرُك إنَّك كنتَ غفاراً فأرسلِ السماءَ علينا مِدرارا. اللهم اسقنا الغيثَ وآمنَّا من الخوفِ ولا تجعلنا آيسينَ ولا تهلكنا بالسنين، اللهم ارحم الأطفالَ الرضعَ والبهائِمَ الرُّتَّعَ والشيوخَ الركَّعَ وارحم الخلائق أجمعين ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].
اللهم انصر دينَكَ وكتابكَ وسنةَ نبيِّك وعبادَك الصالحين. اللهم أصلحْ لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرِنا وأصلح لنا دنيَانا التى فيها معاشُنا وأصلح لنا آخرتَنا التى إليها معادُنا واجعلْ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ والموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍ. اللهم ادفعْ عنا الغلاءَ والبلاءَ والوباءَ والرِّبا والزنا والزلازلَ والمحنَ وسوءَ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ عن بلدنا وعن سائرِ بلادِ المسلمين. اللهم من أرادنا واراد بلادَنا ومقدساتِنا بسوءٍ فأشغله بنفسِه واجعلْ كيدَه في نحرِه واجعلْ تدبيرَه تدميرَه اللهم إنا ندرءُ بكَ في نحورِهم ونعوذُ بك من

شرورِهم، اللهم ردَّ عنا كيدَ الكائدين وعدوانَ المعتدينَ واقطعْ دابرَ الفسادِ والمفسدين، اللهم آمنَّا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاةَ أمورِنا وأيد بالحقِّ أمامَنا وولي أمرنا وأعزَّه بطاعتك وأعز به دينَك وارزقْه البطانةَ الصالحةَ التى تدلُّه على الخيرِ وتُعينه عليه. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١].

عبادَ اللهِ اقلبوا أرديَتكم تأسياً بنبيِّكم محمدٍ ﷺ واجتهدوا في الدعاءِ وألحوُّا في المسألةِ. ادعوا اللهَ وأنتُم موقِنون بالإجابةِ وأكثروا من الاستغفارِ والصدقةِ وصلة الأرحامِ واحفظوا الحقوقَ ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم عسى ربُّكم أن يرحَمكم فيغيثَ القلوبَ بالرجوع إليه والبلدَ بإنزالِ الغيثِ عليه. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

وصلِّ اللهم على عبدِك ورسولِك محمد وآله وصحبه وسلم.

محاسبة ومعالجة
الخطبة الأولى

الحمدُ لله ربِّنا تعاظمَ ملكوتُهُ فاقتدرَ، وتعالىٰ جبروتُهُ فقهرَ، كتبَ العزَّ لمن أطاعه واتَّبعَ هداه فارتقى مقامُه وانتصرَ، وجعلَ الذلَّ والصغارَ لمن عصاه وخالف أمره، فكان المدحورَ الأصغرَ، أحمده سبحانه واشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الخبيرُ بما بطنَ وبما ظهرَ، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبدهُ ورسولهُ المصطفى من البشرِ، والمؤيدُ بالمعجزاتِ والآياتِ والسورِ، صلى الله وسلَّمَ وبارك عليه وعلى آله وصحبه السادةِ القادةِ الغُررِ، والتابعينَ ومن تبعهم، بإحسان إلى يوم المحشرِ.

أما بعد: فاتقوا اللهَ عبادَاللهِ، فتقوىٰ اللهِ عروةٌ مالها انفصامٌ، ونورٌ تستضيءُ بها القلوبُ والأفهام.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

أيها المسلمون: في الأيام العصيبةِ، والمحنِ القاسيةِ، وتَقَلُّباتِ الزمنِ ـ والزمن قُلَّبٌ ـ تحتاجُ الأمةُ إلى مراجعةٍ دقيقةٍ لحساباتها، ومعالجاتٍ جادةٍ لجراحاتِها، وسعيٍ حثيثٍ للتخفيفِ من مصابها.

إن كثيراً من المسلمينَ عامةً، والعربُ منهم خاصةً، فتنهم غزوُ الكفارِ الثقافيِّ، ورانَ علي قلوبِهم تيارُهُم الفكريُّ، فحسِبوا أن

الوطنياتِ المعاصرةَ، والقومياتِ الحديثةَ تَخلَّت عن عقائدِها الأولى. فتزحزحَ هؤلاء البائسون من المسلمين عن قواعدِهم العقائديةِ، وفرَّطوا في دينِهم الربانيِّ، على حينِ بقيَ خصومُهم مصرُّون على عقائدهم الباطلةِ والباطنة.

فياتُرىٰ أما زالت هذه الفئاتُ من الأمة لم تَسْتَبِنْ أن هذه القومياتِ والوطنياتِ والنَّعراتِ طريقٌ استعماريٌ ومسلكٌ ضلاليٌ؟ انزلق إليه المسلمون في غمرةٍ من محنِهم النفسيةِ والسياسيةِ العسكريةِ، فلم ينالوا من ورائه إلا الخسارَ والتبارَ، والفرقةَ والعارَ.

الصِّربُ نصارى حاقدون، والهندوسُ وثنيون مُجْرمون، واليهودُ توراتيونَ لباطِلهم مخلصون. اليهود يدَّعون الحقَّ في فلسطينَ باسمِ اللهِ وباسم الدينِ وباسم التوراةِ. يقول قائلهم: (إن اهتمامنا منصبٌ على عودة الشعبِ اليهوديِّ للإقامةِ بأرضه، وإذا كان العربُ لا يرونَ في نصوصِ التوراةِ سبباً كافياً لحقِّ الملكيةِ فليستْ هذه مشكلتَنا).

ويقولُ يهوديٌّ آخرُ: (إنني أمتلك ما لديَّ باسم التوراةِ، واحتجاجُ العربِ لا وزنَ له عندي).

ورئيسُ الصربِ المنتخبُ يقولُ: (لا تقفُ الحربُ في البوسنةِ والهرسكِ إلى أن لا يبقىٰ على أرضِنا مسلمٌ واحدٌ).

أما المخذولون من العرب فنسوا محمداً ﷺ ونسوا نهجَ محمدٍ وتاريخَ محمدٍ ليقولوا: إنهم ينتسبون إلى كنعانَ، فالكنعانيون هم الملاَّكُ الأصليون، وهم أبناؤهُ فهم أحقُّ بميراثه. ألا بعداً لكنعان كما بعدت عادٌ وثمودُ.

الله أكبرُ ـ أيها المسلمون ـ والموقف موقفُ محاسبةٍ ومعالجةٍ يتخلىٰ هؤلاءِ العربُ عن دينِهم وتنكشفُ سواءتُهم بينما يتسربلُ اليهودُ ويصرخون بحماس هائلٍ في كل محفلٍ دولي وإقليمي، وفي كلِّ لقاءٍ إعلاميٍ بأنهم أبناءُ التوراة وأبناء إسرائيلَ وأرض الميعاد لهم.

يقال ذلك أيها الإخوة. وإخوة لنا من فلسطين مبعدونَ[1] عن ديارهِم في العراء في الزمهريرِ القارس والجوعِ القاتلِ.

يقالُ ذلكَ وكثيرٌ من بلادِ المسلمين تُنْتَقَصُ، وحرماتُ أقلياتِهم تُنْتهكُ، وقضاياهم لا يُؤبَهُ لها.

يقال ذلك: وبعضُ المسلمين يزعمُ أنه يحي ذكرى الإسراءِ والمعراجِ. ناهيكَ بمنْ يحتفلون بأعيادِ الكفارِ[2].

أيها المسلمون: كيف دخلَ المسلمونَ بيتَ المقدس؟ لقد دخلوه حين كانوا في موكبِ أمير المؤمنينَ عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه، لقد أقبل هذا الموكبُ العمريُّ المتواضعُ من أعماق الصحراءِ يتألَّقُ جبينُهُ من آثارِ شعاعِ الوحيِ الخاتمِ، وتمشيْ في خطاه راياتُ التوحيدُ ومعالمُ الشريعةِ.

نعم لقد كان التواضعُ المذهلُ يكسو هذا الموكبَ المهيبَ المستكينَ للهِ ربِّ العالمين. هذا الرجلُ دخلَ بيت المقدسِ بعد أن

---

(١) هؤلاء مجموعة من الفلسطينين النشطين أبعدتهم إسرائيل إلى مرج الزهور في الشهر السادس من عام ١٤١٣هـ الموافق الشهر الثاني عشر من عام ١٩٩٢م. واستمر الابعاد حوالي سنتين.

(٢) صادف ذكرىٰ الإسراء عيد ميلاد المسيح عليه السلام.

قوَّضَ صرحَ الدولتينِ العظيمتينِ في العالمِ فارسَ والروم. يتحركُ بخَطواته المؤمنةِ مطرقَ الطَّرْفِ، خاشعاً لله، في رحلٍ رثٍّ، لسانُ حالِه يقولُ: (نحن العربَ كنا أذلَّ الناسِ فأعزنا اللهُ بالإسلامِ، فمهما ابتغينا العزَّ في غيرِه أذلنا اللهُ).

ما واجهوا الدنيا إلا بالقرآنِ، وما دانت لهم العروشُ إلا بالقرآنِ وما سُمِعَتْ كلمتُهم، ولا خَضَعتْ الرقابُ لهم إلا حين استمسكوا بالوحيِ، وما صحَّ لهم الذكرُ وما صدقتْ لهم الذِّكرىٰ إلا بالقرآن: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

ولما تخلوا عن ذكرِهم، وكانوا عن ذكرِهم معرضين أنكرتْهُم الأرضُ وتنكَّرَ لهم البشرُ، واستصغرتْهم الدُّنيا، وقَذَفَتْ بهم في ذيلِ القائمة.

أيُّ ذِكرىٰ يفهمُها هؤلاءِ الخلفُ من الإسراءِ والمعراجِ؟؟ ومن نبيِّ الإسراءِ والمعراجِ، وموطنِ الإسراءِ والمعراجِ.

عظماءُ الدنيا والشخصياتُ اللامعةُ في التاريخِ حين يذكرُها أصحابُها والمعجبون بها فإنما يذكرون تاريخ ميلادِها وتاريخَ وفاتِها كما قد يذكرون شواهدَ لعبقرياتها، ودلائلَ على مواهبها، إما بطولةٌ في معركة، وإما موقفُ نُبْلٍ في مجتمع، أو نصرٌ سياسيٌّ في ميدانٍ، ولا تعدو هذه الذكرى عندهم كلماتٍ تُحبَّرُ وعباراتٍ تُسطَّرُ، حفظاً لبعضِ الوفاءِ لهذه الشخصيةِ أو تلكَ.

وإنه لمن المحزن ـ والموقفُ موقفُ محاسبةٍ ومعالجةٍ ـ بل من الأسىٰ أن يَفْهَمَ المسلمون من سيرة نبيِّهم محمدٍ ﷺ وأيامِه ومغازيهِ هذا الفهمَ.

بهذا الفم المحدودِ لن يَجَنوْا إلا كما يجني أهل الدنيا من أمجادِ أصحابِهم ومُعَظَّميْهم.

ذكرُ محمدٍ ﷺ قد تولىٰ رفعَه ربُّه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

ذكرُ محمدٍ ﷺ عقيدةٌ في القلبِ وطمأنينةٌ في الصدرِ وعملٌ شاهدٌ حيٌّ. محمدٌ عليه الصلاة والسلام وسيرتُه غطَّتْ شُعَبَ الحياةِ كلَّها، في شجاعتها وسياستِها، وخُلُقِها ومنهجِها، هو القدوةُ في كلِّ شأنٍ، وهو الأُسوةُ في كلِّ حينٍ. تُسْتَمدُّ منهُ طهارةُ القلبِ من الإثمِ، وطهارةُ العقلِ من الخرافةِ، وطهارةُ العاطفةِ من الرِّجسِ.

ماذا في النفوسِ من دينِ محمدٍ ﷺ ؟ وماذا في الأخلاقِ من أخلاقه؟ وماذا في الأيدي من تراثِه؟.

أما كانوا قبلَه أشتاتاً من غيرِ جامعٍ؟ وهملاً من غير رابطٍ؟ وأحياءً على هامشِ الحياةِ من غير هدفٍ؟.

ذكرُ محمدٍ ﷺ لا يكون إلا باليقينِ التامِّ الجازمِ بأنه قرآنٌ يتلىٰ، وسنةٌ تقتفىٰ، ونهجٌ صالحٌ به يهتدى.

ذكرُ محمدٍ ﷺ مرفوعٌ في الأولينَ والأخرين، مأخوذٌ له الميثاقُ من جميعِ النَّبيِّنَ. مقرونٌ اسمُهُ باسم ربِّ العالمين، يعلو ذكرُه على المنابرِ والمنائر، في المحافلِ والمشاهدِ، والجوامعِ والمساجدِ. ليس خطيبٌ ولا مُتشهِّدٌ[1]، ولا صاحبُ صلاةٍ ولا

---

(١) هو من يتلفظ بالشهادتين.

أذانٍ إلا ويلهجُ بذكره الشريفِ عليه الصلاة والسلام.

طاعتُهُ مرتبطةٌ بطاعةِ اللهِ. صلى عليه ربُّه وملائكتُهُ، وبشَّرَ به النبيون من قبلِه. المؤمنونَ مأمورون بالصلاةِ والسلام عليه كلما ذُكِرَ اسمُه. خاطبهَ ربُّه بألفاظِ التكريم والتبجيلِ: (يا أيُّها المدثر، يا أيُّها المزملُ، يا أيها النبيُ، يا أيهَا الرسولُ). مرفوعٌ في الملأِ الأعلىٰ، ومرفوعٌ في الأرضِ في جميعِ الأرجاءِ. يُذكرُ حين يُكبَّرُ الله ويُعظَّمُ، ويُذْكرُ لئلا يطغىٰ على الناسِ مشاغلُ العيشِ وشهواتِ الدنيا. ومن زعم أنه يَذْكُرُ رسولَ الله ﷺ في غيرِ المقامات التي ذكرها فيه ربُّه فقد أتى بِدْعاً من الأمر.

ويَضْعفُ فقهُ بعضُ الناسِ حينَ يريدُ أن يُقارنُ شخصَ رسول الله ﷺ بغيرِهِ من شخصياتِ التاريخ، أو يريدُ أن يحيَ ذكراها كما يحي أهل الدنيا شخصياتِهم. الله سبحانه تولىٰ رفعةَ ذكرِهِ، فهل يتطاول أحدٌ ليزيدَ على هذه الرفعة.

يقول الإمام الشافعيُّ رحمه الله: (لم تمْس بنا نعمةٌ ظهرتْ ولا بطنتْ، نلنا بها حظاً في دينٍ أو دنيا، أو رُفِعَ عنا بها مكروهٌ في الدينِ أو في الدنيا إلا محمدٌ ﷺ سببُها).

أيها الإخوة: هذا نوعٌ من الذِّكرِ والذكرىٰ ولوْنٌ من الحسابِ والمراجعةِ.

وبقي ذكرٌ آخرُ يرتبطُ بهذا الذكرِ ومقرونٌ به في كتابِ اللهِ، كما يرتبطُ به لونٌ آخرُ من الحسابِ والمراجعةِ، إنه ذكرُ الأمة المحمدية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤]، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

نعم أيها المسلمون ـ إن الأمةَ في أيامِ محنتِها يجبُ عليها مراجعةُ نفسِها: ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، فيه شرفُكُم وصيتُكم وعلوُّ منزلتِكُم، تَشْرُفون بشرفِهِ، وتشتهرون بشهرته، فأنتم حملتهُ والحاكمون به، حملتم رسالته فشرَّقْتم بها وغرَّبْتم، جاهدتُم به فانتصرْتم، وغلبتُم به فَرَحمْتم، وحكمتُم فعدلتُم وسُسْتم به فأحكمتم، وتفجَّرت به لكم ينابيعُ العلومِ الصحيحةِ، والمعارفِ الحقةِ.

تعلَّمتْ به الأمةُ الصبرَ فهان العسيرُ، وتشرَّبتْ الشجاعةَ فضعف أمامها الخطيرُ، دَلَّها على الكرم فبذلت كلَّ نفيس، وترقَّت في العزةِ فسمتْ كلَّ مقامٍ مجيد. وتواضعتْ فتألَّفتْ كلَّ قلبٍ سليم.

ولما تخلوا عنه تخلت عنهم البشرية، فانحطَّ ذِكرُهم وصاروا شيعاً يتخطَّفُهم الناس، بينما كانوا ـ قبلاً ـ آمنين ويُتَخَطَّفُ الناسُ من حولهم.

وبعد أيها الإخوة: فإن ذكرَ الأمةِ وشرفَها، وإحياء ذكرى نبيِّها وأيامِه ومغازِيه، واستعادة الحقوقِ، واسترجاعَ الكرامةِ لا يكونُ إلا برفعِ السلاحِ المحمديِّ، فسلاحُ محمدٍ ﷺ هو الذي دكَّ حصون اليهودِ، وحطم قواهم، وهو الذي حققَ العدالة على وجه الأرضِ وبسطَ الأمنَ وأقامَ الحقَّ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨ ـ ٧١].

محاسبة ومعالجة
الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ وفي كلِّ حالٍ، حمداً يليقُ بذي العَظَمةِ والجلالِ، ويستدعى مزيدَالإحسانِ والإفْضالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه كريمُ المحْتَدِ وشريفُ الخِصال، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيرِ صحبٍ وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآل.

أما بعدُ: فهل يعلمُ المسلمون وأبناءُ المسلمين أن معركتَهم مع أعدائهم معركةُ دينٍ وعقيدةٍ، معركةُ قيمٍ وأخلاقٍ. لقد سترَ الأعداءُ وجوهَهُم الكاسرةَ بالنقابِ الخادعِ، وغطَّوْا أنيابَهم الكاشرةَ بمعاهداتِ الصداقةِ، وصاغوا الغصبَ والنهبَ بألفاظِ القانونِ ومصطلحاتِ الحقوقِ، سَمُّوا الاستعمارَ تَمَدُّناً والاغتصابَ انتداباً، وأنكروا بيعَ الرقيقِ وأحلوا بيعَ الشعوبِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

ألا فاتقوا الله عباد الله وراجعوا دينكم واستمسكوا بهدي نبيكم محمد ﷺ ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة الأسوة العظمى والقدوة العليا نبيكم محمد رسول الله فقد أمركم بذلك ربكم فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ اللهم صل وسلم وبارك على عبدك. . . .

محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ يبدىءُ ويُعيدُ، خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ يكورُ الليلَ على النهارِ ويكورُ النهارَ على الليلِ، أحصىٰ على الخلقِ أعمالَهم فهو بكلِّ شيءٍ محيط وعلى كلِّ شيءٍ شهيدٌ، أحمده سبحانه وأشكره وأسأله من فضلهِ المزيدَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الوليُّ الحميدُ. وأشهد أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولهُ دعا إلى اللهِ وهاجرَ في سبيلِ اللهِ وجاهدَ وصابرَ حتى أقامَ الملةَ ورفعَ رايةَ التوحيدِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ الهجرةِ والنُّصرةِ والتأييدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فاتقوا اللهَ أيها المسلمون حقَّ التقوىٰ، فالأعمارُ تُطوىٰ والأجيالُ تُفنىٰ والآجالُ تُقضىٰ، والمؤمِّلُ يقعدُ به أمله، والمسوِّفُ يعاجُلُه أجلُه. فاتقوا اللهَ وأحسنوا إن اللهَ يحبُّ المحسنين.

أيها الإخوةُ المسلمون: تتعاقبُ أمواجُ السنينَ على ساحلِ الحياةِ فتنفيْ الخبثَ، وتطرحُ الغثاءَ، وتركمُ الأحداثَ، ويزدادُ سجلُّ التاريخِ صفحةً بعدَ صفحةٍ، وابنُ آدمَ بأمرِ اللهِ محمولٌ على هذه الأمواجِ تتقاذفهُ من هنا وهناكَ. والفلكُ الدائرُ يتحركُ بإذن اللهِ فيلفِظُ القشرَ ويُصفِّي الأكدارَ، ويحفظُ اللُّبابَ.

في استقبالِ عامٍ وتوديعِ آخرَ تأملوا وتدبرَّوا، اقرأوا ما خطَّ

التاريخُ في صفحتِهِ التى طواها الدهرُ بالأمس. هل انْجلَتْ غواشي الغفلةِ عن العيونِ السَّادرةِ؟ هل ارتفعَ الذُلُّ عن النفوسِ العزيزةِ؟ هل اجتمعتْ القلوبِ المتنافرةُ؟ هل ملَّت النفوسُ الحَديثَ عن الآمالِ والبشائِرِ؟ هل لم تستفدْ من زمنِها وتقلُّبِ أيامِها إلا الجدلَ العقيمَ في تأييدِ رأيٍ وتفنيدِ آخر؟ هل هي خططٌ بالكلامِ وانتصاراتٌ بالأمانيْ والأحلامِ؟.

أيها الإخوةُ: من أجلِ إجاباتٍ شافيةٍ ونظراتٍ صادقةٍ أمام هذه التساؤلاتِ لابدَّ من وقفةِ محاسبةٍ جادةٍ، ومراجعةٍ دقيقةٍ، فلقد تفجَّرتْ في وجوهِ الأمةِ الأهوالُ واغبرَّتْ في عيونِها الآمالُ، بين أنَّاتِ الشاكي، ودموعِ الباكيْ وانكسارِ الجناح المهيضِ.

أيُّها الإخوةُ: إن وقفةَ الصدقِ مع النفسِ تقتضيْ المصارحةَ في المحاسبةِ ولو بغليظٍ من القولِ فإن الدواءِ مرٌ. هل للأمةِ أن ترجعَ في تاريخِها عشرين سنةً ماضيةً أو ثلاثين؟؟ ماذا جنتْ من نضالِها القوميِّ؟ وماذا كسَبَتْ من كفاحِها الوطني؟ وأين هي من تطلّعها التقدمي؟ ألفاظٌ ومصطلحاتٌ لاكتها الصحافةُ ولفظَ بها المفكرونَ والساسةُ؟؟؟ قبل ثلاثين سنةَ كان للأمةِ عدوٌ واحدٌ من خارجِها هُزمِتْ أمامَه في حربِ النكسةِ[1] كما اصطلحوا وها هي بعدَ ذلك أصبحتْ عدوةَ نفسِها، ارتدَّ سلاحُها إلى صدورِ أبنائِها، كانت هزيمتُها أمام عدوِّها بسببِ خلافاتها، وها هي أمام نفسِها يزدادُ خلافُها وتتشعبُ أهواؤُها وتتلونُ مصالُحها إنها الهزيمةُ الشنيعةُ

---

(١) هي الهزيمة التي لحقت بالعرب في حربهم مع اليهود في شهر صفر عام ١٣٨٧هـ الموافق يونيو ١٩٦٧م.

أمامَ التاريخِ والأجيالِ.

هل غَلُظتْ الحجبُ أمامَ أمةِ القرآنِ فلم تَعُدْ تعرفُ سننَ اللهِ في التغييرِ والتمكينِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

كانت الأمةُ حين النكسةِ تقول إنها ستتعلمُ الدرسَ وستفقَهُ من الحياةِ مالم تفقَهْ من الكتبِ، تقول في حينِه إن الأممَ الكبيرةَ هي التي تحولُ هزيمتَها إلى نصرٍ إنها التي تستلهِمُ من هزيمتِها المنكرةِ وسائلَ النصرِ واستعادة الكرامةِ، هكذا قال الكتابُ والساسةُ وبثت وسائلُ الإعلامِ في حينِه؟؟؟ لقد كانت الأمةُ تعرف أن سببَ نكستِها لأنها الأضعفُ في قواها، والأشدُّ في خلافاتِها، والأكثرُ هزالاً في تربيتِها. كانت تحدِّثُ نفسَها أن تعملَ ما في وسعِها لامتلاكِ عناصرِ القوةِ والوحدةِ في الصفِّ والهدفِ، في البناءِ والعلمِ والإصلاحِ. ولكن تمرُّ العشرون عاماً والثلاثون ولم تتعلمْ الأمةُ شيئاً، لم تزدد إلا تخلُّفاً، ولم تجنِ إلا تفرقاً ولم تحققِّ إلا هزائماً. بل جاءتْ الحروبُ التي تعرفونها، وهي حروبٌ بين أبنائها وليست حروباً مع أعدائها. حروبٌ شمطاءٌ لاهدفَ لها ولا غايةً، زادتْ النكساتِ وعمَّقتْ الانشقاقاتِ، فرجعتْ الأمةُ لتحطِّمَ نفسَها من داخلِها رافعةً شعاراتِها المتهالكةَ ومقولاتِها الكاذبةَ الخاطئةَ، فاجتمعَ عليها هزيمةُ الميدان وهزيمةُ الفكرِ والوجدانِ. وها هي صورٌ من المآسي ماثلةٌ في اليمنِ[1] وأفغانستانَ، واسمعوا

---

(١) الحرب التي بين جنوب اليمن وشماله في فترة إلقاء هذه الخطبة.

إلى الشعاراتِ التي يرفعُها هؤلاءِ وهؤلاءِ من الأطرافِ المتحاربةِ. وتحت هذه الشعاراتِ والراياتِ، يسقطُ الآلافُ من الأبرياءِ وينهدمُ الشامخُ من البناءِ، زيادةٌ في الخسائِرِ، وتهدمٌ من الداخلِ، وتراكمٌ في الديونِ، وتراكبٌ في الجهالةِ. وبلادٌ أخرىٰ من الصومالِ، والبوسنةِ تتضاءلُ أكثرُ فأكثرُ تحتَ سُحُبِ الخوفِ ووابلِ الجوعِ والفقرِ. وإن استمرَّ الحالَ كذلكَ فإن دياراً أخرىٰ سوفَ ينالُها ما ينالُها. والأشدُّ والأنكىٰ في حال التأملِّ هذا أن يتحولَ العدوُّ صديقاً وينقلبَ القريبُ الصديقُ عدواً لدوداً هذا هو نضالُهم، وذلكم هو تقدُّمُهم، ولا يزالون يردِّدون عاشتْ الوطنيةُ. وما تمزقت الأوطانُ إلا بأيديْهم.

أيُّها الإخوةُ: ومع هذه النظرةِ القاتمةِ والمحاسبةِ العنيفةِ فلتعلموا أنَّ الأمةَ بدينِها باقيةٌ وبذورُ الخيرِ فيها محفوظةٌ وعواملُ القوةِ فيها مستكنَّةٌ.

وإن الفجرَ الصادقَ قريبٌ بإذن اللهِ فجرُ صدقٍ ونصرٍ إذا أحسنت الأمةُ الاستفادةَ من دروسِها. كيف ذلك؟؟.

عشراتُ الملايينِ من المسلمين في الجمهوريات الإسلامية نفضتْ الغبارَ عن نفسِها حالَ ما تحطَّمَ جدارُ الشيوعيةِ، أظهروا دينَ اللهِ متعالياً من تحتِ الركامِ.

لقد سُجنتْ تلك الشعوبُ وطُمرتْ تحت الأطباقِ سبعين عاماً من أجلِ ألا يقولوا ربُّنا اللهُ.

وأفغانستانُ على الرغم مما نحملُ في قلوبِنا نحوهَم من لوم وعتَبٍ فإن تجربتَهم الجهاديةَ في هزيمةِ أعداءِ الإسلامِ قابلةٌ

للإعادةِ. ومسلموا ألبانيا وبلادِ البلقان وأوروبَّا الشرقيةِ زالتْ عنهم الحجبُ فتعالىٰ إسلامُهم، وثمتْ شعوبٌ أخرىٰ اضطُهِدتْ في دينِها فهي في حالِ تململٍ وضجرٍ.

يجبُ أن نعيَ أن هذه أحداثٌ وانتصاراتٌ حقيقيةٌ، وطريقٌ في التأمِّلِ والتصحيح صحيحٌ. إن الأمةَ مصرةٌ على التمسكِ بهويتِها، والعضِّ على انتمائِها إلى عقيدتِها.
لقد أثبتتْ حنينَها لأصولِها، وتمسُّكَها بجذورِها.

إن المدَّ الإسلاميَّ يتجذَّرُ في البلادِ الإسلاميةِ ويتعمقُ في شعوبِها، ويستشرفُ لتصحيح الكثيرِ من أوضاعِها من خلالِ الإسلامِ وتعاليمِه وتطبيقِه، وذلك جليٌّ فيما تعيشُهُ تلكَ الشعوبُ من مظاهرِ الحياةِ في الدينِ وحسنِ السلوكِ.

موقفُ المحاسبةِ ونظرُ التأملِ يؤكدُ أن المسلمينَ الصادقينَ لا تتزعزعُ فيهم الثقةُ بأن المستقبلَ لهذه الدعوةِ التي آمنوا بها، وما عليهم إلا أن يَنْهضوا بحقوقِ هذا الدينِ، ويثبتوا على صراطِه المستقيمِ مهما تكاثرتْ المحنُ أو ترادفتْ الفتنُ، يقينٌ جازمٌ بأن نصرَ اللهِ للمؤمنينَ حقٌ ولو كان الواقعُ المشاهدُ يستبعدُها، والظرفُ الراهنُ يرتابُ فيها: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]. نعم يؤمنون بنصرِ اللهِ لهم ولو طالَ الأمدُ وامتدَّ السُّرىٰ.

المسيرةُ الصحيحةُ والسَّيرُ على الجادةِ يقتضي أن يؤديَ المؤمنُ واجبَهُ في دينِ اللهِ من غيرِ تعجُّلٍ للنصرِ، فليس الأمرُ متعلقاً بفوزِه الشخصيِّ، أو اندحارِ عدوِّه الحاضرِ، فمن يدريْ فلربَّما تحولَ

هذا الخصمُ إلى صديقٍ مؤمنٍ يعتزُّ به دينُ اللهِ.

المؤمنون يعملون ويغرسون، وإنهم ليرقبونَ ثمارَ غرسِهم في المستقبلِ القريبِ أو البعيدِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

المؤمنونَ يدعونَ إلى اللهِ، ويعملونَ من أجلِ دينِه من غيرِ أن يخُامرَهم قنوطٌ أو يُداخلُهم شكٌ، ولن يسأمُوا تكاليفَ الجهادِ ومعاناةَ الصبرِ والمصابرةِ ولو كلَّفهم ذلك الهجرةَ والاستشهادَ والتضحيةَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤١ ـ ٤٤].

محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ أجزلَ لنا النعمَ ظاهراً وباطناً، أحمده سبحانه واشكره لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد ألا إله إلا الله لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أوضحَ السبيلَ وأنارَ الطريقَ ودلَّ على الخير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلامِ الهدىٰ ومصابيحِ الدجىٰ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين.

أما بعد فاتقوا الله أيها المسلمون:

ولئن كانت الهجرةُ نصراً وعزاً فقد وقعَ في هذا الشهرِ نصرٌ آخرُ لنبيٍ من أنبياءِ اللهِ أمَرنا نبيُّنا محمدٌ ﷺ أن نشكرَ اللهَ عليهِ ونفرحُ بهذا النصرِ، فحينما قدمَ صلى الله عليه وسلم المدينةَ رأىٰ اليهودَ تصومُ يومَ عاشوراء فقال: ما هذا اليومُ الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم ظهرَ فيه موسىٰ على فرعونَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**أنتم أحق بموسىٰ منهم فصوموا**»[1].

ومن لطيفِ المعنىٰ أيها المسلمون: أن نبيَّنا محمداً ﷺ حين قال لصاحبِه في مُهاجرِه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس
أخرجه البخاري (٨/ ١٩٨ ـ ح٤٦٨٠) واللفظ له، ومسلم (٢/ ٧٩٥ ـ ح١١٣٠).

كان كليم الله موسىٰ عليه السلامُ قد أجابَ قومَه حين قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢] قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ [الشعراء: ٦٣ ـ ٦٧].

فهو يومُ نصرٍ للحقِّ أُمرنا بصيامِه فنحن أحقُّ بموسىٰ من بني إسرائيلَ. يقولُ ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح مسلم: «**ما علمتَ أنَّ رسول اللهِ ﷺ صامَ يوماً يطلبُ فضلَه على الأيامِ إلا هذا اليومَ يعني يومَ عاشوراء... الحديث**»[1].

وفي الصحيح أيضاً عن أبي قتادةَ رضي الله عنهُ أن النبي ﷺ قال: «**صومُ يومَ عاشوراءَ يكفرُ السنةَ الماضيةَ**»[2]، فبادروا إلى صيامِه رحمكمُ اللهُ، ومن كان صائماً فليصمْ يوماً قبلُه أو يوماً بعدَهُ مخالفةً لليهودِ كما أرشدَ إلى ذلك المصطفىٰ ﷺ.

وإن من أحاديثِ التأملِ وعبرِ الدروسِ حديثَ الهجرةِ هجرةِ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم وصحبِه، هجرةٌ لم تكن هروباً ولا يأساً، ولم تكن ذُلاً ولا ضعفاً، ولكن إذنٌ من اللهِ وتدبيرٌ أعقبهُ نصرٌ وفتحٌ مبينٌ، وصاحبَه تحملٌ وصبرٌ، وتضحيةٌ بالأموالِ والأوطانِ.

أيُّها الإخوةُ: ليس المقامُ مقامَ سردٍ ولا طولَ وقوفٍ، ولكنه

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٩٧ ـ ح١١٣٢)، وأحمد ١/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨١٩ ـ ح١١٦٢)، وأحمد (٥/ ٣٠٨)، والترمذي (٣/ ١٢٦ ـ ح٧٥٢)، وابن ماجه (١/ ٥٥٣ ـ ح١٧٣٨).

أمرٌ واحدٌ يحسُنُ الوقوفُ عندَه وتدبُّرُهُ؛ لقد قال الله سبحانه مخاطباً الأمة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]. هل تعلمون متى نزلتْ هذه الآيةُ على رسولِ اللهِ ﷺ ؟؟ إنها لم تنزلْ وقتَ الهجرةِ، ولم تنزلْ بعدها مباشرةً، ولكنها نزلتْ بعد مضيِّ تسعِ سنين، نزلتْ تخاطبُ المؤمنينَ حين دعاهم نبيُّهم لقتالِ الرومِ فكأن بعضهم وجدَ في نفسِه تثاقلاً.

إن الهجرةَ درسٌ للمتثاقلين والمُبطِّئين ليعملوا أن النصرَ من عندِ اللهِ فليس هو بالقلةِ ولا بالكثرةِ، وإن كان الاستعدادُ مطلوباً، لقد كان عزاءُ النبيِّ المهاجرِ لصاحبِه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعبرةُ الهجرة تقول: من فرَّطَ في جنبِ اللهِ كيف يستنزلُ نصر الله؟؟؟.

سلعة الله الغالية

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ جعلَ جنةَ الفردوسِ لعبادِهِ المؤمنينَ نُزُلاً، ويسَّرَ المكلفينَ للأعمالِ وهداهم النجدينِ ليبلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً.

أحمدُه سبحانهُ وأشكرهُ وأتوبُ إليه وأستغفرُهُ، أرسلَ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ وأقامَ الحجةَ على خلقهِ فهو لم يخلقْهُم عبثاً ولا سدىً ولم يتركهم هملاً. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدُه لا شريكَ لهُ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه دعا إلى الحقِّ وأوضحَ المحجةَ فلا نَبْغِي عن مَحَجتِهِ بَدَلاً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزوجه وذريته وصحبِه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ اتقوا اللهَ حقَّ تقاتِه، وسارِعوا إلى مغفرةِ ربِّكم ومرضاتِه، وأجيبوا الداعيَ إلى دارِ كرامتِه وجناتِه، والعمرُ سريعُ الذهابِ بساعاتِه وأوقاتِه.

أيها المسلمون: الحديثُ عن النعيمِ المقيمِ، والإيمانُ الراسخُ بالنُّزُلِ الكريمِ من الغفورِ الرحيمِ هو سَلوةُ الأَحزانِ وحياةُ القلوبِ وحادْي النفوسِ ومهيجُّها إلى ابتغاءِ القربِ من ربِّها ومولاها. الحديثُ عن النَعيمِ والرضوانِ لا يسأمُهُ الجليسُ ولا يملُّه الأنيسُ.

عزَّتْ دارُ الفردوسِ من دارٍ، وجلَّ فيها المُبْتغىٰ والمرامُ، دارٌ وجنانٌ تبلغُ النفوسُ فيها منيتَها ومُناها. غرفٌ مبنيةٌ طابتْ للأبرارِ

منازلُها وسكناها. جلَّ وتقدَّسَ من سَوَّاها وبناها، غرسها الرحمنُ بيدِه، وجعلها مستقراً لأهله وخاصتِه، وملأها برضوانِه ورحمتِه، فيها الفوزُ العظيمُ والملكُ الكبيرُ والنعيمُ المقيمُ. ولَمَوْضعُ سوطٍ فيها خيرٌ من الدنيا وما فيها: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أيها الإخوةُ: وهذا حديثُ ذكرىٰ وتذكيرٍ من آي الكتابِ وخبرِ سيِّدِ الأخيارِ والأحبابِ نبيِّنا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ عما أعدَّه ربُّنا جلَّ وتقدَّسَ لعبادِه المتقينَ من جناتٍ وعيونٍ ومقامٍ كريمٍ.

أيها الإخوة: يحشرُ المتقون إلى الرحمنِ وفداً، ويساقون إلى الجنة زمراً. لقد وجدوا ما وعدَهم ربُّهم حقاً، رضي عنهم ورضوا عنه. ناداهم عزَّ جلالُه: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ ـ ٧٠].

أولُ زمرةٍ منهم يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ثم الذين يلونُهم على أشدِّ كوكبٍ دريٍّ على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ على صورةِ أبيهم آدمَ لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، قلوبُهم على قلبِ واحد يسبحون اللهَ بكرةً وعشياً ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

يناديهم المناديْ: لكم النعيمُ سرمداً، تحيون ولا تموتون أبداً، وتَصحُّون ولا تَمْرضُونَ أبداً، تَشِبُّون ولا تهرمون أبداً، وتَنْعَمُونَ ولا تبأسونَ أبداً، يَحِلُّ عليكم رضوانُ ربِّكم فلا يسخطُ أبداً.

جناتُ عدنٍ يدخلونها، غُرُفَاتُها من أصنافِ الجوهرِ كلِّه، يُرَىٰ

باطنُها من ظاهرِها وظاهرُها من باطنِها، فيها من النعيمِ واللذائذِ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ. اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣٤].

رياضُها مَجْمَعُ المتحابِّين، وحدائقُها نزهةُ المشتاقينَ، وخيامُها اللؤلؤية على شواطىءِ أنهارها بَهجةٌ للناظرين، عرشُ الرحمنُ سقفُها، والمسكُ والزعفرانُ تربتُها، اللؤلؤُ والياقوتُ والجوهرُ حصباؤها، والذهبُ والفضةُ لبناتُها: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠]. عالياتُ الدرجاتِ في عالياتِ المقاماتِ، بهيجةُ المتاعِ، قصرٌ مشيدٌ وأنوارٌ تتلألأُ، وسندسٌ واستبرقٌ، وفاكهةٌ كثيرةٌ لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ، وفرشٌ مرفوعةٌ، هم فيها على الأرائكِ متكؤُنَ. ظلُّها ممدودٌ، وطيرُها غير محدودٍ، فاكهةٌ مما يتخيرون، ولحم طيرٍ مما يشتهون. قطوفُها دانيةٌ للآكلينَ، وطعمُها لذةٌ للطاعمين. قد ذُلِّلتْ قطوفُها تذليلاً.

نعيمُ البدنِ بالجنانِ والأنهارِ والثمارِ. ونعيمُ النفسِ بالأزواجِ المطهرةِ، ونعيمُ القلبِ وقرةُ العينِ بالخلودِ والدوامِ، عَيشٌ ونعيمٌ أبدَ الآبادِ، عطاءٌ من ربِّك غيرُ مجذوذٍ.

فيها أزواجٌ مطهرةٌ، خيراتٌ حسانٌ الوجوهِ، جمعنَ الجمالَ الباطنَ والظاهرَ من جميعِ الوجوهِ. في الخيامِ مقصوراتٌ، وللطرفِ قاصراتٌ، تَقْصُرُ عن حسنِهنَّ عيونُ الواصفينَ: ﴿عُرُبًا

أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة: ٣٧، ٣٨]، لا يفنىٰ شبابُها، ولا يبلىٰ جمالُها: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن: ٥٦] لو اطلعتْ احداهُنَّ على الدنيا لملأتْ ما بينَ الأرضِ والسماءِ ريحاً وعِطراً وشذىً، ولطمستْ ضوءَ الشمس كما تطمسُ الشمسُ ما في النجوم من ضياءٍ. حورٌ عينٌ راضياتٌ لَا يسخطْنَ أبداً، ناعماتٌ لا يبأسْنَ أبداً، وخالداتٌ لا يزُلنَ أبداً.

أصحابُ الجنةِ يلبسون من سندسٍ واستبرقٍ متقابلين، ويُحَلَّون من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤا، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الدهر: ٢١]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤]. يجتمعون في ظلِّها الظليلِ يتنازعون فيها كؤسَ الرحيقِ المختوم والتسنيم والسلسبيلِ، تتوالىٰ عليهم المسراتُ والخيراتُ والإحسانُ والمكرماتُ.

نُزِعَ من قلوبهم الغلُّ وطُردَ عنهم الحزنُ والهمُّ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

هدوءٌ ورضا يغمرُه السلامُ والاطمئنانُ، والودُّ والأمانُ، يبلِّغُهم ربُّهم السلامَ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]، والملائكةُ يدخلونَ عليهم من كلِّ بابٍ بالسلام: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٤]. وخزنةُ الجنةِ يحيُّونَهم بالسلامِ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

في جناتِ عدنٍ ياتلفُ شملُهم مع الصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر: ٤٧]. وفي جوِّ التجمع والتلاقي تُناديْ الملائكةُ بالتكريم والترحيب: ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل: ٣٢].

وهل ترى نعيماً ـ يا عبدالله ـ فوقَ هذا النعيم؟؟؟.

نَعمْ لقد بقيَ بعد الحسنىٰ الزيادةُ؛ فهذا هو يومُ المزيدِ فاستمعْ يومَ ينادي المنادي: ياأهلَ الجنةِ إن ربَّكم تبارك وتعالىٰ يستزيرُكم: (أي يطلبُ زيارتكم) فحيَّ على الزيارةِ فينهضونَ إلى الزيارةِ مبادرين؛ فإذا بالنجائبِ قد أُعدَّتْ لهم حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأَفْيَح نُصِبْت لهم منابرُ من نورٍ ولؤلؤٍ وزبرجدٍ وجلسوا على كثبانِ المَسكِ؛ ثم يناديْ المناديْ: ياأهل الجنةِ: سلام عليكم ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

يا أهلَ الجنةِ هذا يومُ المزيدِ؛ ثم يكشفُ الربُّ الحُجُبَ ويتجلَّىٰ لهم فيغشاهم من النورِ ما يغشاهم.

فيا قرة عيونِ الأبرارِ بالنظرِ إلى الوجهِ الكريم في الدار الآخرةِ، ويادِلَّةَ الراجعينَ بالصفقةِ الخاسرةِ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ۝٢٥﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٥].

أيها الإخوة: هؤلاء هم أصحاب الحسنىٰ وزيادةٍ: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٩]، يصلون بالليلِ والناسُ نيامٌ،

ويصومون وغيرهم يأكلُ، وينفقون وغيرهم يبخلُ، ويقاتلون وغيرُهم يتقاعسُ ويجبنُ.

أولئك هم عبادُ اللهِ حفظوا وصيةَ اللهِ، ورعوا عهدَه، بربِّهم يؤمنون، وبربِّهم لا يشركون، وهم من خشيتِهِ مشفقون، استجابوا لربِّهم وأقاموا الصلاةَ وأنفقوا سراً وعلانيةً في السراءِ والضراءِ، يؤتون ماآتوا وقلوبُهم وجِلَةٌ، يجتنبون كبائرِ الإثمِ والفواحشَ، إذا ذُكرَ اللهُ وجِلَت قلوبُهم وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادَتهمْ إيماناً وعلى ربِّهم يتوكلون، عن اللغوِ معرضون، وللزكاةِ فاعلون، ولفروجِهم حافظون، إلا على أزواجِهم أو ماملكت أيمانُهم فإنهم غيرُ ملومين. لأماناتهم وعهدِهم راعون. طالما تعبتْ أجسادُهم من الجوعِ والسهرِ، واستعدوا من الزادِ بما يكفي لطويلِ السفرِ، عَثَراتُهم تَجريْ وفي قلوبِهم مُعتبرٌ، كَثُرَ استغفارُهم فحُطَّتْ خطاياهم، وكلَّ ما طلبوا من ربِهم أعطاهم، فسبحان من اختارهم واصطفاهم، (إنهم عبادُ اللهِ المخلَصون)، فيهم الشهيدُ المحتسبُ والعفيفُ المتعففُ، والسلطانُ المقسطُ، والضعيفُ المتضعفُ المتواضعُ ذو الطمرين مدفوعٌ بالأبواب لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ[1]. أقوام يقطرون نزاهةً، أفئدتُهم مثلُ أفئدةِ الطيرِ، فيهم الذين لا يرقون ولا يسترقونَ ولا يتطيرونَ وعلى ربهم يتوكلونَ، متحابُّون في جلالِ اللهِ، فيهم صاحبُ القرآنِ يقرأُ ويرتلُ ويرتقيْ، فيهم تاركُ المراءِ ولو كان مُحقاً، وتاركُ الكذبِ ولو كان مازحاً، وبيتٌ في

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (١١/ ٥٥٠ ـ ح٦٦٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٩٠ ـ ح٢٨٥٣، ٢٨٥٤).

الجنةِ لمن حَسُنَ خلُقُهُ يكظمُ الغيظَ ويعفوُ عن الناسِ واللهُ يحبُّ المحسنينَ. فيهم من أطعمَ الطعامَ وأفشى السلامَ وَصلىٰ بالليلِ والناسُ نيامٌ، خافَ مقامَ ربِّه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ. جنةُ ربِّي لكلِّ أوابٍ حفيظٍ من خشي الرحمٰن بَالغيبِ وجاءَ بكلِّ قلبٍ منيبٍ. عيونٌ تبكيْ من خشيةِ اللهِ، وعيونٌ تحرِسُ في سبيلِ اللهِ، يخافونَ من ربِّهم يوماً عبوساً قمطريراً فوقاهم اللهُ شرَّ ذلك اليومِ ولقَّاهُم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً.

الله أكبر أهل الجنانُ والغُرفاتِ أقوامٌ آمنوا بالله وصدَّقُوا المرسَلين: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

ألا هلْ من مشمرٌ إلى الجنةِ ـ ياعبادَ اللهِ ـ قولوا كما قالَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ: نحنُ المشمِّرون إن شاءَ اللهُ.

اللهم إنا نسألكُ رضاكَ والجنةَ ونعوذ بكَ من سخطكَ والنارِ، اللهم إنا نسألُك الجنةَ وما يقرِّب إليه من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بكَ من النارِ وما يقرِّبُ إليها من قولٍ وعملٍ.

اللهم إنا نسألك نعيماً لا ينفدُ وقرةَ عينٍ لا تنقطعُ، ولذة النظرِ إلى وجهكِ الكريم والشوقِ إلى لقائكَ في غيرِ ضراءَ مضرةٍ ولا فتنةٍ مضلةٍ، استجبْ اللهم ياربَّ العالمين.

سلعة الله الغالية
الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ رضيَ من عبادهِ اليسيرَ من العملِ، وتجاوزَ لهم عن الكثيرِ من الزللِ، وخصَّ من شاءَ بهدايتهِ وتوفيقهِ نعمةً منه وفضلاً. أحمدهُ سبحانهُ وأشكرهُ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ شهادةَ مؤمنٍ بها آخذٍ بمقتضاها قولاً وعملاً. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ رحمةٌ العالمين، وقدوةُ السامعين وحجةُ السالكينَ لا نبتغي إلى السعادةِ بغيرِ طريقهِ أملاً.

صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فقد سألَ الصحابيُّ الكريمُ الفقيهُ بالحلالِ والحرامِ ومبعوثُ رسولِ الله ﷺ في التعليمِ والقضاءِ والفتيا معاذُ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: «قلت يارسول الله أخبرني بعملٍ يدخلُني الجنةَ ويباعدُني عن النارِ؟ قال: **لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه يسيرٌ على من يسرُه اللهُ عليه؛ تعبدُ اللهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ وتؤْتي الزكاةِ وتصومُ رمضانَ وتحجُّ البيتَ، ثم قالَ: ألا أدلُّك على أبوابِ الخيرِ؟ الصومَ جنةٌ والصدقةُ تطفىءُ الخطيئةَ كما يطفىءُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ في جوفِ الليلِ** ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]، ثم قال: **ألا أخبرُكَ برأسِ الأمرِ وعمودِه وذُروةِ سنامِه؟** قلتُ: بلىٰ

يارسولَ اللهِ. قال: **رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ في سبيلِ اللهِ. ثم قال: ألا أخبرُك بملاكِ ذلكَ كلِّه؟** قلتُ: بلىٰ يانبيَّ اللهِ فأخذَ بلسانه وقال: **كُفَّ عليكَ هذا**. قلتُ: يانبيَّ اللهِ وإنا لمؤاخذون بما نتكلَّمُ به فقال: **ثكلتكَ أمُّكَ يامعاذُ؛ وهل يُكبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهم أو قال على مناخرِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم»**[1].

أيها الإخوةُ: هذه هي الجنةُ وهذا هو سبيلُها فهل رأيتُمْ أشدَّ غبناً ممن يبيعُ الجنانَ العاليةَ بحياةٍ أشبهَ بأضغاثِ أحلامٍ، يبيعُ الفردوسَ بدنيا قصيرةٍ وأحوالٍ زهيدةٍ مشوبةٍ بالنقصِ ممزوجةٍ بالغصصِ. حياةٍ حقيرةٍ إنْ اضحكَتْ قليلاً أبكتْ كثيراً، وإن سرَّتْ أياماً أحزنتْ دهوراً، أيُّ سفهٍ وأيُّ عتهٍ ممن يبيعُ مساكنَ طيبةً في جناتِ عدنٍ بأعطانٍ ضيقةٍ وخرابٍ بورٍ؟؟؟ فياحسرةَ هذا المتخلفِ حين يعاينُ كرامةَ اللهِ لأوليائِه وما أخفىٰ لهم من قرةِ أعين فلسوفُ يعلمُ أيَّ بضاعةٍ أضاعَ؟؟؟.

فاتقوا الله رحمكُم الله وبادرُوا وشمِّروا، واعملوا وأحسِنُوا وأبشروا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٣ ـ ح٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ـ ح٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١).

النار أهلها وأهوالها

الخطبة الأولى

الحمد لله وكفىٰ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأسبحُه وأقدسُه، لم يَزَلْ بنعوت الجلالِ والكمالِ متصفاً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له مُقراً بواحدنيته ومعترفاً، وأشهد أن سيدِّنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المجتبىٰ والرسولُ المصطفىٰ، أكرمُ البريةِ أصلا ومحتداً، وأزكاها فضلاً وشرفاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه السادةِ الحنفاءِ، أهل البرِّ والصدقِ والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفىٰ.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسيْ بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللهِ، اتقوا يوماً الوقوفُ فيه طويلٌ، والحسابُ فيه ثقيلٌ.

أيها الإخوةُ المسلمون: كلُّ نفس لاتحملُ إلا حِمْلَها، ولا تكسبُ إلا عليها، ولا تزِرُ وازرةٌ وزرَ أخرىٰ، ولسوفَ تأتي كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسها.

أهلكتْ كثيراً من الناس الأمانيُّ، إيمانٌ بلا أثرٍ، وقولٌ بلا عملٍ، ترى فيهم رجالاً ولَا ترىٰ عقولاً، وتسمعُ حسيساً ولا ترىٰ أنيساً، عرفوا ثم أنكروا، وحرَّموا ثم استحَلُّوا. يقولُ الحسنُ البصريُّ رحمه الله: أمؤمنٌ بيومِ الحسابِ هؤلاءِ؟ كلاَّ، كذبوا ومالكِ يومِ الدين؟؟؟.

لا يدخلُ الجنةَ إلا من يرجوها، ولا يسلمُ من النارِ إلا من يخافُها، ورودُ النار متيقنٌ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١] ولكن هل الخروج منها متيقنٌ؟؟.

أين الخوفُ من هولِ ذلكَ المورِدِ؟ ومن تُرىٰ بالنجاةِ والفَكاكِ يَحْظى ويَسْعَد؟؟ يقول موسىٰ بن سعدٍ: «كنا إذا جلسنا إلى سفيانَ كأنَّ النارَ قد أحاطت بنا لما نرىٰ من خوفِه وجَزَعِه». من خاف أدْلجَ ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٦ ـ ٢٨] حقاً وصدقاً إن هُدىٰ الله ورحمتَه للذين هم لربِّهم يرهبون.

أيُّها الإخوةُ في اللهِ: وهذا حديثُ ذكرىٰ وتذكيرٍ، وإنذارٍ وتخويفٍ عما أخبر به الكتابُ وصحَّتْ به الأخبارُ عن رسولِنا محمدٍ ﷺ من الوعيدِ للمكذبينَ، والخوفِ على المقصرين، حديثٌ عن النار وأهلِها وأهوالِها أعاذنا الله منها بمنِّه وكرمه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

يقولُ الحسنُ البصري رحمه الله: «واللهِ ما صدَّقَ عبدٌ بالنارِ إلا ضاقتْ عليه الأرضُ بما رحبُتْ، وإنَّ المنافقَ لو كانتْ النارُ خلفَ ظهرِه ما صدَّق بها حتىٰ يَتَجَّهمَ[1] في دَرَكِها. واللهِ ما أُنذِرَ العبادُ

---

(١) يتجهم: أي يقع.

بشيءٍ أدهىٰ منها»: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤ ـ ١٦]. إنها نارُ السعيرِ، لا ينامُ هاربُها، وجنةُ الفردوسِ لا ينامُ طالبُها.

الخوفُ من النار فَلَذَ أكبادَ الصالحين: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر: ٣٥ ـ ٣٧].

ألم تعلموا أن التخويفَ من النارِ نالَ الملائكةَ المقربين والأنبياءَ المرسلين، اقرؤا في شأن الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩]، واقرؤا في حقِّ الأنبياءِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٣٩].

أيها الناس: اتقوا النارَ، اتقوا النارَ، اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ اتقوا النارَ بكلمةٍ طيبةٍ. أكثرُوا من ذكرِها، واعملوا للنجاةِ منها: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦]. النارُ شرُّ دارٍ، وعذابُها شرُّ عذابٍ، حرها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، ومقامعُها حديدٌ، يهوي الحجرُ من شفيرِها سبعين خريفاً ما يُدْرِكُ قعرَها. مسالكُها ضيقةٌ، وموارِدُها مُهلِكةٌ، يُوقَدُ فيها السعيرُ، ويعلو فيها الشهيقُ والزفيرُ، أبوابها مؤصدةٌ، وعَمَدُها ممدَّدَةٌ، يرجعُ إليها غمُّها، ويزدادُ فيها حرُّها، هي غضبُ الجبارِ ورِجْزُه، وسَخَطُهُ ونِقْمَتُهُ.

جثَتْ الأممُ على الرُّكبِ، وتبيَّن للظالمين سوءُ المُنقلبِ، انطلق المكذبون إلى ظلٍّ ذي ثلاثِ شعبٍ، لا ظليلٍ ولا يغني من اللهبِ، وأحاطتْ بهم نارٌ ذاتُ لهبٍ، سمعوا الزفيرَ والجرجرَةَ، وعاينوا التغيُّظَ والزمجرةَ، ونادتهم الزبانيةُ: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النحل: ٢٩]، الهاوية تجمعُهم، والزبانيةُ تقمعُهم، في مضايقِها يتجلجلونَ، وفي دركاتِها يتحطمون. ترىٰ المجرمينَ مقرَّنينَ في الاصفادِ، سرابيلُهم من قطرانٍ، وتغشىٰ وجوهَهُم النارُ. الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ يسحبون، وبالنواصي والأقدامِ يؤخذونَ، وفي الحميمِ ثم في النارِ يُسجَرون.

يُصبُّ من فوقِ رؤوسَهم الحميمُ، يُصهرُ به ما في بطونِهم والجلودُ ولهم مقامعُ من حديدٍ. مقامعُ فوق رؤوسِهم. تُكوىٰ جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهم. ﴿ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القمر: ٤٨] طعامُهم الزقومُ والضريعُ، لا يسمنُ ولا يغني من جوعٍ. شرابُهم الحميمُ والغساقُ والماءُ الصديدُ، يَشوْي الوجوهَ ويُقَطِّعُ الأمعاءَ، ويملأُ البطونَ: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر: ٣٧] ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ ﴾ [النساء: ٥٦].

يتمنون الموتَ والهلاكَ، ولكن أين المفر؟ ومتى الفكاك؟.
﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

ثم يعلو شهيقُهم، ويزدادُ زفيرُهم، وقد حيلَ بينهم وبين ما يشتهونَ، فيعظمُ يأسُهم، ويرجعون إلى أنفسهم ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢١]. نعوذ بالله ربِّنا من غضبِه وأليم عقابِه وعذابِه.

أيها الإخوةُ: هذه أخبارُ صدقٍ عن جهنمَ ولظىٰ، وأنباءُ حقٍ عن السعيرِ والحُطمةِ، والله لتملأنَّ والله لتملأنَّ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

فويلٌ لكلِّ مشركٍ ومشركةٍ، وويلٌ لكل خبيثٍ وخبيثةٍ ممنْ طغىٰ وبغىٰ وآثر الحياةَ الدنيا، ولم يؤمنْ بيوم الحسابِ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]﴿حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٣]، لا يؤمنُ بالله العظيم ولا يحضُّ على طعام المسكينِ، لم يكُ من المصلينَ، ولم يكُ يُطعم المسكينَ، يخوضُ مع الخائضين، ويكذبُ بيومِ الدين. هؤلاء هم أصحابُ الجحيمِ عياذاً بالله.

عبادَ الله: النارُ موعودٌ بها مدمنُ الخمرِ وقاطعُ الرحمِ والمصدِّقُ بالسحرِ والمنَّانُ والنمامُ، وما أسفلَ الكعبينِ من الإزارِ ففي النارِ[1]، موعود بها الذين يكنزون الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونها في سبيلِ اللهِ، ومن أشدِ الناسِ عذاباً طائفتانِ المصورونَ الذين يضاهؤن خلقَ اللهِ[2]، والذينَ يعذبون الناسَ في الدنيا.

يا ترىٰ ما حال المرائين من القراءِ والعلماءِ والمجاهدين؟ يأمرون بالمعروفِ ولا يأتونه، وينهون عن المنكرِ ويأتونه، يقولون ما لا يفعلون إذا وَعَظوا عنَّفوا وإذا وُعِظوا أَنِفُوا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٦٨ ـ ح٥٧٨٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٨٣ ـ ح٣٥٧٣)، وأحمد (٢/ ٤٦١)، (٥/ ٩).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (١٠/ ٤٠٠ ـ ح٥٩٥٤)، ومسلم (٣/ ١٦٦٨ ـ ح٢١٠٧).

وأصنافٌ من القضاةِ في النارِ، ومن غَشَّ رعيتَهُ فهو في النار[1]، ومن بايعَ إمامَه لا يبايعُه إلا لدنيا فإن أعطاهُ منها وفَىٰ وإن لم يعطَ لم يفِ[2]، ومن اقتطع مالَ أخيه بيمينٍ فاجرةٍ فليتبوأْ مقعَدَه من النارِ[3]. والذي يشربُ في آنيةِ الذهبِ والفضةِ فإنما يُجَرْجِرُ في بطنِهِ نارَ جهنَّم[4]. والذين يأكلون أموالَ اليتامىٰ ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

وويلٌ لأكَلَةِ الرِّبا ثم ويلٌ لأكلةِ الرِّبا، وكلُّ جسدٍ نبتَ من سحتٍ فالنارُ أولى بهِ[5].

وصنفانِ من أهل النارِ، قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ، والكاسياتُ العارياتُ المائلاتُ المميلاتُ على رؤوسِهنَّ كأسْنِمَةِ البختِ لا يدخلْن الجنةَ ولا يجدْنَ ريحَها[6]. والنائحةُ إذا لم تتبْ تقامُ يومَ القيامةِ وعليها سربالٌ من قطرانٍ ودرعٌ من جربٍ[7]. والمكرُ والخداعُ في

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١٣/ ١٣٦ ـ ح٧١٥١)، ومسلم (١/ ١٢٥ ـ ح١٤٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكر أخرجه البخاري (٥/ ٤٢ ـ ح٢٣٥٨)، ومسلم (١/ ١٠٣ ـ ح١٠٨) واللفظ له.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري (٥/ ٨٨ ـ ح٢٤١٦، ٢٤١٧)، ومسلم (١/ ١٢٢ ـ ح١٣٧، ١٣٨).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٣٥ ـ ح٢٠٦٥) واللفظ له والبخاري (١٠/ ٩٨ ـ ح٥٦٣٣) [دون قوله الذهب].

(٥) سبق تخريجه في خطبة الرشوة ص١٢٠.

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٢ ـ ح٢١٢٨)، وأحمد (٢/ ٣٥٦، ٤٤٠).

(٧) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري (٢/ ٦٤٤ ـ ح٩٣٤)، وأحمد (٥/ ٣٤٣، ٣٤٤).

النارِ[1] ، والفجورُ يهدي إلى النارِ[2] ، وشرُّ الناس منزلةً عند اللهِ من تركهُ الناسَ اتقاءَ فحشهِ[3] ، وويلٌ للذين يحبون أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرةِ.

أيُّها الأحبةُ: رحمني الله وإياكم ووقانا عذابَ السَّمُومِ: هذه ألوانٌ من أهوالِ النارِ وصنوفٌ من أهلِها؛ فاتقوا اللهَ واتقوا النارَ اتقوا النارَ بالبكاءِ من خشية اللهِ؛ فلن يلجَ النارَ رجلٌ بكىٰ من خشيةِ اللهِ حتىٰ يعودَ اللبنُ في الضرعِ، وعينان لا تمسُّهما النارُ؛ عينٌ بكتْ من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتتْ تحرسُ في سبيلِ اللهِ. ومن صامَ يوماً في سبيلِ اللهِ زحزحُه اللهُ عن النارِ سبعينَ خريفاً.

تعوذوا باللهِ من النارِ فهذا دأْبُ الصالحينَ الذاكرين.

ملائكةُ اللهِ السياحون يمرون بمجالس الذكرِ ثم يسألُهم ربُّهم عن أحوال الذاكرين فيقولُ لهم وهو أعلمُ بهم مِمَّ يتعوذونَ؟ فيقولونَ: من النارِ. فيقولُ وهلْ رأوها؟ قالوا: لا. واللهِ ما

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: لولا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت أمكر الناس، وإسناده لا بأس له، وأخرجه الطبراني في الصغير من حديث ابن مسعود، والحاكم في المستدرك من حديث أنس وإسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أبي هريرة وفي إسناد كل منها مقال، لكن مجموعها يدل على أن للمتن أصلاً وقد رواه ابن المبارك في (البر والصلة) عن عوف عن الحسن قال: «بلغني أن رسول الله ﷺ قال» فذكره انظر الفتح (٤/ ٤١٧).

(٢) جزء من حديث متفق عليه عن عبدالله بن مسعود وأخرجه البخاري (١٠/ ٥٢٣ ـ ح٦٠٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٢ ـ ح٢٦٠٧).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري (١٠/ ٤٨٦ ـ ح٦٠٥٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢ ـ ح٢٥٩١).

رأوها. فيقولُ كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد فراراً وأشدَّ منها مخافةً؟قال فيقولُ: إني أشهدُكم أني قد غفرتُ لهم[1].

وجاء في خبر آخر: «**ما سأل رجل مسلم الجنة ثلاثا، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ولا استجار رجل مسلم من النار ثلاثا، إلا قالت النار: اللهم أجره مني**»[2].

اللهم أجرنا من النارِ، اللهم أجرنا من النارِ، اللهم أجرنا من النارِ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦] ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٦، ٦٧].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١١/ ٢١٢ ـ ح٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٠٦٩ ـ ح٢٦٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٥٣ ـ ح٤٣٤٠)، والحاكم عن أنس (١/ ٥٣٥) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والترمذي (٤/ ٦٠٣ ـ ح٢٥٧٢)، والنسائي (٨/ ٢٧٩). وصححه الألباني.

النار أهلها وأهوالها
الخطبة الثانية

الحمد لله المبدىءِ المعيدِ، ذي البطشِ الشديدِ، الفعالِ لما يريدُ، أحمده سبحانه وأشكره فبالشكرِ تدومُ النعمُ وتزيدُ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنذرَ القريبَ والبعيدَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجِه وأصحابِه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيها الناسُ: أزعجَ ذكرُ النارِ قلوبَ الخائفين وأطار النومَ من عيونِ المتعبدين.

أيها الإخوةُ: شاهدوا موقفَ القيامةِ بقلوبِكم، وانظروا في مُنْصَرَفِ الفريقين إلى الجنةِ والنارِ بهممكم.

أشْعِرُوا أفئدَتكم وأبدانكم ذكرَ النارِ ومقامعَها، وأطباقَها ودرَكاتِها ووَقُودَها وحجارتَها، السلاسلُ والأغلالُ، والسعيرُ والحميمُ، والغساقُ والغسلينُ، وسقرُ والهاويةُ.

اذكروا بُعْد القعرِ، واشتدادَ الحرِّ. ابْكوا وتباكَوْا، اعرِضُوا على قلوبِكم تقلبَ الظالمينَ بين أطباق النيران ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧] ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢] ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا

بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٢ ـ ٤٤].

ألا فاتقوا الله رحمكم الله: اللهمَّ إنا نعوذُ بكَ من النارِ وما قرَّبَ إليها من قول وعمل.

واتقوا النارَ التي أعدت للكافرين.

كفى بالموت واعظا
الخطبة الأولى

الحمد لله المتفردِ بالعزةِ الجبروتِ والبقاءِ، أذل أصنافِ الخلقِ بما كتبَ عليهم من الفناءِ فإذا هم مردودون في الحافرةِ. أحمدُه سبحانه جعلَ الموتَ مَخْلصاً للأتقياءِ وسوءَ منقلبٍ للأشقياءِ إذا ذُكِرَ الموتُ فإذا قلوبُهم نافرةٌ. وأشكره وأُثني عليه فله الإنعامُ بالنعمِ المتظاهرةِ. وله الانتقامُ بالنقمِ القاهرةِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له له الحمدُ في الأولى والآخرةِ. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولهُ، أرسلَه لانفاذ أمرِه وانهاءِ عُذرِه وتقديم نُذُرِه فأيده بالحججِ الباهرةِ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها الناسُ: أوصيكمْ ونفسي بتقوى اللهِ فمن لا يتقي الله تشابهتْ عليه السبلُ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

عبادَ اللهِ: من خافَ الوعيدَ قصرُ عليه البعيدُ، ومن طال أمله ضَعُفَ عمَلهُ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ.

إن ربّكم لم يخلقْكم عبثاً ولم يتركْكم سداً، فتزودا من دنياكم ما تُحْرِزُون به أنفسَكُم غداً. فالأجلُ مستورٌ، والأملُ خادعٌ.

تمرُّ الجنائزُ بالناس يُجهزِّونها ويصلُّون عليها ويسيرون خَلْفَها يُشيِّعونَها محمولةً إلى مثواها الأخيرِ. فتراهمُ يلقونُ عليها نَظَراتٍ

عابرةً، وربما طاف بهم طائفٌ من الحزنِ يسيرٌ. أو أظلَّهم ظِلالٌ من الكآبة خفيفٌ. ثم سرعان ما يغلبُ على الناسِ نشوةُ الحياةِ وغفلةُ المعاشِ.

أيها الإخوةُ: أهل الغفلة أعمارُهم عليهم حجةٌ، وأيامُهم تقودهم إلى شِقْوةٍ. كيف تُرجىٰ الآخرةُ بغيرِ عملٍ؟ أم كيف تُرجىٰ التوبةُ مع الغفلةِ والتقصيرِ وطولِ الأملِ؟؟.

ويلٌ لأهلِ الغفلةِ: إن أُعطوُا لم يشبعوا، وإن مُنعِوا لم يقنعُوا، يأمرون بما لا يفعلون، وينهون وهم لا ينتهون، هم للناس لوامون ولأنفسهم مداهنون.

يا أهل الغفلةِ: هذه الدنيا كم من واثقٍ فيها فجعتْهُ؟؟؟ وكم من مطمئنٍ إليها صرعته؟؟ وكم من محتالٍ فيها خدعته؟؟ وكم من مختالٍ أصبح حقيراً؟؟ وذي نخوةٍ أردتْه ذليلاً؟؟ سلطانُها دُولٌ[1]، وحلوها مرٌ، وعذبُها أُجاجٌ، وعزيزُها مغلوبٌ، العمرُ فيها قصيرٌ، والعظيمُ فيها يسيرٌ، وجودُها إلى عدمٍ، وسرورُها إلى حزنٍ، وكثرتُها إلى قِلَّةٍ، وعافيتُها إلى سَقَمٍ، وغناها إلى فقرٍ. دارُها مكَّارةٌ، وأيامُها غرَّارةٌ، ولأصحابِها بالسوءِ أمَّارةٌ. الأحوالُ فيها إما نعمٌ زائلةٌ وإما بلايا نازلةٌ وإما منايا قاضيةٌ. عمارتُها خرابٌ، واجتماعُها فراقٌ، وكلُّ ما فوقَ الترابِ ترابٌ.

أهلُ الغفلةِ لا يشبعون مهما جَمعوا، ولا يدركون كلَّ ما أمَّلوا. ولا يُحسنون الزادَ لما عليه قد أقدَموا، يجمعون ولا يَنتفعُون،

---

(١) أي متداول لا يبقى على حال ولا يختص به أحد دون أحد.

ويبنون ما لا يسكنون. ويأملون ما لا يدركون: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣].

طويلُ الأملِ: يبني ويهدمُ، وينقضُ ويبرمُ، ويقدرُ فيخطىءُ التقديرَ. يقولُ ويفعلُ، ويخططُ ويدبرُ، وتأتي الأمور مخالفةً للتدبير. يسيء في الاكتسابِ ويسوِّفُ في المتابِ ثم هاهو قد تمَّ أجَلُه وانقطعَ عملُه وأسلمهُ أهلهُ وانقطعتْ عنه المعاذير: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٧].

يا أهلَ الغفلةِ أيها المسلمون أيها المسلمات: «**أكثروا من هاذم اللذاتِ**»[1] بهذا أوصىٰ نبيُّكم محمدٌ ﷺ. كلامٌ مختصرٌ وجيزٌ، قد جمعَ التذكرةَ وأبلغَ في الموعظةِ؛ فمن ذكرَ الموتَ حقَ ذكْرِه حاسب نفسهَ في عملهِ وأمانِيه ولكن النفوسَ الراكدةَ والقلوبَ الغافلةَ ـ كما يقولُ القرطبيُّ رحمه الله ـ تحتاجُ إلى تطويلِ الوعاظِ وتزويقِ الألفاظِ.

أكثروا من ذكرِ هاذمِ اللذاتِ ومفرقِ الجماعاتِ، «**فما ذكره أحدٌ في ضيقٍ من العيشِ إلاَ وسَّعَه، ولا في سعةٍ إلا ضيَّقَها**»[2].

وايمْ اللهِ ليوشكَّن الباقي منا ومنكم أن يَبْلى، والحيُّ منا ومنكم

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٤)، والترمذي (٤/ ٤٧٩ ـ ح٢٣٠٧) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢ ـ ح٤٢٥٨) وأحمد (٢/ ٢٩٣)، والحاكم (٤/ ٣٢١) وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

(٢) رواه البزار والطبراني وإسنادهما حسن انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٨)، وانظر الترغيب والترهيب (٤/ ٢٣٦).

أن يموت وأنْ تُدالَ الأرضُ منا كما أُدِلْنا منها، فتأكلُ لحومَنا وتشربُ دماءَنا، كما مشينا على ظهرِها وأكلنا من ثمارِها وشربنا من مائِها ثم تكون كما قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

لقد وقف نبيُّكم محمدٌ ﷺ على شفيرِ قبرٍ فبكىٰ حتى بلَّ الثرىٰ ثم قال: «**ياأخواني لمثل هذا فأعدُّوا**»[(١)]، وسأله عليه الصلاة والسلام رجلٌ فقال: من أكيس الناس يارسول الله؟ فقال: «**أكثرُهم ذكراً للموتِ وأشدُّهم استعداداً له. أولئك هم الأكياسُ ذهبوا بشرفِ الدنيا وكرامةِ الآخرة**»[(٢)]. الكيِّسُ من دان نفسَه وعمل لما بعد الموت.

يقول الحسنُ رحمه الله: إن الموت قد فضحَ الدنيا فلم يدَعْ لذي لبٍّ بها فَرَحاً.

ويقول يونسُ بنُ عُبيدٍ: ما ترك ذكرُ الموتِ لنا قرةَ عينٍ في أهلٍ ولا مالٍ.

ويقول مطرِّفٌ: إن هذا الموتَ قد أفسد على أهل النعيم نعيمَهم، فالتمسوا نعيماً لا موتَ فيه. لقد أمِنَ أهلُ الجنةِ الموتَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٣ ـ ح٤١٩٥) وقال محققه: (في الزوائد: اسناده ضعيف. قال ابن حبان في الثقات: محمد بن مالك لم يسمع من البراء ثم ذكره في الضعفاء)، وأخرجه أحمد ٤/ ٢٩٤)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٣ ـ ح٤٢٥٩)، والطبراني في الصغير وإسناده حسن واللفظ له انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٩).

فطابَ لهم عيشُهم وأمِنُوا الأسقامَ فهنيئاً لهم طولُ مقامِهم.

أيها المسلمونَ: اذكروا الموتَ والسكراتِ، وحشرجةَ الروحِ والزفراتِ، اذكروا هولَ المطَّلعَ. من أكثرَ ذكرَ الموتِ أكرمهُ اللهُ بثلاثٍ: تعجيلِ التوبةِ، وقناعةِ القلبِ، ونشاطِ العبادةِ. ومن نسيَ الموتَ ابتُليَ بثلاثٍ: تسويفِ التوبةِ، وتركِ الرضىٰ بالكفافِ، والتكاسلِ في العبادةِ.

كفى بالموتِ للقلوبِ مقطِّعاً، وللعيونِ مُبْكياً، وللَّذاتِ هادماً. وللجماعاتِ مفرقاً. وللأمانيَّ قاطعاً.

استبدلَ الأمواتُ بظهرِ الأرضِ بطناً، وبالسعةِ ضيقاً، وبالأهلِ غربةً، وبالنورِ ظلمةً، جاءوها حُفاةً عُراةً فُراداً.

اللحودُ مساكنُهم، والترابُ أكفانُهم، والرفاتُ جيرانُهم لا يجيبونَ داعياً، ولا يسمعون منادياً. كانوا أطولَ أعماراً وأكثر آثاراً، فما أغناهم ذلك من شيءٍ لما جاءَ أمرُ ربِّك، فأصبحتْ بيوتُهم قبوراً، وما جمعوا بوراً، وصارت أموالُهم للوارثين، وأزواجُهم لقومٍ آخرين. حلَّ بهم ريبُ المنون، وجاءهم ما كانوا يوعدون ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

هل تفكَّرتَ يا عبدَالله يومَ المصرعِ، يومٌ ليس لدفعهِ حيلةٌ، ولا ينفعُ عند نزولهِ ندمٌ. أَزِلْ عن قلبِك غشاوةَ الغافلينَ، فإنك واقفٌ بين يدي من يعلمُ وسواسَ الصدورِ، ومن يسألُ لحظاتِ العيونِ، ويحاسبُ على إصغاءِ الأسماعِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

تَذَكُّرُ الموتِ يردَعُ عن المعاصيْ، ويُلينُ القلبَ القاسِيَ، ويمنعُ الركونَ إلى الدِّنيا، ويهوِّن المصائبَ.

تذكَّرُوا الموتَ لعلكم تَسلمون من حسرةِ الفوتِ.

يقولُ الحسنُ رحمه الله: اتق الله يابن آدمَ، لا يجتمعْ عليكَ خصلتان: سكرةُ الموتِ وحسرةُ الفوتِ.

احذر السكرةَ والحسرةَ يفجأُك الموتَ وأنت على غِرةٍ فلا يصفُ واصفٌ قدرَ ماتلقىٰ ولا قدرَ ما ترىٰ.

احذرْ لا يأخذْك الله على ذنبٍ فتلقاه ولا حجةَ لك.

أيها الإخوةُ: أين الخائفُ من قلةِ الزاد؟ وأين المتخفِّفُ من أثقالِ الدنيا؟ أين الوَجلُ من بُعدِ السفرِ ووحشةِ الطريقِ؟ اكتفى من الدنيا بِطِمْريه[1]، ومن طعامه بقُرصيه. استعان على دنياه بالعفةِ والسدادِ فكفاه في دنياه القليلُ من الزادِ. لقد استحيا من ربِّه حقَّ الحياءِ تذكَّر الموتَ والبلىٰ فحفِظَ الرأسَ وما وعىٰ والبطنَ وما حوىٰ أرادَ الآخرةَ فتركَ زينةَ الحياةِ الدنيا. آثر ما يبقىٰ على ما يفنىٰ ذلكم هو كيِّسُ الأكياسِ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واحفظوا اللهَ ما استحفظكم وكونوا أمناءَ على ما استودعكم، فإنكم عند ربكم موقفون، وعلى أعمالِكم مجزيُّون وعلى تفريطِكم نادمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا

---

(١) الطِّمر: بالكسر الثوب الخَلَق البالي.

تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كفى بالموت واعظا
الخطبة الثانية

الحمد لله غيرَ مقنوطٍ من رحمتِه، ولا مأيوس من مغفرتِه، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغِ نعمتِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، ومصطفاه من رسله، وخيرتُه من بريتِه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجه واستمسك بسنتِهِ وحافظَ على شريعته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون: توبوا إلى اللهِ قبلَ أن تموتوا، **«وبادروا بالأعمالِ قبل أن تُشغَلوا، فهل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً أو غنىً مُطغياً أو مرضاً مُفسداً أو هرماً مُفْنداً أو موتاً مُجهزاً أو الدجالَ فشرُّ غائبٍ يُنتظرُ أو الساعةَ فالساعةُ أدهىٰ وأمَرُّ»**[1].

لا تكونوا ـ رحمكم الله ـ ممن يرجو الآخرةَ بغيرِ عملٍ ويؤخرُ التوبةَ لطولِ الأملِ. وقد علمتم أن الموتَ يأتي بغتةً.

أكثروا من زيارةِ القبورِ فإنها تذكرُ الآخرةَ. اعتبروا بمن صارَ تحتَ الترابِ وانقطعَ عن أهلِهِ والأحبابِ، جاءه الموتُ في وقت لم يحتسبْهُ وهولٍ لم يرتقبْهُ.

وليتأملْ الزائرُ حالَ من مضىٰ من أقرانِه، أكثَرُوا الآمالَ وجمعوا

---

(١) رواه الترمذي (٤/٤٧٨ ـ ح٢٣٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة.

الأموالَ انقطعتْ آمالُهم ولم تغْنِ عنهم أموالُهم، محا الترابُ محاسنَ وجوهِهم، وتفرقتْ في القبورِ أشلاؤُهم، وترمَّلتْ من بعدهم نساؤُهم وقُسمتْ أموالهم ومساكنُهم. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

اتقوا الله رحمكم الله وارجوا الدارَ الآخرةَ فتلكَ دارٌ لا يموتُ سكانُها، ولا يخربُ بنيانُها، ولا يهرِم شبابُها، ولا يبلىٰ نعيمُها، ولا يتغيَّرُ حُسنُها وإحسانُها وحِسانُها يتقلَّبُ أهلُها في رحمةِ أرحم الراحمين ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠].

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
حلاوة الإيمان	٧
بين حب الله والحب في الله	١٦
عزنا في إسلامنا	٢٦
نظرات في سورة العصر	٣٥
زهد وعفة	٤٢
كفالة اليتيم	٥١
اصلاح ذات البين	٦٠
الاصلاح بين الناس	٦٩
صلوا أرحامكم	٧٨
النفس الانسانية ـ الداء والدواء ـ	٨٧
هذا أبوبكر (رضي الله عنه)	٩٦
رويداً أيها المراؤن	١٠٥
هذه هي الرشوة	١١٣
القضاء والقضاة	١٢٢
مواهب الرجال وحاجات الأمة	١٣١
حقوق الانسان بين الواقع والمثال	١٤١
محنة أفغانستان	١٤٩
الأفغان بين التنازع وقطف الثمار	١٥٨
المسلمون وقضية فلسطين	١٦٧

الموضوع	الصفحة
لا ... يا مؤتمر السكان	١٧٧
بين يدي رمضان	١٨٧
صوموا لعلكم تتقون	١٩٧
قربات في العشر الأخيرة	٢٠٥
الحج مدرسة وموقف	٢١٤
خطبة عيد الأضحىٰ ـ كلكم لوامون فأين المصلحون ـ	٢٢٣
خطبة الاستسقاء	٢٤٠
محاسبة ومعالجة	٢٥٠
محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل	٢٥٨
سلعة الله الغالية	٢٦٧
النار وأهلها وأهوالها	٢٧٦
كفى بالموت واعظا	٢٨٦
الفهرس	٢٩٥

من خطب المسجد الحرام

توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

"المجموعة الرابعة"

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

توجیهات و ذکری

حُقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ.

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شر الشيطان وشركه. . من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد ضل وغوىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عميا، وآذاناً صُمّا، صلى الله عليه وآله وصحابته ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه هي المجموعة الرابعة من (توجيهات وذكرى. . من خطب المسجد الحرام) وأسأل الله أن ينفعني بها وسابقتها وإخواني - وحسبي منهم دعوة صالحة ونصيحة صادقة - كما أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه موافقة لمرضاته وأن يسدد الجميع للعلم النافع والعمل الصالح إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

صالح بن عبدالله بن حميد

مكة المكرمة

الأربعاء ٢١/ ١٠/ ١٤١٨هـ

توحيد الله أولاً

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي خلقنا لعبادتِه وتوحيدِه، ومنَّ علينا وتفضَّل بتسبيحِه وتحميدِه، أحمدُه سبحانه وأشكرُه وعدَ الشاكرين بمزيدِه. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ رسلِه وأكرمُ عبيدِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ؛ فاتقوا اللهَ الذي خلقَكم، واستعينوا على طاعتِه بما رزقكم، فربُّكم جلَّتْ حكمتُه لم يخلقْكم هملاً، ولم يتركْ أمرَكم في هذه الحياةِ مُهملاً، بل خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً.

أيها المسلمون: إن بني الإنسانِ حين يَضلُّون عن سبيلِ اللهِ يتخبطون في فوضىٰ التدَيُّنِ، ويغرَقون في ألوانِ الشركِ وأوحالِ الجاهليةِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١ـ ٣٢]. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

البشرُ عقولُهم قاصرةٌ عن أن تدركَ طريقَ الصلاحِ بمفردِها،

أو تستبينَ سبيلَ الرشادِ بذاتِها. إنها لا تستطيعُ أن تجلبَ لنفسِها نفعاً أو تدفعَ ضَراً.

لا يرتفعُ عن النفوسِ الشقاءُ، ولا يزولُ عن العقولِ الاضطرابُ، ولا ينزاحُ عن الصدورِ القلقُ والحرجُ إلا حين تُوقن البصائرُ، وتُسلِّم العقولُ بأنه سبحانه هو اللهُ الواحدُ الأحدُ الفردُ الصمدُ الجبارُ المتكبرُ له الملكُ كلُّه، وبيدِه الأمرُ كلُّه، وإليه يُرجعُ الأمرُ كلَّه؛ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

أيها الإخوة: إن إسلامَ الوجهِ للهِ وإفرادَه بالعبادةِ يرتقي بالمؤمنِ في خُلُقِه وتفكيرِه، يُنقِذُه من زيغِ القلوبِ، وانحرافِ الأهواءِ، وظلماتِ الجهلِ، وأهاومِ الخرافةِ، ينقذُه من المحتالين والدَّجالين، وأحبارِ السوءِ ورهبانِه ممن يشترون بآياتِ اللهِ ثمناً قليلاً. التوحيدُ الخالصُ المخلِصُ يَحفظُ الإنسانَ من الانفعالاتِ بلا قيدٍ أو ضابطٍ.

أيها الإخوةُ: توحيدُ اللهِ هو العبوديةُ التامةُ له وحدَهُ سبحانه تحقيقاً لكلمةِ الحقِّ: لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله ﷺ: في لفظِها ومعناها والعملِ بمقتضاها، يقيمُ المسلمُ عليه حياتَه كلَّها؛ صلاتَه ونسكَه ومحياه ومماتَه.

توحيدٌ في الاعتقادِ، وتوحيدٌ في العبادةِ وتوحيدٌ في التشريع. توحيدٌ تُنقَّىٰ به القلوبُ والضمائرُ من الاعتقادِ في ألوهيةِ أحدٍ غيرِ اللهِ،

وتُنقَّىُ به الجوارحُ والشعائرُ من أن تُصرف لأحدٍ غيرِ اللهِ، وتُنقَّىٰ به الأحكامُ والشرائعُ من أن تتلقاها من أحدٍ دونَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

التوحيدُ هو أولُ الدينِ وآخرُه وظاهرُه وباطنُه، وقطبُ رحاه، وذروةُ سنامه. قامتْ عليه الأدلةُ، ونادتْ عليه الشواهدُ، وأوضحتْه الآياتُ، وأثبتتْه البراهينُ، نصبتْ عليه القبلةُ، وأُسِّستْ عليه الملةُ، ووجبتْ به الذمةُ، وعُصمتْ به الأنفسُ، وانفصلتِ به دارُ الكفرِ عن دارِ الإسلامِ، وانقسم به الناسُ إلى سعيدٍ وشقيٍّ ومهتدٍ وغويٍّ.

أيها الإخوةُ: لقد كانتْ عنايةُ القرآن بتوحيدِ اللهِ عظيمةً فهو القضية الكبرىٰ، ومهمةُ رسلِ اللهِ الأولىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥] فالقرآن كلُّه حديثٌ عن التوحيدِ، وبيانِ حقيقتِه والدعوةِ إليه، وتعليقِ النجاةِ والسعادةِ في الدارين عليه. حديثٌ عن جزاءِ أهلِه وكرامتِهم على ربِّهم، كما أنه حديثٌ عن ضدِّه من الشركِ باللهِ وبيانِ حالِ أهلِه وسوءِ منقلبهم في الدنيا، وعذابِ الهونِ في الأخرىٰ؛ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

والأوامرُ والنواهي ولزومُ الطاعاتِ وتركُ المحرماتِ هي حقوقُ التوحيدِ ومكملاتُه.

القرآن العظيمُ يخاطبُ الكفارَ بالتوحيدِ ليعرفوه ويؤمنوا به ويعتنقوه؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ ـ ٥١].

وكلُّ نبيٍّ يقولُ لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ويُخاطَبُ به المؤمنون ليزدادوا إيماناً، وليطمئنُّوا إلى تحقيق توحيدِهم، ولِيحذروا النقصَ فيه أو الخللَ؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء: ١٣٦].

ومن صفاتِ عبادِ الرحمنِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] ومن نعوتِ أهلِ الإيمانِ الموعودين بالتمكينِ في الأرضِ: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

بل لقد خاطبَ اللهُ أنبياءه ورسلَه بنبذِ الشركِ والبراءةِ من أهلِه والإعراضِ عنه وعنهم فقال عز وتبارك: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا . . ﴾ [الحج: ٢٦] وقال عز وجل: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥ـ ٦٦] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرعد: ٣٦] ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص: ٨٧]

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام: ١٠٦].

قال أهلُ العلمِ رحمهم الله تعليقاً على هذه الآياتِ وأمثالِها: فإذا كان يُنهىٰ عن الشركِ من لا يمكنُ أن يباشرَه فكيفَ بمن عداه؟؟ ولقد قال إمامُ الحنفاءِ إبراهيمُ عليه السلامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾[إبراهيم: ٣٥ـ٣٦] قال إبراهيمُ التيمي: ومن يأمنُ البلاءَ بعد إبراهيم؟؟.

هذا بعضُ خبرِ القرآن.

أما السنةِ فإن بعثةَ رسولِ اللهِ ﷺ ورسالتَه وسيرتَه من أولِها إلى آخرِها؛ مكيِّها ومدنيِّها، حضرِها وسفرِها، سلمِها وحربِها، كلُّها في التوحيدِ منذ أن أُمرَ بالإنذارِ المطلقِ في سورةِ المدثرِ ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ٥] إلى الأمرِ بإنذارِ العشيرةِ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٣ـ ٢١٤] إلى الأمرِ بالصدعِ بالدعوةِ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: ٩٤] ثم من بعده الأمرُ بالهجرةِ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة: ٤٠] والإذنِ بالقتالِ والجهادِ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا﴾ [الحج: ٤٠]. إلى فتحِ مكة حين كسرت الأصنام ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾ [الإسراء: ٨١] إلى الإعلامِ بدنوِّ الحُمام ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ﴾[النصر: ٣]. وقال وهو في مرضِ موتِه: «**لعنة الله على اليهودِ والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة وعبدالله بن عباس أخرجه البخاري (١/ ٦٣٣ =

لم تخلُ فترةٌ من هذه الفتراتِ البتةِ من إعلانِ التوحيدِ وشواهدِه ومحاربةِ الشركِ وظواهرِه، ويكادُ ينحصرُ عرضُ البعثةِ كلِّها في ذلك؛ فما تركَ عليه الصلاةُ والسلامُ تقريرَ التوحيدِ وهو وحيدٌ، ولا ذهلَ عنه وهو محصورٌ في الشِّعبِ، ولا انصرف عنه وهو في مسالكِ الهجرةِ والعدوُّ مشتدٌّ في طلبِه، ولا قطعَ الحديثَ عنه وأمرُه ظاهرٌ في المدينةِ بين أنصارِه وأعوانِه، ولا أغلقَ بابَ الخوضِ فيه بعد فتحِ مكةِ الفتحَ المبين، ولا اكتفىٰ بطلبِ البيعةِ على القتالِ عن تكرارِ عرضِ البيعةِ على التوحيدِ ونبذِ الشركِ؛ فهذه سيرتُه المدونةُ وأحاديثُه الصحيحةُ، والقرآنُ من وراءِ ذلك كلِّه.

من أجل هذا كان التوحيدُ أولاً ولابد أن يكون أولاً في كلِّ عصرٍ وفي كلِّ مصرٍ.

أما أركانُ الإسلامِ الخمسةُ الكبرىٰ ومعالمُه العظمىٰ فُشرعتْ لِتعلنَ التوحيدَ وتجسِّدَه وتقررَه وتؤكدَه تذكيراً وتطبيقاً، واقراراً وعملاً. فالشهادتان اثباتٌ للواحدانيةِ، ونفيٌ للتعددِ، وحصرٌ للتشريعِ والمتابعةِ في شخصِ المرسَلِ المبلِّغِ محمدٍ ﷺ. والصلاةُ مفتتحةٌ بالتكبيرِ المنبىءِ عن طرحِ كلِّ من سوى اللهِ عزَّ شأنهُ واستصغارِ كلِّ مَنْ دون الله عزَّ وجلَّ. ناهيك بقرآن الصلاةِ وأذكارِها في منازلِ إياك نعبدُ وإياك نستعين.

أما الزكاةُ فهي قرينةُ الصلاةِ في التعبدِ والاعترافِ للربِّ بجليلِ

= ـ ح٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم (١/ ٣٧٧ ـ ح٥٣١).

النعم واخراجُها خالصةً لله طيبةً بها النفسُ براءةً من عبادةِ الدرهم والدينارِ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧].

أما الصيامُ الحقُّ فهو الذي يدعُ الصائمُ فيه طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجلِ ربِّه ومولاه.

أما الحجُّ فشعارُ الأمةِ كلِّها في هذه البطاحِ والبقاعِ فهو التلبيةُ بالتوحيدِ ونفيُ الشريكِ.

يقولُ أبواسحاق الشاطبي رحمه الله في ذلك كلِّه: (نحن نعلمُ أن النطقَ بالشهادتين والصلاةَ وغيرَهما من العباداتِ إنما شُرعتْ للتقربِ إلى اللهِ والرجوعِ إليه وإفرادِه بالتعظيمِ والإجلالِ، ومطابقةِ القلبِ للجوارحِ من الطاعةِ والانقيادِ).

وفي مأثورِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ في الوردِ اليوميِّ الذي يجعلُه المسلمُ في حزبِه: «**أصبحنا على فطرةِ الإسلامِ وكلمةِ الإخلاصِ ودينِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ وملةِ أبينا إبراهيمَ حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**»[1]. وفي الدعاءِ النبويِّ: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أُشركَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفرُك ما لا أعلمُ**»[2].

عبادَ اللهِ: ما كانت هذه الأدلةُ المتكاثرةُ، والحُججُ المتظافرةُ،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٠٦)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني رجالهما رجال الصحيح انظر المجمع (١٠/١١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٠٣) وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان انظر المجمع (١٠/٢٢٣، ٢٢٤).

والبراهينُ المتوافرة، إلا لعظمِ الأمرِ، وخطرِ شأنِ القضيةِ، وشدةِ الخوفِ على الناسِ من الانحرافِ والقلوبِ من الزيغِ. ولماذا لا يُخافُ عليهم؟ والشياطين ما فتئتْ تترصدُ لبني آدمَ تجتالُهم وتُغويهم؟؟.

وفي الحديثِ القدسيِّ: «**خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم وأمَرَتهمْ أن يُشركوا بي ما لم أنَزِّلْ به سلطاناً**»[1]. أخرجه مسلم من حديث عياضٍ المجاشعيِّ.

كيف لا يكونُ الخوفُ والرسولُ ﷺ خاطبَ أصحابَه الصفوةَ المختارةَ من الأمةِ: «أخوفُ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ»[2]؟؟.

ويزدادُ الخوفُ حين يتأمَّلُ المتأملُ قولَه ﷺ: «**الشركُ في أمتي أخفىٰ من دبيبِ النملِ**»[3] بل لقد أخبرَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أن فئاماً من الأمةِ تعبدُ الأوثانَ وقبائلَ تلحقُ بالمشركين**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٧ ـ ح٢٨٦٥)، وأحمد (٤/ ١٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (١/ ١٠٢) وقال أيضا (١٠/ ٢٢٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن شبيب بن خالد وهو ثقة.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٣)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان انظر المجمع (١٠/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٤) أخرجه أبوداود (٤/ ٩٧، ٩٨ ـ ح٤٢٥٢)، والترمذي (٤/ ٤٣٢ ـ ح٢٢١٩) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣٠٤ ـ ح٣٩٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤).

والحافظُ ابن كثيرٍ رحمه الله يعلِّق على قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨] قال رحمه الله: فيه تشديدٌ لأمرِ الشركِ، وتغليظٌ لشأنِه، وتعظيمٌ لملابستِهِ.

لماذا ـ يا عبادَ اللهِ ـ لا يُخافُ الخللُ في التوحيدِ والنقصُ في صدقِ التعبدِ والتعلقِ؟ لماذا لا يُحذرُ من الشركِ وأنواعِه وأسبابِه واللهُ يقولُ في محكمِ تنزيلِه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] قال بعضُ أهلِ العلمِ في هذه الآية دلالةٌ على ما يتخللُ بعضَ الأفئدةِ، وتنغمسُ فيه بعضُ النفوسِ من الشركِ الخفيِّ الذي لا يشعرُ به صاحبُه غالباً؛ فمثل هذا وإنْ اعتقدَ وحدانيةَ اللهِ لكنَّه لا يخلصُ له في عبوديتِه فيتعلقُ بغيرِ ربِّه، بل ويعملُ لحظِّ نفسِه أو طلبِ دنياه أو ابتغاءِ رفعةٍ أو منزلةٍ أو قصدٍ إلى جاهٍ عند الخلقِ فللهِ من عملِه وسعيِه نصيبٌ، ولنفسِه وهواه نصيبٌ، وللشيطانِ نصيبٌ، وللخلقِ نصيبٌ، واللهُ أغنى الشركاءِ عن الشركِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: الأمرُ خطيرٌ ودقيقٌ، شركٌ خفيٌّ في المحبةِ والتألُّهِ والخضوعِ والتذللِ، من أعطىٰ حبَّه وذُلَّه وخضوعَه وتسليمَه وانقيادَه وطاعتَه لغيرِ اللهِ فكيفَ يكونُ حقَّقَ التوحيدَ؛ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١] ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

هذا شركٌ في الخوفِ والرجاءِ، وآخرُ في الجهادِ والتضحيةِ، وذاك شركٌ في بابِ الأسبابِ، وذلك في بابِ النفعِ والضررِ.

وانظروا في السحرِ والشعوذةِ والتطيرِ والتشاؤمِ والرقىٰ والتمائمِ، والحلفِ بغيرِ اللهِ في صورٍ لا تكادُ تُحصرُ. والغلوِّ في الصالحين، ناهيك بدعاءِ غيرِ اللهِ، وطلبِ الغوثِ من المقبورين، والطوافِ حولَ الأضرحةِ، يدعون عندها ثم يدعونها، ويعلقون عليها القناديلَ والسرجَ والستورَ، ويذبحون عندها ولها، ويتمسحون، ويتطورُ الحالُ حتى يتخذونها أعياداً ومنسكاً فلا حول ولا قوةَ إلا بالله.

أيها الإخوةُ: وصورةٌ جديدةٌ من صورِ الخللِ في التوحيدِ باءتْ بها فئاتٌ من المنتسبين إلى الإسلامِ تزعمُ الثقافةَ والاستنارةَ لا ترضىٰ بحكمِ اللهِ ولا تسلمُ له، بل إنَ في قلوبِها لحرجاً، وفي صدورِها لغيظاً وضيقاً؛ إذاَ أقيمَ حدٌ من حدودِ اللهِ ارتعدت فرائصُهم، واشمأزتْ قلوبُهم، قاموا وقعدوا، وأرغوا وأزبدوا، ولهم إخوانٌ يَمدُّونَهم في الغيِّ، يزعمون الحفاظَ على حقوقِ الإنسانِ، وما ضاعتْ حقوقُ الإنسانِ وحقوقُ الأممِ إلا بهم وبأمثالِهم.

الإسلامُ عندهم ظلمَ المرأةَ وهضمَ حقوقَها، والحدود قسوةٌ وبشاعةٌ وتخلفٌ، وحكمُ الردةِ تهديدٌ لحريةِ الابداعِ والفكرِ، وأحكامُ الشرعِ كلُّها عودةٌ إلى عصورِ الظلامِ والتعصبِ والانغلاقِ؛ بل لقد أدخلوها في نفقِ الإرهابِ المقيتِ. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

اللهُ أكبرُ: التوحيدُ صعبٌ على الأذلاءِ ومَنْ سِيمُوا الخسفَ

والذُّلَّ والتبعيةَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

صعبٌ على من استمرؤا الفسادَ وولغوا في الأوحال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

إنهم لا يعرفون التوحيدَ، ولا يعرفون صفاءَ الدين مستعبدَون في فكرِهم، مشركون في تفكيرِهم. وكأنهم قالوا للذين كفروا وكرهوا ما نزل الله: سنطيعكم في بعضِ الأمرِ، بل في كلِّ الأمرِ، إنهم حين لم يعرفوا التوحيدَ ولم يحقِّقوه أصبحوا وكأنهم فئةٌ منفصلةٌ عن أمةِ الإسلامِ بفكرِها وسمتِها ورؤيتِها وغايتِها، مشدودةٌ من خارجِها من الشرقِ والغربِ في السياسةِ والاقتصادِ الاجتماعِ والأدبِ. وقد تجلىٰ ذلك في تجاهلِهم بل تمردِهم على تاريخِ الأمةِ وأصالتِها وتراثِها.

وبعدُ أيها الإخوةُ: فإن نعمةَ التوحيدِ يخرجُ بها قلبُ العبدِ من ظلماتِ الشركِ وجهالاتِه إلى نور الإيمانِ باللهِ وتوحيدِه، يخرجُ من التيهِ والحيرةِ والضلالِ والشرودِ إلى المعرفةِ واليقينِ والطمأنينةِ والرضا والهدايةِ يخرجُ من الدينونةِ المذلةِ لأربابٍ متفرقين إلى الدينونةِ الموحِّدةِ لربِ الأربابِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

توحيد الله أولاً

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ولا نعبدُ إلا إياه، مخلصين له الدينَ ولو كره الكافرون. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفره، له الحمدُ في الأولىٰ والآخرةِ وله الحكمُ وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه حمىٰ حِمىٰ التوحيدِ وسدَّ كلَّ طريقٍ يوصلُ إلى الشركِ، فأظهر اللهُ به دينَه على الدينِ كلِّه ولو كره المشركون. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها المسلمون: تحقيقُ التوحيدِ يحتاجُ إلى يقظةٍ قلبيةٍ دائبةٍ دائمةٍ تنفي عن النفس كلَّ خاطرةٍ تقدحُ في عبوديةِ العبدِ لربِّه، وتدفعُ كلَّ خالجةٍ شيطانيةٍ في كلِّ حركةٍ أو تصرفٍ، ليكون ذلك كلُّه خالصاً لله وحده دون من سواه.

ومع شديد الأسف ـ أيها الإخوةُ ـ فإن قوادحَ التوحيدِ ومنقصاتِه صارت عند كثيرٍ من الناس من أخفى المعاصي معنىً وإن كانت من أجلاها حُكماً فلظهورِ حكمِها ترىٰ المسلمين عامَّتَهم يتبرأون منها ويغضبون كلَّ الغضبِ إذا نُسبوا إليها وهم في هذا الغضبِ محقون، ولكن لخفاءِ معناها وقعَ فيها من وقعَ

وهم لا يشعرون.

ولقد قررَ أهلُ العلمِ أن الخوضَ في قوادحِ التوحيدِ والحديثَ عن مظاهرِ الشركِ هي طريقةُ القرآن. وذلكَ من أجلِ تحذير المسلمين وليس الحكمَ عليهم به؛ فأهلُ السنةِ والجماعةِ لا يكفِّرون أحداً من أهلِ القبلةِ بذنبٍ ما لم يستحلَّه، ولا يزالَ أهلُ العلمِ يتكلمون عن أحكامِ الردة وأسبابِها، وطرقِ الزيغِ والضلالِ، ومسالكِ الابتداعِ والتحذيرِ منها، فمن عَلمِ العقائدَ الصحيحةَ وعَلَّمها ودلَّ عليها ونبَّه إلى طرقِ الزيغِ والكفرِ والبدعِ فقد سلكَ مسلكَ حقٍّ، ونهجَ منهجَ نُصحٍ.

وإن مما ينبغي التنبيهَ إليه أن من الخطأ في المنهجِ وعدمِ التوازنِ في العرضِ وطرقِ التعليمِ أن ترىٰ كثيراً من الكتبِ والمؤلفاتِ تُفصِّلُ في الفروعِ وأحكامِ المسائلِ حتى النادرَ منها وبعيدَ الوقوعِ؛ وهذا شيءٌ في بابه حسنٌ، ولكنهم لا يعنون بالأصولِ مما يحتاجُه الناسُ والناشئةُ فلا يُفصِّلون في التوحيدِ وأنواعِه وحقوقِه ولا يبينون ضدِّه من الشركِ وأنواعِه ومظاهرِه وأسبابِه.

وثمَّتَ خطأ منهجيٌّ آخرُ وهو أن المتقدمين رحمهم اللهُ سلكوا في بابِ العقائدِ مسالك كلاميةً ومصطلحاتٍ منطقيةً فخفي على الناس كثيرٌ من مهماتِ العقائدِ وأصولِ الدين، ولو سلكوا مسلكَ القرآنِ في البيانِ لكان المتعلمون والناسُ أحرىٰ بهدايةِ اللهِ وفضلِه في هذا البابِ..؟؟..!!

يقولُ ابنُ حجرٍ الهيثمي رحمه الله: (ينبغي منعُ من يُشهرُ علمَ

الكلام بين العامةِ لقصورِ أفهامِهم ولأنه لا يؤمنُ بهم إلى الزيغِ والضلَالِ، ولابدَّ من أخذِ الناس بفهمِ الأدلةِ على ما نطقَ به القرآنُ ونبَّه عليه، إذ هو بيِّنٌ واضحٌ يُدرَكُ ببداهةِ العقلِ).

ألا فاتقوا الله رحمكم الله: وأخلصوا دينكم لله، وحققوا توحيدَكم واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

حديث عن القرآن

الخطبة الأولى

الحمد للهِ ذي الطولِ والمنِّ والاحسانِ، فضَّلَ دينَنَا على سائر الأديانِ، أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، أنزل عليه القرآنَ معجزةً محفوظةً، وحجةً باقيةً على تعاقبِ الأزمان، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فـأوصيكـم أيُّهـا النـاسُ ونفسـي بتقـوىٰ اللهِ، فـاتقـوه واعملـوا وأخلصوا، وجدوا واجتهدوا، واعلموا أنكم ملاقوه، وتوبوا إلى اللهِ ربِّكم وأنيبوا إليه واستغفروه.

أيها المسلمون: لئن كانَ من المناسبِ أن يتحدثَ المتحدثُ عن الصيامِ في هذه الأيام فإن قرينَ الصيامِ هو القرآنُ. في شهرِ الصيامِ تنزَلَ القرآنُ، والقرآن لم يسمِّ شهراً بعينه سوى شهرِ رمضانَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

ولئن تحدَّثَ المتحدثون عن غزوةِ بدرٍ الكبرىٰ وأحداثِها

وعبرِها، فإنهم يتحدثون عما أنزلَ اللهُ على عبدِه يومَ الفرقان: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] والقرآن كلُّه فرقانٌ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أيها الإخوة: تجتمعُ هذه المناسباتُ والملاءماتُ وتتعاضدُ، ولكنَّ القرآنَ العظيمَ ـ قبلَ ذلكَ وبعدهُ ـ حديثُ كلِّ مناسبةٍ.

أمةَ القرآنِ: إنَّ كلَّ ما يحتاجُه المسلمون من إصلاحٍ وصلاحٍ وحسنِ معاشٍ ومعادٍ محصورٌ في هدي القرآنِ وهديِ من كانَ خلُقُه القرآنَ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ.

إن أمةَ الإسلامِ في كثيرٍ من مواقِعها وأحوالِها تحتاجُ إلى أن تراجعَ نفسَها في موقفِها من قرآنِ ربِّها.

إن كثيراً منهم وكثيراً يجهلون أن للقرآنِ العظيمِ تأثيراً حقيقياً في حياتِهم المعاشيةِ والمدنيةِ، يتشككون ويترددون في أثره في تحقيق السعادةِ المنشودةِ في الدينِ والدنيا معاً.

ولكنَّ أهلَ العلمِ والإيمانِ ـ يقولون في رسوخٍ وشموخٍ ـ ليس في القاراتِ الخمسِ ولا الستِ وحيٌ من عندِ اللهِ حقٌّ إلا هذا القرآنَ العظيمَ، ولَن يُعرفَ اللهُ معرفةً صحيحةً ولن يصحَّ إيمانُ عبدٍ إلا عن طريقِ هذا القرآنِ.

كتابٌ استوعب هديَ موسىٰ وعيسىٰ والنبيين من قبلِهما عليهم أجمعين وعلى نبيِّنا الصلاةُ والسلامُ.

اجتمع في هذا القرآن ما تفرقَّ في الرسالاتِ قبلَه، حفظَ حقائقَ النبواتِ الأولى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ

وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩. حفظها وجمَعها وهيمَن عليها: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

إن وثائقَ النقلِ لتتظافرُ، وإن براهين الإثباتِ لتتواترُ على أن هذا الكتابَ عزيزٌ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

كتابٌ محفوظٌ لم ترقَ إليه شبهةٌ، ولم يختلطْ به كلامُ بشرٍ، ما شانه نقصٌ ولا شابَهُ زيادةٌ.

كتابٌ خاصٌ لمحمدٍ ولاتباعِ محمدٍ ﷺ، لم يقعْ لصاحبِ رسالةٍ قبله أن أقامَ بكتابه دولةً سارتْ في حياتِه مسيرتَها نحوَ المشارقِ والمغاربِ وبلغْت من بعدِه دعوتُها ما بلغَ الليلُ والنهارُ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القصص: ٤٩].

كتابٌ كريم أودعَ اللهُ قوَّتَهُ في ذاتِه، حاولَ الأعداءُ قديماً وحديثاً عربٌ جاهليون وغربٌ مستشرقون العبثَ به، والتشويشَ في صدقه، فأجلبوا وتنادوا ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦]. شككوا في تنزُّلِه، وطعنوا في جمعِه وتدوينِه، ونالوا من قراءاتِه وحروفِه، ولكنها محاولاتٌ هزيلةٌ، رجعوا على أعقابهم خاسئين.

استمعوا إلى القرآنِ وهو يسجل هذه الدعاوى المخزيةِ في أسلافِهم وأخلاقِهم: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٥] ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا

يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ٢] ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [القصص: ٣٦].

ولما عجزوا واندحروا رضوا لأنفسهم بالدنيّةِ والنقيصةِ فقالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [النساء: ١٥٥] ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

أيُّها الإخوةُ: الأمةُ تحتاجُ إلى أن تراجعَ مواقفَها من قرآنِها، القرآنُ حقٌّ من عندِ الله، من بين دفتَيْه انطلقتْ خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناس: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١]. أمة خيِّرةٌ تربتْ على مائدةِ القرآنِ، أخذتْ كتابَ ربِّها بقوةٍ، وسارتْ على نهجِه بعزمٍ، خضعتْ لتعاليمِه بإيمانٍ فهداها للتي هي أقومُ.

لقد كان هذا القرآنُ خيراً عاماً، تآختْ عليه شعوبُ الإسلامِ ونشأتْ به مدنيةٌ كانتْ زينةَ الأرضِ وضياءَها ورحمتَها وعدلَها.

هؤلاءِ الأسلافُ من الروَّادِ قرأوا القرآنَ فأحيوا به ليلَهم رهباناً، وعمروا به نهارَهم فرساناً، تفيضُ أعينُهم من الدَّمعِ مما عرفوا من الحقِّ، يغشاهُم الخشوعُ، ويكسوهُم الوقارُ، كان القرآنُ ربيعَ قلوبِهم، ونورَ صدورِهم، وجلاءَ أحزانِهم، تأدبتْ به أخلاقُهم، وعمَرتْ بالتقوىٰ مسالكُهم، قوةً في الحق، وورعاً في المطاعم والمشاربِ وبصراً بأهل الزمان: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

لهم من قرآنِهم ما يحثُّ عزائِمَهم إذا كلَّتْ، ويحفزُ همِمَهم إذا

ضعفتْ؛ ﴿نَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

يا أهلَ القرآن: الأمةُ تحتاجُ إلى أن تراجعَ مواقفَها من كتاب ربِّها؟؟؟.

فالقرآنُ عمدَةُ الملةِ، وكليةُ الشريعةِ، وينبوعُ الحكمةِ، وآيةُ الرسالةِ، لا طريقَ إلى اللهِ سواهُ، ولا سبيلَ إلى النجاةِ بغيرِه، هل يُدعىٰ إلى اللهِ بغيرِ كتابِ اللهِ؟ وهل يُرجىٰ صلاحُ عبادِ اللهِ بغيرِ كتابِ اللهِ؟.

هو التبيانُ والفرقانُ، والروحُ والذكرُ، هدىً للمتقين، ورحمةٌ للمؤمنين، آياتٌ بيناتٌ في صدورِ الذين اوتوا العلمَ، وذكرىٰ لمن كان له قلبٌ، أحسنُ الحديثِ، وأصدقُ الكلامِ، وشفاءُ لما في الصدورِ. نعمةُ اللهِ السابغةُ، وحجتُهُ الدامغةُ، نورُ الأبصارِ والبصائرِ. أنزلَه ربُّنا وصرَّفَهُ، وعداً ووعيداً، وأمراً وزجراً، وحُكْماً وعلماً، ورحمةً وعدلاً.

كتابٌ لا تفنىٰ عجائِبُه، وبحرٌ لا يُدركُ غَوْرُه، وكنزٌ لا تنفدُ دررُه، وغيثٌ لا تُقْلعُ عن المدرارِ سحائِبُه.

أنزله ربُّنا لنقرأَه تدبراً، ونتأمَّلَه تبصُّراً، ونسعدَ به تذكراً، ونلتزمَ بأوامرِه طمعاً، ونجتنبَ نواهيَه خوفاً.

تحيا القلوبُ بمواعظه، وتطمئنُّ النفوسُ بترتيله، وتقومُ الحياةُ بأحكامِه، وتعمُّ السعادةُ بآدابه، أسلوبُه رفيعٌ ونَظْمُه بديعٌ، لفظُه معجزٌ، ونظمُه باهرٌ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

لم تشُبْ بيانه غموضٌ، لم يعبْ لفظَهُ ضَعفٌ، ولم يدخلْ معانيَهُ قصورٌ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

الأمةُ تحتاجُ إلى أن تُراجِعَ نفسَها في مواقِفِها من قرآنها.

أصدقُ ما تثبتُ به عقائدُ الإيمان، وأوضحُ دليلٍ إلى المعارف والعلوم. وأقربُ سبيلٍ إلى بَرْدِ الطمأنينةِ في القلوبِ، وأفضلُ حديثٍ تناجي به مولاكَ في الأسحار.

ولكن ـ أيها الإخوةُ ـ حين عزَّ هذا المنهجُ، وطالَ الأمدُ، واشتغلت الأمةُ بغيرِه أو تشاغلتْ دبَّ في جسمِها دبيبُ الضعفِ، وهجرتْ فئامٌ منها القرآنَ هجراً غيرَ جميلٍ.

هجروا براهينَ القرآن في العقائدِ والإيمان، وسلكون طرائِق محدَثة واصطلاحاتٍ مبتدعةً زاعمين أن أدلةِ القرآن لا تفيدُ القطعَ واليقين فحادوا عن الطريقِ وتاهوا، أمَّا في ألوانِ العباداتِ والتعبداتِ فركنوا إلى أحزابٍ مصنوعةٍ، وأورادٍ متكلفةٍ، وتعاويذَ منحرفةٍ، ورُقىً غيرِ مشروعةٍ، وأخذوا بأنساكِ الأعجامِ من غيرِ أهلِ الإسلامِ.

وثمَّتَ أقوامٌ حظُّهم من القرآنِ القراءةُ في المقابرِ والمآتِم، وفتحِ الأيدي والأفواه للاستجداءِ والمسألةِ.

أين مكانُ القرآنِ في الحكمِ؟ وأين موقعُه من مناهجِ التربيةِ ومقرراتِ الدراسةِ؟؟.

هل ضاق كتابُ اللهِ وعلومُ القرآنِ عن أن يعطيَ حكماً في نازلةٍ

أو يرسمَ منهجاً في تربيةٍ؟؟ وهل لا تنبتُ المناهجُ ولا تصحُّ الدساتيرُ إلا في غيرِ ديارِ المسلمين؟؟.

نعم أيها الإخوةُ: لقد أحسنت الأمةُ إذ حفظتْ قرآنها حروفاً ومخارجَ ومدوداً وغُنَناً وأداءً وتغنياً، ولكن يجبُ أن ينضمَّ إلى حسنِ التلاوةِ وإجادةِ القراءةِ وظيفةُ التدبرِ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

لقد وصفَ اللهُ عزَّ شأنه أمماً سابقةً بإنهم أميون لا يعلمون الكتابَ إلا أمانيَّ. إنهم أميُّون؛ أميَّةَ عقلٍ وفهمٍ، وأمُّيةَ تدبرٍ وعملٍ. يرددون كتابَهم تلاوةً من غيرِ فقهٍ ولا عملٍ. وأميَّةُ العقلِ والفكرِ عنوانُ حالاتِ الضعفِ والتبعيةِ.

ولقد أوضحَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ حين حدَّث أصحابَه يوماً فذكر لهم أشياءَ قال فيها: «**وذاك عند ذهابِ العلم**» فقام زيادُ بنُ لبيدٍ الأنصاريُّ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ اللهِ كيفَ يذهبُ العلمُ ونحنُ قرأنا القرآنَ ونُقرئُه أبناءَنا، وأبناؤنا يُقرئون أبناءَهم؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ثكلتك أمُّك يا لبيد؟؟ إن كنتْ لأراكَ من أفقه رجلٍ في المدينةِ؟؟ أوليس هذا اليهودُ والنصارىٰ بأيديهم التوراةُ ولا ينتفعون بما فيها بشيءٍ؟؟**»[1]. أخرجه الأمامُ أحمدُ في مسندِه

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٠)، والترمذي (٥/ ٣١ ـ ح٢٦٥٣) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٣٤٤ ـ ح٤٠٤٨)، وقال في الزوائد: هذا إسناده صحيح، رجاله ثقات إلا أنه منقطع، ولكن أخرجه الحاكم من عدة طرق وقال: حديث صحيح وقد احتج الشيخان بجميع رواته وأقره الذهبي انظر المستدرك (١/ ٩٩، ١٠٠).

والترمذيُّ في سننِهِ وقالَ حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

ومصداقُ ذلك في كتابِ اللهِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] يقولُ ابنُ كثيرٍ رحمه الله: هؤلاءِ أهلُ الكتابِ أقبلوا على الآراء المختلفةِ، والأقوالِ المؤتفكةِ، وقلَّدوا الرجالَ في دينِ اللهِ، فعند ذلك قستْ قلوبُهم لا يَقبَلونَ موعظةً، ولا يخشون وعيداً، ولا يرجون لله وقاراً.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، واعلموا أن ميدانَ القرآنِ: معهدٌ ومسجدٌ، وبيتٌ ومدرسةٌ، وسوقٌ ومعركةٌ، وروحٌ وعقلٌ. يُتلىٰ من المصاحفِ والصدورِ، في المساجدِ والمنازلِ، في الصلواتِ والخلواتِ، على ألسنةِ المتعبدينَ والمتعلمينَ، تلهجُ به الجيوشُ في زحفِها، وتقطِّعُ به الجنوبُ المتجافيةُ ليلُها في محاريبِها، جعلته دستورَها كما جعلته ذكرَها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾

[طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

حديث عن القرآن

الخطبة الثانية

الحمد للهِ الكريمِ الجوادِ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه وأتوب إليه وأستغفره، من تمسَك بكتابِه عزَّ وسادَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله هدىٰ إلى سبيل الرشادِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ المعاد.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: كتابُ اللهِ هو الحياةُ والروحُ، والغذاءُ والشفاءُ وهو العصمةُ والنجاءُ.

قفوا عند حلالِه وحرامِه، واجعلوا لبيوتِكم وخلواتِكم حظاً من قراءَتِه، فالذي ليس في جوفِه شيءٌ من القرآن كالبيتِ الخربِ[1]، والذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرةِ الكرامِ البررةِ، ومن قرأه وهو عليه شاقٌ فله أجران[2].

قوموا بحقِّ النصحِ لكتابِ اللهِ، تفكروا في عجائبِه، واعملوا

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٥/ ١٦٢ ـ ح٢٩١٣)، وأحمد (١/ ٢٢٣).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (٨/ ٥٦٠ ـ ح٤٩٣٧)، ومسلم (١/ ٥٥٠ ـ ح٧٩٨) واللفظ له.

بمُحْكَمِه، وآمنوا بمتشابِهِه، انشروا علومَه، وادعوا إلى سبيلِه، ومن أحبَّ أن يعلَمَ حالَه ويختبرَ عملَه فليعرضْ نفسَه على كتابِ اللهِ.

يقولُ الحسنُ البصريُ رحمه الله: «رحم اللهُ امرءاً عرضَ نفسَهُ وعملَه على كتابِ اللهِ، فإن وافقَ كتابَ اللهِ حمدَ اللهَ وسألَه المزيدَ، وإن خالفَ أعتَبَ[1] نفسَه وحاسبَها ورجعَ من قريبٍ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ فخيرُ الحديثِ كلامُ اللهِ وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرُّ الأمورِ محدثاتُها.

---

(١) أعتب أي لام وحاسب.

الإسلام دعوة عالمية

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ومنَّ علينا باتباع سيدِ الأنام جعلنا خيرَ أمةٍ أخرجتْ للناس، تأمرُ بالمعروفِ وتنهىٰ عن المنكرِ ونؤمنُ باللهِ. وتدعو إليه. رضينا باللهِ ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً. اللهم لك الحمدُ بالقرآن ولك الحمدُ بالإسلام ولك الحمدُ بالإيمانِ. سبحانك لا نحصي ثناءً عليك. وأشهدُ إلاَ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدهُ ورسولِه، المبعوث بالهدي ودين الحقِ. أظهر الله دينه على الدين كلِّه ولو كره المشركون. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، فتحوا الفتوحَ، ومصَّروا الأمصارَ، ونشروا دينَ اللهِ من المهاجرين والأنصار والتابعين ومن تبعهم بإحسان وعلى هديهم اقتفىٰ ونهجهم سار.

أما بعد فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فاتقوه حقَّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واتقوه ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم، إنه من يتقِ ويصبرْ فإن اللهَ لا يضيع أجر المحسنين.

أيها المسلمون: إن ما يعانيه عالمُ اليوم من تفككٍ وتمردٍ وارهابٍ واضطرابٍ ما كان إلا لطغيانِ المادةِ وعجزِ المبادىءِ

المعاصرةِ عن ضبطِ الإنسانِ في سلوكِه، والتوازنِ في اشباعِ حاجاتِه ومتطلباتِه. إن المعاصرين أخطأوا كثيراً، وضلوا ضلالاً بعيداً حين زعموا الفصلَ بين العلم ومكتشفاتِه ومخترعاتِه وبين مبادىءِ الدينِ الحقِّ وسامي الخلُقِ ومقدساتِ الأديانِ.

العلمُ بمفهومِه المعاصرِ حاول بسطَ احتكارِه وسطوتِه وطغيانِه على العقولِ والمفاهيم. انفصلَ عن الدينِ، بل ألغىٰ الدينَ واحتقره وتنكرَ للهِ ولوجودِه واستحقاقِه للعبادةِ سبحانه عز شأنه.

إن انفصالَ العلمِ والتقنيةِ عن القيمِ وموازينِ الأخلاقِ ومبادىءِ الأديانِ بلغَ حداً مُريعاً مُفزعاً.

إن إنسانَ اليوم في حضارةِ اليوم لم يعدْ إنساناً سوياً لأنه متأثرٌ بحضارةٍ غيرِ سويةٍ فهو لا يتصورُ العيشَ إلا قوياً ظالماً أو ضعيفاً مظلوماً.

مدنيةُ اليوم حولتْ البشرَ إلى عبيدٍ للدنيا والترابِ، جعلت جماهيرَ غفيرةً تحيا ليومِها وشهواتِها وأهوائِها وملذاتِها وتذهلُ عن مصيرِها. تكدحُ لمآربِها القريبةِ ولا تفكرُ تفكيراً جاداً في مرضاةِ اللهِ والعملِ الصالحِ ولا إلى أين المصير؟.

بل مع الأسفِ لقد طوعوا التقدمَ العلميَّ المحمودَ طوعوه لخدمةِ غرائزَ خسيسةٍ بل هيؤا العالمَ فيه لحروبٍ طاحنةٍ متلاحقةٍ لا يخرجُ من واحدةٍ إلا ويستعدُّ لأخرىٰ في مشكلاتٍ داخليةٍ واقليميةٍ وعالميةٍ.

تعلقت القلوبُ بأطماعٍ غيرِ متناهيةٍ، الناسُ تأكلُ ولا تشبعُ، وتشربُ ولا ترتوي. حياةٌ تدفعُ الأفرادَ والدولَ إلى حِراكٍ مسعورٍ،

يدورُ المرءُ فيه حولَ نفسِه ولا يزالُ يدورُ ويلهثُ حتى يدركَه التعبُ والإعياءُ ثم يسقطُ عجزاً وهلاكاً وشقاءً.

أيها الإخوةُ: ومن أجلِ الخلاصِ من هذا البلاءِ بل من هذا العذابِ المهينِ وهذا الدمارِ الماحقِ. فهذا نداءٌ مخلصٌ موجَّهٌ لأصحابِ القرارِ في العالمِ، خطابٌ صادقٌ لكلِّ مؤثرٍ في مسارِ العالمِ والحياةِ، دعوةٌ رقيقةٌ للسياسيين والاقتصاديين، والإعلاميين والمربين، ورجال الدين في الأمم الأخرىٰ؛ بل إنه نداءٌ للناسِ جميعاً إنه نداءٌ موجهٌ لكلِّ من كانَ في موقعِ توجيهٍ وتأثيرٍ.

إنه دعوةٌ بدعوةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وبدعوةِ رسولِه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ ـ ١٧٥] أسلموا تسلموا يؤتِكم اللهُ أجرَكم مرتين والسلام على من اتبع الهدىٰ.

أيها العقلاءُ يا أصحابَ الفكرِ الرشيدِ: إننا نخاطبُ فيكم عقولَكم السليمةَ، وأفهامَكم السديدةَ ونظرَكم العادلَ في طلبِ الحقِّ، وسعيَكم الصادقَ في ابتغاءِ السعادةِ.

إنه لا يقدرُ على اطفاءِ هذا اللهيبِ وايقافِ هذا اللهاثِ إلا الإسلامُ الذي يوقفُ الإنسانيةُ كلَّها راغبةً راهبةً أمام ربِّها الإله الواحدِ

الأحدِ الفردِ الصمدِ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفواً أحدٌ.

أيها العقلاء: الإسلامُ حقيقةٌ قديمةٌ غيرُ جديدةٍ، إنه الدينُ الذي بلغه رسلُ اللهِ جميعاً، فلا خلافَ بين ما قاله آدمُ ونوحٌ وإبرهيمُ وموسىٰ وعيسىٰ ومحمدٌ وغيرُهم من أنبياءِ الله عليهم جميعاً صلواتُ اللهِ وسلامُه.

إنها وحدةٌ دينيةٌ يقررُها قرآنُنا ودستورُنا: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣] ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

إنها الوحدةُ الدينيةُ التي تؤآخي بين الأنبياءِ، وتوقِّرُ الصحيح من صحائفهم، وتحققُ في هذا العالم أهدافَهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦].

إنها رسالاتُ اللهِ إلى أنبيائه، نورٌ كلُّها تكشفُ الباطلَ، وتُحقُّ الحقَّ، وتمنحُ الحريةَ، وتأبىٰ العبوديةَ إلا للهِ وحده لاشريكَ له.

أيها الناسُ: إن دينَ الإسلامِ يحتِّمُ على أهله البلاغَ والبشارةَ والانذارَ. إنه يحرمُ كتمانَ الحقِّ، ومن كتم الحقَّ فهو متوعدٌ عند اللهِ باللعنِ والطردِ والعذابِ الشديدِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

إن الدعوةَ إلى الإسلامِ إرشادٌ إلى أنفسِ حقٍّ في الوجودِ، وتوجيهٌ إلى خيري الدنيا والآخرةِ جميعاً. الإسلامُ انقاذٌ من أسبابِ الهلاكِ الذي يتهددُ البشريةَ في العاجلةِ والآجلةِ. إنه تمكينٌ للأممِ لمعرفةِ سبيل الهدىٰ والرحمةِ والنجاةِ.

عباد الله: تعاليمُ الإسلام هي التي قلمتْ أظافرَ الكهنةِ، وأبطلتْ صكوكَ الغفرانِ، وهذبتْ طقوسَ العُبَّادِ، وألزمتْ رجال الدينِ أن يرفعوا وصايتِهم عن نشاطِ العقلِ الإنسانيِّ.

دينُ الإسلامِ هو الخلاصةُ النقيةُ السهلةُ التي جمعتْ الحقَّ كلَّه في أسلوبٍ من القولِ والبيانِ، بريءٍ من اللغوِ والتعقيدِ. وهو الهدىٰ المغني عن تجاربِ الخطأ والصوابِ، وهو الصراطُ الحقُّ الواقي من الكبوةِ والعثارِ. دينُ الإسلامِ له نظرتُه المتكاملةُ المتسقةُ لاحترامِ العالمِ والناسِ والحياةِ والأحياءِ.

ما من شيءٍ يصونُ الأفئدةَ ويضمنُ سلامتَها، ويضبطُ الشهواتِ ويمنعُ ضرواتَها، ويحفظُ الفطرةَ ويستبقي أصالتَها إلا والإسلامُ قد ضمنَه ودلَّ عليه.

في الإسلامِ لا يختلفُ صحيحُ النقلِ مع صريحِ العقلِ، ولا يتناقضُ فيه الوحيُ مع سليمِ الفكرِ، فصراطُ اللهِ واحدٌ مستقيمٌ لا يتعددُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إذا كان الأمرُ كذلك أيها الإخوةُ فهذه إشاراتٌ إلى بعضِ مبادىءِ الدينِ الكبرىٰ وآثارِ الإيمانِ العليا.

فالتوحيدُ هو أصلُ دينِ الإسلامِ وهو ارتباطٌ باللهِ وحدَه وتجريدٌ للتعلقِ به وحدَه دون ما سواه، نبذٌ للأندادِ والشركاءِ، لأنهم لا ينفعون ولا يضرون وليس لهم من الأمر شيءٌ: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [الأنعام: ٧١]، خضوعٌ لله بالطاعةِ، وتصديقٌ بما أخبرَ، وإيمانٌ به وبرسلِه وكتبِه ورسالاتِه.

خضوعُ الخلائقِ كلِّها للملكِ الديانِ. أوجدهم بقدرتِه، وأمدَّهم بقوتِه، ورباهم بنعمتِه، فاستسلموا لِحُكمِه وحِكمتِه، ورضوا بقضائِه وقدرِه.

وهو سبحانُه ذو الكمالِ المطلقِ في ذاتِه ووحدانيتِه وأسمائِه وصفاتِه؛ هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ المبدئُ المعيدُ الحكمُ العدلُ عالمُ الغيبِ والشهادةِ، لا إله إلا هو العزيزُ الحكيمُ. ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ.

توحيدُ اللهِ والإيمانُ به هو أسسُ الفضائلِ، ولجامُ الرذائلِ، وقِوامُ الضمائرِ، وسندُ العزائمِ، وبلسمُ الصبرِ عند المصائبِ، وعمادُ الرضا والقناعةِ بالحظوظِ، ونورُ الأملِ في الصدورِ، وسكنُ النفوسِ إذا أوحشتْها الحياةُ، وعزاءُ القلوبِ إذا نزلَ الموتُ أو دنتْ أيامه وبدتْ علاماتُه.

نعم واللهِ إن فيه الكفايةَ التي تُشبعُ الأزماتِ الروحيةَ والفكريةَ التي يعاني منها كثيرٌ من الناسِ، فيه الوقايةُ من متاعبِ الحيرةِ والشرودِ.

أما القرآنُ الكريمُ فهو دستورُ الأمةِ؛ كتابُ هدايةٍ جامعةٍ

للسلوكِ الإنسانيِّ الصحيح، جمع كلَّ شيءٍ، وما فرَّطَ من شيءٍ، أوضحَ كلَّ ما يقربُ إلى اللهِ، وبيَّن كلَّ ما يبعدُ عنه. قرآنٌ كريمٌ وصَّافٌ للكونِ، جوَّابٌ مع الأفلاكِ، متحدثٌ عن سكنِ الليلِ وسبحِ النهارِ، فيه القصصُ المتتبعُ للأحداثِ، والراوي لأحوالِ الأولَين وتاريخِهم ومصائِرهم من أجلِ أن يعتبرَ أولو الأبصارِ.

ونبيُّ الإسلام محمدٌ ﷺ صادقٌ مصدوقٌ لا يستطيعُ عاقلٌ يحترمُ نفسَه ينظرُ في سيرتِه ثم يزعمُ أنه يريدُ برسالتِه بسطةً في مالٍ، أو منزلةً من جاهٍ، أو حظاً من حظوظِ الدنيا، ليس في دعوتِه ألبتةَ أثارةٌ لمجدٍ شخصيٍّ أو تطلعٌ لغايةٍ دنيويةٍ. حاشاه ثم حاشاه، فسيرتُه منقولةٌ محفوظةٌ مضبوطةٌ في القرآنِ والسنةِ عليه الصلاةُ والسلامُ.

والسنةُ هي أقوالُ رسولِ اللهِ ﷺ وأفعالُه وتقريراتهُ لأصولِ صحابتِه وعصرِه ، نُقلتْ إلينا نقلاً دقيقاً مفصلاً مثبوتاً، لايوجدُ لدى أمةٍ من الأممِ مثلُها. وهي الشرحُ والتفسيرُ للقرآنِ والبسطُ للأحكامِ والتعاليمِ.

أما فرائضُ الإسلامِ الكبرىٰ فالصلاةُ مناجاةٌ للهِ، وصلةٌ بين العبدِ وربِّه تنتظمُ بها جماعةُ المصلين في قلوبِهم وأبدانِهم، مستويةً صفوفُهم، متحدةً حركاتُهم ركوعاً وسجوداً وقياماً وقعوداً، كلُّهم يقومون لله قانتين، في ذكرٍ وقرآنٍ ودعاءٍ وتمجيدٍ.

والزكاةُ حقٌ في المالِ معلومٌ، برٌّ وإحسانٌ، وطهارةٌ وتزكيةٌ، وصورةٌ للتعاطفِ والتكافلِ.

والصيامُ في وقتٍ معلومٍ من العامِ، شهرٌ هلاليٌّ، يضبطُ

الإرادةَ، ويحكمُ الشهوةَ، ومشاركةٌ للجماعةِ في الاحساس والوجدانِ واتحادٌ في ساعاتِ الامساكِ والافطارِ ومشاركةٌ في الجوعِ للمجموعِ.

والحجُّ هو الركنُ الخامسُ من أركانِ الإسلامِ صورةٌ لجماعةِ المسلمين، يفدون من أنحاءِ الدنيا إلى عاصمةِ الإسلامِ بلدِ اللهِ الحرامِ مكةَ المكرمةِ؛ في عبادةِ اللهِ، موحدةٍ في شعائرِها ومشاعرِها ولباسِها وتطهرِها.

أما الإنسانُ في الإسلامِ فهو مخلوقٌ مكرمٌ استخلفه اللهُ في الأرضِ ليعمرُها، خلقه لعبادتِه، وسخر له ما في السمواتِ وما في الأرضِ. محاسبٌ على تصرفاتِه كلِّها من خيرٍ وشرٍّ. خلقَ فيه الغرائزَ، وجعلَ فيه من الملكاتِ والمواهبِ ما يستعينُ به على العبادةِ الصحيحةِ والعمارةِ الصالحةِ، وبعث له الرسلَ مبشرين ومنذرين، يخبرونه عن ربِّه، ويبينون له وظيفتَه في الحياةِ ومصيرَه في الآخرةِ.

والبشرُ لا تفاضلَ بينهم؛ أكرمُهم عند اللهِ أتقاهم، وأكبرُ النعم عليهم نعمةُ الهدىٰ، وهم متصلون بربِّهم مباشرةً بلا واسطةٍ، ليس بينهم وبينه في حاجاتِهم وعباداتِهم حجابٌ. وكلُّهم محفوظةٌ دماؤُهم وأعراضُهم وأموالُهم.

والمسلمون على اختلافِ أجناسِهم واتساعِ ديارِهم أمةٌ واحدةٌ يؤمنون بعقيدةٍ واحدةٍ وفكرٍ واحدٍ، وكلُّ من اعتقدَ عقيدتَهم فهو منهم.

لأول مرةٍ في تاريخِ البشريةِ سمعت الدنيا في مجتمعٍ عربيٍّ

لم تقُمْ الرابطةُ فيه إلا على أساسِ القبليةِ والفخرِ بالمضريةِ والقرشيةِ، سمعوا سيدَ مضرٍ وقريشٍ سمعوه يقولُ لفارسيٍّ تداولته الأيدي بالاسترقاقِ والسُّخرةِ: «**سلمان منا أهل البيت**»[1]. وخليفةُ خليفتِه عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه الذي هابه كسرى وقيصرُ يقول لعبدٍ حبشيٍّ أجحف به الضربُ والإهانةُ في الجاهلية: (سيدُنا بلال).

والإسلامُ يمتدحُ القوةُ ويحبُّها في شتى الميادين، والمؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ وفي كلٍّ خيرٌ. ولكنها قوةٌ لا ليعيشَ بها ظالماً ولكن ليمنعَ الظلمَ ويبسطَ الأمنَ وينشرَ الأمانَ. ومن أجلِ هذا كان الجهادُ في سبيلِ اللهِ ذروةَ سنامِ الإسلامِ. وما كان ذروةً إلا حين كان في سبيلِ اللهِ طلباً للآخرةِ وابتغاءَ مرضاةِ اللهِ، وليس اغتصاباً للدنيا، ولا سرقةً للأرضين، ولا استعباداً للناس، ولا استبداداً بالخيراتِ والثرواتِ، حاشا وكلا: «**من قاتلَ لتكون كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ اللهِ**»[2]

﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾

[النساء: ٧٤].

وحقوقُ الإنسانِ التي يفاخرُ بها عالمُ اليوم ويحاسبُ الناسَ عليها حساباً ظالماً ما كانت إلا ترديداً مختصراً للوصايا والمبادىءِ الكريمةِ التي تلقاها المسلمون عن نبيِّهم وسيدِهم

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٥٩٨) وسكت عنه وضعفه الذهبي وانظر مجمع الزوائد (٦/ ١٣٠).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسى أخرجه البخاري (١/ ٢٦٨ - ح١٢٣)، ومسلم (٣/ ١٥١٣ - ح١٩٠٤).

وإمامِهم النبيِّ الخاتِم محمدٍ ﷺ «كلكم لآدم وآدم من تراب»[1] ويضافُ إليها حقوقُ الحيوانِ والجمادِ لمن يبتغون المزيدَ.

وقاعدةُ الثوابِ والعقابِ في الإسلام مربوطةٌ بحسنِ القصدِ وحسنِ العملِ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ . .﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

إن الإنسانُ يؤجرُ عند اللهِ بمقدارِ ما يقيمُ من حقٍّ ويهدمُ من باطلٍ، وما يسوقُ من خيرٍ ويمنعُ من شرٍ، وما يسترُ من عورةٍ ويؤمِّن من روعةٍ، وما يصونُ من مصالحَ ويدرءُ من مفاسدَ. منزلتُه عند ربِّه بمقدارِ ما ينافسُ في الخيراتِ وحسنِ المعتقد: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ سياجُ متينٌ تقومُ به الأمةُ لتحفظَ دينَها، ويدومَ خيرُها، فتحفظَ الصالحَ من أمورِها وشؤونِها وتقضي على السيءِ والفاسدِ من أحوالِها وأوضاعِها.

واليومُ الآخر آتٍ لا محالةَ، واللهُ يبعثُ من في القبورِ ليجازيَ كلاً بعملِه إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ فلابدَّ من جزاءٍ للمحسنين الأخيارِ وعقابٍ عادلٍ للمجرمين الأشرارِ.

وبعدُ أيها الناسُ. فالإسلامُ عقيدةٌ في القلبِ، وعبادةٌ للهِ،

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٣٣١ ـ ح٥١١٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١، ٥٢٤) وله شاهد عند الترمذي (٥/ ٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠).

وشريعةٌ في الحكم، ومنهجٌ للحياةِ شاملٌ لكلِّ ما تحتاجُ البشريةِ في معاملاتِها وتنظيمِ أسرِها وبيوتِها وفضِّ منازعاتِها وحلِّ خلافاتِها في تفاصيلَ دقيقةٍ مبسوطةٍ قريبةِ المنالِ.

هذه دعوةُ الإسلامِ وهذه مبادئُه فـ ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٣١ ـ ٣٢].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٤ ـ ٨٥].

الإسلام دعوة عالمية

الخطبة الثانية

الحمد للهِ حببَ لمن شاءَ من خلقه الإيمانَ وزيَّنه في قلوبِهم، وكرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ وجعلهم من الراشدين. أحمدُه سبحانُه وأشكرُه على سوابغِ نعمِه، واستزيدُه من سحائبِ جودِه وكرمه، وأشهد ألا إله إلا اللهَ وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بلغ الرسالةَ وأدى الأمانةَ وأوضحَ المحجةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فاتقوا اللهَ أيها الناسُ دهرَكم، وأخلصوا له سرَّكم وجهرَكم، اتقوه وآمنوا برسولِه يؤتكم كفلين من رحمته ويجعلْ لكم نوراً تمشون به ويغفرْ لكم.

أيها الناسُ: الإسلامُ دينُ اللهِ الذي وضعَ ضوابطَ دقيقةً للروحِ والجسدِ والعقلِ والقلبِ والفردِ والجماعةِ والدنيا والآخرةِ، ضوابطَ تعانقُها الفطرُ السليمةُ والأفكارُ النيرةُ، وتتقبلُها النفوسُ المتجردة.

والسعادةُ الحقةُ لمن ينشدُها لا تكون إلا في صدقِ الإيمانِ ونورِ الإسلام، والارتباطِ الصادقِ المخلصِ باللهِ الواحدِ الديانِ. إيمانٌ يصحبُ المرءَ في حياتِه كلِّها، يصبغه بصبغةٍ ثابتةٍ يظلُّ معه

في صحواتِه وغفلاتِه، وبيعِه وشرائِه، وحلِّه وترحالِه، وصداقاتِه وخصوماتِه، في فرحِه وترحِه، ووحدتِه وعِشْرتِه. والله سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

أيها الإخوةُ: هذه مبادىءُ من مبادىءِ الإسلام، وأثارٌ من آثارِ الإيمانِ ولكن ديننا قد شُوِّهتْ صورتُه من أَعداءَ مغرضين، شوهوه وشوهوا اتباعَه، لفَّقوا فيهم التهمَ، اتهموهم باستغلالِ الدين والعصبيةِ العرقيةِ والارهابِ العالميِّ.

نعم لقد ابتلي الإسلامُ بتلفيقاتٍ صارخةٍ تمسُّ الإسلامُ ذاتَه، وتنالُ نبيَّه محمداً ﷺ، وتطالُ القرآنَ العزيزَ حتى وصلَ بهم الحال إلى أن قالوا أن القضاءَ على الإسلامِ فريضةٌ محتمةٌ.

ألم تلحظوا أقواماً فتانين يسلكون مسالكَ خطيرةً، وأساليبَ معوجةً باسمِ الإصلاحِ ودعوىٰ الحقِّ. إنهم يدعون أرساءِ قواعدِ الإسلام يزرعون الفتنَ التي تؤدي إلى المجازرِ والحروبِ، وبدعوىٰ رخاء البشرية يُفقرون الغالبيةَ على حسابِ الأقليةِ، وبدعوىٰ حمايةِ البيئةِ يلوثون الرمالَ والجبالَ والغاباتِ والأنهارَ والمحيطاتِ والبحارَ والهواءَ والغذاءَ.

هذه صورةٌ من الحالِ المخزي. ومن أجل هذا فإننا نربأ بذوي العقلِ والحجا والرشادِ والحكمةِ أن يركنوا إلى الذين يَلبسون الحقَّ بالباطلِ ويمزجون بعض المعارفِ الصحيحةِ بالأكاذيبِ المفتراةِ ليقدموها في سياقٍ يبدو وكأنه بحثٌ محايدٌ أو نشاطٌ علميٌّ متجردٌ.

لماذا لا تكون هناك آذانٌ صاغيةٌ للنداءاتِ المتبرمةِ من

استعمارٍ كالحِ متعصبٍ يسرقِ الأقواتَ والعقائدَ، ويسممُ الأفكارَ ويفتنُ الناسَ؟ لماذا يُكره أقوامٌ على الكفرِ، ويُجبرون على تعليمٍ يزدري الدينَ ويهينُ المقدساتِ، ويرفضُ حكمَ اللهِ وشرعهِ.

هذا هو النصفُ وهذا هو داعي الرشدِ والعقلِ وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمعَ وهو شهيدٌ والسلامُ على من اتبعَ الهدىٰ.

التوكل

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ القاهرِ بقدرتِه، الظاهرِ بعزّتِه، الغالبِ بقوتِه، خلقَ الخلقَ على غيرِ مثالٍ. هو الأولُ ليس قبلَه شيءٌ، وهو الآخرُ ليسَ بعده شيءٌ، وهو الظاهرُ ليس فوقه شيءٌ، وهو الباطنُ ليس دونَه شيءٌ. المنشيءُ لما شاءَ بمشيئتِه، ولما سبق عندَه في علمِه، إذا أراد شيئاً فإنما يقولُ له كنْ فيكون. سبحانه جلَّ ثناؤُه وتقدَّستْ أسماؤه على ما يستحقُّ ذلك من خلقِه وكما هو أهلٌ لذلك في كبريائه وعظمتِه وجلالِه. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، ولا ربَّ لنا سواه، و لانعبدُ إلا إياه. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه بعثه اللهُ للعالمين هدىً ورحمةً، وجعلَ رزقَه تحت ظلِّ رمحِه، والعزةَ والنصرَ لمن أطاعه واتبعه، والذلةَ والصغارَ لمن خالفَ أمرَه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابتِه الغرِّ الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ. فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عز وجل، فاتقوه رحمكم اللهُ، واعتصموا بحبلِه حقَّ الاعتصام، واستمسكوا بالعروةِ الوثقىٰ التي ليس لها انفصامُ. حبلُ اللهِ الاَقرارُ بتوحيدِه، وأداءُ فرائضِه، وإقامةُ حدودِه، والتصديقُ بوعدِه ووعيدِه؛

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

أيها المسلمون: طلبُ الرزقِ غريزةٌ عند كلِّ الأحياءِ، فما أن تبدو بوادرُ الصباحِ حتى يستعدَّ الفلاحون والتجارُ، وأصحابُ الصنائعِ والحرفِ، وأربابُ الوظائفِ والإداراتِ، يستعدون للدخولِ في كدحٍ طويلٍ كي يحرزَ كلُّ امرىءٍ منهم قوتَه وقوتَ عياله.

وهذا الكدحُ الطويلُ والسعيُ الحثيثُ محكٌّ قاسٍ للأخلاقِ والمسالكِ، والثباتِ واليقينِ، والطمأنينةِ والرضىٰ.

إن اللهفَ على تأمينِ العيشِ، واللهاثَ من أجلِ سدِّ أفواه الصغارِ والضعافِ قد يلجىءُ بعضَ النفوسِ إلى الختْلِ والتلونِ، والكذبِ والحيفِ، والتدليسِ والغشِّ. وربما وُجدَ ضعافٌ يتملقون أقوياءَ، وأذلاءُ يذوبونَ في أعتابِ كُبراءَ.

إن إلحاحَ الرغبةِ في طلبِ الكفافِ أو طلبِ الثراءِ مع وعورةِ الطريقِ، وطولِ المراحلِ والمنازلِ في هذه الحياةِ، وشعورِ المرءِ بالحاجةِ إلى ناصرٍ ومؤنسٍ مع ما قد يلاقي من أعداءَ ومتربصين؛ كلُّ ذلك قد يدفعُ إلى اللؤمِ والذلةِ وسلوكِ المسالكِ الملتويةِ.

ولكن دينَ الإسلامِ يأبىٰ ثم يأبىٰ أن يكونَ الكدحُ وراءَ الرزقِ مزلقةً لهذه الآثامِ كلِّها، وينهىٰ ويكرهُ أن يلجأَ المسلمُ أبداً إلى غشٍ أو ذُلٍ أو ضَيمٍ ليجتلبَ به ما يشاءُ من حطامٍ.

وفي سدِّ هذا الطريقِ يقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يحملنَّكم استبطاءُ الرزقِ أن تأخذوه بمعصيةِ اللهِ فإن اللهَ لا يُنالُ ما عندَه إلا**

بطاعتِه»[1].

إذن ما هو المخرجُ؟ وما هو الحلُّ من هذه المعضلةِ التي يعيشُها فئامٌ من الناس على ظهرِ هذه البسيطةِ؟ يتهارشون ويأكلُ بعضُهم بعضاً، ويظلَمُ بعضُهم بعضاً؟؟ وفي عصرنا شاهدٌ كبيرٌ وأنموذجٌ ماثلٌ على هذه الصورةِ المزريةِ!!.

اسمعوا إلى هذا الحديثِ من نبيِّكم محمدٍ ﷺ؛ عن عمرَ بن الخطابِ رضي اللهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**لو أنكم تتوكلون على اللهِ حقَّ توكُّله لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ تغدو خِماصاً وتروحُ بطاناً**»[2].

وابن مسعودٍ رضي الله عنه يقولُ: (إن من ضعفِ اليقين أن ترضيَ الناسَ بسخطِ اللهِ وأن تحمدَهم على رزقِ اللهِ وأن تذمَّهم على ما لم يؤتِكَ الله؛ إن رزقَ اللهِ لا يجرُّه حرصُ حريصٍ ولا تردُّه كراهيةُ كارهٍ، وإن اللهَ بقسطِه وعدلِه جعلَ الرَّوْحَ والفرحَ في اليقين والرضا، وجعلَ الهمَّ والحَزَنَ في الشكِّ والسَّخَطِ.

أيها الإخوةُ: إنه التوكلُ على اللهِ. التوكلُ شعورٌ ويقينٌ بعظمةِ اللهِ وربوبيتِه وهيمنتِه على الحياةِ والوجودِ والأفلاكِ والأكوانِ. فكلُّ ذلك محكومٌ بحولِه وقوتِه سبحانه.

---

(١) رواه البزار وقال: رواته ثقات إلا قدامة بن زائدة بن قدامة فإنه لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل انظر الترغيب والترهيب (٢/ ٥٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٩٥ ـ ح٢٣٤٤) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٤ ـ ح٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠) واللفظ له، والحاكم (٤/ ٣١٨) وقال: صحيح الاسناد وسكت عنه الذهبي.

التوكلُ قطعُ القلبِ عن العلائقِ، ورفضُ التعلقِ بالخلائقِ، وإعلانُ الافتقارِ إلى محوِّلِ الأحوالِ ومقدِّرِ الأقدارِ لا إله إلا هو. إنه صدقُ اعتمادِ القلبِ على اللهِ عزَّ وجلَّ في استجلابِ المصالحِ ودفعِ المضارِّ ولا ينفعُ ذا الجدِّ منه الجدُّ.

التوكلُ صدقٌ وإيمانٌ، وسكنيةٌ واطمئنانٌ، ثقةٌ بالله في اللهِ، وأملٌ يصحبُ العملَ، وعزيمةٌ لا ينطفىءُ وهجُها مهما ترادفتْ المتاعتبُ. بالتوكلِ تُرفعُ كبواتُ البؤسِ، وتُزجرُ نزواتُ الطمعِ. لا يكبحُ شرهَ الأغنياءِ ولا يرفعُ ذلَّ الفقراءِ سوى التوكلِ الصادقِ على الحيِّ الذي لا يموت.

يقولُ سعيدُ بن جبيرٍ رحمه الله: التوكلُ على اللهِ جماعُ الإيمانِ. المتوكلُ على اللهِ ذو يقظةٍ فكريةٍ عاليةٍ ونفسٍ مؤمنةٍ موقنةٍ. قال بعضُ الصالحين: متى رضيتَ بالله وكيلاً وجدتَ إلى كلِّ خيرٍ سبيلاً.

وقال بعضُ السلفِ: بحسبِك من التوسلِ إليه أن يعلم من قلبِك حُسنَ توكلِكَ عليه.

التوكلُ إيمانٌ بالغيبِ بعد استنفادِ الوسائلِ المشروعةِ في عالمِ الشهادةِ. تسليمُ للهِ بعدَ أداءِ كلِّ ما يرتبطُ بالنفسِ من مطلوباتٍ وواجباتٍ.

أيها الإخوةُ: وأولُ بواعثِ التوكلِ ومصادره توحيدُ اللهِ وإفرادُه بالعبادةِ؛ فالربُّ المعبودُ سبحانه: له الأسماءُ الحسنىٰ والصفاتُ العلا ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ . .﴾ [الزمر: ٦٢ ـ ٦٣] ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا

يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٨٥]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الشعراء: ٢١٧ـ٢٢٠].

التوكلُ أجمعُ أنواعِ العباداتِ، وأعلى مقاماتِ التوحيدِ، وأعظمُها وأجلُّها. وما ذلك إلا لما ينشأ عنه من الأعمالِ الصالحةِ، والرضىٰ العميقِ، واليقين الثابتِ.

ولقد جاءَ الأمرُ به في كتابِ اللهِ في أوجهٍ مختلفةٍ، وسياقاتٍ متعددةٍ، ومناسباتٍ متكاثرةٍ. بل لقد جعلَه شرطاً للإسلامِ والإيمانِ فقال سبحانه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس: ٨٤]. وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]. قال أهلُ العلمِ: فدل ذلك على انتفاءِ الإسلامِ والإيمانِ بانتفائه.

وقال عن أنبيائه ورسله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢] وقال لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل: ٧٩]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ [الأحزاب: ٣]. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١]. ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩].

وقال عن أصحاب نبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال عن أوليائه: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال في صفاتِ المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

وقال في جزاءِ المتوكلين: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٣] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦﴾ [الشورى: ٣٦].

أيها الإخوةُ: هذا هو التوكلُ في حقيقتِه، وأثرِه، وجزائِه، وصفاتِ أهلِه لكنه ما كان تواكلاً ولا اتكاليةً، وما كان ضَياعاً ولا اهمالاً للسننِ والأسبابِ.

إن تحقيقَ التوكلِ لا ينافي السعيَ والأخذَ بالأسبابِ البتَّةَ. إن السعي في الأسبابِ بالجوارحِ طاعةٌ للهِ، والتوكلَ على اللهِ بالغيبِ إيمانٌ بالله.

إن المتوكلين في كتابِ الله هم العاملون: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ [العنكبوت: ٥٨ ـ ٥٩].

وإمامُ المتوكلين نبيُّنا محمدٌ ﷺ، وسيرتُه جليةٌ محفوظةٌ؛ فقد اختفىٰ في الغارِ عن الكفارِ، وظاهرَ في بعضِ غزواتِه بين درعين[1]، وتعاطىٰ الدواءَ، وقال: «**من يحرسنا الليلة**»[2] وأمر بغلقِ البابِ واطفاءِ النارِ عند المبيتِ[3] وقال لصاحب الناقة:

---

(١) أي لبس درعين فوق بعضهما زيادة في الوقاية والتحصين.

(٢) أخرجه أبوداود (٣/ ٩ ـ ح٢٥٠١)، وأحمد (١/ ٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٩١ ـ ح٥٦٢٣)، ومسلم (٣/ ١٥٩٤ ـ ح٢٠١٢).

«**اعقلها وتوكل**»[1].

وقال سبحانه لنبيِّه لوطٍ عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١، الحجر: ٦٥] وأوحىٰ إلى نبيِّه موسىٰ: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢﴾ [الشعراء: ٥٢]. ونادىٰ أهلَ الإيمانِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

فليس التوكلُ بإهمالِ العواقبِ واطراحِ التحفظِ، بل ذلك عند العقلاءِ والعلماءِ عجزٌ وتفريطٌ يستحقُّ صاحبُه التوبيخَ والاستهجانَ.

ولم يأمرْ اللهُ بالتوكلِ إلا بعدَ التحرزِ واستفراغِ الوسعِ فقال عز شأنه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إن العبدَ المؤمنَ ليجمعَ بين فعلِ الأسبابِ والاعتصامِ بالتوكلِ، فلا يجعل عجزه توكلاً، ولا توكلَه عجزاً. إنْ تعسرَ عليه شيءٌ فبتقديرِ اللهِ وإن تيسرَ له شيءٌ فبتيسيرِ اللهِ.

يقولُ سهلٌ التُّستَري: من طَعَنَ في الحركةِ والسعي فقد طعنَ في السنةِ، ومن طعنَ في التوكلِ فقد طعنَ في الإيمانِ. فالتوكلُ حالُ النبيِّ ﷺ، والكسبُ سنتُه فمن عملَ على حالِه فلا يتركنَّ سنتَه.

والمسلمُ المتوكلُ يخرجُ من بيتِه متوجهاً إلى عملِه ومهنتِه، تزدلفُ قدمُه من عتبةِ بابِه وهو يقول: «**باسم اللهِ، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، اللهمَّ إني أعوذ بك أن أزِلَّ أو**

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٧٦ ـ ح٢٥١٧).

أُزَلَّ، أو أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَظلمَ أو أُظْلَم أو أجهلَ أو يُجهلَ عليَّ»[1].

وقد كان من ذكرِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**اللهم لكَ أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليكَ توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، أعوذُ بعزتِك، لا إله إلا أنتَ الحيُّ الذي لا يموتُ، والجنُّ الأنسُ يموتون**»[2].

ومن قال: باسم اللهِ توكلتُ على اللهِ لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ يقالُ له حينئذٍ كُفيتَ ووُقيتَ وهُديتَ، وتنحىٰ عنه الشيطانُ[3]. وهو يقولُ لشيطانٍ آخر: ما تريدُ من عبدٍ قد هُديَ وكُفيَ وحُفظَ؟؟. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩].

أيها الإخوةُ: وثَمتَ موطنٌ من مواطنِ العملِ لا يكونُ على وجهِه، ولا تتحققُ غايتُه إلا حينما يكونُ التوكلُ لبَّه وعمودَه. إنه موطنُ الصبرَ والحقِّ الذي يحملُ عبئَه أنبياءُ اللهِ عليهم السلامُ ومن اقتفىٰ أثرَهم من أهلِ العلمِ والإيمانِ والصلاحِ والإصلاحِ. إن كلَّ أولئك يتعرضون لمخاوفَ مزعجةٍ، لا يثبتونَ على الرَّوعِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٧ ـ ح٣٤٢٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٤/ ٣٢٥ ـ ح٥٠٩٤)، والنسائي (٨/ ٢٦٨)، وأحمد (٦/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٥ ـ ح١١٢٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٦ ـ ح٢٧١٧) واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٦ ـ ح٣٤٢٦) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأبوداود (٤/ ٣٢٥ ـ ح٥٠٩٥) واللفظ له، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٨ ـ ح٣٨٨٦).

والغبنِ إلا لأملِهم في اللهِ واستنادِهم إليه، لا يثبتون إلا بالتوكلِ الذي ينيرُ أمامهم ظلماتِ حاضرِهم، ويعينُهم على مواجهةِ الأخطارِ بعزمٍ وثقةٍ واطمئنانٍ.

وما يلاقيه الأنبياءُ شيءٌ عظيمٌ يجسدُه قولُ موسىٰ وأخيه عليهما السلامُ وقد أمرهما ربُّهم أن يذهبا إلى فرعونَ فقالا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه: ٤٥]. فجاءهما الدواءُ البلسمُ ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦].

إنه الشعورُ الكبيرُ والعميقُ بمعيةِ اللهِ وعنايتِه، ذلكم هو المؤنسُ في الموحشاتِ، والمشجعُ في الرهباتِ. وهذا هو هو أبوبكرٍ الصديقُ رضي الله عنه يقولُ: نظرتُ أقدامَ المشركين ونحنُ في الغارِ وهم على رؤوسنا فقلتُ يا رسولَ اللهِ لو أن أحدَهم نظرَ تحتَ قدميه لأبصرنا؛ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما**»(١). والله عز وجل يقول في محكم كتابِه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وحينما ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣].

جاء الجوابُ على لسان خطيبِ الأنبياءِ شعيبٍ عليه وعلى نبيِّنا وعلى جميع أنبياءِ اللهِ الصلاةُ والسلامُ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١١ ـ ح٣٦٥٣)، وأحمد (١/ ٤) واللفظ له.

﴿خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

إنه المجدُ الشامخُ لا يخطُّه إلا نفرٌ من المؤمنين المتوكلين ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الملك: ٢٩].

التوكل

الخطبة الثانية

الحمد للهِ لا شريكَ له في مُلكه، ولا مانعَ له في أمرِه، ولا مقاومَ له في عزِّه، هو المتفردُ بالأمرِ كلِّه. سبحانه وبحمدِه جلَّ ثناؤُه، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه بعثه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون: من كان باللهِ وصفاتِه أعلمَ وأعرفَ كان توكلُه أصحَّ وأقوىٰ... ومن لم يكنْ كذلك فهو يظنُّ أن حظوظاً عمياءُ هي التي تقررُ مصائرَ الحياةِ والأحياءِ.

إن المقطوعين عن اللهِ هم عبيدُ الحظوظِ الشاردةِ والأسبابِ المبتورةِ.

وقد قال بعضُ أهلِ العلم: أن الفلاسفةِ والماديين لا يصحُّ منهم توكلٌ كما لا يكونُ ذلكَ من القدريةِ النفاةِ الذين يعتقدون أنه يقع في ملكِ اللهِ ما لا يريدُ ولا يشاءُ، تعالىٰ اللهُ عما يقول الظالمون الجاحدون علواً كبيراً.

إن التوكلَ على اللهِ لا يعرفُه العاطلون البطالون.

ضعيفُ التوكلِ لا هو عند الوجودِ يشكرُ رتبتَه، ولا هو عند العدم يرضىٰ حالته.

وإن من الجهلِ باللهِ وصفاتِه وضعفِ الإيمانِ بوعدِه ووعيدِه أن يتوقعَ أحدٌ الخذلانَ والضياعَ وهو مرتبطٌ بربِّه معتمدٌ عليه، واللهُ يقول: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٣٦ ـ ٣٧].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

والمحرومُ لن يدركَ مهما طلبَ، والمرزوقُ سوف يأتيه رزقُ مهما قعدَ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم الله، وأجملوا في الطلبِ، ولا تفرطوا في السببِ، وتوكلوا على اللهِ فإن اللهَ يحبُّ المتوكلين.

الكهنة والمشعوذين

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أهلِ الحمدِ والثناء، يُضلُّ بعدلِه ويهديْ بفضلِه، من اهتدىٰ من عبادِه فلنفسِه سعىٰ، ومن عذابِ اللهِ نجا، ومن أعرضَ وأبىٰ فعلى نفسِه جنىٰ، وإن الجحيم هي المأوىٰ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له له الحمدُ في الآخرة والأولىٰ، وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، أنقذ به من الضلالةِ، وهدىٰ به من العمىٰ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أئمةِ الهدىٰ، ومصابيحِ الدجىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وعلى طريقِهم اقتفىٰ.

أما بعدُ فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ ربَّكم، فهو سبحانه أحقُّ أن يطاعَ فلا يعصىٰ، ويذكرَ فلا يُنسىٰ، ويشكرَ فلا يكفرُ.

أيُّها المسلمون: ربُّنا اللهُ الذي في السماءِ تقدسَ اسمُه، ولا إله غيرُهُ. من اعتصمَ به هُديَ إلى صراطٍ مستقيم، ومن استعان به واستعاذَ أوىٰ إلى ركنٍ شديدٍ. نزَّلَ من القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين. أعظمُ ما تتعلقُ به القلوبُ رجاؤه. وأعذبُ ما تلهجُ به الألسنُ ذكرُه ودعاؤه. سبحانُه وتقدسَ وتباركَ لاشفاءَ إلا شفاؤُه.

خلقَ الأجسادَ وعِلَلَها، والأرواحَ وأسقامَها، والقلوبَ

وأدواءَها، والصدورَ ووَسْوَاسَها.

أيها الإخوةُ: صلاحُ الجسدِ مرتبطٌ بصحةِ المعتقدِ، بل متى يصلحُ الجسدُ إذا لم يصلحْ المعتقدُ؟؟.

حين يضعفُ وازعُ الإيمانِ، ويختلُّ ميزانُ الاعتقادِ تختلطُ الحقائقُ بالخرافةِ، وتنتشرُ الخزعبلاتُ والأوهامُ، ويفشو الدجلُ والشعوذةُ. ويضيعُ الحقُّ بين فريقين؛ ضلَّالٌ ماديون ينكرون الغيبَ وعالَمَه ويكفرون بما جاءَت به رسلُ اللهِ من الحقِّ، وكلُّ ما عدا المادةَ فهي عندهم أساطيرُ وأوهامٌ من معتقداتِ المجتمعاتِ البدائيةِ، أساطيرُ تخطَّاها الإنسانُ المتحضرُ. الإيمانُ بالغيبِ عندهم ردةٌ حضاريةٌ إلى عصورِ الظلامِ.

يقابلهم فريقٌ آخرُ عششتْ الخرافاتُ في رؤوسِهم وامتلأتْ بالخزعبلاتِ صدورُهم، تعلقت قلوبُهم بالسحرِ والكهانةِ، ارتبطتْ مصائرهم بالتنجيم والعِرافَة، ضربٌ بالكفِّ والرملِ، ونظرٌ في الوَدَعِ والخَرَزِ، واستشفاءٌ بالأنواءِ.

وكلا الفريقين قد سلك مسلكَ الجاهليةِ. أما الأولون فجاهليتُهم الإعراضُ عن العلمِ المتنزلِ على رسلِ اللهِ، ورفضُ ما جاء به المرسلون. فلاسفةٌ وملاحدةٌ وزنادقةٌ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر: ٨٣].

وأما الآخرون فاعتمدوا على التقاليدِ الفاسدةِ وبنوا حياتَهم على الظنونِ والتخرصاتِ وتعلقوا بأهلِ الكهانةِ والسحرِ والتنجيم فهم في لونٍ آخرَ من الجاهليةِ الجهلاءِ؛ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ

مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

أيُّها المسلمون: إن الإنسانَ جسدٌ وروحٌ، فكما يتأثرُ بالمادةِ وأسبابِها من طعامٍ وشرابٍ، وحرٍ وقرٍ، وغذاءٍ ودواءٍ، فإنه يتأثرُ بالمؤثراتِ الروحيةِ بإذنِ اللهِ.

فالشيطانُ وجنودُه جعل اللهُ لهم تسلطاً على بني آدمَ؛ ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤] ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧].

وأخبرَ نبيُّكم محمدٌ ﷺ «أنه ما من أحدٍ من بني آدمَ إلا وقد وُكِّلَ به قرينُه من الجنِّ، قالوا: وإياك يا رسولَ اللهِ، قال: **وإيَّايَ إلا أن اللهَ أعانني عليه فأسلمَ فلا يأمرُني إلا بخيرٍ**»[1] أخرجه مسلم. وفي خبرٍ عند مسلمٍ أيضاً: «**إن الشيطان يحضرُ أحدَكم عند كلِّ شيء من شأنه**»[2].

بل إن هذا التأثيرَ ـ أيها الإخوةُ ـ منه ما هو وسوسةٌ وإيحاءٌ، ومنه ما هو محسوسٌ وملموسٌ.

وتظهر الوسوساتُ والإيحاءاتُ في صورٍ وأحوالٍ من الدوافعِ والانفعالاتِ ففي هاجس الفقرِ وحبِّ المالِ ومسالكِ الفحشاءِ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وفي

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٧ ـ ح٢٨١٤)، وأحمد (١/ ٤٦٠).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٧ ـ ح٢٠٣٣).

حب الأولاد والعواطف: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤] «**والنظرة سهم من سهام إبليس**»[(١)]. وفي انفعالاتِ الغضبِ يتغلغلُ الشيطانُ ليخرجَ المرءُ عن طورِهِ المعتدلِ فيسبُّ ويشتمُ ويقطعُ الرحَم ويُطَلِّق. وفي الحديث: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[(٢)] متفق عليه.

حتى انفعالات الغيرةِ النسائيةِ أيها الأخواتُ المسلماتُ للشيطانِ فيها نصيبٌ. فحينما افتقدتْ عائشةُ رضي الله عنه حبيبَها محمداً ﷺ ذات ليلةٍ أدركتْها الغيرةُ. فقال لها عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أو قد جاءك شيطانُك؟** فقالت: أو معي شيطانٌ؟ **قال: نعم**. قالت: ومع كلِّ إنسانٍ؟ **قال: نعم**»[(٣)]. رواه مسلم.

بل إن الشيطانَ قد يَبثُّ المخاوفَ في النفس، ويهزُّ القلوبَ بالقلقِ والحَزَنِ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١٠].

ويترقىٰ ذلك إلى بثِّ النزغاتِ العداونيةِ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]. وفي الخبرِ الصحيح: «**إن الشيطان يئس أن يعبدَهُ المصلون في جزيرةِ العربِ ولكنه لم**

---

(١) قال المنذري: رواه الطبراني والحاكم انظر الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤)، وقد أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٣)، وقال: صحيح الاسناد ولكن الذهبي تعقبه فقال: (اسحاق واه، وعبدالرحمن هو الواسطي ضعفوه).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣٥ ـ ح٦١١٥)، ومسلم (٤/ ٢٠١٥ ـ ح٢٦١٠) واللفظ له.

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢١٦٨ ـ ح٢٨١٥)، وأحمد (٦/ ١١٥).

ييأس في التحريشِ بينهم»[1].

أما التأثيرُ المحسوسُ الملموسُ فقد أخبر عليه الصلاةُ والسلامُ **«أن كل بني آدمَ يُطعنُ في جنبِه باصبعِه حين يُولد ـ أي بإصبعِ الشيطان ـ»**[2]. رواه البخاري، وقال أيضاً: **«إن عدوَّ اللهِ إبليسَ جاء بشهابٍ من نارٍ ليجعلَه في وجهي»**[3]. رواه مسلم.

وهذه الآثارُ ـ أيُّها الأحبةُ ـ معنويُّها وحسيُّها لها علاجُها ووقايتُها إذا رُزقَ العبدُ إرادةً قويةً مؤمنةً متعلقةً بربِّها واثقةً به: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩ـ١٠٠].

جيء إلى النبيِّ ﷺ بصبي به مسٌ من الشيطانِ فنفثَ عليه الصلاةُ والسلامُ في فيه ثلاثاً وقال: **«بسم الله أنا عبدُالله اخسأْ عدوَّ اللهِ»**[4].

واشتكىٰ ابنُ أبي العاصِ إلى النبيِّ ﷺ شيئاً يأتيه يصرفُهُ عن صلاتِه، فقال ﷺ: **«ذاك شيطانٌ ثم ضربَ على صدرِ ابن أبي العاصِ وقال: أخرجْ عدوَّ اللهِ (ثلاثا)»**[5] رواه ابن ماجه بسندٍ صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٦ ـ ح٢٨١٢)، والترمذي (٤/ ٢٩١ ـ ح١٩٣٧) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (٢/ ١٠١٥ ـ ح٣٠٥٥)، وأحمد (٥/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٨ ـ ح٣٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٨٥ ـ ح٥٤٢)، والنسائي (٣/ ١٣).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٨) وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي، وأحمد (٤/ ١٧٠) واللفظ له.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٧٤ ـ ح٣٥٤٨).

وإذا تثاءبَ أحدُكم فليمسكْ بيده على فيهِ فإن الشيطانَ يدخلُ[1]. وإذا استيقظَ أحدُكم من منامِه فليستنثرْ فإن الشيطانَ يبيتُ على خيشومِه[2].

إذا كانَ الأمرُ كذلك ـ أيُّها المسلمون ـ فلتعلموا أن الناسَ تختلفُ في ضعفِ نفوسِها، وقوةِ إرادتِها، وصدقِ يقينِها وتعلقِها بربِّها، وقوةِ تأثيرِ الوساوسِ عليها.

فأهلُ الإيمان والتقوىٰ: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] تذكروا ورجعوا إلى ربِّهم، موقنينَ أنه النافعُ الضارُّ الحكيمُ المدبِّرُ: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ يهديهم ربُّهم بإيمانِهم، فيعتدل حالُهم ويستقيمُ مَزاجُهم، اتقوْا ربَّهم فجعلَ لهم نوراً يمشون به: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]. إنهم مؤمنون غيرُ متذبذبين، مُتَّزِنون غيرُ مترددين، إيمانٌ راسخٌ، ومعتقدٌ ثابتٌ لاتُقْعِدُهم الضغوطُ، ولا تستفزُّهم الأوهامُ، شيطانُهم في وسواسِهِ خناسٌ. نفوسٌ طيبةٌ بذكرِ اللهِ مطمئنَّةٌ، ترضىٰ بربِّها، وتؤمنُ بما جاءَ من عندِه، مُتطهرةٌ من الغلِّ صادقةٌ في التعاملِ.

وثمَّتَ نفوسٌ ذاتُ ترددٍ وتعجُّل، وقلةِ صبرٍ وقلقٍ، متسرعةٌ

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١٠/ ٦٢٦ ـ ح٦٢٢٦)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٣ ـ ح٢٩٩٥).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (٦/ ٣٩١ ـ ح٣٢٩٥)، ومسلم (١/ ٢١٣ ـ ح٢٣٨).

في مواقفِها، متقلبةٌ في انفعالاتِها، تتعرضُ للمزعجاتِ النفسيةِ، والمقلقاتِ الداخليةِ، يتلبَّسُها الخوفُ والاضطرابُ، والعدوانُ والغضبُ، ضعيفةُ الإبصارِ، مهتزةُ الجنانِ: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٢] سرعانَ ما ينساقون وراءَ الأوهامِ، بل ينجرُّون إلى ألوانٍ من الانحرافاتِ والمعاصي، فيكثرُ وَسْواسُهم، ويعظم بغير اللهِ تعلقُهم، ويشتدُّ بالخزعبلاتِ اهتمامهم فيما يسمعون، وفيما يرون، وفيما يُعْطَون.

أيها الأحبةُ: إن عقيدةَ المسلم في كتابِ اللهِ واضحةٌ وفي سنةِ رسولِ اللهِ بينةٌ. القرآنُ لهذه الأدواءِ هو الشفاءُ ولكنه لأهلِ الإيمانِ خاصةً: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

علاجُ أدوائِكم في قرآنِكم وفي سنةِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ. وطلبُ العلاجُ مشروعٌ، والأخذُ بالأسبابِ المباحةِ مطلوبٌ، فقد أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أن لكلِّ داءٍ دواءاً، فإذا أصابَ الدواءُ الداءَ برأَ بإذن اللهِ**»(١) وقال أيضا: «**ما أنزلَ اللهُ داءً إلا أنزلَ له شفاءً**»(٢) هذا هو لفظ البخاري، وزاد أحمدُ: «**علِمَهُ من عَلِمَهُ وجهله من جهلـه**»(٣). وهذا الدواءُ لا يكونُ ولن يكونَ فيما حرَّمَ اللهُ ورسولُه، فتداووْ عبادَ اللهِ ولاتتداووْ بحرامٍ.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١٠/ ١٤١ ـ ح٥٦٧٨)، ومسلم (٤/ ١٧٢٩ ـ ح٢٢٠٤) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٤١ ـ ح٥٦٧٨)، والترمذي (٤/ ٣٣٥ ـ ح٢٠٣٨)، وابن ماجه (٢/ ١١٣٨ ـ ح٣٤٣٩).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٧).

«وليس منا من تطيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أو تكهَّنَ أو تُكهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له»[1]، **«ومن أتىٰ كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزلَ على محمدٍ ﷺ »**[2].

وحصولُ البرءِ والشفاءِ بيدِ اللهِ وإذنِه، فلا يأسَ من رَوْحِ الله، ولا استبعادَ لفرجِ اللهِ، **«وعجباً لأمرِ المؤمنِ، وأمرُهُ كلُّه خيرٌ، إن أصابته سراءُ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابتهُ ضراءُ صبر فكان خيراً له ولا يكون ذلك إلا لمؤمن»**[3].

هذه هي العقيدةُ وهذا هو المنهجُ، ولكن أين العقيدةُ من أناسٍ خفافيشِ القلوبِ ضعافِ النفوسِ تعلَّقوا بالدَّجالينَ، ولحقوا بركابِ المشعوذينَ؟ ضلُّوا في متاهاتِ الكذبِ والكهانةِ، فسادُ معتقدٍ، وضياعُ مالٍ، ودوامُ مرضٍ.

إنكم تعلمون والمرضىٰ يعلمون أنهم قل ما يجدون عند هؤلاء الدجاجلةِ شفاءً، ولكنهم قد يجدون عندَهم راحةً نفسيةً لفترةٍ قصيرةٍ، ثم لا يلبثون أن ينتكِسُوا إلى حالٍ أشدَّ، فلا شُفِيَ لهم مريضٌ، ولا ارتفعتْ عنهم حيرةٌ. أضاع نفسَهُ وخسِرَ مالَه، وهل سلِمَ له دينُه؟.

غَرِقُوا في دَجَلٍ وشعوذاتٍ وعُقَدٍ وهمْهمَاتٍ وعزائمَ وطلاسمَ

---

(١) قال الهيثمي (٥/١١٧): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع وهو ثقة.

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ١٥ ـ ح٣٩٠٤)، والترمذي (١/ ٢٤٢ ـ ح١٣٥) وأشار إلى ضعفه، وابن ماجه (١/ ٢٠٩ ـ ح٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٥ ـ ح٢٩٩٩)، وأحمد (٤/ ٣٣٣).

وتلطخِ بالنجاساتِ، في المقابرِ والخربِاتِ وبيوتِ الخلاءِ، يعقدونَ الخيوطَ، وينفثون العُقَدَ، ويوقدونَ المباخرَ، ونعوذ بالله من شرِّ النفاثاتِ في العقدِ. كثيرٌ منهم معالِجون ذوو قلةٍ في الديانةِ، وخبثٍ في النفسِ، وشرٍ في العملِ، وفتنةٌ للذين في قلوبِهم مرضٌ.

ناهيكَ بما يظهرُ من مخالفاتٍ في الدينِ بينةٍ، في تكاسلٍ عن الصلاةِ، وخللٍ في السلوكِ، وجُرأةٍ على الحرماتِ، وأكلٍ لأموالِ الناسِ بالباطلِ، وخلواتٍ بالنساء محرمةٍ، بل قد يباشرُ ما لا يحلُّ له من نظرٍ ومَسٍّ.

إن ضررَ هؤلاءِ يتعاظمُ، وخَطْبَهم يشتدُّ، فحقٌ على أهلِ العلمِ والإيمانِ أن يشتدَّ نكيرُهم، وإن الله ليزعُ بالسلطانِ ما لا يزعُ بالقرآن، فعلى ولاةِ أمورِ المسلمين أن يُخلِّصُوا هؤلاء الضعافَ العامةَ من أشباهِ الرجالِ والنساءِ والصبيانِ، يُخلِّصُوهم من براثنِ الأفَّاكين الأكالين لأموالِ الناسِ بالباطلِ، عبدةِ الدرهمِ والدينارِ، الذين ينازعون اللهَ ربَّ العالمَين ما اختصَّ به من الربوبيةِ وعلمِ الغيبِ، ويُضبطُ ذلك وينظمُ بضوابطِ الشرعِ وما ينفعُ الناسَ.

ولقد حَمِدَ كلُّ صاحب سنةٍ ودينٍ ما قام به ولاةُ أمورِ هذه البلادِ وفقهم اللهُ من متابعةِ لهؤلاءِ المشعوذين[1] والدجالين، وإنزالِ العقابِ الرادعِ بهم بما تقضيْ به الشريعةُ المطهرةُ، سدد اللهُ الخطىٰ، وباركَ في الجهودِ وزادهم إحساناً وتوفيقاً وحفظ اللهُ على أمةِ الإسلامِ دينَها وحُسْنَ معتقِدِها وأصلحَ بالَها إنه سميعٌ مجيبٌ.

---

(١) وافق ذلك إقامة حد على ساحر بالقتل.

في الكهنة والمشعوذين

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ كفىٰ وشفىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهـد أن سيـدَّنـا ونبيَّنـا محمـداً عبـدُه ورسـولُـه النبـي المصطفىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ البرِّ والوفاءِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على هديهم واقتفىٰ.

أما بعد فيا أيُّها الناسُ: من تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه، فمن تعلَّق بربِّه ومولاه ربِّ كلِّ شيءٍ ومليكِه كفاه ووقاهُ وحفظه وتولاه، فهو نعمَ المولىٰ ونعمَ النصير، ومن تعلَّق بالكهنةِ والسحرةِ والشياطينِ والمشعوذين وغيرِهم من أفَّاكي المخلوقين وكلَه اللهُ إلى من تعلَّقَ به.

والتعلـقُ يكـونُ بـالقلـبِ وبـالفعـلِ ويكـون بهمـا جميعـاً، فالمتعلقون بربِّهم المُنْزِلون حوائِجَهم به، المفَوِّضون أمورَهم إليه، يكفيهم ويحميهم يقرِّبُ لهم البعيدَ، وييسرُ لهم العسيرَ، ومن تعلقَّ بغيرِ ربِّه، وسكن إلى رأيه وعقلِه واعتمدَ على دوائِه وتمائمه وكَلَه إلى ما تعلَّق به وخذله.

يقول عطاءٌ الخراسانيُّ: لقيتُ وهبَ بنَ منبِّهٍ وهو يطوفُ بـالبيتِ، فقلتُ: حدِّثنيْ حديثاً أحفظُه عنكَ في مقامي هذا

وأوجزْ، قال: نعمْ. أوحىٰ اللهُ تباركَ وتعالىٰ إلى نبيِّه دوادَ؛ يا دوادُ: أما وعزّتي وعظمتي لا يعتصمُ بي عبدٌ من عباديْ دونَ خلقي أعرفُ ذلك من نيّته فتكيدُهُ السمواتُ السبعُ ومن فيهنَّ، والأرضون السبعُ من فيهنَّ إلا جعلتُ له من بينهنَّ مخرجاً، أما وعزّتي وعظمتي لا يعتصمُ عبدٌ من عبادي بمخلوقٍ دوني أعرفُ ذلك من نيّته إلا قطعتُ أسبابَ السماءِ من يدِه، وأسختُ الأرضَ من تحتِ قدمِهِ ثم لا أبالي بأيِّ أوديتِها هلكَ.

ألا فاتقوا اللهَ ربّكم. وأحسِنوا به الظنَّ والمعتقدَ وأحسنوا العملَ، فربُّكم سبحانه ربُّ الأربابِ ومسببُّ الأسبابِ، وتداووا ولا تداووا بحرامٍ.

النفاق والمنافقون

الخطبة الأولى

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضاه، وأشكره وأثني عليه لعظيم فضلِه وجزيلِ عطاياه، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولَه، وخليله ومصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على نهجه واقتفاه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعدُ: أيُّها المسلمون: المرءُ جوهرٌ ومظهرٌ، فجوهرهُ ما يجتمعُ فيهِ من حقائق الإيمانِ والأخلاقِ، ومدركاتِ العقلِ والعلمِ، وخبراتِ العملِ والانتاجِ.

أمَّا مَظهرُهُ فصفاته الجسميةِ وممتلكاتُه المادية ووجاهتُه الظاهريةُ مما لا يتصلُ ببنائه. ديناً وعقلاً، وتربيتِهِ خُلقاً وفكراً.

ومن غيرِ المنكورِ أن للمظهرِ تأثيراً في المخبرِ، فبينهما ترابطٌ

وتجاذبٌ، وتلازمٌ وتناسقٌ. وذلك شيءٌ يقره الدين ولا تُغْفِلُه التربية، ولأجلِ هذا أُمِرَ المسلمون بالانضباطِ وحسنِ المظهرِ في صلواتِهم وتسويةِ صفوفِهم وقيامِهم لربِّهم قانتين. ولمثلِ هذا جاءَ الأمرُ بالتطهُّرِ والتنظفِ والتطيبِ وحُسْنِ الملبس. وفي الجهادِ تكون صفوفُ المجاهدين كالبنيانِ المرصوص طاعَةً وانقياداً.

ولكنَّ المشكلةَ تظهرُ وتَتَبيَّنُ حينما تَختلُّ في ذلك المقاييسُ وتضطربُ الموازينُ. ذلك أن للشكلِ الظاهرِ وصورِ المظاهرِ سلطاناً قوياً في التأثيرِ، وانتزاعِ الاعجابِ، وانبهارِ الألبابِ.

ولقد نبَّه نبيُّنا محمدٌ ﷺ أصحابَه إلى ضرورةِ الدقةِ في النظرِ وعدم الاغترارِ بالظاهرِ المجرَّدِ.

جاء في الحديثِ الصحيح أن رجلاً مرَّ على النبيِّ ﷺ وهو جالسٌ مع أصحابِه، فقال علَيه الصلاةُ والسلامُ: «**ما تقولون في هذا؟** قالوا: حريٌّ بهِ إنْ خطبَ أن يُنْكحَ، وإنْ شفعَ أنْ يشفَّعَ، وإن قال أنْ يُستمعَ إليه.

ثم جاءَ رجلٌ آخرُ فقال: ما تقولونَ في هذا؟ قالوا: حريٌّ إن خطبَ ألا يُنكحَ، وإنْ شفعَ إلا يُشفَّعَ، وإن قال ألا يُستمعَ إليه؛ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مثلَ هذا**»[1].

ولكم أن تتساءَلوا: هل قيمةُ المرءِ ما يحسنُه ويتقنُه ويُثَمِّرُه؟ أو أن قيمتَهُ ما يملُكُه ويجمعُه ويستهلكُه؟؟.

إذا كان الأمرُ كذلكَ ـ أيها المسلمون ـ فهل لنا أن نقفَ

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٣٥ ـ ح٥٠٩١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٩ ـ ح٤١٢٠).

وقفاتٍ مع كتابِ اللهِ في تقريرِ هذا الميزانِ، وتجسيدِ صُورٍ من الانحرافِ في من يُخسْرون الميزان؟؟.

أيُّها الإخوةُ الأحبةُ: تأملوا هذه الآياتِ الكريماتِ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

وقوله عز وشأنه: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ . .﴾ [المنافقون: ٤].

الإعجابُ بالظواهرِ لمجرَّدِها مُوقعٌ في الهلكةِ. إعجابٌ بكثرةِ الأولادِ، وصحةِ الأجسادِ، ووفرةِ الأموالِ، وطلاقةِ الألسنةِ، وأحاديثِ الدنيا، وشؤون المادةِ. إعجابٌ يزيدُ النفوسَ الضعيفةَ اضطراباً واكتئاباً، ويحسَبُون أنها تغني عن الإيمانِ، أو تهدي إلى الحقِّ، أو تقودُ إلى الصلاحِ والإصلاحِ.

أيُّها الإخوةُ: وأعظمُ مظهرٍ يتجلىٰ فيه خَللُ الميزانِ، وأكبرُ صورةٍ يتبيَّن فيها انتكاسُ العقلِ وارتكاسُ الفطرةِ وضلالُ البصيرةِ النفاقُ والمنافقون.

إن النفاقَ وأهلَه وصفاتِ المنتمين إليه يطرَحُ قضيةً خطيرةً في حياةِ الإنسانيةِ بعامةٍ، وحياةِ المسلمين بخاصةٍ، إنها علاقةُ

المَخْبَرِ بالمظهرِ، والباطنِ بالظاهرِ، والعقيدةِ بالسلوكِ، والقولِ بالعملِ. إنهم الطابورُ الخامسُ كما يقولُ المعاصرون.

ولقد انتدبَ القرآنُ الكريمُ بآياتِه وسورِه لفضحِ هذه الفئةِ، وهتكِ أستارِها، فجلَّىٰ دخائِلَ نفوسِها، وخلجاتِ ضمائرِها، وسوءَ فِعالِها وأقوالِها؛ في اضطرابِ المعتقدِ، والإعراضِ عن الهدىٰ والحقِّ، ونقضِ العهودِ، واخلافِ الوعودِ، والخداعِ والكذبِ، والتلوُّنِ والتقلُّبِ، والصدِّ عن سبيلِ اللهِ وإيذاءِ المؤمنين والمؤمناتِ.

وأما أهلُ العلمِ رحمهم اللهُ فقسَّموا النفاقَ إلى نوعين: نفاقٌ كفرٌ، مخرجٌ من المِلةِ، وهو نفاقُ العقائدِ، يُظهِرُ صاحبُهُ الإيمانَ باللهِ ورسلِه وكتبِه واليومِ الآخرِ وهو يُبْطِنُ الكفرَ بذلك كلِّهِ أو بعضِهِ لا مُخْلِصٌ في إيمانِه ولا مُعْلِنٌ في كفرِهِ.

ونفاقٌ دون ذلك في الفروعِ والأعمالِ.

وصفاتُ المنافقين كبائرُ موبقةٌ، وجرائمُ مرديةٌ، لا تصدرُ عن مؤمنٍ ملأ الإيمانُ قلبَهُ، من جمعها كان منافقاً خالصاً، ومن اتصفَ ببعضِها لازمتْه حتى يدَعَها.

النفاقُ أيها الإخوةُ: عمدتُه ثلاثُ خصالٍ كبرىٰ؛ خوفٌ في داخلِ النفسِ، وكذبٌ في الأقوالِ، وخداعٌ في الأعمالِ.

المبتلىٰ بالنفاقِ خائفٌ مضطربٌ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] يخافُ من انكشافِ الحالِ وافتضاحِ الأمرِ، ومن ثمَّ فإن خوفَهُ يُنبتُ الجبنَ والهلعَ. ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة: ٥٧] الحقُّ والقوةُ والشجاعةُ

والبسالةُ إنما تكونُ في اليقينِ والثباتِ من نورِ الفطرةِ، وصفاءِ القلبِ، وضياءِ الإيمانِ. وأهلُ النفاقِ منغمسون في ظلماتِ صفاتِ النفوس، محتجبون بلذائذِ الماديات والشهواتِ، يزعزهم الشكُّ، ويقلقهُم الريبُ، فيغلبُهم الجبنُ والخورُ، ويلجأون إلى التخذيل والفتنةِ. ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧].

المبتلىٰ بالنفاقِ رأسُ مالِه الكذبُ: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١] ورائجُ بضاعتِهم المخادعةُ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٩] إذا وعدوا أخلفوا، وإذا عاهدوا غدروا، وإذا خاصموا فجروا، وإذا دُعُوا إلى اللهِ ورسولِه ترددوا ثم أعرضوا وتوقَّفوا وتحرجُوا.

وفي الحديثِ الصحيح عنه ﷺ: «**آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا ائتمنَ خان**»[1] زاد مسلم في روايتِهِ «**وإن صلىٰ وصامَ وزعمَ أنه مسلمٌ**»[2].

يَبْلُغُ به التهتُّكُ في النفاقِ والفسادِ في الأخلاقِ أن يَظْهرَ بوجهين، ويتكلمَ بلسانين، ويمشي بين الفريقين كالشاةِ عائرةً بين القطيعين، تميلُ إلى هذا القطيعِ تارةً وتميلُ إلى ذاكَ أخرىٰ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣] وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينِهم من صُنَّاعِ الفسادِ وأنصارِ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٥/ ٣٤٢ ـ ح٢٦٨٢)، ومسلم (١/ ٧٨ ـ ح٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧٨، ٧٩ ـ ح٥٩).

الباطلِ ودعاةِ الفتنةِ قالوا: إنا معكم إنما نحنُ مستهزوءن. ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

اللهُ أكبرُ قد يبلغُ النفاقُ ببعضِ أهلِه إلى أن يتَّصلوا بأعداءِ اللهِ وأعداءِ المؤمنين، ويودُّون لو تولَّىٰ العدوُ أمرَ المسلمين، وتصرفَ في شؤونهم: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٣٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧].

الأيمانُ الكاذبةُ مركبُهم، والحلفَ الفاجرُ وقايتُهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة: ١٤] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢].

ولكن ما الباعثُ على هذه الأيمانِ الفاجرةِ؟ وما الداعي لهذه التصرفاتِ المتقلبةِ؟ إن النفاقُ حينما يستشريْ في بعضِ النفوس فتحسَبَ اللؤمَ قوةً؟ والمكرَ السيءَ براعةً، وما هذا وربِّكَ إلَا ضعفٌ وخسةٌ، وخورٌ وسفهٌ، فالقويُّ بحقٍ لا يكون لئيماً ولا خدَّاعاً ولا متلوِّناً، ولكنَّ الذين لا يُخلصونَ لله سرائرَهم يتعذرُ عليهم ان يشعروا بفسادِ أعمالِهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١٢] بل ولا يعلمون افتضاحَ أمرِهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣] لماذا؟ لأن ميزانَ الخيرِ والشرِ والصلاحِ والفسادِ يتأرجحُ عندهم مع الأهواءِ الذاتيةِ

والمصالحِ الشخصيةِ، يزعمون أنهم مصلحون وهم يأمرون بالمنكرِ وينهون عن المعروفِ ويقبضون أيديهم.

منافقونَ مذبذبونَ يأتون بظواهرِ العباداتِ وقد قامَ بهم الرياءُ وهو أقبحُ مقام، وقعَدَ بهم الكسلُ وهو بئس القعيدُ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢] ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤] تكاسلاً وثُقلاً، وشحاً وبخلاً، لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً.

ومن مراتبِ النفاقِ الكبرىٰ أن يجلسَ جالسُهم مجلساً يَسمعُ فيه آياتِ الله يكفرُ بها ويُستهزأ بها فيسكتُ ويتغاضىٰ ملتمساً لنفسِه أعذاراً ومسوغاتٍ من التسامح واللباقةِ والدهاءِ والكياسةِ وسعةِ الأفقِ وحريةِ الرأي، وما درىٰ أن هذه هي الهزيمةُ تدبُّ في أوصاله وتنخَرُ في فؤادِه وما فرَّق بين حريةِ الفكرِ وجريمةِ الكفر: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠].

أهلُ النفاقِ لا يعتبرون من الفتنِ، ولا يرجعون عند الكوارثِ ولا يستفيدون من الحوادث: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

ولقد قالَ اللهُ في ساعاتِ البلاءِ والتمحيص: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ

قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ . . ﴾ [آل عمران: ١٦٦ ـ ١٦٧].

عبادَ اللهِ: إن بليةِ الإسلامِ بهم ـ كما يقولُ الإمامُ شمسُ الدين ابنُ القيم رحمه اللهُ ـ شديدةٌ، لأنهم منسوبون إليه وهم أعداؤه على الحقيقةِ، يُخرجُون عداوتَه في كلِّ قالَبٍ، حتى ليظنَّ الجاهلُ أنهم على علمٍ وإصلاحٍ، فلله كممن معقلٍ للإسلامِ قد هدموه، وكم من حصنٍ قد قلعوا أساسه وخربوه، وكم من علمٍ قد طمسوه، وكم من لواءٍ مرفوعٍ قد وضعوه، وكم ضربوا بمعاولِ الشُّبَهِ في أصولِ غراسِهِ ليقلَعوها. استعان بهم الشيطانُ على الفتنِ والتحريشِ في تاريخِ الإسلامِ العريضِ. وما كثر القتلُ وتعددتْ الأهواءُ، وانتشرتْ المذاهبُ الباطلةُ، والسبلُ الضالةُ إلا بما وضعوه من التفسيراتِ المنحرفةِ والتأويلاتِ المتعسفةِ، وما عبثوا به من المصطلحاتِ وزيفوا من المبادىء. وفي أخبارِ الزنادقةِ ومن لفَّ لفَّهم من يُظهرِ الإسلامَ ويبطنُ الكفرَ ما يدلُّ على عظيمِ البلاءِ وخطرِ الابتلاءِ. فلا يزالُ الإسلامُ وأهلُه منهم في محنةٍ وبليةٍ، ما أكثرهم وهم الأقلون، وما أجبرَهم وهم الأذلون، وما أجهلهم وهم المتعالمون: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التوبة: ٥٦].

فالله وحدَه المستعانُ على ما يصفون، وعليه التكلانُ فيما يجترؤن.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

النفاق والمنافقون

الخطبة الثانية

الحمد للهِ القاهرِ فوقِ عباده عزاً وسلطاناً، أحمده سبحانه وأشكرُه على ما عمَّ به من الجودِ والفضلِ كرماً منه وإحساناً، سبحانه وبحمده هدى إلى النجدين فمنتحلٌ من العباد كفراً ومنتحلٌ إيماناً. فطوبىٰ لمن ذُكِّروا بآياتِ ربهم فزادتهم إيماناً، وويلٌ ثم ويلٌ لمن ذكروا بآياتِ ربِّهم فخروا عليها صماً وعمياناً.

وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه دعىٰ إلى دينِ اللهِ سراً وإعلاناً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه كانوا على الحق أنصاراً وأعواناً.

أما بعدُ. أيها المسلمون؛ ولِعظَمِ خطرِ هذا المسلكِ ودقتِهِ وشناعةِ جرمِ أصحابِه فقد تقطعتْ قلوبُ السلفِ الصالحِ خوفاً من الوقوعِ فيه، لقد ساءتْ ظنونُهم بأنفسهم حتى خشوا أن يكونوا منهم. فهذا عمرُ بن الخطابِ رضي اللهُ عنه الفاروقُ الذي إذا سلكَ فجاً سلك الشيطانُ فجاً غيره[1] يقولُ لحذيفةَ رضي الله عنه: نَشدتُك باللهِ هل سمَّاني رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا؛

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه من رواية سعد بن أبي وقاص أخرجه البخاري (٧/ ٥١ ـ ح٣٦٨٣)، ومسلم (٤/ ١٨٦٤ ـ ح٢٣٩٦).

ولا أزكي بعدك أحداً. ويقول ابن أبي مليكةَ: أدركتُ ثلاثين من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ كلُّهم يخافُ النفاقَ على نفسِه، ما منهم أحدٌ يقول إن إيمانَه كإيمان جبريل وميكائيلَ.

وبلغَ من حذرِهم رحمهمُ اللهُ أن قالوا: من لم يخفِ النفاقِ فهو منافقٌ. فلا حول ولا قوةَ إلا بالله.

أيها الإخوةُ ولفظاعةَ هذا الجرمِ وشدةِ أثرِه على أهلِ الدينِ والدنيا فقد لعنَ اللهُ أصحابَه وذمَّهم، وبالعذابِ المقيم توعدَّهم، وفي الدركِ الأسفلِ من النارِ حشرَهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

ولكنَّ الله البرَّ الرحيمَ ذا الفضلِ العظيمِ شرعَ البابَ مفتوحاً لمن رجعَ وأنابَ مهما كانتْ شناعةُ الفعلِ ومهما كان كِبَرُ الذنبِ إذا أصلح عمله واعتصمَ بربِّه وأخلص لله دينَه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦]. ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٤].

حياة القلوب وأمراضها

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ. خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً وهو العزيزُ الغفورُ. أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفرُه يجدِّدُ الأيامَ والشهورَ، ويصرِّفُ الأعوامَ والدهورَ، وأشهدُ ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الشافعُ المشفعُ يومَ النشورِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلِه وأصحابِه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ حيثما كنتم، وقوموا بالأمرِ الذي من أجلِه خُلقْتُم؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

أيها المسلمون في مستفتح العامِ يحسنُ التذكيرُ. وما يتذكرُ إلا من ينيبُ، من غفلَ عن نفسِه تصرمتْ أوقاتُه، واشتدتْ عليه حسراتُه. لابدَّ من وقفةٍ صادقةٍ مع النفسِ في محاسبةٍ جادةٍ، ومساءلةٍ دقيقةٍ، فواللهِ لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقظون، ولتُجْزَوُنَّ بما كنتم تعلمون. هل الأعمارُ إلا أعوامٌ؟

وهل الأعوامُ إلا أيامٌ؟ وهل الأيامُ إلا أنفاسٌ؟ وإن عمراً ينقضي مع الأنفاسِ لسريعُ الانصرامِ؟؟.

أفلا معتبرٌ بما طوتْ الأيامُ من صحائفِ الماضين؟ وقلَّبتْ الليالي من سجلاتِ السابقين؟ وما أَذهبتْ المنايا من أماني المسرفين؟ كلُّ نَفَسٍ من أنفاسِ العمرِ معدودٌ. وإضاعةُ هذا ليس بعدَه خسارةٌ في الوجودِ.

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

هذه يدُ المنون تتخطفُ الأرواحَ من أجسادِها. تتخطفُها وهي راقدةٌ في منامِها. تعاجلُها وهي تمشي في طرقاتِها. تقبضُها وهي مكبةٌ على أعمالِها. تتخطَّفُها وتعاجلُها من غير إنذارٍ أو إشعارٍ. ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل: ٦١].

ها هو ابنُ آدمَ يُصبحُ سليماً معافا في صحتِه وحُلَّتِه، ثم يُمْسِي بين أطباقِ الثرىٰ قد حيلَ بينَه وبينَ الأحبابِ والأصحابِ.

ويلٌ للأغرارِ المغترين. يأمنون الدنيا وهي غرارةٌ. ويثقون بها وهي مكارةٌ. ويركنون إليها وهي غدارةٌ. فارقهم ما يحبون، ورأوا ما يكرهون. وحيل بينهم وبين ما يشتهون. ثم جاءهم ما يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون.

إنها الدنيا: تُبكي ضاحكاً، وتُضحكُ باكياً. وتُخيفُ آمنا، وتُؤمِّنُ خائفا، وتُفقرُ غنياً، وتُغني فقيراً. تتقلبُ بأهلها، لا تُبقي أحداً على حالٍ. العيشُ فيها مذمومٌ، والسرورُ فيها لا يدومُ، تُغيِّر صفاءَها الآفاتُ، وتنوبُها الفجيعاتُ، وتَفجع فيها الرزايا،

وتسوقُ أهلَها المنايا. قد تنكرت معالمُها، وانهارتْ عوالمُها.

أيها الإخوةُ: لا يعرف حقيقةَ الدنيا بصفوها وأكدارِها، وزيادتِها ونقصانِها إلا المحاسبُ نفسَه. فمن صفَّىٰ صُفِّي له، ومن كدَّرَ كُدِّرَ عليه، ومن أحسن في ليلِه كُوفيءَ في نهارِه، ومن أحسنَ في نهارِه كُوفيءَ في ليلِه. ومن سرَّه أن تدومَ عافيتُه فليتقِ اللهَ ربَّه، فالبِرُّ لا يَبلىٰ، والإثمُ لا يُنْسىٰ، والديانُ لا يموتُ، وكما تدينُ تدانُ. وإذا رأيتَ في عيشِك تكديراً وفي شأنِك اضطراباً، فتذكرْ نعمةً ما شُكِرتْ، أو زلةً قد ارتُكبتْ. واحذرْ من زوالِ النعمِ، وفجاءةِ النقمِ، ولا تغترَّ بسعةِ حلمِ الحليمِ. فجَوْدةُ الثمارِ من جُودِ البِذارِ، ومن زَرعَ حصدَ، وليس للمرءِ إلا ما اكتسبَ، وهو في القيامةِ مع من أحبَّ.

يقولُ الفضيلُ بنُ عياضٍ رحمه اللهُ: من عرفَ أنه عبدٌ للهِ وراجعٌ إليه فليعلمْ أنه موقوفٌ. ومن علم أنه موقوفٌ فليعلمْ أنه مسؤولٌ، ومن علم أن مسؤولٌ فليُعدَّ لكلِّ سؤالٍ جواباً. قيل: يرحمك اللهُ فما الحيلةُ؟ قال: الأمرُ يسيرٌ. تحسنُ فيما بقي يغفرْ لك ما مضىٰ. فإنك إن أسأتَ فيما بقي أُخِذتَ بما مضىٰ وما بقي.

أيها الإخوةُ: وهذه وقفةُ محاسبةٍ مع النفسِ، بل مع أعزِّ شيءٍ في النفسِ، مع ما بصلاحِه صلاحُ العبدِ كلِّه، وما بفسادِه فسادُ الحالِ كلِّه. وقفةٌ مع ما هو أولىٰ بالمحاسبة وأحرىٰ بالوقفاتِ الصادقةِ. يقولُ نبيُّكم محمدٌ ﷺ: «**ألا وإن في الجسدِ مضغةً إذا صلَحتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ**»[1]. ويقول عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ**

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير. أخرجه البخاري (١/ ١٥٣ ـ =

حتى يستقيمَ قلبُه»[1].

ويقولُ الحسنُ رحمه اللهُ: داوِ قلبَك؛ فإن حاجةَ اللهِ إلى العبادِ صلاحُ قلوبُهم، ولن تحبَّ الله حتى تحبَّ طاعتِه.

أيها المسلمون: من عرفَ قلبَه عرفَ ربَّه، وكم من جاهلٍ بقلبِه ونفسِه، واللهُ يحولُ بين المرءِ وقلبِه. يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: هلك من لم يكنْ له قلبٌ يعرفُ المعروفَ وينكرُ المنكرَ.

أيها الإخوةُ: لابدَّ في هذا من محاسبةٍ تَفُضُّ مغاليقَ الغفلةِ، وتوقظُ مشاعرَ الإقبالِ على اللهِ في القلبِ واللسانِ والجوارحِ جميعاً.

من لم يظفرْ بذلك فحياتُه كلُّها واللهِ همومٌ في همومٍ، وأنكارٌ وغمومٌ، وآلامٌ وحسراتٌ. بل إن اللهَ لم يبعثْ نبيَّه محمداً ﷺ إلا بالمهمتين العظيمتين: علم الكتابِ والحكمةِ وتزكيةِ النفوس. ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

بل لقد علَّقَ اللهُ فلاحُ عبدِه على تزكيةِ نفسِه وقدَّم ذلك وقرَّرَهُ بأحدَ عشرَ قسماً متواليةً؛ اقرأوا إن شئتم وتأمَّلوا: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

= ح٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩ ـ ح١٥٩٩).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨).

وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ١ ـ ١٠].

أيها الإخوةُ: إن في القلوبِ فاقةٍ وحاجةً لا يسدُّها إلا الإقبالُ على اللهِ ومحبتُه والإنابةُ إليه، ولا يَلُمُّ شعثَها إلا حفظُ الجوارحِ، واجتنابُ المحرماتِ، واتقاءُ المشتبهاتِ.

معرفةُ القلبِ من أعظمِ مطلوباتِ الدينِ، ومن أظهرِ المعالمِ في طريقِ الصالحين. معرفةً تستوجبُ اليقظةَ لخلجاتِ القلبِ وخفقاتِه، وحركاتِه ولفتاتِه، والحذرَ من كلِّ هاجسٍ، والاحتياطَ من المزالقِ والهواجسِ، والتعلقَ الدائمَ باللهِ؛ فهو مقلبُ القلوبِ والأبصارِ. جاءَ في الخبرِ عند مسلمٍ رحمهُ اللهُ من حديثِ عبدِاللهِ بن عمروٍ رضي الله عنهما قال: «سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **إن قلوبَ بني آدمَ كلَّها بين أصْبعَين من أصابعِ الرحمن عزَّ وجلَّ كقلبٍ واحدٍ يصرفُه حيثُ يشاءُ. ثم قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: اللهمَّ مصرفَ القلوبِ صرِّفْ قلوبَنا على طاعتِك**»(١).

ولا ينفعُ عند اللهِ إلا القلبُ السليمُ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩]. ومن دعاءِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**وأسألُك قلباً سليماً**»(٢).

والقلوبُ ـ أيها الإخوةُ ـ أربعةٌ: قلبٌ تقيٌّ نقيٌّ فيه سراجٌ منيرٌ فذلك قلبُ المؤمنِ، وقلبٌ أغلفُ مظلمٌ؛ فذلك قلبُ الكافرِ:

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٥ ـ ح٢٦٥٤)، وأحمد (٢/ ١٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٤ ـ ح٣٤٠٧)، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، والنسائي (٣/ ٥٤)، وأحمد (٤/ ١٢٣).

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [البقرة:٨٨]. وقلبٌ مرتكسٌ منكوسٌ؛ فذلك قلبُ المنافقِ، عرفَ ثم أنكرَ، وأبصرَ ثم عَمي: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ [النساء: ٨٨]. وقلبٌ تَمدُّه مادتان؛ مادةُ إيمانٍ، ومادةُ نفاقٍ فهو لما غلبَ عليه منهما. وقد قال اللهُ في أقوامٍ: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران:١٦٧].

وفي القلبِ قوتان: قوةُ العلمِ في إدراكِ الحقِّ ومعرفتِه والتمييزِ بينه وبين الباطلِ. وقوةُ الإرادةِ والمحبةِ في طلبِ الحقِّ ومحبتِه وإيثارِه على الباطلِ. فمن لم يعرفْ الحقَّ فهو ضالٌ، ومن عرفه وآثرَ غيرَه فهو مغضوبٌ عليه. ومن عرفَه واتبعَه فهو المُنعَمُ عليه السالكُ صراطَ ربِّه المستقيمَ. يقول ابنُ القيم رحمهُ الله: وهذا موضعٌ لا يفهمُه إلا الألبَّاءُ من الناس والعقلاءِ، ولا يعملُ بمقتضاه إلا أهلُ الهممِ العاليةِ والنفوسِ الأبيةِ الزاكيةِ.

ورجلُ الدنيا وواحدُها هو الذي يخافُ موتَ قلبِه لا موتَ بدنِه، وأكثرُ الخلقِ يخافون موتَ أبدانِهم، ولا يبالونَ بموتِ قلوبِهم.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها الأحبةُ. فاعلموا أن صاحبَ القلبِ الحيِّ يغدو ويروحُ، ويُمسي ويصبحُ وفي أعماقِه حسٌّ ومحاسبةٌ لدقاتِ قلبِه، وبصرِ عينِه، وسماعِ أذنِه، وحركةِ يدِه، وسيرِ قدمِه، إحساسٌ بأنَّ الليلَ يدبرُ، والصبحَ يتنفسُ، والكونَ في أفلاكِه يسبحُ بقدرةِ العليمِ وتدبيرِ الحكيمِ؛ ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩]. قلبٌ حيٌّ تتحقُ به العبوديةُ للهِ على وجهِها وكمالِها، أحبَّ اللهَ وأحبَّ فيه. يترقىٰ في درجاتِ الإيمانِ

والإحسانِ فيعبدُ اللهَ على الحضورِ والمراقبةِ، يعبدُ اللهَ كأنَّه يراهُ، فيمتلىءُ قلبُه محبةً ومعرفةً، وعظمةً ومهابةً وأُنساً وإجلالاً. ولا يزالُ حبُّه يَقوىٰ، وقربُه يدنو حتى يمتلىءَ قلبُه إيماناً وخشيةً، ورجاءً وطاعةً، وخضوعاً وذِلةً؛ «**ولا يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّه**»[1]. كلما اقتربَ من ربِّه اقتربَ اللهُ منه: «**من تقربَ إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً**»[2]. فهو لا يزالُ رابحاً من ربِّه أفضلَ مما قدمَ، يعيشُ حياةً لا تشبُه ما الناسُ فيه من أنواعِ الحياةِ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. «**من ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منه**»[3]. من بذلَ شيئاً للهِ عوَّضَه اللهُ خيراً منه، وجازاه أفضلَ مما قدَّمَ.

أصحابُ القلوبِ الحيةِ صائمون قائمون، خاشعون قانتون، شاكرون على النعماءِ، صابرون في البأساءِ، لاتنبعثُ جوارحُهم إلا بموافقةِ ما في قلوبِهم، تجردوا من الأثرةِ والغشِّ والهوىٰ. اجتمع لهم حسنُ المعرفةِ مع صدقِ الأدبِ، وسخاءُ النفسِ مع مظانةِ العقلِ. هم البريئةُ أيديْهم، الطاهرةُ صدورهم، متحَابون بجلالِ اللهِ، يغضبون لحرماتِ اللهِ، أمناءُ إذا ائتمنوا، عادلون إذا حكموا، منجزون إذا وعدوا، مُوْفون إذا عاهدوا، جادُّون إذا عزموا، يَهُشُّون[4] لمصالحِ الخلقِ، ويَضيقون بآلامِهم، في سلامةٍ من الغلِّ، وحسنِ ظنٍ بالخلقِ، وحملِ الناسِ على أحسنِ

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٨ ـ ح٦٥٠٢)، وأحمد (٦/ ٢٥٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥ ـ ح٧٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١ ـ ح٢٦٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥ ـ ح٧٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١ ـ ح٢٦٧٥).
(٤) يهشون: تنشرح صدورهم سروراً بها.

المحاملِ. كسروا حظوظَ النفسِ، وقطعوا الأطماعَ في أهلِ الدنيا.

جاءَ في صحيح مسلم من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «**يدخلُ الجنةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدةِ الطيرِ**»[1] فهي سليمةٌ نقيةٌ، خاليةٌ من الذنبِ، سالمةٌ من العيبِ. يحرصون على النصح والإخلاصِ، والمتابعةِ والإحسانِ. همَّتُهم في تصحيحِ العملِ أكبرُ منها في كثرةِ العملِ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. أوقفهم القرآنُ فوقفوا، واستبانتْ لهم السنةُ فالتزموا، ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠].

رجالٌ مؤمنون، ونساءٌ مؤمناتٌ، بواطنُهم كظواهرِهم بل أجلىٰ، وسرائرُهم كعلانيتِهم بل أحلىٰ، وهمُمهم عند الثريا بل أعلىٰ. إنْ عُرِفوا تنكَّروا، تُحبُّهم بقاعُ الأرضِ، وتفرحُ بهم ملائكُ السماءِ.

هذه حياةُ القلوبِ وهذه بعضُ آثارِها.

أما القلوبُ المريضةُ فلا تتأثرُ بمواعظَ، ولا تستفزُّها النُذرُ، ولا توقظُها العبرُ. أين الحياةُ في قلوبٍ عرفتْ اللهَ ولم تؤدِّ حقَّه؟؟ قرأتْ كتابَ اللهِ ولم تعملْ به. زعمتْ حبَّ رسولِ اللهِ وتركتْ سنَّتَهَ. يريدون الجنةَ ولم يعملوا لها، ويخافون من النارَ ولم يتقوها.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٣ ـ ح ٢٨٤٠).

رُبَّ امرىءٍ من هؤلاء. أطلقَ بصرَه في حرامٍ فحُرِمَ البصيرةَ، ورُبَّ مطلقٍ لسانَه في غيبةٍ فحُرِمَ نورَ القلبِ، وربَّ طاعمٍ من الحرامِ أظلَمَ فؤادُه، لماذا يُحرمُ محرومون قيامَ الليلِ؟ ولماذا لا يجدونَ لذةَ المناجاةَ؟ إنهم باردوا الأنفاسِ، غليظوا القلوبِ، ظاهروا الجفوةِ؟؟.

القلبُ الميتُ: الهوىٰ إمامُه، والشهوةُ قائدُه، والغفلةُ مركبُه، لا يستجيبُ لناصحٍ، يتَّبع كلَّ شيطانٍ مريدٍ. الدنيا تُسخطُه وتُرضيْه، والهوىٰ يصمُّه ويُعميه. ماتتْ قلوبُهم ثم قُبرتْ في أجسادِهم، فما أبدانُهم إلا قبورُ قلوبِهم. قلوبٌ خربةٌ لا تؤلمُها جراحاتُ المعاصي، ولا يوجعُها جهلُ الحقِّ. لا تزال تتشربُ كلَّ فتنةٍ حتى تسودَّ وتنتكسَ، ومن ثمَّ لا تعرفُ معروفاً ولا تنكرُ مُنكراً.

عبادَ اللهِ. غفلةُ القلوبِ عقوبةٌ، والمعصيةُ بعد المعصيةِ عقوبةٌ، والغافلُ لا يحسُّ بالعقوباتِ المتتاليةِ ولكن ما الحيلةُ؟ فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤ ـ ٢٥].

حياة القلوب وأمراضها

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المستحقِّ للحمدِ والثناءِ، له الخلقُ والأمرُ، يحكمُ ما يريدُ ويفعلُ ما يشاءُ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه وأعوذ به من حالِ أهلِ الشقاءِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له له الأسماءُ الحسنىٰ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، أفضلُ الرسلِ وخاتمُ الأنبياءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه البررةِ الأتقياءِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها الناسُ: من خافَ الوعيدَ قصُرَ عليه البعيدُ، ومن طالَ أملُه ضعُف عملُه. وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ، وما شغلَ عن اللهِ فهو شؤمٌ.

التوفيقُ خيرُ قائدٍ، والإيمانُ هو النورُ، والعقلُ خيرُ صاحبٍ، وحسنُ الخلقِ خيرُ قرين.

يقولُ الحسنُ رحمه الله: المؤمنُ قوَّامٌ على نفسِه، يحاسبُ نفسَه للهِ. وإنما خفَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على أقوامٍ حاسبوا أنفسَهم في الدنيا. وشقَّ الحسابُ على أقوامٍ يومَ القيامةِ أخذوا هذا الأمرَ على غيرِ محاسبةٍ. فحاسبوا أنفسَكم رحمكم الله وفتشوا في قلوبِكم.

عن حذيفةَ بن اليمانِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«تعرضُ الفتنُ على القلوبِ كعَرْضِ الحصيرِ عوداً عوداً، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكتَتْ فيه نكتةٌ سوداءٌ. وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكتَتْ فيه نكتةٌ بيضاءُ، حتى تعودَ القلوبُ على قلبين قلبٍ أسودَ مربادٍّ كالكوزِ مُجخياً لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ منكراً إلا ما أُشرِبَ هواه، وقلبٍ أبيضَ لا تضرُّه فتنةٌ ما دامتْ السمواتُ والأرضُ»**(١).

يقولُ بعضُ الصالحين: يا عجباً من الناس يبكون على من مات جَسدُه، ولا يبكون على من مات قلبُه. شَتانَ بين من طغىٰ وآثر الحياةَ الدنيا، وبين من خافَ مقامَ ربِّه ونهى النفسَ عن الهوىٰ.

تُمرضُ القلوبُ وتموتُ إذا انحرفتْ عن الحقِّ وقارفتْ الحرامَ؛ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]. تُمرضُ القلوبُ وتموتُ إذا افُتِنَتْ بآلاتِ اللهوِ وخليعِ الصورِ؛ ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧].

كلُّ الذنوبِ تميتُ القلوبَ، وتُورثُ الذلةَ، وضيقَ الصدرِ، ومحاربةَ اللهِ ورسولِه.

يقولُ الحسنُ رحمه الله: ابنَ آدمَ: هل لكَ بمحاربةِ اللهِ من طاقةٍ؟ فإن من عصىٰ اللهَ فقد حاربَه، وكلَّما كان الذنبُ أقبحَ كان في محاربةِ اللهِ أشدَّ. ولهذا سمىٰ اللهُ أكلةَ الربا وقطاعَ الطريقِ محاربين للهِ ورسولِه لِعظَمِ ظُلمِهم وسعيِهم بالفسادِ في أرضِ اللهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٢٨ ـ ح١٤٤).

قال وكذلك معاداةُ أوليائِه فإنه تعالى يتولَّىٰ نصرةَ أوليائِه ويحبُّهم ويؤيدُهم فمن عاداهم فقد عادىٰ اللهَ وحاربَه.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، وتوبوا إلى ربِّكم وأصلحوا فسادَ قلوبِكم.

فتنة المسيح الدجال

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ خالقِ كلِّ شيءٍ، ورازقِ كلِّ حيٍّ، أحاط بكلِّ شيء علماً، وكلُّ شيءٍ عنده بأجل مسمًّىٰ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه وهو بكلِّ لسانٍ محمودٌ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وهو الإله المعبودُ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، صاحبُ المقامِ المحمودِ، والحوضِ المورودِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الركعِ السجودِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى اليومِ الموعودِ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ فاتقوا الله ما استطعتم، واسلكوا بالنفوس مسالكَ الاعتبار: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٤٠].

أيها المسلمون: لقد اعتنىٰ أهلُ السنةِ بتحقيقِ المسائلِ عاليةِ الرتبِ، فكان النصيبُ الأكبرُ والحظُّ الأوفرَ لمسائلِ الاعتقادِ التي هي سبيلُ النجاةِ في الدنيا ويوم المعادِ. تنوَّعتْ في ذلكَ أساليبُهم، وتعددتْ تآليفهم. سطروها بكلامٍ رصين، وتدوينٍ متين، قائمٍ على الأدلةِ الجليةِ من كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ، في نقولٍ موفقةٍ، وأقوالٍ محققةٍ.

أيها الإخوةُ: إن الإيمانَ بما صحَّ به النقلُ واجبٌ متحتمٌ، فيما شهدناه أو غابَ عنا، نعلمُ أنه صدقٌ وحقٌّ، سواء في ذلك ما عقلناه وما لم نطلع على حقيقتِه ومعناه من أنباءِ الإسراءِ والمعراجِ، وأشراطِ الساعةِ، وأماراتِ القيامةِ، وأحوالِ اليومِ الآخرِ، وأهوال يوم الحشرِ، وكلُّ ذلك مما صحتْ به الأخبارُ من آي الكتابِ وبينَهُ نبيُّنا محمدٌ ﷺ ووضحه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨] ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وعن حذيفةَ رضي الله عنه قال: «لقد خطبنا النبيُّ ﷺ خطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيامِ الساعةِ إلا ذكره، عَلِمَه من علمه، وجهله من جهله، إن كنتُ لأرىٰ الشيءَ قد نسيتُه فأعرفه كما يعرفُ الرجلُ الرجلَ إذا غابَ عنه فرآه يعرفه»[1]. متفق عليه واللفظ للبخاري.

وعند البخاريِّ أيضا تعليقاً مجزوماً به من حديث عبدالله بن عمرَ رضي الله عنهما قال: «قام فينا النبيُّ ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدءِ الخلقِ حتى دخلَ أهلُ الجنةِ منازلَهم وأهلُ النارِ منازلَهم حفظَ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»[2].

أيها الإخوةُ: وما كان أمر الساعةِ شديداً، وهولها مزيداً،

---

(١) متفق عليه من حديث حذيفة أخرجه البخاري (١١/ ٥٠٣ ـ ح٦٦٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٢١٧ ـ ح٢٨٩١).

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٦/ ٣٣١ ـ ح٣١٩٢).

وأمرُها قريباً ليس بعيداً كان الاهتمامُ بشأنها أكبرَ، وبيانُ النبيِّ ﷺ لها أجلَىٰ وأبينَ، فقد أكثرَ عليه الصلاةُ والسلامُ من بيانِ أشراطِها وأماراتِها وأخبر عما بين يديها من الفتنِ القريبةِ والبعيدةِ، ونبّه أمتَه وحذَّرها ليتأهبوا لتلكَ العقبةِ العظيمةِ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢].

عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالتْ: «استيقظَ النبيُّ ﷺ ليلة فزعاً يقول: **سبحانَ الله ماذا أنزلَ اللهُ من الخزائنِ، وماذا أنزل اللهُ من الفتنِ، من يوقظُ صواحبَ الحجراتِ ـ يعني زوجاتِه من أجل الصلاةِ من الليلِ ـ ربَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة**».

أيها الإخوةُ: إن بين يدي الساعةِ فتناً مخيفةً، وأموراً مدلهمةً لا تختصُّ بالظالمين بل قد تنالُ الصالحين: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥].

غير أن هناك فتنةً هي أعظمُ الفتنِ ليس فتنةٌ صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا تَصْغُر أمامَها، وما تكونُ فتنةٌ ولا تكون حتى تقومُ الساعة أكبرَ من فتنتها. إنها فتنةُ المسيحِ الدجالِ؛ (ونعوذ بالله من فتنةِ المسيح الدجال).

لقد تواترتْ الأخبارُ، وتكاثرتْ الأحاديثُ عن نبيِّكم محمدٍ ﷺ في التحذيرِ منه، وبيانِ أوصافِه، وعِظمِ فتنتِه.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قال«**إنه لم يكنْ نبي إلا وقد أنذرَ الدجالَ قومَه إني أنذرُكموه إنه أعورُ**

ذو حدقةٍ جاحظةٍ لا تخفىٰ»[1].

وعن عبدِاللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: «قام رسولُ اللهِ ﷺ في الناسِ فأثنىٰ على اللهِ بما هو أهلُه ثم ذكرَ الدجالَ فقال: «**ألا أنذُركموه، ما من نبيٍّ إلا وقد أنذرَ قومَه ولكني سأقولُ لكم فيه قولاً لم يقلْه نبيٌّ لقومه: إنه أعورُ وإن ربَّكم ليس بأعور**»[2] زاد مسلمٌ: «**مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرآهُ من كره عملَه، أو يقرأهُ كلُّ مؤمن كاتبٍ وغيرِ كاتبٍ**».

وتكاثرتْ الأحاديثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ بهذا الدعاءِ: «**اللهم إني أعوذ بك من عذابِ جهنمَ، ومن عذابِ القبرِ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ، ومن شرِّ فتنةِ المسيحِ الدجالِ**»[3]. متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

إن فتنتَه لعظيمةٌ حتى قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**من سمعَ بالدجالِ فلينأ عنه، فواللهِ أن الرجلَ ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمنٌ فيتَّبعُه مما يُبعث معه من الشبهاتِ**»[4].

أيها الإخوةُ الأحبةُ: ومن المخيفِ وعظيمِ الفتنةِ أنه يخرجُ في

---

(١) رواه أبو يعلى والبزار وفيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس وعطية ضعيف وقد وثق انظر مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٦، ٣٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٩٦ ـ ح٧١٢٧)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٨ ـ ح٢٩٣٣)، والترمذي (٤/ ٤٤٠ ـ ح٢٢٣٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٨٤ ـ ح١٣٧٧)، ومسلم (١/ ٤١٣ ـ ح٥٩٠) واللفظ له.

(٤) أخرجه أبوداود (٤/ ١١٦ ـ ح٤٣١٩)، وأحمد (٤/ ٤٣١، ٤٤١)، والحاكم (٤/ ٥٣١) وقال: صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي.

خفَّةٍ من الدينِ، وادبارٍ من العلمِ، واختلافٍ بين الناسِ وفرقةٍ.

وإن لقربِ وقتِه وإبَّان خروجِه علاماتٍ وأسباباً وهناتٍ يتلو بعضُهن بعضاً حذوَ النعلِ بالنعلِ؛ من التهاونِ بالصلواتِ واضاعةِ الأماناتِ، وفتنٍ يكون فيها الظلمُ فخراً، ويكثرُ الفجرةُ والخونةُ، والظلمةُ والفسقةُ، ويفشو الزنا، ويظهرُ الربا، وتقطَّع الأرحامُ، وتتخذُ القيناتُ ـ أي المغنيات ـ وتشربُ الخمورُ، وتنقضُ العهودُ، ويأكلُ الناسُ الرشوةَ، ويستخفون بالدماءِ، ويتطاولُ السفهاءُ، وتَتَّجِرُ المرأةُ مع زوجها حرصاً على الدنيا، ويشبُه النساءُ الرجالَ ويشبه الرجالُ النساءَ، ويلبسون جلودَ الضأنِ على قلوبِ الذئابِ، وتكون القلوبُ أمرَّ من الصَّبر، والألسنةُ أحلىٰ من العسلِ، والسرائرُ أنتنَ من الجيفِ، ويُلتمسُ الفقهُ لغير الدينِ، وتُنقضُ عُرىٰ الإسلامِ عروةً عروةً، وتكون الدنيا بيدِ لُكعِ بن لُكعٍ وهو الأحمقُ اللئيمُ. وترى الحفاةَ العراةَ العالةَ رِعاءَ الشاءَ يتطاولون في البنيانِ ويتقلبون في أعطافِ النعيمِ. وإن اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعُه من صدورِ الرجالِ ولكنَ يقبضُ العلمَ بموتِ العلماءِ، ثم تبقىٰ مقاماتهم فارغةً لا يملؤُها إلا مَنْ دونهم، ولا يخلُفُهم إلا من لا يصلح أن يكونَ تلميذاً من تلاميذِهم، يتقاربُ الزمانُ، ويُلقىٰ الشحُّ، ويكثرُ الهرجُ وهو القتلُ. يتطاولون على الطعنِ في الإسلامِ والتشكيكِ في الدينِ. ومن أعظمِ الفتنِ أنه لا يخرجَ الدجالُ حتى يذهلَ الناسُ عن ذكرِه وحتى تتركَ الأئمةُ ذكره على المنابرِ[1]، هكذا ورد الخبرِ مرفوعاً.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٧٢) وانظر مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٥).

في هذه الأجواءِ المدلهمةِ يبعثُ اللهُ عليهم الدجالَ فيسلَّطَ عليهم حتى ينتقمَ منهم، وينحازَ المؤمنون إلى بيت المقدسِ.

الدجالُ منبعُ الكفرِ والضلالِ، وينبوعُ الفتنِ والأوجالِ، انذرتْ به الأنبياءُ أقوامَها، وحذرت منه الرسلُ أمَمها، ونعتتْه بالنعوتِ الظاهرةِ، ووصفتْه بالأوصافِ البينةِ، وحذَّر منه نبيُّنا المصطفىٰ، وذكر له نعوتاً وأوصافاً لا تخفىٰ.

واسمعوا إلى هذا الحديثِ الجامعِ الذي أخرجه الإمامُ مسلمٌ رحمه الله في صحيحِه عن النواسِ بنِ سمْعان رضي الله عنه قال: «ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدجالَ ذاتَ غداةٍ فخفضَ فيه ورفعَ، حتى ظننَّاه في طائفةِ النخلِ، فلما رُحْنا إليه عرفَ ذلك فينا فقال: **ما شأنكم؟** قلنا: يا رسولَ الله ذكرتَ الدجالَ غداةً فخفضتَ فيه ورفعتَ حتى ظننا في طائفةِ النخلِ. فقال: **غيرُ الدجالِ أخوفُني عليكم؟؟ إنْ يخرجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم، وإن يخرجْ ولستُ فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسِه، واللهُ خليفتي على كلِّ مسلم؛ إنه شابٌّ قَطِطٌ ـ يعني: جعدَ شعرِ الرأسِ ـ عينُه طافئةٌ، كأني أشبِّهُه بعبد العزَّىٰ بن قَطَنٍ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتحَ سورةِ الكهفِ، إنه يخرجُ من خَلَّةٍ بين الشامِ والعراقِ، فعاثَ يميناً وعاثَ شِمالاً يا عبادَ اللهِ فاثبتوا.** قلنا: يا رسولَ اللهِ وما لبثُه في الأرضِ؟ قال: **أربعون يوماً؛ يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامِه كأيَّامكم.** قلنا: يا رسولَ اللهِ؛ فذلك اليومُ الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: **لا؛ اقدُرُوا له قدَرَهُ.** قلنا: يا رسولَ اللهِ؛ وما إسْراعُه في الأرضِ؟ قال: **كالغيثِ استدبرتْه الريحُ. فيأتي على القومِ فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له،**

فيأمرُ السماءَ فتمطرُ، والأرضَ فتنبتُ، فتروحُ عليهم سارحتُهم[1] أطولَ ما كانتْ ذُراً[2]، وأسبغه ضروعاً، وأمدَّه خواصرَ[3]. ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردُّون عليه قولَه، فينصرفُ عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالِهم. ويمرُّ الخربةَ فيقولُ لها: أخرجي كنوزَكِ؛ فتتبعُه كنوزُها كيعاسيبِ النحلِ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربُه بالسيفِ فيقطعُه جزلتين رميةَ الغرضِ[4] ثم يدعوه فيقبلُ ويتهلَّلُ وجهُه يضحكُ؛ فبينما هو كذلك إذ بعثَ اللهُ المسيحَ بنَ مريمَ فينزلُ عند المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشقَ بين مَهْرُوْدَتين ـ أي ثوبين ـ واضعاً كفيْه على أجنحةِ ملكين إذا طأطأ رأسَه قطر، وإذا رفعَه تحدَّر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجدُ ريحَ نَفَسه إلا ماتَ، ونَفَسُه ينتهي حيثُ ينتهي طرْفُه، فيطلبُه حتى يدركَه بابِ لدٍّ فيقتلُه. ثم يأتي عيسى بنَ مريمَ قومٌ قد عصمهم اللهُ منه فيمسحُ عن وجوهِهم ويحدِّثُهم بدرجاتِهم في الجنةِ»[5].

هذا هو الدجالُ ـ أيها الإخوةُ ـ وهذا شيءٌ من خبرِه، نعوذ بالله من فتنتِه ومن جميعِ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطن.

يقولُ أبوبكر بن العربي رحمه الله: الذي يظهرُ على يدِ الدجالِ

---

(١) سارحتهم: السارحةُ: هي الماشية التي تسرح، أي تذهب أول النهار إلى المرعىٰ.

(٢) ذرا: الذرا الأعالي والأسنمة جمع ذروة بالضم والكسر.

(٣) أسبغه ضروعاً وأمده خواصر: أسبغه: أي أطوله لكثرة اللبن وكذا أمده خواصر: لكثرة امتلائها من الشبع.

(٤) رمية الغرض: أي يجعل بين الجزلتين مقدار رمية.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٥٠، ٢٢٥١، ٢٢٥٢، ٢٢٥٣ـ ح٢١٣٧).

من الآياتِ من إنزالِ المطرِ والخِصْبِ على من يصدِّقُ، والجدبِ على من يكذِّبُه، واتباع كنوزِ الأرضِ له، وما معه من جنةٍ ونارٍ ومياهٍ وأنهارٍ، يجري كلُّ ذلك محنةٌ من اللهِ واختبارٌ ليهلكَ المرتابُ وينجوَ المتيقنُ، وذلك كلُّه أمرٌ مخوفٌ ولهذا قال ﷺ: «**لا فتنةَ أعظمَ من فتنةِ الدجالِ**»[1] وكان ﷺ يستعيذُ منها في صلاتِه تشريعاً لأمَّتِه ﷺ. اهـ.

أيها الإخوةُ: كلُّ ذلك من أنباءِ الغيبِ نؤمنُ به لِما قامَ عليه من الدليلِ والبرهانِ، ولو غابَ عن شواهدِنا وقَصُرَتْ عنه حواسُّنا، ولكنه حاضرٌ بأدلتِه القطعيةِ وبراهينِه العلميةِ.

وإنكم لتعلمون أن المادِّيين من أهلِ هذا العصرِ والعلمانيين هم من أشدِّ الناس تجاهلاً للساعةِ وأشراطِها، وأكثرُ الناسِ صدوداً عنها، وما كانوا في مراكزِ التوجيهِ والإعلامِ والتربيةِ في كثيرٍ من الأقطارِ إلا دعاةً لعبادةِ الجسدِ وعبادةِ الدنيا ما يذكرون اللهَ ربَّهم في جليلٍ ولا خطيرٍ، ولا يذكَّرون بلقائِه لا في الليلِ ولا في نهارٍ. لقد تواطأ على ذلك ملاحدةُ الشرقِ والغربِ شيوعيُّوهم وزنادقتُهم، إنهم لم يرفعوا أيديَهم إلى السماءِ قطُّ. لقد ولَّوا وجوههم عن الآخرةِ؛ في قلوبٍ فارغةٍ، وعقائدَ خربةٍ. عصرٌ ماديٌّ طافحٌ بالرغباتِ الجامحةِ والغرائزِ المدلَّلةِ.

ومن العجبِ أيها الإخوةُ: أن أكثرَ أتباعه اليهودُ. والمتأملُ في

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر انظر مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٦)، والحاكم (٤/ ٥٢٨) وقال: صحيح على شرط البخاري وسكت عنه الذهبي.

حياتِهم قديماً وحديثاً يجدُهم قد رتَّبوا معايشَهم على أن الدنيا حقٌّ، والآخرةُ وهمٌ، ولقد توجَّه إليهم كِتابُنا بهذا التحدي: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٤ ـ ٩٦].

وما النزعاتُ الماديةُ النَّزِقةُ التي تسودُ الحضارةَ المعاصرةَ إلا صدىً لتغلغلِ اليهودِ فيها. إنه أثرٌ بيِّنٌ في إخلادِهم إلى الأرضِ وفي صياغةِ تفكيرِهم الماديِّ، فالدنيا هي جنتُهم وهي نارُهم.

إن التقدمَ الماديَّ الكبيرَ الذي أحرَزه أهلُ هذا العصرِ في مضمارِ العلومِ التجريبيةِ زعزعَ عندهم كثيراً من العقائدِ الإيمانيةِ والمعتقداتِ الغيبيَّةِ.

لكن لماذا ينكرون هذه الأشراطَ والعلاماتِ والأماراتِ؟ وفي علومِ العصرِ ومعارفِه ومكتشفاتِه ومخترعاتِه ومواصلاتِه واتصالاتِه ما يجعلُ هذه الأشياءَ جديرةً بالتصديقِ، ممكنةَ الوقوعِ، معقولةَ التصورِ مما لم يدركْه السابقون أو يعرفُه المتقدمون.

وما العجبُ وقد رأى أهلُ هذا العصرِ ما قرَّبَ البعيدَ وطوىٰ المسافاتِ وقاربَ الزمنَ، بل إن هناكَ آياتٍ في الأنفسِ من أمراضٍ لم تكنْ معروفةً فيمن سبقَ وكثرةِ موتِ الفجأةِ، والحوادثِ والحروبِ والفتنِ والصراعِ على مواردِ المياه وما يسمَّونَه بالسلعِ الاستراتيجيةِ والمواردِ الطبيعيةِ.

ألم يكن في الأشراطِ والأماراتِ والمتغيراتِ المتسارعاتِ ما يذكِّرُ أهلَ الغفلةِ والاغترارِ ويزيدُ في بَصَرِ أولي البصائرِ والأبصارِ؟؟

لعلهم أن ينتهوا من الذنوبِ، وتلينَ منهم قاسياتُ القلوبِ، ويغتنموا المهلةَ قبلَ الوهلةِ.

ولكن ما أشدَّ جحود الجاحدين؟؟ وما أعظمَ انكارِ المنكرين؟؟ ينعمون بفضلِ الله وجودِه وينكرون عبوديتَه وجودَه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وبعدُ أيها الإخوةُ: فإن أهلَ العلمِ والإيمانِ يؤمنون بما جاءَ من عند ربِّهم وأخبر به نبيُّهم، تطمئنُّ به قلوبهم، وتنشرحُ به صدورُهم، سواء أدركتْه عقولُهم أو لم تدركْه: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فتنة المسيح الدجال

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ. أحمدُه سبحانه وأشكره له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه ذو الشرفِ الأسنىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها المسلمون: لقد كان السلفُ الصالح رضوانِ اللهِ عليهم يداومون على تعليم تلكَ الأخبارِ والأحاديثِ، يذكِّرون بها الناسَ لما لها من الأثرِ الكَبيرِ في اصلاحِ الأعمالِ وحياةِ القلوبِ، وإن التقصيرَ في العلمِ بها والاطلاعِ علَيها يورثُ الغفلةَ، ويوقع في سوءِ العملِ. ومنَ ثم تُنسىٰ تلكَ الحقائقُ على طولِ الزمنِ. بل لقد كان السلفُ رحمهم اللهُ يعلِّمونها أولادَهم في المدارس والكتاتيبِ؛ يقولُ ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يعلِّمنا هذا الدعاءَ كماً يعلِّمنا السورةَ من القرآن. يقول: **قولوا اللهمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ جهنمَ، وأعوذُ بكَ من عذابِ القبرِ، وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدجالِ، وأعوذ بك من فتنةِ المحيا والمماتِ**»[1]. قال مسلمُ بنَ الحجاجِ رحمه اللهُ: بلغني أن

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٨٤ ـ ح١٣٧٧)، ومسلم (١/ ٤١٢ ـ ح٥٨٨).

طاووساً وهو راوي هذا الحديثِ عن ابن عباسٍ قال: لابنه: دعوتَ بها في صلاتِك؟؟ فقال: لا. قال: أعدْ صلاتك. قالوا: وإنما أمرَ طاووسُ ابنَه بإعادةِ الصلاةِ لأنه يرىٰ وجوبَ الدعاءِ في الصلاةِ بهذه الدعواتِ الأربعِ. ولهذا جزمَ الإمامُ ابن حزمٍ الظاهريُّ رحمه الله في المحلَّى بفرضيةِ قراءةِ هذا التعوذِ بعد الفراغِ من التشهدِ.

والإمامُ السفارينيُّ رحمه الله يقول: ينبغي لكلِّ عالمٍ أن يَبُثَّ أحاديثَ الدجالَ بين الأولادِ والنساءِ والرجالِ؛ قال: ولا سيما في هذا الزمانِ الذي اشرأبَّتْ فيه الفتنُ، وكثرتْ فيه المحنُ، واندرستْ فيه معالمُ السُّننِ، وصارتْ السننُ فيه كالبدعِ والبدعةُ شِرعةً تُتَّبعُ.

واعلموا أن نبيَّكم عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**من حفظَ عشرَ آياتٍ من سورةِ الكهفِ عُصِمَ من الدجالِ**»[1]. وفي روايةٍ أخرىٰ: «**من أدركه فليقرأْ فواتحَ سورةِ الكهفِ فإنها جوارُكم من فتنتِه**»[2].

ثم بادروا رحمكم اللهُ بالأعمالِ الصالحةِ كما أرشدَ إلى ذلك نبيُّكم محمدٌ ﷺ «فهل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنىً مُطغياً، أو مرضاً مُفسداً، أو هرماً مُفنداً، او موتاً مُجهزاً، أو الدجالَ فشرُّ

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٥ ـ ح٨٠٩)، وأبوداود (٤/ ١١٧ ـ ح٤٣٢٣)، والترمذي (٥/ ١٤٩ ـ ح٢٨٨٦) وقال: حديث حسن صحيح إلا أنه قال (من قرأ ثلاث...) الحديث، وأحمد (٥/ ١٩٦).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ١١٧ ـ ح٤٣٢١) واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢٢٥٢ ـ ح٢١٣٧) دون قوله (فإنها جواركم من فتنته) وكذا الترمذي (٤/ ٤٤٣ ـ ح٢٢٤٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

غائبٍ يُنتظرُ، أو الساعةَ فالساعةُ أدهىٰ وأمرُّ»[1].

وقانا اللهُ وإياكم فتنتَه وسائرَ الفتنِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٨ ـ ح٢٣٠٦) وقال: حديث حسن غريب، والحاكم (٤/ ٣٢١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وأعله الألباني.

حافظوا على الصلاة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ شرحَ الصدورَ بالإسلامِ، وهدىٰ البصائرَ بالقرآنِ. عزَّ ربُّنا وتباركَ، نِعمُه لا تحصىٰ، وفضله لا يُحدُّ، فله الحمدُ كما يليقُ بجلالِه وعظيم سلطانِه، ولهُ الحمدُ كما يحبُّ ويرضىٰ. وأشهد ألا إله إلا اللَّهُ وحدهُ لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه استقامَ كما أُمِرَ، وقامَ إلى الصلاةِ حتى تفطرتْ قدماهُ، وعبدَ ربَّه حتى أتاهُ اليقينُ، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابِه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عز وجلَّ فهي خيرُ الزادِ ليومِ المعادِ.

أيها المسلمون: ها هو الحجُّ قد قُوِّضِتْ خِيامُه. وها هي قوافلُ الحجيجِ قد انطلقتْ مولية وجوهَها شطرَ ديارِها. امتطتْ ما سخَّرَ اللهُ لها جواً وبراً وبحراً. أحسنَ اللهُ مُنقلَبَنا ومُنقلَبَهم، وبلَّغهم ديارَهم سالمين غانمين مأجورين غيرَ مأزورين.

لقد أتم اللهُ عليهم بفضلِه نعمتَه. حجوا بيتَ ربِّهم وأتموا نُسكَهَم في أمنٍ وأمانٍ، وراحةٍ واطمئنانٍ. فالحمدُ للهِ على ذلك كثيراً.

وماذا بعدُ ـ أيُّها الإخوةُ ـ من أحقُّ بالذِّكرِ والشُّكرِ ممن والىٰ عليه ربُّه نعمهَ وهو يتأملُ ويأملُ في خبرِ المصطفىٰ ﷺ: «**من حج هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسقْ رجع من ذنوبه كيومِ ولدته أمُّه**»[1] بادرَ في تلبيتِه النداءِ، وسارعَ في الإجابةِ (لبيك اللهم لبيك).

يا هذا لقد قالَ ربُّكَ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ليس لطاعةِ ربِّكَ زمنٌ محدودٌ، وليس لتقوىٰ اللهِ موسمٌ مخصوصٌ، العبادةُ حقٌ على العبادِ للهِ مفروضٌ، يعمرون بها كلَّ أوقاتِهم، ويستعملون فيها كلَّ جوارحِهم، ويخلصون فيها من كلِّ قلوبِهم.

كيفَ سيعودُ الحجاجُ إلى ديارِهم؟ وما هي عزائمُ الخيرِ التي انعقدتْ عليها قلوبُهم؟ وكيف سيكونُ الكفُّ عن نوازعِ الشرِّ التي تختلجُ في نفوسِ بعضهم؟؟.

كيفَ يكونُ حالُ مسلمٍ لا يعرفُ ربَّه إلا في أيامٍ معلوماتٍ أو ساعاتٍ محدوداتٍ، ثم ينتكسُ بعدها في رجسِ المعاصي ويرتكسُ في أوضارِ[2] الآثامِ؟؟.

أيُّها الإخوةُ: لئن تفاضلَ بعضُ الأيامِ والشهورِ، وتضاعفتْ في بعضِ المواسمِ الأجورُ، فما ذلك إلَا من أجلِ مزيدِ العملِ وتنشيطِ الهممِ، ليزدادَ فيها حبُّ الطاعةِ ويستيقظَ فيها أهلُ الغفلةِ.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٤/ ٢٥ ـ ح١٨١٩)، ومسلم (٢/ ٩٨٣ ـ ح١٣٥٠).

(٢) الأوضار: الأدران والأوساخ.

ومن أجلِ محاسبةٍ دقيقةٍ ومعالجةٍ لأحوالِ النفسِ صادقةٍ. واختبارٍ للعملِ بيِّنٍ، فهذه وقفةٌ مع فريضةٍ من فرائضِ اللهِ ليست مرتبطةً بموسمٍ، ولا موقوفةً على مناسبةٍ، فريضةٍ ليست في العمرِ مرةً ولا في العامِ مرةً، بل ولا في اليومِ مرةً ولكنها في اليومِ والليلةِ خمسَ مراتٍ.

مفروضةٍ على كلِّ مسلمٍ مكلفٍ الغنيِّ والفقيرِ، والصحيحِ والمريضِ، والذكرِ والأنثىٰ، والمسافرِ والمقيمِ في الأمنِ والخوفِ لا يستثنىٰ منها مسلمٌ مكلفٌ ماعدا الحائضَ والنفساءَ.

إنها قرةُ عيونِ المؤمنينَ، ومعراجُ المتقينَ، بل إنها قبل ذلك قرةُ عينِ سيدِ المرسلينَ نبيِّنا محمدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكىٰ التسليمِ.

إنها الصلاةُ يا عبادَ اللهِ. الصلاةَ الصلاةَ. أيها المسلمون!! ركنُ الدينِ وعمودُه، «**لا دينَ لمن لا صلاةَ له**»[1]، «**ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة**»[2]، «**وليس بين الرجلِ والكفرِ والشركِ إلا تركُ الصلاة**»[3]، «**ومن تركَ صلاةً مكتوبةً متعمداً برئتْ منه ذمةُ اللهِ**»[4].

---

(١) رواه محمد بن نصر موقوفاً على ابن مسعود انظر الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٥)، والطبراني الكبير أيضاً موقوفاً، وفيه أبونعيم ضرار بن صرد وهو ضعيف انظر مجمع الزوائد (١/ ٢٩٥) وحسنه الألباني انظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ من قول عمر رضي الله عنه (١/ ٣٩ ـ ح٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٨٨ ـ ح٨٢).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، وأحمد والبيهقي بإسناد صحيح =

وكان أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ (لا يرون شيئاً من الأعمالِ تركهُ كفرٌ غيرَ الصلاةِ)[1] هذه كلها أخبار وزواجر وآثار صحت عن نبيِّكم عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام.

من أرادَ أن يحاسبَ نفسَه صادقاً فليتفقدْ نفسَه في صلاتِه وصلتِه مع ربِّه. ومن ضيعها فهو لما سواها أضيعُ، إنها آخر ما يفقدُ العبدُ من دينه فليسَ بعدَ ضياعِها والتفريطِ فيها إسلامٌ. ومن أجلِ هذا فإنها أولُ ما يُسألُ عنه العبدُ يومَ القيامةِ فإن قُبلَتْ قُبِلَ سائرُ العملِ، وإن رُدَّتْ رُدَّ سائرُ العملِ.

الصلاةُ ـ حفظكَ اللهُ ـ أولُ ما فُرض على نبيِّك محمدٍ ﷺ من الأحكام. فُرضتْ في أشرفِ مقامٍ وأرفعِ مكانٍ، لما أرادَ اللهُ أن يتمَّ نعمتَه على عبدِه ورسولِه محمدٍ ﷺ، ويظهرَ فضلَه عليه أسرىٰ به من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصىٰ الذي باركَ حولَه، ثم رَفعَهُ إليه وقرَّبَهُ فأوحىٰ إليه ما أوحىٰ، ما كذبَ الفؤادُ ما رأى. أعطاهُ من الخيرِ حتى رَضي، ثم فرضَ عليه وعلى أمتِهِ الصلواتِ الخمسَ.

هي أولُ ما فُرِضَ وهي آخرُ ما أوصىٰ به النبيُّ ﷺ أمتَهُ وهو على فراشِ الموتِ منادياً: «**الصلاةَ الصلاةَ وما ملكتْ أيمانكم**»[2].

= انظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٢٨).

(١) رواه الترمذي (٥/ ١٥ ـ ح٢٦٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٧٨)، وابن ماجه (١/ ٥١٩ ـ ح١٦٢٥)، وأبوداود (٤/ ٣٣٩ ـ ح٥١٥٦).

أيُّها المحاسبُ نفسَه: الصلاةُ لم يُرخصْ في تركِها لا في مرضٍ ولا في خوفٍ، بل إنها لا تسقطُ حتى في أحْرجِ الظروفِ وأشدِّ المواقفِ في حالاتِ الفزعِ والقتالِ والمسايفةِ والمنازلةِ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨ ـ ٢٣٩]. اللهُ أكبرُ رجالاً أو ركباناً، مستقبلي القبلةِ أو غيرَ مستقبِليها تُومئون إيماءاً قدْرَ الطاقةِ.

أما المريضُ فليصلِّ قائماً فإن لم يستطعْ فقاعداً فإن لم يستطعْ فعلى جنبِه، وإذا عجزَ عن شروطِها من الطهارةِ وسترِ العورةِ واستقبالِ القبلةِ صلى بلا طهارةٍ وبلا سترِ عورةٍ وإلى غيرِ قبلةٍ ـ فالصلاةُ ـ رعاك اللهُ ـ لا تسقطُ بحالٍ مادامَ العقلُ موجوداً.

الصلاةُ ـ أيُّها المحاسبُ نفسَهُ ـ أكثرُ الفرائضِ ذكراً في القرآنِ، وإذا ذُكرَتْ مع سائرِ الفرائضِ قدِّمتْ عليها لا يقبلُ اللهُ من تاركِها صوماً ولا حجاً، ولا صدقةً، ولا جهاداً، ولا أمراً بمعروفٍ ولا نهياً عن منكرٍ، ولا أيَّ عملٍ من الأعمالِ حتى يؤديها. هي فواتحُ الخير وخواتمهُ.

مفروضةً في اليومِ والليلة خمسَ مراتٍ، يفتتحُ المسلمُ بالصلاةِ نهارَه، ويختمُ بها يومَه، يفتتحها بتكبيرِ اللهِ، ويختمُها بالتسليمِ على عبادِ الله. بها افتُتحتْ صفاتُ المؤمنينَ المفلحينَ، وبها خُتمتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ ثم قال في آخر صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ـ ١١].

هذه هي الصلاةُ ـ يا عبدَ اللهِ ـ وإنها لكذلك وأكثرُ من ذلكَ، ولماذا لا تكون كذلك؟ وهي الصلةُ بين العبدِ وربِّه؛ لذةٌ ومناجاةٌ تتقاصرُ دونها جميعُ الملذاتِ، نورٌ في الوجه والقلبِ، وصلاحٌ للبدنِ والروحِ، تُطهِّرُ القلوبَ، وتكفرُ السيئاتِ، وتنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ. مصدرُ القوةِ ومَطْرَدَةُ الكسلِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

جالبة الرزقِ والبركة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

خشوعٌ وتعبدٌ يمسحُ آثارَ الغفلةِ والتبلدِ، ونورٌ وهدايةٌ يَحفظُ ـ بإذنِ اللهِ ـ من سُبلِ الضلالةِ والغوايةِ.

أيُّها المحاسبُ نفسَه: يجتمعُ للمصلي شرفُ المناجاةِ وشرفُ العبادةِ وشرفُ البقعةِ في المسجدِ، لا يُقْعِدُه عن الصلاةِ ظلمةُ ليلٍ ولا وعورةُ طريقٍ ولا صوارفُ دنيا: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يومِ القيامةِ**»[1].

قد منَّ اللهُ عليهم فأقاموا الصلاةَ تكبيراً وتسبيحاً وذكراً وقرآناً في قيامٍ قانتٍ، وركوعٍ خاضعٍ، وسجودٍ خاشعٍ، وتشهدٍ موحِّدٍ، سجودٌ ومناجاةٌ يتطلَّعُ معها إلى منزلةِ القربِ من اللهِ العلي الأعلىٰ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩].

الصلاةُ هي المفزعُ إذا حزبَ الأمرُ، وهي الملجأُ إذا مسَّ اللغوبُ؛

---

(١) أخرجه أبوداود (١/ ١٥٤ ـ ح٥٦١)، والترمذي (١/ ٤٣٥ ـ ح٢٢٣)، وابن ماجه (١/ ٢٥٦ ـ ح٧٨١).

«**أرحنا بها يا بلال**»[1]. امتلأت أرجاءُ المصلِّي بالهيبةِ، وسطعتْ جوانحُه بنورِ الإيمانِ، وخالطتْ بشاشةُ الإيمانِ قلبَهُ، يتدبَّرُ في صلاتِه قرآنَه، ويرفعُ إلى مولاه دعاءه، ويخشعُ لربِّه في مناجاتِه، اجتمع همُّه على اللهِ، وقرَّت عينُه بربِّه. فقرَّبَه وأدناه.

مؤمنونَ مفلحونَ، في صلاتِهم خاشعونَ، إذا قاموا إلى الصلاةِ أقبلوا على ربِّهم، وخفضوا أبصارَهم، ونظروا في مواضِعِ سجودِهم، قد علموا أن اللهَ قِبَلَ وجوهَهم، فهم إلى غيرِ ربِّهم لاَ يلتفتون، لقد دخلوا على ربِّ الأربابِ ومليكِ الأملاكِ، كلُّ خيرٍ عندَهُ، وكلُّ أمرٍ بيدِه، إذا أعطىٰ لم يمنعْ عطاءَه أحدٌ، وإذا منعَ لم يعطِ بعدَه أحدٌ.

أيُّها المحاسبُ نفسَهُ ـ هذا حالُ أهلِ الفلاحِ حين ينادِيْهم منادِيْ الصلاةِ والفلاحِ.

أين هؤلاءِ من مصلٍ لاهٍ لا يدري أخمساً صلى أم أربعاً؟؟ تسلَّط عليه الشيطانُ، وعششتْ في رأسِه الصوارفُ ينتقلُ من وادٍ إلى وادٍ، ومن همٍّ إلى همٍّ، يقوم إلى صلاتِه ـ إن قامَ ـ وقلبُه بغيرِ اللهِ متعلقٌ، وفكرُهُ بسواهُ مشغولٌ، يحرِّكُ بلسانه ما لا يعيْ قلبُه.

ويلٌ لهم عن صلاتِهم ساهون، ويلٌ لهم يراءون ويمنعون الماعون، تحولتْ الصلاةُ عندهم إلى عادةٍ، قلَّ عندهم فيها الاكتراثُ، وابتعدوا فيها عن التفقُّهِ والتفقُّدِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤، ٣٧١)، وأبوداود (٤/ ٢٩٦ ـ ح٤٩٨٥، ٤٩٨٦).

فيالطولِ حسرةٍ من ضيَّع صلاتهُ، ويلَهُ ماذا ضيع؟ لقد ضيَّع ركنَ دينِه، ويحَهُ ما أعظم خيبتُه، وما أشدَّ غفلتَهُ، حُرِمَ قرةَ العينِ، وراحةَ البالِ، وبَرْدَ اليقينِ.

أما سمعَ الزواجر؟؟ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٣].

يسمعُ منادي الصلاةِ والفلاح ثم يُدْبِرُ ويتولىٰ وكأنه المعنيُّ بقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [القيامة: ٣١ ـ ٣٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المرسلات: ٤٨ ـ ٤٩].

أيُّها المحاسبُ نفسه: قد علمت أن التكاسلَ والتهاونَ وقلَّةَ الذكرِ والفكرِ صفاتُ المنافقينَ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، فلا حظَّ في الإسلامِ لمن تركَ الصلاةَ ومن ضيَّع صلاتَه فهو لما سواها أضيعُ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦].

حافظوا على الصلاة

الخطبة الثانية

الحمد للهِ له الحمدُ في الأولىٰ والآخرةِ، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه الباطنةِ والظاهرةِ، وأتوبُ إليه وأستغفره يغفرُ كبائِرَ الإثم وصغائِرَهُ. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَ سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، جمَّل اللهُ خَلْقَه وخُلُقَهُ، وجمع به القلوبَ المتنافرة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجومُ السائرةُ والبدورُ السافرةُ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها المسلمون: للصلاةِ في الدينِ المنزلةُ العليةُ، والرتبةُ السنيَّةُ، فهي عمودُ الإسلام، وركنُ الملةِ، من أدى حقَّها، وأتمَّ ركوعَها وسجودَها، وأكملَ خشوعَها، ووقفَ بين يديْ ربِّه بقلبِه وقالبِه كانت قرةَ عينِه وحلاوةَ قلبِه وانشراحَ صدرِه. قد حفِظها وحافظَ عليها.

وفي حديثٍ آخرَ: «**خمسُ صلواتٍ كتبهنَّ اللهُ على العبادِ فمن جاءَ بهنَّ ولم يضيعْ منهنَّ شيئاً استخفافاً بحقِهنَّ كان له عندَ اللهِ عهداً أن يُدخلَه الجنةَ ومن لم يأتِ بهنَّ فليسَ له عندَ اللهِ عهدٌ أن شاءَ عذَّبَه وإن شاءَ أدخلَه الجنةَ**»[1].

---

(١) أخرجه أبوداود (٢/ ٦٢ـ ٤٢٠)، والنسائي (١/ ٢٣٠)، وابن ماجه =

ومن المحافظةِ عليها إتمامُ اركانِها وشروطِها وواجباتِها وسننِها، والطمأنينةُ فيها، واجتنابُ مسابقةِ الإمامِ أو مقارنتِه في أفعالِها.

يقولُ ابنُ مسعودٍ وسلمانُ رضي الله عنهما: «الصلاةُ مكيالٌ، فمن أوفىٰ استوفىٰ، ومن طفَّفَ فقد علمتم ما قالَ اللهُ في المطففين».

وإن من المحافظة عليها أمرَ الأهلِ بها والأقربين وبخاصةٍ من تحتَ يدِه من البنينَ والبناتِ، والأخذَ على يدِ المفرطِ منهم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

حتى الصبيُّ الذي لم يبلغْ له فيها حقٌّ وعلى وليِّ أمرِه فيها تكليفٌ: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**»[١].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، واستقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاةُ، ولا يحافظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ[٢]، و«**أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ الصلاةُ على وقتِها**»[٣] بذلك صح الخبر

= (١/ ٤٤٨ ـ ح١٤٠١)، ومالك في الموطأ (١/ ١٢٣ ـ ح١٤)، وأحمد (٤/ ٢٤٤).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٨٧)، وأبوداود (١/ ١٣٣ ـ ح٤٩٤، ٤٩٥)، والترمذي (٢/ ٢٥٩ ـ ح٤٠٧) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/ ١٩٧، ٢٠١) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠١ ـ ح٢٧٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٧، ٢٨٢) وهو صحيح بمجموع طرقه. انظر ارواء الغليل رقم ٤١٢ ومشكاة المصابيح بتحقيق الألباني رقم ٢٩٢.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري ٢/ ١٢ ـ ح٥٢٧)، ومسلم (١/ ٩٠ ـ ح٨٥).

عن نبيّكم محمدٍ رسول الله الذي قد أمركم ربُّكم بالصلاة عليه والتسليم فصلوا عليه وسلموا كما أمركم الله إن الله وملائكته يصلون على النبي اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

حديث في السيرة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أقامَ على خلقِه الحجةَ، وأوضحَ لهم المحجةَ، بعث نبيَّه محمداً ﷺ في الأميِّينَ على حينِ فترةٍ من الرسلِ وحاجةِ البشرِ. أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُهُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله أفاضَ على القلوبِ بإذن ربِّه بحكمتِه البالغةِ، فانشرحتْ الصدورُ بعظاتِه المؤثرةِ، ثم أنشأ بمشيئةِ اللهِ أمةً، وبنىٰ بدينِه دولةً، صلاةُ اللهِ وسلامُه ورحمتُه وبركاتُه عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الصادقين المخلصين ومن اقتفا أثرَهم وانتهجَ سبيلَهم إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى اللهِ عز وجلَّ، فزادُ التقوىٰ خيرُ زادٍ، ولباسُ التقوىٰ خيرُ لباسٍ.

أيُّها المسلمونَ: هذا حديثٌ تهنأُ به النفسُ، وينشرحُ له الصدرُ، ويَنْفَتحُ معه القلبُ ويأخذُ بمجامع اللبِّ. حديثٌ تستريحُ في ظلِّه الخواطرُ، وتتسعُ في رحابِه الأبصارُ والبصائرُ، ولكنه حديثٌ مع الأسفِ لا يكفيهِ من الوقتِ كفايةٌ، ولا يحيطُ به من اللسانِ بيانٌ. مهما تبارتْ القرائحُ لتُنَافِسَ، والأقلامُ لِتُسَطِّرَ،

فستظلُّ مكانَها ولن تبارحَ موقعَها وكأنَّها لم تحركْ بالشفتين حديثاً ولم تُسجلْ باليراعِ كلاماً.

إنهُ الحديثُ عن صاحبِ السيرةِ التي لا ينضبُ معينُها والرسالةِ التي لا يَجفُّ مِدادُها، مُلتقىٰ الأخلاقِ الفاضلةِ ومثالُ الإنسانيةِ الكاملةِ.

لا يوجدُ في سِيَرِ العظماءِ ما يوجدُ في سيرةِ سيِّدِ الأنبياءِ، فلا شرفَ يذكرُ ولا كمالَ يُنعتُ إلا لمحمدٍ ﷺ منه النصيبُ الأوفىٰ والمحلُّ الأسمىٰ. من ذا يستطيعُ أن يأتيَ بحديثٍ منه يَشْفي غليلَ السامعين ويطفىءُ لوعةَ المحبين.

بلْ كيفَ يرومُ بشرٌ أن يَبْلُغَ في الثناءِ عليه وقد أثنىٰ عليه الخلاقُ العليمُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] فسبحان من إلهٍ أعطىٰ ثم أثنىٰ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾. لقد استدرجَ القرآنَ بين جنبيه حتى صارَ خلقُهُ القرآن. صلاةُ اللهِ وسلامُه وبركاتُه على محمدٍ وآلِ محمدٍ وأصحابِ محمدٍ.

إن الذين بهرتْهم عظمتُه لمعذورون، وإن الذين افتدوهُ بأفئدتهم لهم المنصورون. لقد آتاه اللهُ من نِعمِه وأفاضَ عليه من رحمتِه ما جعلَه أهلاً لحملِ رسالتِه، واصطفاه ليكون خاتِمَ أنبيائه. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١ ـ ٤].

لقد كانت الآياتُ والمعجزاتُ والحُجَجُ والدلائلُ تعيشُ معه حياتَهُ منذ استقبله المهدُ حتى دثَّره اللحدُ، عليه الصلاةُ والسلامُ.

طَوْرُ طفولتِهِ كان معلوماً لدى القوم، حصل فيه من الآياتِ ما جعلَ الأبصارَ من حولِه تَتَلفَّتْ، والأعينَ إليه ترنو. تحدثتْ عن ذلك المراضعُ، وأخبر بذلك الأترابُ، رصدوا ما لحظوا، حيث كانتْ أسراراً كشفتْ عنها الأيامُ لما يريد الله بعبده من كرامته.

وأما شبابُه فيالَطُهرَ شبابِهِ فقد كان لديهم أكثرَ وضُوحاً وإسفاراً، وأعظمَ أدباً وإكباراً. وليس من المبالغةِ في شيءٍ إذا قيلَ إن صفحةَ حياتِه البيضاءَ النقيةَ كانت ضميرَ مجتمعِهِ النابضِ، وقلبَهُ الحيَّ، ومقياسَهُ العادلَ، يقيسون به سلوكَهَم، ويعرضون عليه أعمالهم. أمانةً وعفةً، وأدباً ونزاهةً، وسماً وحناناً، وعقلاً وبياناً. لم تخْفَ عليهم من حياتِهِ خافيةٌ.

أيُّها الإخوة: إن آدابَ الظواهرِ عنوانُ آدابِ البواطنِ، وحركاتِ الجوارحِ ثمراتُ الجوانحِ، والأعمالَ ميزانُ الأخلاقِ، وسرائرَ القلوبِ مغارسُ الأفعال، ومن خشعَ قلبُه خشعتْ جوارحُهْ.

إذن فشمائلُ المصطفىٰ ﷺ وخصَالُه آياتٌ من الآياتِ على نبوتِه وحجةٌ من الحجَجِ على رسالتِه. إنها تطبيقٌ للتعاليمِ بالقدوةِ، وتعليمٌ لأدب النفسِ بالعملِ، وتنظيمٌ لطبائعِ النفوسِ بالأسوةِ. ماالذي دعا عليةً مَن القومِ وسادةً من ساداتِ القبائلِ أمثالَ أبي بكرٍ بن أبي قحافةَ وطلحةَ بن عبيدِالله والزبيرِ بنِ العوامِ وعثمانَ بنِ عفان وعبدِالرحمن بن عوفٍ وسعدِ بن أبي وقاصٍ، هؤلاء العليةُ والسادةُ يتركون مواقعَهم، ويبادرونَ في اتِّباعِ النبيِّ الأميِّ راضي بحياةٍ تمورُ بالأعباء موراً وتنوءُ بالصعابِ أثقالاً؟؟؟.

يقابُلهم ضِعَافٌ من القوم آخرون أمثالُ صهيبٍ وبلالٍ وعمارِ بن ياسرٍ وأمِّه وأبيه، يلوذونَ بحماهُ، ويُهرعون إلى دعوتِه، وهم يبصرونه أعزلَ السِّلاحِ، قليلَ ذاتِ اليدِ ينزلُ به الأذىٰ، ويلاحقُه السفهاءُ، وتتبعُهُ المطَاردةُ، لا يَسْنِدُهُ سلطانٌ، ولا يُؤيِّدُه عسكرٌ ولا يُمَهِّدُ له مال، في تحدٍ رهيبٍ وصبرٍ جميلٍ ثم صفحٍ جميلٍ. ما كانت الدعوةُ في مبدئِها إلا قيظاً وسغباً، وحجارةً في رمضاءَ، ما الذي ملأ قلوبَ كلِّ هؤلاءِ عزماً وإيماناً وتعبداً ويقيناً، إنه سيرةُ محمدٍ وصدقُ محمدٍ وخلُقُ محمدٍ وتأييدُ ربِّ محمدٍ ﷺ.

الله أكبرُ الأتباعُ يزيدون والمؤمنون يتكاثرون وهو يردِّدُ على أسماعهم: ﴿لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١﴾ [الجن: ٢١] ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩].

نعم؛ لقد صدَقَ وصدَّقُوه. إن الدنيا ستُفْتَحُ عليهم أقطارُها، وإن أقدامَهم ستخوضُ في ذهبِ العالمِ وتيجانِه، لقد أنبأَهُم إن هذا القرآن الذين يتلونهُ في استخفاءٍ سترَددُه الآفاقُ عاليَ الصَّدْعِ، قويَّ الصدىٰ لا في جيلِهم فحسبُ ولا في جزيرتهم فحسبُ بل في جميعِ الأزمانِ وعبرَ كلِّ البلدانِ، هذا في الدِّنيا أما الآخرةِ فخيرٌ ثواباً وخيرٌ أملاً وخيرٌ وأبقىٰ.

نعم، لقد صدَق وصدَّقوه وهم يرونَ جزيرَتَهم أشتاتاً من غيرِ جامعٍ، وهملاً من غيرِ رابطٍ، يعيشون بلا هدفٍ، صرفوا طاقاتِهم في نزاعٍ لا ينقطعُ، وصراعٍ لا يفترُ.

لقد جاءَ بالصِّدقِ وجاهدَ بالحقِّ وجالَد بالصبرِ وجادلَ بالحججِ وأبلغَ في البيانِ، في غارِ حراءٍ، وبطاحِ مكةَ، في دارِ الأرقمِ،

ومضاربِ القبائلِ، في جبلِ ثورٍ، ودارِ أبي أيوبَ، وفي مسجدِ طيبةَ، وأسواقِ المدينةِ، في السلمِ والحربِ، والخُلطةِ والعزلةِ، والرخاءِ والشدةِ والسفرِ والإقامةِ فكان رسولَ اللهِ ونبيَّ البلاغِ، وقائدَ المعركةِ، وإمامَ التشريعِ، تحمَّلَ فداحةَ العبءِ وثِقَلَ المسئوليةِ ووعورةَ الطريقِ متقلباً بين أذىٰ المشركينَ وسفهِ الجاهلين وتطاولِ المنافقين.

الصلاةُ والسلامُ على نبيِّ اللهِ ورحمتهُ وبركاتهُ.

بشرٌ يعيشُ حياةَ البشرِ، يأكلُ الطعامَ ويمشىْ في الأسواقِ، يَخْصِفُ نعلَه، ويرقِّع ثوبَه ويخدم في مهنةِ أهلِه. لا يجد من الدَّقلِ - وهو رديءُ التمر - ما يملأُ بطنَه، ولم يشبعْ من خبزٍ ثلاثةَ أيامٍ تباعاً. رعىٰ غنماً لبعضِ أهلِه، واتَّجر بمالٍ لزوجه، وحفظَ الودائعَ لقومِه، يحملُ الكَلَّ، ويُكْسِبُ المعدومَ، ويعينُ على نوائبِ الحقِّ، لا يَجْزِيْ السيئةَ بالسيئةِ. ولكن يعفو ويصفح، يكرمُ أهلَ الفضلِ، ويتألَّفُ أهلَ الشرفِ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخابٍ في الأسواقِ. اجتمع فيه ما تفرَّقَ في الناسِ من خصالِ الرجولةِ وصفاتِ الكمالِ وخلائقِ النبلِ.

ثم ماذا؟ لقد دانت له الجزيرةُ، وفُتحتْ عليه أبوابُ الغنائمِ والمغانمِ فلم يزدَدْ إلا زهداً وورعاً وتواضعاً، ينامُ على الحصيرِ حتى أثَرَتْ أعواده في جنبِه الشريفِ عليه الصلاةُ والسلامُ. وينتقلَ إلى الرفيقِ الأعلى ودرعُه مرهونةٌ في طعامٍ لإهلِه. لقد أفنىٰ حياتَهُ مبلِّغاً عن ربِّه البلاغ المبين لا يرجو لنفسِه مغنماً ولا يَجلبُ لشخصِه جاهاً.

وبعدُ أيُّها الإخوةُ: فهذه شذراتٌ بل إلماحاتٌ من حديثِ السيرةِ، ثم لْينظرْ أتباعُ محمدٍ اليومَ ماذا في نفوسِهم من دينِه؟ وماذا في أخلاقِهم من أخلاقِه؟ وماذا في أيديهم من تراثِه؟ لقد أصبحوا وكثيرٌ منهم الأخلاقُ والتراثُ بل الدينُ مقسَّماً بين ثعالبِ الشعوبِ وذُؤبانِ الأمم، فلْيُفيقوا من النوم، وليخفِّفوا عن القدرِ اللَّومَ، فإن الله لا يظلمُ مثقالَ ذرة ولكن الناسَ أنفسَهم يظلمون. من قَتَل في نفسِهِ الطموحَ، ونزعَ من حياتِه الجدَّ ورضي أن يكونَ على هامشِ الحياةِ أثراً بعد عينٍ كقطعةٍ في متحفٍ يدلُّ على ملكٍ قديم وشعبٍ منقرضٍ، من رضيَ ذلك لنفسِهِ فيسيرٌ عليه أن يُفسد دينَهُ العابثونَ وينتقصَ من ديارِه الطامعون ثم يقعدَ في الصفوفِ الخلفيةِ يندبُ حظَّه ويتحسَّرُ على مجدِه ويتعلَّلُ بالأمانيِّ الكواذبِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

[التوبة: ١٢٨ـ ١٢٩].

حديث في السيرة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ شرحَ صدورَ أهلِ الإيمانِ للهدىٰ، من يهدِ اللهُ فهو المهتدِ ومن يضللْ فلن تجدَ له ولياً مرشداً، أحمده سبحانه وأشكرُه وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له أحصى كلَّ شيءٍ عدداً، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، أكرِمْ به عبداً وسيداً، وأعظمْ به أصلاً ومحتداً صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه مصابيحُ الدجىٰ ونجومِ الهدىٰ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فيا أيُّها المسلمون: إن محمداً ﷺ ليسَ قصةً تُتلىٰ أو سيرةً تُملىٰ في مناسبةٍ أو غيرِ مناسبةٍ، وليس حبُّ محمدٍ ﷺ بتأليفِ مدائحَ أو صياغةِ نعوتٍ تبلغُ الغلوَّ المذمومَ والإطراءَ المحظورَ.

إن رباطَ المسلمِ برسولِه الكريم أقوىٰ وأعمقُ، وما جَنحَ من جنحَ من المسلمينَ إلى هذه الأساليبِ إلا يومَ أن تركوا اللبابَ وأعياهم الحِمْلُ فاكتفوا بالمظاهرِ والرسومِ، وهذا لعمرُ الحقِّ لا يكلِّفُ شيئاً ولا يستدعيْ جهداً، إن الجهدَ الذي يتطلبُ العزمات هو الاستمساكُ بالجوهرِ والعودةُ إلى الدين بكلِّه وبلبِّه، صفاءٌ في العقيدةِ وصحةٌ في المنهجِ، وحينها ينهضُ المسلمُ إلى تقويمِ

نفسِه، وإصلاحِ شأنِه حتى يكونَ أقربَ إلى نهجِ محمدٍ ﷺ وخُلُقِه في معاشِه ومعادِه، وحربِه وسلمِه، وعلمِه وعملِه، وعاداتِه وعباداتِه. إن المسلمَ الذي لا يعيشُ الرسولُ في قلبِه، ولا يظهرُ الاتباعُ في عملِه لا يغني عنه أن يؤلفَ كتاباً أو يسمعَ سيرةً أو يرددَ مديحاً، ألا ما أرخصَ الحبَّ حينما يكون كتابةً وكلاماً وما أغلاه وأنفسه حين يكونُ مسئوليةً وقدوةً وذماماً؟؟؟.

أليس من المتحتم دراسةُ سيرةِ نبيِّنا ﷺ لنأخذَ بها أنفسنَا ما وسِعَنا، ونربِّي عليها نَشأنا ما استطعنا؟؟؟.

فدرسُ السيرةَ ليخرجَ للناس علماءُ مربون وأهلُ دعوة ومصلحون أكثرُ دراية بالأساليبِ الَتي تبلغُ العقولَ والقلوبَ فتنفي عنها الغوايةَ وخواطرَ السوءِ، وتعمرَها بالرغبةِ البالغةِ الصادقةِ في بلوغِ الخيرِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

استقيموا ولا تطغوا

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ سلكَ بأهلِ الاستقامة سبيلَ السلامةِ، أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوب إليه وأستغفرُه، بوأَ المتقين عندَه مقعدَ صدقٍ في دارِ المُقامةِ، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه شهادةً أدخرُها ليومِ القيامةِ. وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه فازَ من جعَله إمامَهُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أصحابه أهلِ الفضلِ والكرامةِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ فاتقوا الله رحمكم الله.

يقول اللهُ عز وجل في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤].

أيها المسلمون: الاستقامةُ كلمةٌ جامعةٌ تأخذُ بمجامع الدِّين. الاستقامةُ: قيامٌ بين يدي اللهِ بما أمرَ اللهُ، والتزامُ بالصدقِ مع اللهِ والوفاءِ بعهدِ اللهِ. فالاستقامةُ للهِ وباللهِ وعلى أمر اللهِ: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾. كما استقاموا إقراراً استقاموا إسراراً.

وكما استقاموا قولاً استقاموا عملاً.

لقد جمعوا بين أصلَيْ الكمالِ في الإسلام الإيمانِ والاستقامةِ، فالإيمانُ باللهِ كمالٌ في القلبِ بمعرفةِ الحقِّ والسيرِ عليه، معرفةٌ بمقامِ الربوبيةِ والألوهيةِ معرفةٌ باللهِ رباً حكيماً إلهاً مدبراً معظَّماً في أمرِه ونهيِه. قد عُمر القلبُ بخوفِه ومراقبتِه، وامتلأ منه خشيةً وإجلالاً، ومهابةً ومحبةً، وتوكلاً ورجاءاً. وإنابةً ودعاءاً. أخلصَ له في القصدِ والإرادةِ، ونبَذَ الشركَ كلَّه، وتبرأَ من التعلقِ بغيرِ ربِّه.

والاستقامةُ اعتدالٌ في داخلِ النفسِ من غيرِ عوجٍ يمنةً أو يسرةً. انتهاجٌ للتقوىٰ والعملِ الصالحِ، والتزامٌ بالصوابِ من الرأيِ والعلمِ والعملِ، وقيامٌ بأداءِ الفرائضِ واجتنابِ المناهي، وقولٌ بالحقِّ وحكمٌ به. وبعدٌ عن مواضعِ الشُّبَهِ وموارِدِ الفتنِ.

﴿ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ إذا تمكن ذلك في العبدِ وتحقَّقَ ظهرَ ذلك طمأنينةً في النفسِ ورقةً في القلبِ وقرباً من الربِّ.

إيمانٌ واستقامةٌ ينجلي بها الليلُ البهيمُ لذي البصرِ السقيمِ، ينسكبُ على القلوبِ الظَّمِئَةِ فترتوي، ويغشىٰ النفوسَ العاصيةَ فتستكينُ، ويهيمنُ على العقولِ الشاردةِ فترجعُ وتؤبُ.

بالاستقامةِ أُمر نبيُّنا محمدٌ ﷺ وأصحابُه رضوان الله عليهم.

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [الشورى: ١٥]. وبالاستقامةِ أُمرَ النبيَّانِ الكريمانِ موسىٰ وهارونُ عليهما السلام: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩].

أيها المسلمون: استقيموا كما أُمرتم ولا تطغوا، استقيموا ولا تتبعوا الهوىٰ. استقيموا ولا تتبعوا سبيل الذي لا يعلمون.

أيُّها المسلمون: الاستقامةُ شاقةٌ، فالنفسُ معها تحتاجُ إلى المراقبةِ والملاحظةِ، استقامةٌ لا تتأثرُ بالأهواءِ. استقامة تحققُ العدلَ والتوحيدَ، استقامةٌ بعيدةٌ عن المجاوزةِ والطغيانِ. يقول عمرُ رضي الله عنه: الاستقامةُ أن تستقيمَ على الأمرِ والنهيِ ولا تروغُ روغانَ الثعلبِ. وأوضحُ من ذلك وأبلغُ ارشادُ النبيِّ ﷺ عبدَاللهِ بنَ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما إذ قال له: «**يا عبدَاللهِ بنَ عمروٍ، إن لكلِّ عابد شِرَّة، ولكلِّ شرَّةٍ فترةٌ، فمن كانتْ فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**»[1].

ويقولُ بعضُ السلفِ: «ما أمرَ اللهُ بأمرٍ إلا وللشيطانِ فيه نزغتان، إمَّا إلى تفريطٍ وإمَّا إلى مجاوزةٍ، ولا يبالي بأيِّهما ظفرَ زيادةٍ أو نقصٍ.

الأمرُ خطيرٌ أيها الإخوةُ: فبعضُ الناس قد لا يفوتُه علمٌ أو عبادةٌ ولكنْ يفوتُه التوفيقُ والصوابُ، استقَامةٌ في اقتصادٍ، وعملٌ بعد علمٍ، واخلاصٌ في القلبِ ومتابعةٌ للسنةِ. اقتصادٌ يعصمُ عن بدعةِ التفريطِ والإضاعةِ، ويحفظُ من حدِّ الغلوِّ والاسرافِ والمجاوزةِ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/١٥٨)، والترمذي باختلاف يسير (٤/٥٤٨ ـ ح٢٤٥٣) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني.

ونظراً لِعِظَمِ الأمرِ ودقَّتِه فقد وجَّهكُم نبيُّكم محمدٌ ﷺ بقوله: «**استقيموا ولن تحصوا**»[1]، وبقوله: «**سددوا وقاربوا**»[2]، وأمركم ربُّكم عزَّ شأنُه بقوله: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

فالمطلوبُ الاستقامةُ وهي السدادُ والإصابةُ فإن لم يقدِرْ فليجتهدْ في المقاربةِ وليستغفرِ اللهَ، فإن نزَلَ عن ذلك فالخوفُ عليهِ من التفريطِ والإضاعةِ.

استغفارٌ مقارنٌ لمسيرةِ الاستقامةِ جبراً للنقصِ البشريِّ، وتسديداً للقصورِ الإنسانيِّ، استغفارٌ وتوبةٌ تعيدان إلى جادةِ الاستقامةِ وتردان إلى مسلكِ الحقِّ والعدلِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١٤٤ ـ ١١٥]. «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**»[3].

استقامةٌ مقرونةٌ باستغفارٍ مما يعني يقظةً دائمةً ومحاسبةً صادقةً وضبطاً للانفعالاتِ البشريةِ.

إذا كان الأمرُ كذلكَ ـ أيها الإخوةُ المسلمون ـ فإن مدارَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠١ ـ ح٢٧٧)، وأحمد (٥/ ٢٧٧، ٢٨٢) وهو صحيح بمجموع طرقه. انظر ارواء الغليل رقم ٤١٢، ومشكاة المصابيح بتحقيق الألباني رقم٢٩٢.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (١/ ١١٦ ـ ح٣٩)، ومسلم (٤/ ٢١٧٠ ـ ح٢٨١٦).

(٣) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٤/ ٣١٣ ـ ح١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣)، والحاكم (١/ ٥٤) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرطهما.

تحقيق الاستقامةِ على وجهها حفظُ القلبِ واللسانِ. فقد جاءَ عند أحمدَ من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُهُ**»(١). ولقد كان من دعاءِ النبي ﷺ: «**أسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً**»(٢).

من صلَحَ قلبُه استقامَ حالُه فلم ينظرْ ببصرِه إلى محرمٍ، ولم ينطقْ لسانُه بمأثمٍ، ولم يبطشْ بيدِه في مظلمةٍ، ولم ينهضْ بقدمِه إلى معصيةٍ.

«**والأعضاءُ كلُّها تكفرُ اللسانَ وتقولُ لهُ في مَطْلَع كلِّ صباحٍ: اتقِ اللهَ فإنما نحنُ بكَ فإن استقمتَ استقمنا، وإن اعوججتَ اعوججنا**»(٣). بهذا جاءَ الخبرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ مرفوعاً وموقوفاً. وإذا كان الأمرَ كذلكَ فاحقُّ من يحفظُ حقَّ الاستقامةِ ولاةُ أمورِ المسلمين ورعاياهم، أما ولاةُ أمور المسلمين ففرضٌ عليهم الاستقامةُ على أمرِ اللهِ وتقوىٰ ربِّهم فيما استرعاهم، فمسئوليتُهم عُظمىٰ وأمانتهم كُبرىٰ، يجبُ عليهم أن يقيموا دينَ اللهِ،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/١٩٨)، وابن أبي الدنيا في الصمت كلاهما من رواية علي بن مسعدة. وقال محقق المسند: قال في الخلاصة علي بن مسعدة وثقه أبودواد الطيالسي، وقال أبوحاتم: لا بأس به، وقال النسائي: ليس بالقوي. اهـ. وقال في التهذيب: لا بأس به. انظر الفتح الرباني (١٩/١٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/١٢٥)، والنسائي (٣/٥٤)، والترمذي (٥/٤٤٤ ـ ح٣٤٠٧)، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/٥٢٣ ـ ح٢٤٠٧) موقوفاً ومرفوعاً، وأحمد (٣/٩٦)، وابن خزيمة في صحيحه، وحسنه الألباني.

ويحكموا بما أنزلَ اللهُ، ويطبقوا في الناس شريعةِ اللهِ، يأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ، ويقيمونَ العَدلَ في الأمةِ، يرعون المصالحَ، ويتفقدون الأحوالَ، ويرفُقُون بالرعيةِ، ويؤمِّنون السُّبلَ، ويكفُّون المظالمَ، يحفظونَ الدينَ وينفذون الأحكامَ ويقيمون الحدودَ ويولُّون الأكفاءَ.

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

أما الرعية ففرضٌ عليهم حفظُ حقوقِ ولاةِ أمورِ المسلمين، والتعاونُ معهم في أداءِ المسئولياتِ، وحملِ الأماناتِ، وتكثيرِ الخيرِ وسُبُلِه، وتقليلِ الشرِّ وموارده. حقٌ لولاة الأمورِ السمعُ والطاعةُ، والدعاءُ بالتوفيقِ والتسديدِ، وبذلُ النصح والصدقِ فيه بالحكمةِ والرفقِ والكلمةِ الطيبةِ والموعظةِ الحسنةِ مع حفظِ حقِّهم في الإجلالِ والهيبةِ والتعظيم والتوقيرِ والحذرِ من الوقيعةِ في أعراضِهم والجرأةِ عليهم بالتنقُّصِ والدعاءِ عليهم فهذا من أسباب تولُّدِ الضغائنِ والأحقادِ وفشوِّ التنازعِ.

إن الطاعةَ لازمةٌ على المرءِ فيما أحبَّ وكرِه، في اليسرِ والعسرِ والمنشطِ والمكرَهِ إلا أن يؤمرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةً، إنما الطاعةُ في المعروفِ. يقولُ عبادةُ بن الصامتِ رضي الله عنه: «بايعنا رسولَ اللهِ ﷺ على السمعِ والطاعةِ في العسرِ واليسرِ والمنشطِ والمكرهِ، وعلى أثرةٍ علينا، وعلى ألا ننازعَ الأمرَ أهلَه وعلى أن نقولَ الحقَّ أينما كنَّا لا نخافُ في اللهِ لومةَ

لائمٍ»[1] متفق عليه.

ومن رأى من أميرِه شيئاً يكرهُه من معصيةٍ فليكرهْ ما يأتي من معصيةٍ ولا ينزعْ يداً من طاعةٍ فإن من خرجَ عن الطاعةِ وفارقَ الجماعةَ ماتَ ميتةً جاهليةً[2]. والعاصيْ لا يكْفُرُ بالمعصيةِ إن لم يستحلَّها، وليس من سبيلِ الاستقامةِ أن يحملَ الحماسُ بعضَ الناسِ الوقوعَ في مخالفاتِ الشرعِ.

فاتق اللهَ يا عبدَالله ولا تقلْ بلسانِك إلا معروفاً، ولا تبسطْ يدَكَ إلا في خيرٍ. كُفَّ عما لا يعني ودعْ فضولَ الكلامِ والنظرِ. اجعلْ مراقبتكَ لم لا تغيبُ عن نظرِه، واجعلْ شُكرَكَ لمن لا تنقطع عنك نعمتُه، واجعلْ طاعتَكَ لمن لا غنا لكَ عنهُ، واجعلْ خضوعَكَ لمن لا تخرجُ عن ملكِهِ وسلطانِهِ.

يقولُ سفيانُ الثوريُّ رحمهُ اللهُ: عليك بالرجاءِ لمن يملكُ الوفاءَ، وعليك بالحذرِ لمن يملكُ العقوبةَ، وعليك بمراقبةِ من لا تخفىٰ عليه منك خافيةٌ.

أيها الإخوةُ والأحبةُ: هذه هي الاستقامةُ في حقيقتِها وطريقتِها. أما جزاءُ أهلها فتنزلُ عليهم ملائكةُ الرحمن ألا تخافوا ولا تحزنوا. أمنٌ من المخاوفِ، وسلامةٌ من المكارِه لا يأْسَوْنَ على فائتٍ، ولا يُشْفقُون على مستقبلٍ، مُسَدَّدُونَ مُوفَّقون،

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١٣/ ٢٠٤ ـ ح٧١٩٩، ٧٢٠٠)، ومسلم (٣/ ١٤٧٠ ـ ح١٧٠٩).

(٢) انظر البخاري (١٣/ ٧ ـ ح٧٠٥٣، ٧٠٥٤)، ومسلم (٣/ ١٤٧٧ ـ ح١٨٤٩، ٣/ ١٤٨١ ـ ح١٨٥٥).

محفوظون بملائكةِ اللهِ من أمرِ اللهِ بإذن اللهِ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١] لهم الأمن في الحالِ والمآلِ، والنعيمُ المقيمُ: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٢].

أيُّها الإخوة: الاستقامةُ في الدينِ مقامٌ من أعلى المقاماتِ، به يُرتقىٰ لأسمىٰ الكمالاتِ وأفضلِ الطاعاتِ، مراقبةً لله على دوامِ الأوقاتِ.

أهلُ الاستقامةِ لا يُصبحُ الدينُ عندهم فريسةَ العابثين، ولا ميدانَ المتلاعبين، وليس لعبةً للمنحرفين وتقلباتِ المنافقين.

أهلِ الاستقامةِ يتواصلون بالدين، لا يحملُ بعضُهم على بعضٍ ضغينةً، ولا تشوبُهم ريبةٌ، ولا تُسرعُ إليهم غِيبةٌ.

في اللهِ يتحابون، وفي دينِ اللهِ لا يَغْلُون أو يزيدون، ومهما طالَ عليهم الطريقُ فلغير دينِ اللهِ لا يدينون، غير ناكثين في عزيمةٍ، ولا منحرفين عن وِجُهةٍ، ولا زائغين عن عملٍ.

أما من قلَّ نصيبُهُ واختلَّتْ استقامتُهُ واعوجتْ مسيرتُه فتجرفُه أهواءٌ عاتيةٌ، وتحرِفُهُ أغراضٌ متباينةٌ، لا يحملُ رسالةً، ولا يقيمُ دعوةً، ينحرفُ عند أدنىٰ محنةٍ، ويَضِلُّ عن أدنى شبهةٍ، ويَزِلُّ لأولِ بارقةِ شهوةٍ: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]. دينهُ ما تهوىٰ نفسه، وعقيدتُه ما يوافقُ هواه.

هذا حالُ الفريقين، وهذا مسلكُ النجدين، فليجاهدِ العبدُ نفسَهُ في تحقيقِ الإيمانِ والاستقامةِ، وليسألْ ربَّه الثباتَ بعد الممـــاتِ، والحفـــظَ مـــن فتـــنِ الشهـــواتِ والشبهـــاتِ،

وليعرضْ عن الجاهلين وليصفحْ عن المسيئين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ـ ٣٢].

استقيموا ولا تطغوا

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ أكملَ لنا الدينَ وأتمَّ علينا النعمةَ، أحمده سبحانه وأشكرُه على نعمِه الجَمَّةِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه بعثه للعالمين رحمةً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله أصحابه خيارِ الأمةِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فقد جاءَ سفيانُ بنُ عبدِاللهِ الثقفيِّ رضي الله عنه إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرَكَ، فقال: «**قل آمنتُ باللهِ ثم استقمْ**»[1]. رواه مسلم، وزادَ غيرُ مسلم بسندٍ صحيح قلتُ يارسولَ اللهِ ما أخوفُ ما تخافُ عليَّ؟ فأخذَ بلسانِ نفسهِ ثم قال: «**هذا**»[2].

أيُّها الإخوة: الإيمانُ دليلُ الحيرانِ، وعُدَّةُ المحاربِ، ورفيقُ الغريبِ، وأنيسُ المستوحشِ، ولِجام القوةِ، وقوةُ الضعيفِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٥ ـ ح٣٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٣)، والترمذي (٤/ ٥٢٥ ـ ح٢٤١٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ـ ح٣٩٧٢)، والحاكم (٤/ ٣١٣) وقال: صحيح الاسناد. ووافقه الذهبي.

الإيمانُ ضرورةٌ للإنسانِ كي يطمئنَّ ويبقىٰ، وضرورةٌ للإنسان كي يسعدَ ويرقىٰ. إيمانُ القرآنِ والسنةِ، إيمانُ الصحابةِ وتابعيهم بإحسانٍ، علمٌ ونيةٌ، عقيدةٌ وعملٌ.

من أرادَ السعادةَ فلا سعادةَ بغيرِ طُمأنينةٍ، ولا طُمأنينةُ بغيرِ إيمانٍ. ومن أرادَ الحياةَ الطاهرةَ فلا طهارةَ بغير استقامةَ، ولا استقامةَ بغيرِ إيمانٍ. والنصرُ على الأعداءِ لا يكونُ بغيرِ جهادٍ، ولا جهادَ بغير إيمانٍ. والخيرُ والبركةُ والرخاءُ لا تكونُ بغير أخلاقٍ ولا أخلاقٍ بغير إيمانٍ.

والتعاونُ بين المسلمين لا يكونُ بغير إخاءٍ ولا إخاءٍ بغيرِ إيمان، وأفضلُ الطاعاتِ مراقبةُ اللهِ على دوامِ الأوقاتِ.

الغيبة والمغتابون آثار وأخطار

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ العليِّ الأعلىٰ، خلقَ فسوىٰ، وقدر فهدى، أحصى على العباد أقوالَهم وأفعالَهم في كتابٍ لا يضلُّ ربي ولا ينسىٰ. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره، له ما في السمواتِ وما في الأرضِ ومابينهما وما تحت الثرىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جلَّتْ عظمتُه، وعمتْ قدرتُه، وتمتْ كلمتُه صدقاً وعدلاً: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه بعثَهُ بالحقِّ والهدىٰ، فما ضلَّ وما غوىٰ، وما نطقَ عن الهوىٰ إن هو إلا وحيٌ يوحىٰ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله دوحةِ البيتِ الطاهرةِ، وعلى صحابتِه عصبةِ الحقِّ الظاهرةِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان العاملين للأولىٰ والآخرةِ وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عز وجل، فمن اتقىٰ اللهَ كفاهُ، ومن اتقى الناسَ لن يغنوا عنه من اللهِ شيئاً. أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ التي لا يقبلُ غيرَها، ولا يرحمُ إلا أهلَها، ولا يثيبُ إلا عليها، الواعظون بها كثيرٌ، والعاملون بها قليلٌ، جعلنا اللهُ وإياكم من المتقين.

أيُّها المسلمون: دينُ اللهِ كاملٌ شاملٌ؛ تضمَّن حقائقَ العقيدةِ والشريعةِ، والتوحيدِ والعبادةِ، والمعاملةِ والعادةِ، يخاطبُ العقلَ

والقلبَ، والحسَّ والنفسَ، في مبادىءِ التشريعِ والأخلاقِ، والتربيةِ والسلوكِ. دينٌ من عندِ ربِّنا، يرسمُ الأحكامَ والنظامَ لمسلمٍ كريمٍ طاهرِ الظاهرِ والباطنِ، سليمِ القلبِ، نقيِّ المشاعرِ، عَفِّ اللسانِ وعفِّ السريرةِ. متأدبٌ مع ربِّه ونفسِه، ومتأدبٍ مع الناسِ أجمعين.

بل إنه لمتأدبٌ مع هواجسِ الضميرِ وخلجاتِ النفس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

دينُ حقٍّ تتلاقىٰ فيه أحكامُ الشرائعِ مع نزاهةِ المشاعرِ، وتتوازنُ فيه الأوامرُ مع الزواجرِ.

دينٌ يُنشىءُ مجتمعاً متديناً، محفوظَ الحرماتِ، مصونَ الغَيْبَةِ والحضورِ، لا يؤخذُ فيه أحدٌ بالظِّنَّةِ، ولا تُتَتَبَّعُ فيه عوراتٌ.

أيُّها الإخوةُ: وهذه صورةٌ من الصورِ التي وقفَ منها ديننُا موقفاً حازماً حاسماً. صورةٌ يُمثِّلُ فشوُّها في المجتمعِ مظهراً من مظاهرِ الخللِ، وقلةِ الورعِ، وضعفِ الديانةِ. صورةٌ تُشَوِّشُ على حفظِ الحرماتِ وسلامةِ القلوبِ وصيانةِ الأعراضِ وتحرِّي الحقِّ. إنها كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ، وموبقةٌ من موبقاتِ الآثامِ، وحالقةٌ من حالقاتِ الدينِ يشتركُ في ذلك فاعلُها والراضي بسماعِها.

إنها الغيبةُ يا عبادَ اللهِ. إنها ذكرٌ العيبِ بظهرِ الغيبِ، ذكرُكَ أخاكَ بما يكرَهُ، سواء أكان فيه ما تقولُ أمْ لم يكنْ، هكذا بيَّنها رسولُها محمدٌ ﷺ.

يقول ربُّكم عزَّ وجلَّ في محكمِ تنزيلِه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا . . .﴾ [الحجرات: ١٢].

أيُّها المسلمون: إن دماءكم وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم. الغيبةُ ـ أيها الإخوةُ ـ ذاتُ أسماءٍ ثلاثةٍ، كلُّها في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ـ الغيبةُ والإفكُ والبهتانُ. فإذا كان في أخيكَ ما تقولُ فهي الغيبة، وإذا قلتَ فيه ما بلغك عنه فهو الإفكُ، وإذا قلتَ فيه ما ليس فيه فهو البهتانُ. هكذا بيَّنَ أهلُ العلمِ رحمهم اللهُ.

الغيبةُ تشملُ كلَّ ما يُفْهِمُ منه مقصودُ الذمِّ سواءٌ أكان بكلامٍ، أم بغمزٍ، أم إشارةٍ، أم كتابةٍ؛ وإن القلمَ لأحدُ اللسانَيْنِ.

والغيبةُ تكونُ في انتقاصِ الرجلِ في دينِه وخلْقِهِ وخُلُقِهِ، وفي حَسَبِه ونَسَبِه، ومن عابَ صنعةً فإنما عابَ صانِعَها.

وهذا هو نبيُّكم محمدٌ ﷺ يناديْ هؤلاءِ المبتَلَيْنَ بهذا الداءِ المهلكِ: «**يا معشرَ من آمن بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَهُ لا تغتابوا المسلمينَ ولا تتبعوا عوارتِهم فإن من تتبَّع عورةَ أخيه تتبَّعَ اللهُ عورتَه ومن تتبع اللهُ عورتَه يفضَحه ولو في جوفِ بيتِه**»[(١)].

والحسنُ رحمُه اللهُ يقولُ: (واللهِ للغيبةُ أسرعُ في دينِ الرجلِ من الأكلةِ في الجسدِ).

عجباً لمن ينتسبُ لأهل الحقِّ والإيمانِ كيفَ يركبُ مركبَ الغيبةِ، وقد علمَ أن المبتلىٰ لها ذو قلبٍ متقلبٍ وفؤادٍ مظلمٍ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٣١ ـ ح٣٠٣٢) وقال: حديث حسن غريب، وأبوداود (٤/ ٢٦٩ ـ ح٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢١).

انطوىٰ على بغضِ الخلقِ، وكراهةِ الخيرِ، لا يعنيه نفعُ نفسِه بقدرِ ما يعنيه ضررُ غيرِه. راحتُه وهناؤُه أن يرىٰ النعمةَ عن أخيه زائلةً، والمحنةَ فيه واقعةً، يسرُّه أن يرىٰ الخيرَ عن أخيه ممنوعاً والمصائبَ به نازلةً.

هذا المبتلىٰ غيظهُ وغمُّه أن يصيبَكَ خيرٌ أو يحالفكَ توفيقٌ، أو يتيسرَ لكَ رزقٌ، أو يجريْ على يديك نفعٌ.

قلبٌ مؤتفكٌ مريضٌ يَحْسِدُ في السراءِ ويَشْمَتُ في الضراءِ، على الهمِّ مقيمٌ، وللحقدِ ملازمٌ، تسوءُه المسرةُ، وتسرُّهُ المساءَةُ، غِلٌ وحقدٌ وضغينةٌ، أسماءٌ مترادفةٌ في عداوةٍ متمكنةٍ، يمتلىءُ بها صدرُ صاحبِها، ويتربصُ بها الفرصَ لينفثَ سمومَه ويرميَ سهامِه.

هل من شأنِ المؤمنِ أن ينطويَ على كلِّ هذه الضغينةِ لأخيه؟؟ وكأنه يأنسُ بخذلانه ووصولِ النقمةِ إليه، ولا تخطرُ له أخوةُ الإيمان ببالٍ؟؟ ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

ذو الغيبةِ ذَلِقُ اللسانِ، صفيقُ الوجهِ، لا يَحجُزُه عن الاغتيابِ إيمانٌ، ولا تحفظُه للمكارمِ مروءةٌ. إذا وجدَ متنفساً أشبعَ طبيعتَهُ النَّزِقَةَ الجهولَ. ينطلقُ على وجهِه في المجالسِ لا ينتهي له حديثٌ، ولا يتوقفُ له كلامٌ. يسكبُ من لفظِه ما تشمئزُّ منه آذانُ أهلِ الإيمانِ، وأفئدةُ أهل التقىٰ.

قد أوتيَ بسطةً في اللسانِ تُغْرية بالتطاولِ على الحاكمِ والعالمِ، والوجيهِ وذي المنزلةِ، بل على السفيهِ والجاهلِ،

وعلى كلِّ طبقةٍ وفي كلِّ نادٍ. الكلامُ عندهُ شهوةٌ عارمةٌ، إذا سلَّطه على شؤونِ الناسِ أساءَ الصورةَ، وإذا تكلَّم في حقائقِ الدينِ والعلمِ شوَّه الحقَّ وأضاعَ الهيبةَ.

إن لثرثرته ضجيجاً يذهبُ معه الرشدُ، يتصدرُ المجالسَ، ويتناثرُ منه الكلامُ حتى يجزمَ العاقلُ بإنه لا يتحدثُ عن وعيٍ يقظٍ، ولا فكرٍ عميقٍ، وكأنَّ عنده انفصالاً رهيباً بين لسانِه وبين عقلِه وإيمانِه. ألدُّ خَصِمٌ يلوكُ لسانهُ كما تلوكُ البقرةُ، يخوضُ في الدينِ والسياسةِ، والعلمِ والأدبِ، فيفسدُ الدينَ والسياسةَ والعلمَ والأدبَ، ولعلَّ السببَ في الانهيارِ العلميِّ والتحزبِ المذهبيِّ، والانقسامِ الطائفيِّ في حقائقِ الدينِ وشؤونِ الحياةِ هو هذا المسلكُ المذمومُ في توظيفِ اللسانِ جدلاً ومراءً، وغِيْبةً وبهتاناً، وإفكاً مبيناً.

إنه في مقاعدِ المجالسِ يُقَطِّعُ وقتُهُ في تَسَقُّطِ الأخبارِ، وتَتَبُّعِ العيوبِ، وتلمسِ الزلاتِ، ليس له لذةٌ ولا مَسْلاةٌ إلا في أحوالِ الناسِ. همزةٌ لَمزةٌ، مشاءٌ بنميمٍ، ويلٌ له ثم ويلٌ له، يتكلمُ بالكلَمةِ يَزِلُّ بها في النارِ أبعدَ ما بين المشرقِ والمغربِ.

أيُّها المسلمون: وأقبحُ ما يقعُ فيه هذا وأمثالُه غيبةُ ولاةِ الأمورِ وأهلِ العلمِ والفضلِ ورجالِ الحسبةِ والصلاحِ والذين يأمرون بالقسطِ من الناسِ، يقعون في أعراضِ ذوي الوجاهةِ والمنزلةِ ورجالِ الخاصةِ والعامةِ، يَحُطُّونَ من أقدارِهم ويجترؤنَ على مقامِهم، وينزعُون من مهابتَهم، ويرفعون الثقةَ بهم، يطعنون في أعمالِهم وجهودِهم، ويشككون في قدراتِهم وكفاءاتِهم، لا يُذْكرُ عظيمٌ إلا انتقصوه، ولا يَظهرُ كريمٌ إلا شتموه، ولا يبرزُ صالحٌ

إلا اتهموه، ولا يتميزُ مسؤولٌ إلا مقتوه، يمشون بالكذبِ والتدليسِ، والمغالطةِ والتشويشِ. يتهمون الثقاتِ، ويقعون في الصالحين. يبعثونَ الفتنَ، ويزرعون الإحنَ، ويبَلْبِلون على العامةِ، يقطعونَ الصلاتِ، ويفرِّقون الجماعاتِ، غِرْبانُ بَيْنٍ، ونُذُرُ شؤمٍ، حمالوا الحطبِ، ومشعلوا اللهبِ، يوزعون الاتهاماتِ، ويتتبعون المعايبَ؛ هذا طويلٌ وهذا قصيرٌ، وهذا جاهلٌ، وهذا فاسقٌ، وهذا عميلٌ، وذاك مشبوهٌ، العينُ غمازةٌ، واللسان همازة، والكلماتُ لمازةٌ، مجالسُهم شرٌ، وصحبتُهم ضرٌ، وفعلُهم عدوانٌ، وحديثُهم بذاءٌ.

الله أكبرُ ـ يا عبادَ اللهِ ـ هلْ من شأنِ المؤمنِ أن يحمل كلَّ هذا الضِّغْنِ لأخيه؟؟.

يا هذا ـ كلُّ بشرٍ يُحبُّ ويكرهُ، ويرضىٰ ويغضبُ، ويوالي ويعادي، ولكنَّ العاقلَ لا يوالي أحداً بالجملةِ، ولا يعادي أحداً بالكليةِ، ولكنه يحبُّ منه شيئاً ويكره شيئاً، يرضىٰ منه خلقاً ويسخطُ آخر، يحبِّذُ فعلاً ويَنْقِم آخر، والعاقلُ من يحبُّ حبيبَه هوناً ما فعسىٰ أن يكونَ بغيضَهُ يوماً ما، ويبغضُ حبيبَه هوناً ما فعسىٰ أن يكون حبيبَه يوماً ما.

العقلُ والإيمانُ يملي عليكَ فيمن تحبُّ ألا تقلبَ عيوبَه محاسنَ وكأنكَ لا ترىٰ فيه إلا خيراً خالصاً، ومن لا تحبُّ فلا تقلبْ محاسنَه عيوباً فلا ترىٰ فيه إلا شراً محضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

أيها الإخوةُ: ويشتدُّ القبحُ والجرمُ ويتعاظمُ الذنبُ والذمُّ ـ حينما تصدُرُ الغيبةُ ممن ينتسبون إلى العلمِ والصلاحِ ويتزيَّوْن بسيما أهل الزهدِ والورعِ، فيجمعون في غِيْبَتِهم بينَ تزكيةِ أنفسِهم وذمِّ غيرِهم.

وانظرُ رعاكَ اللهُ إلى دقةِ ما سجَّله الغزاليُّ في إحيائِه وابنُ قدامةَ المقدسيُّ في مختصرِ منهاجِه وابنُ حجرٍ الهيثميُّ في زواجرِه وهم يتكلمونَ عن هذا الصنفِ من الناسِ قالوا رحمهم اللهُ: يُذْكَرُ عند هؤلاءِ المتزهدين إنسانٌ فيقولون: الحمدُ للهِ الذي ما ابتلانا بقِلَّةِ الحياء والدخولِ في كذا وكذا، وليس قصدُه بدعائِه إلا أن ينبِّهَ إلى عيبِ غيرِه. قالوا: وقد يزيدُ خبثُه فيقدِّمُ المدحَ لمن يغتابهُ حتى يُظْهِرَ تَنَصُّلَه من الغيبةِ فيقول: كان مجتهداً في العبادةِ والعلمِ والنزاهةِ والأمانةِ، ولكنه فترَ وابتُلي بما ابتلينا به كلُّنا. فيذكرُ نفسَهُ ومقصودُه ذمُّ الغيرِ والتَمدُّحُ بالانتسابِ للصالحين في ذمِّ نفوسِهم فيجمعُ بين ثلاثِ فواحشَ: الغيبةِ والرياءِ وتزكيةِ النفسِ، بل أربعٍ لأنه يظنُّ بجهلِه أنه مع ذلك من الصالحين المتعففينَ عن الغيبةِ فقد لعبَ به الشيطانُ وسخِر منه فأحبطَ عملَه وضيَّع تعبَه وأرداهُ.

ومن ذلك أن يقولَ: ساءني ما وقَعَ لصديقِنا من كذا وكذا فنسألُ اللهَ أن يثبِّتَه، وهو كاذبٌ في ذلك، وما درىٰ الجاهلُ أن اللهَ مطَّلعٌ على خُبْثِ ضميرِه، وأنه قد تعرَّضَ بذلك لمقتِ اللهِ أعظمَ مما يتعرضُ الجهالُ إذا جاهروا. انتهى كلامُهم رحمهم اللهُ.

اللهُ أكبرُ ـ أيُّها الإخوةُ ـ يقولُ بعضُ السلفِ: أدركنا السلفَ الصالحَ وهم لا يرونَ العبادةَ في الصومِ والصلاةِ ولكن في الكفِّ عن أعراضِ الناسِ.

يا هذا ـ رحمنا اللهُ وإياكَ وعافاكَ وعفا عنك ـ ظُنَّ الخيرَ بإخوانِكَ وأقربائِكَ، ولا تسمعْ أخبارَ من قلَّ عند اللهِ نصيبُه. اذكرْ أخاكَ إذا غابَ عنكَ بما تحبُّ أن يذكرَكَ به، وأعْفِهِ مما تحبُّ أن يعفيَكَ منه. اعملْ عملَ رجلٍ يرىٰ أنه مُجازىً بالإحسانِ مأخوذٌ بالإجرامِ.

قيلَ لبعضِ الصالحين: لقد وقعَ فيك فلانٌ حتى أشفقنا عليكَ ورحمناك، قال: عليه فأشفقوا وإياه فارحموا.

وقالَ رجلٌ للحسنِ: بلغني أنكَ تغتابُني، فقال: لم يبلغْ قدرُكَ عندي أن أُحَكِّمَكَ في حسناتي.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، فطوبىٰ لمن أمسكَ الفضلَ من قولِه، ثم طوبىٰ لمن ملكَ لسانَه، ثم طوبىٰ لمن حجزه عن الناس ما يعلمُ من نفسِه، وطوبىٰ لمن استمسكَ بتوجهاتِ كتابِ ربِّ فتوجَّهَ إلى مولاه بقلبٍ ضارعٍ ولسانٍ صادقٍ وحبٍّ لإخوانِه خالص: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

الغيبة والمغتابون آثار وأخطار

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ذي العرشِ المجيدِ، الفعالِ لما يريدُ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ، وما يلفظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، هو أقربُ إلى عبدِه من حبلِ الوريدِ. وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله نشرَ أعلامَ التوحيدِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان من صالحِ العبيدِ، وسلم تسليماً كثيراً أما بعد

أيها المسلمون: من أخطَرِ ما ذكرَ أهلُ العلمِ من أنواعِ الغيبةِ تلك التي تحصلُ بالقلب. قالوا: وذلك هو سوءُ الظنِّ بالمسلمين. والظنُّ هو ما تركنُ إليه النفسُ ويميلُ إليه القلبُ، أما الخواطرُ وحديثُ النفسِ العابرُ فمعفوٌ عنه.

إنه ليس لك أن تظنَّ بإخيكَ شراً، ومتى خطرَ لك خاطرُ سوءٍ على مسلمٍ فينبغي أن تزيدَ في مراعاتِه والدعاءِ له بالخيرِ، فإن ذلك يَغيظُ الشيطانَ ويدفعُه عنك. وإذا تحققتَ هفوةً من مسلمٍ فانصْحه ولا تفضحْه. وسوءُ الظن يدعو إلى التجسسِ والتحسسِ. والقلبُ إذا تُركَ له العنانُ لا يقنعُ بالظنِّ، بل يطلبُ

التحقيقَ فيشتغلُ بالتجسسِ وذلك منهيٌ عنه لأنه يوصلُ إلى هتكِ سترِ المسلمِ.

أيها الإخوةُ: والمستمعُ شريكُ للمغتابِ ولا ينجو من الإثمِ إلا أن ينكرَ بلسانِه، فإن خافَ فبقلبِه، وإن قَدِرَ على القيامِ فليقمْ أو لِيقطعْ الكلامَ بكلامٍ آخرَ.

ناهيكَ ـ عياذاً بالله ـ من يستمعُ ويصغي على سبيلِ التعجبِ ليزيدَ من نشاطِ المغتابِ ولقد قالَ علماؤنا رحمهم اللهُ: إن التصديقَ بالغيبةِ غيبةٌ، والساكتُ شريكُ المغتابِ.

يا تُرىٰ أين هو المؤمنُ القويُّ ذو الشكيمةِ الذي يأبىٰ أن يُغتابَ أحدٌ في مجلسِه؟؟ ويأبىٰ أن تَسمَعَ أذناه عيبَ أخيه المسلم؟؟ يقولُ ابن المباركِ رحمه اللهُ: فِرَّ من المغتابِ فرارَكَ من الأسدِ.

أين هو المؤمنُ القويُّ الذي يقيمُ المغتابَ من مجلسِه أو يقومُ عنهم ليدَعهم في مجلسِهم؟؟ كان ميمونُ بن سياه لا يَغتابُ أحداً ولا يدعُ أحداً يَغتابُ أحداً عنده، ينهاه فإن انتهىٰ وإلا قامَ من المجلسِ.

يا عبدَاللهِ إن لكلِّ الناسِ عوراتٍ ومعايبَ، وزلاتٍ ومثالبَ فلا تظنْ أنكَ علمتَ ما لم يعلَمْ غيرُك، أو أنكَ أدركتْ ما عجزَ عنه غيرُك. هلاَّ شغلكَ عيبُك عن عيوبِ الناسِ، وهلاَّ سلكتَ مسلكَ النصيحةِ وعدلتَ عن الفضيحةِ؟؟ وهل عَلمتَ أن من تكلَّم فيما لا يعنيهِ حُرِمَ الصدقَ؟؟.

احفظْ حقَّ أخيكَ وصُنْ عرضَه؛ ففي الحديث: «**من ذبَّ عن عرضِ أخيه بالغَيْبَةِ كان حقاً على اللهِ أن يُعتقَه من**

النارِ»[1]، وفي خبرٍ أخر: **«من قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنه اللهُ ردغة الخبال حتى يخرج مما قال»**[2].

«ومن كانت عندُه لأخيهِ مظلمةٌ من عرضٍ أو مالٍ فليتحلَّلْه منها من قبلِ أن يأتيَ يومٌ ليس هناك دينارٌ ولا درهمٌ؛ تؤخذُ من حسناتِه، فإن لم يكنْ أُخذَ من سيئاتِ صاحبِه فزيدَ على سيئاتهِ ثم طُرحَ في النارِ»[3].

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ وسارعوا إلى التوبةِ واستحلالِ إخوانِكم، وجانبوا الغلَّ والحقدَ والضغينةَ والشحناءَ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١) وقال في المجمع: رواه أحمد والطبراني واسناد أحمد حسن انظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٥).

(٢) رواه أبودواد (٣/ ٣٠٥ ـ ح٣٥٩٧)، وأحمد ٢/ ٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٢١ ـ ٢٤٤٩) دون «ثم طرح في النار».

أهل الورع

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعـدُ:

فيا أيُّها الناسُ: الدنيا غرارةٌ بمفاتِنها، خادعةٌ بمباهجِها، تأخذُ الألبابُ بسحرِها، وتغري النفوسَ بتنوعِ لذاتِها، وتغري بتجددِ مفاتِنها. بينما النفوسُ عليها مقبلةٌ، والقلوبُ بها متعلقةٌ، وشملُ الأحبةِ فيها مجتمعٌ إذا بها قد اغبرَّتْ أيامُها، واكفهرَّتْ سماؤُها،

وذَبُلتْ زهراتُها، قد استحالتْ إلى هشيم نضرتُها، وصار إلى حطام نعيمُها، وآل إلى شتاتِ اجتماعُها ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

أيها الإخوةُ: هذا حديثٌ عن الدنيا، ومن بعدِه حديثٌ عن الورَعِ، ولكن حين تَستَحكِمُ المادةُ على القلوبِ، وتملأ الشبهاتُ المسالكُ يستنكرُ حديثُ الورعِ، ويستثقلُ التنبُه إلى المشتبهاتِ.

ومن ثَمَّ ترىٰ هؤلاءِ المبتلَيْن يسلكون مسالكَ العِوجِ ليُسمُّوا الأشياءَ بغيرِ أسمائِها، فيسوِّغون لقلوبِهم المريضةِ ما يسوغون، ويجترئون بنفوسِهم الضعيفةِ على ما يجترئون.

أيها الأحبةُ في الله: الورعُ حيطةٌ يتذرعُ بها أولو العزمِ من الناسِ، ويتوقىٰ بها أهلُ الإيمانِ والصلاحِ.

من كرِه الرذيلةِ ومقتَ الشبهةَ جعلَ بينه وبينها حجاباً غليظاً وستراً كثيفاً.

من عزَّتْ عليه نفسُه صانها وحماها، وحفظَها وزكاها، وزاحم بها أهلَ العزائِم والكمالاتِ. واختار لها المكانَ الأرفعَ. ومن هانتْ عليه نفسُه اطلق لها عنانَها وأرخىٰ زمامَها فألقاها في الراذئلِ ولم يحفظْها من المزالقِ.

أيُّها الإخوةُ: إن نبيَّكم محمداً ﷺ يضعُكم في هذا على محجةٍ بيضاءَ لا يزيغُ عنها الإ هالكٌ، تأملوا هذا المشكاةَ من نورِ نبوتِه:

«من اتقىٰ الشبهاتِ فقد استبرأَ لدينِه وعرضِه، ومن وقعَ في الشبهاتِ وقعَ في الحرامِ كالراعي يرعى حولَ الحمىٰ يوشكُ أن يرتعَ فيهِ ألا وإن لكل ملكٍ حمىٰ، ألا وإن حمىٰ الله محارمُه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلَحتْ صلح الجسدُ كلُّه وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّه ألا وهي القلبُ»[1].

«والإثمُ ما حاكَ في نفسِكَ وترددَ في الصدرِ وكرهتَ أن يطلعَ عليه الناسُ وإن أفتاكَ الناسُ وأفتوك»[2] و **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»**[3] و **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[4].

براهينُ بيِّنةٌ ودلائلُ جليةٌ، فالإثمُ ما حاك في النفس، وترددَ في الصدرِ، وكرهتَ أن يطَّلعُ عليه الناسُ. وما أحسستَ فيه ريبةً فاجتنبْهُ.

اللهُ أكبرُ، لقد خلقَ اللهُ عبادَهُ حنفاءُ وفطرَهم على معرفةِ

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير أخرجه البخاري (١/ ١٥٣ ـ ح٥٢)، ومسلم(٣/ ١٢١٩ ـ ح١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٠ ـ ح٢٥٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٢٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٤/ ٥٧٧ ـ ح٢٥١٨)، والنسائي موقوفاً على ابن مسعود وقال النسائي: هذا الحديث جيد جيد (٨/ ٢٣٠)، وأحمد (٣/ ١٥٣)، والحاكم (٢/ ١٣)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وأخرجه في موضع آخر (٤/ ٩٩) وسكت عنه وقال الذهبي: سنده قوي.

(٤) رواه مالك مرسلاً (٢/ ٩٠٣ ـ ح٣) وأحمد (١/ ٢٠١)، والترمذي (٤/ ٤٨٣ ـ ح٢٣١٧) وقال: حديث غريب، وبرقم (٢٣١٨) وصحح إرساله، وابن ماجه (٢/ ١٣١٦ ـ ح٣٩٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الحقِّ، والسكونِ إليه، وركزَ في طباعِهم محبتَهُ والنفورَ من ضدِّه، فالإثمُ مؤثرٌ في الصدورِ حرجاً وضيقاً، ومورثٌ في النفوس قلقاً ونفوراً. وسبيلُ الورعِ أن تتركَ ما حاكَ في نفسِكَ، وتجتنبَ ما قادكَ إلى ريبةٍ.

قلوبُ أهلِ الصلاحِ تضطربُ للحرامِ، وتسكنُ للحلالِ، وتقفُ عند المشتبهاتِ، فالحلالُ البيِّنُ لا يحصلُ لقلبِ المؤمنِ منه رَيْبٌ، ولا يصيبُه منه اشمئزازٌ.

والمكروهاتُ أبوابٌ بينَ المباحِ والحرامِ من فتحها على نفسِه تعرَّضَ لألوانٍ من الشرِّ والهلكةِ لا يطيقُ دفعَها.

ومن تهاونَ في أبوابِ المندوباتِ يوشِكُ أن يتركَ الواجباتِ، والاستخفافُ بالمشتبهاتِ تحمل الواقعَ فيها على الاستسلامِ للرغباتِ، والغرقِ في الشهواتِ، ومن حامَ حول الحمىٰ يوشكُ أن يقعَ فيه.

وحدودُ اللهِ معروفةٌ، ومعالمُ دينه بيِّنةٌ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] و ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ومع وضوحِ ذلك وجلائِه ـ أيُّها الإخوةُ ـ فإن قلوباً مريضةً تركضُ في الدنيا بغيرِ عنانٍ، وتملأُ أيديَها بغيرِ ميزانٍ. ينطلقون في لذائذِ النفوسِ بغيرِ حدودٍ، كلما أدركوا منزلةً تشوَّفوا إلى ما فوقَها نهماً وسعاراً. تملَّكَتْهمُ ملاذُّ الجسمِ والمادةِ فلم يبالوا من أي طريقٍ أتتْ، وبأي وسيلةٍ اكتُسِبَتْ يحطُّ أحدُهم من كرامتِه ويَذهبُ بعزِّتِه، ويَرِقُّ تَدَيُّنُه قد خفَّ ورعُه، وازدادَ على الدنيا حرصُهُ حتى كسىٰ قلبَهُ غاشيةٌ فأرسلَ يدَه في السحتِ، وانطلقَ

لسانُهُ بغير الحقِّ، قلةُ ورعٍ جعلَتْ على آذانِهِ وقراً، وعلى بصرِهِ غشاوةً، فلا ينفعُه نذيرٌ، ولا تُجدي فيه نصيحةٌ، ولا تُرجىٰ له استجابةٌ.

لقد فقد هؤلاء عفَّتَهم، وغاضَ ورعُهم، وانساقوا وراءَ تزواتِهم، فعاشوا للمُتَعِ وحدَها، يتمتعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعامُ.

وإن من المؤكَّدِ أن التهالكَ على الشهواتِ، والانغماسَ في الملذاتِ، والتخفُّفَ من الورعِ، فرارٌ من التكاليفِ، ونكوصٌ عن الجدِّ، وتضييعٌ لمعالمِ الشرفِ، وحين يتسرَّبُ ذلك إلى أمةٍ فقد آذنتْ نفسَها بالإدبارِ، وإن كِفلاً ضخماً من تصدُّعِ الأمةِ يرجعُ إلى ضياعِ الفقهِ والتعففِ والصدودِ عن سبيلِ الورعِ والتورعِ.

ويقابلُ هؤلاءِ ـ أيها الإخوةُ ـ أقوامٌ أدركوا سماحةَ الإسلامِ وفَقِهوا وسطيتَهُ، فمن حق المرءِ أن يأكلَ ويشربَ، ويلبسَ ويركبَ غيرَ مضيقٍ على نفسِه، يخرجُ إلى الناسِ في أثوابٍ لا تزدريْها العيونُ، ويستمتعُ من الزينةِ بما لا يعيبُه الحَكماءُ.

وليعلم أن سماحةَ الدين تسعُ المسلمُ أن يتبسطَ في ملبسِه ومطعمِه ومسكنِه ومركبِهِ فلا يقعد ملوماً محسوراً.

الورعُ عنده اتقاءُ ما يكونُ سبباً للذمِّ والعقابِ، يبادرُ إلى فعلِ الواجباتِ وما يشبُه الواجباتِ، ويسارعُ إلى تركِ المحرماتِ والمشتبهاتِ. وما لا ريبَ في حلِّه فليسَ من تركِه ورعٌ، وما لا ريب في منعهِ فليس في فعله ورعٌ.

إنهم يعيشون وسطيةَ الإسلامِ فلا رهبانيةَ صارمةً تَضيْقُ بها

النفوسُ وتنغلقُ بها المسالكُ، ولا حيوانيةَ بهيميةً قائمةً على عتبِ الشهواتِ ومطاوعةِ الأهواءِ.

إن رجلَ الدنيا وواحدَها من تكونُ همتُه وإرادتُه فوقَ عواطفه وشهواتِه، فإذا نازعتْهُ نفسُه إلى زينةٍ لا تُنالُ إلا ببذلِ شيءٍ من الكرامةِ أو لذةٍ لا تتمُ إلا بهتكِ جانبٍ من العزةِ كفَّ وأحجم عفَّ وتورعَّ. لقد اطمأن إلى أن مثقالَ ذرةٍ من كرامةٍ يرجَحُ بقناطيرِ زينةِ الحياةِ الدنيا وملاذِّها.

أيها الإخوةُ: إن هذا الورعَ الجميلَ والعفةَ العاليةَ لم تكن عندهم مجردةً من غيرِ هدفٍ أو تحكماً من غيرِ غايةٍ.

إنهم أهلُ الإيمانِ والصلاحِ يتنزهون ويتعففونَ لما وقَرَ في قلوبِهم من الإيمانِ باللهِ ولما يؤمِّلُون مما يبتغون عند اللهِ، هدفٌ كبيرٌ اشتغلوا بتحصيلِه عن فنونِ اللهوِ ورخيصِ المُتَعِ، متجافين عن بِطنةِ المترفين وبشم الممعودين[1]، وشهواتِ الغافلين. سخروا دنياهم لدينِهم فبلغوا بها المثلَ العليا.

أيُّها الأحبةُ في اللهِ: وثمَّتَ مسألةٌ في هذا البابِ يحسنُ التنبيه إليها: ذلك أن بعضَ الناسِ يظنُّ أن الورعَ مختصٌ بجانبِ التركِ وحده، فليس الورعُ عنده إلا في تركِ الحرامِ وما يشتبه به، وليس عنده ورعٌ في الخوفِ من تركِ الواجبِ وما يشتبه به.

يقول شيخُ الإسلامِ ابن تيميةَ رحمه الله: «هذا يُبتلىٰ به كثيرٌ من المتدينةِ والمتورعةِ، فهو يتورعُ من الكلمةِ الكاذبةِ،

---

(١) البشم: امتلاء المعدة، والممعودون: أصحاب المعدة.

والدرهم المشتبه، ومجالسةِ أهلِ الفجورِ وأشباهِهم، ولكنه يتركُ أموراً واجبةً عليه، إمَّا وجوبَ عينٍ أو وجوبَ كفايةٍ، من صلةِ رحم، وحقِّ جارٍ ومسكينٍ وابن سبيلٍ، وحقِّ مسلمٍ أو ذي سلطانٍ أو ذي علمٍ، حتى تسوِّلَ له نفسُه تركَ الجمعةِ والجماعةِ والحجِّ والجهادِ. قال رحمه الله: وما وقعَ أصحابُ البدعِ من أهلِ الفرقِ إلا بمثلِ هذا التورعِ المظلمِ، فقد تركوا بتورِّعِهم هذا من الحسناتِ الراجحةِ والأعمالِ الصالحةِ أعظمَ مما أدركوه. ثم قال: فلعلَّه أن يعيبَ أقواماً هم للنجاةِ أسعدُ وأقربُ».

أيها الإخوةُ: إن من صحةِ المعتقدِ وصدقِ التدينِ ورجحانِ العقلِ عدمَ الاغترارِ بزهرةٍ لا تدومُ ومتعةٍ تبلىٰ ونعمةٍ لا تبقىٰ. لم يعملِ عاملونَ بمثلِ الزهدِ ولم يتقربْ متقربونَ بمثلِ الورعِ ولم يتعبدُ متعبدون بمثلِ البكاءِ.

واتقاءُ الشبهِ وتجنبُ مواردِ التُّهم حزمٌ ما بعدَهُ حزمٌ، وبراءةٌ للدين والعرضِ، فإيَّاكم وحزاز القلوبِ[1].

يقولُ أبوالدرداءِ رضي الله عنه: الخيرُ في طمأنينةٍ، والشرُّ في ريبةٍ، ولا يبلغُ العبدُ درجةَ المتقينَ الذين يتقون الشبهاتِ حتى يدعَ ما لا بأسَ به حذراً مما به بأسٌ. بهذا أخبرَ النبيُّ ﷺ. وأخذ بذلك عبدُاللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما حين قال: (إني لأحبُّ أن أدعَ بيني وبين الحرامِ سترةً من الحلالِ لا أخْرِمُها).

ويقولُ ميمونُ بن مهران: (لا يسلمُ للرجلِ حلالٌ حتى يجعلَ

---

(١) حزاز القلوب: ما يورث ريبة، وحزازة في النفس أي ما حاك في النفس.

بينه وبين الحرامِ جزءاً من الحلالِ).

ويقولُ سفيانُ بن عيينةَ: (لا يصيبُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتى يجعلَ بينهُ وبينَ الحرامِ جزءاً من الحلالِ وحتى يدعَ الإثمَ وما تشابه منه).

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم الله فإن ملاكَ الدينِ الورعُ، وآفتَهُ الطمعُ، ومن رقَّ في الدنيا ورعُه عَظُمَ في القيامةِ خطرُه، ومن تعلَّقَ قلبُهُ بالشهواتِ فمتى يصحَّ له زهدٌ أو ورعٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾

[يونس: ٧ ـ ٨].

أهل الورع

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله المبعوثُ بالرحمةِ والهدى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم وبهم اهتدى.

أما بعدُ: فقد ذكرَ أهلُ العلم رحمهم الله أن من علامات سعادةِ العبدِ وعنوانِ فلاحِه: إذا زَاد علمُه زاد تواضعُه، وإذا زادَ عملُه زاد خوفُه، وإذا زادَ عمرُه قلَّ حرصُه، وإذا زاد مالُه زاد سخاؤُه، وإذا زاد قدرُه وجاهُه زادَ من الناسِ قربُه وقُضيتْ على يديه حوائجهُم.

يقابلُ ذلك صفاتٌ مذمومةٌ، وعلاماتُ شقاءٍ بيِّنةٌ؛ فالكبرُ يمنعُ الانقيادَ، والحسدُ يمنعُ بذلَ النصيحةِ كما يمنعُ قبولَها، والغضبُ يمنعُ العدلَ، والشهوةُ تمنعُ التفرغَ للعبادةِ.

فإذا وُفِّقَ المبتلىٰ بهذا فانهدمَ ركنُ الكبرِ سهُلَ الانقيادُ، وإذا انهدم ركنُ الحسدِ سهلَ بذلَ النصح وقبولُه، وإذا انهدمَ ركنُ الغضبِ سهل العدلُ والتواضعُ، وإذَا انهدمَ ركنُ الشهوةِ سهلَ الصبرُ والورعُ والعفافُ والتعبدُ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم الله، فإن العبدَ كلَّما كان أشدَّ تحرياً للحقِّ والحلالِ كان أخفَّ ظهراً يومَ القيامةِ، فمن أحبَّ الخيرَ لنفسِه فليزددْ في التحري والحيطةِ، ومن فرط وتساهلَ فما يجنيْ جانٍ إلا على نفسِه.

الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)
دعوة ومنهج

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الموصوفِ بصفاتِ الجلالِ والكمالِ، امتنَّ على خلقِهِ بمزيدِ الإنعامِ والإفضالِ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه وهو المحمود بكلِّ لسانٍ وعلى كلِّ حالٍ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وخليلُه، الصادقُ المقالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبهِ خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ المآلِ.

أما بعـدُ:

فأوصيكُم أيُّها الناسُ ونفسيْ بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فتقوىٰ الله عليها المعوَّلُ، وعليكم بما عليه السلفُ الصالحُ، والصدرُ الأوَّلُ.

أيُّها المسلمون: منذُ أن أكرمَ اللهُ هذه الأمةَ ببعثةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ وأفواجُ الدعاةِ المصلحينَ يتعاقبون فيها، علماءُ مخلصون، ومربون ربانيّون، من خلفاءِ رسولِ اللهِ ﷺ الراشدين، وورثته من العلماءِ العاملين، داعين إلى الحقِّ، حاكمين بالقسطِ، آمرين بالمعروفِ، ناهين عن المنكرِ.

وإنَّ العنايةَ بسِيَرِهم، والتذكيرَ بهم، وهم مصابيحُ الهُدىٰ التي أضاءتْ الطريق، بل حولَّت مجرىٰ التاريخِ في ديارِها، وأورثتْ تحوُّلاتٍ فكريةً كبرىٰ في عقولِها. إن ذلك مما يجبُ أن تنصرفَ إليه الهممُ، ويعتنيَ به الموجهون، ويذكِّرَ به المذكرون.

إن دراسة حياةِ الرجالِ تورثُ الإحساسَ بالعزةِ، وتُنْبتُ الشعورَ بالقوةِ، وتَهدي إلى التمسكِ بالحقِّ، وتقودُ إلى السموِّ في الخلقِ، وتفتحُ الأبوابَ العريضةَ من الآمالِ، والدنيا بغيرِ الرجالِ الأفذاذِ همودٌ وجمودٌ، وإذا أقفرتْ الديارُ من الرجالِ فهي إلى الوراءِ تتقهقرُ، ومن الوجودِ تتلاشىٰ. وإذا نامتْ الأمةُ شقَّ إيقاظُها، وعسرُ بعثُها، إلا بعد أجيالٍ وأجيالٍ.

أيها الإخوة: ومن خلالِ النظرِ في هذه السيرِ يتبينُ للدارس المتأمِّلِ أن الدنيا كلَّما احلَوْلَكَتْ فيها ظُلَمُ الجهالةِ، وخاضَ الناسُ معَها لُجَجَ الباطلِ، وخيمتْ سُحُبُ البدعِ قيضَ اللهُ رجالاً، وسدَّدَ دعاةً يدعون إلى الله على بصيرةٍ، يُنيرونَ الطريقَ، ويُحيون السنَنَ، ويبسُطون الحقَّ، فتتطهرُ على أيديهم بإذن اللهِ القلوبُ والديارُ.

وفي فترةٍ من فتراتِ تاريخِ الأمةِ غشيتْ الدينَ غاشيةٌ سوداءُ فإذا التوحيدُ الذي جاء به محمدٌ ﷺ قد تلبستْهُ أنسجةُ الخُرافةِ، وقشورُ التصوفِ، وكثُر الأدعياءُ الجهلاءُ، وتلبَّدتْ عقولُ فئام كثيرةٍ من المسلمين بالذلةِ والمسكنةِ فأحاطتْ بأعناقِهم التمائمُ والتعاويذُ، وقيدتْ سواعدَهم الخيوطُ والأوهامُ، وتعلقوا بالقبورِ وأصحابِها، وفشا فيهم التنجيمُ والسحرُ والتطيرُ والكهانةُ، وغابت شمسُ الحقِّ عن كثيرٍ من النفوسِ حتى هبطوا مهبَطاً بعيدَ القرارِ،

وحتى كأن وظيفةَ الدينِ والعقلِ أُلغيتا جميعاً، ولا تدري كيف التاث[1] على أهلِ العلمِ علمُهم فلم يزددْ العامةُ فيهم إلا جهلاً وخبالاً.

في هذه الأجواءِ الغائمةِ القاتمةِ انطلق صارخٌ من قلبِ الصحراءِ صحراءِ جزيرةِ العربِ يدعو إلى الإصلاحِ، ويوقظُ أهلَ الإيمان، إنه صوتُ الصالحُ المصلحُ الإمامُ شيخُ الإسلام محمدُ ابنُ عبدالوهابِ رحمهُ اللهُ.

أيها الأحبةُ: وقبلَ الخوضِ في الحديثِ عن هذا الرجلِ ينبغي التذكير بما تعارفَ عليه أهلُ العلم من أن ذكرَ السيرِ والمناقبِ إنما يقصدُ به ذكرُ الفضلِ لأصحابِ الفضلِ من غير أن يكون لأحدٍ قداسةٌ ومن غير اعتقادِ كمالٍ أو عظمةٍ لبشرٍ. إلا أنبياءَ اللهِ فيما يُبَلِّغون عن ربِّهم عزَّ وجلَّ. والثناءُ على عالمٍ ليس حطاً من قدرِ غيرِه ممن يستحقُّ الثناءَ. وإنما يُنسبُ الفضلُ لأهلِه، ويؤخذُ الحق ممن جاءَ به.

ومقاييسُ أهلِ الإسلام أن تُعْرضَ الرجالَ وأعمالَها على ميزانِ الشرعِ، وما رجحتْ كِفةٌ إلا بقدرِ ما أثمرتْ من جُهدٍ، وأنتجتْ من عملٍ، وأورثتْ من حقٍ وصلاحٍ وخيرٍ ورشادٍ في ظلِّ الإسلامِ وضوابطِ الشرعِ. وليس الحقُّ محصوراً في إمامٍ بل ولا في الأئمةِ الأربعةِ رضوانُ الله عليهم وعلى أئمةِ الإسلامِ أجمعين، ولا يزعمُ ذلك أو يظنُّه إلا تابعٌ خاملٌ أو مقلدٌ جامدٌ يتجهُ نحو التحزُّبِ، ويميلُ إلى التعصبِ. وليس الرشدُ والهدىٰ محصوراً في جماعةٍ

---

(١) التاث: التبس.

أو مِلْكاً لطائفةِ سوىٰ الطائفةِ المنصورةِ الفرقةِ الناجيةِ ممن كانَ على مثلِ ما عليه رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه.

وبعدَ هذا فإن الشيخَ محمدَ بنَ عبدالوهابِ من أوفرِ المصلحين حظاً في ميدانِ الدعوةِ، ومن أرْجَحِهم كفةً في سبيلِ الإصلاحِ، طبَّقتْ شهرتهُ الآفاقَ، وكتبَ عنه القاصي والداني، وردَّدَتْ سيرتَهُ ألسنةٌ وأقلامٌ من الغرباءِ وذوي القربىٰ، ومن المسلمين وغيرِ المسلمين، وكلُّها في نظرِ المنصفِ تدلُّ على سموِّ الرجلِ وصلاحِ أمرِه ونجاحِ مقصدِه.

لقد وهبُه اللهُ قوةً في النفس، وصدعاً بالحقِّ، وتأثيراً في السامعين، في صبرٍ ومثابرةٍ، وحُسنِ ظنٍّ باللهِ، وصدقٍ في التعلقِ به، برعَ في علومِ الدينِ واللسانِ، وفاق الأقرانَ، واشتهرَ بالتقوىٰ وصدقِ التديِّن.

معتقدُه الدينُ الخالصُ على مذهبِ السلفِ المقتدىٰ بهم، لا يخوضُ في تأويلٍ، ولا يتعمقُ في فلسفةٍ، يقتدي بالأئمةِ من غيرِ جمودٍ، لم يطوِّق حبلَ التقليدِ في عنقِه، ولكنه مقتدٍ مؤدبٌ، يحترمُ القولَ وقائلَه.

دعوتُه توحيدُ اللهِ في ربوبيِّته وإلاهيته وأسمائِه وصفاتِه، وشعارُه لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، يوضِّحُ معانيَها ويبسطُ القولَ فيها منهجاً ودعوةً وتأليفاً في مختصراتٍ ومطولاتٍ ولجميعِ الطبقاتِ.

وهلْ التوحيدُ إلا إفرادُ العبادةِ، وإخلاصُها للهِ ربِّ العالمين وذلك دينُ الرسلِ أجمعين، وهو أمر واضحٌ جلي ولكن حبائِل الشيطانِ واسعةٌ.

ولقد أفرد الشيخُ المتعلقينَ بالقبورِ والأضرحةِ بخطابٍ خاصٍ، لما لحظَهُ من عمومِ الابتلاءِ بهذا الداءِ في أصقاعٍ كثيرةٍ من بلادِ المسلمين كافةً، فقد دُعيَ غيرُ اللهِ، وتعلَّقتْ الآمالُ في كشفِ الكروبِ ودفعِ المصائبِ بغيرِ اللهِ، وارتفعتْ الأصواتُ تجأرُ بطلبِ الغوثِ من غيرِ اللهِ تحتَ أعتابِ الأضرحةِ المشيدةِ، وفي مسوحِ القبابِ الشاهقةِ، وفي ترابِ القبورِ المجصَّصةِ.

وهذا الأمرُ الذي ندبَ الشيخُ له نفسَه لم يكن فيه بدعاً من الأمرِ فنصوصُ الكتابِ والسنةِ متوافرةٌ متظافرةٌ، ونصَّ على ذلك أئمة الإسلامِ المُقتدىٰ بهم من قبلِه، ويكفي الإشارةُ السريعةُ إلى ما حكاه الإمَامُ النوويُّ عن الإمامِ الشافعيِّ رحمهما اللهُ جميعاً في شرحِ مسلمٍ، وما غلَّظَ فيه الشَيخُ بنُ حجر الهيثميُّ في كتابِه الزواجرِ وسرد أقوالَ أهلِ العلمِ حتى قال: «وتجبُ المبادرةُ لهدمِها وهدم القبابِ التي على القبور فذلك أضرُّ من مسجدِ الضرارِ». اهـ كلامه.

ولئن كانتْ للشيخِ محمدِ بنِ عبدالوهابِ هذه الوقفةُ الصارمةُ من القبورِ والمشاهدِ فلقد كان شُموليِّ النظرةِ لأصولِ الإسلامِ وفروعِه كافةً، عِلْمَاً وتعليماً وتطبيقاً خلافاً لما يظنُّ بعضُ الناس، فلقد كان يمشي في ركابِ الإسلامِ كلِّه من الحكمِ بما أنزلَ اللهُ، وإقامةِ حدودِ اللهِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وإصلاحِ النفسِ ومحاسبتِها، والاستقامةِ على أمرِ اللهِ. وما ذلك إلا لعلمِه بالواقعِ من حولِه وادراكِه لأحوالِ مخالفيه، ومن أجلِ هذا فقد فصل القول في أنواعِ النفاقِ، وبسطَ الحديثَ عن ألوانِ الشركِ، وركز الحديثَ عن رؤوسِ الطواغيتِ، ومن نماذجِ ذلك

رسالتاه اللطيفتان: كشفُ الشبهاتِ ومسائلُ الجاهليةِ.

ولئن كانَ شُمولياً في المنهجِ فقد كان شُمولياً في طبقاتِ المدعوِّين فاهتم بالعامةِ كما اهتمَّ بالخاصةِ اهتم بالعامةِ من الحاضرةِ والباديةِ، كما اهتمَّ بالعلماءِ والعليةِ من القوم. فللعامَّةِ مؤلفاتٌ مبسطةٌ ورسائلُ ميسرةٌ كالأصولِ الثلاثةِ والقواعدِ الأربعِ مما لا يُعذَرُ مسلمٌ بجهلِه، لم تشغلْهُ فئةٌ عن فئةٍ، فوضع لكل فئةٍ من المجتمعِ ما يناسبُها، وحدَّث كلَّ طبقةٍ بما يلائِمُها. واستطاعَ بتوفيقِ اللهِ أن يُعلِّمَ الجاهلَ في الحواضرِ والبوادي والأريافِ أصولَ الدينِ ومبادئِه، فاجتمعَ للجميعِ حسنُ المعتقدِ مع حسنِ العملِ، وليس من المبالغةِ أن يقالَ إنَ لدىٰ بعضِ هؤلاءِ العامةِ الدارسينَ لهذه الرسائلِ الصغيرةِ المباركةِ ما لم يطلعْ عليه حملةُ شهادات علمية معرفةً وسلوكاً، فأثمرَ منهجُه انتشارَ المعلمينَ في القرىٰ والأريافِ والحواضرِ والبوادي يعلمونَ العلمَ النبويَّ الموروثَ السهلَ الميسرَ البعيدَ عن العمومياتِ والغموضِ، إنها رسائلُ يسمعُها الأميُّ فيفهمُها ويستوعبُها، ويقرأها طالبُ العلمِ فيقتنعُ بها، فهل يعيْ هذا القائمون على شئون الدعوةِ والدعاةِ والذين يعلمون الناسَ الخير؟؟.

أيها الإخوةُ: وثمَّتَ قضيةٌ كبرىٰ في مسيرةِ الشيخِ ودعوتِه ذلكم أن هذه الدعوةَ المباركةَ لا يمكنُ أن تذكرَ أو يذكرَ انتصارُها ومسيرُتها وانجازُها إلا وهي مقرونةٌ تاريخاً وموضوعاً ومنهجاً بإمامٍ محمدٍ آخرَ إنه الإمامُ محمدُ بن سعودٍ رحمه الله.

لقد تعاقد المحمدانِ وتعاهدَ الإمامان على نصرة الإسلامِ وحفظِ الشريعةِ وبسطِ الحكمِ.

ولقد شاء الله سبحانه أن يُريَ عبديْه ثمارَ غرسِهما ونتاجَ عملِهما فكان توحيدُ الدين وتوحيدُ الكيانِ، وبسطُ الأمنِ والسيرُ على نهجِ السلفِ الصالح، وأصبحتْ لأهلِ الحقِّ أنموذجاً شاهداً يَرُدُّ بطريقةٍ عمليةٍ على كَثيرٍ من الأوهامِ والشبهاتِ والشكوكِ.

دعوةٌ حنيفيةٌ جددتْ العهدَ بمحمد ﷺ وصحبه وخلفائه.

دعوةٌ حنيفيةٌ قامتْ عليها دولةٌ ترسمتْ خَطْوَ دولةِ الراشدينِ من الخلفاءِ وأحيتْ ما اندثرَ من علومِ الكتابِ ومأثورِ السنةِ، وصححتْ في العقيدةِ المسارَ، وخلَّصتْها من شوائبِ البدعِ؛ يأخذونَ بالكتابِ، ويتبعونَ الرسولَ، ويحيون ما اندرسَ، ويبيِّنون معالمَ الهدىٰ، ويردُّون إلى السنةِ، أهلُ حقٍّ ودعاةُ رشدٍ، يُذكرِّونَ الغافلين، ويُرجِعُون الشاردين، ويحاجِّون المنحرفين، ويردُّون كيدَ الكائدين.

وهذا منهجٌ في الدعوةِ مهمٌ ـ أيها الإخوة ـ لماذا؟ لأن الدعوةَ بلا سلطةٍ، والحقَّ بلا دولةٍ يفقدان الرعايةَ والحراسةَ والدعمَ، وهو نهجٌ يجبُ أن يعيَه المصلحون والقادةُ، فإن الانفصالَ المروِّعَ بين الدعوةِ والسلطانِ والدينِ والحكمِ جرَّ ويجرَّ على المسلمين الضعفَ إلى الضعفِ والفرقةَ إلى الفُرقةِ. وحين يستشري هذا الضعفُ يضطربُ الأساسُ، ويتناقضُ الولاءُ، وترتفعُ نعمةُ الالتئامِ وبركةُ الاجتماعِ، ولا يستقيمُ الحالُ في ديارِ المسلمين إلا بحكمٍ يحميْ جنابَ التوحيدِ، ويطبقُ الشريعةَ، ويرعىٰ الدينَ والعلماءَ.

رحمَ اللهُ الإمامين وبارك في عَقِبَيْهما وحفظهم وحفظَ لهم

وأبقى الخيرَ فيهم ملتزمينَ نهج الإسلامِ، معدِّين ما استطاعوا من قوةٍ في برٍ وتقوىٰ، وصلاحٍ واصلاحٍ، وزادَ اللهُ ولاةَ أمرِنا صلاحاً وإصلاحاً، وإحساناً وتوفيقاً، وأبرمَ اللهُ لأهلِ الإسلام في كلِّ الديارِ أمرَ رشدٍ يُعزُّ فيه أهلُ الطاعةِ، ويُذَلُّ فيه أهلُ المعصيةِ، ويقامُ فيه الدينُ، ويُؤمرُ فيه بالمعروفِ ويُنهى فيه عن المنكرِ إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤١].

محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)
دعوة ومنهج

الخطبة الثانية

الحمد لله من اعتصمَ بحبلِه وفقَّهُ وهداهُ، ومن اعتمدَ عليه حفِظَه ووقاه، أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفره وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبدُ إلا إياه، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه ومصطفاهُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على نهجه وهداه.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: إن هذه الدعوةَ المباركةَ حلقةٌ من حلقاتِ الإصلاحِ والتجديدِ في أمةِ الإسلامِ عبرَ القرونِ والأجيالِ، تَتَّبعُ النصوصَ، وتجتهدُ في فهمِها، وتَسترشدُ بأقوالِ أئمةِ الإسلامِ. استمعوا إلى الإمامِ وهو يقول: «أما مذهبنا فمذهبُ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ في الفروعِ ولا ندَّعي الاجتهادَ، وإذا بانتْ لَنا سنةٌ صحيحةٌ عن رسولِ اَلله ﷺ عملنا بها، ولا نقدِّمُ عليها قولَ أحدٍ كائناً من كان».

ولكن قاتل اللهُ السياسةَ الفرعونيةَ وأربابَها لقد قال رئيسها فرعون: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

﴿ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦] فما دخلت هذه السياسة شيئاً إلا أفسدتْه، وأهلُ هذه السياسةِ في سبيلِ غاياتِهم لا يفرقون بين حقٍ وباطلٍ، ولا بين حلالٍ وحرامٍ، فالحقائقُ عندهم ممسوخةٌ، ومخالفوهم في أقفاصِ الاتهامِ أبداً محبوسون. فقد وضعوا لدعوةِ الشيخِ لقباً ينبزونَها به، بل ينبزون به كلَّ حركةٍ لا توافقُ أهواءَهم (إنها الوهابية) فلم يزالوا يلوكون ذلك حتىٰ اقترنت في أذهان البعيدين عنها بالخروجِ عن الإسلامِ، وبُغضِ الأئمةِ.

لقد نشرتْ تلك السياسةُ جلبابَها، وأرسلتْ ضبابَها وتطاولت الأقلامَ بفصاحتِها فكانتْ هي الغازَ الخانقَ. ولكن طلَّابَ الحقيقةِ وأهلَ النصفِ لن يعجزوا عن تحصيلِ مُبتغاهم إذا اعتمدوا القراءةَ الجادةَ المتجردةَ المتأنيَّةَ المنصفةَ ليفرقوا بين الزُّبَد والزَّبَدِ وبين ما ينفعُ الناسَ والغثاءِ إذا وقاهم اللهُ داءَ التحيُّزِ وفتنةَ التعصبِ. وقد آن الأوَانُ أن تزولَ الغشاوةُ عن الأفهامِ. فلئن كان العذرُ مقبولاً أو متلمساً في الماضي قبل انتشارِ آراءِ الشيخِ ومؤلفاتِه وتلاميذِه ومؤلفاتِهم فليس الآن بمقبولٍ ولا معذورٍ فإن الأيامَ وعدَل التاريخ تكشفُ الحقَّ المخبوءَ، وتُظْهِرَ الكنزَ المدفونَ حين يذهبُ الأقرانُ والمنافسون ومن هم بالدعوةِ شارقون. فيزول من الأذهانِ ما نُشرَ من سوءٍ، ويُهالُ الترابُ على أصحابِ الأهواءِ، ويبقىٰ صاحبُ الحقِّ على قممِ الخلودِ مرتفعاً كالنجمِ الساطعِ لمعاناً وكالبحرِ المحيطِ هديراً.

أيها الإخوةُ: وإن من مناسبةِ الحديثِ عن الحقِّ ودعوةِ الحقِّ والسنةِ والبدعةِ التنبيهَ إلى بعضِ ما يعتقدُه بعضُ الناسِ في يومِ النصفِ من شعبانَ وليلتَه، فليلةُ النصفُ من شعبانَ لم يثبت أثر صحيحٌ

يصارُ إليه في قيامِها بخصوصِها دون غيرِها من الليالي، ولا في صيامِ يومِ النصفِ دون غيرِه من الأيامِ. أما من كان له عادةُ صيامِ أيامِ البيضِ فيوم الخامسِ عشرَ واحدٌ منها، وكذلك من كان لهَ عادَةُ في القيامِ من الليلِ فهو على عادتِه. أما صيامُ شهر شعبان بجملتِه فقد كَان نبيكم محمد ﷺ يصوم منه كثيراً تقولَ عائشةَ رضي الله عنها كما في الصحيحين: «ما رأيت النبي ﷺ استكملَ صيامَ شهرٍ قطُّ، وما رأيتُه في شهرٍ أكثرَ صياماً منه في شعبان»[1] وفي رواية «كان يصومُ شعبانَ كلَّه»[2] وفي مسلمٍ «كان يصومُ شعبانَ إلا قليلاً»[3].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٤/ ٢٥١ ـ ح١٩٦٩)، ومسلم (٢/ ٨١٠ ـ ح١١٥٦).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري (٤/ ٢٥١ ـ ح١٩٧٠)، ومسلم (٢/ ٨١١ ـ ح١١٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٨١١ ـ ح١١٥٦).

حقيقة السعادة ومصادرها

الخطبة الأولى

الحمد لله إيماناً بكمالِه وجلالِه، ويقيناً بعلمِه وحكمتِه، ورضاً وطمأنينةً بعدلِه ورحمتِه، أحاط بكلِّ شيءٍ علماً، وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عدداً.

أحمده سبحانه وأشكره له الملكُ وله الحمدُ، نعمُه على خلقِه لا تُعدُّ، وفضلِه عليهم لا يُحدُّ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليلُه، وأمينُه على وحيِه. من ابتعه واستمسكَ بهديه فلا يضلُّ ولا يشقىٰ، ومن أعرضَ فإن له معيشةً ضنكاً صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ السعادةِ والرضىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عز وجل، فهو سبحانه أهلُ التقوىٰ وأهلُ المغفرةِ. فما من خيرٍ إلا والتقوىٰ موصلةٌ إليه ودليلٌ عليه، وما من شرٍ إلا والتقوىٰ حرزٌ منه حصينٌ، ودرعٌ منه مكينٌ.

أيها المسلمون: من يقاسيْ شدائدِ الفاقةِ والبؤسِ يرى السعادةَ

في الغنىٰ وعند الأغنياءِ، ومن تتقلبُ به الأوجاعُ والأمراضُ يرىٰ السعادةَ في صحةِ الأبدانِ وسلامةِ الأعضاءِ، والمستضعفُ الذي سُلِبتْ حقوقُه ولم يقوَ على خلاصِها يرى السعادةَ في السلطانِ والجاهِ أو عند ذويْ السلطانِ والجاهِ. ومن أُشْرِبَ في قلبِه الفسوقَ والمجونُ والخلاعةُ والدعارةُ يرى السعادةَ في أن تَحِفَّ به الشهواتُ من كلِّ جانبٍ ليُطْلِقَ لها العنانَ كيفَ يشاءُ.

يبحثُ الناسُ عن السكينةِ والطمأنينةِ، وينشدون السعادةَ والرضا، ويتبغون السرورَ والحبورَ، يطلبونها في القوةِ والجاهِ، والثراءِ والحريةِ، والمناصبِ والرُّتبِ.

السعادةُ ليستْ في المالِ الوفيرِ، ولا الجاهِ العريضِ، ولا في البنينَ ونيلِ المآربِ، ولقد قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ في أقوامٍ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥].

عذابٌ في الحياةِ الدنيا، مشقةٌ وألَمٌ، وهمٌّ وسقَمٌ. إنه معذِّبُ النفسِ، متعَبُ القلبِ، لا يُغنيه قليلٌ، ولا يُشبعُه كثيرٌ، عذابٌ وشقاءٌ لا ينفكُّ عن ثلاثٍ: همٌّ لازمٌ، وتعبٌ دائمٌ، وحسرةٌ لا تنقضي **«لو كان لابن آدمَ واديان من ذهبٍ لابتغى ثالثا، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على من تابَ»**[1]، **«ومن كانت الدنيا همَّه فرق اللهُ عليه شملهَ وجعل فقرَه بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»**[2].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (١١/ ٢٥٧ ـ ح٦٤٣٦)، ومسلم (٢/ ٧٢٥ ـ ح١٠٤٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٥ ـ ح٤١٠٥) وقال في الزوائد: اسناده =

السعادةُ شيءٌ لا يُرىٰ بالعينِ، ولا يقاسُ بالعددِ، ولا تحويهِ الخزائنُ، ولا يُشترىٰ بالدرهمِ والدينارِ. السعادةُ شيءٌ داخلَ الجوانحِ، يغتبطُ به الجنانُ، ويمتلىء به الجنبانِ. صفاءٌ في النفسِ، وطمأنينةٌ في القلبِ، وانشراحٌ في الصدرِ، وراحةٌ في الضميرِ، وهدوءٌ في البالِ. إنها شعورٌ جميلٌ بالغبطةِ، واحساسٌ لذيذٌ بالطمأنينةِ مع بهجةٍ وأريحيَّةٍ، وانطلاقةُ نفسٍ في سكينةٍ.

تصوَّرْ ـ رعاكَ اللهُ ـ واحداً من ذوي الثراءِ والجاهِ ابتليَ بمرضٍ مزمنٍ، يُؤتىٰ لهُ بأطايبِ الطعامِ فلا يأكلُ، وإن أكل فلا يستلذُّ. أشرفَ من نافذةِ بيتِه المنيفِ وأطلَّ من سريرِ مرضِه الوثيرِ، فلاحتْ منه التفاتةٌ على عاملٍ من عمَّالِه قد افترشَ جانباً من الأرضِ تحتَ ظلِّ شجرةٍ، يأكلُ رغيفاً مع إدامٍ يسيرٍ، لقمةٌ في فمِه، وأخرىٰ في يدِه، وثالثةٌ ترقبُها عينُه، كم يتمنىٰ هذا الوجيهُ لو كان في مُتعةِ هذا العاملِ وصحتِه!!.

إن السعادةَ مصدرُها القلبُ، ومظهرُها الرضىٰ، ودليلُها إدراكُ النعمةِ والاعترافِ بها، لا ترىٰ أوضحَ ولا أفضحَ من خيبةِ إنسانٍ يطلبُ السعادةَ في شهواتِ الدنيا، وقد علمَ وعلمْتُم أن طالبَها يظلُّ منهوماً لا تنقضي شهواتُه، هلِعاً تتشعبُ رغباتُه. ثم يقوده همُّهُ إلى منازعةِ الآخرين أرزاقَهم، وخصامَهم في حقوقِهم فيُشقيْ ويَشقىٰ، وفي العداوةِ والبغضاءِ يسعىٰ، ومن الهمِّ والنكدِ يزدادُ. ملأ فكرَهُ بهمومِ الحياةِ، وفتَنَهُ اللهوُ والمتعُ، قد أغمته فوادح الزمن وقوارع الدهر.

= صحيح، رجاله ثقات، وابن حبان (٧٢).

ولو دققَّ هذا وحققَ لوجد أن كلَّ ما ظفرَ به فعقباه حزنٌ، وعاقبتُه خسرٌ إما بذهابِ المأمولِ، وإما بذهابِ الآمل.

أيُّها الإخوةُ في اللهِ: لن يجدَ امرؤٌ ما يملأ نفسَه رضاً بأقدارِ الحياةِ سوىٰ الإيمانِ باللهِ واللجوءِ إلى جنابِ ربِّه والانطراحِ بين يديهِ.

الحياةُ بغيرِ الدينِ تعقيدٌ تَحُفُّها المنغصاتُ. بضعفِ الدين تنبتُ الاضطراباتُ الاجتماعيةُ والأمراضُ النفسيةُ، فيفزعُ المبتلَوْنَ إلى المهدئاتِ والمسكِّناتِ، بل إلى المسكراتِ والمخدراتِ عياذاً بالله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

الدنيا عند المؤمنِ ليست عِبْئاً مُضجراً، ولا لغزاً محيِّراً، ولكنَّها مرحلةٌ ومزرعةٌ، ودارُ ممرٍ واختبارٍ، يرجو بعدها لقاءَ اللهِ، الإيمانُ سفينتُه، والعبادةُ وسيلتُه.

المؤمنُ تغمرُه السعادةُ لأنه موقنٌ بأن الحياةَ محكومةٌ بأقدارِ اللهِ، فلا يأسَ على ما فاتَ، ولا فَرحَ بما حصَّلَ، لا يستسلمُ للخيبةِ، ولا يُهلِكُ نفسَهُ تحسراً، بل كلُّ مواقفِ الدنيا عندَهُ ابتلاءٌ بالخيرِ وبالشرِ، ولئن زلزلتْهُ وقائعُ البلوىٰ ردَّهُ الإيمانُ إلى استقرارِ النفسِ، وبَرْدِ اليقينِ، ورباطِ الطمأنينةِ، فَنِعَمَ بالسكينةِ من غيرِ هلعٍ ولا شقاءٍ.

المؤمنُ يملكُ السعادةَ والراحةَ التي تجمعُ له بين التوكلِ والعملِ الكادحِ، لا يزعزعُهُ جزعٌ، ولا يرهقُه قلقٌ، يعمر الحياة

نشاطاً، ويعمرها جهاداً.

أيُّها الإخوةُ: إن السعادةَ لا تحصلُ بالهروبِ والإهمالِ، ولكنها في مواجهةِ الحياةِ وغاياتِها.

إن ثَمَّتَ أسباباً يحسنُ تحصيلُها ورعايتُها، فهي عواملُ الإسعادِ، وجالباتُ الرضىٰ.

جاءَ في الحديثِ عنه ﷺ: «**من سعادةِ ابن آدمَ المرأةُ الصالحةُ والمسكنُ الصالحُ والمركبُ الصالحُ**»[1]. أسبابٌ وعواملُ منظورٌ فيها إلى النوعِ والكيفِ، وحَسْبُ الإنسانِ أن يسلَمَ بإيمانِه من المنغصاتِ، ويتيسرَ له من القوتِ ويتحققَ له من الأمنِ والعافيةِ ما جسَّدَهُ الحديثُ النبويُّ الآخرُ: «**من أصبحَ آمنا في سربِه معافى في بدنِه عنده قوتَ يومِه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرِها**»[2].

المالُ يحققُ السعادةَ إنْ ابتغيتَ به مُتعةَ عيشٍ مباحةً، ولذةَ نفسٍ جائزةً، ومكرمةً تبتغي ذكرَها، وصالحةً تبتغي عند اللهِ أجرَها. إن لم يكن كذلك فإنه لا يعدو أن يكون حُزَماً من الورقِ الملوَّنِ، أو لمعاناً من المعدنِ ثقيلٍ، أو أكواماً من الطينِ والترابِ؛ عليك غرمُه، ولغيرِك غنْمُه.

السعيدُ لا يأكلُ أكثرَ مما يأكلُ الناسُ، ولا يملكُ أكثرَ مما

---

(١) أخرجه أحمد (١/١٦٨)، والحاكم وقال: صحيح الاسناد وأقره الذهبي (٢/١٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب (٤/٤٩٦ ـ ح٢٣٤٦)، وابن ماجه (٢/١٣٨٧ ـ ح٤١٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص١٣٣ ـ ح٣٠٠)، وحيزت: أي جُمعت.

يملكُ الناسُ، ولكنه يرضىٰ أكثرَ مما يرضىٰ الناسُ.

سبحانَ اللهِ ـ عبادَ اللهِ ـ إن أسبابِ الرزقِ أدقُّ من أنْ يدركَ الناسُ حكمتَها وأسرَارها.

في الناس طلَّابُ رزقٍ لا ينالون خبزَهم ولا خبزَ عيالِهم إلا في قاعِ البحارِ اللُّجِّيةِ يغشاها موجٌ من فوقِه موجٌ.

وآخرون طيَّارُون؛ رزقُهم فوقَ السحابِ يبتغونَهُ صُعُداً في أعالي السماءِ. ومن بين هؤلاء وهؤلاءِ عمالُ المناجمِ والأنفاقِ يَنْقبُون الحجارةَ ويُفجِّرون الصخورَ لا يرونَ ضوءِ الشمسِ ولا بياضِ النهارِ، ومن دون هؤلاء وأولئكِ من يأتيه رزقُه عندَ بابِه ليس في رؤوس الجبالِ ولا في أعماقِ البحارِ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

السعداءُ مؤمنون عاملون، وعلى ربِّهم متوكلون، وبحكمته واثقون، وبأقداره موقنون، نصيبُهم المقسومُ في السماءِ سيهبطُ إليهم في الأرضِ. هذه هي السعادةُ ذاتُ الخُلُقِ السمحِ والنفسِ المطمئنةِ.

وإن من مصادرِ الشقاءِ وأسبابِ التعاسةِ أن تَكْثُرَ البطالةُ وينتشرَ الذين يتكفَّفُون الناسَ، وينضمُّ إلى هؤلاءِ روادُ المقاهي والأنديةِ البطالون الذين هم خلْوٌ من أي عملٍ، وإن السعادةَ لهم ولغيرهم أن تُهيأ لهم فرصُ العملِ؛ صناعةً، وزراعةً، وحرفةً، وتجارةً؛ مستفيدين من مستجدَّاتِ العصرِ ووسائلِه الحسنةِ، يهتمُّ بذلك ولاةُ أمورِ المسلمين، وعلى رجالِ الأعمالِ كفلٌ في هذا غيرُ يسيرٍ.

ولئن كان العملُ عاملاً من عواملِ السعادةِ كبيراً، فإن العلمَ قرينُه؛ ويُقصدُ بالعلمِ الفقْهُ في شؤونِ الناسِ وأمرِ الحياةِ، علمٌ واستنارةٌ يرتفعُ بها صاحبُها عن مصافِّ الجهلِ والجهلاءُ، فالجهالُ يصعبُ قيادتُهم، ويشقُّ توجيهُهم، وتقلُّ راحتُهم، وتصعبُ إراحتُهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥] وتكونُ الشخصيةُ متعلمةً إذا كانت متفتحةً تدركُ الحقَّ والنافعَ، وتفهمُ المطلوبَ وتتجاوبُ. وإن ردودَ الفعلِ غيرَ المهذبةِ من الجهالِ هي العلةُ في كثيرٍ من أسبابِ الشقاءِ وعدمِ انتظامِ طرُقِ المعاشِ.

ثمَّ ـ أيُّها الإخوةُ ـ لا خيرَ في علمٍ إذا لم يصاحبْهُ خلقٌ كريمٌ وأدبٌ سامٍ، يتربىٰ عليه أفرادُ الأمةِ من الصبرِ، والعزمِ، والجدِّ والاقدامِ، والأمانةِ، والصدقِ، والحلمِ، وسماحةِ النفسِ، ورقةِ العاطفةِ. ولا سبيلَ إلى ذلك إلا بتربيةِ البيتِ والمدرسةِ مقدمةً بقالبِ الدينِ والشرعِ المطهرِ فيتولدُ الحياءُ والعفافُ وسعةُ الأفقِ وانشراحِ الصدرِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الانشراح: ١ ـ ٣] تربيةً تأخذ الناشئةَ إلى ربِّهم فيلجأونَ إلى ذكرِه وشكرِه ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] تربيةً تبعدُهم عن الغلِّ والحسدِ وتملأ قلوبَهم بحبِّ الخيرِ للناسِ، وسؤالِ اللهِ من فضلِه للنفسِ وللناسِ أجمعين: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

وإن من أهم ما تتوجهُ إليه التربيةُ ويستجلِبُ السعادةَ الهدوءَ

والانضباطَ؛ فالفوضىٰ والاضطرابُ الشخصيِّ والانزعاجُ النفسيِّ من أظهر مظاهرِ الشقاءِ. إن المضطربَ غيرَ المنضبطِ يُلقيْ ببصرِه هنا وهناكَ ينزعجُ ويُزعْجُ، وإنكم لتعلمون كم يجلبُ تجاوزُ الأنظمةِ المرعيةِ من الشقاءِ الاجتماعي، والضغط النفسيِّ فضلاً عن عدمِ وصولِ الحقِّ إلى مستحقِّه وتجاوزِهِ إلى غيرِ أهلِه. فأي سكينةٍ تُرجىٰ حين تكونُ الفوضىٰ سائدةً؟؟.

أيُّها المسلمُ أنت سعيدٌ إذا عرفتَ نفسَكَ، وطلبتَ السعادةَ من نفسِك لا ممن حولكَ، سعيدٌ بإيمانِك وخلُقِكَ وحبِّك للناس، سعيدٌ إن كنتَ مع ربِّك فشكرتَ النعمةَ، وصبرت على البليَةِ، فكان لك الربحُ في الحالينِ، وحسنُ الثوابِ في الحياتين.

اللهُ أكبرُ؛ سعادةٌ عند أهلِ الإيمانِ لو علم بها المحرومون من أهلِ الثراءِ والجاهِ وأهلِ الكفرِ والنفاقِ لجالدوا عليه بالسيوفِ، بل إن الملاحدةَ لما رأو ما يغشىٰ أهلَ الإيمانِ من الرضا والطمأنينةِ والقناعةِ والسكينةِ ظنوا بجهلِهم وغفلتِهم أن الدين قد خدَّرَ أهلَه، وما درىٰ هؤلاءِ المساكينُ أن أهلَ الإيمانِ موقنون بأن أهلَ الأرضِ والسمواتِ لو اجتمعوا على أن ينفعوا أحداً بشيءٍ لم ينفعوه إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيءٍ لم يضروه إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليه.

مؤمنون بأن السماءَ لا تمطرُ ذهباً ولا فضةً، وعندهم في دينِهم الإيمانُ مقرونٌ بالعملِ، ونواميسُ الكونِ وسننُ اللهِ لا تتبدلُ من أجلِ كسولٍ أو خاملٍ، والشفاءُ بإذن اللهِ مرتبطٌ بالعلاجِ، والحصادُ لا يكونُ إلا بعد الزرعِ، فاعملْ وادأبْ، وخذْ وطالبْ، وارضَ بما قسمَ اللهُ لكَ من غيرِ يأسٍ يدخلُ قلبكَ، ومن غيرِ حقدٍ

يأكلُ فؤادكَ، ومن غيرِ حسدٍ يأكلُكَ ويأكلُ حسناتِك. إن سلكتَ هذا المسلكَ فلسوفَ تعبُّ السعادةَ عبًّا، ولسوف تتنزَّلُ عليكَ السكينةُ تنزُّلاً.

وبعدُ أيُّها الإخوةُ فإن الإمام ابن القيم رحمهُ اللهُ يقول:

إن في القلبِ لشعثاً لا يلمُّهَ إلا الإقبالُ على اللهِ وإن فيه وحشةً لا يزيلُها إلا الأنسُ باللهِ، وإن فيه حُزْناً لا يذهبُه إلا السرورُ بمعرفةِ اللهِ وصدقِ معاملتِه، وإن فيه قلقاً لا يُسْكنُه إلا الفرارُ إليه، وفيه فاقةً لا يسدُّها إلا محبتُه والإنابةُ إليه ودوامُ ذكره وصدقُ الإخلاصِ لَه، وفيه حسراتٌ لا يطفئُها إلا الرضا بأمرِه ونهيِه والصبرِ على قضائِه إلى يومِ لقائِه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفتح: ٤].

حقيقة السعادة ومصادرها

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ خلقَ فسوىٰ، وقدَّرَ فهدىٰ، وأضحكَ وأبكىٰ، وأسعدَ وأشفىٰ، أحمده سبحانه وأشكرُه له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه الأبرُّ الأتقىٰ، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأصحابه آمنوا بربهم وصدَّقوا بالحسنىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ. فاتقوا اللهَ أيها الناسُ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللهِ.

أيها المسلمون: إن البصيرَ ليأسىٰ كلَّ الأسىٰ وأشدَّه لأقوامٍ مخذولين تَنكَّروا لفطرِهم، وغَلُظَ عن اللهِ حِجابُهم، وأظلمتْ بالشكوكِ قلوبُهم، لم تنفذْ إليهم أشعةُ الإيمانِ بسكينةٍ، ولا تسرَّبتْ غليه أنوارُ اليقينِ براحةٍ. أولئك الأشقياءُ المطموسون الذين يجادلون في الله بغيرِ علمٍ ولا هدىً ولا كتابٍ منيرٍ.

مساكينٌ ثم مساكينُ دخلوا الحياةَ وخرجوا منها لم ينعموا بأطايبِ ما فيها وأعظمِ ما فيها الإيمانِ باللهِ واللياذِ بجنابهِ، خسروا أنفسَهم وخسروا حياتَهم.

الساخطون الشاكُّون لا يذوقون للسرورِ طعماً، حياتهم سوادٌ

ممتدٌ، وظلامٌ متصلٌ، دليلٌ حالكٌ لا يرقبون الفجرَ الصادقَ.

والغريبُ أيها الإخوةُ أن هناكَ ترابطاً وثيقاً بين الشكِّ والتسخطِ، فلا سخطَ من غيرِ شكٍ ولا شكٍ من غيرِ تسخطٍ حتى قال ابن القيم رحمهُ اللهُ: قلَّ أن يسلمَ الساخطُ من شكٍ يداخلُ قلبَه، وإذا فتشَ نفسَهُ وجدَ يقينُه معلولاً مدخولاً، فالرضا واليقينُ اخوان والسخطُ والشكُ قرينان.

الساخطُ المتسخطُ دائمُ الحزنِ والكآبة، ضيِّقُ النفس والصدرِ، ضائقٌ بالناسِ وضائقٌ بنفسِه، الدنيا في عينيه سَمُّ الخياطِ.

أما الرضا فسكونٌ وطمأنينةٌ وراحةٌ فيما قدَّر اللهُ واختارَ. من أنعمَ اللهُ عليه بالرضا تأتيه المصيبةُ فيعلمُ أنها من عندِ اللهِ فيرضىٰ ويسلِّمُ، لا يصبحُ ولا يمسي إلا راضياً مرضياً، لا يرىٰ إلا الحسنَ والسرورَ. عينُ الرضا تعمىٰ عن العيوبِ، وعينُ السخطِ تملأها المساوىءُ، وليس من شرطِ الرضا ألا تحسَّ بالمكارِه ولكن الرضا ألا تعترضَ على المقاديرِ ولا تسخطَ على المكتوبِ.

هنيئاً لمن ملأ الرضا فؤادَه، لا يتحسرُ على ماضٍ باكياً حزيناً، ولا يعيشُ حاضراً ساخطاً جزوعاً، ولا ينتظرُ المستقبلُ خائفاً وَجلاً، ولا يعيشُ في رهبةٍ من غموضٍ، ولا توجس من جبروتٍ. إيمانُه مصدرُ أمانه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

الغيرة على الأعراض

الخطبة الأولى

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلن تجدَ له ولياً مرشداً، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، شرعَ الشرائعَ لتهديَ إلى الخيرِ والرشادِ والفضيلةِ، وسدَّ الذرائعَ لتحولَ عن الشرِّ والفسادِ والرذيلةِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وعدَ بالثوابِ كما توَّعدَ بالعقابِ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠]. وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جاءَ بالحقِّ من عند ربِّه، فأنارَ القلوبَ وهداها، وطهَّرَ النفوسَ من فجورِها وزكَّاها، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ وخشيتِه وطاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢].

أيُّها المسلمون: لا ترجعُ هزائمُ الأممِ، ولا انتكاساتُ الشعوبِ إلى الضعفِ في قواها الماديةِ ولا إلى النقصِ في معداتِها الحربيةِ.

من يظنُّ هذا الظنَّ ففكرُه قاصرٌ ونظرُه سقيمٌ.

إن الأممَ لا تعلو ـ بإذن اللهِ ـ إلا بضماناتِ الأخلاقِ الصلبةِ في سيرِ الرجالِ. بل إن رسالاتِ اللهِ ما جاءتْ إلا بالأخلاقِ، واتمام الأخلاق بعدَ توحيدِ اللهِ وعبادتِه: «**إنما بعثتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخلاقِ**»[1].

الأخلاقُ الفاضلةُ، يضعفُ أمامَها العدوُ، وينهارُ بها أهلُ الشهواتِ.

حينما يكونُ المجتمعُ صارماً في نظامِ أخلاقِه وضوابطِ سلوكِه، غيوراً على كرامةِ فردِه وأمتِه، مُؤْثِراً رضا اللهِ على نوازعِ شهواتِه حينئذٍ يستقيمُ مسارُه في طريقِ الحقِ والصلاحِ والرفعةِ والإصلاحِ.

والأخلاقُ أيها الإخوةُ ـ ليستْ شيئاً يُكتسبُ بالقراءةِ والكتابةِ، ولا بالمواعظِ والخطابةِ، ولكنها درجةٌ بل درجاتٌ لاتُنال ـ بعد توفيقِ اللهِ ورحمتِه ـ إلا بالتربيةِ والتهذيبِ والصرامةِ والحزمِ وقوةِ الإرادةِ والعزمِ.

أيُّها الإخوة: وهذا حديثٌ عن مقياسٍ من مقياسِ الأخلاقِ دقيقٌ ومعيارٍ من معاييرِ ضبطِ السلوكِ جليٍّ.

إنها الغيرةُ. الغيرةُ ـ يا عبادَ اللهِ ـ الغيرةُ. الغيرةُ على الأعراضِ وحمايةُ حمىٰ الحرماتِ.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (٢/٣١٨)، والحاكم (٢/٦١٣) وقال: صحيح على شرطِ مسلم ووافقه الذهبي ومالك في الموطأ (٢/٩٠٤ ـ ح٨) بلاغاً، وقال ابن عبدالبر هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره.

أيها الأحبةُ الغيورون: كلُّ أمرىءٍ عاقلٍ، بلْ كلُّ شهم فاضل لا يرضى إلا أن يكون عِرْضُهُ محلَّ الثناءِ والتمجيدِ، ويسعى ثم يسعى ليبقى عِرضُهُ حرَماً مصوناً لا يَرتَعُ فيه اللامزون، ولا يجوسُ حماهِ العابثون.

إن كريمَ العرضِ ليبذلُ الغالي والنفيسَ للدفاع عن شرفِه، وإن ذا المروءةِ الشهمَ يُقَدِّمُ ثروَتَه ليسدَّ أفواهاً تتطاولُ عليه بألسنتها أو تنالُه ببذيء ألفاظِها. نعم إنه ليصونُ العرضَ بالمالِ، فلا بارَكَ اللهُ بمالٍ لا يصونُ عِرضاً.

بل لا يقفُ الحدُّ عند هذا فإنَّ صاحبَ الغيرةِ ليخاطرُ بحياتِه ويبذلُ مُهجتَهُ، ويُعرِّضُ نفسَه لسهامِ المنايا عندما يُرجَمُ بشتيمةٍ تلوِّثُ كرامتَه. يهون على الكرامِ أن تُصَانَ الأجسامُ لتسلم العقولُ والأعراضُ. وقد بلغَ دينُكم في ذلك الغايةَ حينَ أعلنَ نبيُّكم محمد ﷺ: «مَنْ قُتِل دون أهله فهو شهيد»[1].

أيُّها الإخوةُ: بصيانةِ العِرضِ وكرامتِه يتجلَّى صفاءُ الدينِ وجمالُ الإنسانيةِ، وبتدَنُّسِهِ وهوانِه يَنزلُ الإنسانُ إلى أرذلِ الحيواناتِ بهيميةً.

يقولُ إبن القيم رحمهُ الله : (إذا رحلتْ الغيرةُ من القلب ترحَّلتْ المحبةُ ، بلْ ترحَّلَ الدينُ كلُّه) . ولقد كان أصحابُ رسولُ اللهِ ﷺ من أشدِّ الناس غيرةٌ على أعراضِهم ، روي عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قالَ يوماً لأصحَابِه : « إنْ دخلَ أحدُكم على أهلِه ووجدَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٢ ح ١٤٢١)، وأبو داود (٤/ ٢٤٦ ح ٤٧٧٢).

ما يَرِيْبُه أَشْهَدَ أربعاً؛ فقام سعدُ بن معاذٍ مُتأثِّراً فقال يا رسولَ الله: أأدخلُ على أهلي فأجدُ ما يَريبُني انتظرُ حتى أُشْهِدَ أربعاً؟ لا والذي بعثكَ بالحقِّ!! إن رأيتُ ما يَريبُني في أهلي لأُطِيحنَّ بالرأسِ عن الجسدِ ولأضربنَّ بالسيفِ غيرَ مُصْفَحٍ[1] ولْيفْعَلْ اللهُ بي بعدَ ذلك ما يشاءُ؟؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: **أتعجبون من غيرةِ سعدٍ؟؟ واللهِ لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني؛ ومن أجل غيرةِ اللهِ حرَّمَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ...**»[2] الحديث وأصله في الصحيحين.

من حُرِمَ الغيرةَ حُرِمَ طُهرَ الحياةَ، ومن حُرِمَ طُهرَ الحياةِ فهو أحطُّ من بهيمةِ الأنعامِ.

ولا يُمتَدحُ بالغيرةِ إلا كرامُ الرجالِ وكرائِمُ النساءِ.

إن الحياةَ الطاهرةَ تحتاجُ إلى عزائِم الأخيارِ، وأما عيشةُ الدَّعارةِ فطُريقُها سهلُ الانحدارِ والانهيارِ، وبالمكارِه حُفَّتْ الجنةُ وبالشهواتِ حُفَّتْ النارُ.

أيُّها الإخوةُ: إن الأسفَ كلَّ الأسفِ، والأسىٰ كلَّ الأسىٰ فيما جلبتْهُ مدنيةُ هذا العصرِ من ذبحٍ صارخٍ للأعراضِ، ووأدٍ كريهٍ للغيرةِ. تُعْرضُ تفاصيلُ الفحشاءِ من خلالِ وسائِلِ نشرٍ كثيرةٍ، بل إنه ليُرىٰ الرجلُ والمرأةُ يأتيانِ الفاحشةَ وبواعثَها ومثيراتِها، يشاهَدانِ وهما يُعانِقانِ الرذيلةِ غيرَ مستورَيْنِ عن أعينِ المشاهدينَ

---

(١) غير مصفح: أي بحده لا بعرضه.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري (١٣/ ٤١١ ـ ح٧٤١٦)، ومسلم (٢/ ١١٣٦ ـ ح١٤٩٩).

والنَّظَّارةِ، لقد انقلبَ الحالُ عند كثيرٍ من الأقوام بل الأفرادُ والأسرُ حتى صارَ الساقطونَ الماجنونَ يُمَثِّلُون الأُسوةَ والقدوةَ من مفكرِهم وسامَ افتخارٍ وعنوانَ رجولةٍ.

تصورْوا ـ رعاكم اللهُ وحماكُم ـ خبيثاً وخبيثةً يقفان على قارعةِ الطريقِ ليمارسا الفاحشةَ علانيةً كما تفعلُ البهائِم من الحميرِ والخنازيرِ أعزَّ اللهُ مقامَكم ونزَّهَ أسماعَكُم.

هل غارتْ من النفوسِ الغيرةُ؟ وهل غاضَ ماؤُها؟ وهل انطفأَ بهاؤُها؟ هل في الناسِ دِياثةٌ؟ هل فيهم من يُقِرُّ الخبثَ في أهلِه؟ لا يدري الغيورُ من يَخاطب؟ هل يخاطبُ الزوانيْ والبغايا؟ وإلا فأين الكرامُ والحرائِرُ؟؟.

إعلانٌ للفحشاءِ بوقاحةٍ؟؟ وإغراقٌ في المجونِ بتبجحٍ؟؟ أغانٍ ساقطةٌ، وأفلامٌ آثمةٌ، وسهراتٌ فاضحةٌ، وقَصَصٌ داعرةٌ، وملابسُ خالعةٌ، وعباراتٌ مثيرةٌ، وحركاتٌ فاجرةٌ؛ ما بين مسموعٍ ومقروءٍ ومشاهدٍ، في صورٍ وأوضاعٍ يندىٰ لها الجبينُ في كثيرٍ من البلادِ والأصقاعِ إلا من رحمَ اللهُ. على الشواطىءِ والمتنزهاتِ، وفي الأسواقِ والطرقاتِ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل؟؟.

حسبُنا اللهُ من إناسٍ يَهشُّون[1] للمنكرِ ويودُّون لو نَبَتَ الجيلُ كلُّه في حمأةِ الرذيلةِ، وحسبُنا اللهُ من فئاتٍ تودُّ لو انهال الترابُ على الفطرةِ المستقيمةِ والحشمةِ الرفيعةِ.

---

(١) أي يأنسون ويحبون.

ما هذا البلاءُ؟ كيف يستسيغُ ذوو الشهامةِ من الرجالِ والعفةِ من النساءِ لأنفسِهم ولأطفالِهم، لفتيانِهم ولفتياتِهم هذا الغثاءَ المدِّمرَ من ابتكاراتِ البثِّ المباشرِ وقنواتِ الفضاءِ الواسعِ؟؟.

أين ذهبَ الحياءُ؟ وأين ضاعتْ المروءةُ؟ أين الغيرةُ من بيوتٍ هيأتْ لناشئتِها أجواءَ الفتنةِ، وجرَّتها إلى مستنقعاتِ التفسُّخِ جراً، وجَلبتْ لها محرضاتِ المنكرِ تدفعُها إلى الإثمِ دفعاً، وتدُعُّها إلى الفحشاءِ دعاً؟؟.

اطلعتْ امرأةٌ شريفةٌ على الخمرِ ثم سألت: هل تشربُ هذا نساؤكم؟ قالوا: نعم. قالت: زنين ورب الكعبة!!!.

أيُّها الإخوةُ: إن طريقَ السلامةِ لمن يُريدُ السلامةَ ـ بعد الإيمان بالله ورحمته وعصمته ـ ينبعُ من البيتِ والبيئةِ. فهناك بيئاتٌ تُنْبتُ الذُّلَّ، وأخرىٰ تنبتُ العزَّ، وثمَّتَ بيوتاتٌ تُظَلِّلُها العفةُ والحشمةُ، وأخرىٰ ملؤُها الفحشاءُ والمنكرُ. لا تُحفظُ المروءةُ ولا يَسلمُ العرْضُ إلا حينَ يعيشُ الفتىٰ وتعيشُ الفتاةُ في بيتٍ محتشمٍ محفوظٍ بتعاليمِ الإسلامِ وآدابِ القرآنِ، ملتزمٍ بالسترِ والحياءِ، تختفي فيه المثيراتُ وآلاتُ اللهوِ المنكرِ، يتطهرُ من الاختلاطِ المحرمِ. الغيرةَ الغيرةَ يا عبادَ اللهِ؛ فالحمو الموتُ[1]، واحذروا السائقَ والخادمَ وصديقَ العائلةِ وابنُ الجيرانِ، ناهيكَ بالطبيبِ المريبِ والممرِّضِ المريضِ، وإياكم واحذروا الخلوةَ بالبائعِ والمدرسِ في البيتِ، حذارِ أن يظهرَ هؤلاء وأشباهُهم

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه انظر البخاري (٩/ ٢٤٢ ـ ح٥٢٣٢)، ومسلم (٤/ ١٧١١ ـ ح٢١٧٢).

على عوراتِ النساءِ. فذلكُم اختلاطٌ يتسعُ فيه الخرقُ على الراقعِ وتصبحُ فيه الديارُ من الأخلاقِ بلاقعَ.

هل تأمَّلْتُم ـ وفقكم الله ـ لماذا توصفُ المحصناتُ بالغافلاتِ؛ الغافلاتُ: وصفٌ لطيفٌ محمودٌ، وصفٌ يُجَسِّدُ المجتمعَ البريءَ والبيتَ الطاهرَ الذي تَشُبُّ فتياتُه زهراتٍ ناصعاتٍ لا يعرفْنَ الإثْمَ، إنهنَّ غافلاتٌ عن لوثاتِ الطباعِ السافلةِ.

وإذا كان الأمرُ كذلك فتأمَّلوا كيف تتعاونُ الأقلامُ الساقطةُ والأفلامُ الهابطةُ لتمزِّقَ حجابَ الغفلةِ هذا، ثم تتسابَقُ وتتنافسُ في شرحِ المعاصي، وفضحِ الأسرارِ وهتكِ الأستارِ، وفتحِ عيونِ الصغارِ قبلِ الكبارِ. ألا ساءَ ما يزرون؟؟؟.

أيها الإخوةُ والأخواتُ: الغيرةَ الغيرةَ إن لم تغاروا فاعلموا أن ربَّكم يغارُ، فلا أحدَ أغيرُ من اللهِ من أجلِ ذلك حرَّمَ الفواحشَ، يا أمةَ محمدٍ ما من أحدٍ أغيرُ من اللهِ أن يزنيَ عبدُه أو تزنيَ أمَتُه.

وربُّكم يُمهلُ ولا يُهملُ، وإذا ضُيِّعَ أمرُ اللهِ فكيف تُستنكرُ الخياناتُ البيتيةُ والشذوذاتِ الجنسيةُ وحالاتُ الاغتصابِ وجرائمُ القتلِ وألوان الاعتداءِ؟؟؟.

إذا ضُيِّعَ أمرُ اللهِ طفَح المجتمعُ بنوازعِ الشرِّ وامتلأ بدوافعِ الأثرةِ، وتولَّدتْ فيه مشاعِرُ الحسدِ والبغضاءِ، ومن ثمَّ قلَّ ما ينجو من فسادٍ وفوضىٰ وسفكِ دماءِ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٤].

الغيرة على الأعراض

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ذي الجلالِ والعزةِ، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدورُ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره يتولى أهل التقىٰ والعفةِ بلطفهِ ورحمتِه ويأخذُ أهلَ الفسوقِ والمجونِ ببأسهِ ونقمتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَّنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جاء بكريم الخصالِ ومجامعِ الأخلاقِ فحفظَ الأمانةَ وصان العفةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها المسلمون: كم للفضيلةِ من حصنٍ امتنعَ به أولوا النخوةِ فكانوا بذلك محسنين، وكم للرذيلة من صرعىٰ أوردتهم المهالَك فكانوا هم الخاسرين.

في ظلالِ الفضيلةِ منعَةٌ وأمانٌ، وفي مهاوي الرذيلةِ ذلَّةٌ وهوانٌ، والرجلُ هو صاحبُ القوامةِ في الأسرةِ وإذا ضعُفَ القوَّامُ فسدَ الأقوام. وإذا فسد الأقوامُ خسروا الفضيلةَ، وفقدوا العفةَ وتاجروا بالأعراضِ وأصبحوا كالمياه في المفازاتِ يَلَغُ فيها كلُّ كلبٍ، ويكدِّرُ ماءَها كلُّ واردٍ.

جاءَ شابٌ إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله ائذنْ لي في الزِّنا؛ فأقبلَ عليه الناسُ يزجرونَهُ، وأدنىٰ رسولُ الله ﷺ مجلسَه

ثم قال له: **أتحبه لأمِّك؟** قال: لا واللهِ جعلني اللهُ فداكَ. قال رسول الله ﷺ: **ولا الناسُ يحبون لأمهاتِهم**. قال: **أفتحبه لابنتك؟** قال: لا. قال: **ولا الناسُ يحبونه لبناتِهم**. ولم يزلْ النبيُّ ﷺ يقول للفتى: أتحبه لأختكِ أتحبه لعمتِك أتحبه لخالتِك، كلُّ ذلك والفتى يقولُ لا واللهِ جعلني اللهُ فداكَ فوضعَ النبيُّ ﷺ يدَه عليه وقالَ: **اللهم اغفرْ ذنبَه وطهِّرْ قلبَه وحصِّنْ فرجَه، فلم يكنْ بعدَ ذلك الفتىٰ يلتفتُ إلى شيء**»[1].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكمُ الله وغاروا على حرماتِ اللهِ يسلمْ لكم دينُكم وعِرْضُكم ويبارِكْ لكم في أهلِكم وذرياتِكم.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) وسنده جيد انظر الفتح الرباني (١٦/ ٧١).

جريمة الزنا

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ حمداً يليقُ بجلالِه، والشكرُ له على جزيلِ انعامِه وجميلِ افضالِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدُه لا شريك له في أسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه الصادقُ في فعالِه، صلى الله وسلم وبارك عله وعلى أصحابه وآله، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ. فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فاتقوه رحمكم اللهُ تقوىٰ من أنابَ إليه، واحذروه حذرَ من يؤمنُ بيوم العرضِ عليه، واعبدوه مخلصين له الدينَ، وراقبوه مراقبةَ أهلِ اليقين، وعلى اللهِ فتوكلوا إن كنتم مؤمنين.

أيها المسلمون: لا يتفاضلُ الناسُ في مراقي الشرفِ والمجدِ، ولا تنزلُ الهممُ وتسقطُ التطلعاتُ إلا بمقدارِ ما تتمتعُ به النفوسُ من ضبطِ السلوكِ وقوةِ الإراداتِ. فالرجلُ ذو العزيمةِ يتجلىٰ فيه مظهرُ الكرامةِ الإنسانيةِ مطبوعاً على أجملِ صورةٍ من الكمالِ والنُّبلِ، وبسببِ ضعفِها وهوانِها ينزلُ المرءُ من سماءِ الإنسانيةِ العالي ليكون أشبه بالحيوانِ ساقطاً مهملاً.

قيمةُ المرءِ إباؤُه وعزيمتُه، وميزانُه نزاهتُه وسمعتُه، وشرفهُ في طهارةِ عرضِه وبياضِ صفحتِه ونقاءِ ذيلِه.

لقد كان الشرفاءُ الأحرارُ في كلِّ الأممِ حتى في عصورِ الجاهليةِ المظلمةِ يعتزون بشرفِ سمعتِهم، وصيانةِ أعرضِهم، ويقفون دونَها أسوداً كاسرةً، ونموراً مفترسةً، يغسلون إهانةَ أعراضِهم بأسنةِ رماحِهم وحدِّ سيوفِهم، لا ينامون على إهانةٍ، ولا يصبرون على عارٍ، ولا يقبلون ذلةً، ولقد قالت هندُ بنتُ عتبةَ وهي تبايعُ رسولَ اللهِ ﷺ: (أوَ تزني الحرةُ يا رسول اللهِ؟؟؟)[1].

أيها الإخوةُ: يُثارُ هذا الموضوعُ وتُقلَّبُ صفحاتُه وأهلُ هذا الزمانِ في كثيرٍ من الأقطارِ يعيشون في عصرٍ يوشكُ أن تسودَ فيه الإباحيةُ ليجعلوا ارتكابَ الفواحشِ والموبقاتِ حاجاتٍ بدنيةً لا يعاقبُ عليها القانونُ مادامت محفوفةً بالتراضي. ومما يكشفُ ذوبان الهمةِ وموتَ الإنسانيةِ حين يشاهدُ رجلٌ ينقادُ للبهيميَّةِ فيأتي الفاحشةَ ويعانقُ الرذيلةَ، ويشتدُّ الخزيُ ويعظمُ الشنارُ حين لا يكونُ مستوراً عن أعينِ الشاهدين والمشاهدين؛ إنها حضارةُ البهائِم في تلك الديارِ بحدائِقها ومتنزهاتِها وشواطئِها وأفلامِها وقنواتِها.

من أجلِ هذا أيها الإخوةُ: فهذا حديثٌ عن جريمةٍ من أبشعِ الجرائم، وفاحشةٍ من أكبر الفواحشِ، وموبقةٍ من أخطرِ الموبقاتِ، تتجلىٰ فيها هذه البهيميةُ المغرقةُ. جريمةٌ تُفْقِدُ الشهامةَ، وتَذْهبُ بالمروءةِ، يَحِلُّ مكانَ العفافِ فيها الفجورُ، وتقومُ فيها الخلاعةُ مقامَ الحِشمةِ، وتَطْرُدُ فيه الوقاحةُ جمالَ

---

(١) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ١٤٠).

الحياءِ. إنها جريمةُ الزنا؛ كم جرَّعتْ من غصةٍ، وكم أزالتْ من نعمةٍ، وكم جلبَتْ من نقمةٍ، وكم خبأتْ لأهلِها من آلامٍ منتظرةٍ، وغمومٍ متوقعةٍ، وهمومٍ مستقبلةٍ.

«العينان تزنيان وزناهما النظرُ، والأذنان تزنيان وزناهما السماعُ، والفمُ يزني وزناه الكلامُ والقُبَلُ، واليدُ تزني وزناها البطشُ، والرِّجْلُ تزني وزناها الخُطىٰ، والقلبُ يهوي ويتمنَّىٰ، والفرجُ يُصدِّقُ ذلك أو يكذبُه»(١).

أيها الأخوةُ: الإسلامُ يقفُ من هذه الجريمةِ موقفَ حزمٍ وحسمٍ، وصراحةٍ وصرامةٍ؛ إنه يمتدحُ الشهمَ الكريمَ الذي يغارُ على نفسِه ويغارُ على حرماتِه، ويُندِدُ بالديوثِ الذميمِ الذي يقرُّ الخبثَ في أهلِه. لتبقىٰ الأعراضُ مصونةً، والشرفُ موفوراً عزيزاً.

لقد اقترن حالُ الزاني بحالِ المشركِ في كتابِ اللهِ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

الزنا محرمٌ بقواطعِ الأدلةِ؛ في محكمِ القرآنِ وصحيحِ السنةِ وإجماعِ أهلِ الملةِ بلْ إجماعِ أهلِ الملل.

إنه قرينٌ لأعظمِ موبقتين الشركِ باللهِ وقتلِ النفس: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٨ ـ ح٦٢٤٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧ ـ ح٢٦٥٧) واللفظ له.

يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا . . ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

يقولُ الإمامُ أحمدُ: لا أعلمُ بعد القتلِ ذنباً أعظمَ من الزنا. واللهُ سبحانه في محكم تنزيلِه نهى عن قربِه والدنوِّ منه مما يعني البعدَ عن بواعثِه ومقدماتِه ودواعيه ومثيراتِه فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]. قال أهلُ العلم: (ولا تقربوا الزنىٰ (هذا قبحٌ شرعيٌ؛ (إنه كان فاحشة) وهذا قبحٌ عقليٌ (وساء سبيلا) وهذا قبحٌ عادي. قالوا: وما جمع ذنبٌ هذه الوجوه من القبحِ إلا وقد بلغَ الغايةَ فيها.

أيها الإخوةُ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ**»(١). بهذا صحَّ الخبرُ عن نبيِّكم محمدٍ ﷺ. زاد النسائي في روايةٍ: «**فإذا فعلَ ذلك خلعَ ربقةَ الإسلام من عنقِه فإن تابَ تابَ اللهُ عليه**»(٢). وفي روايةِ البزارِ: «**والإيمانُ أكرمُ على اللهِ من ذلك**»(٣).

وفي خبرٍ عند أبي داودَ والترمذيِّ والبيهقي: «**إذا زنىٰ العبدُ خرجَ منه الإيمانِ فكان كالظُّلةِ على رأسِه، ثم إذا أقلعَ رجعَ إليه الإيمانُ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/ ١١٦ ـ ح٦٨٠٩، ٦٨١٠)، ومسلم (١/ ٧٦ ـ ح٥٧).

(٢) أخرجه النسائي (٨/ ٦٥).

(٣) رواه البزار وفيه إسرائيل وثقه يحي بن معين وضعفه الناس. انظر مجمع الزوائد (١/ ١٠١).

(٤) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٢٢ـ ح٤٦٩٠)، والحاكم (١/ ٢٢) وقال: حديث =

وفي صحيح البخاريِّ في حديثِ المنامِ الطويلِ وفيه أنه عليه الصلاةُ والسلامُ جاءه جبريلُ وميكائيلُ عليهما السلامُ قال: «**فانطلقنا فأتينا على مثلِ التنورِ؛ أعلاه ضيقٌ وأسفلُه واسعٌ فيه لَغَطٌ وأصواتٌ؛ قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ فإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك ضَوْضَوُا ـ أي صاحوا من شدةِ الحرِّ ـ فقلتُ: من هؤلاءِ يا جبريل؟؟ قال: هؤلاء الزناةُ والزواني**»[1] فهذا عذابُهم إلى يومِ القيامةِ عياذاً باللهِ.

وأخرجَ الإمامُ أحمدُ في كتاب الزهدِ عن عيس عليه السلامُ: لا يكونُ البطالونَ حكماءَ، ولا يلجُ الزناةُ ملكوتَ السماءِ. وفي جهنمَ نهرٌ يقالُ له نهرُ الغُوطةِ يجري من فروجِ المومساتِ يؤذي أهلَ النارِ ريحُ فروجِهم. وأخرجَ الخرائطيُّ وغيرهُ مرفوعاً: المقيمُ على الزنا كعابدِ وثنٍ. قال أهل العلم ويؤيدُه ما صحَّ من أن مدمنَ الخمرِ إذا ماتَ لقيَ اللهَ كعابدِ وثنٍ؛ قالوا ولا شك أن الزنا أشدُّ وأعظمُ عند اللهِ من شربِ الخمرِ.

الزنا يجمعُ خلالَ الشرِّ كلَّها، قلةَ دينٍ، وذهابَ ورعٍ، وفسادَ مروءةٍ. الغدرُ والكذبُ شعارُه، وقلةُ الحياءِ والخيانةِ دثارُه، وعدمُ المراقبةِ مسلكُه، وضعفُ الأنفةِ دَيْدنُه، وذهابُ الغيرةِ من القلبِ بليَّتُهُ.

ناهيكَ بغضبِ الربِّ وفسادِ الحُرُمِ والعيالِ، وفضائحِ زنا، وقبائحِ خنا، تذهبُ اللذاتُ وتبقىٰ الحسراتُ.

= صحيح ووافقه الذهبي والترمذي تعليقا (٥/ ١٧).

(١) أخرجه البخاري (١٢/ ٤٥٧ ـ ح٧٠٤٧)، وأحمد (٥/ ٨).

الزنا انتكاسةٌ حيوانيةٌ، وارتكاسةٌ بهيميةُ، تذهبُ بمعاني الأسرةِ ومشاعرِ الإنسانيةِ الراقيةِ، يُطيحُ بكلِّ أهدافِ السموِّ الأسريِّ، وعلاقاتِ الرحمِ وأواصرِ القُربىٰ، تردُّ ابنَ آدمَ المكرمَ إلى مسخٍ حيوانيٍّ سافلٍ. مسخٍ كلُّ همِّه إرواءُ جَوْعةِ اللحمِ والدمِ في لحظةٍ عابرةٍ وشهوةٍ عارمةٍ ونزوةٍ حيوانيةٍ بحتةٍ.

جريمةُ الزنا في المجتمعاتِ الطاهرةِ تتعدىٰ في سُوْئِها وسَوْءَتها إلى الأسرتين، وتجلبُ مآسي للفئتين.

الزنى نذيرُ رعبٍ وفزعٍ في فشوِّ الأمراضِ، ونزعِ البركاتِ، وردِّ الدعاءِ. الزهريُّ والسيلانُ من أمْراضِه، والهربسُ والإيدزُ من أوبئتِه، في أمراضٍ يرسلُها اللهُ لمن تكنْ في الأسلافِ، مما يعلمون ومما لا يعلمون.

نعم أيها الإخوةُ: انظروا في أحوالِ المأفونين من أهلِ هذه الحضارةِ والمغرورين بها، لقد أطلقوا لشواتِهم العنانَ، استباحوا كلَّ ممنوعٍ. ونبشوا كلَّ مدفونٍ، وكشفوا كلَّ مستورٍ. تنصلوا من مسؤلياتِ العائلةِ، وجَرَوْا خلفَ كلِّ متهتكةٍ وفاجرٍ. هل أدىٰ بهم ذلك إلى تهذيبِ الدوافعِ كما يقولون؟ وهل أنقذَهم من الكبتِ كما يزعمون؟؟ لقد انتهىٰ بهم إلى سعارٍ مجنونٍ لا يهدأ ولا يرتوي. لقد قلَّ نسلُهم، وتوقَّفَ نمُّوهم مما يُنذرُ بفنائِهم. لقد قلَّ نسلُهم لأنهم قضوا شهواتِهم بغيرِ الطريقِ المشروعِ، وتهربوا من المسؤوليةِ، وتبرأوا من سياجِ الأسرةِ. الحلالُ عندَهم لا يفترقُ عن الحرامِ. لا يغارون على محارمَ، ولا يشمئزون من فواحشَ. العلاقاتُ عندهم معزولةٌ عن الخلقِ والروحِ والدينِ

والعبادةِ. لقد كان حفياً عندهم استقبالِ الآلافِ المؤلفةِ من اللقطاءِ وأولادِ التَبني، لا يسألون من أين جاءوا، ولا يكترثون بالآثارِ الاجتماعيةِ التي يُخلِّفها من لا آباءَ لهم ولا أمهاتٍ، وهم يزعمون أنهم أربابُ العلومِ والمعارفِ.

بلىٰ إنهم عبيدٌ لفنونِ الإثاراتِ والتذوقِ التي يُروجها الإباحيون البهيميون، يدفعون إليها الذكورَ والإناثَ دفعاً خبيثاً في اختلاطٍ مهلكٍ، وإعلامٍ فاضحٍ في رواياتِه ومسلسلاتِه مما ينضحُ فُحشاً وخلاعةً وتهتكاً ليس وراءه إلا لقاء البهائمِ.

إن أهلَ الإسلامِ يرفضون بحسمٍ وحزمٍ كلَّ هذه المظاهرِ والنتائجِ؛ فالزنا فاحشةٌ موبقةٌ، وكبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ، توصدُ كلُّ الأبوابِ المفضيةِ إليها. ويعاقبُ على وقوعِها بالجلدِ والتغريبِ للبكرِ، والقتلِ للثيبِ بالرجمِ. الأسرةُ وحدَها هي الملتقىٰ المشروعُ لأشرافِ الناسِ وكرامِ بني آدم.

المجتمعُ المسلمُ الطاهرُ يمقتُ الزنا، ويمقتُ مقدماتِه، وينكرُ بواعثَهُ ودواعيَهُ، ليس فيه إلا علاقاتٌ طاهرةٌ على أساسٍ من أحكامِ الشرعِ والمشاعرِ الإنسانيةِ الراقيةِ؛ يلتقي عليها قلبان وروحان وإنسانان، وليس متعتين مجردتين، وجسدين متباعدين؛ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦].

لقد قطعتْ شريعتُنا دابرَ هذه الجريمةِ، ووضعتْ لها جزاءً حاسماً في صرامةٍ جادةٍ، وحذَّرتْ من الرأفةِ بالفاعلين، وزجرتْ عن تعطيلِ الحدِّ أو الترفقِ في إقامتِه؛ بل أمرتْ بإقامتِه في محضرٍ

مشهودٍ في طائفةٍ من المؤمنين: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

ولقد علمَ اللهُ والمؤمنون أن الدماءَ لا تحفظُ، والأموالَ لا تصانُ، والأعراضَ لا تحترمُ، والبلادَ لا تصلحُ، والعبادَ لا تستقيمُ، والأمنَ لا يسودُ إلا بإقامةِ الحدودِ وقطعِ الأكفِّ الآثمةِ وسدِّ الأفواه الأفَّاكةِ. حدودُ اللهِ شُرعتْ لتحفظَ النفوسَ من التعدياتِ الآثمةِ والنزواتِ الطائشةِ.

الزاني المحصنُ إذا ثبتَ زناه استبيحُ دمُه فكان قريناً لتاركِ دينه وقاتلِ النفس: «**لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدىٰ ثلاثٍ؛ الثيبِ الزاني، والنفس بالنفس، والتاركِ لدينه المفارقِ للجماعةِ**»[1]. الله أكبرُ أيها المسلَمون وهَل رأيتم أكبرَ من هذه الجرائمِ الثلاثِ؟؟.

أليسَ من السرِّ الذي يَلفتُ نظرَ العقلاءِ أن دينَ الإسلام وهو دينُ الرحمةِ والرأفةِ حتى مع الحيوانِ وقفَ هذا الموقفَ الشديدَ مع هؤلاءِ الزناةِ والزواني؟؟.

أليس هذا الدينُ الذي يحبُّ السَّتْرَ ويدعو إليه يقيمُ هذا الحدَّ على مشهدٍ من المؤمنين؟؟.

لماذا كلُّ ذلك أيها الإخوةُ؟؟: إن الرأفةَ بالزناةِ ممن ثبتَ زناهم وتحقَّقتْ جنايتُهم إنما هي قسوةٌ على المجتمعِ، وقسوةٌ على الآدابِ الإنسانيةِ، وقسوةٍ على الضميرِ البشريِّ، بل قسوةٌ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/ ٢٠٩ ـ ح٦٨٧٨)، ومسلم (٣/ ١٣٠٢ ـ ح١٦٧٦).

على حقوقِ الإنسانِ؟ إن القسوةَ في الحدِّ أرأفُ ثمَ أرأفُ بالمجتمعِ مما ينتظرُهُ من شيوعِ الفواحشِ لتَفْسُدَ الفطرةُ وترتكسَ في حمأةِ الرذيلةِ ويعيشَ في بيئةِ الأدواءِ والأمراضِ.

نعم إن الحدودَ جلدٌ وقتلٌ وقطعٌ فلتشمئزَّ نفوسُ الذين لا يؤمنون باللهِ ولا باليومِ الآخرِ، ولتغِظْ صدورُ الذين لا يرضون بحكمِ اللهِ.

تباً لهم لقد قالوا: إن إقامةِ الحدودِ غلظةٌ وقسوةٌ ووحشيةٌ لا تليقُ بحضارةِ اليومِ، ويحهم ماذا فعلوا بالأبرياءِ؟؟ وما هو مصيرُ الضعفاءِ؟ ألم ينسفوا بمخترعاتِهم الجهنميةِ مُدناً آمنةً؟ ألم يدكُّوا عواصمَ عامرةً تعجُّ بالألوفِ والملايين لا ذنبَ لهم ولا خطيئةَ سوىٰ الظلمِ والهمجيةِ. فيالوحشيةَ هذا المتحضرِ؟؟ ويالخرابَ هذا المتنوِّرِ؟؟ هل علومُهم ومعارفُهم أتتْ بكلِّ هذه البلايا؟.

وبعدُ أيها الإخوةُ: فلوا حُفظتْ شريعةُ اللهِ في كلِّ بلادِ المسلمين، وأقيمتْ حدودُ اللهِ، وحيلَ بين الذين يتعدُّونها لما رأيتَ في كثيرٍ من البلادِ مظاهرَ السقوطِ في الحضيضِ، ولما تغيرَ عليهم ما تغيرَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا﴾ [الرعد: ١١].

ألم يعلموا أن حفظَ الفروجِ سبيلٌ للفرجِ في الدنيا والتوفيقِ في المسيرةِ؟؟؟ واذكروا إن شئتم قصةَ صاحبَ الغارِ حين فرَّجَ اللهُ عليه بعفتِه عن الحرامِ. ألم يعلموا أن حفظَ الشهواتِ سبيلٌ للاستظلالِ بظلِّ الرحمن يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه؟؟ واذكروا ذلك العفيفَ الذي دعتْه ذاتُ الحسنُ والجمالِ فاعتصم بخوفِه من اللهِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

[النور: ٢٦].

جريمة الزنا

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه وهو الحليم الشكورُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه الشافعُ المشفعُ يومَ النشورِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبَ الظلامُ والنورُ.

أما بعدُ: أيها المسلمون: الإسلامُ لا يحاربُ دوافعَ الفطرةِ، ولا يلغي الوظائفَ التي ركبَّهَا اللهُ في الإنسانِ، ولا يكبتُ الغرائزَ ولا يستقذرُها، ولكنه يهذِّبُها وينظمُها ويسيِّرُها في مسالكِ الطهرِ، ويرفعُها من مستوىٰ الحيوانيةِ المحضةِ لتصبحَ محوراً تدورُ عليه الآدابُ النفسيةُ والاجتماعيةُ. إنه يحاربُ الحياةَ البهيميةَ الساقطةَ التي لا تقيمُ بيتاً، ولا تبني أسرةً، ولا تنشئُ حياةً كريمةً ومجتمعاً طاهراً.

إن الإسلامَ يقصدُ إلى حياةٍ أسريةٍ كريمةٍ محترمةٍ تشتركُ فيها الآمالُ والآلامُ، ويؤخذُ بها حسابُ الحاضرِ والمستقبلِ. محضنٌ لذريةٍ صالحةٍ ومنشأٌ لجيلٍ طاهرٍ، فيه الأبوانِ حارسان أمينانِ لا يفترقان.

هذا المجتمعُ الكريمُ النابتُ في تعاليمِ الإسلامِ يتميزُ بآدابِه، ويلتزمُ بأحكامِه، هذا المجتمعُ يجعلُ جريمةَ الزنا قصيَّةً في ركنٍ

لا يَطالُها إلا فئاتٌ شاذةٌ لا يُؤْبَهُ بها.

إن الذي يكبحُ هذه الجريمةَ، ويضيِّق دائرتَها هي كلُّ الإسلام بأحكامِه وآدابِه وعقائِدِه بدءاً من الإيمانِ باللهِ وخشيتِه وتقواه وحسنِ مراقبتِه سبحانه، ثم تنقيةُ المجتمعِ من بواعثِ الفتنِ، ومواطنِ الرِّيبِ؛ التزامٌ للملابس السابغةِ المحتشمةِ التي تكرم ابن آدمَ وتحميه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] أدبُ غضِّ البصرِ، وكفُّ العيونِ الخائنةِ من البحثِ عن العوراتِ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ . .﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

تحريم الخلوةِ بين الرجلِ والمرأةِ غيرِ ذاتِ المحرمِ طهارةٌ لقلوبهم وقلوبهن. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] **«ما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلا وكان ثالثُهما الشيطانَ»**[1]، و**«لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ أن تسافرَ إلا مع زوجٍ أو ذي محرمٍ»**[2].

المباعدةُ بين مجالسِ الرجالِ ومجالسِ النساءِ حتى في المساجدِ

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٤٠٤ ـ ح٢١٦٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأحمد (٣/ ٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٦٥٩ ـ ح١٠٨٨)، ومسلم (٢/ ٩٧٥ ـ ح١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠).

دورِ العبادةِ فللرجال صفوفُهم وللنساءِ صفوفُهن.

منعُ الاختلاطِ المحرمِ في التعليمِ والعملِ وكلِّ مجالٍ يقودُ إلى الفتنةِ، تيسيرُ سبلِ الزواجِ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾ [النور: ٣٢] التزامُ آدابِ الاستئذانِ والاستئناسِ حتى لا تقعَ على عوراتٍ أو تلتقي بمفاتنَ.

ومن أعظمِ الآدابِ في هذا البابِ الكفُّ عن إشاعةِ الفاحشةِ في المؤمنين ومحبةِ ذلك والرغبةِ فيه عياذاً بالله. إذا انتشرَ بين الأمةِ الحديثُ عن الفواحشِ ووقوعِها فإن الخواطرَ تتذكرُها ويخفُّ على الأسماعِ وقعُها، ومن ثمَّ يَدبُّ إلى النفوسِ التهاونُ بوقوعِها ولا تلبثُ النفوسُ الضعيفةُ والخبيثةُ أن تُقْدِمَ على اقترافِها ولا تزالُ تتكررُ حتى تصيرَ متداولةً. وانظر إلى ما تفعلُه كثيرٌ من وسائلِ الإعلامِ في الناسِ والنفوس. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ [النور: ١٩].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واستمسكوا بدينِكم، والزموا آدابه وحدودَه، عبوديةً خالصةً، وسلوكاً لمسالكِ الطهرِ والعفةِ يصلحْ الفردُ كما يصلحْ المجتمعُ، فتسعدوا في الدنيا، وتسلموا وتفوزوا في الآخرةِ وتفلحوا، ثم صلوا وسلموا على نبيكم نبي الرحمة والهدى فقد أمركم ربكم جل وعلا فقال عز قائلا عليما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صلى وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأزواجه وذريته.

حق الصديق وآداب الصحبة

الخطبة الأولى

الحمد للهِ الواحدِ المعبودِ. عمَّ بحكمتِه الوجودَ، وشملتْ رحمتُه كلَّ موجودٍ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه وهو بكلِّ لسانٍ محمودٌ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه صاحبُ المقامِ المحمودِ، والحوضِ المورودِ. صلى اللهُ وسلمَ وباركَ عليهِ وعلى آله وأصحابه الأتقياءِ الركعِ السجودِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى اليومِ الموعودِ.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فقد أمركم ربُّكم بالتقوىٰ، واستمسكوا من حبلِه المتينِ بالعروةِ الوثقىٰ، واخشوه وراقبوه فهو يعلمُ السرَّ وأخفىٰ.

أيها المسلمون: شؤونُ الأممِ شتىٰ. ومن أعزِّ شؤونها مكارمُ الأخلاقِ. وحقوقُ الناسِ عظمىٰ، ومن أعظمِها القيامُ على محاسنِ الآدابِ.

الأخلاقُ ذاتُ أثرٍ جليٍّ في صلاحِ أمرِ الشعوبِ وانتظامِ أحوالِها، والتعاملُ الحسنُ بينَ الناسِ دِعامةٌ كبرىٰ من دعاماتِ السعادةِ وراحةِ البالِ.

الأخلاقُ الحسنةُ لا تنبعُ إلا من نفوسٍ طيبةٍ وطبائعَ كريمةٍ تميِّزُ

بين الأدبِ والملقِ، والصدقِ والكذبِ، والحقِّ والباطلِ.

ورسالاتُ أنبياءِ الله عليهم الصلاةُ والسلامُ لها نصيبٌ وافرٌ من الاهتمامِ بالأخلاقِ وتزكيةِ النفوسِ، والدعوةِ إلى الاستمساكِ بمحاسنِ الآدابِ.

وقد وصفَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

والأخلاقُ الفاضلةُ مقرونةٌ بأدبِ المعاملةِ وحسنِ السلوكِ. أدبٌ رفيعٌ وتعاملٌ حسنٌ يقومُ على التمييزِ والفهمِ، والكياسةِ والفطنةِ، والذوقِ السليمِ، وتقديرِ المناسباتِ، وملاءمةِ الظروفِ.

والبيئةُ التي ينشأُ فيها المرءُ لها أثرٌ كبيرٌ في تحديدِ السلوكِ وتهذيبه؛ فبيئةُ الفسقِ والظلمِ والجهلِ والفقرِ والمرضِ يختلفُ سلوكُ أهلِها عن سلوك بيئةِ الصلاحِ والعلمِ وحسنِ المعيشةِ والصحةِ وطهارةِ المجتمعِ حتى قيلَ: إن الجهالَ يجيزون ما لا يجوزُ لأنهم لا يدركون وجَه الضررِ فيما يأتون. وأهلُ التهذيبِ والإيمانِ من عبادِ الرحمنِ: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢].

بل إن العباداتِ على جلالةِ قدرِها وعظمِ أثرِها شُرعتْ مرتبطةً بآدابٍ مطلوبٌ التزامُها ورعايتُها؛ فمن آدابِ الصلاةِ التطهرُ في

الثوبِ والبدنِ والبقعةِ، والمشيُ إليها، بالسكينةِ والوقارِ ولزومِ الخشوعِ والقنوتِ. وللزكاةِ آدابُها في حقِّ المعطي والآخذِ ولا تنسىٰ آدابَ الصيامِ والحجِّ. وآدابَ التعاملِ في برِّ الوالدين وصلةِ الأرحامِ وحقوقِ الأصدقاءِ والأصحابِ.

ولقد قال ربُّكم في محكم تنزيله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]. فياتُرىٰ هل تختلفُ التحيةُ باختلافِ المستوياتِ بين الذي يحيِّ بعضُهم بعضا؟؟ ما بين تحيةِ السلطانِ وتحيةِ العالمِ وتحيةِ الوالدِ وتحيةِ ذي الشيبةِ الكبيرِ وتحيةِ عابرِ السبيلِ. لَعلَّ للأدبِ والفروقِ هنا مدخلاً، ولرعايةِ الأوضاعِ والأحوالِ تعبيراً.

إن الأدبَ هو القالبُ الذي تقدَّمُ به الأخلاقُ، وهو المسلكُ الذي يسيرُ عليه المرءُ في تصرفاتِه الشخصيةِ وتعاملِه مع الناسِ. يقولُ الشعبيُّ رحمه اللهُ: الأدبُ أكرمُ الجواهرِ طبيعةً. يرفعُ الأحسابُ الوضيعةَ. فالبسوه حلةً، وتزينوا به حِليةً، فهو للفقيرِ مالٌ، وللغنيِّ جمالٌ، وللحكيمِ كمالٌ. والمرءُ بفضيلتِه لا بفصيلتِه، وبكمالِه لا بجمالِه، وبآدابِه لا بثيابِه.

ولكي يتجلىٰ هذا الأمرُ ويستبين ـ أيها الإخوةُ ـ فهذا عرضٌ لجانبٍ تطبيقيٍّ لا يكادُ ينفكُّ عنه أحدٌ من البشرِ، بل إنه مظهرٌ من مظاهرِ امتحانِ الأخلاقِ، واختبارِ الأدبِ، وفحصِ حسنِ التعاملِ مع النفسِ ومع الغيرِ.

إنه حديثُ الصحبةِ والصداقةِ وحسنِ اختيارِها وكيفيةِ أداءِ حقوقِها وحفظِ واجباتِها.

الصحبةُ والصداقةُ عاطفةٌ ساميةُ القدرِ، ونعمةٌ غزيرةُ المآثرِ. وفي شرعِنا المطهرِ ترغيبٌ في أن تكون المعاملةُ بين أهلِ الإسلامِ معاملةَ أخوّةٍ، وعلاقةَ محبةٍ، ورابطةَ صداقةٍ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. «**والمسلم أخو المسلم**»[١] وتترقىٰ الأخوةُ بين المسلمين حتى يحبَّ المسلمُ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، ثم تترقىٰ حتى يؤثرَ أخاه على نفسه ولو كان به حاجةٌ ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. وفي حديثٍ صحيح الاسناد: «**خير الأصحاب عند اللهِ خيرهم لصاحبه**»[٢]. ولقاءُ الإخوانِ جلاءُ الأحزانِ، والرجلُ يسعدُ بمصاحبةِ السعيدِ. ويقولُ عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه: إذا رزقك اللهُ مودةَ امرىءٍ مسلمٍ فتشبَّثْ بها. وقالتْ الحكماءُ: أعجزُ الناسِ من فرَّط في طلبِ الإخوانِ. وأعجزُ منه من ضيَّعَ من ظفِرَ به منهم. ومن ذا الذي يعيشُ من غير أصدقاءَ وأصحابٍ يشاطرونَه أفراحَه ويشاركونه أتراحَه. ففي الصداقةِ ابتهاجُ القلبِ عند اللقاءِ، ولذةُ النفسِ حين المحادثةِ. والمرءُ إذا كثرتْ أصدقاؤُه كانت ألسنتُهم داحضةً لما يُرمىٰ به من مزاعمَ، وأيديهم واقيةً له من الأذىٰ. وما يُدفعَ

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري (٥/ ١١٦ ـ ح٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٨٦ ـ ح٢٥٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٩٤ ـ ح١٩٤٤) وقال: حديث حسن غريب، والدارمي (٢/ ٢١٥)، والحاكم (٤/ ١٦٤) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأحمد (٢/ ١٦٨).

الحسدُ والعدوانُ بمثلِ الاستكثارِ من الأصدقاءِ. فهم عمادٌ إذا استنجدتَّهم ، وظهورٌ إذا احتجتَهم.

والصديقُ قد يبلغُ من المنزلةِ ما لا يبلغُه القريبُ. ولقد قال المجرمون في أشدِّ ساعاتِ الكربِ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١] قال الأقدمون: ربَّ أخٍ لكَ لم تلدْه أمُّك. وسُئلَ خالدُ بنُ صفوانَ: أخوك أحبُّ إليك أم صديقُك؟ فقال: إن إخي إذا كان غيرَ صديقٍ لم أحبَّه.

وقد ذكرَ أهلُ العلمِ والأدبِ جملةً من النعوتِ والأوصافِ، والآدابِ والخلالِ يُعرَفُ بها الأصحابُ في حسنِ مناقبِهم، والخلانُ في مستحسنِ مذاهبِهم. يجملُ بالمرءِ أن يعرفَها ويعرضَ آدبَه وحسنَ خلِقه كما يختبر بها الناسَ في مسالِكهم وتعاملِهم.

وأولُ ذلك إدراكُ أن الصاحبَ رقعةُ الثوبِ فلينظرْ الإنسانُ بم يرقعُ ثوبَه. ولقد جسَّدَ ذلكَ نبيُّكم محمدٌ ﷺ بقولِه: «**الرجلُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يخالِلُ**»[1] أخرجه أبوداود باسنادٍ صحيحٍ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

وعند أبي داود والترمذي بسندٍ لابأس به: «**لا تصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكلْ طعامكَ إلا تقيٌّ**»[2]. فميزانُ الإنسانِ أصدقاؤُه

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٥٩ ـ ح٤٨٣٣)، والترمذي (٤/ ٥٠٩ ـ ح٢٣٧٨) وقال: حسن غريب، وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤) ولفظه «المرء على دين. . . »الحديث.

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٥٩ ـ ح٤٨٣٢)، والترمذي (٤/ ٥١٩ ـ ح٢٣٩٥) وقال: حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه، وأحمد (٣/ ٣٨)، =

فمن صاحبَ الفساقَ والمبتدعةَ تسابقتْ إليه الظنونُ، أنه راضٍ عن الابتداعِ غيرُ متحرجٍ من الفسوقِ. وقاعدةُ المحبةِ وبناؤُها، وحفظُها وصيانتُها أن تحبَّ في اللهِ وتبغضَ في اللهِ، فولايةُ اللهِ لا تنالُ إلا بذلك، ومن صارتْ مؤاخاتُه لأمرِ الدنيا فلن يغنيَه ذلك شيئاً.

وقد قال بعضُ السلفِ: ما كنتُ لأقولَ لرجلٍ إني أحبُّك في اللهِ فأمنعُه شيئاً من الدنيا. وقال بعضُهم: إن لا أستحي من اللهِ أن أسألَ الجنةَ لأخٍ من إخواني ثم أبخلَ عنه بدينارٍ أو درهمٍ.

فإذا ما صاحبتَ قوماً فاصحبْ منهم الأخيارِ أولي التقىٰ ولا تصحبُ فيهم الأردىٰ. وإخوانُ الثقاتِ هم الذخائرُ من الصالحين وأهلِ المروءةِ والورعِ والعلمِ والأدبِ. وذو الحظِّ العظيمِ من يُخالطُ أهلَ الفقهِ والحكمةِ ويجانبُ أهلَ الشرِّ والمعصيةِ والبدعةِ.

صحبةٌ تضمُّ مجموعةً من الفضلاءِ ونخبةً من النبلاءِ، تجدُ الصداقةُ فيهم قلوباً طيبةً ونفوساً منشرحةً، تُنْبتُ نباتاً حسناً، وتُثمرُ ثمراً يانعاً. إخوانٌ وأصحابٌ بهم ـ بإذن اللهِ ـ يُفتحُ عسرُ الأغلاقِ، ويتألفُ متنافرُ الأخلاقِ. لا يطمعُ في عيبِهم عائبٌ، ولا يقدرِ على مثالِبهم طالبٌ. الواحدُ منهم حاملُ مسكٍ يَهديكَ إلى الحقِّ، ويدلكُ على الخيرِ، لا ترىٰ منه إلا المحامدَ والمكارمَ.

= والحاكم (٤/١٢٨) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

من جميلِ أخلاقِهم السائدةِ فيما بينهم: البشاشةُ إذا تراءوا، والمصافحةُ إذا تلاقوا. يأخذون بحسنُ الحديثِ إذا تحدثُوا، وحسنِ الاستماعِ إذا حُدِّثوا، وبأيسرِ المؤنةِ إذا خُولفوا، تاركين مجاوبةَ اللئيمِ، ومماراةَ السفيهِ، ومنازعةَ اللَّحوحِ، ومخاصمةَ اللَّجوجِ.

إن من نعمِ اللهِ على عبدِه في دنياه أن يهبَه صديقاً مخلصاً لطيفَ القولِ، واسعَ العلمِ، قليلَ المخالفةِ، كثيرَ الموافقةِ، عظيمَ المساعدةِ، كتومَ السرِّ، كثيرَ البرِّ، صادقَ الأمانةِ، مأمونَ الخيانةِ، كريمَ النفسِ، حسنَ الاعتقادِ، صادقَ الودادِ، سهلَ الانقيادِ، واسعَ الصدرِ، جميلَ الصبرِ، باذلَ النصحيةِ، ساترَ القبيحةِ. إن غبتَ عنه عذرَكَ، وإن جئتَ إليه قَبِلكَ، لا ينمُّ بسريرةٍ، ولا يُظهرُ خبيئةً، لا يضربُ بين اثنين، ولا يُفسدُ بين خليلين، لا يتحلىٰ بالكذبِ، ولا يستهدفُ للرِّيَبِ، ولا يجاهرُ بالنقائصِ. لا يسألُ عما وُري عنه، ولا يتكلمُ فيما حُجبَ عنه، لا يدخلُ على أحدٍ في حديثِه، ولا يتطلعُ على قارىءٍ في كتابِه، ولا يقطعُ على متكلمٍ كلامَه. يجمعُ بين طلاقةِ الوجهِ، وحُسنِ التوددِ، وقضاءِ الحوائجِ. إن لقي صديقَك استزادَه لك، وإن لقي عدوَّك كفَّه عنك. لا تُخْشىٰ بوائقهُ، ولا تختلفُ طرائقُه.

هؤلاء هم إخوانُ الودِّ والصفاءِ، والبرِّ والوفاءِ، يتبادلون النكتَ المِلاحَ، بألفاظٍ مهذبةٍ صحاحٍ، يتعطفون بها القلوبَ، ويسترون بها العيوبَ، ويستقيلون بها العثراتِ، ويستدركون بها الهفواتِ، لهم رقةٌ في الطبعِ، وملاحظةٌ في الأمورِ، وحسنُ مداراةٍ، وجميلُ ترفُّقٍ. يوردون الأمورَ مواردَها ويُصدرونها مصادرَها.

هذه نعوتٌ وصفاتٌ إذا ظفرتَ بها او بكثيرٍ منها في صاحبِك فاحفظْ ودَّه، وارعَ حقَّه، وقمْ على مصالحِه، وحافظْ على محبتِه، بادرْه بالسلام، وادعُهُ بأحبِّ الأسماءِ إليه. إذا دنا رحبتَ به، وإذا جلسَ وسعتَ له، وإذا حدَّثَ أقبلتَ عليه. وإذا غابَ دعوتَ له وحفظتَه في أهلِه. إن كان شاهداً زرتَه، وإن كان مريضاً عدتَه.

يقولُ أبوحنيفةَ رحمه الله: من مرضَ من إخوانِك فعدْه بنفسِك، وتعاهدْه برسُلِك، ومن قعدَ منهم فلا تقعدْ عنه.

وسُئلَ بعضُ الحكماءِ: من أضيقُ الناسِ طريقاً وأقلُّهم صديقاً؟ قال: من عاشرَ الناسَ بعُبوسِ وجههِ، واستطالَ عليهم بثقلِ نفسِه. وماتزيَّنَ رجلٌ بزينةٍ أفضلَ من عفافِ بطنِه.

إنها تصرفاتٌ وآدابٌ تقومُ على اللباقةِ واللياقةِ وجمالِ الذوقِ ولُطفِ التهذيبِ. ولقد علم الباحثون في طبائعِ البشرِ ودلتهم التجاربُ وصروفُ الحياةِ أن الصديقَ ولو بلغتْ صداقتُه المنتهىٰ قد يظهرُ من أمرِه ما لا يلائمُ صلةَ الصداقةِ، فلو أخذتَ تهجرُ من إخوانِك كلَّ من صدرتْ منه هفوةٌ أو بدرتْ منه زلةٌ لم تلبثْ أن تفقدَهم جميعاً، ولا يبقىٰ لك على ظهرِ الأرضِ صديقٌ غيرَ نفسِك التي بين جنبيك؛ بل لعلك أن تتبرمَ منها وتضيقَ. ومن ذهبَ يتتبعُ عثراتِ إخوانِه فسوفَ يجدُها، ولن يسلمَ له بذلك في دهرِه صاحبٌ. ولكن عليك ألا يكن حبُّك كلَفاً، ولا غضبُك تلفاً، فشرطُ دوامِ الأُلفةِ تركُ التشددِ والكلفةِ، فلا تقطعْ أخاكَ على ارتيابٍ، ولا تهجرْه دون استعتابٍ. وقد سُئل معاويةُ رضي الله عنه: ما النذالةُ؟

قال: الجرأةُ على الصديقِ والنكولُ عن العدوِّ. وقال الأحنفُ بن قيس: حقُّ الصديقِ أن تحتملَ له ثلاثَ ظلاماتٍ: ظلمَ الغضبِ، وظلمَ الدَّالَّة[1]، وظلمَ الهفوةِ. ومن تناسىٰ مساوىءَ الإخوانِ دام له ودُّهم. وكثرةُ العتابِ تورثُ البغضاءَ. على أن من المعلومِ أن المعاتبةَ الرفيقةَ خيرٌ من خسرانِ الأصدقاءِ فظاهرُ العتابِ خيرٌ من باطنِ الحقدِ. ومن طرائفهم ما حدَّث به محمدُ بنُ مناذرٍ قال: كنتُ أمشي مع الخليلِ بن أحمد فانقطعَ شِسعُ نعلي فخلعَ الخليلُ نعلَه، فقلتُ ما تصنعُ؟ قال: أواسيكَ في الحفاءِ.

وبعدُ أيها الإخوةُ: فلن يعرفَ الفتىٰ جميلَ مواهبِ الأصحابِ إلا بسلوكِ طرائقِ المروءةِ. وعلاقاتُ الأصحابِ لا يحفظُها ولا يوثُقُها إلا الأمانةُ وتبادلُ الثقةِ وسموُّ الخلقِ. والأصحابُ لا ينالون ما يحبون إلا بالصبرِ على ما يكرهون، ولا يبلغون ما يَهوَوْن إلا بتركِ ما يشتهون. فأحبُّوا هَوْناً، وأبغضوا هَوْناً؛ فقد فرطَ أقوامٌ في حبِّ أقوامٍ فهلكوا، وأفرطَ أقوامٌ في بُغضِ أقوامٍ فهلكوا. والناسُ أشكالٌ، وكلٌّ مع شاكلتِه؛ فالحمامُ مع الحمامِ، والغربانُ مع الغربانِ، والأصدقاءُ يعرفون من نظراتِ العيونِ وأساليبِ الخطابِ وحروفِ الرسائلِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) الدَّالَّة: الجرأة.

حق الصديق وآداب الصحبة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الذي غمرَ عبادَه بفضلِه وإنعامِه، وأصلحَ قلوبَهم وزكى نفوسَهم بشرائعِ الدينِ وأحكامِه. أحمده سبحانه وأشكره حمداً كثيراً طيباً مباركاً يدومُ بدوامِه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه بلَّغ دينَ اللهِ في حلالِه وحرامِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ وآمنوا برسولِه يؤتِكم كفلين من رحمتِه. وسابقوا بالأعمالِ الصالحةِ إلى مغفرةِ ربِّكم وجنتِه.

أيها المسلمون: من أراد أن يعرفَ أصحابَه فليتأملْ أحوالَ الثقلاءِ جلساءِ السوءِ فالضدُّ يظهرُ حسنَه الضدُّ. أولئك هم نافخو الكيرِ؛ ممن يضرُّ ولا ينفعُ، يعدي بأخلاقِه الرديئةِ، ويجلبُ البلاءَ بسيرتِه المذمومةِ، محركُ الفتنِ، وموقدُ نيرانِ الخصامِ؛ من النمامين والمغتابين، أهلِ شرٍّ وبدعٍ، أقوامٌ لا خلاقَ لهم؛ ممن يكثرُ فجورُه بلسانِه وجوارحِه. إذا حدَّثك كذبَك، وإذا ائتمنتُه خانك، وإذا ائتمنَك اتهمك، وإذا أنعمتَ عليه كفرَك، وإذا أنعمَ عليك منَّ عليك، مَلولٌ مذبذبٌ بين الرجال، ينتقلُ من واحدٍ لآخرٍ، يهتكُ استارَ السابقِ عند اللاحقِ، ولو كان فيه خيرٌ لأبقىٰ

مودةَ الجميعِ.

صاحبُ ملقٍ ونفاقٍ، إذا جفاكَ أو خاصمك استثارَ دفينَ حقدِه، واستخرجَ ضغائنَ صدرِه وتمنىٰ لك التلفَ والعطبَ. متقلبٌ متلونٌ، يعرفكُ في الرخاءِ، وينقلبُ عنك في الضراءِ. وصحبةٌ من لا يخافُ العارَ عارٌ. يقولُ عبدالله بن طاهرٍ: لا دواءَ لمن لا حياءَ له، ولا حياءَ لمن لا وفاءَ له، ولا وفاءَ لمن لا إخاءَ له. ومن أعجبته آراؤُه غلبتْه أعداؤُه. ومن كثرَ كلامُه كثرَ ملامُه.

وإذا ابتليتَ بمن لا خلاقَ له وثقلَ عليك بنفسِه، وغمَّك بحديثِه فأعرْه أذناً صماءَ، وعيناً عمياءَ. ومن سكتَ عن جاهلٍ فقد أوسعه جواباً وأوجعَه عتاباً. واعلم أنه لا راحةَ لحسودٍ، ولا إخاءَ لملولٍ ولا صداقةَ لسيءِ الخلقِ.

هذه حالُ الفريقين، وهذا مسلكُ النجدين وما أجملَ الحبَّ والصداقةَ وأحسنَ الصحبةِ حين يكونُ باعثُه بعدَ رباطِ العقيدةِ ما يلمسه كلُّ واحدٍ في صاحبِه من كمالِ النفسِ، وجمالِ الخلقِ ولطفِ الأدبِ.

في النظافة والتجمل

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المحمودِ بكلِّ لسان، واسعِ الفضلِ والإحسانِ، أحمده سبحانه وأشكرُه حمداً وشكراً تُنالُ به مواهبُ الرضوان. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ للثقلين الإنس والجانِّ، بلغ الرسالةِ وأضحَ المحجة حتى علا منارُ الحقِّ واستبان. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ذوي التقىٰ والإيمانِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فالسعيدُ من تدبر أمرَه، وأخذَ حذرَه، واستعد ليومٍ لا تنفعُ فيه عَبْرَةٌ.

أيها المسلمون: الإسلامُ دينُ الفطرةِ، تصلحُ له وتصلحُ به كلُّ الأزمنةِ وكلُّ الأمكنةِ. فهو دينُ العقيدةِ والشريعةِ، يعالجُ شؤونَ الحياةِ كلِّها في سلفيةٍ لا تتوقفُ عند عصرٍ بل تتجددُ لتعالجَ أوضاعَ كلِّ عصر، وتفتي في كلِّ شأنٍ، وتقضي في كلِّ أمرٍ.

دينٌ يجمعُ البشاشةَ في حياءٍ، وحسنَ الخلقِ في ابتسامةٍ، دينٌ يعترفُ بما للبشرِ من أشواقٍ قلبيةٍ، وحظوظٍ نفسيةٍ، وطبائعَ انسانيةٍ. لقد أقرَّ الدينُ ما تتطلَّبه الفطرةُ من سرورٍ وفرحٍ، ولباسٍ وزينةٍ، محاطٍ بسياجٍ من الأدبِ الرفيعِ يبلغُ بالمتعةِ كمالَها

ونقاءَها، وبالسرورِ غايتِه بعيداً عن الخنا والحرامِ، والظلمِ والعدوانِ، والغلِّ وإيغالِ الصدورِ.

ومتطلباتُ الفطرةِ هذه جاءت في دينِ الإسلام مصاحبةً ومرتبطةً وملازمةً للعنايةِ بإصلاح المعتقدِ وسلامةِ الباطنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ ـ ٥].

فتطهيرُ العقيدةِ وتنقيتُها من شوائبِ الشركِ والبدعِ والمعاصي مقرونةٌ بتطهيرِ الظاهرِ في بدنِ الإنسانِ وثوبِه وبقعتِه ليجمعَ المسلمُ بين النظافتين، ويحافظَ على الطهارتين.

فحين يجمِّل الدينُ بواطنَهم بالهدايةِ إلى الصراطِ المستقيمِ، فإنه يجمِّلُ ظواهرَهم في أحسنِ تقويم.

إذا كان ذلك كذلك ـ أيها الإخوة ـ فإن الأخذَ بالزينةِ، والقصدَ إلى التجملِ، والعنايةَ بالمظهرِ، والحرصَ على التنظفِ والتطهرِ من أصولِ الاصلاحِ الدينيةِ والمدنيةِ التي جاء بها دينُنا وتميَّزَ بها أتباعُه.

إن حبَّ الزينة والتزين من أقوى غرائزِ البشرِ الدافعةِ لهم إلى اظهارِ سننِ اللهِ في الخليقةِ.

ولقد امتن اللهُ على بني آدمَ كلِّهم بلبس الزينةِ حين قال عزَّ شأنُه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

يقولُ أهلُ العلم: خصَّ سبحانه الريشَ بالذكرِ لأنه ليس في أجناسِ الحيوانِ كالطيرِ في كثرةِ أنواعِ ريشِها، وبهجةِ مناظرِها،

وتعدُّدِ ألوانِها فهي جامعةٌ لجميع أنواعِ المنافعِ والزينةِ.

يقولُ الحافظُ ابنُ القيِّم رحمه اللهُ: ولمحبتِه سبحانَه للجمالِ أنزلَ على عبادِه الجماليَن اللباسَ والزينةَ تجملُ ظواهرَهم، والتقوىٰ تجملُ بواطنَهم، وقال في أهل الجنةِ: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الدهر: ١١ ـ ١٢] فجمَّل وجوهَم بالنضرةِ، وبواطنَهم بالسرور، وأبدانَهم بالحرير.

وفي خبرِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ: «**خمسٌ من الفطرةِ: الاستحدادُ، والختانُ، وقصُّ الشاربِ، ونتفُ الأَبطِ، وتقليمُ الأظافِر**» إنها الفطرةُ وسننُ المرسلين؛ اتفقت عليه الشرائعُ، ودعتْ إليها الدياناتُ. وتركُ ذلك وإهمالُه مُزْرٍ بالجسم، وتشبُّهٌ بالوحوشِ والسباعِ، بل تشبُّه بالكفارِ المبتعدين عن صحيحِ الفطرةِ وهدي المرسلين.

ومن أجلِ هذا أيها الإخوةُ فإنَّ الإسلامَ حريصٌ على أخذِ أبنائه بنظافةِ الحسِّ مع نظافةِ النفس، وصفاءِ القلبِ مع نقاءِ البدنِ، وسلامةِ الصدرِ مع سلامةِ الجَسدِ، فاللهُ يحبُّ المطَّهرين ويحبُّ المتطهرين.

أيها الإخوةُ: المسلمون هم الذين نشروا النظافةَ والتنظيفِ في أصقاعِ الدنيا حيثما حلُّوا وأينما وُجدوا مما لم تعرفْه الأممُ السابقةُ قبلهم.

إن من يقرأُ تاريخَ الأمم والملل يعلمُ أن أكثرَ البشرِ يعيشون كما تعيشُ الوحوشُ في جزائرِ البحارِ، وكهوفِ الجبالِ، وأكواخِ الأدغالِ، كلُّهم أو جلُّهم يعيشون عراةً أو شبَه عراةً الرجالُ منهم والنساءُ.

وما دخلَ الإسلامُ بيئةً ولا بيتاً إلا وعلَّمهم حسنَ اللباس، وجمالَ االسَّترِ، ونظافةَ البدنِ، وطهارةَ المسلكِ بالايجابِ تَارةً وبالاستحبابِ أخريٰ نقلهم من الوحشيةِ الفاحشةِ إلى الحضارةِ الراقيةِ.

وهذا الحديثُ لا يخصُّ العصورَ الغابرةَ بل إنكَ وبكلِّ ثقةٍ وأسىٰ لا ترىٰ أمكنةً أو أزمنةً انطمستْ فيها آثارُ النبوةِ إلا ويتجلىٰ فيها صورُ الجهلِ والظلمِ، والكفرِ بالخالقِ، والشركِ بالمخلوقِ، واستحسانِ القبائحِ، وفسادِ العقائدِ، وانحرافِ السلوكِ وما خليت ديارٌ من هدي النبوةِ إلا وكان أهلُها أشبه بالبهائمِ يتهارشون في الطرقاتِ، ويتعاملون كالعجماواتِ، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، ولا يتورعون عن قبيحٍ، ولا يهتدون إلى سبيلٍ. وشواهدُ ذلك في عصركم هذا تَجِلُّ عنِ الحصرِ والعدِّ.

إن المسلمين نماذجُ رائعةٌ للطهرِ والجمالِ عندما ينفِّذون تعاليمَ دينِهم في أبدانِهم وبيوتِهم وطرقِهم ومدنِهم. ومساكينُ بعضُ المنتسبين إلى الإسلامِ ممن يولُّون وجوهَهم شطرَ نظمٍ وتقاليدٍ وعاداتٍ يُعجبون بها وهي لغيرِهم، يتشبثون بها وعندهم خيرٌ منها، في دينِهم والله ما هو أزكىٰ وأتقىٰ وأعلىٰ وأنقىٰ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

أيها الإخوةُ: وهذا استعراضٌ لبعضِ مظاهرِ الطهرِ والنقاءِ والجمالِ والزينةِ في توجيهاتِ الإسلامِ، وسلوكِ المسلمين المتمسكين؛ الطَّهُّورُ شطرُ الإيمان. والصلاةُ أهمُّ فرائضِ الإسلامِ بعد الشهادتين شُرع لها التطهرُ من الحدثِ، والتنظفُ من القذرِ

والنجسِ. والوضوءُ على الوضوءِ نورٌ على نورٍ، مع مطلوباتٍ من الوضوءِ أخرىٰ للنومِ والعباداتِ الطارئةِ كالجنازةِ والخسوفِ والكسوفِ وسجودِ التلاوةِ والعيدين وغير ذلك.

إنها الصلواتُ الخمسُ تنظفُ الباطنَ وتنهىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ، وضوؤُها ينظفُ الظاهرَ؛ «**أرأيتم لو كان باب أحدكم على نهر جار يغتسل منه خمس مرات أيبقى من درنه شيء..**»[1].

وغسلُ الجمعةِ واجبٌ على كلِّ محتلمٍ[2]. «**لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجمعةِ ويتطهرُ ما استطاعَ من طهرٍ ويدَّهنُ من دهنِه ويمسُّ من طيب بيتِه ثم يخرجُ فلا يفرقُ بين اثنين ثم يصلى ما كُتبَ له ثم يُنصتُ إذا تكلمَ الإمامُ إلا غُفر لهَ ما بينه وبين الجمعةِ الأخرىٰ**»[3] بهذا جاء الخبر عن رسولِ اللهِ ﷺ.

والتطهرُ المأمورُ به ليس مقصوراً على المجامع ومجالس الناس ولكنه مطلوبٌ في جميعِ الأحوالِ حتى إذا قعدَ المرءُ في بيتِه أو ذهبَ إلى فراشِه، فقد جاءَ في الخبرِ مرفوعاً: «**طهروا الأجسادَ طهركم اللهُ فإنه ليس عبدٌ يبيتُ طاهراً إلا باتَ معه في شعارِه ملكٌ لا ينقلبُ ساعةَ من الليلِ إلا قال: اللهم اغفرْ لعبدك**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٢/ ١٤، ١٥ ـ ح٥٢٨)، ومسلم (١/ ٤٦٢ ـ ح٦٦٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (٢/ ٤١٥ ـ ح٨٧٩)، ومسلم (٢/ ٥٨٠ ـ ح٨٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٤٣٠ ـ ح٨٨٣).

فإنه باتَ طاهراً»[1] رواه الطبراني بسندٍ جيدٍ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي خبرٍ آخرَ عند أبي داودَ: «**ما من مسلمٍ يبتُ طاهراً: فيتعارَّ من الليلِ أي يستيقظُ ـ فيسألُ اللهَ خيراً من أمرِ الدنيا والآخرة إلا أعطاه اللهُ إياه**»[2].

وإمةُ محمدٍ ﷺ تُعرفُ يومَ القيامةِ بين الأممِ بغرَّتها وتحجيلِها من آثارِ الوضوءِ. والسواكُ مطهرةٌ للفمِ مرضاةٌ للربِّ، وقصُّ الشاربِ وحلقه من التجملِ، ومن كان لهَ شعرٌ فليكرمْه، بالغَسْلِ والدَّهنِ والترجيلِ والتطييبِ. وقد رأى رسولُ اللهِ ﷺ رجلاً شعْثاً رأسُه قد تفرَّقَ شعرُه فقال: «**أما كان يجدُ ما يسكِّن شعرَه؟**»[3].

وقصُّ الأظافرِ، وغسلُ البراجمِ وهي مفاصلُ الأصابعِ، ونتفُ شعرِ الأبطِ، وحلقُ العانةِ، واجتنابُ الروائحِ الكريهةِ من الثومِ والكراتِ والبصلِ. والإنسانُ قد يحتملُ من غيرَه ألواناً من الأذىٰ ولكنه لا يصبرُ على الرائحةِ المنتنةِ تنبعثُ من فمٍ أو عرَقٍ أو غيرِهما. ويتأكدُ ذلك في المساجدِ التي يؤمُّها المسلمون للطاعةِ وذكرِ اللهِ والصلاةِ، وكيف تخشعُ نفسٌ مهتاجةٌ مضطربةٌ تعرَّضتْ للأذىٰ، وتعكرَ عليها صفوُ مناجاةِ الربِّ؟ وانقطعتْ من لذةِ التضرعِ والتذللِ؟؟ ومن المستكره فتحُ الفمِ عند التثاؤبِ لما في ذلك من قبحِ المنظرِ وقلةِ الذوقِ وايذاءِ الجليسِ وسرورِ الشيطانِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط واسناده حسن انظر مجمع الزوائد (١/ ١٢٨).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ٣١٠ ـ ح٥٠٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٤).

(٣) أخرجه أبوداود (٤/ ٥١ ـ ح٤٠٦٢)، والنسائي (٨/ ١٨٣)، وأحمد (٣/ ٣٥٧).

وفي مقابلِ ذلك جاءَ الحرصُ على الطيبِ والحثِّ على التطيبِ، ونبيُّكم محمدٌ ﷺ يحبُّ الطيبَ ويُكثرُ من التطيبِ.

وغطوا الإناءَ، وأوكئوا السقاءَ، واجتنبوا الجُشاءَ، ولا تشربْ من فمِ السقاءِ ولا تتنفسْ في الإناءِ ولا تنفخْ فيه.

والتنظفُ من بقايا الطعامِ وفضلاتِه في الأيدي والأفواهِ والأسنانِ مندوبٌ إليه. وشربَ نبيُّكم محمدٌ ﷺ لبناً ثم تمضمضَ وقال: «**إن له دسماً**»(١).

والتطهرُ والتنظفُ يمتد من الأبدانِ إلى البيوتِ والطرقاتِ والمساجدِ ومجامع الناس؛ ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] «**وإماطةُ الأذىٰ عن الطريقِ صدقةٌ**»(٢).

ومن الدقةِ في التعاليم رعايةُ سُبُلِ الوقايةِ المحكمةِ في آدابِ قضاءِ الحاجةِ لا يتلوثُ بها ماءٌ، ولا يتنجسُ بها طريقٌ أو مستظلٌ، فقد جاء «**النهي عن البولِ في الماء الدائم**»(٣) وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**اتقوا الملاعنَ الثلاثةِ البرازَ في الموارِدِ وقارعةِ الطريقِ والظلِّ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٧٤ ـ ح٢١١، ١٠/ ٧٣ ـ ح٥٦٠٩)، ومسلم (١/ ٢٧٤ ـ ح٣٥٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٥٤ ـ ٢٩٨٩)، ومسلم (٢/ ٦٩٩ ـ ح١٠٠٩).
(٣) أخرجه البخاري(١/ ٤١٢ـ ح٢٣٩)،ومسلم(١/ ٢٣٥ـ ح٢٨١، ٢٨٢).
(٤) أخرجه أبوداود (١/ ٧ ـ ح٢٦)، وابن ماجه (١/ ١١٩ ـ ح٣٢٨) وسنده =

أما حسنُ الملبس وجمالُ الهندام فمطلوبٌ قدرَ الاستطاعةِ وحسبُ الوجْدُ. عن الأحوصِ الجُشَمي قال: رآني النبيُّ ﷺ وعلي أطمارٌ ـ أي ثيابٌ باليةٌ ـ فقال: «**هل لك من مالٍ؟** قلت: نعم. قال: **ومن أيِّ المالِ؟** قلت: من كلِّ ما أتىٰ اللهُ من الإبلِ والشاءِ. قال: **فَلْتُرَ نعمتُه وكرامتُه عليك؛ فهو سبحانه يحبُّ ظهورَ أثرَ نعمتِه على عبدِه**»(١).

وكما قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يدخلُ الجنةَ من كان في قلبِه مثقالُ ذرةٍ من كبرٍ؛ فقال رجلٌ**: إن الرجلَ يحبُّ أن يكونَ ثوبُه حسناً ونعلُهُ حسنةً؛ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: **إن الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ. الكبرُ بطَرُ الحقِّ وغمطُ الناسِ**»(٢).

وفي الناسِ أجلافٌ يظنون أن قصدَ الزينةِ تصنُّعٌ. فيردُّ عليهم ابنُ الجوزيِّ بقوله: وهذا ليس بشيءٍ فإن اللهَ تعالىٰ زيَّننا لما خلَقَنا لأن للعين حظاً من النظرِ، قال: وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ انظفَ الناسِ وأطيبَ الناس، وكان لا يفارقه السواكُ، ويكره أن يشمَّ منه ريحٌ ليست طيبةً. فهو عليه الصلاةُ والسلامُ كاملٌ في العلمِ والعملِ فبه يكون الاقتداءِ وهو الحجةُ على الخلقِ.

بل إن بعضَ الجهالِ يحسبون فوضىٰ اللباس واهمالَ الهيئةِ والتبذلِ المستكرهِ ضرباً من العبادةِ، وربما اَرتَدَوْا المرقعاتِ

= ضعيف، وأحمد (١/ ٢٩٩).

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٥١ ـ ح٤٠٦٣)، والنسائي (٨/ ١٨١)، وأحمد (٣/ ٤٧٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٩٣ ـ ح٩١).

والثيابِ المهملاتِ وهم على خيرٍ منها قادرون ليظهروا زهدَهم في الدنيا وحبَّهم للأخرىٰ، وهذا جهلٌ وخروجٌ عن الجادةِ. إنه لا يطيقُ الروائحَ الكريهةَ والأقذارَ المستنكرةَ إلا ناقصُ الفطرةِ وجمالِ الأدبِ.

وإنما لبسَ المرقَّع مَنْ لبَسه من السلفِ الصالح لاستدامةِ الانتفاعِ به؛ يوضحُ ذلك ويُجِّليه الإمامُ أبوبكر بنُ العَربيِّ رحمه الله حيث يقول: وما حُكي عن عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه من أنه كان يرقِّع ثيابَه إنما يفعلُه لا ستدامةِ الانتفاعِ به، وذلك شعارُ الصالحين حتى اتخذه المتصوفةُ شعاراً فجعلتْه في الجديد، وليس بسنةٍ بل هو بدعةٌ عظيمةٌ، وإنما المقصودُ من الرقْعِ هو الانتفاعُ بالثوبِ.

أيها الإخوةُ: ومن دقَّقَ النظرَ في طبائعِ النفوسِ وأخلاقِ البشرِ رأى بين طهارةِ الظاهرِ وطهارةِ الباطنِ وطهارةِ الجسدِ واللباسِ وطهارةِ النفسِ وكرامتِها ارتباطاً وثيقاً وتلازماً بيِّناً.

نعم إن هناك تلازماً بين شرعِ اللهِ اللباسَ للسترِ والزينةِ وبين تقوىٰ اللهِ في النفوسِ فكلاهما لباسٌ. فالتقوىٰ لباسٌ يسترُ عوراتِ القلوبِ ويزيِّنها والثيابُ تسترُ عوراتِ الجسمِ وتزيِّنُها.

من تقوى الله ينبعُ الحياءُ الذي يُنبتُ الشعورَ باستقباحِ عريِّ الجسدِ والحياءِ منه، ومن لا يستحي من اللهِ ولا يتقيه فلا يكترثْ أن يتعرَّىٰ أو يدعو إلى التعرِّي.

ومن أجلِ هذا أيها الإخوةُ فإن سترَ الجسدِ ليس مجردَ أعرافٍ وتقاليدَ كما يزعمُ الماديون الهادمون لأسوارِ العفةِ والفضيلةِ

ولكنها فطرةُ اللهِ التي فطرَ الخلقَ عليها وشريعتُه التي أنزلها وكرَّم بني آدمَ بها.

وبعدُ أيها الإخوةُ: فعنايةُ الإسلامِ بالنظافةِ والتجملِ والصحةِ والتطهرِ جزءٌ من عنايته بقوةِ المسلم. إن المطلوبَ أجسامٌ تجري في عروقِها دماءُ العافيةِ، وتمتلىءُ أبدانُ أصحابها قوةً وفتوةً، فالأجسامُ المهزولةُ لا تطيقُ حِملاً، والأيدي القذرةُ غيرُ المتوضئةِ لا تقدمُ خيراً، ورسالةُ الإسلامِ أوسع في أهدافِها وأصلبُ في كيانِها من أن تحيا في أمةٍ مريضةٍ موبوءةٍ عاجزةٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف: ٣١ ـ ٣٢].

في النظافة والزينة والتجمل

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المتفردِ بالعزةِ والجلالِ، المتنزه عن الأندادِ والأمثالِ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه فهو جميلٌ يحبُّ الجمالَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جاء بالشريعةِ السمحةِ، ورَفع عنا ربُّه ببعثتِه الآصارَ والأغلالَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآل والتابعين ومن تبعهم بإحسان في الأقوالِ والأفعالِ.

أما بعد.

أيها المسلمون: إن الأناقةَ من غيرِ سرفٍ، والتجملَ في غيرِ تكلُّفٍ من آدابِ الإسلامِ وتوجيهاتِه. إنه الإسلامُ الذي ينشدُ لبنيه علوَّ المنزلةِ وجمالَ الهيئةِ. ليكونوا في الناس كالشامةِ البيضاءِ.

غير أنه ليس من الإسلامِ الركضُ إلى أسبابِ الزينةِ بغيرِ عنان، وملأ اليدِ منها بغيرِ ميزان. إن من يطلقُ يدَه في الإنفاقِ في الزينةِ ولذائذِ النفسِ ويتجاوزُ بالإنفاقِ المعتادِ من أمثاله قلَّ نصيبُه من البذلِ في وجوهِ الخيرِ ذلك أن النفوسَ المبتلاةَ بحبِّ الزينةِ المفرطةِ ولذائذِ الأجسامِ لا تقفُ عند حدٍّ، وكلما أدركتْ منزلةً تشوَّفتْ إلى ما فوقِها؛ كما جاء في الخبرِ الصحيحِ عنه ﷺ:

«إن هذا المالَ حلوٌ من أخذه بحقِّه ووضعه في حقِّه فنعمَ المعونةُ، وإن أخذه بغيرِ حقِّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبعُ»[1] .

وسأل رجلٌ عبدالله بن عمرَ رضي الله عنهما: ما ألبسُ من الثيابِ؟ قال: ما لا يزدريك فيه السفهاءُ، ولا يعيبُك به الحكماءُ.

إذا كان الأمرُ كذلك ـ أيها الإخوةُ ـ فليس من زينةِ الرجالِ بل من الممنوعِ المحرمِ حلقُ اللحىٰ، ولبسُ الحريرِ، والتختمُ بالذهبِ، وإسبالُ الثيابِ؛ فما أسفلَ من الكعبين ففي النار. وليس من المقبول بل من الممنوع تبرجُ النساءِ بزينةٍ كاسياتٍ عارياتٍ مائلاتٍ مميلاتٍ، وفي الجملة فإن السلفَ كانوا يكرهون الشهرةَ من الثيابِ العالي منها والمنخفض. وثوبُ الشهرةُ العالي ما قُصد به الاختيالُ والتعالي والفخرُ والمباهاةُ، والمنخفضُ القصدُ إلى الرديءِ والمبتذلِ مع القدرةِ على ما هو خيرٌ منه امتناعاً عما أباحَ الله بزعمِ التزهدِ والتعبدِ، ودينُ اللهِ الوسطُ، والرفيعُ من اللباسِ ممدوحٌ إذا كان تجملاً واظهاراً للنعمةِ.

وبعدُ أيها الإخوةُ: فحسبُ الناسِ من القذرِ والكدرِ هذا التدخين المحرم الذي ابتليت به طوائفُ من الناسِ فيسيءُ هذا المبتلىٰ ويؤذي بما ينفخُ من دخانٍ وينفثُ من رائحةٍ تخنقُ الأنفاسَ وتُفسِدُ الأجواءَ وتلوِّثُ المجالسَ، وهو بلاءٌ ماحقٌ في المكاتبِ والمتاجرِ والمراكبِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٢٤٨ ـ ح٦٤٢٧) واللفظ له، ومسلم (٢/٧٢٧ ـ ح١٠٥٢).

وإنه لشاهدٌ على أن الفردَ والأمةَ حين تبتعدُ عن آثارِ النبوةِ تفقدُ الأدبَ الرفيعَ والذوقَ السليمَ والإحساسَ الرقيقَ والتصرفَ المهذبَ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم الله والزموا هدي دينكم واسلكوا مسلكَ العدلِ والوسطِ.

الاسراف والتبذير داء خطير

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له. وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه؛ بعثه بين يدي الساعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنِه وسراجاً منيراً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فإن تقواه وقايةٌ من عذابه، واحذروا سخطَه ومعاصيَه فإنها موجباتُ غضبِه وأليمِ عقابِه.

أيها المسلمون: تبلغُ الأمةُ الأفقَ الأعلىٰ من السيادةِ، والرتبةَ الأسمىٰ من العزةِ حين تحفظُ دينَها وتتسعْ علومُها ومعارفُها وتسمو أخلاقَها، وتصانُ أعراضُها، وتجتمعُ كلمتُها.

وقد دلتْ سنةُ اللهِ على أن من أهمِّ ما تملكُ به الأمةُ هذه العزةَ، وتحفظُ به هذه السيادةَ وتُحقِّقُ به هذه الغايةَ قوةَ اقتصادِها، وحسنَ انفاقِها، وعمرانَ بيتِ مالِها.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥] سبحان الله: الأموالُ ملكُ السفهاءِ، وحفظُها مسؤوليةُ الأمةِ، وغايتُها قيامُ الناسِ واستقامةُ أحوالِهم.

إن الاقتصادَ وحسنَ الانفاقِ له أثره البالغُ في مكانةِ الأمةِ، وحفظِ أهدافِها، وتحقيقِ غاياتِها.

وفي هذا الصددِ فإن في توجيهاتِ كتابِ ربِّنا وارشاداتِ سنةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ طائفةً من الوصايا والآدابِ والأحكامِ قصَدتْ إلى تنظيمِ شؤونِ المسلمِ البدنيةِ والنفسيةِ، ووضعِها على أساسٍ كريمٍ. آدابٌ وتوجيهاتٌ وأحكامٌ تتعلقُ بمطعمِه وملبسِه ومسكنِه ومركبِه وسائرِ ما يتعلق برغباتِه وآمالِه، تلك الرغباتُ والآمالُ التي يسعىٰ إليها في حياتِه ومعاشِه. في مسلكٍ وسطٍ، ومنهجٍ عدلٍ لا يجنحُ إلى رهبانيةٍ مغرقةٍ، ولا إلى ماديةٍ بهيميةٍ جشعةٍ.

إن الإسلامَ يقرنُ بين مطالبِ الجسمِ والنفسِ، والعاطفةِ العقلِ ويكفُّ طغيانَ جانبٍ منها على آخرَ. هذا التنسيقُ والتناسقُ عونٌ للمرءِ على آداءِ رسالتِه في هذه الحياةِ.

ينضمُّ إلى ذلك ما جَبلَ اللهُ عليه خلقَه من طبائعَ وصفاتٍ تقاسموها على حسبِ اختلافِ بيئاتِهم، وطرقِ تربيتِهم، وأطوارِ حياتِهم، وأحوالِ دهرِهم، ففي الإنسانِ رحمةٌ وقسوةٌ، وفيه غيرةٌ وخنوعٌ، وحبٌّ وبغضٌ، وفيه ميولٌ للشهواتِ والرغائبِ. فيه جبلَّةُ الخوفِ من الحاجةِ والفقرِ على نفسِه وذريتِه الضعافِ منهم والصغارِ. كلُّ ذلك بواعثُ تنشىءُ عنده حبَّ المالِ في جمعِه والحرصَ عليه في حفظِه، كما أنها بواعثُ على بذلِ المالِ

في الوصولِ إلى الرغباتِ والمشتهياتِ الحسيةِ منها والمعنويةِ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٦ ـ ٨].

أيها الإخوةُ: وهذا حديثٌ عن مسلكٍ من مسالكِ الإنسانِ في المالِ خاطىءٌ، تولىٰ القرآنُ الكريمُ الحديثَ عنه وعن أهلِه، بيَّنه وفضحَ الغارقين فيه، ودلَّ على آثارِه، وجزاءِ المنغمسين فيه، والمقصرين في علاجِه.

إنه الإسرافُ والتبذيرُ وما يتولدُ عنهما من ترفٍ وليونةٍ رخيصةٍ، فاللهُ لا يحبُّ المسرفين، والمبذرون كانوا إخوانَ الشياطين، وكان الشيطانُ لربِّه كفوراً.

كم حَدَّثَ التاريخ عن بيوتٍ عامرةٍ أسَّسها آباءُ مقتدرون، أشادوها بما يليقُ من المرافقِ، وأنشأوا حولها ولها ما يقيمُها من المزارعِ والمصانعِ والعقارِ والمتاجرِ، ثم صارتْ إلى أبناءَ وأخلافٍ غلبَ عليهم الإسرافُ فأطلقوا لشهواتِهم العنانَ حتى أفسدوا وأتلفوا ما أباؤُهم أورثوا وخلَّفوا، فتقوضتْ تلك البيوتُ والتحقَ هؤلاءِ الأخلافُ بطبقاتِ المُعدَمين الذي لا يجدون ما ينفقون. وإذا وقعَ الرجلُ في الفقرِ بعد اليسارِ تجرَّعَ مرارةَ الهوانِ وغصَّ بحسراتِ الندم، وتجلىٰ فيه قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

كم خربتْ بيوتٌ عامرةٌ تحكمَّتْ فيها نساءٌ وأشباهُ نساءٍ في حليٍّ وحُللٍ، يتكلفون ما لايطيقون، وينافسون على ما لا يقدرون.

أيها الإخوةُ: الإسرافُ داءٌ قتَّالٌ يُنْبتُ أخلاقاً مرذولةً، ويهدمُ بيوتاً عامرةً. الجبنُ والظلمُ من آثارِه، وقلةُ الأمانةِ من نتائجِه والإمساكُ عن البذلِ في وجوهِ الخيرِ من صنائعِه. تُمسخُ به الفطرةُ، وتفسدُ به الأمزجةُ، وتختلُّ به الأذواقُ، وتهتزُّ به القيمُ والموازينُ. الإسرافُ يورثُ الجبنَ لأن تعلَّقَ النفسِ بمشتهياتِها، وإسرافَها على نفسِها في زينتِها ولذيذِ عيشِها يقوِّي حرصِها على الحياةِ وكراهيتَها للموتِ، ومِنْ ثَمَّ فإنها تَجْتنبُ مواقفَ الشرفِ والذودِ عن النفس، ومواطنَ الكرمِ والمروءةِ. من احتفَّتْ به ملاذُّ العيشِ وأطلقَ لَنفسِه العنانَ في رغائبِها، اشتدتْ عليه كراهيةُ الموتِ، وتجنبَ خوضَ غمارِ موارِدِ العزةِ والأنفةِ.

النفسُ المحفوفةُ بألوانِ المطاعم، ووثيرِ الرياشِ والمراكبِ يضعفُ طموحُها وتتبلدُ عبقريتُها. الطموحُ والعبقريةُ لا يُدركان إلا باحتمالِ المكارِه واقتحامِ الأخطارِ. والمسرفُ ضعيفُ العزيمةِ واهنُ القوةِ لا يصمدُ أمامَ الشدائدِ منهمكٌ في فنونِ المتاعِ الرخيصِ.

الإسرافِ يسلكُ بصاحبِه مسالكَ الظلمِ والجورِ والخيانةِ لأن المستسلمَ لشهواتِه يحرصُ على الكسبِ لَيُشبعَ سعارَ رغباتِه فلا يبالي أن يأخذَ من طريقٍ غير مشروعةٍ، يمدُّ يدَه على حقوقِ غيرِه بطرقِ الرشوةِ والغصبِ والاختلاسِ، ولا يعفُّ أو يكفُّ عن طرقِ أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ.

الإسرافُ يمسكُ بأيدي أصحابِه عن فعلِ الخيرِ وبذلِ المعروفِ لقد أخذ الإسرافُ بمجامعِ بطنِه وقلبِه، همُّه جمعُ المالِ وانفاقُه

في ما لذَّ من مأكولٍ وملبوسٍ ومركوبٍ ورياشٍ. إن غالبَ أهلِ الإسرافِ تأبىٰ أيديهم أنْ تُبسَطَ في إسعادِ ذوي الحاجاتِ والفقرِ والنكباتِ. لا يسارعونَ إلى مروءةٍ، ولا يُسعفون في أُخوَّةٍ. لا يُهمُّهم أن يكونَ لهم في الناس ذكرٌ جميلٌ. ومن ثمَّ تنقطعُ صلةُ التعاطفِ والتوادِّ بين كثيرٍ من أفرادِ الأمةِ.

بل لقد نبَّه المجرِّبون إلى أن للإسرافِ أثراً كبيراً في إهمالِ النصيحةِ، والدعوةِ إلى الحقِّ، وحبِّ الناصحين. ولقد قال اللهُ في فرعون: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ الدخان: ٣١]. قال المجرِّبون: إن من اعتادَ التقلبَ في الزينةِ وألفَ العيشَ الرضيَّ يغلبُ عليه الحرصُ على هذه الحالِ فيتحاشىٰ المواقفَ التي تفوِّتُ عليه بعضَ لذائذِه، فيسكتُ عن حقٍّ، ويتغاضىٰ عن باطلٍ، وتثقلُ عليه مجالسُ الناصحين الأخيار.

أما ضررُه على الصحةِ فمن الجليِّ البينِ؛ فالمسرفُ في مأكلِه وألوانِ مطاعمِه تنحرفُ صحتُه ويعتلُّ بدنُه، ففي كثرةِ الأكلِ اكتظاظُ المعدةِ، ونتنُ التخمةِ، ومنبتُ الأمراضِ. وأفضلُ الدواءِ تقديرُ الغذاءِ. وصدق نبيُّنا محمدٌ ﷺ: «**ما ملأ بنُ آدمَ وعاءً شراً من بطنٍ**»[1]. وكم أكلةٍ منعتْ أكلاتٍ، وجاءَ في الخبرِ: «**من الإسرافِ أن تأكلَ كلَ ما اشتهيت**»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٠٩ ـ ح٢٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٤/ ١٣٢)، وابن ماجه (٢/ ١١١١ ـ ح٣٣٤٩)، والحاكم (٤/ ١٢١) وسكت عنه وصححه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١١١٢ ـ ح٣٣٥٢) وقال محققه في الزوائد: هذا اسناده ضعيف. لأن نوح بن ذكوان متفق على تضعيفِه. وقال الدميري: =

والحديثُ عن الإسرافِ في الأكلِ يمتدُّ إلى مظاهر البذخِ في الأفراحِ والمناسباتِ؛ إسرافٌ في ألوانِ الحفلاتِ، وصنوفِ الموائدِ؛ رئاءَ الناس، ونشدانَ الظهورِ والسمعةِ والمنافساتِ غيرِ الشريفةِ. غلوٌ وغفلةٌ، ولهوٌ وطربٌ، وغناءٌ ورقصٌ، وخلاعةٌ وملاهي، واستعمالٌ غيرُ مشروعٍ للذهبِ والفضةِ وملابسِ الحريرِ، وأنواعٌ من الحللِ والحليِّ.

ومن أجلِ المزيدِ من البسطِ في هذا الشأنِ؛ فهذه وقفةٌ مع صورةٍ ــ من بدعِ هذا العصرِ، وصورةٍ جليةٍ من ماديته المسرفةِ. إنها سوقُ الأزياءِ ودُورُها وأدواتِ التجميلِ وصُنَّاعِها. إن العقلاءَ الذي يقدِّرون ثرواتِ الأمةِ ويخافون عليها وعلى الأمةِ ليشكون من إطلاقِ بعض الناسِ أيديَهم في إنفاقٍ باذخٍ؛ مظاهرُ إسرافٍ تقامُ على غيرِ حكمةٍ وَحُسنِ تقديرٍ، وتَستنزِفُ من الأموالِ ما لا يجرُّ لصاحبِه حمداً، بل إنه ليسوقُ إليه ذماً أو إثماً. مَنْ الذي يقبَعُ وراءَ بيوتِ الأزياءِ؟؟ موجاتٌ مسعورةٌ في كلِّ مكانٍ؟؟ أيُّ إسرافٍ واستسلامٍ وخضوعٍ وانقيادٍ لهذه الدورِ والبيوتِ؟؟ استهلاكٌ مُشينٌ في الأقمشةِ والحليِّ والحللِ، والمصنوعاتِ والمصوغاتِ. قائمةٍ على هذا السعارِ المجنونِ.

ناهيكَ بمن يُسرفون في ملابسَ عاريةٍ وشبهِ عاريةٍ، لقد طافَ أهلُ الجاهليةِ الأولىٰ ببيتِ الله المَحرمِ عراةً زعموا فيها تديناً لله وقربةً. وهاهم أبناءُ حضارةِ اليومِ يتعرون بغالي الأثمانِ ويسمون ذلك رقياً وتقدماً وحضارةً ومدنيةً. ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ

= هذا الحديث مما أنكر عليه.

كُلِّ مَسْجِدٍ . . ﴾ [الأعراف: ٣١].

أرأيتَ كيفَ يمسخُ الإسرافُ الأذواقَ، ويُفسدُ القيمَ، ويذيبُ الأخلاقَ حتى جعلَ شبهَ العُريِّ تقدماً، والحشمةَ رجعيةً وتخلفاً؟؟؟.

لقد تأذىٰ الشرفاءُ وأُزعجَ الكرماءُ، لقد جيء إليهم ببدعٍ من الأمثالِ والأفكارِ؛ ثيابٌ للصيفِ وثيابٌ للخريفِ وملابسُ للشتاءِ وأخرى للربيعِ وما يُلبسُ في الليلِ لا يصلحُ عندهم في النهارِ بل وما يلبسُ في الأصيلِ لا يليقُ بالسمَرِ.

وهذا وربِّك شططٌ سَمْجٌ وإسرافٌ ممقوتٌ فرضتْه مجتمعاتٌ لا يرجون اللهَ ولا اليومَ الآخرَ. إنه هَوَسٌ يبرأُ منه العقلاءُ والأتقياءُ.

أيُّ إسرافٍ؟ وأيُّ ترفٍ؟ حين ترىٰ فتياناً وفتياتٍ يُدَّخرون للمستقبلِ، وتَعقِدُ عليهم الأمةُ آمالَها لا همَّ للواحدِ منهم إلا أن يجعلَ من نفسِه معرضَ أزياءَ يسيرُ بين الناسِ؛ يسرفُ في مالِه ووقتِه ليُمضيَ الساعاتِ الطوالَ أمامَ المرآةِ ليستكملَ وجاهتَه ويطمئنَّ إلى أناقتِه.

هلاَّ بذلَ وقتَه وصرفَ جهدَه ووجَّه همَّتَه لزيادةٍ في علمٍ وفقهٍ في دينٍ وكسبٍ في عملٍ لدنياه وآخرتِه. ومتى كان اتساقُ الملابسِ على الأجسامِ شارةَ الكمالِ وعُنوانَ الرجولةِ؟؟.

شبابٌ أغرارٌ أسرفوا على أنفسِهم؟؟ هل قلَّتْ حظوظُهم من أدبِ النفسِ فلجأوا إلى مغالاةٍ في اللباسِ والمركبِ ليستروا نقصَهم ويدفنوا عوارَهم؟؟ ولكن هيهاتَ فمقاييسُ الكمالِ عند العقلاءِ جليةٌ لا تخفىٰ؟؟.

أيُّها الإخوةُ: إن كلَّ ذلك بصورهِ وألوانِه إسرافٌ ممقوتٌ يزيدُ المبتلىٰ به انهماكاً في المحقَّراتِ والسفاسفِ. وفراراً من التكاليفِ، ونكوصاً عن الجدِّ.

شبعتْ بطونُهم، وغلُظتْ أكبادُهم، وجَمَحتْ شهواتُهم.

إن ملذاتِ الطعامِ وحطامَ الدنيا أنزلُ قدراً من أن يتفانىٰ في طِلابِها من له عقلٌ ومروءةٌ على هذا النحوِ الشائنِ.

وماذا بعدُ أيها الأخوةُ؟؟ إن بعد ذلك النتيجةُ المخيفةُ والوعيدُ القرآنيُّ الرهيبُ؟؟.

إن النهيَ عن الإسرافِ قُصِدَ به حمايةُ الأمةِ وأفرادِها من الليونةِ المفرطةِ والاسترسالِ في المُتَعِ الرخيصةِ مما يستدرجُ في العادةِ الانحدارَ في الرذائلِ والمحرماتِ، ويصرفُ عن حياةِ الجدِّ والجهادِ والبذلِ والتضحيةِ، كما قُصدَ به حفظُ الأموالِ التي بها قيامُ الناسِ واستقامةُ معاشِهم. ومن أجلِ ذلك فكما أن الفردَ مسؤولٌ ومحاسبٌ عن إسرافِه وترفِه فإن الأمةَ مسؤولةٌ عن هذه الظاهرةِ وفشوِّها. إن هذا الداءَ إذا استشرىٰ فهو وباءٌ اجتماعيٌّ يقودُ إلى فسادٍ عريضٍ تجبُ مقاومتُه ومنعُه، والتبصرُ بمخاطرِه وسيءِ آثارِه. إنها إذا لم تفعلْ حقتْ عليها كلمةُ اللهِ وأحاطَ بها وعيدُ القرآنِ جزاءً وفاقاً: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٨].

وليزدادَ الأمرُ في ذلك وضوحاً وجلاءً فلتعلموا أيُّها الإخوةُ: أن المسرفين المترفين في العادةِ هم أشدُّ الناسِ استغراقاً في

الاستمتاعِ، وذهولاً عن المصيرِ. مترفون مسرفون يجدون المالَ ويجدونَ الخدمَ ويجدونَ الراحةَ فينعمون بالدعةِ والخمولِ حتى تترهلَ نفوسُهم، وترتعَ في الفسقِ والمجانةِ حياتُهم، وتستهترَ بالقيمِ والكراماتِ سلوكياتُهم. إذا لم يوجدْ من يأخذُ على أيديهم عاثواَ في الأرضِ فساداً، ونشروا الفواحشَ، وأشاعوا الموبقاتِ وأرخصوا القيمَ العليا التي لا تعيشُ الأممُ إلا بها ومن ثمَّ تتحللُ الأممُ وتسترخي وتفقدُ حيويَّتَها وعناصرَ قوتِها وأسبابَ بقائِها فتهلِكَ وتُطوىٰ صفحتُها وهذا من سننِ الله؛ مصداقُ ذلك في كتابِ الله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

إذا كان ذلك كذلك أيها الإخوةُ فمن المتعينِ على ولاةِ أمورِ المسلمين وأهلِ العلمِ والصلاحِ والوجهاءِ والأعيانِ وذوي الأثرِ والقدوةِ في الناسِ وأصحابِ الفكرِ والقلمِ أن تتضافرَ جهودُهم، وتتعاضدَ توجُّهاتُهم على المجاهدةِ في هذا السبيلِ حتى يبتعدَ الواقعون في الإسرافِ عن إسرافِهم، ويسلكوا طريقَ القصدِ ونهجَ العدلِ حفاظاً على الدينِ والمروءةِ وثرواتِ الأمةِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٦ ـ ١١٧].

الاسراف والتبذير داء خطير

الخطبة الثانية

الحمد لله على احسانه، والشكرُ له على توفيقهِ، وعظيم امتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنتهِ ورضوانه، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون: الوسطُ والعدلُ هو قاعدةُ الإسلام الكبرىٰ، والافراطُ أخو التفريطِ. الإسلام لا يدعو إلى الملابس المزريةِ والهيئةِ المستنكرةِ، وليس فيه اللجوءُ إلى المرقعاتِ مع وجود خيرٍ منها، وارتداءُ الخِرَقِ الباليات مع تحصيل أفضلَ منها، ولكنه الوسطُ يلبسُ فيه المرءُ ما يجدُ، ولا يتكلفُ ما يجدُ. هذا هو نهجُ عبادِ الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

يأكلون ليعيشوا، ويعيشون ليعطوا الحياةَ قدرَها، ويحفظوا لها وظيفتَها عبادةً للهِ وإحساناً على عبادِه، ورجاءً في عظيم ثوابهِ.

يأخذون من الطيبات، ويستمتعون بالزينةِ، وقَّافون عند حدودِ الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وفي الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه عن

النبيﷺ أنه قال: «**كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة**»[1].

قال بعضُ الصالحين من ضَبط بطنَه ضبط دينهَ، ومن ملك جوعَه ملك الأخلاقَ الصالحةَ.

من اعتدل في نفقتِه وصرفِه كان أصحَّ جسماً وأخفَّ نفساً وأزكىٰ سيرةً.

إن الكريم ذا المروءةِ من يعرفُ للمالِ قدرَه فيضعُه في موضعِه، وينزلُه منزلتَه. عنده في الحياةِ مطالبُ يبذلُ فيها المالَ بسخاءٍ وكرمٍ وسماحةِ نفسٍ. يؤدي الحقوقَ ولوازمَ النفقةِ على النفسِ والوالدينِ والولدْانِ والزوجِ والأقربين. مصارفُ البِّر عنده واسعةٌ؛ مَن المساجدِ والمدارسِ والمشافي والملاجىءِ في نظرةٍ واسعةٍ للمصالحِ العامةِ والخاصةِ.

وحينما قال أهلُ العلمِ لا خيرَ في الإسرافِ قالوا: لا إسرافَ في الخيرِ. وحينما قالوا: لا تنفقْ قليلاً في باطلٍ قالوا: لا تمنعْ كثيراً في حقٍّ.

إنه لا يضرُّ أولي الفضلِ والسعةِ أن يقتصدوا في أطعمتِهم وملابسِهم ووجوهِ صرفِهم على أنفسِهم ماداموا يبذلون أموالَهم فيما تكملُ به مروءتُهم، وتدعو إليه حقوقُ مجتمعِهم، بل إن ذلك ليزيدُهم مكارمَ إلى مكارمِهم.

ذلكم هو مسلكُ العدلِ والاقتصادِ والكرمِ والسماحةِ والفضلِ والمروءةِ؛ وسطٌ بين البخلِ والإسرافِ، مسلكٌ يملكُ به الدنيا ليسخرَها للدين والمثلِ العليا.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واسمعو وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقا (١٠/ ٢٦٤ح ٥٧٨٣)، والنسائي (٥/ ٧٨)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢ح ٣٦٠٥)، وأحمد (٢/ ١٨١، ١٨٢)، واسناده حسن.

لا . . لمؤتمر بكين

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديْه ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ لهُ ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بعثَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ فنعم اللباسُ التقوىٰ، ونعمَ الزادُ التقوىٰ.

أيها المسلمون: إن أهلَ العقلِ والعلمِ والنظرِ المتوازنِ ليسوا بمغرمين ولا بمبالغين في تصوير أنَّ وراءَ كلِّ حدَثٍ مؤامرةً، ولا من المتوهمين أن خلفَ كلِّ حديثٍ تآمرا. ولكنَّهم في ذاتِ الوقتِ لن يكونوا من أولئكَ الذين يُسْلِمون القيادَ، ويُرْخُوُن الزمامَ لتقودَهم أفكارٌ فاسدةٌ، أو تضلَّهم دعواتٌ ماكرةٌ، أو يسيروا خلفَ كلِّ ناعقةٍ.

إننا بين يدي مؤتمرٍ[1] سوفَ ينعقدُ قريباً هذه الأيامَ ليتحدثَ

---

(١) مؤتمر يعقد في بكين في ٤ سبتمبر ١٩٩٥م.

ويوصي ويقررَ عن المرأةِ والأسرةِ والبيتِ وشؤونِه، يتحدثُ عن التنميةِ والسلامِ والمساواةِ. مؤتمرٌ منتسبٌ إلى الأممِ المتحدةِ.

كم تحدثَّوا وائتمروا عن التنميةِ والأُمَّيةِ، والتعليمِ والصحةِ، ورفعِ الفقرِ وأعباءِ المديونيةِ، وحقوقِ الإنسانِ وكرامةِ الإنسانِ وهذه كلُّها كلماتٌ جميلةٌ ودعواتٌ براقةٌ كلٌ يحبُّها، وكلٌّ يتمنىٰ تحقيقها.

لقد مرَّ على قيامِ هذه المنظمةِ خمسون عاماً فأيُ فقرٍ رُفع؟ وأيُّ سلامٍ رَسَخ؟ وأيُّ كرامةٍ للإنسانِ حُفِظتْ؟.

إن سيطرةَ القرارِ الغربيِّ على مجرياتِ الأمورِ أصبحتْ واضحةً بيِّنةً. إنه وحدَهُ الذي يَستَصْدِرُ قراراتٍ لها أثرُها ونفاذُها إذا شاء، وتكونُ الأخرىٰ حبراً على ورقٍ إذا شاءَ.

من هذه المسلماتِ يكونُ الحديثُ عن مؤتمرِ المرأةِ هذا، ومن هذه المنطلقاتِ يكونُ النظرُ إلى هذا المؤتمرِ.

إنه مؤتمرٌ لا يعلو فيه إلا صوتُ الجمعياتِ المتطرفةِ التي أعلنتْ الحربَ منذ زمنٍ على الأسرةِ والحياةِ الكريمةِ، والبيتِ الكريمِ، التطرفُ الذي دعا بغلوِّهِ إلى الحريةِ الجنسيةِ، والتفسخِ الخلقيِّ، والدعارةِ المعلنةِ المقننةِ. دعواتٌ ومقرراتٌ تصادمُ الفطرةُ وتنابذُ كلَّ القيمِ الإيمانيةِ المستقرةِ في ضمائرِ الأسوياءِ من البشرِ.

وحينما يقالُ إن التطرفُ هو الذي يُعِدُّ أوراقَ عملِ هذا المؤتمرِ وهو الذي يصوغُ وثائقَه وتوصياتِه ليس هذا من جُزافِ القولِ، ولا من دعاوىٰ الباطلِ.

إن جماعاتِ التطرفِ النسائيةِ لها دورٌ فعَّالٌ، في الإعدادِ، وإن أعضاءَ تلك الجمعياتِ نساءٌ شاذاتٌ متعاطياتٌ للسِّحاقِ.

تطرفٌ ينظرُ إلى مصطلح الأسرةِ والبيتِ العائلي نظَرَ ازدراءٍ وتنقصٍ، ونظرَ رجعيةٍ، ومخَلفاتِ القرونِ البائدةِ.

إن هذا المؤتمرَ في أنبائِه يتحدثُ عن القهرِ والعنفِ الذي تتعرضُ له المرأةُ.

بلىٰ لقد حفلَ التاريخُ ولا يزالُ يَحْفِلُ بألوانٍ من الأذىٰ وقعتْ على المرأةِ فقد حملتْ من القيودِ والمظالمِ بسببِ التعسفِ المكروهِ في التقاليدِ والعاداتِ الموروثةِ الجائرةِ في مختلفِ الحضاراتِ والنظمِ.

ولكن ما هو الحل؟ هل الحلُّ ـ كما يريدُ المؤتمرُ ـ في تصويرِ العلاقةِ بين الرجلِ والمرأةِ علاقةَ صراعٍ واستعبادٍ واستذلالٍ؟ علاقة تنافسٍ غير شريفٍ؟ سبحان اللهِ كلُّ عالَمِهم صراعٌ في صراعٍ، وحروبٌ شتىٰ في ميادين شتىٰ، الباردُ منها والساخن، حتى أدخلوها على الرجلِ وأهلِ بيتِه.

أما علموا أن العلاقةِ عندنا ـ أهلَ الإسلام ـ علاقةُ مودةٍ ورحمةٍ وطمأنينةٍ وسَكنٍ: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

وإن كنَّا نستنكرُ الممارساتِ الخاطئةَ من بعضِ المسلمين وخلطِهم بين التقاليدِ والعاداتِ الموروثةِ المخالفةِ لأدابِ الإسلامِ

وأخلاقهِ وبين تعاليمِ الإسلامِ الحقةِ الصحيحةِ.

هذه المرأةُ المقهورةُ أفلا يكونُ الخلاصُ لها إلا بالإباحية الجنسيةِ، والشذوذِ الجنسيِّ، والتفسخِ الأُسَريِّ، وتقويضِ بنيانِ البيوتِ الكريمةِ ومحاربةِ الزواجِ المبكِّرِ، وفتحِ أبوابِ الإجهاضِ بسببٍ صحيحٍ وبغيرِ سببٍ؟؟.

هل خلاصها أن تكون غانيةً في سوقِ الملذاتِ والشهواتِ يستمتعُ بها الرجلُ ويستبدُّ من طلوعِ الشمسِ إلى غروبِها ومن غروبِها إلى طلوعِها؟ في دورِ الأزياءِ، وقاعاتِ السينما، وشاشاتِ التلفازِ، وصالاتِ المسارحِ، وشواطىءِ البحارِ والأنهارِ، وبيوتِ اللهو والدعارةِ، وأغلفةِ المجلاتِ والصحفِ السيارةِ؟؟ بل أقولُ ولا أخشىٰ لائماً حتى في ردهاتِ مستشفياتِهم وملاحاتِهم الجويةِ وأستحي أن أقولَ في دور التعليمِ ومحاضنِ التربية؟؟.

هل هذا هو سبيلُ الخلاصِ من القهرِ الذي ينشدون؟ والعنفِ الذي يقولون؟.

إنها البيوتُ الخَربةُ والمسئوليةُ الضائعةُ حين ألقاها الرجلُ الغربيُّ عن كاهلِه فوقعتْ نساؤُهم حيث وقعتْ، إهمالٌ وتنصلٌ من مسئولية الإنجابِ والتربيةِ. فأصبحَ ذكرُهم وأنثاهم لنفسهِ لا لإمتِه، للذاتِه لا لكرامتِه، فالفسادُ في مجتمعاتهم يستشريْ، والخرابُ إلى ديارِهم يسري.

لم يتحدثوا عن المرأةِ المقهورةِ المعذبةِ، المرأةِ المشردةِ، المرأةِ المغتصبةِ من إفرازاتِ حروبٍ أنشأوها، وكوارثَ أثارُوها،

من الظلمِ العالمي، والفقرِ المتدني في شعوبِ تنتسبُ إلى الإممِ المتحدةِ. ما حالُ أمهاتِنا وإخواتِنا وبناتِنا في فلسطين وكشميرِ والبوسنةِ والشيشانِ وبورما والصومال؟؟.

إن وثائقَ المؤتمرِ لا تكادُ تعير هذا اهتماماً في مقابل احتفائِها واحتضانِها للشاذاتِ والبغايا والمومساتِ. والمصابين والمصاباتِ بكلِّ ألوان أمراضِ الجنسِ الفتاكةِ.

هذا نبأ من أنباءِ المؤتمرِ.

ونبأ آخرُ وهو يتحدثُ عن التنميةِ النسويةِ. إنه حديثٌ كلُّه أو جلُّه عن ما أسماه بالمرأةِ العاملةِ!! العملُ شيءٌ محمودٌ، ومبتغىٰ مقصودٌ، مادام منضبطاً بضابطِ الدينِ والخلقِ، واللهُ لا يضيعُ عملَ عاملٍ من ذكرٍ أو أنثىٰ بعضُهم من بعضٍ.

ولكن المرأةَ العاملةَ في عرفِهم هي المتمردةُ على بيتِها وأطفالِها وشؤونِ منزلِها.

لا يقالُ ذلك إفكاً أو افتياتاً. إنهم يقولون: إن عملَ ربةِ الأسرةِ داخلَ بيتِها عملٌ ليس له أجرٌ إنهم يقولون: ذاكَ عملٌ لا مردودَ له. إنهم يقولون: هذه خدمةٌ مجانيةٌ، وعملٌ غيرُ منتجٍ.

هذه هي نظرتُهم وهذا هو مقياسُهم وميزانُهم. تربيةُ النشء والحفاظُ على الكرامةِ والاستقرارُ العائليُّ والنفسيُّ ليس بعملٍ، وليس له أجرٌ ولا مردودٌ، وغيرُ منتجٍ. هكذا قاس قائسهم وقدَّر مقدرِّرهم. ألا قُتِل كيفَ قدَّر، ثم قُتِلَ كيف قدر؟.

إنهم لا يعرفون الرَّحمَ ولا التراحمَ، ولا يعرفون البرَّ ولا الفطرةَ؟؟ أيُ خيانةِ أكبرُ من خيانةِ إهمالِ النشءِ وإهلاكِ النسلِ؟؟.

إنهم يعلمون ـ ولكنهم قومٌ بُهْتٌ ـ إنهم يعلمونَ أن السكينةَ والطمأنينةَ لا تكونُ إلا في بيوتٍ مستقرةٍ، في ظلالِ أسرةٍ حانيةٍ بنسائِها ورجالِها وأطفالِها وصباياها. أما الهَمَلُ والضياعُ في الأَزِقَّةِ والأرصفةِ وزوايا الوجباتِ السريعةِ فلا تبني أمةً، ولا تجلبُ طُمأنينة. بل إن حياةَ الطيورِ في أعشاشِها، والسباعَ في أكنَّتِها خيرٌ وأصلحُ من هذا الهَملِ الضائعِ. أيُّ امرأةٍ عاملةٍ تعنون؟ ما قهرَ الرجلَ ولا أذلَّ المرأةَ ولا استعبدَهُما جميعاً إلا مثلُ هذه المبادىءِ المهلكةِ، والمقاييسِ الفاسدةِ، والحضارةِ المنتنةِ.

ومن أنباءِ هذا المؤتمرِ نبأُ الإباحيةِ، ودعوةُ التحلِّلِ والتفسُّخِ، ونشرِ الرذيلةِ بأحطِّ صورِها، حتى الشذوذِ الجنسيِّ لواطاً وسحاقاً يريدونه مباحاً معلناً مقنناً.

ويأخذُكَ العجبُ وهم يتحدثون عن الإباحيةِ الجنسيةِ وفتحِ الأبوابِ مشرعةً أمام التفسخِ الخلقي، ثم يذهبونَ يتباكون على أمراضِ الجنسِ المتفشيةِ من الإيدزِ، والنسبةُ الغالبةُ في الاصاباتِ بين المراهقين والمراهقاتِ، وهي في النساءِ أعلى منها في الرجالِ.

إذا كان هذا الإيدزُ بأرقامِها المخيفةِ ـ وحُقَّ لها أن تخيفَ وتُرعبَ ـ إن كنتم مخلصين لماذا لا تطالبون بالقضاءِ على الأسبابِ؟؟ وعندكم علمُ اليقينِ أن معدَّلَ هذه الأمراضِ يزدادُ!!!. عجبٌ وعجبٌ يعالجونَ ظواهرَ العَرضِ ويَدَعُون أصلَ المرضِ؟؟ ينظرون إلى الأثرِ ويغفلون عن المؤَثِّرِ؟؟ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣] ومع هذا ينادون بالسلوكِ الجنسي المأمونِ. ولقد جاءَ في الخبرِ عن نبيِّنا محمدٍ ﷺ: «**ما ظهرتْ الفاحشةُ في قومٍ حتى يُعلنوا بها إلا فشتْ فيهم الأمراضُ التي لم تكنْ في أسلافِهم**»[1].

أيُّها الإخوةُ: هلا رجعتْ الأممُ المتحدةُ وراجعتْ مع خبرائِها وباحثيها!! هل ما يعاني منه الغربُ من مشكلاتٍ أخلاقيةٍ وآثارِ فسادٍ جنسيٍّ وخُلُقيٍّ وتفككٍ اجتماعيٍّ؟ هل هو موجودٌ بالضرورةِ في بقاعِ العالمِ الأخرىٰ. أم إنه نظرٌ إلى الناسِ بعيونٍ مريضةٍ ومقاييسَ جائرةٍ؟؟. إن هذه الطروحاتِ والمعالجاتِ هي جالباتُ الأمراضِ ومفسداتُ الأعراضِ وناشراتُ الحرامِ. هكذا تقولُ الأرقامُ والاحصائياتُ والدراساتُ والملفاتُ.

إننا نقولُ بكلِّ فخرٍ وبكلِّ ثقةٍ إن أهلَ الإسلامِ هم المستهدفُ الأولُ من هذه المبادىءِ الفاجرةِ لأنهم أكثرُ المجتمعاتِ محافظةً، فلا وجودَ يذكرُ للمشكلاتِ والمصائبِ التي يئنُّ منها أهلُ الغربِ ومن انزلقَ في مستنقعِهم، لا مكانَ في بلادِ الإسلامِ يذكرُ للأمراضِ الخبيثةِ التي تجُّرها الممارساتِ الشاذةُ، ولا الحملُ الحرامُ في بناتِ المسلمين.

ولكنهم لا يحبون الطُّهرَ ولا التطَهُّرَ، القاعدةُ القرآنيةُ بينةٌ شاهدةٌ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٣ ـ ح٤٠١٩) وقال في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه، وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٤٠، ٥٤١)، وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ﴾ [النور: ٢٦].

إن الغربَ وأبواقِها لن يرضَوْا إلا أن يروا مجتمعاتِنا الطاهرةَ الطيبةَ وقد انزلقتْ في وبائِه ورجسِه.

إنه إصرارٌ من المؤتمرين على فرضِ النظرةِ الغربيةِ الملحدةِ الفاجرةِ بكلِ ألوانِها وشُعَبِها على جميعِ الشعوبِ.

بلىٰ؛ إن هناكَ إصراراً من الغربِ ورجالِه ومؤتمراتِه ولجانِه ليصهرَ الشعوبَ في عاداتِه وتقاليدِه. احتكارٌ وقهرٌ ليجعلَ هذا السلوكَ الممقوتَ مقياسَ التقدمِ ورمزَ الحضارةِ.

إنهم وبكلِّ جُرأةٍ يَرْبِطونَ دعمَهم الماديَّ بالالتزامِ بهذه التوصياتِ الآثمةِ والقراراتِ الهادمةِ.

إن التوجهَ إلى فرضِ أنماطٍ وسلوكٍ على شعوبِ العالمِ ودُوَلِه بمثلِ هذه الطرقِ، وهذا الاستغلالِ ومن خلالِ هذه المنظماتِ والمؤتمراتِ ما هو إلا استخفافٌ بالشعوبِ واحتقارٌ للأممِ وتنكُّرٌ للخصوصياتِ الثقافيةِ والدينيةِ والتقاليدِ والأعرافِ الصحيحةِ المرعيةِ. وتدَخُّلٌ في حرياتِ الشعوبِ وخصوصياتِ الناسِ ومخالفٌ لما سمَّوه في وثيقةِ حقوقِ الإنسانِ باحترامِ العقيدةِ ومنهجِ التفكيرِ.

إننا نطالبُ الأممَ المتحدةَ ـ إن كانتْ مخلصةً منصفةً ـ أن تكبحَ هذه النزاعاتِ الاستعماريةَ والهيمنةَ الغربيةَ التي سببت وتُسبِّب كلَّ ألوانِ هذا العناءِ والشقاءِ.

أما نحنُ ـ أهلَ الإسلامِ ـ فنأرزُ إلى إيماننا ونطمئنُّ إلى كتابِ ربِّنا فقد خاطبنا رجالَنا ونساءَنا في التكاليفِ والمسئوليةِ:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾

[التوبة: ٧١ ـ ٧٢].

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ۙ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لا . . لمؤتمر بكين

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهُ الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيُّها الناسُ اتقوا اللهَ ربَّكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

إيها الإخوةُ: إننا نهيبُ بالدولِ الإسلاميةِ وشعوبِها، كما نُهيبُ بجمعياتِها ومنظماتِها الرسميةِ والشعبيةِ أن تُظهرَ الحقَّ وتعلنَهُ، وأن تفضحَ تلكَ الوثيقةَ ومَنْ وراءَها.

على علماءِ الإسلامِ بارك اللهُ فيهم أن يقوموا بمسؤليتِهم نحو توجيهِ الأمةِ، والذبِّ عن حياضِ الدينِ، وكرامةِ الإنسانيةِ، وتفضيلِ اللهِ لبني آدمَ وكرامتِه على ربِّه. عليهم أن يعلنوا رفضَ كلِّ قراراتٍ أو مقراراتٍ تخالفُ عقيدةَ الأمةِ وتفسدُ أخلاقها وتبارزَ ربَّها بالمحاربةِ، وليرتفعْ صوتُ الفضيلةِ على أصواتِ دعاةِ الإباحيةِ الساقطةِ.

وإن تنظيمَ الجهودِ في ذلك وتنسيقَها بين هذه المؤسساتِ والمنظماتِ وكلِّ الجهاتِ العاملةِ لمما يجبُ التنبُه له والعنايةُ به.

أيُّها الإخوةُ: إذا كانوا مصرِّين على حنثهم العظيم فإننَّا مصرُّون على الاستمساكِ بديننا مؤمنون حقَّ اليقين وعينَه وعلمَه بأن الخلاصَ الحقيقيَّ والأمنَ المنشودَ والحياةَ الطيبةَ الطاهرةَ والسعادةَ المبتغاةَ لا تكون إلا في ظلِّ الإسلامِ عقيدةَ ومنهجاً، عبادةً وسلوكاً، والتحلي الصادقِ المخلصِ بالدين والأخلاقِ في معاملةِ المرأةِ الطفلِ والرجلِ، وتكثيفِ توجُّهِ الأمةِ نحو إسلامِها من خلالِ ولاةِ الأمرِ فيها وعلمائِها، ومراكزِ البحوثِ العلميةِ والمؤسساتِ التربويةِ وتطبيقِ أحكامِ الشرعِ التي بها وحدها لا غيرها يسعدُ المجتمعُ.

أما اللَّهاثُ وراءَ سرابِ المشاريعِ والخططِ التي يرتِّبُ لها هؤلاءِ الذين يزيِّنون الفسادَ، ويختلقونَ له الأسماءَ البراقةِ وأغلفةً من التَّمَعْلُم خادعةً، هذا اللَّهاثُ هو الذي سيُبْقي الأمةَ مهدّدةً في دينِها وأخلاقِها وفي شأنِها كلِّه.

وإنكم لمبصرون أنه كلَّما ارتفعتْ رايةٌ للحقِّ وعلتْ مناداةٌ مخلصةٌ لتطبيقِ شرعِ اللهِ والالتزامِ به إلا وانبرتْ أقلامُ الملاحدةِ والمنظماتِ المشبوهةِ لتتهمَ هذه الدعواتِ والتوجهاتِ بالوحشيةِ والهمجيةِ والقسوةِ والرجعيةِ وإن من أحدثها وأقربها ما يثارُ حولَ هذه البلادِ الطيبةِ المباركةِ بلادِ الحرمينِ الشريفين في تطبيقِها لشرعِ اللهِ والالتزامِ بحدوده، وضربها على الإجرامِ وأهلِه ودعاتِه بيدِ الشرعِ الطاهرِ المطهرِ، ولكنَّ قافلةَ الحقِّ سائرةٌ بإذنِ اللهِ ولن يوقفَها نبحَ ولاَ عواءٌ.

المرأة ودعوى التحرير

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المستحقِّ للحمدِ والثناءِ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله السعادةَ في الدارين، وأعوذ به من حالِ أهلِ الشقاءِ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيتِه وألوهيتِه والصفاتِ والأسماءِ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الرسلِ وخاتمُ الأنبياءِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابهِ البررةِ الأتقياءِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عز وجلَّ، فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ ما استطعتم، واستدركوا بالتوبةِ والأعمالِ الصالحةِ ما أضعتم، فربُّكم سبحانه خلقكم لتعبدوه، وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لتشكروه.

أيها المسلمون: يظنُّ بعضُ الناسِ أن ضعفَ الأممِ وعجزَها يرجع إلى ضعفِها الصناعيِّ، أو عجزِها العسكري، أو نقصِها الاقتصادي، وأن الأمةَ الضعيفةَ لو ملكتْ هذا أو ذاك سادتْ ثم قادتْ.

وهذا عند النظرِ والتبصرِ فكرٌ فيه عوجٌ، ونظرٌ فيه خللٌ

يعشىٰ[1] بصرُ صاحبِه أن يُبصرَ الشللَ العضويَّ في أجهزةِ تلك الأمةِ الخُلُقيةِ، وملكاتِها النفسيةِ، وانهزامِها الداخليِّ في فكرِها وعقلِها وتبعيتِها، وفغْرِها أفواهَهَا اعجاباً وبلاهةً.

ولقد يروعُك إن كنتَ مخلصاً ناصحاً ذا بصيرةٍ نافذةٍ يروعُك وأنت تتلمسُ العيوبَ والأخطاءَ وأسبابَ الضعفِ والتخلفِ انتشارُ خلائقَ مقبوحةٍ بين الناسِ دونَ مبالاةٍ، بل مع إغماضٍ شديدٍ ممن ينصبون أنفسَهم مفكرين في المجتمعِ ومثقفين في أوساطِه إغماضٌ منهم متعمدٌ عن هذه الأخلاقياتِ من إضاعةِ الأماناتِ، والتحللِ من المسؤلياتِ، وعدمِ اتقانِ العملِ، والالتفافِ حولَ المآربِ الشخصيةِ، ونسيانِ المبادىءِ الكبرىٰ والحقوقِ العامةِ، وانتشارِ اللغوِ واللغطِ، والكسلِ والإهمالِ، وتقطيعِ الأوقاتِ في غير المجدي والمفيد، واستقصاءِ المرءِ في طلبِ ما يرىٰ أنه من حقوقِه، واستهتارِه وإهمالِه في أداءِ ما لزمه ووجب عليه، وتقاعسِه عن الكمالِ وهو من القادرين. ينضم إلى ذلك فقدانُ الرفقِ في القولِ والعملِ، وشيوعِ القسوةِ في التعاملِ، والمبالغةِ في الخصامِ، وتحولِ الآدابِ والتعاملِ إلى قشورٍ يُطلُّ من ورائِها الرياءُ والمجاملاتُ الكاذبةُ.

ويدركك العجزُ وأنت تعدِّدُ الكمَّ الهائلَ من النقائصُ والمثالبِ.

أيها الإخوةُ: إن كثيراً مما يتحاور فيه أبناءُ الأممِ الضعيفةِ من المنتسبين إلى الفكرِ والثقافةِ والرأي والخوضِ في شؤون

---

(١) أي: يضعف.

المجتمعِ من النساءِ والرجالِ كاتبين وكاتباتٍ ومتحدثين ومتحدثاتٍ؛ أن كثيراً من حوارهم لا يساعدُ على تقويم خلقٍ أو تهذيبِ سلوكٍ، إن كثيراً من القراءاتِ المتاحةِ للناسِ بلاءٌ تختنقُ الفضائلُ في ضجتِه، وتذوبُ الأخلاقُ في أزمتِه.

ماذا تقولُ لأناسٍ يهشون للمنكرِ، ويودون لو نبت الجيلُ في حمأتِه؟؟.

وماذا تقولُ لأناسٍ تفرزُ سطورُهم مقتاً للأصيلِ من أصولِهم والمجيدِ من تراثِهم. اتِّباعُ الهوىٰ أرجحُ عندهم من اتباعِ العقلِ، وبريقُ التقدمِ الكاذبُ أقوىٰ من سلطانِ الدينِ والشرعِ، ولهؤلاءِ قدرةٌ عجيبةٌ في إلباسِ أهوائِهم وشهواتِهم ثوبَ الحقِّ والعمومية، وتحقيقِ مآربِهم باسمِ الوطنيةِ والمصلحةِ والاجتماعيةِ.

أيها الإخوةُ: لا يقالُ هذا الكلامُ جُزافاً؛ وإن من الأمثلةِ الماثلةِ والشواهدِ الحيةِ على هذه الطروحاتِ والتناولاتِ في بعضِ المؤلفاتِ والكتابِ في بعضِ البلدانِ الإسلاميةِ حديثُهم الذي لا يكلُّ عن المرأةِ وشؤونِها، وحقِّها وحقوقِها، والمصارعةِ من أجلِها كما يقولون أو كما يصورون.

والموضوعُ أيها الإخوةُ يحتاجُ إلى تجليةٍ والنظرِ في بواعثِ الموضوعِ في كثيرٍ من أصقاعِ الدنيا بزعمِ تحريرِ المرأةِ واعادةِ حقوقِها إليها.

أيها الإخوةُ: وفي عودةٍ إلى أصولِ الموضوعِ وجذورِه وبواعثِه ومثيراتِه لابد من التذكيرِ بالتاريخِ الذي تنبعثُ منه دعوةُ هؤلاءِ.

أيها الإخوةُ: إنه تاريخُ الحركةِ النسويةِ أو الحركةِ الأنثويةُ.

إن هذه الحركةَ مذهبٌ جيءَ به لكي يُفرضَ ويسودَ العالمَ كلَّه ويحلَّ محلَّ العقائدِ والأديانِ والمذاهبِ سماويةً أو غيرِ سماويةٍ.

إن هذا المذهبَ النسويَّ جاءَ على النهجِ الذي اختطَّه الغربُ العلمانيُّ لنفسِه حينما تخلىٰ عن الدينِ وابتدعَ عقائدَ ومذاهبَ من الوجوديةِ والتنويريةِ والعقلانيةِ والشيوعيةِ والاشتراكيةِ وغيرِها.

وكلُّها مذاهبٌ تنطلقُ من رفضِ الوحي وإنكارِ اللهِ جلَّ في علاه، وتجعلُ الإنسانَ إله نفسِه ومُشرِّعَ حياتِه، وأغلبُ هذه الحركاتِ تساقطتْ واندثرتْ وأصبحت حديثاً في الغابرين .

إن النسويةَ حركةٌ قامتْ على أنقاضِ تلك الحركاتِ مستخدمةً في ذلك مبادئها.

قامتْ على ما يسمونه تحطيمَ المطلقِ، ويريدون به هزَّ الأسسِ الفكريةِ والمبادىءِ الأساسيةِ التي يقوم عليها المجتمعُ ونسفها من أجل إقامة ما يريدون من أفكارٍ هدامةٍ.

قامت على الشعورِ بالذاتيةِ المنعزلةِ المتمردةِ والتي تتخذُ من معاداةِ الرجلِ في حربٍ مستعرةٍ وتُعَامِلُه كجنسٍ شيطانيٍّ شريرٍ.

قامت على أن بناءِ المجتمعِ على الفردِ وليس على الأسرةِ والعائلةِ، ولهذا فإن الحديثَ والخططَ والسياساتِ التي ترسمُ للمجتمعِ والأمةِ عندهم تبنىٰ على الفردِ ولم يعدْ للعائلةِ ولا للأسرةِ شأنٌ يذكرُ في خضمِّ دراساتِهم. فالفردُ بفرديتِه هو المقصودُ رجلاً كان أو امرأةً. وهكذا تبدلتْ المفاهيمُ والقيمُ وشاعتْ هذه الحريةُ التي يزعمون وينادون ويتبنَّون، فصارتْ المرأةُ لا تعني زوجةً ولا أماً ولا أختاً ولا بنتاً، ولم يعدْ الرجلُ

أباً أو أخاً أو ابناً، ليس هناك انتسابٌ وثيقٌ إلى هذا الكيانِ العائلي.

بل أصبحَ وأصبحتْ زملاءَ دراسةٍ وأصدقاءَ عملٍ وخلائلَ وأخداناً، ولم يعدْ ينظر في الحسابِ إلى الزواجِ وإقامةِ البيوتِ، فغرائزهم ملباةٌ دون مسؤولياتٍ تُلقىٰ على العواتقِ والكواهلِ؛ وكلٌّ حرٌّ في التنقلِ بين أحضانِ من يشاءُ.

إن هذه الحركةَ النسويةَ نشطتْ في قلبِ القيمِ وعكسِ المفاهيمِ، وارتبطتْ بمصالحَ ماديةٍ واعلاميةٍ وتياراتٍ اجتماعيةٍ تعادي الدينَ والعقائدَ، وتروجُ للالحادِ والإباحيةِ والشذوذِ الجنسيِّ، وهكذا يتجسدُ مفهومُ تحريرِ المرأةِ في منهجِهم في صنعِ امرأةٍ مشاكسةٍ عدوانيةٍ محاربةٍ لجنسِ الرجالِ قد تقبلُ من التعاليمِ السائدةِ ما تراه يُكرِّسُ لها حقوقاً، ولكنها ترفضُ ما ترى أنه واجباتٌ ومسؤلياتٌ.

إنها دعوةً إلى تحرير المرأةِ كما يزعمون، ولكنها دعوةٌ إلى تحريرِ الوصولِ إلى المرأةِ.

انعتقوا من كلِّ الروابطِ والقيمِ والمسؤولياتِ الأسريةِ، والحقوقِ الاجتماعية، وحوَّلوا العلاقاتِ العائليةِ إلى وظيفةٍ رتيبةٍ أشبهَ بمحاضنِ تفريخٍ. عزفَ الرجالُ عن الزواجِ لوجودِ سبلٍ محرمةٍ يشبعون من خلالها غرائزَهم دون تحملٍ لما يترتبُ على الزواجِ الشريفِ من أعباءٍ ومسؤلياتٍ.

أيها الإخوةُ: لقد أصبحتْ النَّسويةُ مذهباً ومبدأً يكافحُ عنه أناسٌ وينافحون، يعقدون له المؤتمراتِ والندواتِ ويمتطون من

أجلِها صهواتِ المنظماتِ والهيئاتِ من حقوقِ الإنسانِ وغيرِها.

ومع الأسفُ أيها الإخوةُ: فإن هذه المبادىءَ لا ينادي بها ولا يدافعُ عنه ولا يتحمسُ لها في كثيرٍ من بلادِ المسلمين إلا النخبُ العلمانيةُ ذاتُ الهيمنةِ على مجرياتِ الفكرِ في بلادِها.

إن المُعَشْعِشَ في عقولِ هؤلاءِ أن التقدمَ العلميَّ والسباقَ التقنيَّ لن يتحققَ إلا على انقاضِ الفضيلةِ والإيمانِ والالتزامِ بأحكامِ الإسلامِ.

إنها الهزيمةُ النفسيةُ والانكسارُ الداخليِّ، وحينما يُبتلىٰ المرءُ بذلك فإنه يُفقدهُ القدرةَ على التمييزِ بين الحقِّ والباطلِ.

إن الداعين والداعياتِ إلى تحرير المرأةِ على الطريقةِ العلمانيةِ في أوطانِ المسلمين إنما ينشدون مُحالاً من الأمرِ فهم وهنَّ في عناءٍ مستمرٍ في سبيلِ الوصولِ إلى مُركَّبٍ يجمعُ لهم الخيرَ والشرَّ والحقَّ والباطلَ في آنٍ واحدٍ. إن الإسلامَ الذي جاءَ شاملاً من عندِ اللهِ كاملاً كما جاء واضحاً جلياً لا يمكنُ أن يُمتطىٰ بمثلِ هذه الأساليبِ. إنهم يحاولون بأيدٍ مرتعشةٍ التوفيقِ بين أهوائِهم وانهزامِهم وتطويعِ بعضِ النصوصِ الشرعيةِ.

والحقُّ أن المسألةَ دائرةٌ بين أمرين لا ثالثَ لهما إما الإسلامُ كلُّه أو التبعيةُ المنهزمةُ.

إنهم في نظرتهم يريدون امرأةً نداً لرجلٍ ومماثلاً له ومناوئاً له ومتصارعاً معه.

وفي نظرةِ ديننا هي شقيقةُ الرجلِ وشقُّهُ ومتمِّمتُهُ ومتمِّمُها.

هو رجلٌ محتفظٌ برجولتِه وهي امرأةٌ متميزةٌ بأنوثتِها.

المرأة في مسلكهم آلتْ إلى سلعةٍ في سوقِ النخاسين في دُورِ الأزياءِ وعروضِها، وغانيةٍ في سوقِ الملذاتِ والشهواتِ، يستعبُدها الرجلُ الذي يزعمُ تحريرَها؛ يستمتعُ بها لأنه لا يريد حريتَها ولكنه يريدُ حريةَ الوصولِ إليها.

وفي نظرِ ديننا لا يجوزُ أن يكونَ تأمين العيشِ ولا مكافحةِ الفقرِ ولا محاربةِ الجهلِ على حسابِ العرضِ والشرفِ، وفي ضياعِ الشرفِ ضياعُ العالمِ لو كانوا يعقلون ﴿وَلَكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: ١٠٣].

ليس من حقوقِ المرأةِ في ديننا حقُّ الزنا، وحقُّ الحملِ من سفاحٍ، وحقُّ الشذوذِ والسحاقِ، وليس من حقها أن ترفضَ الدين وأحكامَه، وتقولُ أنه متخلفٌ ومعادٍ للمرأةِ وقيدٌ على حريتِها، حقوقُ المرأةِ مقرونةٌ بمسؤولياتِها في الأمومةِ ورعايةِ الأسرةِ، حقوقُ المرأةِ تؤخذُ وتمارسُ من خلالِ الحشمةِ والأدبِ، محوطةٌ بسياجِ الإيمانِ باللهِ في أمةٍ واحدةٍ متكاتفةٍ متآلفةٍ وليستْ متنازعةً متصارعةً ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ . .﴾ [آل عمران: ١٩٥] ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧].

أما المرأةُ عندهم ذاتُ الحقوقِ فهي المتمردةُ على بيتِها وأطفالِها وشؤونِ منزلِها، لأنهم يقولون إن خدمتَها في بيتِها مجانيةٌ عملٌ غير منتج. فالتحريرُ لا يتمُّ إلا بالتدميرِ تدميرِ الأسرةِ وتدميرِ القيمِ.

ألا شاهتْ الوجوهُ وسُدَّتْ الأفواهُ؛ تربيةُ النشءِ وحفظُ الكرامةِ والاستقرارُ العائلي والهدوءُ النفسيُّ ليس له مردودٌ وغيرُ منتجٍ، هكذا قاسَ قائِسهم وقدَّرَ مقدِّرُهم ألا قُتل كيفَ قدرَ، ثم قُتل كيفَ قدر؟؟؟.

أيها الإخوةُ: وإنكم لتعلمون ويعلمُ كلُّ عاقلٍ منصفٍ أن المراةَ التي أخرجوها من خدرِها وقرارها المكين مهما تحدثوا عنها وأعطوها ومنحوها ودافعوا عنها فقد جعلوها في الصفوفِ الخلفيةِ في الأهميةِ والقدرةِ والمرتَّبِ والطاقةِ مهما بذلتْ بنتُ حواءَ من جُهدٍ وعَرَقٍ وساعاتِ عملٍ.

لماذا فعلوا ذلك؛ لأن موازينَهم ماديةٌ بحتةٌ، وأصحابُ رؤوس الأموالِ وأربابُ المصانعِ والمتاجرِ لا يؤمنون إلا بالنفعيةِ، ومادام أن المرأة خرجتْ من بيتِها واحتاجتْ إلى العملِ فلماذا لا تُستغلُّ؛ ويُحققُ فائضُ الربحِ من خلالِها؟؟.

ومن ثمَّ كان لزاماً على المرأة المسكينةِ أن تواجه بمفردِها جفافَ هذا المجتمعِ وغلظَ هذا التعاملِ؛ أصبحتْ الضحيةَ الأولى التي تنعكسُ عليها تناقضاتُه وعيوبُه، فهي راكضةٌ لاهثةٌ، تركضُ في مبدأ حياتِها لتتعلمَ، ثم تركضُ لتعملَ وتكسبَ وتعيشَ، ثم تركضُ وراءَ الأزياءِ ولفتِ الأنظارِ لعلها أن تجدَ من يلتفتُ إليها بلا عقدٍ ولا ميثاقٍ غليظٍ. وهكذا تعيشُ حاضراً لا طعمَ له، ومستقبلاً مكشراً تُلقي بنفسِها بين فكيهِ وحيدةٍ منبوذةً. وما هي إلا افرازاتِ البيوتِ الخربةِ والمسئوليةِ الضائعةِ حين ألقاها الرجالُ عن كواهلهم فهل تنبه لذلك الغافلون، وليت فئاتٍ من القومِ يعلمون؟؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

المرأة ودعوى التحرير

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقولُ الحقَّ وهو يهدي السبيلُ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأعوذ بالله من الزيغِ والتبديلِ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدُه لا شريك له، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه؛ أمر بالصدقِ والعفافِ وكلِّ خلقٍ جميلٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه في كلِّ بكرةٍ وأصيلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ أيها الإخوةُ: هذه هو نداءُ التحريرِ عندهم، مبادىءُ علمانيةٌ ماديةٌ أغرقتْ الإنسان في الضياعِ والرذيلةِ والعبثيةِ، الأمرُ الذي أدىٰ إلى فقدِ الإنسانِ المعاصرِ للقيمةِ والهدفِ الغايةِ.

لقد أصبح تائِها ضائِعاً بين مبادىء وأفكارٍ ونظرياتٍ وفلسفاتٍ كلُّها تصبُّ في بوتقةِ الماديةِ والشهوانيةِ بكلِّ صورِها وأبعادِها وألوانِها.

ولْيعلمْ من لا يعلمُ أن الباقيَ هو نداءُ الفطرةِ التي فطرَ اللهُ الناسَ علَيها، إنه نداءُ الفطرةِ الذي يقولُ: إن الرجلَ يبحثُ عن المرأةُ التي تعمرُ البيتَ بوجودِها وحركتِها وعملِها، وليستْ المرأةَ التي تملأُ المعاملَ والمصانعَ والمكاتبَ والشوارعَ وتخلِّفُ وراءَها

بيتاً يفترسُه الفراغُ والخرابُ.

إنه نداءُ الفطرةِ الذي يقولُ: أن المرأةَ تبحثُ عن الرجلِ الكريم الشريفِ الذي يقفُ إلى جانبِها في مسارِ حياتِها شابةً وامرأةً وسيِّدةً محترمةً وهو سكنٌ لها وهي سكنٌ له: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] إنها أمُّ بنيه وبناتِه، يرعاها ويرعىٰ أولادها ويصلُ رحمَها، وليس هو الرجلَ الذي يُعجبُ بها لحظةً خاطفةً ومتعةً عابرةً ثم ينبِذُها إلى غيرِ رجعةٍ.

هذا هو النداءُ وما عدا ذلك فزيفٌ وتصنُّعٌ وجهلٌ وعَمىٰ وظلمٌ وإفكٌ مبينٌ.

وبعدُ أيها الإخوةُ: فمن أرادَ مثالاً حياً وطريقاً تُحتذىٰ جمعتْ بين تعاليم الإسلام وآدابِ الدين واستوعبتْ المفيدَ من الجديدِ فلينظرْ للإنموذجِ الذي تتبعه بلادُ الحرمين الشريفين من الحفاظِ على المرأةِ، في حشمتِها، مع توفيرِ كلِّ أمكاناتٍ ممكنةٍ تعليماً وعملاً، بطريقةٍ منظمةٍ منتظمةٍ، فلهنَّ ميادينُهنَّ ومجالاتُهن في التعليم والعملِ والادارةِ، ميادينُ تتمكنُ منها المرأةُ أن تعطي العطاءَ المطلوبَ مجتنبةً الويلاتِ التي يعاني منها المستسلمون والمتخاذلون والمخذولون لصرخاتِ التحريرِ الكاذبةِ الكافرةِ الماكرةِ.

لم يكنْ ذلك هنا لولا توفيقُ اللهِ سبحانه ثم التوجهُ المخلصُ والصادقُ والمدروسُ من القيادةِ حفظها الله والقائمين على شؤون المرأة وفقهم الله تعليماً وعملاً؛ منطلقاتٌ من هدي كتابِ اللهِ

وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ.

إنه التنظيمُ والترتيبُ الذي يحفظُ البلادَ وأهلَها من الانزلاقِ في أوحالِ الاختلاطِ وأخطارِه المريرةِ.

ولا نزالُ ولله الحمدُ نرى آثارَه الخيرةَ طُهراً وعفةً ونقاءً، ولن ترضىٰ هذه البلادُ بغيرِ هذا النهجِ بديلاً مهما نعقَ الناعقون واستبطنِ المكرَ المستبطنون. بارك اللهُ في الجهودِ وسددَ الخطىٰ وهدىٰ إلى الحقِّ والطريقِ المستقيمِ.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله واستمسكوا بأهداب دينِكم.

العدل أساس قيام الدول وسعادة الأمم

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ يمنُّ بالفضلِ ويقضي بالحقِّ، ويحكمُ بالعدلِ، إن ربِّي على صراطٍ مستقيم، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره وهو الغفورُ الرَّحيمُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله المبعوثُ للأحمرِ والأسودِ، هدى بإذن ربه إلى أقومِ طريقٍ وأعدلِ سبيلٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فيا أيُّها الناسُ أوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فاتقوه رحمكم اللهُ، وأحسنوا فهو سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

أيها المسلمون: احترامُ العدلِ تقليدٌ تتوارثُه الأممُ المحترمةُ، وتقيمُ له الضماناتِ، وتبني له السياجاتِ، من أجل أن يرسخَ ويستقرَّ.

وإن الحضاراتِ الإنسانيةَ لا تبلغُ أوجَ عزِّها، ولا ترقىٰ إلى عزِّ مجدِها إلا حين يعلو العدلُ تاجَها، ويتلألأ به مَفْرِقُها. تبسطُهُ على القريبِ والغريبِ، والقويِّ والضعيفِ، والغنيِّ والفقيرِ،

والحاضرِ والبادِ.

العدلُ تواطأتْ على حسنه الشرائعُ الإلهيةُ، والعقولُ الحكيمةُ، والفطرُ السويةُ. وتمدَّح بادعاءِ القيامِ به ملوكُ الأممِ وقادتُها، وعظماؤُها وساستُها.

حُسْنُ العدلِ وحبُّهُ مستقرٌ في الفطرِ، فكلُّ نفسٍ تنشرحُ لمظاهرِ العدلِ مادامتْ بمعزلٍ عن هوىً يغلبُها في قضيةٍ خاصةٍ تخصُّها.

لقد دلَّتْ الأدلةُ الشرعيةُ وسننُ اللهِ في الأولينِ والآخرين أن العدلَ دعامةُ بقاءِ الأممِ، ومُسْتقرُّ أساساتِ الدولِ، وباسطُ ظلالِ الأمنِ، ورافعُ أبنيةِ العزِّ والمجدِ، ولا يكون شيءٌ من ذلك بدونِه.

القسطُ والعدلُ هو غايةُ الرسالاتِ السماويةِ كلِّها: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

إن أيَّ أمةٍ تعطلتْ من هذه الخلَّةِ الجليلةِ فلا تجدُ فيها إلا آفاتٍ جائحةٍ، وزايا قاتلةً، وبلايا مهلكةً، وفقراً مُعْوزاً، وذِلاً معجزاً، ثم لا تلبثُ بعد ذلك أن تبتلعها بلاليعُ العدمِ وتلتهمها أمهاتُ اللَّهم[1].

بالعدلِ قامتْ السمواتُ والأرضُ، وللظلمِ يهتزُّ عرشُ الرحمن. العدلُ مفتاحُ الحقِّ، وجامعُ الكلمةِ، ومؤلفُ القلوبِ.

---

(١) اللَّهم: المنايا والحتوف.

إذا قام في البلادِ عمَّرَ، وإذا ارتفعَ عن الديار دمَّرَ. إن الدولَ لتدومُ مع الكفرِ مادامتْ عادلةً، ولا يقوم مع الظلمِ حقٌ ولا يدومُ به حكمٌ.

أيُّها الإخوةُ: العدلُ في حقيقتِه تمكينُ صاحبِ الحقِّ ليأخذَ حقَّهُ. في أجواءِ العدلِ يكونُ الناسُ في الحقِّ سواءً لا تمايزَ بينهم ولا تفاضلَ، بالعدلِ يشتدُّ أزرُ الضعيفُ ويقوىٰ رجاؤه، وبالعدلِ يهون أمرُ القويِّ وينقطعُ طمعُه. ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٩].

أيها الإخوةُ في الله: وإن أمةَ الإسلامِ هي أمةُ الحقِّ والعدلِ، والخيرِ والوسطِ، نصبها ربُّها قوامةً علىٰ الأممِ في الدنيا، شاهدةً عليهم في الآخرىٰ، خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناسِ، يهدونَ بالحقِّ وبه يعدلون، يتواصون بالحقِّ وبالصبرِ، ويتنافسون في ميادينِ الخيرِ والبرِّ، ويتسابقون إلى موجباتِ الرحمةِ والأجرِ.

أمةٌ أمرها ربُّها بإقامةِ العدلِ في كتابِه أمراً محكماً وحتماً لازماً: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥].

لا أعدلَ ولا أتمَّ ولا أصدقَ ولا أوفىٰ من عدلِ شريعةِ اللهِ، فهي مبنيةٌ على المصالحِ الخالصةِ أو الراجحةِ، بعيدةٌ عن أهواءِ

الأمم وعوائدِ الضلالِ، لا تعبأ بالأنانيةِ والهوىٰ، ولا بتقاليدِ الفسادِ. إنها لمصالحِ النوعِ البشريِّ كلِّه ليس لقبيلةٍ أو بلدٍ أو جنسٍ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورىٰ: ١٥].

إن الإسلامَ صدقٌ كلُّه، وعدلٌ كلُّه، خبرُهُ صدقٌ وحكمهُ عدلٌ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

عدلُ الإسلامِ يسعُ الأصدقاءَ والأعداءَ، والأقرباءَ والغرباءَ، والأقوياءَ والضعفاءَ، والمرؤسين والرؤساءَ. عدلُ الإسلامِ ينتظمُ كلَّ ميادينِ الحياةِ ومرافقِها ودروبِها وشؤونِها. في الدولةِ والقضاءِ، والراعي والرعيةِ، والأولادِ والأهلين. عدلٌ في حقِّ اللهِ، وعدلٌ في حقوقِ العبادِ في الأبدانِ والأموالِ، والأقوالِ والأعمالِ. عدلٌ في العطاءِ والمنعِ، والأكلِ والشربِ. يُحقُّ الحقَّ ويمنعُ البغيَ في الأرضِ وفي البشرِ. «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**»[1].

وفي الحديثِ الآخرِ: «**ما من أحدٍ يكونُ على شيءٍ من أمورِ هذه الأمةِ فلم يعدلْ فيهم إلا كبَّهُ اللهُ في النارِ**» أخرجه الحاكمُ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري (٢/ ٤٤١ ـ ح٨٩٣)، ومسلم (٣/ ١٤٥٩ ـ ح١٨٢٩).

وقال صحيح الإسنادِ من حديثِ بن يسارٍ رضي الله عنه.

وإن من أولىٰ ما يجبُ العدلُ فيه من الحقِّ حقُّ اللهِ سبحانه في توحيدِه وعبادتِه، وإخلاصِ الدينِ له كما أمرَ وشرعَ خضوعاً وتذللاً، ورضاً بحكمِه وقدَرِه، وإيماناً بأسمائِه وصفاتِه. وأظلمُ الظلمِ الشركُ باللهِ عز وجل، وأعظمُ الذنبِ أن تجعل لله نداً وهو خلقكَ.

ثم العدلُ في حقوقِ العبادِ تؤدَّىٰ كاملةً موفورةً، ماليةً أو بدنيةً، قوليةً أو عمليةً. يؤدِّي كلُّ والٍ ما عليه مما تحتَ ولايتِه في ولايةِ الإمامةِ الكبرىٰ ثم نوابُ الإمامِ في القضاءِ والأعمالِ في كلِّ ناحيةٍ أو مرفقٍ.

في الحديثِ الصحيحِ: «**إن المقسطينَ عند اللهِ على منابرَ من نورٍ عن يمين الرحمنِ ـ وكلتا يديه يمينٌ ـ الذين يعدِلون في حكمِهم وفي أهليهم وماوُلُّوا**»[1].

وإن ولاةَ أمورِ المسلمين حقٌ عليهم أن يقيموا العدلَ في الناس. وقد جاءَ في مأثورِ الحكمِ والسياساتِ: لا دولةَ إلا برجالٍ، ولا رجالٍ إلا بمالٍ، ولا مالَ إلا بعمارةٍ، ولا عمارةَ إلا بعدلٍ.

حكمٌ كلُّه عدلٌ ورحمةٌ في خفضِ الجناحِ ولينِ الجانبِ، وقوةِ الحقِّ، عدلٌ ومساواةٌ تكون فيه المسئولياتُ والولاياتُ والأعمالُ

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٥٨ ـ ح١٨٢٧) واللفظ له، والنسائي (٨/ ٢٢١)، وأحمد (٢/ ١٦٠).

والمهماتُ تكليفاً قبل أن تكون تشريفاً، وتبعاتٍ لا شهواتٍ، ومغارمَ لا مغانم، وجهاداً لا إخلاداً، وتضحيةً لا تحليةً، وميداناً لا ديواناً، وأعمالاً لا أقوالاً، وإيثاراً لا استئثاراً. انصافٌ للمظلوم، ونصرةٌ للمهضوم، وقهرٌ للغَشُوم، وردعٌ للظَّلُوم، رفعُ المظالمِ عن كواهلِ المقروحةِ أكبادُهم، ورَدُّ الاعتبارِ لمن أذلَّهم البغيُ اللئيمُ، لا تأخذُهم في الحقِّ لومةُ لائم، ولا تعويقُ واهمٍ، وإن حَدًّا يقامُ في الأرضِ خيرٌ من أن يُمطروا أربعينَ صباحاً.

وفي مثلِ هذا صحَّ الخبرُ عنه ﷺ أنه قال: «**أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سلطانٍ مُقْسطٌ متصدق موفقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلبِ لكلِّ ذي قُربىٰ، ومسلمٌ عفيفٌ متعففٌ ذو عيالٍ**»[1]. **والإمامُ العادلُ سابعُ سبعةٍ يظلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه**»[2].

أما نزاهةُ القضاءِ ونقاءُ ضمائرِ القضاةِ فحسبُك به من عدلٍ وقسطٍ، صاحبُ الحقِّ في جوِّ القضاءِ العادلِ يشعرُ بالثقةِ والأمانِ، في أروقةِ المحاكم وفي دواوينِ القضاءِ، مطمئنٌ إلى عدالةِ القضيةِ ونزاهةِ الحكم وشرفِ سرائرِ الحكام. والمتهمُ بريءٌ حتى تثبتَ إدانتُه ولأنْ يخطىءُ الحاكمُ في العفوِ خيرٌ من أن يخطىء في العقوبةِ، هذا تعرفه دنيا الحضاراتِ ودينُ أهلِ الإسلامِ. القاضي العادلُ يواسي الناسَ بلحظِه ولفظِه، في وجهِه ومجلسِه، لا يطمعُ شريفٌ في حيفِه، ولا ييأسُ ضعيفٌ من

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٨ ـ ح٢٨٦٥)، وأحمد (٤/ ١٦٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٢/ ١٦٨ ـ ح٦٦٠)، ومسلم (٢/ ٧١٥ ـ ح١٠٣١).

عدلِه، لا يميلُ مع هوىٰ، ولا يتأثرُ بودٍ، ولا ينفعلُ مع بغضٍ. لا تتبدلُ التعاملاتُ عنده مجاراةً لصهرٍ أو نسبٍ، ولا لقوةٍ أو ضعفٍ، يزنُ بالقسطاسِ، وبالعدلِ يقضي. يُدني الضعيفَ حتى يشتدَّ قلبُه وينطلقَ لسانُه، ويتعاهدُ الغريبَ حتى يأخذَ حقَّه، وما ضاعَ حقُّ غريبٍ إلا من ترويعِه وعدم الرفقِ به.

جاءَ في الخبرِ عنه ﷺ: «**إن اللهَ مع القاضي ما لم يَجُرْ فإذا جارَ تخلَّىٰ اللهُ عنه ولزمَه الشيطانُ**»[1]، وفي رواية الحاكم: «**فإذا جارَ تبرأ اللهُ منه**»[2].

أيُّها الإخوةُ: عدلٌ في كلِّ ميدانٍ، وقسطٌ يكفلُ الحقَّ للناسِ كلِّ الناسِ ولو كان من غيرِ المسلمين والأعداءِ المناوئين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. هذا هو العدلُ العالميُّ الذي جاءَ به محمدٌ ﷺ منذ أكثرَ من أربعةَ عشرَ قرناً عدلٌ يتمُّ فيه ضبطُ النفسِ والتحكمُ في المشاعرِ. إنه القمَّةُ العُليا والمرتقىٰ الصعبُ الذي لَا يبلغُه إلا من رضيَ باللهِ رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، وبدينِه دستوراً وحُكماً. إنه عَدلُ محمدٍ ﷺ، مكيالٌ واحدٌ وميزانٌ واحدٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي واللفظ له (٣/٦١٨ ـ ح١٣٣٠) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ٧٧٥ ـ ح٢٣١٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٩٣) وقال: حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

ولقد انتظرَ بكم الزمانُ ـ أيُّها الإخوةُ ـ وطالتْ بكم الحياةُ حتى رأيتُم أمماً أتاها اللهُ بسطةً في القوةِ والسيطرةِ فما أقامتْ عدلاً، ولا حفظتْ حقاً، ويلٌ لهم وما يطِّففون، إذا اكتالوا لأنفسهم يستوفون، وإذا كالوا لغيرهم أو وزنوهم يُخسرون. ولكنَّ هدي محمدٍ ﷺ يأبىٰ إلا الحقَّ: ﴿. . . وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾ [الشورىٰ: ١٥]. إن الأمةَ لا تصلُ إلى هذا القدرِ من السموِّ ونصبِ ميزانِ العدلِ إلا حينما تكون قائمةً بالقسطِ للهِ خالصةً مخلصةً، قد تلبستْ بلباس التقوىٰ: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

والفئةُ الباغيةُ إذا فاءتْ إلى أمرِ اللهِ ودخلتْ في الطاعةِ فإن حقَّها في العدلِ محفوظٌ: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

والعدلُ ـ أيُّها الإخوةُ ـ كما يكون في الأعمالِ والأموالِ فهو مطلوبٌ في الأقوالِ والألفاظِ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. ولعلَّ العدلَ في الأقوالِ أدقُّ وأشقُّ. وصاحبُ اللسانِ العدلِ يعلمُ أن اللهَ يحبُّ الكلامَ بعلمٍ وعدلٍ، ويكرهُ الكلامَ بجهلٍ وظلمٍ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

تأمَّلوا هذا الانصافَ النبويَّ في القولِ حينما أعلنَ النبيُّ ﷺ حكمَهُ على كلمةٍ قالها شاعرٌ حالَ كفرِه حينَ قال عليه الصلاةُ والسلامُ:

«**أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ**»[1]. ثم ها هو صاحبُه عثمانُ بن مظعونٍ رضي الله عنه يسمعُ البيتَ كاملاً؛ يترسمُ النهجَ نفسَه في التقويم والعدلِ فيُحقُّ الحقَّ ويقولُ القسطَ فقال في شطرِه الأولِ صدقتَ، ولما قالَ الشطرَ الثاني: (وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلٌ) قال: كذبتَ، نعيمُ الجنةَ ليس بزائلٍ. أيها الإخوةُ: لم يكنْ كذبُ الشاعرِ في الشطرِ الثاني بمانع عثمانَ رضي الله عنه من أن يُقِرَّ لهُ بالصدقِ والحقِّ في شطرِه الأولِ.

وهذا عليٌّ رضي الله عنه يقاتلُ من خرَجَ عليه، فلما سُئِلَ عنهم: أمشركون هم؟ قال: هم من الشركِ فروا. قيلَ أفمنافقون همْ؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون اللهَ إلا قليلاً. قيل: فما همْ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: هم إخوانُنا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيِهم؟؟.

ومن لغيرِ هذا العدلِ من القولِ غيرُ أبي الحسنِ رضي اللهُ عنهُ وعن ذريتِه الطيبين الطاهرين؟؟ وهل بعد هذا الانصافِ من انصافٍ؟؟.

والنوويُّ رحمهُ اللهُ يقولُ: وينبغي ذكرُ فضلِ أهلِ الفضلِ ولا يمنعُ منه شنآنٌ أو عداوةٌ. والعبدُ إذا رزقَ العدلَ وحُبَّ القسطِ علم الحقَّ، ورحِمَ الخلقَ، واتبعَ الرسولَ، واجتنبَ مسالكَ الزيغِ والبدعِ، هكذا يقولُ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رحمه الله.

أيها الإخوةُ: إذا ساد العدلُ حُفِظتْ الحقوقُ، ونُصِرَ المظلومُ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣ ـ ح٣٨٤١)، ومسلم (٤/ ١٧٦٨ ـ ح٢٢٥٦).

وولتْ الهمومُ، وأدبرتْ الغمومُ.

أما حينما يتجافىٰ الناسُ عن العدلِ ويقعون في حمأةِ الظلمِ ينبتُ فيهم الحقدُ والقطيعةُ والفُرقةُ وذهابُ الريحِ.

من تجافىٰ عن العدلِ دخلَ دائرةَ الظلمِ، يأخذُ ولا يعطيْ، ويطلبُ لا يبذلُ، يأخذُ الذي لا يستحقُّ، ويمتنعُ عمَّا يَحقُّ، تغلبُه مسالكُ المنافقين: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٨ ـ ٤٩]. إن الحيفَ وسلبَ الحقوقِ وإهدارِ الكراماتِ مبعثُ الشقاءِ ومثارُ الفتنِ. إن قوماً يفشو فيهم الظلمُ والتظالمُ، وينحسرُ عنهم الحقُّ والعدلُ إما أن ينقرضوا بفسادٍ، وإما أن يتسلطَ عليهم جبروتُ الأممِ يسومونُهم خسفاً، ويستبدون بهم عسفاً، فيذوقونَ من مرارةِ العبوديةِ والاستذلالِ ما هو أشد من مرارةِ الانقراضِ والزوالِ. إن الظلمَ خرابُ العمرانِ، وخرابُ العمرانِ خرابُ الأممِ والدولِ.

اللَّهم إنا نسألُك خشيتَكَ في الغيبِ والشهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، ونسألك القصدَ في الفقرِ والغنىٰ، ونسألك نعيماً لا ينفدُ وقرةَ عينٍ لا تنقطعُ، ونسألكَ الرضا بعد القضاءِ، ونسألك برْدَ العيشِ بعد الموتِ ونسألك لذةَ النظرِ إلى وجهكِ الكريمِ في ضراءَ مضرةٍ ولا فتنةٍ مضلةٍ، اللهم زينا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هداةً مهتدين استجب اللهم يارب العالمين.

العدلُ أساس قيام الدول وسعادة الأمم

الخطبة الثانية

الحمد لله شمَلَ الأنامَ بواسعِ رحمتِهِ، وصرَّفَ العالَمَ ببالغِ حكمتِه، لا يشغَلُه شأنٌ عن شأنٍ وهو الحكيمُ الخبيرُ. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمدا عبده ورسوله، أصدقُ الناسِ في الأقوالِ، وأسدُّهم في الأفعالِ، وأعدلُهم في الأحكامِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآلِ.

أما بعدُ فاتقوا اللهَ أيُّها الناسُ، واستقيموا إليه واستغفروه، وأعدوا من الأعمالِ الصالحةِ ما يقربُ لديه.

أيها الإخوةُ: وكما يكونُ العدلُ في الأبعدينَ فهو في الأهلين والأقربين حقٌ وحتمٌ. وأحقُّ الناسِ بالعدلِ أبناؤك. فمن ابتغىٰ برَّ أبنائه وبناتِه يحبُّونَه في حياتِه ويترحَّمُون عليه بعد مماتِه وتصفوا قلوبُهم فيما بينهم فليتقِ اللهَ وليُقِمْ العدلْ فيما بينهم، يساوي بينهم في العطيَّةِ والمعاملةِ والنظرةِ والابتسامةِ. وليتقْ اللهَ أولئكَ الذين يحرمون بعضَ المستحقين من الذريةِ في عطيةٍ أو وصيةٍ فذلك حرامٌ وجورٌ وظلمٌ، والوصيةُ به وصيةُ ظلمٍ وجنفٍ، مخالفةٌ للعدلِ والحقِّ لا يجوزُ نفاذُها، فتلك أفعالٌ شنيعةٌ، وظلمٌ

مهلكٌ، تقوم به الخصوماتُ، وتثورُ به الأحقادُ، وتقعُ به المظالمُ، وتتقطعُ به الأرحام.

عن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنه أن أباه أتى به رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «إني نحلتُ ابني هذا غلاماً كان لي. فقال رسولُ الله ﷺ: **أفعلتَ هذا بولدِك كلِّهم؟** قال: لا. قال عليه الصلاة والسلامُ: **اتقوا اللهَ واعدلوا في أولادِكم.** قال: فرجعَ أبي فردَّ تلك الصدقةَ»[1]. وفي رواية: «**إن لبنيك عليك من الحقِّ أن تعدلَ بينهم، فلا تُشْهِدني على جور**[2]؛ **أيسرُّكَ أن يكونوا إليك في البر سواءً؟** قال: بلىٰ. **قال: فلا إذنْ**»[3] وفي رواية: «**سوُّوا بين أولادِكم في العطيةِ كما تحبون أن يسوُّوا بينكم في البرِّ**»[4].

والعدل في المعاملاتِ الزوجيةِ فرضٌ وحقٌ واجبٌ في النفقةِ والكسوةِ والمعاملةِ والعشرةِ كما يفعلُ الكرماءُ من ذوي العقلِ والدينِ والمروءةِ والكمالِ. تُطْعُمها مما تَطْعَمُ، وتكسوها مما تكتَسِي.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانتْ عنده امرأتان فلم يعدلْ بينهما جاء يومَ القيامةِ وشقُّه ساقطٌ**» وفي رواية «**وشقُّه مائلٌ**»[5].

---

(١) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير أخرجه البخاري (٥/ ٢٥٠ ـ ح٢٥٨٧)، ومسلم (٣/ ١٢٤٢ ـ ح١٦٢٣).

(٢) أخرجها أحمد (٤/ ٢٦٩).

(٣) أخرجها مسلم (٣/ ١٢٤٤ ـ ح١٦٢٣) والنسائي (٦/ ٢٦٠)، وأحمد (٤/ ٢٦٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٨٦).

(٤) أخرجها الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٨٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٤٧ ـ ح١١٤١)، والنسائي (٧/ ٦٣)، =

أيها الإخوةُ: حينما تَتشرَّبُ النفوسُ العدلَ فيكون سجيةً لها فإنه يقودُها إلى محاسنِ الأخلاقِ ومكارمِ المروءاتِ، عدلٌ في السلوكِ كلِّه، وسطٌ بين الإفراطِ والتفريطِ، جودٌ وسخاءٌ من غيرِ سرفٍ ولا تقتيرٍ، وشجاعةٌ وقوةٌ من غيرِ جبنٍ ولا تهوُّرٍ، وحِلمٌ وأناةٌ من غير غضبٍ ماحقٍ أو مهانةٍ مُرْديةٍ. وكلُّ تعاملٍ فقدَ العدلَ فهو ضررٌ وإضرارٌ، وفسادٌ وإفسادٌ ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [الشعراء: ١٨٣].

وفي ديننا أيُّها الإخوةُ: مرتبةٌ فوقَ العدلِ قد أمرَ اللهُ بها مقترنةً بالعدلِ. مرتبةٌ تأتي لتُجَمِّلَ حِدَّةَ العدلِ الصارمِ ووجَهه الجازمَ الحازمَ، إنها مرتبةُ الإحسانِ حين تدعُ البابَ مفتوحاً لمن يريدُ أن يتسامحَ في بعضِ حقوقِه إيثاراً لودِّ القلوبِ وشفاءً لغلِّ الصدورِ، ليداوي جَرحاً، ويكسبَ فضلاً، ويرتفعُ عند ربِّه درجاتٍ عُلا.

= وأبوداود (٢/ ٢٤٢ ـ ح٢١٣٣)، وأحمد (٢/ ٢٩٥).

ميزان السلام

الخطبة الأولى

الحمد للهِ المبدىءِ المعيدِ، الملكُ ملكُه، والخلقُ خلقُه، والأمرُ أمرُه، يحكمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريدُ. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأؤمن به وأتوكل عليه وأسأله من فضلِه المزيدَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو على كلِّ شيءٍ شهيد. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه شرَّفه بالعبودية والرسالةِ فهو أكرم الرسلِ وأشرفُ العبيد، منصورٌ بربِّ العزة قبل العَدَدِ والسلاحِ العتيدِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ. حجاجَ بيتِ اللهِ أيُّها المسلمون: أوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فتقوىٰ اللهِ أعظمُ ما تزودتم، وأكرمُ ما أسررتم، وأجملُ ما أظهرتم، وأفضلُ ما ادخرتم، فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، أعاننا اللهُ على لزومِها وكتب لنا ثوابَها.

أيها المسلمون: من هنا من بيتِ اللهِ الحرامِ، من البقاعِ المقدسةِ بلادِ الأمنِ والأيمانِ والسلامِ والإسلامِ. حيثُ نزلَ الوحيُ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ من بلادِ الحرمين الشريفينِ، حيث انطلقتْ مبادىءُ حقوقِ الإنسانِ قبلَ أن يعرفَ عالمُ اليوم حقوقَ الإنسان. بل حقوقُ الإنسانِ والشجرِ والحيوانِ، من الحرمِ الحرامِ،

والبلدِ الحرامِ، وفي الشهرِ الحرامِ، من مواقعِ الصلحِ وحقنِ الدماءِ، من مواطنِ التضحيةِ والفداءِ، من بلادِ العفوِ والتسامحِ حيث أطلقَ نبيُّنا محمد ﷺ الطلقاءَ. في هذا البلدِ الطاهرِ ومنَ أجلِ كلِّ هذه المعاني هذه دعوةٌ لسكانِ العالمِ جميعاً ندعوهم بدعوةِ قرآننا، وبنداءِ كتابِ ربِّنا: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

إن قادةَ العالمِ يحدثونَنا عن نظامٍ يحفظُ للعالمِ أمنَه واستقرارَه، وخيرَه وخيراتِه، ويمنُّونَنَا بعالمٍ سلمٍ وسلامٍ تُجْتَنَبُ فيه ويلاتُ الحروبِ والصراعاتِ، هذه الحروبُ الشمطاءُ والصراعاتُ الكريهةُ التي لا ينتصرُ فيها غالبٌ ولا يستسلمُ فيها مغلوبٌ. يبشروننا بعالمٍ يحفُّه السلامُ ويسودُه الحبُّ والصفاءُ والوئامُ.

ندعوكُم دعوةً إلى دينِنا، فهو إيمانٌ وعملٌ، وعلمٌ وأمانٌ، ندعوكم للقراءةِ المنصفةِ، والاطلاعِ المتجردِ لترو: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]، ندعوكم لنظرٍ عادلٍ: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

أيُّها القادة أصحابَ القرارِ أيها الناسُ: دعوةٌ مخلصةٌ وأنتم ترونَ الصراعَ في هذا العالمِ يتفاقمُ، والاستغلالَ يتعاظمُ، والمطامعَ لا حدودَ لها، والموازينَ لا ضابطَ لها.

دعوةٌ صادقةٌ والبصيرُ يرىٰ أن من بيده القرارُ ورعايةُ الحقوقِ

يسلكُ التعسفَ بالقوةِ ومدِّ الذراعِ القويةِ لتنالَ كلَّ من لا يوافقُ على المشروعاتِ المطروحةِ.

إن هذا مسلكٌ خاطىءٌ، وظنٌ جائرٌ، فالتعسفُ في استعمالِ القوةِ لن يجلبَ سلاماً ولن يُسْكتَ مظلوماً، ولكنه تفجيرٌ لمخزونٍ من الحقدِ لا يقتصرُ على منظمةٍ أو حزبٍ أو هيئةٍ أو جهةٍ، بل سينالُ كرامةَ الإنسانِ، كرامةَ العربيِّ، وكرامةَ المسلمِ، بل الكرامةَ كلَّها وعزَّةَ أهلِ الإسلامِ في كلِّ الأرجاءِ.

دعوةٌ من منطلقِ ديننَا الحقِّ، ومن بَدَهيَّاتِ العقلِ ومسلماتِه، فمن حقِّ المظلومِ أن يدافعَ عن نفسِه إذا سُدَّتْ أمامَه محاولاتُ استعادةِ الحقوقِ. لا يلامُ مظلومٌ إذا شكَّ في نوايا خصمِه إذا كان الوسيطُ غيرَ منصفٍ.

لماذا يَصِلونَ به إلى نقطةِ اليأسِ فيتساوىٰ عنده الموتُ والحياةُ؟؟ وحينئذٍ لايبقىٰ عند هذا المسكينِ شيءٌ يخشىٰ فقدانه؟؟.

مَشاهدُ مرعبةٌ من الدماءِ والأشلاءِ والتشريدِ والتقتيلِ، يستحيلُ أن تمحوها الأيامَ بل إنه ليشبُّ عليها الولدانُ وترضعُها الأمهاتُ مع الألبانِ.

إرهابٌ عسكريٌ وسياسيٌ واقتصاديٌ يجري تنفيذُهُ ويجرى التخطيط لآخر مثلِهِ.

إنها دعوةٌ مشفقةٌ وأنتُم تكافحون الإرهابَ وتستنكرون العنفَ وتدعونَ إلى السلم والسلامِ. دعوةٌ إلى مشاهدةِ استئصالِ الأطفالِ والنساءِ وهم في الملاجىء الآمنةِ وملاذاتِ الحمايةِ الدوليةِ.

من رَحِمِ هذه المآسي تتولدُ كلُّ ألوان العنفِ والسفكِ وتفجيرِ الأنفس، منها وفيها تنبتُ تنظيماتٌ انتقاميةُ التوجُّهِ، ومجموعاتٌ عداونَيةُ النزعةِ. كيف تستبعدونَ أن يتولدَ من رُكامِ الجثثِ إرهابيون؟ ولماذا لا يخرجُ من بين أنقاضِ البيوتِ متطرفون؟ معاناةٌ وتسخطٌ، وجورٌ وتعسفٌ، والقسوةُ لا يقابلُها إلا قسوةٌ. حربُ الحجارةِ، وتفجيرُ الأجسادِ، وانتفاضةُ الأطفالِ، والليالي حُبالىٰ مشحونةٌ بالغضبِ والرفضِ والإباءِ، إنها حبالىٰ بمقتٍ مكتومٍ وقهرٍ محبوسٍ.

عناقيدُ غضبٍ[1] يصبُّها المعتدون، وحقيقتُها بذورُ حقدٍ لا تُنْبتُ إلا حقداً، ولا تزرعُ إلا نِقَماً وانتقاماً.

غزوٌ واكتساحُ وتعدياتٌ ومظالمٌ لا تدفعُ إلا إلى الاحباطِ وفقدانِ الثقةِ بالمجتمعِ الدوليِّ كلِّه بنظمِهِ ومنظماتِهِ. فأيُّ عاقلٍ متجردٍ يشاهدُ المناظرَ الداميةَ ثمَّ يرىٰ أصحابَ القرارِ وهم يدافِعُون عن المعتدي ويتلمَّسُون المسوغاتِ لتصرفاتِه ويَحرمونَ أصحابَ الحقِّ من المقاومةِ ودفعِ العُدوان؟؟.

دعوةٌ صادقةٌ للنظر في مفهومِ الأمن الذي يسعى إليه الجميعُ والسلامُ الذي يحبه الجميعُ، ويؤمنُ به الجميعُ، ويدعو إليه الجميعُ؟؟ هل هو يا ترىٰ أمن طرفٍ واحدٍ، وسلامٌ شعبٍ واحدٍ؟ وهل هو حقٌّ لجهةٍ دون أخرىٰ؟.

---

(١) هذا هو اسم حرب غزت فيها إسرائيل جنوب لبنان توقف قبيل إلقاء هذه الخطبة.

أي سلامٌ لا يكونُ الحديثُ فيه إلا عن التفوقِ العسكريِّ لطرفٍ على حسابِ الآخرِ؟ أي سلامٍ يلتزمُ فيه القائمُ على رعايةِ السلامِ بتفوقِ طرفٍ على آخرَ؟.

هل هو سلامٌ بمواصفاتٍ خاصةٍ وشروطٍ خاصةٍ؟ أهو سلامُ الغلبةِ والتسلطِ والتهديدِ ضدَّ كلِّ من لا يرضىٰ بهذا النوع من السلام؟ سلامٌ يهدمُ البيوتَ، ويشرِّدُ من الديارِ، ويحاصرُ الشعوبَ ويعتقلُ المئاتِ، ويجعلُ ردَّ الظلمِ من طرفٍ إرهاباً ومن طرفٍ آخرَ حقاً مشروعاً؟؟.

سلامٌ تكونُ فيه الدماءُ رخيصةٌ، والحقوقُ مهدرةً، والأرضُ مستباحةً، والبيوتُ غيرَ محترمةٍ. سلامٌ يَتَّخذُ العقوباتِ الجماعيةِ منهجاً، سلامٌ ينتقصُ السيادةَ، ويُلغي الكرامةَ، ويُهينُ العزةَ.

أيُّ سلامٍ تُحَوَّلُ فيه المنطقةُ إلى مَنْجمٍ عمالةٍ رخيصةٍ وإلى سوقٍ استهلاكيةٍ مسلوبةِ الإرادةِ. سلامُ المراوغةِ واقتناصِ المكاسبِ الاقتصاديةِ. سلامٌ يثمرُ عنصريةً وفقراً، وجوراً منظماً، سلامٌ من طرفٍ لا يُرضيْه سوىٰ فناءِ الآخرِ وهدِّه وهدمِ اقتصادِهِ، وتقطيعِ أوصالِه.

إنهم يبنونَ سلاماً على أعوادٍ من القصبِ تهتزُّ وتتساقطُ كلَّما لعبتْ بها رياحُ الغضبُ.

إنها دعوةٌ إلى توضيحِ مفهومِ السلامِ.

وثمَّتَ دعوةٌ أخرىٰ مرتبطةٌ بها وقرينتُها، دعوةٌ لأن تقيموا الوزنَ بالقسطِ ولا تُخسروا الميزانَ.

أين ميزانُ الحقِّ إذا كان عدوانُ المعتدي دفاعاً عن النفس وحفظاً على أمن شعبِه، ومقاومةُ الشعوبِ للظلمِ والاحتلالِ إرهاباً وعدواناً وتهديداً لأمنِ الآخرِ وشعبِهِ؟.

كيف ينقطعُ الظلم؟ ومتى يتوقفُ العدوانُ إذا كان حقدُ العدوِّ غضباً مشروعاً وغضبُ المظلومِ إرهاباً ممنوعاً.

يغضبُ العالمُ حين تُطلقُ رصاصةٌ أو تُلقىٰ قذيفةٌ على محتلٍ ويتداعىٰ العالمُ بصغارِه وكبارِه إلى مؤتمرٍ عالميٍّ للتنسيقِ من اجلِ صنعِ السلامِ ومكافحةِ الإرهابِ والتطرفِ.

أمَّا مجزرةُ قانا[1] والمجازرُ قبلَها فتجريْ على سمعِ العالمِ وبصرِه ولا أحدَ من ذوي القرارِ يُدينُ ولا يدعو لمؤتمرٍ يزجرُها؟؟ فبأيِّ ميزانٍ أجيزتْ مجزرةُ قانا؟ وبأيِّ قانونٍ استبيحتْ دماء أهلِ قانا؟ وبأيِّ دستورٍ يُمنعُ أهل قانا ومن حولَ قانا من مقاومةِ الاحتلالِ؟.

ما حدث في قانا لم تُفِدْ فيه المناوشاتُ، ولم توقفْهُ الالتماساتُ، ولم تقلِّلْ من آثاره التأسفاتُ. أربعون ألفَ قذيفةٍ، وأكثرُ من ستمائةِ غارةٍ في حربٍ شرسةٍ، وعناقيدُ حقدٍ من أجلِ كسبِ أصواتٍ انتخابيةٍ، يكسبون من الأصواتِ بقدرِ ما يقدِّمون من جثثٍ وأشلاء، يسترضون الناخب بنشر المآسي وكثرة الدماءِ بل دماء الأبرياءِ.

ميزانُ هذا العالمِ المتحضرِ؛ يُغرِقُ في المساعداتِ في طرفٍ

---

(١) قرية في جنوب لبنان.

بلا حدودٍ، وفي طرفٍ آخرَ اغماضٌ واجحافٌ وتجاهلٌ بلا حدودٍ.

ازدواجيةٌ مقيتةٌ، ومظالمُ سافرةٌ في توجهاتِهم السياسيةِ ومسالِكهم الأخلاقيةِ، ومصطلحاتِهم الإنسانيةِ.

ميزانٌ كفةُ القاتلِ منهم تمتلىءُ بالأعذار، وكفةُ القاتلِ من غيرِهم ارهابيٌّ يهدُم بيتُه، ويشردُ أهلُه، وتحاصرُ بلدتُه.

ناهيك بميزانِ الضغطِ والتعاطفِ؛ فالضغطُ مُنْصبٌّ على الضعفاءِ، والتعاطفُ يُمنحُ للمعتدين.

أين مجلسُ الأمنِ وهيئةُ الأمم من شكوىٰ الشاكين؟ وأنين المترملين؟ ماذا يقول الضميرُ العالميُّ؟ وأين هي المقاطعاتُ الاقتصاديةُ على كلِّ من ظلمَ وامتنعَ من تطبيق القراراتِ؟.

يا قادةَ العالمِ يا أصحابَ الرأي: إن مواجهةَ التطرفِ تتطلبُ تعاملاً بعدلٍ وانصافٍ. وتجاهلُ العدلِ والسكوتُ على الظلم يولِّدُ المزيدَ من التوترِ والعنفِ والحروبِ؛ برغمِ الهدوءِ الظاهرِ الممتلىءِ باليأس والغبنِ. إن التحدي الحقيقيَّ في البطالةِ والفقرِ والتجويعِ وفقدانِ الأملِ.

إن سياساتِ الحرمانِ والتجريدِ، والعزلِ والخنقِ، والقهرِ والاستذلالِ الممتدةِ على مرِّ السنينَ هي التي تغذِّي التطرفَ وحبَ الانتقامِ وسلوكَ مسلكِ الإرهابِ.

وليُعلمْ أن المؤتمراتِ الدوليةَ والقواتِ العسكريةَ غيرُ قادرةٍ على كبحِ جماحِ العنفِ وايقافِ توليدِ الإرهابِ وانباتِ التطرفِ.

ولكنَّ الحلَّ كلَّ الحلَّ في اعطاءِ الحقوقِ، ونشرِ العدلِ، وسلوكِ مسالكِ الانصافِ والتسامحِ، وحفظِ الكرامةِ الانسانيةِ.

وإذا كان ذلك كذلك فكيف يمكنُ الاقناعُ والاقتناعُ بجدوىٰ مشروعاتِ الصلحِ وضمانِ استمرارِها إذا كانت الموازينُ بهذا التقلبِ والمصطلحاتُ بهذا التلاعبِ.

هذا هو النداءُ وتلكم هي الدعوةُ واللهُ من وراءِ القصدِ والأمرُ للهِ من قبلُ ومن بعدُ وهو سبحانه غالبٌ على أمرِه ولكن أكثر الناسِ لا يعلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٠ ـ ٦٤].

ميزان السلام

الخطبة الثانية

الحمدُ لله ذي القدرةِ والملكوتِ، والقوةِ والجبروتِ، أحمده سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو حيٌّ لا يموتُ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه؛ العزةُ والمجدُ والمنعةُ لمن أطاعهُ واتبعه، والذلةُ والصغارُ والشنارُ لمن عصاهُ وخالفَ أمرَه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فأوصيكم أيُّها الناسُ جميعاً ونفسي تقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ والعملِ الصالحِ، فاتقوا اللهَ ربَّكم واعملوا صالحاً إنه بما تعملونَ خبيرٌ.

أيُّها الناسُ: سكوتُ الشعوبُ إلى أمد، وصمتُ المظلومِ إلى حينٍ، وما يجري في الساحةِ لم يُبْق داراً ولا جداراً، ولمَ يدعْ لأصحابِ النوايا الحسنةِ مقالاً. استوىٰ الراضون والرافضون.

إن عناقيدَ الحقدِ والغضبِ التي انصبت على الديارِ أثارتْ تساؤلاتٍ واستفهاماتٍ: هل الناسُ قد غفلوا أكثرَ مما ينبغي؟ وهل القومُ استسلموا لوعودٍ معسولة أكثر مما يجبُ، وهل تنازلوا أكثر مما يلزمُ؟ وهل استمرأوا التضليلَ والمخادعةَ أكثر مما يسوغ؟.

عناقيدُ الحقدِ والغضبِ رفعتْ عن المظلومِ العتبَ؛ لينجليَ الغبارُ وتتقشعَ السحبُ الظلماءُ عن رجالٍ يقاومون الضلالَ بجلدٍ، ويرفعون المظالمَ بمجاهدةٍ، لا يستوحشون جوَّ التخذيلِ، ولا يتخاذلون لغربة الحقِّ، فهم لا يزالون يؤدون ما عليهم لربِّهم ودينِهم وأمتِهم إلى أن تنقشعَ الغمةُ ويُحفظَ الحقُّ المشروعُ ويخرجَ الإسلامُ من محنتِه ناصعَ الصفحةِ، بل لعله أن يستأنفَ زحفَه الطهورَ ليضمَّ إلى قومِه قوماً وإلى رجالِه رجالاً وإلى أرضِه أوطاناً. إنهم رجالٌ يتأبَّوْنَ على الهزائمِ النازلةِ، ويتوكلون على الله في دفعِها ومدافعتِها حتى تضمحلَّ وتتلاشىٰ.

إن في حِكَمِهم المأثورةِ وآدابِهم المسطورةِ: الجزعُ لا يغني من القدرِ، والصبرُ من أبوابِ الظفرِ، والمنيةُ ولا الدنيةُ، واستقبالُ الموتِ خيرٌ من استدبارِه، وهالك معذورٌ خيرٌ من ناجٍ فرورٍ.

والأيامُ حبلىٰ والتاريخ له ألفُ عودةٍ وعودةٍ طالما هناكَ خصومٌ لا يتعظون، ولعبرِ التاريخ لا يدركون.

ومن سننِ اللهِ المعلومةِ أن الدهرَ طالَ أو قَصُرَ سوفَ يحاسبُ الذين يستهترون بالدماءِ ويُهينون القضايا، إنهم يُسهمونَ في إحياءِ تياراتِ الرفضِ ونمائِها.

لقد قال قومُنا: نعم للسلامِ ولم يقولوا نعم للاستسلام، والتنكيل والمهانةِ والانتقامِ. وإذا استرخَص العدوُّ الدماءَ فهي عند أهلِها غيرُ رخيصةٍ.

ولقد عَلِمَ قومُنا ـ كما يعلمُ غيرُهم ـ أن الأمةَ التي تقبلُ الخنوعَ والذلةَ، وتُعطي من نفسِها الدنيةَ أمةٌ ماتت فيها المواهبُ

الانسانيةُ العليا، وارتكستْ فيها الملكاتُ اليقظةُ. أيُّ حياةٍ تعيشُها إذا هي عاشتْ خادمةً تابعةً ذليلةٍ مهانةً؟؟ كلُّ أمةٍ تنْكُصُ عن حَملِ أعباءِ الحياةِ الأبيَّةِ وتضعُفُ عن الإقدامِ في ساحةِ الفداءِ وتخشىٰ عواقبَ المخاطرةِ والجُرأةِ فقد حُكِمَ عليه بالذلةِ والموتِ والهوانِ؛ اسمعوا إلى قرآنِكم: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، لقد ماتوا في الديارِ التي عجزوا عن الدفاعِ عنها، وعلى الأممِ القائمةِ أن تتحملَ أوزارَ ما تقاسيْ وتعانيْ. والذيْ يقبلُ الذلَةَ يُغري الآخرين بالبغيِ والعدوانِ، وفي ذلةِ المظلومِ عذرُ الظالمِ وقلَّما يقعُ العدوانُ على ذي أنفةٍ وحميةٍ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واستمسكوا بعزةِ أهلِ الإيمانِ، فللهِ العزةُ ولرسولِه وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

التفجير في الخبر[1]
استنكار ودروس وعبر

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عداوانَ إلا على الظالمين. وأشد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له قيومُ السمواتِ والأرضين. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم هو سماكم المسلمين.

أيها المسلمون: لا يسطوا اللصوصُ إلا على الكنوزِ في خزائِنها، ولا يتلصَّصُ السارقون إلا على الثرواتِ في مخابِئها. والصبيانُ والأوغادُ لا يرمون إلا أعالي الشجرِ من أجلِ إسقاطِ يانعِ الثمرِ. وبلادُ الحرمين الشريفين كنزُ الكنوزِ بدينِها ومقدساتِها، وثروةُ الثرواتِ في قيَمِها ورجالِها. وإنها لعاليةُ القدرِ في مقامِها، ويانعةُ الثمرِ في منجزاتِها.

---

(١) تفجير آثم في مدينة الخبر يوم الثلاثاء ٩/ ٢/ ١٤١٧هـ.

الرسوخُ في هذه البلادِ يثيرُ حقدَ الحاقدين، والشموخُ في هذه الديارِ يُبرزُ حسدَ الحاسدين، وبساطُ الأمنِ الممدودُ هنا يستفزُّ قلق المرجفين، والقوةُ والتماسكُ بيننا تزعجُ نفوسَ الطامعين، وحِفْظُ اللهِ ثم حكمةُ ولاةِ الأمرِ فينا تخيِّبُ ظنونَ المتربصين، والاعتمادُ على ربِّ هذا البيتِ يردُّ عنا كيدَ الكائدين.

بلادٌ ترفرفُ عليها رايةُ لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ؛ ارتضاها أهلُ هذه البلادِ قناعةً راسخةً لا تقبلُ الترددَ والمساومةَ.

إننا لا نخطىءُ في العبارةِ كما يخطئون، إننا لا نقتصرُ على القولِ: (إن قَدَرَنا أننا مسلمون) ولكننا مسلمون طوعاً واختياراً، وإيماناً واحتساباً، ورضاً وقبولاً، وتسليماً وانقياداً. فنسأل اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيم أن يحيينَا على الإسلام، وأن يتوفانا على الإيمان، وألا يزيغَ قلوبَنا بعد إذْ هدانا. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٥ ـ ٨٦].

هذه البلادُ قاعدةُ الإسلام، وحصنُ الإيمانِ، ومَعْقلُ الدعوةِ. القرآنُ تنزَّلَ في أراضيها، والرسولُ محمدٌ ﷺ بُعثَ من بطاحِها. فالإسلامُ هنا قِوامُ النظامِ وشرعيتُه ومنهجُه.

دولةٌ تأخذُ نفسَها بالإسلام؛ تأخذُه في عقيدتِها، وتترسَّمُه في تشريعِها، تأخذُه أخذَ تشريفٍ وتكليفٍ حين شرفَّها ربُّها بالولايةِ على الحرمين الشريفين، والاعتزازِ بخدمتِهما.

وعلى الرغمِ من جلاءِ هذه المفاخرِ، وبروزِ هذه النعم، وثباتِ هذه المبادىءِ، فإن هذه البلادَ ليست بدعاً من بلادِ العالمِ

وديارِه، فهي تُبتلىٰ كما يُبتلىٰ غيرُها في عالمٍ واسعٍ، تقاربَ وانحصرَ بتشابكِ اتصالاتِه، وتَعَدُّدِ مواصلاتِه، وتنوعِ وسائلِ إعلامِه وفضائياتِه.

إنها ليست بمعزلٍ عن العالمِ. وحادثُ التفجيرِ الآثمِ الذي وقعَ في مدينةِ الخُبرِ نوعٌ من هَذا الإجرامِ والابتلاءِ الَذي يتسمُ بالشموليةِ والتخطيطِ وتوزيعِ المهماتِ.

يقالُ ذلك ليس استسلاماً للمعتدين ولا عجزاً عن اتخاذِ المواقفِ الصارمةِ الحاسمةِ، ولكنه تقريرُ واقعٍ وبيانُ موقفٍ نحوَ من يصنِّعُها ويروِّجُها ويربي عليها أفراداً وجماعاتٍ حتى يجعلَها بقوةِ الثوابتِ والمعتقداتِ. إن الامتحانَ الحقيقيَّ، والبراعةَ الفائقةَ ليس في وقوعِ حوادثِ العنفِ المدبَّرةِ المدمِّرةِ، فهذا شيءٌ لا يستبعدُ في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ وعلى أيِّ شعبٍ أو منطقةٍ. ولكن البراعةَ والامتحانَ يكمنانِ في مواجهةِ النتائجِ وأثرِها على الناسِ والمجتمعِ، وذلك يحتاجُ إلى وقفاتٍ وتأملاتٍ.

فأولُها: تجريمُ الحدَثَ فهو اعتداءٌ وعدوانٌ، وقتلٌ وترويعٌ، وإزهاقٌ لنفوسٍ محترمةِ الدماءِ، معصومةِ النفوسِ. إنه اسلوبٌ عشوائيٌ فاضحٌ لكلِّ من يحترمُ آدميتَه وانسانيتَه فضلاً عن أن يحترمَ دينَه وأمانتَه. شذوذٌ وعدوانٌ؛ دافعُهُ استبطانُ أفكارٍ مضلِّلةٍ، وآراءَ شاذةٍ، ومبادىءَ منحرفةٍ في خَطواتٍ تائهةٍ ومفاهيمَ مغلوطةٍ. أيُّ قبولٍ لناشري الفوضىٰ ومهدري الحقوقِ ومُرْخصي النفوسِ والدماءِ؟؟؟.

ومن بعدِ ذلك وقفةٌ عن الإرهابِ في مفهومِه وحدودِه.

الإرهابُ كلمةٌ مقصورةٌ محصورةٌ في تخويفِ الناسِ بالقتلِ والخطفِ، والتخريبِ والنسفِ، والسلبِ والغصبِ، والزعزعةِ والترويعِ، والسعيِ في الأرضِ بالإفسادِ. هذه هي حدودُها. الإرهابُ إزهاقٌ للأرواحِ، وإراقةٌ للدماءِ المحترمةِ من غير سببٍ مشروعٍ.

إن أساليبَ العنفِ ومسالَكه من تفجيرٍ وخطفٍ وسطوٍ ونسفٍ لا تهزمُ القيمَ الكبيرةَ، ولا تقوِّضُ المنجزاتِ السامقةَ، لا تحررُ شعباً، ولا تفرضُ مذهباً، ولا تنصرُ حزباً. إن العنفَ لا يمكنُ أن يكونَ قانوناً محترماً، أو عرفاً مقبولاً، فضلاً عن أن يكون ديناً أو عقيدةً.

العنفُ والإرهابُ لم يفلحْ في أيِّ مكانٍ من العالمِ في تحقيقِ أهدافِه؛ بل إنه يورثُ عكسَ مقصودِ أصحابِه. فيقوَي التماسك الشرعيَّ والسياسيَّ الاجتماعيَّ في الأمةِ المبتلاةِ. وأيُّ مجتمعٍ محترمٍ يحبُّ نفسَه ويحافظُ على مكتسباتِه لن يسمَح لحفنةٍ من الشاذين أن يُمْلوا عليه تغييرَ مسارِه، أو التشكيكَ في مبادئِه ومسلماتِه.

إنه لن يغيرَ سياسةً، ولن يُكْسِبَ تعاطفاً، بل يؤكدُ الطبيعةَ العدوانيةَ لتوجهاتِ أصحابه الفكريةِ.

الإرهابُ لا يعرفُ وطناً ولا جنساً، ولا زماناً ولا مكاناً، والمشاعرُ كلُّها تلتقي على استنكارِه ورفضِه، والبراءةِ منه ومن أصحابِه، ومن ثم فإنه يبقىٰ علامةَ شذوذٍ، ودليلَ انفرادٍ وانعزاليةٍ.

وثمتَ وقفةٌ أخرىٰ: إن كيانَ هذه الدولةِ قام واستقامَ على ثمرةٍ من الدينِ والخبرةِ والعلمِ والعملِ، جهودٌ مضنيةٌ في التأسيسِ والبناءِ لا يمكنُ هزُّها، فضلاً عن تقويضِها بمثلِ هذه الحركاتِ غير المسؤولةِ.

إنه كيانٌ يعكسُ نهجَ أهلِه في الجمعِ بين المحافظةِ على دينِ اللهِ بعقائدِه وشعائرِه مع ما يتطلبُه الوقتُ من تحديثٍ مشروعٍ في التربيةِ، والتعليمِ، والاقتصادِ، والاجتماعِ، والتخطيطِ، وصنعِ القرارِ.

إن دولةً هذا شأنُها وهذه خصائصُها لا يصلحُ لها ولا يناسبُها ولا تقبلُ القولَ بفصلِ الدينِ عن الدولةِ، كما لا تقبلُ اسلوبَ الخلطِ بين الإسلامِ الحقِّ وبين الانحرافِ باسمِ الإسلامِ، كما لا تقبلُ أن يُضربَ الإسلامُ أو ينتقصَ بحجةِ وجودِ بعضِ الغلاةِ، ولكن منهجَها وقف السلوكِ الشاذِّ ليبقىٰ الإسلامُ الحقُّ الأقومُ.

وهذه الأحداثُ تبقىٰ في دائرةِ شذوذِها ويطمئنُّ أهلُ البلادِ والمقيمون فيها على أنفسِهم وأهلِهم وأبنائِهم وأموالِهم.

ولا يزعمُ أحدٌ الكمالَ ولا البراءةَ من النقصِ بل إن هناك نقصاً في الممارساتِ وقصوراً في بعضِ التطبيقاتِ معترفٌ به ومسلمٌ، ولكنْ حسبُ المرءِ أن ينشدُ الكمالَ ويسعىٰ في سدِّ النقصِ ورتقِ الخللِ، وأهلُ هذه البلادِ وكلُّ محبٍّ لها يتطلعُ إلى المزيدِ من الاستمساكِ بدينِ اللهِ والمزيدِ من الدعمِ للدينِ وأهلِه، وعلمِ الشرعِ ورجالِه، والحسبةِ وهيئتِها، وكلِّ عاملٍ مخلصٍ من أيِ موقعٍ، وفي أي مرفقٍ، وفي شأن المجتمعِ كلِّه.

وثمَّتَ وقفةٌ أخرىٰ يحملُها العلماءُ وأهلُ الفقهِ والبصيرةِ؛ إنها توعيةُ الناشئةِ وتبصيرُهم بما يحميهم من التخبُّطِ في أوحالِ الدعواتِ المضلِّلةِ والعصاباتِ المنحرفةِ.

وينبغي ألا تضيقُ صدورُ العلماءِ الأجلاءِ بأسئلةِ السائلين مهما تكنْ في نوعيتِها ومظهرِها ودلالتِها، حتى يزولَ اللبسُ عن الأذهانِ، ويرتفعَ الحرجُ من النفوسِ، ويكونَ التقاربُ والقبولُ والاستيعابُ، تسلحٌ بسلاحِ الصبرِ في الإفهامِ من أجل تنقيةِ العقولِ من اللَّوَثِ، وغسلِ الأفكارِ من الدرنِ.

توسيعُ دائرةِ الاتصالِ والثقةِ المتبادلةِ بين الناشئةِ والعلماءِ والمربين والموجهين، والبعدُ عن التجهمِ لأسئلتِهم، أو تجاهلِ استفساراتِهم مهما بدا منها من سطحيةٍ أو سذاجةٍ أو خروج عن النسقِ المألوفِ. فالأمورُ لا تعالجُ بالازدراءِ والسخرية والتنقصِ والتهوينِ من الأحداثِ أو الأشخاصِ. كما لا تعالجُ بالهجومِ المباشرِ من غير اظهارٍ جليٍّ للحجةِ والغوصِ في أعماقِ المشكلةِ، والشبابُ إذا ابتعدَ عن العلمِ الصحيحِ والعلماءِ الراسخين ولم يتبينْ له رؤيةٌ واعيةٌ تتزاحمُ في ذهنه خطراتٌ نفسيةٌ وسوانحُ فكريةٌ، يختلطُ عنده فيها الصوابُ بالخطأ والحقُّ بالباطلِ.

لابد أن تتسعَ الصدورُ للحوارِ الهادىءِ وقبولِ النقدِ الهادفِ واستيعابِ الآراءِ واحترامِها.

ومن بعدِ العلماءِ يأتي المفكرون في هذه البلادِ والمثقفون فلهم رسالةٌ خاصةٌ وميزةٌ متميزةٌ تنبعُ من انتسابِهم لدينِ اللهِ

ومبادئه، وخصوصيةِ الدولةِ في الحكم والتحاكم، ونظامِ الدولةِ، ورعايةِ الحرمين الشريفين، وقيامِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ.

هذه المبادىءُ الراسخةُ التي تقومُ عليها وتتبانها وتعتزُّ بها وتفاخرُ؛ هذا كلُّه يدعو هؤلاء المثقفين والمفكرين إلى إعادةِ النظرِ في مصادرِ التلقيْ المتاحةِ من أجلِ تنقيتِها مما يتعارضُ مع شرعِ اللهِ ليبقىٰ ما ينفعُ الناسَ ويذهبَ الزبدُ جفاءً.

ووقفةٌ أخيرةٌ أيها الإخوةُ: إنها الوقفةُ مع الإرهابِ الدوليِّ والتطرفِ الإقليميِّ فذلك لا يعالجُ إلا بإحقاقِ الحقِّ وبسطِ العدلِ، واحترامِ الأنظمةِ المرعيةِ، والقراراتِ الدوليةِ، والبعدِ عن الإنتقاءِ في التطبيقِ، والتعسفِ في التفسيرِ، والتحاملِ في التأويلِ. لماذا تنزفُ الدماءُ وتغورُ الجراحُ في الأرضِ العربيةِ المحتلةِ والقدسِ الشريفِ؟؟ وما حالُ الشيشانِ والبوسنةِ والهرسكِ وكشميرَ ومواقعَ أخرى من العالمِ؟؟.

ويأتي النظرُ الجادُّ في وسائلِ الإعلامِ فعليها في ذلك كفلٌ عظيمٌ.

إن الإعلامَ وقد أصبحَ تأثيرُه عالمياً بقنواتِه وفضائياتِه، يقومُ عليه في كثيرٍ من مواقعِه أقوامٌ لا تقتنعُ بهم الجماهيرُ. فئاتٌ غيرُ معروفةٍ بنزاهتِها، ومصداقيةِ طرحِها، وعدلِ مسارِها، وحياديةِ نقاشِها؛ فيهم علمانيون تنبعثُ منهم روائحُ الزندقةِ، ومعدو برامجَ تنبثق منهم افرازاتُ إلحادٍ، وآخرون في أخلاقِهم متهتكون يُعدِّون برامجَ، ويعقدون ندواتٍ، ويطرحون حواراتٍ، ويثيرون

مناقشاتٍ في أصول الدين وفروعه ليسوا فيها بمتخصصين. إذا كان الطبُّ لا يتحدثُ عنه إلا الأطباءُ، والهندسةُ لا يخوضُ فيها إلا المهندسون فلماذ تستباحُ علومُ الدينِ المتخصصةُ ليفتي فيها من يهرفُ بما لا يعرفُ، ويلغُ فيها من لا ناقةَ له فيها ولا جملٌ. غير أن له قلماً في صحافةٍ، أو لساناً في إذاعةٍ، أو حسنَ صورةٍ في شاشةٍ رجالاً ونساءً.

أحاديثُ وحواراتٌ فيها تعسفٌ ومغالطاتٌ وفهومٌ قاصراتٌ، أصحابُها ذوو توجهاتٍ مشبوهةٍ. معالجاتُ إفكٍ وبهتانٍ تزعمُ أن الإسلامَ والتمسكَ به هو محضنٌ لتياراتٍ متطرفةٍ، وافرازٌ لتوجهاتٍ عنيفةٍ.

ويحهم ماذا يقولون؟ وماذا يعالجون؟ إنها طروحاتٌ تتسمُ بالغوغائيةِ والجهلِ، وتتميزُ بالسطحيةِ وعدمِ المسؤوليةِ مهمتُها وغايتُها تخويفُ السلطاتِ المسؤولةِ عندهم من الدينِ، ودفعُهم لمخاصمةِ المتدينين، والتشكيكُ في ولائِهم، بل هدفُها نفي الإسلامِ عن مركزِ التوجيهِ، وإبعادُه عن التأثيرِ في صناعةِ القرارِ، واستئصالُه من مناهجِ التعليمِ ومؤسساتِه، ومحاصرةُ تأثيرِه في توجيه العامةِ والحفاظِ على الفضيلةِ ليصبحَ الدينُ كما يزعمون ويريدون شأناً خاصاً بين العبدِ وربِّه فمن شاءَ فليؤمنْ ومن شاء فليكفرْ. بل يحاولُ بعضُهم أن يجعلَ الدعوةَ إلى الإسلامِ سببَ كلِّ كوارثِ الأمةِ ومصائبِ النخبِ السياسيةِ والفكريةِ. إذا كان هذا هو إفكَهم فلماذا لا يتولدُ الإرهابُ من خلالِ هذه الطروحاتِ الباهتةِ وينبتُ التطرفُ من هذه التعسفاتِ القاتلةِ؟؟.

وبعدُ أيها الإخوةُ فإن التوجَّه المستنيرَ المحترمُ لابدَّ فيه من

اجتنابِ الخلطِ بين الإسلامِ الحقِّ ومفاهيمِ التنطعِ والغلوِّ لايؤخذُ الصالحون بجريرةِ الغاليين. يجبُ التفريقُ بين القلَّةِ الشاذةِ والسوادِ الأعظمِ المستقيم. إن مواجهةَ الغلوِّ لا تكونُ بالتنفيرِ من الدينِ وأهلِه، وإخراجِ أهلِ الصلاحِ بصورةٍ منفِّرةٍ، فالشعوبُ مسلمةٌ، وهي بشرعِ ربِّها متمسكةٌ رضي الراضون أو سخط الساخطون.

إن محاولةَ تهميشِ الدينِ وعزلِ أهلِه من أهمِّ أسبابِ الغلوِّ. الغلوُّ يحاربُ بنشرِ العلمِ الصحيحِ والفهمِ المستقيم، يعالجُ بكلامِ اللهِ وكلامِ رسولِه ﷺ وفهمِ السلَفِ الصالحِ. وعلى هذا المسارِ يجبُ أنَ يكونَ توجُّه الكتابِ والمفكرين ووسائلِ الإعلامِ والمربين.

واللهُ من وراء القصدِ، وحفَظَ اللهُ على هذه البلادِ دينَها وأمنَها وردَّ عنها كيدَ الكائدين وحقدَ الحاقدين و زادَها تمسكاً واجتماعاً، وإلفةً واتحاداً، وأصلحَ أحوالَ المسلمين في كلِّ مكانٍ إنه سميعٌ مجيبٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور: ٥٥ ـ ٥٦]

التفجير في الخبر
استنكار ودروس وعبر

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وليِّ المتقين. أحمدُه حمدَ الشاكرين وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إلهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه بعثُه رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجِه أمهاتِ المؤمنين، وعلى أصحابِه الغرِّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بَعدُ فاتقوا اللهَ أيُّها الناسُ ما استطعتم، وتداركوا بالتوبةِ النصوحِ ما فرَّطتُم.

أيها المسلمون: دينُ الإسلامِ واضحُ المعالمِ، صافي المشاربِ، نقيُّ الفكرِ، طاهرُ المورِدِ. يبني ولا يهدمُ، ويجمعُ ولا يفرقُ، ويرفعُ ولا يخفضُ، ويعزُّ ولا يهينُ. مسلكٌ وسطٌ يستوعبُ الأحكامَ كلَّها في جليلِها ودقيقِها على أسس صحيحةٍ ومسالكَ بينةٍ دونِ تزيُّدٍ يدعوُ إلى الغلوِّ والتنطعِ ولا تفريطٍ يدعو إلى التنقُّصِ والتهاونِ.

ومن أجلِ هذا فيجبُ الحذرُ من إطلاقِ العباراتِ التي قد يُفهم منها أن المتمسكَ بالدينِ وآدابِه وهديه هو في قفص الإتهامِ.

الإسلامُ عقيدةٌ راسخةٌ في القلبِ، وآدابٌ في السلوكِ ظاهرةٌ على الجوارحِ، أحكامٌ ظاهرةٌ يمارسُها المسلمُ تميِّزُه عن غيرِه فالأذانُ، وصلاةُ الجماعةِ، وارتيادِ المساجدِ، والتزامُ السنةِ في اللباس، واكرامُ اللِّحىٰ والبعدُ عن التشبه بالكفارِ وأهلِ الفسوقِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ كلُّ ذلك وأمثالُه أمورٌ يجبُ حفظُها ورعايتُها وتقديرُها وتقديرُ أهلِها.

والمسلمُ الحقُّ عنده ثقةٌ بدينِه لا تزعزُها طعناتُ الطاعنين ولا أخطاءُ بعضِ المنتسبينَ.

فليهنأ أهلُ الفضلِ والصلاحِ بدينِهم في ديارِ المقدساتِ، ولتهنأْ الدولةُ حفظَها اللهُ برجالِها الفضلاءِ والعقلاءِ، ولتطمئنَّ الأمةُ بإذن اللهِ إلى وعيِ ولاةِ الأمور ويقظتِهم، فلدىٰ هذا البلدِ بفضلِ اللهِ ومنِّه من الإمكاناتِ والقوةِ والقدراتِ الماديةِ والمعنويةِ ما يصدُّ كلَّ تطاولٍ، ويمنعُ كلَّ محاولةٍ للنيلِ من دينِه أو استقرارِه أو مكتسباتِه وبحفظُ حقَّ أهلِه والمقيمين فيه على دينِهم وأنفسِهم وأهليهم وأموالِهم. في مواقفَ لا يقبلُ فيها إلا الحزمُ والحسمُ والعدلُ، سدد اللهُ الخطىٰ وباركَ في الجهودِ، وحفظَ علينا ديننَا الذي هو عصمةُ أمرِنا ووقانا الفتن ما ظهرَ منها وما بطن وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ودنيانا التي فيها معاشنا وآخرتنا التي إليها معادنا وجعل الحياةَ زيادةً في كلِّ خيرٍ والموتَ راحةً من كلِّ شرٍ.

الاعلام والأمن الفكري

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ دلَّ على وحدانيتِه وألوهيتِه بالبراهينِ والحججِ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه وأسألُه المزيدَ من فضلِه بيدِ مفاتيحُ الفرجِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ما جعلَ علينا في الدين من حرجٍ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه هو المفدَّىٰ بالنفوسِ وبالمُهجِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ. فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فاتقوه رحمكم اللهُ تقوىٰ قومٍ مخلصين، قطعوا المفاوزَ ففازوا، ولفضلِ السبقِ في تنافسِ الخيراتِ نالوا وحازوا.

أيها المسلمون: في رمضانَ النورُ والذكرُ، والخيرُ والطهرُ، فيه ليلةُ القدرِ، والذكرياتُ الكُثرُ. فيه عزُّ الفتحِ وفيه نصرُ بدرٍ، وفي ختامِه بهجةُ العيدِ وفرحةُ الفطرِ.

نورٌ في المآذنِ والمساجدِ، وضياءٌ في القلوبِ وفي الصدورِ، صونٌ عن فضولِ الطعامِ والكلامِ، وكفٌّ عن الحرامِ. صيامٌ للجوارحِ عن الأذىٰ، وفطَامٌ للمشاعرِ عن الهوىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

في شهرِ رمضانَ يُعطىٰ السائلُ، ويُغفرُ للتائبِ، تتصلُ القلوبُ ببارئِها، ويُنيبُ فيه كثيرٌ من الناس إلى ربِّهم، يؤمُّون بيوتَه؛ فتمتلىءُ المساجدُ بالمتعبدين؛ هذا مُصلٍّ، وذاك ذاكرٌ، وآخرُ قد اتخذ متكأً إلى ساريةٍ من السواري يتلو كتابَ ربِّه، وأخٌ له آخرُ قصدَ إلى ركنٍ من المسجدِ قصيٍّ يعتكفُ ويتحنثُ. كلُّهم جادُّون راجون في أن يُلقوا عن قلوبِهم أحمال الإثمِ وأوزارَ الذنوبِ وأدرانَ الغلِّ والحسدِ وغوائلَ الشهواتِ والمطامعِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

خيرٌ تمتلىءُ به القلوبُ، وبُشرٌ تنشرحُ به النفوسُ، وذكرٌ تعجُّ به المساجدُ والقلوبُ.

هؤلاء هم الصائمون القائمون، وهذا هو رمضانُ في غايتِه ووظيفتِه. وآثارِه وثمارِه.

ولكن يُحزنُك ثم يحزنُك أن ترىٰ فئاتٍ وفئاماً تستقبلُ رمضان وتعيشُه وكأنَّهم لا يستقبلون رُكناً من أركانِ الإسلام؛ ركناً يقيمُ الدينَ من أقامَه، ويهدمُ الدين من هدَمه. إنهم لا يستقبلونه ولا يعيشونه إلا باعتبارِه تقليداً موروثاً، وموسماً مقرراً يتكررُ كلَّ عام، يتمتعون فيه بنعيم العيشِ، ويتفنون فيه بألوانِ المطاعمِ والمشاربِ، ويقطِّعونه بالعبثِ واللَّهوِ، يسرفون على بطونِهم حتى تمرضَ، وعلى جيوبِهم حتى تفرغَ.

ويزدادُ حزنُك ويشتدُّ ألَمُكَ حينما تسمعُ وترىٰ الاستعداداتِ المبكرةِ والوعودَ المخزيةَ لكثيرٍ من وسائلِ الإعلامِ. كيف يستقبلُ

رمضانَ؟ وكيف تعيشُ أيامَه ولياليَه؟ وكأنهم يهيئون المسلمين ليجعلوا شهرَ صومِهم موسمَ انتظارٍ للهوٍ مقيتٍ، وأفكارٍ منحرفةٍ، وأهدافٍ صغيرةٍ.

وازدادَ الأمرُ سوءاً حين ظهرتْ في سماءِ المسلمين قنواتٌ فضائيةٌ تنتسبُ إلى بعضِ الدولِ العربيةِ أو الإسلاميةِ وإلى مُلاَّكٍ عربٍ ومسلمين لتتنافسَ تنافساً غيرَ شريفٍ في ترفيهٍ غيرِ بريءٍ وتسليةٍ غيرِ عَفَّةٍ. فضائياتُ وإعلامٌ يعكرُ صفوَ المتعبدين ويؤدي إلى انحرافِ المشاهدين والمتابعين.

ما الذي دهى القومَ؟ وأيُّ قناعاتٍ وأفكارٍ تسربتْ إليهم ليجعلوا من شهرِ القرآنِ شهرِ الصومِ والتقىٰ والعفافِ والنقاءِ يجعلوه موسمَ حياةٍ لاهيةٍ وسمرٍ عابثٍ؟؟ شهرُ رمضانَ شهرُ الخيرِ والنفحاتِ وأملِ المغفرةِ وتنزلِ الرحماتِ يبثُّ فيه الفكرُ الملحدُ والتطاولُ على الدينِ مع السلوكِ المنحرفِ، واللقطاتِ الراقصةِ، والحركاتِ الفاتنةِ والأحوالِ المزريةِ.

أين هؤلاءِ من النداءِ الرمضاني: «**يا باغيَ الخيرِ أقبلْ ويا باغيَ الشرِّ أقصرْ، ولله عتقاءُ من النارِ**»[1].

ماذا دهى بني قومنا؟ لقد جعلوا من وسائلهم وقنواتِهم مشروعاتٍ تجاريةً بحتةً في سوقٍ محرمةٍ، وبضائعِ ممنوعةٍ، وسلعٍ فاسدةٍ، بل مع الأسفِ فإن بعضها يؤدي بلا شك إلى التمردِ على الدينِ وإفسادِ الخلقِ. «**من لم يدعْ قولَ الزورِ والعملَ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/٦٦ ـ ح٦٨٢)، وابن ماجه (١/٥٢٦ ـ ح١٦٤٢)، والنسائي (٤/١٢٩)، وأحمد (٤/٣١٢، ٥/٤١١).

به والجهلَ فليس للهِ حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه»[1].

وفي خِضَمِّ هذا العبثِ ظهرتْ نداءاتٌ متبصرةٌ رفعها بعضُ المسؤولين المتبصرين. ينادون بها وهم فيها محقون. إنهم ينادون بضرورةِ النظرِ الجادِّ في الأمنِ الفكري، والتحصينِ للعقولِ من الفكرِ الوافدِ، والحفاظِ على خصوصيةِ المسلم في عقيدتِه الخالصةِ وشخصيتِه المؤمنةِ. نداءٌ صادقٌ لتحصين الأفكارِ من الهجماتِ الدخيلةِ التي تسمُ العقولَ، وتحرفُ السلوكَ، وتسيءُ إلى الدينِ، وتقضي على الأصالةِ، وتشككُ في الولاءِ وصدقِ الانتماءِ.

أيها الإعلاميون أيها المربون: إن الاهتمامَ بالأمنِ الفكريِّ يأتي في مقدمةِ الاهتمام بمفهوم الأمنِ كلِّه أمنِ الأرواحِ، وأمنِ الأعراضِ، وأمنِ الأموالِ، وأمنِ الغذاءِ، وأمنِ الصحةِ، وأمنِ العملِ.

ماذا يُرجىٰ من أمةٍ أصيبتْ في فكرِها، واضطربتْ في توجهها، واهتزتْ في قيمِها وتزعزعتْ في عقيدتِها؟؟ إنها لا تفقدُ الأمنَ وحدَه ولكنها تفقدُ الوجودَ كلَّه وتخسرُ الكيانَ أجمعَه. لماذا هاجسُ الأمنِ الفكري؟ لأ الناظرَ في عالمِ اليوم يدركُ أن مناطقَ الصراعِ المنتشرةِ على ساحةٍ واسعةٍ؛ كلُّها بُؤرُ صراعٍ فكريٍّ الطابعِ عقائديِّ المحتوىٰ. إنه سنةُ اللهِ في الصراعِ بين الحقِّ والباطلِ. فأين دورُ إعلامِ المسلمين؟ وما هي أهدافُه؟ وماذا عن

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ ـ ح١٩٠٣)، والترمذي (٣/ ٨٧ ـ ح٧٠٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٢/ ٣٠٧ ـ ح٢٣٦٢).

خططِه؟ فضائياتٌ وإذاعاتٌ، وصحافةٌ ومجلاتٌ؟؟ لاشكَّ أن هناك فئاتٍ ضلتْ وانحرفتْ بأعمالٍ وأفكارٍ وأراءٍ لا تتفقُ مع الإسلامِ وأصولِه ومبادئِه وتعاليمِه وأحكامِه. الإسلامُ من أفعالِها براءٌ، فَهذه فئاتٌ يجبُ أن يُجلَّىٰ أمرُها ويفضحَ فكرُها وتوجُهها من أجلِ الحصانةِ للأمنِ الفكريِّ.

وفي ذاتِ الوقتِ يجبُ على وسائلِ الإعلامِ بكلِّ أنواعِها وهي تحرصُ على حمايةِ الأمةِ وتأكيد أصالتِها وثوابتِها أن لا تخلطَ بين الحقِّ والباطلِ. عليها أن تميزَ بين الصالحين الغيورين على الإسلامِ وبين هذه الفئاتِ الضالةِ المنحرفةِ.

كما يجبُ أن تُفضحَ الفئاتُ العلمانيةُ الإلحاديةُ الحداثيةُ لتحصين فكرِ الأمةِ وتحقيقِ أمنِها واستقرارِها النفسيِّ والدينيِّ.

إن الفكرَ المنحرفَ بطرفيه المتطرفين الافراطِ والتفريطِ لا يُعطي غيرَ القلقِ والضيقِ واساءةِ الظنِّ بمن حولَه وما حولَه.

كيف يُطمأنُّ على الأمنِ الفكريِّ وهناك من يجوسُ خلالَ الأمةِ بأفكارٍ كافرةٍ ملحدةٍ أفكارٍ تدميريةٍ ثائرةٍ تجأرُ بالتطاولِ على مقامِ الألوهيةِ والربوبيةِ والإسلامِ؟؟.

كيف يُطمأنُّ على الأمنِ الفكريِّ وهناك من يجاهرُ بالقولِ بفصلِ الدينِ عن الدولةِ؟ وعقولُهم وأفكارُهم وكتاباتُهم ونداءاتُهم تأبىٰ أن يكونَ للدينِ والإسلامِ موقعٌ في تصريفِ شؤون الحياةِ؟؟؟.

أيها الإخوةُ: إن الكفارَ غيرُ ملومين حين يجدُّونَ في نشرِ الباطلِ، وغزو العقولِ، وتغييرِ المفاهيمِ، وسلخِ الشعوبِ عن

معتقداتِها، ولكن اللومَ كلَّ اللومِ والعيبِ كلَّ العيبِ حين يقومُ رجالٌ من المسلمين وإعلامٌ ينطَلقُ من ديارِ أهلِ الإسلامِ فلا يكونُ إلا مردِّداً لهذا الصدىٰ المنحرفِ.

من المَعيبِ والمُشين أن تعيشَ وسائلُ إعلامِ الأمةِ في كثيرٍ من مواقعِها تبعيةً قاتلةً لا يُرجىٰ منها تحصينُ فكرٍ ولا حفظُ دينٍ، بل إنها لمسكينةٌ هزيلةٌ مهزومةٌ قتلها اللهاثُ وراءَ ما يسمونه المنافسةَ الإعلاميةَ، وهنا تأتي قاصمةُ الظهرِ، فالمنافسةُ في فهمِهم المنهزمِ أن يدخلوا معهم في جحرَ الضبِّ الخربِ، ويسيروا خلفَهم حذوَ النعلِ بالنعلِ والذيلِ بالذيلِ.

إنه تنافسٌ بائسٌ في بَثِّ الفكرِ المنحرفِ وتأكيدِ التبعيةِ للإلحادِ الغربيِّ والماديةِ المعاصرةِ، بل إنه لفيفٌ وخليطٌ ومشاجٌ من المعتقداتِ والتصوراتِ بدأً من الوثنيةِ اليونانيةِ ثم دياناتٍ محرفةٍ من يهوديةٍ ونصرانيةٍ وانتهاءً بالمذاهبِ الماديةِ المعاصرةِ، وتعميمٌ لنموذجِ الأعداءِ في الثقافةِ والسلوكِ. لقد طفحتْ كثيرٌ من هذه الوسائلِ بنشرِ الفلسفاتِ التي تعزز الماديةَ وتضعفُ الجوانبَ الإيمانية.

ويحهم أيُّ حصانةٍ للفكرِ؟؟ وهم لا يبثون ولا يكتبون إلا ما يثيرُ الفتنَ، في نفسيراتٍ مغرضةٍ للأحداثِ من خلالِ التحليلاتِ الإخباريةِ والتعليقاتِ الإعلاميةِ مما يولدُ البلبلةَ والقلقَ وغرس الوساوس والمخاوفِ في الصدورِ، وبثَّ الفرقِ والانقسامِ بين طبقاتِ الأمةِ.

وحينما تتبصرُ في مقابلاتِهم ونداواتِهم تراها دائرةً بين

مجاملاتٍ لمن يحبون، ومحاكماتٍ لمن يكرهون، فاقدةً للمصداقيةِ، محكومةً بالهوىٰ والمذهبيةِ والتوجهاتِ والسياسيةِ.

بل يقالُ بكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ لقد بدأتْ وجهةُ الحياةِ الفكريةِ والسياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ في كثيرٍ من البلادِ والشعوبِ تتخذ مساراً بل مساراتٍ متغايرةً. إنه استعمارٌ له تلامذتُه من ضحايا الغزوِ الفكريِّ والاختراقِ الأمنيِّ العقائدي.

وسائلٌ وتوجهاتٌ وكأنها متكفلةٌ ملتزمةٌ بإيجادِ أجيالٍ مبتوتةِ الصلةِ بدينِها وأمتِها، مستنقصةٍ لتراثِها وحضارتِها، ملتصقةٍ بالعدوِّ الكافرِ الذي لا يرضىٰ ولن يرضىٰ إلا أن تكونَ الأجيالُ أداةً لتنفيذِ كلِّ المآرب.

ناهيك بما تقومُ به هذه الوسائلُ من تخديرٍ للشعوبِ من خلالِ إشاعةِ الفحشاءِ، وبثِّ الرذيلةِ، ونشرِ الإباحيةِ والاختلاطِ والسفورِ، والترويجِ للعنفِ والجريمةِ، والتعودِ على رؤيةِ المنكراتِ، وعدمِ التفكيرِ في انكارِها، وتفجيرِ الغرائزِ، والعريِّ الفاضحِ، وعرضِ المفاتنِ في مسلسلاتِ إجرامٍ وخيانةٍ وعنفٍ وافلاتٍ من العقابِ.

مع معارضةٍ صريحةٍ لحجابِ المرأةِ المسلمةِ، وترويجٍ لاستحسانِ التأخرِ في الزواجِ، ومحاربةِ التعددِ المشروعِ، مما تفشىٰ معه الطلاقُ، وانتشرتْ الأنانيةُ، وحبُّ الذاتِ، وضعفُ الروحِ الجماعيةِ والترابطِ الأسريِّ، وصلةِ الرحمِ، لقد أخرجوا المرأةَ من عفتِها وكرامتِها وحجابِها وطهرِها، وأضحتُ الخمورُ والعهرُ من الأمورِ اللازمةِ لهذه الموادِّ الإعلاميةِ الساقطةِ،

فلا حول ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم. ويا باغيَ الخيرِ أقبلْ، ويا باغيَ الشرِّ أقصرْ، ولله عتقاءُ من النارِ.

هل هذه غاياتُ الإعلام في ديارِ الإسلام؟ وهل هذه حصانةُ الفكرِ وسلامةُ المجتمعِ؟ أم هل هذه هي الغَيرةُ؟ وهل هذه هي الديانةُ؟ بل هل هذه هي الوطنية؟؟.

هل تساءلتْ وسائلُ إعلامِ المسلمين فضائياتٌ وإذاعاتٌ وصحفٌ ومجلاتٌ: ماذا قدمتَ للشابِّ المسلم؟ وماذا صنعتْ من أجلِ المرأةِ المسلمةِ؟ وماذا أعدتْ للطفلِ المسلم؟؟.

هل عرفتْ هذه الوسائلُ حقيقةَ هذه الأمةِ ومنزلتَها ووظيفتَها؟؟.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [١٠٤].

أين خططُهم للدعوةِ إلى اللهِ على بصيرةٍ؟ وماذا قدموا لنشر عقيدةِ الإسلامِ الصافيةِ النقيةِ؟ أين تحصينُ فكرِ الشبابِ عن كلِّ دخيلٍ؟ أين بسطُهم لسيرةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ؟ أين تجسيدُهم لحضارةِ الإسلام؟.

لم تكنْ موادُّهم سوى نقولٍ ومترجماتٍ وتقليدٍ ومحاكاةٍ؛ إنها ليست سوى أفلامٍ وأقلامٍ عربيةِ الحرفِ أجنبيةِ الفكرِ ضالةِ المعتقدِ مترددةِ الولاءِ. عقولٌ مسترقةٌ، ونفوسٌ مستعبدةٌ، وأفكارٌ

مستوردةٌ. التحررُ عندهم الخروجُ من الدينِ. والتقدمُ في فهمِهم هو الجريُ في ساحاتِ الإلحادِ. والتغييرُ المطلوبُ هو التقلبُ في عرصاتِ الجاهليةِ الوثنيةِ القديمةِ والحديثةِ. والابداعُ والتجديدُ هو نبذُ العقيدةِ والتنكرُ للشريعةِ، والفنُّ هو الاستكثارُ من صورِ العفنِ.

أيها الإخوةُ: هذا هو بعضُ الواقعِ، ومع الأسفِ أن ذلك في هذا الشهرِ الكريمِ يتجلىٰ فيه منهم زَورُ القولِ وزورُ العملِ «**من لم يدع قول الزورَ والعمل به فليس للهِ حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه**»[1].

فحقٌّ على الأمةِ ألا تقفُ موقفَ الدفاعِ أو موقفَ التلاومِ والتشكي وبثِّ الأحزانِ والتأوهاتِ ولكنَّ الواجبَ يقتضى توظيفَ وسائلِ العصرِ للاستفادةِ في غرسِ القيمِ وحمايةِ العقولِ وتدعيمِ الثوابتِ الإيمانية، وتعريةِ أساليبِ الأعداءِ، وكشفِ أصحابِ القلوبِ المريضةِ اتباعِ كلِّ ناعقٍ. يجبُ ترسيخُ مفهومِ حقِّ السمعِ والطاعةِ وحفظِ حقوقِ ولاةِ الأمورِ في المنشطِ والمكرهِ، والارتباطِ بالثقاتِ من أهلِ العلمِ وكبارِهم، وحمايةِ سياجِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، ورفضِ الغلوِّ ونبذِ التعصبِ والتحزبِ والانغلاقِ المذهبي.

يجبُ أن يتنادىٰ المخلصون وترتفعَ أصواتُهم معلنين أن هذه الوسائلَ إن لم يُحْسَنْ توجيهُها فهي كفيلةٌ بأن تُخرجَ أجيالاً

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ ـ ح١٩٠٣)، والترمذي (٣/ ٨٧ ـ ح٧٠٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٢/ ٣٠٧ ـ ح٢٣٦٢).

لا ترىٰ الخيرَ ولا المصلحةَ إلا فيما عند الأعداءِ، ولا ترىٰ التخلفَ والسوءَ إلا فيما عند أهلِها ودينِها. يجبُ الاستيقانُ أن هذه الوسائلَ بهذه الموادِّ التي تقدمُها إنما تلفُّ الحبالَ حولَ الأعناقِ لتجرَّ الناسَ نحو أعدائِهم جرا. إنها نذُرُ سوءٍ تنالُ من أمننا الفكريِّ واستقرارِنا النفسي، نذرُ سوءٍ تقودُ إلى افرازِ أجيالِ مسخٍ لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ.

أمتنا تنتمي إلى خيرِ فكرٍ، ومعارفُنا أصحُّ المعارفِ، وقرآنُنا وحدَه هو الذي يهدي للتي هي أقومُ. وهو الذي يثيرُ هذا السؤالُ: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١] فيأتي الجوابُ صريحاً قاطعاً:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ۖ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالتزموا كتابَ ربِّكم وسيروا على نهجِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ. واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه. إنه هو الغفور الرحيم.

الإعلام والأمن الفكري

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً أرجوا بها لديه الزلفىٰ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً المصطفىٰ، صلى والله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ البرِّ والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على دربِهم واقتفىٰ.

أما بعدُ. فاتقوا الله عبادَ اللهِ، فتقوىٰ اللهِ فيها النورُ والفرقان، واليسرُ بعد العسرِ والمخرجُ بعد الضيقِ.

أيها المسلمون: إنكم لتشاهدون في هذا العصرِ، وترون ما يحتمُ على كلِّ صادقٍ وناصحٍ، ويوجبُ على كلِّ مسؤولٍ في أي موقعٍ أن يرىٰ بعينٍ باصرةٍ وفكرٍ ثاقبٍ مداخلَ الشرِّ الكثيرةَ، ومنافذَ التلوثِ المتنوعةَ، يتسربُ عن طريقِها الفكرُالمنحرفُ، مما يحتاجُ معه الموضوعُ إلى عنايةٍ خاصةٍ واهتمامٍ متميزٍ.

وإن المسؤوليةَ لتتركزُ أولَ ما تتركزُ على الجهاتِ الإسلاميةِ المباشرةِ في الدولِ الإسلاميةِ من وزارتِ الإعلامِ والشؤون الإسلامية ودورِ الإفتاءِ ومراكزِ الدعوةِ والجامعاتِ والمدارس الإسلامية. كما يتأكدُ ذلك على الجهاتِ المسؤلة المعنيةِ بالشبابِ والتربيةِ ليحافظوا على الناشئةِ من الانحرافِ والشذوذِ في طرفيه

الافراطِ والتفريطِ. الغلوِّ والتفلتِ.

ومن هذا المنطلقِ جاءَ توجُّه هذه البلادِ ـ بلادِ الحرمين الشريفين ـ في هذا البابِ، فالأمنُ الفكريُّ هاجسٌ يحظىٰ بمكانته لدىٰ المسؤولين. وذلك نابعٌ من منطلقِها الأصليِّ منطلقِ العقيدةِ الصحيحةِ والمواطنةِ الخاصةِ الصالحةِ التي تنتمي إلى الحرمين الشريفين، وهم العمادان الشامخان اللذان تقومُ عليهما البلادُ المباركةُ.

فلقد أكَّد المسؤولون ـ أيدَّهم اللهُ ـ في نظرةٍ واعيةٍ وفهمٍ متبصرٍ أن الفكرَ السليمَ يعتمد ـ عندنا ـ على قاعدتين أساسيتين:

أولاهما التمسكُ بالمعتقدِ الصحيحِ المبنيِّ على كتابِ اللهِ العزيزِ والسنةِ النبويةِ المطهرةِ ثم فهم السَلفِ الصالحِ رضوان الله عليهم.

وثانيهما: المواطنةُ الصحيحةُ التي ترتبطُ بمهبطِ الوحيِ ومُهاجرِ رسولِ اللهِ ﷺ والجزيرةِ دارِ الإسلامِ ومحضنِ الإيمانِ.

إن أيِّ منهجٍ أو فكرٍ لا ينطلقُ من هاتين القاعدتين أو لا يخدمُها ويرسخُهما فهو ضارٌّ وخطرٌ يجبُ الوقوفُ في وجهه؛ ومن ثمَّ فواجبٌ على كلِّ ذي فكرٍ وقلمٍ ممن له موقعٌ في التربيةِ والتوجيه، ومن يعملُ على تصحيحِ المفاهيمِ المدخولةِ والأفكارِ المغلوطةِ، ويدافعُ عن دينِ اللهِ ويقاومُ كلَّ دخيلٍ وشاذٍّ. إن أهمَّ منطلقاتِ التصحيحِ الاعتقادُ الجازمُ بأن أمةَ الإسلامِ لم يعزَّها الله إلا بالإسلامِ، فمهما ابتغتْ العزَّ في غيرهِ فهي إلى الذلِ والتبعيةِ تصيرُ.

والإعلامُ في هذه البلادِ المباركةِ له رسالتُه الخاصةُ ودورُه المتميزُ ومسؤوليتُه الكُبرىٰ بما يجسِّدُ الإحسانَ في الحفاظِ على قاعدتي الدينِ والمواطنةِ الصالحةِ فلا يرضىٰ لنفسِه، ولا يقبلُ منه أهلُه ومحبُّوه أن يجاريَ الأبواقِ الناعقةِ ويسيرَ في ركابِ المنافسةِ الإعلاميةِ الهزيلةِ والتبعيةِ المهينةِ، سددَ اللهُ الخطىٰ وباركَ في الجهودِ.

وتقبلَ اللهُ من الجميعِ الصيامَ والقيامَ وحفظَ الجوارحَ وأصلحَ القلوبَ وهدىٰ إلى الطريقِ المستقيمِ ورزقَ الجميعَ الصلاحَ والتقوىٰ.

رمضان موقف وداع ومحاسبة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أنعمَ علينا بدينِه، واختصَّنا بملَّتِه، وهدانا لحمدِه، أحمده سبحانه وأشكره، جعل لشهر الصيام حرماتٍ موفورةً، وفضائلَ مشهورةً، حرَّم فيه ما أحلَّ في غيرِه إعظاماً، ومنع فيه المطاعمَ والمشاربَ إكراماً. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه بيَّن أحكامَ الصيام فلا تُصْغي الأسماعُ الصائمةُ إلى لغوٍ، ولا تُسرع الأقدامُ إلى لَهوٍ، ولا تمتدُّ الأبصارُ إلى محظورٍ، ولا تُبسط الأيدي إلى ممنوع، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عز وجل، فاتقوه وتوبوا إليه لعلكم تفلحون.

أيها المسلمون: الشهورُ والأعوامُ، والليالي والأيامُ، مواقيتُ الأعمالِ، ومقاديرُ الآجالِ، تمضي سريعاً، وتنقضي جميعاً. دوراتُ الأفلاكِ تتصرمُ، وسنواتُ الأعمارِ تتقضَّىٰ. أفلاكٌ سابحةٌ، وكواكبُ سيارةٌ وثابتةٌ، وكلٌّ يجري لأجلٍ مسمىٰ. وهذه سنةُ اللهِ في خلقِه وأكوانِه. وأهلُ الدنيا في هذا كأنَّهم بين أحلام نائِم، وخيالٍ زائلٍ.

إذا كان هذا هو الحالَ ـ أيُّها المسلمون ـ فجديرٌ بنا أن نقفَ موقفَ مراجعةٍ، بل وقفَةَ توديعٍ لشهركم ومحاسبةٍ.

وقفةُ مراجعةٍ داعيةٌ لاستعراضِ سجلِّ هذا الشهرِ الكريمِ، وتقويمِ الجهودِ والأعمالِ، ومراجعةِ الحسابِ، وتقليبِ الصفحاتِ ليعرفَ المسلمُ واقعَهُ، وينظرَ خطواتِ مستقبلِه وآثارَ أعمالِه.

موقفُ محاسبةٍ يُراجعُ فيه الذين أسرفوا على أنفسِهم مواطنَ إسرافهم، فصاحبُ الصيامِ الحقِّ لا يطولُ أمدُ غفلتِهِ.

لقد مضتْ أوقاتُ شهرِكم سِراعاً، وكان كثيرٌ منها ومنكم في التفريطِ مضاعاً. فنسألُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يَخْلُفَ علينا بالمغفرةِ ما مضىٰ، وأن يباركَ لنا في الصالحاتِ فيما بقيْ. وأن يختمَ لنا شهرَنا بالعفوِ والغفرانِ والعتقِ من النارِ. وأن يُبَلِّغَ في الخيرِ آمالنا وأن يعيدَ أمثالَه علينا وعلى أمتِنا في خيرٍ وعزٍّ ونصرٍ وأمنٍ وأمانٍ.

موقفُ توديعٍ ومحاسبةٍ يدفعُ إليه ويدعو ما يُرىٰ من أحوالِ بعضِ المسلمينَ، فالأحوالُ لديهم في هذا الشهر الكريمِ تتحسَّنُ، والأعمالُ الصالحةُ عندهم تزدادُ، ولكن ما أن يبدأَ الشهرُ الكريمُ تتقوضُ خيامُه، ويتناقصُ هلالُه حتى ترىٰ هذا الغافلَ بعد ليلةِ سَبعٍ وعشرين أو بعد حضور ختمِ القرآنِ العظيمِ وقد بدأ العملُ عندَه يتناقصُ، ودبَّ في سلوكِه التَقصيرُ والفتورُ. فتنحسرُ صفوفُ المصلين، ويقلُّ إحسانُ المحسنين. وكأنَّ القومَ لا يعرفونَ اللهَ إلا في رمضانَ، وكأنَّ اللهَ لا يُعبدُ إلا في شهرِ رمضانَ.

ومن أجلِ مزيدِ بيانٍ وحسنِ نظرٍ في المراجعةِ فلتعلموا أن في الحياةِ نوازعَ شهوةٍ وهوىٰ، وفيها دوافعَ غضبٍ وانتقام، وفي الدنيا تقلبٌ بين النعماءِ والضراءِ. وفيها نزوعٌ عن الأوطانِ، ومفارقةُ الأهلِ والخلان. وفي الحياةِ كذلك جهادٌ في سبيل اللهِ ومجاهدةٌ للذودِ عن الحِمىٰ والكرامةِ، وفيها الكثيرُ والكثيرُ من الخطوبِ والمشاقِّ.

لكل ذلك يأتي شهرُ رمضانَ المباركُ درساً بل دروساً لطبيعةِ هذه الحياةِ. إنه شهرٌ كاملٌ متتابعٌ يتكررُ كلَّ عامٍ من أجلِ يقظةِ الوازعِ، والتحكمِ في النفسِ، ومراقبةِ العملِ.

وفي شهرِ رمضان تتنوعُ العباداتُ، وتكثرُ فرصُ الخيراتِ، وتهُبُّ نسماتُ النفحاتِ. من قيامِ ليلٍ في تراويحَ، وقراءةِ قرآنٍ، واعتكافٍ ومناجاةٍ، وذكرٍ ودعاءٍ، واجتهادٍ في الاحسانِ والمواساةِ، وبذلٍ للزكواتِ والصدقاتِ، وتحري ليلةِ القدرِ، وإخراجِ صدقةِ الفطرِ، وعظيمِ الرجاءِ والاستبشارِ بالعفوِ من الكريمِ المنانِ. ويزدادُ العملُ إذا دخلتْ العشرُ في خواتيمِ الشهرِ من احياءِ ليلٍ وايقاظِ أهلٍ وجدٍّ وشدٍّ للمآزرِ.

عباداتٌ وقرباتٌ تُصْلحُ القلبَ، وتهذبُ النفسَ، وتُصِحُّ البدنَ، وتَذهبُ بفضولِ الكلامِ والمنامِ، وسوءِ مخالطةِ الأنامِ.

الصومُ جُنَّةٌ يقودُ إلى الجنةِ، وحِصنٌ حصينٌ يقىْ من النارِ. إنه امتناعٌ مشروعٌ، وتأديبٌ بالجوعِ، وخشوعٌ للهِ وخضوعٌ، يستثير في النفوسِ الكريمةِ الشفقةَ، ويحضُّ على الصدقةِ، ويكسرُ الكبرَ، ويعَلمُ الصبرَ، ويسنُّ خلالَ البرِّ. هيمنةٌ على سلطانِ

الغرائزِ، وتغلبٌ على نزاعاتِ الشهواتِ. الصيامُ لجامُ المتقين، وجُنَّةُ الصالحين ورياضُ الأبرارِ المتقين. تركوا محبوباتِ النفوسِ وملذاتِها ايثاراً لمحبةِ اللهِ ورضاه: «**يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**»[1].

أيُّها الإخوةُ: وموقفُ التوديعِ والمحاسبةِ يستدعي الاشارةَ إلى بعضِ العباداتِ في أسرارِها وآثارِها على المتعبدين والصائمينَ، وعياً وهدياً، وشعاراً والتزاماً، ومبدأً وتطبيقاً. دروسٌ واعظةٌ، وعبرٌ هاديةٌ لعل اللهَ أن يختمَ لنا شهرَنابخيرٍ، وأن يغفرَ لنا عِثارَنا، ويجبرَ كسرَنا.

أيُّها الإخوةُ: إن المؤمنَ يجتمعُ له في شهرِه هذا جهادان؛ جهادٌ في النهارِ بالصيام، وجهادٌ في الليلِ بالقيام، فمن جمعَ هذين الجهادين ووفَّىٰ حقوقَهما وصبرَ عليهما وصابرَ وُفِّي أجرَه بغيرِ حسابٍ.

الصيامُ يمنعُ في النهارِ الطعامَ، والقرآنُ يمنعُ في الليلِ المنامَ، والصيامُ والقرآنُ يشفعان لصاحبِهما.

جهادٌ يتأبَّىٰ على الشهواتِ، ويترفعُ عن دنايا الملذاتِ، قوةٌ وجلدٌ تقودُ إلى الهدىٰ، وتصدُّ عن مراتعِ الهوىٰ.

إذا اشتدَّ توقانُ النفسِ إلى ما تشتهيه مع قدرتِها عليه ثم تركتْهُ للهِ عزَّ وجلَّ في موضعٍ لا يطلعُ عليه إلا اللهُ كان ذلك برهانَ

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ح١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٧ ـ ح١٦٤).

صحةِ إيمانِها، وقوةِ تقواها، ونورِ الوازعِ لديها، ومن أجلِ هذا كان الصيامُ سراً بين العبدِ وبين ربِّه. وخصَّه الربُّ بنسبته إليه: «**الصومُ لي**»[1] وجعلَ ثوابَه لا يدخل تحت عدٍّ: «**وأنا أجزي به**»[2].

أيها الإخوةُ: إن محورَ التفاوتِ بين الناس يكمنُ في الإراداتِ وليس في القوىٰ والقُدْراتِ: «**فليس الشديدُ بالصُّرَعةِ إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عند الغضبِ**»[3].

إراداتٌ قويةٌ تُوجَّه لضبطِ الوقتِ والنفسِ، والخلاصِ من الدِّعَةِ، ومقاومةِ النزواتِ.

تأمَّلوا حالَ الصائمِ المعتكفِ قد حبسَ نفسَه ولزمَ بيتِ اللهِ لطاعةِ اللهِ، انصرفَ عن الشواغلِ، وعَكَفَ قلبَهُ وقالبَهُ على ربِّه، شَغَل همَّه في ابتغاءِ مرضاةِ ربِّه. قطعَ العلائقَ عن الخلائقِ للاتصالِ بعبادةِ الخالقِ. وكلَّما قويتْ المعرفةُ باللهِ والمحبةُ به والأنسُ بقُربِه أورثتْ صاحبَها انقطاعاً إلى ربِّه وحباً للخلوةِ به «**أنا مع عبدي إذا ذكرني**»[4].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ح١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٦ ـ ح١١٥١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥ ـ ١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٦ ـ ح١١٥١).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣٥ ـ ح٦١١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٤ ـ ح٢٦٠٩).

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً انظر الفتح (١٣/ ٥٠٨)، وموصولا في خلق أفعال العباد، وأحمد (٢/ ٥٤٠)، والحاكم (١/ ٤٩٦) وقال صحيح الاسناد =

ولقد كان نبيُّكم محمدٌ ﷺ مُداوماً على الاعتكافِ في شهرِ رمضان حتى قالَ الإمامُ الزهريُّ رحمه الله: (عجباً للمسلمين تركوا الاعتكافَ مع أنَّ النبي ﷺ ما تركهُ منذُ قدِمَ المدينةِ حتى قبضَهُ اللهُ).

الصيامُ يذكِّرُ بحالِ الأكبادِ الجائعةِ، والأجسادِ العاريةِ، والنساءِ المترمِّلةِ، والأطفالِ الضائعةِ، وحينَها يرِقُّ القلبُ ويلينُ الطبعُ وتُقْبلُ النفسُ على الخيرِ فتتأسىٰ بنبيِّها محمدٍ ﷺ فقد كان أجودَ الناسِ وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانٍ.

إذا جاعَ من أَلِفَ الشبعَ، وإذا حُرِمَ من اعتادَ ألوان المُتَعِ عرفَ وقتَها الجوعَ كيف يقعُ، وأدركَ ألم الحرمانِ إذا لذعَ.

إن الصيامَ الصادقَ الذي يذكِّرُكَ بحالِ إخوانِك فتحسَّ بإحساسِهم وتعيشَ مآسيَهُمْ في حالِ مسغبتِهم ونكباتِهم، تتفاعلُ مع ذوي الضعفِ والحاجةِ والفقرِ والمسكنةِ في أرجاء المعمورةِ، فتبادرَ بالبذلِ والمساعدةِ، والإسهامِ في جهودِ الإغاثةِ، ودعمِ مشاريعِ الخيرِ والبرِّ.

أيها الإخوةُ، ورمضانُ موعدٌ معلومٌ لجماعةِ المسلمينَ كلِّهم ينتظمون فيه على نمطٍ واحدٍ من المعيشةِ؛ الغنيِّ والفقيرِ، والذكرِ والأنثىٰ، والشريفِ والوضيعِ، كلُّهم صائمٌ لربِّه، مستغفرٌ لذنبِه، ممسكٌ عن المفطراتِ في وقتٍ واحدٍ بدءاً ومُنتهىٰ. متساوون في الجوعِ والحرمانِ. إنه تذكيرٌ بوحدةِ الهدفِ، ووحدةِ الشعورِ،

= ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٢/١٢٤٦ ـ ح٣٧٩٢).

ووحدةِ الضميرِ، ووحدةِ المصيرِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإذا أردتَ استشعارَ مظهرِ الوحدةِ في هذه الشعيرةِ العظيمةِ فأدِرْ بصركَ على الجموعِ المكتظةِ في حرمِ اللهِ وحرمِ رسولهِ ﷺ لترىٰ مئاتِ الألوفِ من المسلمين الصائمينَ وقد اجتمعتْ في هذه الرحاب الطاهرة بأجناسِها وألوانِها لتعيشَ أجواء الأمنِ والأمانِ، والبذلِ والعطاءِ. هذه الرحابُ المباركةُ التي تحتضنُ الإسلامَ ودعوتَه مهوىٰ أفئدةِ المسلمين أجمعين، تلتقي هذه الجموعُ في رحابِها، وتلتقي معها آمالها، وتتجه إليها قلوبُها وأجسادُها، وتولي نحوها في القبلةِ وجوهَها.

فارجع البصرَ كرتين لترىٰ الوحدةَ متجسدةً في إمساكِها وإفطارِها، متحلقةً حولَ البيتِ العتيقِ، متراصَّةً في مسجدِ الرسولِ الأمينِ ﷺ.

أيها الإخوةُ: هذه بعضُ الأعمالِ والآثارِ، وتلك هي بعضُ الحكمِ والأسرارِ.

أيها الإخوةُ: والموقفُ موقفُ وداعٍ ومحاسبةٍ. أين استشعارُ المحاسبةِ وأين صدقُ التوديعِ من إناسٍ لم يكنْ صيامُهم سبيلاً لتقوىٰ اللهِ وضبطِ شهواتِهم وحفظِ نوازعِ نفوسِهم.

أقوامٌ انقلبَ صيامُهم نوماً في النهارِ من غير عملٍ، وسهراً في الليلِ في غير عبادةٍ.

قارنوا بين أحوالِ الصائمين القانتين وبين أقوام يستخفون من

الناسِ ولا يستخفون من اللهِ.

لم يعرفوا من رمضانِهم إلا أنواعَ الملذاتِ ومظاهرِ التبذيرِ والإسرافِ، استكثارُ صنوفِ الموائِد وألوانِ المطاعمِ، فصيامهم جوعٌ وعطشٌ ليس إلاَّ... : «**كم من صائمٍ ليس له من صيامِه إلا الجوعُ والعطشُ**»[1].

أين الصيامُ الحقُّ من أقوامٍ يقترفون المآثمَ والخطايا ثم لا يتوبون ولا هم يذكَّرون؟؟. يشتغلون بتدبير الفتنِ والمكايدِ ومحاربةِ اللهِ ورسولِه وجماعةِ المسلمين. وقومٌ آخرون انطوتْ قلوبُهم على الحقدِ والحسدِ والبغضاءِ ليفرقوا كلمةَ المؤمنين.

وفئامٌ تجترىءُ على المظالمِ وتستغلُ مصالحَ المسلمين لمآربِهم الشخصيةِ وتتطاولُ بجارحِتها لتؤذي عبادَ اللهِ وتهتكَ حرماتِهم.

الصائمُ لا يكذبُ ولا يرتابُ ولا يشيْ[2] ولا يرتشيْ، لا يخادعُ ولا يرائي، لا يأكلُ الربا ولا يأكلُ أموالَ الناس بالباطلِ، لا يمنعُ الزكاةَ أو يستثقلُ إخراجها. ليعلم هؤلاء أن العباداتِ في الإسلامِ غيرُ منفصلةٍ عن الحياةِ ومعاركها وآفاقِها.

وإن كثيراً من الشبابِ والشاباتِ ليُخَصُّون بحديثِ المحاسبةِ هذا ففيهم لاهونَ غافلونَ قد قصَّروا في جنبِ اللهِ وكأنَّه لا همَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٣)، والدارمي وسنده جيد، والحاكم (١/ ٤٣١) وقال: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير ورجاله موثقون انظر مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٢).

(٢) يشي: من الوشاية وهي النميمة.

لهم إلا أن يذرَعوا الأسواقَ جَيْئةً وذهاباً يؤذون أنفسَهم ويؤذونَ المؤمنين والمؤمناتِ، يقطِّعُونَ أوقاتَهم في سهرٍ عابثٍ وسمرٍ ماجنٍ، وتبرجٍ وتسكعٍ، واظهارٍ للزينةِ والمفاتنِ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

كما تخصُّ وسائلُ إعلامِ المسلمينَ بخطابٍ، فإن لديها نظراً قاصراً في حقِّ هذا الشهرِ الكريمِ. وإن منها وسائلَ ذاتَ انتشارٍ عريضٍ وغزوٍ فضائيٍ واسعٍ. أيُّ نظرٍ هذا الذي لا يُرىٰ فيه هذا الشهرُ إلا وكأنه ميدانٌ للمسلسلاتِ الماجنةِ والمسابقاتِ الهزيلةِ الهابطةِ في تنافسٍ بينها غيرِ محمودٍ.

ناهيكَ بأقوامٍ من ذوي اليسارِ والجِدَةِ قتلَهم سَعَارُ المادةِ يطلبونَ ولا يبذلُونَ، ويشتهونَ ولا يصبرونَ، ويجمعونَ ولا يقْسِمون.

أيها المقصرون والمقصراتُ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»[1].

ألا فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وأرو ربَّكم من أنفسِكم خيراً فمن كان مجدًّا فليزددْ، ومن كان مقصراً فليَقْصُرْ، ومن غلبه هوىٰ أو تشاغلَ بلهوٍ فليبادرْ بالتوبةِ النصوحِ وليْعظُم رجاؤه بربِّه فأبوابُ التوبةِ مُشْرْعَةٌ، ومن كان غارقاً في الشهواتِ والنزواتِ فقد طالَ عناؤه وعظمُ شقاؤه، ومن نوقشَ الحسابَ هلك. ومدارُ السعادةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٩ ـ ح١٩٠٣)، والترمذي (٣/ ٨٧ ـ ح٧٠٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٢/ ٣٠٧ ـ ح٢٣٦٢)، وابن ماجه (١/ ٥٣٩ ـ ح١٦٨٩).

في طولِ العمرِ وحسنِ العملِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠ ـ ١١٢].

رمضان موقف وداع ومحاسبة

الخطبة الثانية

الحمد للهِ شرحَ صدورَ المؤمنين فانقادو لطاعتِه، حبَّبَ إليهم الإيمانَ وزينَه في قلوبِهم ووفقهم لحسنِ عبادتِه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله أقامَ الدينَ ورفعَ أعلامَ شريعتِهِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أزواجه وأصحابهِ وعترتِه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فأوصيكم عبادَ اللهِ ونفسي بتقوىٰ اللهِ ربِّكم في السرِّ والعلنِ، وانتهوا عن المعاصي والانقيادِ للأماني، فالكيِّسُ من دانَ نفسَه وعمل لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ من اتْبَعَ نفسَهُ هواها وتمنَّىٰ على اللهِ الأماني.

أيها الإخوةُ: إن مداومةَ المسلمِ على الطاعةِ من غير قصرٍ على وقتٍ معينٍ أو شهرٍ مخصوصٍ أو مكانٍ فاضلٍ من أعظم البراهين على القبولِ وحسنِ الاستقامةِ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩] ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فجِدُّوا رحمكم الله في خواتيمِ شهرِكم؛ فإنما الأعمالُ

بالخواتيم، ومن أحسن وأصلح فيما بقيْ غُفِر لَه ما سلَفَ، ومن استمرَّ في تقصيرْ أُخذَ بما سلفَ وبما بقيْ.

وإن من مسالكِ الإحسانِ في ختامِ شهرِكم ـ رحمكم الله ـ إخراجَ زكاةِ الفطرِ ففيها إلفةُ القلوبِ، وعطفُ الغنيِّ على أخيه الفقيرِ، فرضَها رسولُ الله ﷺ طهرةً للصائِم وطعمةً للمساكينِ، وما اشتكىٰ فقيرٌ إلا بمقدارِ ما قصَّرَ غنيٌ. ومقدارُها صاعٌ من طعامٍ من غالبِ قوتِ البلدِ كالأرزِ والبُرِّ والتمرِ عن كلِّ مسلمٍ.

ووقتُ إخراجِها الفاضلُ يومُ العيدِ قبلَ الصلاةِ، ويجوزُ تقديمُها قبل ذلك بيومٍ أو يومين. فأخروجها رحمكم اللهُ طيبةً بها نفوسُكم ثم ابتهجوا بعيدِكم واشكروا ربَّكم لتمام فريضتِكم.

ولكن أعيادَ المسلمين لا يبتهجُ فيه حقَّ الابتهاجِ إلا أهلُ الطاعاتِ من الصائمين والقائمين والمنفقين والمستغفرين بالأسحارِ.

ولقد قال قائلُ السلفِ: (كلُّ يومٍ لا يُعصىٰ اللهُ فيه فهو عيدٌ، وكلُّ يومٍ يقطعُهُ المؤمنُ في طاعةِ مولاه وذكرِهِ وشكرِهِ فهو عيدٌ).

العيدُ مناسبةٌ جميلةٌ لاطلاقِ الأيديْ الخيِّرةِ في مجالِ الخيرِ لتعلوَ البسمةُ جميعَ الشفاةِ وتغمرَ البهجةُ كلَّ القلوبِ.

عيدٌ مقرونٌ بتفريجِ كربةٍ وملاطفةِ يتيمٍ ومواساةِ ثكلىٰ، وتفتيشٍ عن أصحابِ الحوائجِ والجوائحِ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

عيدٌ ومناسبةٌ لتأكيدِ أواصرِ الرحمِ والقربىٰ والودِّ مع الإخوانِ والأصدقاءِ، تتقاربُ القلوبُ على المحبةِ، وتجتمعُ على الألفةِ

وترتفعُ عن الضغائِنِ.

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ وودِّعوا شهرَكم وابتهجوا بعيدِكم بالبقاءِ على العهدِ وإتْباعِ الحسنةِ الحسنةَ فذلك من علاماتِ قبولِ الطاعاتِ فأتْبعوا رمضانَكم بصيامِ ستٍ من شوالٍ كما ندبَكم إلى ذلك نبيُّكم محمدُ ﷺ فمن فعل ذَلك فكأنما صامَ الدهرَ كلَّه[1].

تقبلَ اللهُ منا ومنكم الصيامَ والقيامَ وسائرَ الطاعاتِ وأعادَ علينا وعلى أمةِ الإسلامِ هذا الشهرَ بالقبولِ والمغفرةِ والصحةِ والسلامِ وعزِّ الإسلامِ إنه سَميعٌ مجيبٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٢ ـ ح١١٦٤)، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٣/ ١٣٢ ـ ح٧٥٩)، وأبوداود (٢/ ٣٢٤ ـ ح٢٤٣٣)، وابن ماجه (٥٤٧ ـ ح١٧١٦)، وأحمد (٥/ ٤١٧).

في تاريخ مكة ومآثرها

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه وخِيرتُه من خلقِه ومصطفاه من رسلِه، أرسله بالحقِّ بشيراً ونذيراً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلِهِ الطيبين الطاهرين، وعلى آله وأصحابِه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد فأوصيكم أيهاالناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فالزموا كلمةَ التقوىٰ رحمكم اللهُ، وكونوا أحقَّ لها وأهلَها.

أيها المسلمون: ثقافةُ الأمةِ هي مجموعُ ما تملك من جوانبَ فكريةٍ وروحيةٍ، وأخلاقيةٍ وسلوكيةٍ، ومدنيتُها هي مجموعُ جوانبِها الماديةِ. أما الحضارةُ فهي جماعُ الثقافةِ والمدنيةِ معاً. وإن الحضارةَ بهذا المفهومِ هي أنفسُ وأخلدُ ما تفخرُ به الأمةُ من تراثِها وجِماعِ علومِها وآدابِها.

ولما مدَّ الإسلامُ فتوحاتِه منطلقاً من مكةَ المشرفةِ وطيبةَ الطيبةِ ومتوجهاً إلى أصقاعِ المعمورةِ شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً دخلَ فيه أبناءُ البلادِ المفتوحةِ، وشملتْ سماحتُه من بقي على دينِه من هؤلاءِ.

لقد كان الإسلامُ بحضارتِه ومدنيّتِه متيناً قوياً بقدرِ قوةِ عقيدتِه ورسوخِ مبادئِه. وبهذه القوةِ والرسوخِ أخذ وأعطىٰ، ووافقَ وتأبَّىٰ، ولم يندفعْ في حركةِ تقليدٍ أعمىٰ للأفكارِ الوافدةِ من الحضاراتِ التي قابلها.

ومن أجلِ التحقُّقِ من ذلك أيها المسلمون حجاجَ بيتِ الله: فهذه متابعةٌ لتاريخِ دينِ الإسلام ورسوخِ عقيدتِه وشموخِ بنيانِه من خلالِ النظرِ في تاريخِ مكةَ المكرمةِ وعمرانِها وشرفِها ومآثرِها زادها اللهُ تشريفاً وتكريماً ومهابةً وبرًّا.

حديثٌ عن عقيدةٍ وتاريخٍ، ودينٍ وتراثٍ، وشريعةٍ وعملٍ، وفضائلَ ومآثرَ. تتوقُ إليه النفوسُ وتهفو إليه الأفئدةُ.

هذه الأمةُ تجدُ أصلَها وأصالتَها من خلالِ التوحيدِ والتاريخِ. في بيتِ اللهِ المعظمِ يتعانقُ الدينُ مع الدنيا، وترتبطُ الأرضُ بالسماءِ.

تاريخُ المسجدِ الحرام بيتِ اللهِ وكعبتِه وبلدِه تاريخٌ عميقٌ عريقٌ، إنه من أقدم بلادِ الدنيا إن لَم يكن أقدَمَها. بل البيتُ المعظمُ أولُ بيتٍ وُضِعَ للناس. ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦]. وأبوذرٍ رضي الله عنه يقول: «قلتُ يا رسول الله: أيُّ مسجدٍ وضعَ في الأرضِ أول؟ قال: **المسجد الحرام**»[1].

الله أكبرُ إنه تاريخٌ من أنصعِ التواريخِ، وتدوينٌ من أوثقِ التدوينِ. محفوظٌ في كتابِ اللهِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديه

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٠ ـ ح٥٢٠)، وأحمد (٥/ ١٥٠).

ولا من خلفه، ومثبوتٌ في الصحيح من سنةِ رسولِ اللهِ ﷺ. ومشاهَدٌ من خلالِ سيرةِ نبيِّ الله الطاهرةِ المطهرةِ وصحبِه الكرامِ البررةِ.

القرآنُ الكريمُ ذكرَ مكةَ والكعبةَ والبيتَ المعظمَ والمسجدَ الحرامَ عشراتِ المراتِ، بيَّن فيها ما ينبغي لهذا المكان الطاهرِ من التكريم والإجلالِ والتعظيم والتقديس، وعرضَ لصورٍ من تاريخِه الراسخ الضاربِ في أعماقِ الزمنِ، كما تحدثتْ كثيرٌ من آياتِه عن أحكامِه ومناسكِه والتقلبِ في عرصاتِه.

إنها حركةُ التاريخِ وميلادُ الأمةِ تبدو في نبيِّ اللهِ وخليلِه إبراهيمَ عليه السلامُ وهو يودِّع طفلَهَ الرضيعَ إسماعيلَ وزوجَه المنفردةَ هاجرَ ويتوجَّه بقلبِه الدافقِ ودمعِه الخانقِ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وها هو الملكُ ينادي الأمَّ الملتاعةَ على وليدِها: «لا تخافوا الضيعةَ فإن ههنا بيتَ اللهِ يبنيه هذا الغلامُ وأبوهُ وإن الله لا يضيِّع أهله»[1].

وتتسارعُ الأيامُ والأطيافُ فإذا إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلامُ يرفعانِ القواعدِ من البيتِ بأمرِ ربِّهما: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٥٦ ـ ح٣٣٦٤).

إنه إبراهيمُ نموذجُ النبوةِ الأولى في حربِ الأوثانِ ومطاردةِ الشيطان. وإنه بيتُ اللهِ شعارُ التوحيدِ ومنارُ الحنيفيةِ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

ثم تسارعُ آخرُ فإذا هو عبدُ المطلبِ بنُ هاشم يتصدىٰ للغزاةِ معلناً وموقناً أن للبيتِ رباً يحميه. ثم هو مرةً أخرىٰ ينذرُ ابنَه عبدَاللهِ الذي يُفدىٰ بما يزيدُ على مائةٍ من الإبلِ ليأذنَ اللهُ بخروجِ أكرمِ الخلقِ على اللهِ المصطفىٰ المختارِ سيدِنا ونبيِّنا محمدٍ رسولِ الله ﷺ. ثم تجمعُ قريشٌ والقبائلُ من حولها من طيِّبِ مالِها لتعيدَ بناءَ البيتِ بعد أن أخذتْ منه عادياتُ الزمنِ. ويشبُّ الفتى محمدٌ ﷺ فإذا هو يضعُ الحجرَ الأسودَ بيمينِه الشريفةِ ليطفىءَ نارَ فتنةٍ كادت أن تثورَ. ثم يبعثُه ربُّ هذا البيتِ من جوارِ هذا البيتِ هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنِه وسراجاً منيراً.

ينطلقُ التاريخُ وتنبعثُ الأمةُ لتتربعَ على عرشِ قيادةِ الدنيا ردحاً من الزمنِ غيرِ قصير.

أيها الإخوةُ: لقد دعا أبونا إبراهيمُ عليه السلام أن يظلَّ بيتُ اللهِ آمناً وأن يحفَظَ ذريتَه من الشركِ لما رأىٰ من سننِ اللهِ في مصيرِ الأممِ ومصيرِ الأسرِ بعد الأنبياءِ وبعد التضحياتِ الجسامِ والدعواتِ العاليةِ وكيف أصبحتْ إن لم يحفظْها اللهُ فريسةً لشياطين الإنس والجنِّ والدجالين والمضلِّين من عُبَّادِ الأوثانِ ودعاةِ الجاهليةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا

مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦].

نعم لقد كان من دعاءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ الملحِّ المشفقِ أن يعيشا على الإسلامِ وللإسلامِ وأن يموتا عليه، وذريتُهما من بعدهما تَدينُ به وتدعو إليه وتغارُ عليه: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

وإن من بركاتِ هذه الدعواتِ المباركاتِ أن جعلَ اللهُ بمنِّه وكرمِه على أهلِ الإسلامِ وأهلِ الحرمِ جعلَ كعبتَه وبيتَه قياماً للناس. لقد جعلَه صلاحاً ومعاشاً تقومُ به حياتُهم، ويأمنون فيه على أنفسِهم. قال أهلُ العلم: والحكمةُ في جعلِ اللهِ تعالىٰ ذلك قياماً للناسِ لأنه سبحانه خلقَ الخلقَ على الطبيعةِ الآدميةِ والجبلةِ البشريةِ من التحاسدِ والتنافسِ والتقاطعِ والتدابرِ والسلبِ والإغارةِ والقتلِ والثأرِ فلم يكنْ بدٌّ في الحكمةِ الإلهيةِ والمشيئةِ الأزليةِ من رادعٍ يدومُ معه الحالُ، ووازعٌ يُحمدُ معه المآلُ، فعظَّمَ اللهُ في قلوبِهم البيتَ الحرامَ، وأوقعَ في نفوسِهم هيبتَه، وعظَّم فيهم حرمتَه، وشرع في ذلك من الأحكامِ ما يختصُّ به هذا الحرمُ، فكان موضعاً مخصوصاً، وحرماً حراماً، لا يدركه كلُّ ظلوم، ولا يناله كلُّ غشوم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ . .﴾ [إبراهيم: ٣٧].

بيتُ اللهِ المعظمُ قلبُ الأمةِ وقبلةُ العبادةِ، مَدْرجُ الإسلامِ ومرباهُ، أحجارُه ورمالُه وسهولُه وجبالُه كتابٌ مسطورٌ عن مسيرةِ

الإسلامِ وسِيَرِ الأعلامِ، إنه صدىٰ القرآنِ، وآياتُ الوحي، فيه كُتِبَ مبدأُ التاريخِ وعنوانُ الحضارةِ.

من هذا الدين والتاريخ تصدَّرتْ مكةُ وكعبتُها ومسجدُها المكانةَ العميقةَ الراسخةَ، فهي مهوى الأفئدةِ، ومحلُّ المثابةِ، ومستقرُّ الأمنِ.

أيها المسلمون: وثمتَ صورةٌ جليةٌ تؤكدُ مكانةَ هذا البيتِ وعنايةَ اللهِ به. إنها حرصُ خلفاءِ المسلمين وولاتِهم على مرِّ التاريخِ وعنايتُهم بهذا البيتِ ليبقىٰ علماً على الإسلام، ورمزاً للأمةِ، وعنوانَ وحْدتِها، ومعيارَ مصيرِها.

لقد كان له النصيبُ الوافرُ من العنايةِ من لدن الخلفاءِ والملوكِ والولاةِ والأمراءِ قربةً لله، وخدمةً لعبادِ اللهِ وقياماً بالمسؤوليةِ.

ومن لطفِ اللهِ ورحمتِه وفضلِه ومنَّتِه إنه لما سُهلَ التواصلُ في هذا الزمانِ وصارتْ الحشودُ القاصدةُ لهذا البيتِ، الآمَّةُ لهذه المشاعرِ تزدادُ العامَ تلوَ العام، والموسمَ بعدَ الموسم قيَّضَ اللهُ لولاةِ الحرمين الشريفينِ وخُدَّامِهما من المقوماتِ في دولةِ الوحدةِ والتوحيدِ ما يتواكبُ مع هذه المواكبِ المتزايدةِ، والوفودِ الوافدةِ فكانتْ التوسعةُ المشهودةِ، وتنظيمُ المشاعرِ؛ لا تقصيرَ في جُهْدٍ، ولا تقتيرَ في مالٍ، فتسامق البنيانُ، وتكامل هذا الصرحُ العتيدُ. إنجازٌ يستوعبُ حركةَ قاصدي هذا البيتِ حجاجاً وعماراً في نظرٍ متوافقٍ مع المستقبلِ ومستجداتِه.

وإنها في نظرِ الناظرِ صورةٌ من صورِ التمكينِ لدينِ اللهِ وتعظيمِ شعائرِه. إنه مشروعٌ مشكورٌ يستهدفُ غاياتٍ عليا لخدمةِ الإسلامِ

والمسلمين، والحرمِ وأهلِ الحرمِ.

كلُّ ذلك في ظلالِ أمنٍ ورافٍ، وسُبُلٍ آمنةٍ، وطرقٍ ميسرةٍ. لقد توحدتْ الكلمةُ وظهرَ أمرُ الشرعِ فكان التوجهُ نحو العلمِ والبناءِ والنماءِ وفتحَ اللهُ من خيراتِه وأنزلَ من بركاتِه حتى أكلوا من فوقِهم ومن تحتِ أرجلِهم.

بلادٌ طهَّرها اللهُ من كلِّ ألوانِ المبادىءِ الهدامةِ، وجنبها دعاوىٰ العنصريةِ والقبليةِ والطائفيةِ.

وإن حقَّ ذلك كلِّه أن يُشكرَ فلا يكفرَ، فبالشكرِ تدومُ النعمِ، وإن زوالَها بكفرانِها. ونعوذ بالله من الطغيانِ، ونعوذ بالله من الحورِ بعد الكورِ.

ذلكم هو الدورُ الطليعيُّ الذي يقومُ به من يشرِّفُه الله بالولايةِ على الحرمين الشريفين. إنه الجامعُ لكلمةِ الأمةِ، والمعبرُ عن أمالِها، إنه تكليفٌ وتشريفٌ يقومُ به من يقومُ بمثلِ هذه الخدماتِ الجليلةِ.

ومما ينبغي أن يُعلمَ أن لخدمةِ الحرمين الشريفين أثرَها الكبيرَ في توطيدِ أركانِ الممالكِ الإسلامية كلِّها. وهذا الكلامُ لا يلقىٰ جُزافاً لأن الحرمين الشريفين ليسا رمزين تذكاريِّين، وليسا بناءَين أثريِّين. ولكنهما شعائرُ ومشاعرُ لا تقومُ للمسلمين قائمةُ بدونِهما، بل لا تكتملُ الصورةُ الشرعيةُ لدولةٍ إسلاميةٍ إن لم يكن الحرمانِ الشريفانِ رمزاً لها.

وإن شئتم مزيداً من البرهانِ فما هو حالُ المسجدِ الأقصىٰ؟ وما هو حالُ أمةُ الإسلامِ؟ إنكم لترون وتشاهدون أن المسلمين

كلَّما زاد ضعفُهم وتشتتْ كلمتُهم وتفرقتْ آراؤُهم ظهر ذلك جلياً في ازديادِ اليهودِ إمعاناً في غصبِهم وترسيخاً لمطامِعهم.

أما العهودُ والمواثيقُ والاتفاقياتُ فسبيلُها كما قالَ قرآنكم: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠].

ولا تشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ؛ فهلا شددْتُم الرحالَ، وهلاَّ كنتم أنتم الرجالَ؟؟؟.

هذه هي المقدساتُ وهذه شؤُونها، إن بها قيامَ الناسِ وهي رمزُ حياتِهم ووجودِهم واللهُ من وراء القصدِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

[القصص: ٥٧ ـ ٥٨].

في تاريخ مكة ومآثرها

الخطبة الثانية

الحمد لله جعل الكعبة البيتَ الحرامَ قياماً للناس، وطهرَه من الأوثانِ والأرجاس، أحمده سبحانه وأشكره وأسأله الهدىٰ والتقىٰ فالتقىٰ خيرُ لباسَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ.

أيها المسلمون: انطلقَ الإسلامُ من هذه الديارِ وكانت تسودُ العالمَ الخصوماتُ والعصبياتُ، فلم تزلْ آياتُ اللهِ تتنزلُ تهدي القلوبَ الضالةَ، وتردُّ النفوسَ الشاردةَ، فما لبثتْ الأمةُ المحطمةُ أنْ عادتْ متماسكةً دستورُها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢] ومنهاجُها: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١] ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر]. وشعارُها: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢] وخُلُقها: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ودعاؤُها: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

هذا هو التاريخُ والمنهجُ. من تاجرَ مع اللهِ ربحتْ تجارتُه، ومن هاجرَ إلى اللهِ مخلصاً صحتْ هجرتُه، ومن استجارَ بالله فنِعمَتْ اجارتُه. ومن حلَّ بحرمِ اللهِ مؤمناً حرَّم الله عليه النارَ.

هذا هو البيتُ وهذه وظيفتُه.

كم لله تعالىٰ من هؤلاء القاصدين من عبادٍ صالحين، هذا منيبٌ وهذا مخبتٌ، وذاك ناسكٌ، وذاك متبتلٌ، قانتون أوَّابون. صابرون محتسبون.

يعيشون في بقاعٍ هي أفضلُ البقاعِ، ويجتمعون في أرضٍ هي أقدسُ المقدساتِ. من أعظمِ مجامعِ الدنيا، تجتمعُ لهم أسبابُ الرضا والرضوان.

يقولُ الحسنُ رحمه اللهُ: لا يزالُ الناسُ على الدينِ ما حجُّوا البيتَ واستقبلوا القبلةَ. وفي الحديثِ الصحيح: «**من صلىٰ صلاتنا واستقبلَ قبلتنا وأكلَ ذبيحتَنا فذلك المسلمُ**»[1].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واعرفوا لهذا البيتِ قدرَه، وعظموا حرماتِه فذلكم عنوانُ الصلاحِ، وسبيلُ الهدىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٩٢ـ ح٣٩١).

خطبة عيد الأضحى المبارك

آمال الأمة وبشائرها من خلال سنن الله وهدى القرآن

الله أكبرُ (تسعاً) الله أكبرُ خلقَ الخلقَ وأبدعَ الكائناتِ، الله أكبرُ شرعَ الدينَ وأحكمَ التشريعاتِ. الله أكبر جأرتْ إليه الخلائقُ وعنتْ الوجوهُ وارتفعتْ بطلبِ رحمتِه الأصواتُ. اللهُ أكبرُ وقد انطلقتْ الحناجرُ باللغاتِ المختلفاتِ، اللهُ أكبرُ وقد أحرمَ العمارُ والحجيجُ وأهلُّوا من الميقاتِ، اللهُ أكبرُ كلَّما علوا نشزاً وهبطوا وادياً وسلكوا فجاجَ مكة وأهلَّوا بين المشاعرِ في أداءِ الشعائرِ فسكبوا هنالكَ العبراتِ. اللهُ أكبرُ كلَّما نظر إليهم الرحيمُ الغفارُ فأفاضَ عليهم من خِلَعِ الكراماتِ والبركاتِ.

الله أكبرُ كبيراً والحمد للهِ كثيراً وسبحان اللهِ بكرةً وأصيلاً. اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

الحمدُ للهِ خلَقَ آدمَ من صلصالٍ كالفخارِ، وكرَّمَهُ وفضلَّهُ وأسجدَ له ملائكتَه المقربينَ الأطهارَ. الحمدُ للهِ أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ. أحمدُه سبحانُه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُهُ، فهو أهلِ الثناءِ والمجدِ، وأهلُ التقوىٰ وأهلُ المغفرةِ. سبحانُه وتقدسَّ (ألا هو العزيز الغفار). وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له شهادةَ الحقِّ واليقين في الجهر والإسرارِ.

وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا وحبيبَنا وإمامَنا وقدوتَنا محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه البشيرُ النذيرُ الهاديْ المختارُ، جاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه وأعلى رايةَ التوحيدِ ورفعَ للدين المنارَ، بالصدقِ في حبِّه واتِّباعِه تُبتغى منازلُ الأبرار. صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله الأصفياءِ وأصحابه الأخيارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ وبطريقِهم التزم وعلى هديهم سارَ. الله أكبرُ الله أكبرُ لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أمَّا بعدُ أيها المسلمون: حجاجَ بيتِ اللهِ: ها أنتم تخطون خطواتِكم المباركةَ في يومِ الحجِّ الأكبرِ، تقبلَّ اللهُ حجَّكُم، وشكرَ سعيَكم، وأعطاكم سُؤْلَكم، وأتمَّ لكم نسُكَكُم.

ها أنتم تَدْرُجُونَ على ثرَىٰ هذهِ الأرضِ الطيبةِ المباركةِ الآمنةِ بأمانِ اللهِ المحفوظةِ بحفظِ اللهِ، ثمَّ هي بمنِّ اللهِ وكرمِهِ محفوظةٌ بيقظةِ قادتِها ورعايةِ مسؤوليها، أعانهم اللهُ وباركَ في جهودِهم، وأجزل مثوبتَهم، وسدَّد خُطاهم.

أرضٌ طيبةٌ، وتاريخٌ مجيدٌ، وحاضرٌ زاهرٌ، وجوٌّ عابقٌ، تزدحمُ فيه هذه المناظرُ والمشاهدُ حيةً نابضةً تختلطُ فيه مشاعرُ العبوديةِ وأصواتُ التلبيةِ، ونداءاتُ التكبيرِ، والإقبالُ على الربِّ الرحيمِ.

في هذه الأجواءِ الفواحةِ، والأفواجِ المتدفقةِ يغمرُ قلبَ المتأمِّلِ شعورٌ فياضٌ بانتماءِ أفرادِ هذه الأمةِ إلى هدفٍ واحدٍ وغايةٍ واحدةٍ، الربُّ واحدٌ، والنبيُّ واحدٌ، والدينُ واحدٌ والدستورُ واحدٌ.

إنه شعورٌ ومناسبةٌ تستدعيْ من المؤمنِ وقفةَ تأمّلٍ وموقفَ نظرٍ في سننِ اللهِ في التغييرِ وأحوالِ الأممِ.

أيُّها المسلمونَ حجاجَ بيتِ اللهِ: تمرُّ الأمَمُ في تقلُّباتٍ من المدِّ والجزرِ، وتعملُ سننُ اللهِ عملَها في الناسِ والأحداثِ والأشياءِ، ومن ثمَّ تكونُ الآثارُ والنتائجُ والجزاءُ العادلُ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٧].

والأيامُ بين الناسِ دُوَلٌ، والزمنُ في أهلِه قُلَّبٌ، والحياةُ ـ بإذنِ اللهِ ـ أدوارٌ وأطوارٌ، فالقويُّ فيها لا يستمرُّ أبدَ الدهرِ قوياً، والضعيفُ فيها لا يدومُ مدىُ الحياةِ ضعيفاً.

وما هذه المداولةُ والأدوارُ، وما تلكَ التقلباتُ والأطوارُ إلا ليُجْريَ اللهُ حكمتَهُ، ليبلوَ وليمحِّصَ، وليَميْزَ ويَمحقَ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠ ـ ١٤١].

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ الله أكبرُ وللهِ الحمدُ.

أمةَ الإسلامِ حجاجَ بيتِ اللهِ: وعلى ضوءِ سننِ اللهِ وعلى هَدْيِ من كتابِ اللهِ فَلْننظرْ في أوضاعِ أمَّتِنا، ولْنتدبرْ مواطنَ ضعفِنا وقوتِنا، ولْنراجعْ علاقاتِنا مع دينِنَا وأعدائِنا.

إن الخطبَ لعظيمٌ وإن أمرَ الإصلاحِ لكبيرٌ، ولكنَّه يسيرٌ على من صدقَ مع اللهِ وأخلصَ للهِ.

أمةٌ أصرَّ الأعداءُ على تمزيقِها، ووضعوا الخطَطَ لتفريقِها، وتداعَوْا لنهبِ حقوقِها، وقتلِ روحِ الدينِ والعزةِ فيها. تسلَّطُوا على الشعوبِ والديارِ منذ ما يزيدُ على قرنينِ من الزمانِ، مزَّقوا الأرْضَ قِطعاً، وصيروا الأهلَ شيعاً، فُرِضتْ مناهجُ من التربيةِ والتعليمِ مَسَختْ العقلَ والفِكرَ، وسادتْ ثقافةٌ أفسدتْ السلوكَ والخُلقَ، فلا ديناً حفِظتْ ولا دُنيا أقامتْ.

أعداءٌ تخرجُ حِممُ البركانِ من أفواهِهم وأقلامِهم وإعلامِهم، قذائفُ هائلةٌ من الحقدِ المروِّعِ والبغضِ الدفينِ ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

أيُّها المسلمون: لا يقالُ ذلك استعداءً ولا افتراءاً، ولكنه محفوظٌ موثَّقٌ بل تحملهُ الصحفُ السيَّارةُ، والمبثوثاتُ الطيَّارةُ، والمؤلفاتُ المنشورةُ.

هُجِّر الآلافُ والمئينُ من أبناءِ المسلمينَ، هُجِّروا إلى غيرِ مأوىً صالحٍ، ولا هدفٍ واضحٍ، الغذاءُ غيرُ موجودٍ، والعملُ غيرُ ميسورٍ، يعيشون بنفوسٍ محطَّمةٍ، وآمالٍ تائهةٍ، فقدوا الآباءَ والأمهاتِ، والأبناءَ والأزواجَ، والقريبَ والعشيرَ. تُمَدُّ إليهم كِسرٌ من خبزٍ، وقطعٌ من كساءٍ، وجَرْعاتٌ من دواءٍ ملطخةً بكثيرٍ من المنِّ، ومغلفةً بغلافِ المسخِ من حقوقِ الإنسانِ.

قد نالَ ذلك دُولاً مسلمةً وأقلياتٍ مسلمةً في الشيشانِ والبوسنةِ وكشميرَ والطاجيكِ وبورما وتايلايد، وإياكَ أن تنسىٰ فلسطينَ الحبيبةَ وأرضها السليبةَ وقدسَها الشريفةَ، استولى اليهودُ وعبثوا، واقتحموا وأحرقوا، بل لقد داسوا المساجدَ والمقدساتِ، وقتلوا

الصائمين والمتعبدين والركعَ السجودَ. عدوان على الجميع غاشمٌ وظلمٌ عليهم جاثمٌ أحرق الأرضين والقلوبَ، صار فيه الأخضرُ يَبَساً والأمَلُ يأساً، يُقَتَّلون ويعذَّبون على الطريقةِ الفرعونية: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧].

لقد أصبحَ العدوُّ يُولولُ بلا مُواربةٍ[1]، ويصرُخُ بالعداءِ بغيرِ دبلوماسيةٍ. لم تعُدْ الأخبارُ ولا وسائلُ الإعلامِ تحملُ إلا أنباءَ الإسلامِ والصراعَ مع الإسلام، ولو غيَّروا بالمصطلحاتِ عبثاً، وشوَّهوا الحقائقَ غبشاً. نَفوسٌ مسعورةٌ وأقلامٌ مأجورةٌ، ودعاياتٌ مضلِّلةٌ، ترفعُ الباطلَ وتفرِّقُ الكلمةَ، وتمزِّقُ الشملَ. أمَّةٌ مستضعفةٌ تُلصقُ بها التهمُ وهي بريئةٌ، وينزلُ عليها العقابُ وهي غيرُ مجرمةٍ. وتُلصقُ بها الرزايا وهي بعيدةٌ. هذا شيءٌ من حالِها مع أعدائِها.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إله إلا الله واللهُ أكبر اللهُ أكبرُ ولله الحمد.

أمَّا واقِعُها مع نفسِها فلقد أصابَ الأمةَ في كثيرٍ من مواقِعها خللٌ كبيرٌ في دينِها، واستمساكِها بشرعِ ربِّها.

ضَعُفَ بدينِ اللهِ الالتزامُ، واختلتْ مناهجُ التربيةِ في الأمةِ، وحُكِّمتْ في كثيرٍ من البلادِ القوانينُ الوضعيةُ، وأُقصِيبتْ الشريعةُ الإسلاميةُ، واعتاضوا عن أخوةِ الإسلامِ بقومياتٍ ضيقةٍ، وتقوقعوا في قِطَعٍ من الأرضِ محدودةٍ، فتصدَّعَ البنيانُ

---

(١) المواربة: التخفي والاستحياء.

المرصوصُ، وانتشرتْ فيهم أدواءُ الجاهليةِ. افتَتَن كثيرٌ من مفكريهم وأصحابِ الرأي فيهم بنماذجَ من الشرقِ والغربِ في الفكرِ والسلوكِ، ولاحتْ لهم خياراتٌ براقةٌ كما تلوحُ للغريقِ القشةُ من شيوعيةٍ واشتراكيةٍ وتقدميةٍ ووطنيةٍ زعموا ـ مساكينَ ـ أنها طريقُ التقدم، وسبيل الوحدةِ، واستعادةِ المغتصباتِ، ولكنها فشِلتْ الفشلَ الذريعَ، ولم يَجْنِ منها أهلِ الإسلامِ إلا الذلَّ والهوانَ والفرقةَ والشتاتَ وألوانَ الانحطاطِ والفسادِ والخذلانِ والهزائمِ. وتحدَّثْ ـ إن شئتَ ـ عن ضعفِ التنميةِ، وخللِ الاقتصادِ، وتراجُعِ الانتاجِ. بل لقد أحكموا في أعناقِهم ربقةَ التقليدِ والتشبهِ بالعدوِّ الكافرِ في آدابِه وفنونِه وغيرِ المفيدِ من مناهجِه وعلومِه، فاتَّبعوا سَنَنَهم حتى دخلوا جُحْرَ الضبِّ الخربِ. تقليدٌ واستخذاءٌ أفسدَ رجولةَ الرجالِ كما أفسد أنوثةَ النساءِ كلٌ على حدٍ سواءٍ. وما درىٰ هؤلاءِ المغفلون من أبناءِ قومِنا أن هذا التقليدَ اللاهثَ ما هو إلا مشاكلةٌ ظاهريةٌ تؤدي إلى اندماجِ الضعيفِ في القويِّ وضياعِ الحقِّ وأهلِه، بل لقد أهلكتهم التبعيةُ حتى أذهبوا أنفسَهم، وألغَوا عقولَهم، ووصلَ الحالُ في بعضِ البلادِ أن اعتُبرَ الانتسابُ إلى الإسلامِ والاستقامةُ عليه تهمةً أو جريمةً يؤاخذُ عليها القانونُ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

أيها الإخوةُ في الله، أيُّها الإخوةُ ضيوفُ الرحمن:

إن ما توالىٰ على الأجيالِ المتأخرةِ من رزايا وما ألمَّ بها من آلامٍ جعلهم لا يفرحون بما يُفرحُ، ولا يشعرون بنصرٍ ذي أثرٍ، وكأنهم يرونَ الزَّمن لا يحملُ لهم إلا مؤشراتِ حزنٍ، ومعالمَ خيبةٍ، وكلُّ فجرٍ يبزغُ فهو عندهم فجرٌ كاذبٌ.

حقاً أيها الإخوةُ: إنها ظلماتٌ حالكةٌ، ومشكلاتٌ متراكمةٌ، ليس لها من دونِ اللهِ كاشفةٌ. نعم ليس لها من دونِ اللهِ كاشفةٌ. لا مَنْجا ولا مَلْجأ ولا مُلْتجأ من اللهِ إلا إليهِ.

ومن هنا يكونُ المخرجُ بإذنِ اللهِ ونحن نتحدَّثُ عن السننِ والعبرِ، ونستلهمُ المنهجَ من هديِ كتاب اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إله إلا الله واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أيُّها الإخوةُ: إن أملَ المؤمنِ بربِّه متصلٌ غيرُ منقطعٍ، وأملُ المؤمنِ ليس مبنياً على سرابٍ، وليس أمانيَ عجزةٍ، ولا تسالي يائسين، ولكنُه حرصٌ على ما ينفعُ واستعانةُ باللهِ، وبراءةٌ من العجزِ والكسلِ، وبعدُ عن اللومِ والتلاومِ.

إن الفألَ الجميلَ والأملَ العريضَ جزءٌ من عقيدةِ المؤمنِ، حتى إن نبيَّكم محمداً ﷺ حينما يخرجُ لحاجتِه ويسمعُ أسماءً مثلَ: نجيح و راشدٍ[1] يُسرُّ ويَعْظُمُ أملُه في ربِّه لينجحَ في مقصدِه ويَرْشُدَ في أمرِه. وكان يعجبُه الفألُ ويكره التشاؤمَ[2].

وهذا التفاؤلُ الذي يؤمنُ به المؤمنُ، ويدعو إليه المخلصُ

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح ولفظه: «عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع يا راشد يا نجيح» انظر الترمذي (٤/ ١٣٨ ـ ح١٦١٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٧٠ ـ ٣٥٣٦) وقال في الزوائد: اسناده صحيح ورجاله ثقات، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢) والجملة الأولى في الصحيحين، أخرجه البخاري (١٠/ ٢٥٤ ـ ح٥٧٧٦)، ومسلم (٤/ ١٧٤٦ ـ ح٢٢٢٤).

ليس تفاؤلَ التغافلِ، ولكنَّه تفاؤلٌ مع إدراكِ واقعِ الأمةِ في ضعفِها الحقيقيِّ في نفسِها وقوتِها واقتصادِها، والتصارعِ الداخليِّ فيما بينها. وهو في ذاتِ الوقتِ تفاؤلٌ لا يَعْمىٰ عن مكرِ الأعداءِ وشَحْنِ بني قومِهم ضدَّ هذه الأمةِ والتهويلِ من أمرِها ليملؤا صدورَهم على أمةِ الإسلامِ غيظاً وحقداً.

إن تفاؤلَ المؤمنِ منطلقٌ من عقيدتِه بأنَّ الإسلامَ لا ينامُ وليس له أن ينامَ فهو دينُ اللهِ الخالدُ، وهو دينُ اللهِ المحفوظُ وإذا قصَّرَ فيه أقوامٌ استبدلَ اللهُ غيرَهم: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

إن الأمةَ وقد مرتْ بمراحلِ الضعفِ والهوانِ وذاقتْ من الذلِّ ألواناً، وتجرعتْ من القهرِ كيزاناً، وجرَّبتْ حلولاً ومخارجَ باءتْ بالفشلِ، وزادتْ من الهزائِم والضَّياعِ؛ إن الأمة وقد مرتْ بذلك كلِّه لقد بدأت تعودُ إلى وعيها ، وتوقنُ أن الحلَّ في إسلامِها، بل توقنُ عينَ اليقينِ وحقَّ اليقينِ وعلمَ اليقينِ ألا ملجأَ من اللهِ إلا إليه.

فهذه المساجدُ التي كانت خاليةَ في بعض البلادِ إلا من شيخٍ هرمٍ أو رجلٍ هَمَلٍ أو يائسٍ قعيدٍ تعاظمَ رُوَّادُها، وصلاةُ الجماعةِ تكاثرَ مقيمُوها. عُمِرتْ بيوتُ اللهِ بالشبابِ والكهولِ والشيوخِ في حرصٍ على السنةِ وفقهٍ في العبادةِ وخشوعٍ في الأداءِ واستمساكٍ بآدابِ الحشمةِ والعفافِ والحجابِ وأوجدوا لهم مصلياتٍ حيث لا يوجدُ مساجدُ واستكثروا مراكزَ. إن المسجدَ موقعٌ من مواقعِ العزةِ، ومصدرٌ من مصادرِ القوةِ، ولكنه عند الأعداءِ مصدرُ خوفٍ ومنبتُ إرهابٍ.

ومن البشائرِ صيحاتُ النداءِ المتعاليةُ لتطبيقِ شرعِ اللهِ على عبادِ اللهِ في شؤونهم كافَّةً، والتخلصِ من تحكيمِ الدساتيرِ البشريةِ. وإن واقعَ هذه البلادِ ـ بلادِ الحرمينِ الشريفَين أدامَ اللهُ عليها حفظَه وعنايتَهُ ـ إن واقعَها في تحكيمِ شرعِ اللهِ والسيرِ على أحكامِ دينِه وما أفاءَ اللهُ عليها من الأمنِ والأمانِ والفضلِ والبرِّ لدليلٌ شاهدٌ وبرهانٌ قائمٌ لمن في قلبِه ريبٌ أو شكٌّ.

وفي حديثِ الفألِ والمبشراتِ لا تنسوا ما أنتجه وعيُ المسلمين بواقعِهم حين أدركوا هيمنةَ الربا وخطَرَهُ على الدينِ والاقتصادِ والحياةِ فتنادىٰ مخلصُون لإنشاءِ مصارفَ إسلاميةٍ ومؤسساتٍ ماليةٍ تنامىٰ وجودُها على الرغمِ من الصعوباتِ التي تواجِهُها، والعثراتِ التي تصاحبُ مسيرتَها، ومشقةِ العومِ والسبحِ في محيطٍ ملوثٍ بأوحالِ الربا ومستنقعاتِه.

ومن المبشراتِ انبعاثُ روحِ الجهادِ في مواقعِ مضطهدةٍ كان الجهادُ الإفغانيُّ من روَّادِها على الرغمِ مما أصابَه من تشويهٍ من قِبلِ أهلِه بعدَ دحرَ عدوانِ الكافرين.

وانتفاضةُ المسلمين في الأرضِ المحتلةِ، والكفاح المشروعُ في كشميرَ، ومواقفُ البطولةِ والبسالةِ في البوسنةِ والهرسكِ، ورجالُ الشيشانِ الأشاوسُ والصابرون في الفلبين.

وقبلَ ذلكَ وبعده فإن المسلمينَ رغمَ واقِعهم الأليم ورغم ضعفِهم الظاهرِ فإنهم رقمٌ محسوبٌ في السياسة الدولَية. إن الحربَ العسكريةَ والاعلاميةَ على الإسلام ورجالِه وديارِه دليلٌ كبيرٌ على تعاظمِ قوَّتِه، وشعورِ الأعداءِ بخطرِه. إن كلَّ قذيفةٍ

تُوجَّهُ، وكلَّ يدٍ تَغْتَصِبُ، وكلَّ جَرْحٍ ينزفُ مطارقُ وموقظاتٌ توقظُ الأمةَ من غفلتِها وتوجِّهها نحو الصحيحِ من مسارِها ومسيرتِها.

الله أكبرُ ما بالُ هذه الجماهيرِ المسلمةِ التي تعرضتْ لكلِّ أنواعِ المسخِ وغسيلِ المخِّ تعودُ إلى رياضِ دينِها وتستعصيْ أن ترضىٰ بالدنيةِ من دينِها.

ما أثمرَ العنفُ الدوليُّ إلا عنفاً أشدَّ منه، ولم تزد شراسةُ الأعداءُ وعصيُّهُ الغلاظُ إلا استمساكاً بالدين وقناعةً بالحقِّ.

لقد ظنَّ الأعداءُ أنهم حينما نجحوا في وأدِ بعضِ النداءاتِ القوميةِ والشعاراتِ الوطنيةِ حين وأدوها وروَّضوها بأنواعِ الترويضِ الماديِّ والمعنويِّ العنيفِ منه واللطيفِ؛ ظنُّوا أن ذلكَ مجدٍ في أوساطِ المسلمين المخلصينَ ممن أرادَ اللهَ والدارَ الأُخرىٰ؛ ممن كانتْ الآخرةُ عنده خيراً من الأولىٰ.

ليعلمْ الكفارُ أن الحربَ على أهلِ الإسلامِ ليست حرباً على أشخاصٍ ولكنها حربٌ على سنةِ اللهِ ودينه ويأبىٰ اللهُ إلا أن يُمضيَ سنتَه ويتمَّ نورَه ولو كره الكافرونَ والمشركون.

الله أكبرُ الله أكبرُ لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

يا أهل الإيمانِ يا حجاجَ بيتِ اللهِ: أمَّا الفرجُ والنصرُ فاسمعوا إلى حديثِ القرآنِ عن خبركم وخبرِ من قبلَكم اقرأوا في حالِ فرعون وملائه: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص: ٤ ـ ٦]، واقرأوا في خبرِ بني إسرائيل: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٧].

أما في خبركم فاقرأوا هذه الأعجوبةَ لنبيِّكم محمدٍ ﷺ وأتباعِ محمدٍ ﷺ.. انظروا بُشرىٰ المؤمنِ، وعواجلَ الخيرِ له، وتواردَ المسراتِ عليه، تصلُ إليه بيسرٍ لا يحتسبه، وبسهولةٍ لا يُقدِّرُها، وبعجلةٍ لا ينتظرها؛ ولكنه اللهُ العليُّ الحكيمُ يُدْني ما بَعُدَ، ويُهوِّنُ ما صعبَ فهو سبحانه إن شاء جعلَ الحزنَ سهلاً؛ اقرأوا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ﴾ [الحشر: ٢] سبحان اللهِ لم تكونوا تتوقعون خروجَهم، لقد كانوا من القوةِ والمنعةِ في حصونِهم بحيثُ لا تظنون خروجَهم وغرَّتهم المنعةُ فنسوا قوةَ اللهِ التى لا تردُّها حصونٌ: ﴿يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾ [الحشر: ٢] أتاهم من داخلِ نفوسِهم لا من داخلِ حصونِهم: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

واقرأوا إن شئتم خبرَ الأحزابِ حين زاغتْ الأبصارُ وبلغتْ

القلوبُ الحناجرَ وامتلأتْ بالقلوبِ الظنونُ، وتحركَ المرجفونَ وتخاذلَ المنافقونَ وزُلزلَ المؤمنون زلزالاً شديداً، وحين بلغَ البلاءُ ذُروته والامتحانُ قمتهُ ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٥] ثم ماذا بعد؟؟ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأحزاب: ٢٦ - ٢٧].

فاتقوا اللهَ رحمكم الله اقرأوا وتأمَّلوا، واعتبروا وأبشروا واستمسكوا، فمهما تشبَّث أهل الغِوَايةِ بغوايتهم، وأصر أهل الباطلِ على باطلِهم فإن أهلَ الحقِّ أطولُ نَفَساً، وأمضىٰ عزيمةً، وأهنأُ بالاً، وأفضلُ حالاً، وخيرٌ عقباً، وأحسنُ مآلاً، والعاقبةُ للمتقين ولا عداونَ إلا على الظالمينَ، وأهلُ الكفرِ لن تغنيَ عنهم فئتهم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

كلكم لوامون فأين المصلحون؟

الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعاً). اللهُ أكبرُ عددَ من أمَّ البيتَ الحرامَ، على مرِّ السنونَ والشهورِ والأيام، اللهُ أكبرُ ما ارتفعتْ أكفُّ الضراعةِ إلى المولىٰ بطلبِ الغفرانَ ورفعِ الآثامِ، اللهُ أكبرُ ما تفضَّلَ ربُّنا ومولانا بجزيلِ الفضلِ وعظيمِ الإنعامِ.

اللهُ أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرةً وأصيلا.

الحمد لله دعا عبادَه إلى أشرفِ بيتٍ وأعظمِ مزارٍ، دعاهم إلى أمِّ القرىٰ ليُجْزلَ لهم الضيافةَ والقِرىٰ، ويحطَّ عنهم الذنوبَ والأوزارَ، فأجابوا دعوتَه ولبَّوا نداءَه. ومن طلبَ المعالي تحمَّلَ الأخطارَ. أحمدُه سبحانُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وهو العزيزُ الغفارُ، وأشهدُ إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله أشرفُ من طافَ بالبيتِ المحرَّم وسعى ورمىٰ الجمارَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه الأبرار، وآله الأطهارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليلُ والنهارُ.

أما بعد أيُّها المسلمون ضيوفَ الرحمن: كم من أمةٍ نهضتْ بعد قعودٍ، وتحركتْ من بعد ركودٍ، وكم من أمةٍ بَطِرَتْ معيشتَها فحاق بها أمرُ ربِّك فزالتْ من الوجود. وكم من قرية أسبغَ اللهُ

عليها نعمَه فكفرتْ وما شكرتْ فذاقت عاقبة الكفرِ والجحودِ.

يا ولاة أمورِ المسلمين يا علماءَ الإسلامِ يا أصحابَ الفكرِ والرأي يا رجال الإعلامِ والأقلامِ:

ليس طريقٌ في الخلاصِ إلا العودَ إلى دينِ اللهِ فهو القرارُ المكينُ، هو موئِل الحقِّ ومصدرُ القوةِ وسبيلُ العزةِ بإذن الله.

إن أوَّلَ المراجعةِ يجبُ أن تنصبَّ على العقيدةِ عقيدةِ الرضا باللهِ وربـاً وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، إيمانٌ بالكتابِ الذي أنزلَ، وبالنبي الذي أرسلَ، وبالدين الذي أكملَ.

تحقيقُ العبادةِ للهِ وحدَه، ونبذُ التعلقِ بما سواه، واالاعتمادُ عليه وحدَه، والتوكلُ عليه وحدَه.

إيمانٌ وتقوىٰ يجعلُ الله بها الفرجَ والمخرجَ، إيمانٌ وتقوى يجعلُ اللهُ بها النورَ والفرقانَ.

بالإيمانِ الصحيح والعقيدةِ الصافيةِ يستضيءُ العقلُ فيفقَهُ سُننَ اللهِ في التغييرِ، ويدركُ مسالكَ العزةِ والقوةِ، وينعتقُ من حبالِ الدِّعةِ والتبعيَّةِ، ويسيرُ في طريقِ الريادةِ وركابِ الجهادِ والمجاهدةِ.

عقيدةٌ وإيمانٌ يستيقنُ بها المسلمُ أن سببَ الفرقةِ والتشرذُمِ لم يكن إلا حينَ نبذَ كثيرٌ من أبناءِ الإسلامِ الدينَ وراءَهم ظَهرياً ـ كما أرادَ أعداؤُهم ـ فالتصقوا بالجغرافيا والترابِ. الإسلامُ أقدرُ المبادىءِ والملِ على جمعِ أبنائِه وتوحيد شعوبِه.

عقيدةٌ ترسمُ الموقفُ الحازمَ من أعداءِ الإسلام فإنهم

لا يرضونَ ولن يرضوا حتى يردوكم عند دينكم إن استطاعوا ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

لن يرضوا حتى تكونوا أتباعاً وأذناباً.

أيها المسلمون: واللهِ الذي لا إله غيرُه إن أعداءَكم لا يخشون على أنفسِهم إلا من دينِكم، ولا يخيفُهم إلا إسلامُكم. وإن الإسلامَ خيرٌ لهم ـ كما هو خيرٌ لكم ـ لو كانوا يعلمون. ومنهجُه المعلنُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] ولكنهم يبعدون الإسلامَ من المواجهةِ لأنه الحلُّ الحاسمُ والعلاجُ الشافي لأمراضِ الأمةِ.

عقيدةٌ أيها الإخوةُ: تنطلقُ منها مناهجُ التربيةِ والتعليم لتنشئةِ أبناءِ المسلمين تنشئةً تعيدُ فيهم بناءَ الثقةِ بدينِهم وبأنفسِهم فتمتلىء قلوبُهم إيماناً، وتضيء جوارحهُم هُدىً ونوراً.

هذه معالمُ في طريقِ الإصلاحِ، وهو طريقٌ ليس باليسيرِ ولكنه جليٌّ واضحٌ يعرفُه العدوُ قبل الصديقِ.

اتقوا الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، وتعاونوا على البرِّ والتقوىٰ، ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوانِ. افعلوا الخيرَ وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهاده.

واعلموا أنَّكم في أيامٍ فاضلةٍ، ومواسمَ كريمةٍ اشغلوها

بذكرِ اللهِ، واعمروها بالتكبيرِ والتهليلِ، وعظِّموا شعائرَ الله وحرماتِه.

وإن من أعظمِ ما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجلَّ في هذه الإيام الأضاحي، فهي سنةُ الخليلين إبراهيمَ ومحمدٍ عليهما الصلاةُ والسلامُ. جاءَ في الحديثِ عن عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما عملَ بنُ آدمَ يومَ النحرِ من عملٍ أحبَّ إلى اللهِ من إراقةِ دم، وإنه لتأتي يومَ القيامةِ بقرونِها وأظلافِها، وإن الدمَ ليقعُ من اللهِ بمكانٍ قبل أن يقعَ على الأرضِ فطيبوا بها نفساً**[1]».

ولتعلموا وفقني اللهُ وإيَّاكم لصالحِ العملِ أن وقتَ الذبحِ يبدأُ بعد صلاةِ العيدِ إلى غروبِ الشمسِ آخر أيامِ التشريقِ ولا يُجزيءُ في الأضاحي المريضةُ البيِّنُ مرضُها، ولا العوراءُ البيِّنُ عَوَرُها، ولا العرجاءُ التي لا تطيقُ المشيَ مع الصحيحةِ.

ولا يجزيءُ من الإبلِ إلا ما تمَّ له خمسُ سنين، ومن البقرِ ما تم له سنتانِ، ومن المعْزِ ما تمَّ له سنةٌ، ومن الضأنِ ما تمَّ له ستةُ أشهرٍ، وتجزيءُ البدنةُ عن سبعةٍ، والبقرةُ عن سبعةٍ، والشاةُ تجزيءُ عن الرجلِ وأهلِ بيتِه ولا يبع منها شيئاً، ولا يعطِ الجزارَ أجرتَه منها.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وانبِذُوا عن أنفسِكم الشحَّ والبخلَ، وأنفقوا من مالِ الله الذي آتاكم، وأكثروا من ذكرِ اللهِ وشكره، وصِلُوا أرحامَكم وتصافحوا، وتناصحوا، وتسامحوا وأزيلوا الغلَّ

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٠٤٥ ـ ح٣١٢٦)، والترمذي (٤/ ٧٠ ـ ح١٤٩٣) وقال: حديث حسن غريب، والحاكم (٤/ ٢٢١) وقال: صحيح الاسناد، وقال الذهبي: فيه سليمان واه وبعضهم تركه.

والشحناءَ من قلوبِكم وتزاورُوا وتهادَوا، واحذروا الكبرَ والغيبةَ والنميمةَ وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً.

خطبة الاستسقاء

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ، سبحانه أظهر العجائبَ في مصنوعاتِه. ودل على عظمته بمخلوقاتِه. فأمر بالتدبر والنظرِ في أرضه وسمواتِه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] لا إلـه إلا هـو سبحـانـه يُجيبُ دعـوةَ المضطريـن، ويفـرجُ كـربَ المكروبين. كافي من استكفاه، ومجيبُ من دعاه، كفى به وليا، وكفى به وكيلا، وكفى به هاديا ونصيراً، لا إله إلا الله، عَظُمَ حلمُ ربِّنا فستر، وبسطَ يدَه بالعطاءِ فأكثر. أطاعه الطائعون فشكر، وتاب إليه المذنبون فغفر. أحمده سبحانه وأشكره، نعمُه تترىٰ، وفضلُه لا يحصىٰ، لا معطيَ لما منع، ولا مانعَ لما أعطىٰ. قَصَدَتْه الخلائقُ بحاجاتها، وعرفته القلوبُ بلهفاتِها. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الذي في السماءِ إلٰهٌ وفي الأرضِ إلٰهٌ، تعرَّفَ إلى خلقِه بالدلائِل والحقائقِ، وتكفَّلَ برزقِ جميعِ الخلائقِ. له الحكمةُ فيما قدَّر وقضىٰ، وإليه وحده تُرفع الشكوىٰ. وهو المقصودُ وحده في السرِّ والنجوىٰ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه أصدقُ عبادِ اللهِ شكراً، وأعظمُهم لربِّه ذكراً، فهو عليه الصلاةُ والسلامُ الأخشىٰ والأتقىٰ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأتقياءِ وأصحابِه الأصفياءِ

والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ ونتوبُ إليه، اللهم أنت الملكُ لا إله إلا أنت، أنت ربُّنا ونحن عبيدُك، ظلمنا أنفسَنا، واعترفنا بذنوبنا، فاغفر اللهم لنا ذنوبَنا، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، تباركتَ ربَّنا وتعاليتَ، نستغفركُ ونتوبُ إليك. اللهم اغفرْ لنا ما قدَّمنا وما أخرَّنا وما أسررنا وما أعلنَّا وما أنت أعلمُ به منا، أنت المقدمُ وأنت المؤخرُ لا إله إلا أنت.

أما بعدُ. فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فاتقوه رحمكم الله؛ فتقوى اللهِ طريقُ النجاةِ والسلامةِ، وسبيلُ الفوزِ والكرامةِ. المتقون من عذابِ اللهِ هم الناجون: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢] ولجنةِ اللهِ هم الوارثون: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣]. والقبولُ في أهلِ التقىٰ محصورٌ ومقصورٌ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

أيها المسلمون. تبارك اسمُ ربِّنا وتعالىٰ جدُّه، هو غفارُ الذنوبِ، وساترُ العيوبِ، ينادي عبادَه وله الحمدُ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]. ويناديهم في ملائه الأعلى: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**»[1]. سبحانه وتقدس هو أعلم بخلقِه، علم عجزَهم وضعفَهم ونقصَهم وتقصيرَهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ـ ح٢٥٧٧)، والحاكم (٤/ ٢٤١) وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٦/ ٩٣).

فتح لهم باب الرجاءِ في عفوه والطمع في رحمتِه. والأملِ في مرضاتِه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢١]. الرحماتُ من ربِّنا فيَّاضةٌ لا ينقطعُ مددُها، والنعمُ من عندِه دفَّاقةٌ لا ينقصُ عطاؤُها. من ذا الذي يتألَّىٰ على اللهِ ألا يغفرَ ذنوبَ عباده: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]؟؟؟.

أيها الإخوةُ: إذا كثُر الاستغفارُ في الأمةِ، وصدرَ عن قلوبٍ بربِّها مطمئنةٍ دفع اللهُ عنها ضروباً من النقم، وصرفَ عنها صنوفاً من البلايا والمحن: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

بالاستغفار تتنزلُ الرحماتُ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل: ٤٦].

أيها الأحبة: إن هناك صلةً قويةً بين طهارةِ الفردِ والمجتمعِ من الذنوبِ والخطايا وقضاءِ الحاجاتِ، وتحقيقِ الرغباتِ، وتوافرِ الخيراتِ. هناك ارتباطٌ متينٌ بين الثروةِ والقوةِ وبين مداومةِ الاستغفارِ؛ اسمعوا إلى مناشدةِ نوحٍ عليه السلامُ قومَه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

وهذا نداءُ هودٍ عليه السلامُ لقومه عادٍ الشدادِ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ . .﴾ [هود: ٥٢] بالاستغفارِ يبلغُ كلُّ ذي منزلٍ منزلتَه وينالُ كلُّ ذي فضلٍ فضلَه: هذا هو خبرُ ربِّكم لنبيِّكم محمد ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ

ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

يقولُ ابن صبيح شكا رجلٌ إلى الحسنِ رحمه الله الجدبَ فقال له: استغفرْ اللهَ، وشكا إليه آخر الفقرَ فقال له: استغفرْ اللهَ. وقال له آخرُ: ادعُ اللهَ أن يرزقني ولداً. فقال له: استغفرْ اللهَ. وشكا إليه آخرُ جفافَ بستانِه. فقال له: استغفرْ الله. فقال له جلساؤه في ذلك؟؟. فقال الحسنُ: ما قلتُ من عندي شيئاً؛ إن اللهَ تعالىٰ يقولُ في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

وأفضلُ الاستغفارِ ـ أيها الإخوةُ ـ أن يبدأَ العبدُ بالثناءِ على ربِّه ثم يُثنيِّ بالاعترافِ بالنعم، ثم يقرُّ لربِّه بذنبِه وتقصيرِه، ثم يسألُ بعدَ ذلك ربَّه المغفرةَ. كما جاء في حديثِ شدادِ بن أوس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**سيِّدُ الاستغفار أن يقولُ العبدُ: اللهم أنت ربِّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدُك وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ[1] لك بنعمتِك علي، وأبوءُ بذنبي فاغفرْ لي، فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ**»[2]. قال أهلُ العلم: وقد كان سيدَ الاستغفارِ لأنه تضمَّن الاعترافَ بربوبيةِ اللهِ سبحانه وإلهيتِه وتوحيدِه، والاعترافَ بعجزِ العبدِ وتقصيرِه، واعترافَه بإنه في قبضةِ مولاه، لا مهربَ منه

---

(١) أي أقر وأعترف.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ١٠٠ ـ ح٦٣٠٦).

ولا مفرَّ، وتضمن اجتهادَ العبدِ بدخولِه تحتَ عهدِ ربِّه ما استطاع وأطاق، لا بحسَبِ حقِّ اللهِ وجلالِه وعظمةِ مقامِه، ولكنه جُهدُ المقلِّ.

أيها الإخوةُ المسلمون: لقد دعاكم إلى المبادرةِ مولاكم، وفتح بابَ الإجابةِ ثم ناداكم، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ودلكم على طرقِ الخيرِ وهداكم ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، فاتقوا اللهَ ربَّكم، واستغفروه ذنبَكم، وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم.

بابُه مفتوحٌ للطالبين، وجنابُه مبذولٌ للمقبلين، وفضلُه ينادي: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

سارعوا مُسارعةَ الخائفين، واعترفوا اعترافَ المقصِّرين: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٠].

لله درُّ أقوامٍ بادروا الأوقاتَ، واستدركوا الهفواتِ، عيونُهم بالدمعِ مملوءةٌ. وألسنتهم عن الزلاتِ محفوظةٌ، وأكفُّهم عن المحرماتِ مكفوفةٌ، وأقدامُهم بقيد المحاسباتِ موقوفةٌ. يجأرون في ليلِهم بالدعواتِ، يقطِّعون أوقاتَهم بالصلواتِ.

صدقوا في المحبةِ والولاءِ، وصبروا على نزولِ البلاءِ، شكروا سوابغَ النعماءِ، وأنفقوا في السراءِ والضراءِ، بذلوا ما عندهم لربِّهم بسخاءِ. ووقفوا ببابِ مولاهم بكلِّ الأملِ والرجاءِ يرجون وعدَ ربِّهم بجزيلِ العطاءِ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الدهر: ١٢ ـ ١٣].

عباد الله: إنكم مخلوقون اقتدارا، وكائنون رُفاتاً، ومبعوثون

أفرادا، فحاسبوا أنفسَكم رحمكم الله، فرحم اللهُ عبداً اقترفَ فاعترفَ، وحاذرَ فبادرَ، وعُمِّر فاعتبرَ، وأجابَ فأنابَ، ورجعَ إلى ربِّه وتاب، تزوَّدَ لرحيلِه، وتأهبَ لسبيلِه.

عباد الله: هل ينتظرُ الشبابُ إلا الهرمَ؟ وهل يؤمِّل الصحيحُ إلا السقَم؟ وماذا بعد طولِ البقاءِ إلا مفاجأةُ الفناءِ والفوتُ، وحلول الأجل، ونزولُ الموتِ.

جعلنا الله وإياكم ممن أفاق لنفسِه، واستدركَ في يومِه ما مضى من أمسِه. وأعاذنا اللهُ وإياكم ممن ذهبَ عمرُه، وقلَّ عملُه، واقتربَ أجلُه، وساء بربِّه ظنُّه.

ألا فاتقوا اللهَ ربَّكم، وتوجهوا إليه بقلوبكم، وأحسنوا الظنَّ، وجِدُّوا في المحاسبةِ، واصدُقوا في اللجوءِ؛ فمن صدقَ في اللجوءِ صحتْ عنده التوبةُ. جانبوا أهلَ الفحشِ والتفحشِ، ومجالسةَ ذوي الردىٰ، ومماراةَ السفهاءِ. احفظوا للناس حقوقَهم، ولا تبخسوهم أشياءَهم. صلوا الأرحامَ، واسوَا الأراملَ والأيتامَ، وتصدقوا بالدرهم والدينارِ والمدِّ والصاعِ، واتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ. ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١١ ـ ١٦].

واحذروا تقلباتِ الزمنِ، فما الدنيا إلا أملٌ مخترمٌ، سرورُها بالحزن مشوبٌ، وصفوُها بالكدرِ مصحوبٌ، زواها اللهُ عن الصالحين اختياراً، وبُسطتْ لغيرِهم اغترارا.

تعجلوا الإنابةَ، وبادروا بالتوبةِ، وألحُّوا في المسألة، فبالتوبةِ

النصوح تُغسلُ الخطايا، وبطهورِ الاستغفار تُستمطرُ السماءُ، وتُستدرُّ الخيراتُ، وتُستنزلُ البركاتُ.

وها أنتم عبادَ اللهِ قد حضرتُم في هذا المكانِ الطاهرِ بين يدي ربِّكم تشكون جدبَ دياركم، وتبسطون إليه حاجتكم، وذلكم الجدبُ وتلكم الحاجةُ بلاءٌ من ربِّكم لتقبلوا عليه، وتتقربوا بصالحِ العملِ لديهِ، فأظهروا رقةَ القلوبِ، وافتقارَ النفوسِ والذلَّ بين يدَي العزيز الغفار، استكينوا لربِّكم، وارفعوا أكفَّ الضراعةِ إليه، ابتهلوا وادعوا، وتضرعوا واستغفروا، فالاستغفارُ مربوطٌ بما في السماءِ من استدرارٍ.

وأكثروا من الصلاةِ والسلامِ على المصطفىٰ الهادي البشيرِ إمامنا وقدوتِنا محمدٍ بن عبدِالله، فالدعاءُ موقوفٌ بين السماءِ والأرضِ حتى يُصلىٰ على النبيِّ ﷺ كما جاءَ في الأثرِ؛ اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدكَ ورسولكَ محمدٍ وعلى آله وأزواجِه وأصحابِه.

ربَّنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترحْمنا لنكونَنَّ من الخاسرين، اللهم أنتَ اللهُ لا إله إلا أنتَ، أنتَ الغنيُّ ونحنُ الفقراءُ، أنزلْ علينا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين. اللهم أغثْنا، اللهم أغثْنا، اللهم اسقِنا غيثاً مُغيثاً هَنيئاً مَريئاً طبَقاً سحَّاً مجلِّلاً، عاماً نافعاً غيرَ ضارٍ، عاجلاً غيرَ آجلٍ، اللهم تُحي به البلادَ، وتُغيثُ به العبادَ، وتجعله بلاغاً للحاضرِ والبادِ. اللهم سُقيا رحمةٍ لا سقيا عذابٍ ولا هدمٍ ولا بلاءٍ ولا غرقٍ. اللهم اسقِ عبادَكَ وبلادَكَ وبهائِمك، وانشرْ رحمتَك، وأحي بلدَكَ الميتَ، اللهم انبتْ لنا الزرعَ، وادِرَّ لنا الضرعَ، وأنزلَ علينا من بركاتِك،

واجعل ما أنزلته قوةً لنا على طاعتِك وبلاغاً إلى حينٍ، اللهم إنا خلقٌ من خلقِك فلا تمنعْ بذنوبِنا فضلَك.

سبحان اللهِ على اللهِ توكلْنا، ربَّنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين، اللهم ارفعْ عنَّا الجوعِ والجهَدِ والعُريِّ، واكشفْ عنا من البلاءِ ما لا يكشفُه إلا أنتَ، اللهم إنا نستغفرُك إنك كنتَ غفاراً، فأرسلْ السماءَ علينا مدرارا. اللهم اسقنا الغيثَ، وآمنَّا من الخوفِ، ولا تجعلنا آيسين، ولا تهلكْنا بالسنين.

اللهمَّ ارحمْ الأطفالَ الرضعَ، والبهائمَ الرُّتعَ، والشيوخَ الركعَ، وارحم الخلائق أجمعين. ربنا لا تؤاخذْنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحملْ علينا اصراً كما حملتَه على الذين من قبلِنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقةَ لنا بهِ واعفُ عنا واغفرْ لنا وارحمْنا أنتَ مولانا فانصرْنا على القوم الكافرين. اللهم انصرْ دينَك وكتابَك وسنةَ نبيِّك وعبادَك الصالَحين. اللهم اصلْح لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتَنا التي إليها معادُنا، واجعلْ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍ. اللهم ادفع عنا الغلاءَ والبلاءَ والوباءَ والربا والزنا والزلازلَ والمحنَ وسوءَ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطن عن بلدِنا وعن سائرِ بلادِ المسلمين. اللهم من أرادنا وأرادَ بلادَنا ومقدساتِنا بسوءٍ فأشغلْه بنفسِه واجعل كيدَه في نحرِه واجعلْ تدبيرَه تدميرَه، اللهم إنا ندرءُ بك في نحورِهم ونعوذ بك من شرورِهم، اللهم ردَّ عنا كيد الكائدين وعدوانَ المعتدين واقطع دابرَ الفسادِ والمفسدين، اللهم آمنَّا في أوطانِنا واصلحْ ائمتَنا وولاةَ أمورِنا وأيدِ بالحقِّ أمامَنا وولي أمرنا وأعزَّه بطاعتِك

واعزَّ به دينَك وارزقْه البطانةَ الصالحةَ التي تدلُّه على الخيرِ وتعينُه عليه. ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النارِ.

عبادَ اللهِ اقلبوا أرديتكم تأسياً بنبيِّكم محمدٍ ﷺ، واجتهدوا في الدعاءِ، وألحوُّا في المسألةِ. ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابةِ، وأكثروا من الاستغفارِ والصدقةِ وصلةِ الأرحامِ، واحفظوا الحقوقَ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم عسى ربُّكم أن يرحمكم فيغيثَ القلوبَ بالرجوعِ إليه والبلدَ بإنزالِ الغيثِ عليه. سبحانَ ربِّك ربِّ العزةِ عما يصفون، وسلامٌ على المرسلينَ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلِّ اللهم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وآله وصحبه وسلِّمَ.

الاستغفار فضائل وآثار

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ عَظُمَ حِلْمُه فسترَ، وبسطَ يدَه بالعطاءِ فأكثرَ، سبحانه وبحمدِه أطاعه الطائعون فشكرَ، وتاب إليه المذنبون فغفرَ. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسولُه غُفرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخرَ، وقام من الليلِ على قدمِه الشريفِ حتى تفطَّرَ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله السادةِ الغررِ والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المحشر.

أما بعدُ فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوىٰ الله عزَّ وجلَّ، فاتقوه رحمكم الله، فإن القبولَ في أهلِ التقوىٰ محصورٌ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]. والمتقونَ من عذابِ اللهِ هم الناجون ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢] ولجنة الله هم الوارثون ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

أيها المسلمون: الكمالُ في البشرِ محالٌ، والعصمةُ للأنبياءِ والمرسلين فيما يبلِّغونَ عن ربِّ العالمين، واتباعُ الهوىٰ ضلالٌ مبين. وربُّنا الرحمنُ أعلمُ بخلقِه، علمَ عَجْزَهم وضعفَهم ونقصَهم وتقصيرَهم، ففتحَ لهم بابَ الرجاءِ في عفوِه، والطمعِ

في رحمتِه، والأملَ في مرضاتِه ومغفرتِه. دعاهم إلى ساحةِ جودِه وكرمِه ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وفي الحديث «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

رحمةٌ من ربِّكم فياضةٌ، لا ينقطعُ مددُها، ونعمةٌ من عندِه دفاقةٌ لا يضعفُ سببُها. من ذا الذي يتألَّىٰ على اللهِ ألا يغفرَ ذنوبَ عبادِه ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ومن منةِ اللهِ الكبرىٰ وفضلِه العظيمِ أن يدعوَ عبادَه لعفوِه ومغفرتِه، ثم يتبُعها بمنةٍ أخرىٰ يؤخِّرُهم إلى مهلةٍ يراجعون فيها أنفسَهم ويتدبَّرُون فيها أحوالهم: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠].

الذنوبُ يا عبادَ اللهِ مغفورةٌ ولو كانت مثلَ زبدِ البحرِ فلا يقنطنَّ عبدٌ من رحمةِ اللهِ. ومن عظُمتْ ذنوبُه وكثُرتْ آثامُه فليعلم أن رحمةَ اللهِ ومغفرتَهُ أعظمُ وأعظمُ.

والتقصيرُ من شأنِ البشرِ، فإن نبيَّكم محمداً ﷺ يقولُ في الحديثِ الصحيحِ: «**لو لم تذنبوا لذهبَ اللهُ بكم ولجاءَ بقومٍ يذنبونَ ثم يستغفرونَ اللهَ فيغفرَ لهم**»(٢).

سبحانَك ربَّنا جلَّ شأنُك، تباركتَ وتعاليتَ، أنت غفَّارُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ـ ح٢٥٧٧).
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٦ ـ ح٢٧٤٩).

الذنوبِ، وساترُ العيوبِ، تبسطُ يدَكَ بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ وتبسطُ يدَكَ بالنهارِ ليتوبُ مسيءُ الليلِ. وتناديْ عبادَك ولك الحمدُ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

أيُّها الإخوةُ: طوبىٰ لمن عرفَ أن له رباً رحيماً عفواً كريماً يقبلُ توبةَ النادمينَ، ويقبلُ عثراتِ العاثرين. إذا لجأو إليهِ صادقينَ مخلصينَ غيرَ يائسين ولا مصرِّين، كيف لا وقد أمرَ بذلك نبيَّه والمؤمنين: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ..﴾ [محمد: ١٩].

هؤلاءِ العارفون المستغفرون أقوامٌ قد أحاطَ بهم لطفُ اللهِ ورحمتُه، يخافون ربَّهم، ويستحيون منه حقَّ الحياءِ، لا يُغلقُ في وجوهِهم أبوابَ التوبةِ، عندهم من الطمعِ في رحمةِ اللهِ ما يدعوهم إلى الاستغفارِ ولا يقودُهم إلى الاستهتارِ.

التوابونَ المستغفرونَ قومٌ ممدوحون، صفوةٌ من عبادِ اللهِ، رسختْ في مقامِ الاحسانِ أقدامُهم، فهي بين مراقبة ربِّهم وشهودِ أعمالِهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦ ـ ١٧].

أيُّها الإخوةُ: إذا كثُرَ الاستغفارُ في الأمةِ، وصدرَ عن قلوبٍ بربِّها مطمئنةٌ، دفعَ اللهُ عنها ضروباً من النِّقَم، وصرفَ عنها صنوفاً من البلايا والمحنِ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

روى الترمذيُّ من حديثِ أبي موسىٰ رضي الله عنه يرفعُهُ قال: «**أنزل الله على أمتي أمانين فذكر الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفارَ**»[1].

بالاستغفارِ تتنزَّلُ الرحماتُ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [النمل: ٤٦].

أيُّها الإخوةُ: إن هناك صلةً قويةً بين طهارةِ الفردِ والمجتمعِ من الذنوبِ والخطايا وقضاءِ الحاجاتِ وتحقيقِ الرغباتِ، هناكَ ارتباطٌ متينٌ بين الثروةِ والقوةِ وبين الاستغفارِ.

الاستغفارُ جالبٌ للخِصْبِ والبركةِ وكثرةِ النسلِ والنماءِ، الاستغفارُ مصدرٌ للعزةِ والمنعةِ.

اقرأوا إن شئتم في خبرِ نوحٍ عليه السلامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

وفي خبرِ عادٍ الشدادِ مع نبيِّهم هودٌ عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥٢ ـ ح٣٠٨٢) وقال: هذا حديث غريب وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث، ولكن قد ورد من طريق آخر موقوفا على أبي موسى انظر المسند (٤/ ٣٩٣)، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من طوارق العذاب مادام بين أظهرهم فأمان قبضه الله إليه وأمان بقي فيكم قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ انظر تحفة الأحوذي (٨/ ٤٧٣).

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ..﴾ [هود: ٥٢].

المستغفرون يمتِّعُهم ربُّهم متاعاً حسناً من سعةِ الرزقِ، وبسطِ الأمنِ، ومدِّ العافيةِ، ورغدِ العيشِ، والقناعةِ بالموجودِ، وعدمِ الحزنِ على المفقودِ.

بالاستغفارِ يبلغُ كلُّ ذي منزلٍ منزلتَه وينالُ كلُّ ذي فضلٍ فضلَه اقرؤا إن شئتم في خبرِ لنبيِّكم محمدٍ ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

في الاستغفارِ بإذن اللهِ الفرجُ من كلِّ همٍّ، والمخرجُ من كلِّ ضيقٍ، ورزقُ العبدِ من حيثُ لا يحتسبُ.

في الحديث: «**من لزمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسبُ**»(١).

أيها الإخوةُ: إنه ارتباطٌ صحيحٌ وقاعدةٌ مطردةٌ وسنةٌ من عندِ اللهِ ثابتةٌ، قاعدةٌ تقومُ على أسبابها من الارتباطِ بين الصلاحِ والبركةِ والحمدِ والاستغفارِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا

---

(١) أخرجه ابن نصر في قيام الليل (٣٨)، وأبوداود (١٥١٨)، وأحمد (١/٢٤٨)، والحاكم (٤/٢٦٢)، وابن ماجه (٣٨١٩) من طريق الحكم بن مصعب. قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تعليقه على سنن أبي داود: الحكم بن مصعب ذكره ابن حبان في الثقات وترجمه البخاري في الكبير (١/٢/٣٣٦) فلم يذكر فيه جرحا ولا تعديلاً. وانظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم (٧٠٥).

عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

إن ما يورثُه الاستغفارُ والتوبةُ من طهارةِ القلبِ، ونقاءِ الضميرِ، وصلاحِ العملِ، وطمأنينةِ النفسِ، يزيدُ في القوةِ، واعتدالِ الصحةِ، وطيبِ النفسِ، واستدرارِ الخيراتِ، وتنزُّلِ البركاتِ.

وبهذا التوازنِ يكونُ المسلمُ وتكونُ الأمةُ ـ أمةُ التوحيدِ والعبادةِ والإنابةِ ـ تكونُ أمةً عاملةً منتجةً، جامعةً بين فعلِ السببِ وعقيدةِ التوكلِ والرضا بالأقدارِ.

عبادَ اللهِ: إذا كان هذا هو الاستغفارَ، وهذه دعوةَ ربِّكم، وهذا واسعَ فضلِه فكيف تكون المحاسبةُ والمراجعةُ؟؟.

يقولُ القرطبيُّ رحمه الله: قال علماؤنا: الاستغفارُ المطلوبُ هو الذي يَحِلُّ عُقَدَ الإصرارِ، ويثبتُ معناه في الجنانِ وليس التلفظَ بمجردِ اللسانِ، فمن استغفرَ بلسانِه وقلبُه مصرٌّ على معصيتِه فاستغفارُه يحتاجُ إلى استغفارٍ.

وقال بعضُ العارفين: من لم يكن ثمرةُ استغفارِه تصحيحَ توبتِهِ فهو كاذبٌ. والمستغفر من الذنبِ وهو مقيمٌ عليه كالمستهزىء بربِّه.

إن الاستغفارَ الحقَّ صدقٌ في العزمِ على تركِ الذنبِ، والانابةُ بالقلوبِ إلى علامِ الغيوبِ.

إن الخيرَ كلَّه معلقٌ بصلاحِ القلوبِ وقبولِ الإيمانِ وحينئذ يأتي الغفرانُ: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

ومن أجلِ مزيدٍ من الايضاحِ والبيانِ ـ أيُّها الإخوةُ ـ فها هم أربابُ العزائمِ وأهلُ الإيمانِ الخُلَّصُ يُكثرونَ من الاستغفارِ بعد ما يقدِّمون جليلَ الطاعاتِ.

فنبيُّكم محمدٌ ﷺ يقولُ: «**والله إني لاستغفر الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(١) وإن عمرَ رضي الله عنه يقولُ: «إنْ كنَّا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحدِ مائةَ مرةٍ يقول: **ربِّ اغفرْ لي وتبْ عليَّ إنكَ أنتَ التوابُ الغفورُ**»(٢).

وبعد أن فرغَ عليه الصلاةُ والسلامُ من مهامِّ الرسالةِ وحقِّ البلاغِ أمره ربُّه أن يتوجَّه إليه تائباً مستغفراً: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

والمصلُّون إذا فرغو من صلاتِهم بادروا بالاستغفارِ، وحجاجُ بيتِ اللهِ بعد الإفاضةِ من عرفاتٍ والمشعرِ الحرامِ مأمورون بالاستغفارِ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩].

وبعد الفراغِ من الوضوءِ وهو عبادةٌ تتحادرُ مع قطرِ مائِها الخطايا يتوجَّهُ المتوضىءُ إلى ربِّه بالتوحيدِ والتوبةِ: «**أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين**

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٠٤ ـ ح٦٣٠٧).

(٢) أخرجه أبوداود (٢/ ٨٥ ـ ح١٥١٦) وسنده صحيح، والترمذي (٥/ ٤٦١ ـ ح٣٤٣٤) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأحمد (٢/ ٨٤).

واجعلني من المتطهرين»[1].

أما المستغفرون بالاسحارِ فناهيك بهم ثمَّ ناهيك صلَّوْا ما كُتِبَ لهم من الليلِ ثم شرعوا يستغفرون: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨].

يقولُ الحسنُ رحمه الله: (مدُّوا الصلاةَ إلى السحرِ ثم جلسوا يستغفرون)، وكان ابنُ عمرَ يصلِّي من الليلِ ثم يقولُ لمولاه نافعٌ: (يا نافعُ: هل جاءَ السحر؟ فإذا قال: نعمْ. أقبلَ على الدعاءِ والاستغفارِ حتى يصبحَ).

السحرُ وقتُ غَفلاتِ الغافلين، والوسادِ العريضِ للنائمين، يتعرضُ فيه أربابُ العزائمِ للنفحاتِ الرحمانيةِ والألطافِ الإلٰهيةِ والمنحِ الربانيةِ حينئذٍ تكونُ العبادةُ أشقَّ وأخلصَ، والنيةُ أدقَّ وأمحصَ.

المستغفرون بالاسحارِ نجاتُهم في مناجاتِهم، وصِلَتهم في صلاتِهم.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها الإخوةُ فلتعلموا أن أعظمَ أسبابِ المغفرةِ وأهمَّها توحيدُ اللهِ وإخلاصُ العبادةِ له سبحانه والبعدُ عن الشركِ دقيقِه وجليلِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

---

(١) أخرجه مسلم دون قوله (اللهم اجعلني من التوابين..) (١/ ٢١٠ ـ ح٢٣٤)، والترمذي (١/ ٧٨ ـ ح٥٥) وقال: هذا حديث في اسناده اضطراب ولكن تعقبه الشيخ أحمد شاكر وذكر صحته فانظره فإنه جيد، وأحمد (٤/ ١٤٦)، وأبوداود (١/ ٤٣ ـ ح١٦٩) دون قوله (اللهم اجعلني...).

لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وفي الحديث «**يا ابن آدمَ لو أتيتني بقُرابِ الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً**»(١).

والغفرانُ مربوطٌ بحبِّ اللهِ وحبِّ رسولِه محمدٍ ﷺ المبرهنِ عليه بحسنِ الطاعةِ وصدقِ المتابعةِ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

أيها الإخوةُ: هذا فضلُ اللهِ ورحمتهُ، وذلكم هو لطفُه بعبادِه، ولكن حذارِ أن يَفهمَ بعضُ الغافلين والمغفَّلين أن الإسلامَ، يدعو إلى الترخصِ المهلكِ أو يُقيْلُ العاثرَ الهابطَ المصرَّ المستكبرَ، إن الاصرارَ استمرارٌ على الذنبِ، وذلك معصيةٌ أخرىٰ، وإن القعودَ عن تداركِ الفارطِ من المعصيةِ إصرارٌ مذمومٌ.

يا هؤلاءِ كم خدعتْ نضرةُ الشبابِ، وكم غرتْ زهرةُ النَّعيمِ، وكم أضلَّ طولُ الأملِ حتى جاءَ أمرُ اللهِ بغتةً، فقَدِمَ المفرِّطُون على ما قَدَّموا، ولم يكن لهم آثارُ ندمٍ، ولم يبكوا على زلةِ قدمٍ.

فحاولْ يا عبدَاللهِ ما استطعتَ، وبادِرْ بالتوبةِ والاستغفارِ إن عثرتَ أو زلَلْتَ، فتكاثرُ المعاصي يجلبُ المآسيْ.

ولا يُكْثِرُ من الاستغفارِ إلا من أكثرَ التفكيرَ في أعمالِه، ونظرَ في مخالفاتِه، وكلَّما اشتد ندمُهُ زادَ مقتُهُ لنفسِه لما يرىٰ من قبحِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٨ ـ ح٢٦٨٧)، والترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه انظر تحفة الأحوذي (٩/ ٥٢٥ ـ ح٣٦٠٨) واللفظ له، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥ ـ ح٣٨٢١)، وأحمد (٥/ ١٤٧).

زلتِهِ، فهو دائمُ الهمِّ، مشغولُ البالِ من خوفِ ذي العزةِ والجلالِ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي محمد ﷺ، وهدانا صراطه المستقيم، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الاستغفار فضائل وآثار
(الإسرىٰ والمَسرىٰ)

الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ للناس أجمعين، صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله أصحابه والتَابعين لهم بإحسان، باتباعِهم وحسنِ اقتدائِهم كان لهم العزُّ والتمكين.

أما بعد فإن أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

أيُّها المسلمون: إذا كانَ الغفرانُ مربوطاً بحبِّ اللهِ وحبِّ رسولِه محمدٍ ﷺ، وهذا الحبُّ برهانُه حسنُ الطاعةِ وصدقُ المتابعةِ، فلتعلموا أن المناسباتِ في تاريخِ الإسلامِ كثيرةٌ، وكلُّها أحداثٌ جسامٌ، وانتصاراتٌ لأهلِ الإسلامِ عظامٌ، يفرحُ بها كلُّ مؤمنٍ، وينشرحُ لها صدرُ كلِّ مسلمٍ. من المولدِ والبعثةِ، والفتحِ والهجرةِ، وسائرِ الغزواتِ الفاصلةِ في تاريخِ هذه الأمةِ، من عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ وعهودِ أئمةِ الهدىٰ من بعدِه، ولم يكنْ من السنةِ ولا حسنِ المتابعةِ أن تُتَّخذَ عيداً يتحراهُ الناسُ ليفعلوا فيه

ما يفعلون تقرباً وتعبداً، صلاةً وصياماً، وصدقةً واعتماراً من غيرِ دليلٍ ولا مستندٍ.

وقد وقفتْ القرونُ المفضلةُ المشهودُ لها بالخيريةِ عندَ هذا الحدِّ، فلم تكنْ تَعْمدُ إلى إحياءِ ذكرىٰ الحوادثِ الإسلاميةِ، ولم تتخذ من الأيامِ الفاضلةِ أعياداً لها تخصُّها بتجمّعٍ أو تعبُّدٍ.

وإن حادثةَ الإسراءِ والمعراجِ من معجزاتِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ ومما عُلِمَ ثبوتُه من الدِّين بالضرورةِ، وشهرةُ ذلك في الكتابِ والسنةِ أعظمُ من أن تُذكرَ، ولكنَّ تحديدَ وقتِ وقوعِ هذه الحادثةِ بالسنةِ أو الشهرِ أو اليومِ مما اختلفَ فيه أهلُ العلمِ ونقلةُ الأخبارِ والسِّيَرِ اختلافاً كبيراً. وما كان هذا الاختلافُ إلا لما استقرَّ لدىٰ الصحابةِ والسلفِ الصالحِ رضوانُ الله عليهم من أن معرفةَ تاريخِ حدوثِ مثلِ هذه الوقائعِ لا يترتبُ عليه أمرٌ دينيٌّ، إذ المقصودُ هو الاعتبارُ والتأسِّيْ، وهذا غيرُ مرتبطٍ بزمنٍ، ولو رجعنا صادقينَ على أنفسِنا بالمحاسبةِ من هذه الحادثةِ فأيُّ ذكرىٰ نفهمُها من الإسرىٰ والمعراجِ، ومن نبي الإسراءِ والمعراجِ، ومن موطنِ الإسراءِ والمعراجِ؟؟.

إن ذِكرَ الأمةِ وشرفَ ذِكراها، وصِدْقَها مع مناسباتِها وأحداثِها وإحياءِ ذكرىٰ نبيِّها وأيَّامِه ومغازيه لاتكونُ إلا برفعِ المنهجِ المحمديِّ شرعةً ومنهاجاً، ودعوةً وجهاداً، فمنهاجُ محمدٍ والحقُّ الذي جاءَ به محمدٌ هو الذي دكَّ حصونَ الأعداء وحطَّمَ قوىٰ المعتدين، هو الذي بسطَ العدالةَ على وجهِ الأرضِ، ونشرَ الأمنَ على البسيطةِ، وحفظَ الحقَّ لأهلِه.

أيُّ ذكرىٰ وأيُّ احتفالٍ وأيُّ احتفاءٍ ومسرىٰ الإسراءِ والمعراجِ مسلوبةٌ، والأرضُ المباركةُ من حولِه منهوبةٌ؟؟.

كيف دخلَ أجدادُكم بيتَ المقدس، لقد دخلوه حين كانوا في موكبِ أميرِ المؤمنين عمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنه، لقد أقبلَ هذا الموكبُ العمريُّ المتواضعُ من أعماقِ الصحراءِ يتألَّقُ جبينُه من آثار شعاعِ الوحيِ الخاتمِ، وتمشي خطاه تحتَ راياتِ التوحيدِ ومعالمِ الشريعةِ.

هذا الرجلُ دخلَ بيتَ المقدسِ يتحركُ بخطواتِه المؤمنةِ مطرقَ الطَّرْفِ، خاشعاً لربِّه في رَحْلٍ رثٍّ، لسانُ حالِه يقولُ: (نحن العربَ كنا أذلَّ الناسِ فأعزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فمهما ابتغْينا العزَّ في غيرِه أذلَّنا اللهُ)؟؟.

أيُّ ذكرىٰ وأي احتفالٍ؟؟ إنهم ما واجهوا الدنيا إلا بالقرآنِ، وما دانتْ لهم الرقابُ إلا بالقرآنِ، وما سُمِعتْ كلمتُهم ولا خضَعْت لهم الممالكُ إلا حين استمسكوا بالوحيِ، وما صحَّ لهم الذكرُ، وما صدقتْ لهم الذكرىٰ إلا بالقرآن ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣ ـ ٤٤].

ولكنَّ أصحابَ القضيةِ لما تخلَّوا عن ذكرِهم، وكانوا عن ذكرهم معرضين، لم يغنهم احتفالٌ ولم يُجْدِ لهم احتفاء أنكرتهم الأرضُ، وتنكَّرَ لهم البشرُ، واستصغرتهم الدنيا، وقذفتْ بهم في ذيل القائمةِ.

أي ذكرىٰ يفهمُها هؤلاءِ من الإسراءِ والمعراجِ؟؟ ناهيكَ بمن

يحتفلون بأعيادِ الكفارِ[1]؟.

هل يعلمُ المسلمون وأبناءُ المسلمين أن معركتَهم مع أعدائهم هي معركةُ دينٍ وعقيدةٍ، ومعركةُ قيمٍ وأخلاقٍ.

لقد ستر الأعداءُ وجوهَهم الكاشرةُ بمحاوراتٍ غير منصفةٍ، وأخفوا أنيابَهم الكاسرةَ بمعاهداتٍ غير عادلةٍ، وصاغوا الغصْبَ والنهبَ بألفاظِ القانونِ ومصطلحاتِ الحقوقِ، سمَّوْا الاستعمارَ تمدُّناً، والغزوَ الفكريَّ تقدماً، والاغتصابَ انتداباً، وأنكروا بيعَ الرقيقِ، وأباحوا بيعَ الأوطانِ والشعوبِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

ألا فاتقوا اللهَ رحمكم الله وضعوا الأشياءَ مواضعَها، واحفظوا للأسماءِ معانيَها، فالسنةُ سنةٌ، والبدعةُ بدعةٌ، وسلفكُم الصالحُ العالمُ العاملُ وقفَ عند هذا الحدِّ، كانوا يعملون، وما كانوا يحتفلون.

والخيرُ قطعاً فيما ذهبوا إليه، والسلامةُ جزماً فيما نهجوا إليه، والصوابُ حتما فيما وقفوا عنده، والاقتداءُ بهم فيه سلامةُ الدِّينِ وصلاحُ العملِ، يقولُ عليه الصلاة والسلامُ: «**إنه من يعشْ منكم بعدي فسيرىٰ اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإيّكم ومحدثاتِ الأمورِ فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[2].

---

(١) تاريخ الخطبة يناسب أعياد الميلاد المسيحي.

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٠١ ـ ح٤٦٠٧)، واللفظ له، وابن ماجه (١/ ١٦ ـ ح٤٢)، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٥/ ٤٤ ـ ح٢٦٧٦)، وأحمد (٤/ ١٢٧).

في البعث والنشور

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ نصبَ الكائناتِ على ربوبيتِهِ ووحدانيتِه براهينَ وحججاً، فمن شهدَ له بالوحدانيةِ وآمن بلقائِه واستعدَّ لمعادِه أفلحَ ونجا، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةَ الحقِّ واليقين والخوفِ والطمعِ والمحبةِ والرجاءِ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أنزل عليه الكتابَ ولم يجعلْ له عوجا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أنوارِ الهدىٰ ومصابيحِ الدجىٰ، والتابعينَ ومن تبعهم بإحسان ما نهار تجلَّىٰ وما ليلٌ سجىٰ.

أما بعدُ فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولتنظرْ نفسٌ ما قدمتْ لغدٍ واتقوا الله إن خبيرٌ بما تعملون.

أيها الناسُ: تمرُّ الجنائزُ محمولةً على الرقابِ منقولةً إلى مثواها ومصيرها، تمرُّ في منظرٍ رهيبٍ، ومشهدٍ مَهيبٍ، تقشعرُّ منه الأبدانُ، وترتجفُ له القلوبُ، ولكنَّ نفوساً أخرىٰ تمرُّ بها هذه المناظرُ فَتُلْقيْ عليها قليلاً من دموعٍ وعبراتٍ في نظراتٍ عابراتٍ، وربْما صاحبَ ذلك كآبةُ حزنٍ أو سحابة أسىٰ، ثم سرعانَ ما يطغىٰ على النفوسِ لهوُ الحياة فتنسىٰ ثم تنسىٰ، وتذهلَ ثم تغفلَ.

هل يظنُّ هؤلاء أن الموتَ نهايةُ الحياةِ؟؟ وهل يعتقدون أن سعيَ العالمينَ نهايتُه أن يُهالَ عليه الترابُ؟؟.

ذلكم هو ظنُّ الذين كفروا. إنهم الماديُّون والملاحدةُ، والكفارُ والزنادقةُ لا يرون في الموتِ إلا انتهاءَ قصة الحياةِ، لا يبقى عندهم بعدَ ذلك إلا أخبارٌ تُروىٰ، وآثارٌ تُحكىٰ، والأخبارُ هذه مآلها النسيانُ، والآثارُ مصيرُها الاندثارُ:

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٤] ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۢ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [ألم السجدة: ١٠].

إنها المسألةُ الكبرىٰ بعد الإيمانِ باللهِ، والقضيةُ العظمىٰ بعد توحيدِ اللهِ، تكفَّلَ بها الوحيُ، وبرهنتْ عليها الكتبُ، وبلَّغتها الرسلُ.

إنه البعثُ والنشورُ، والخروجُ من الأجداثِ والقبورِ، والوقوفُ بين يديْ الكبيرِ المتعالِ للحسابِ والجزاءِ وعرضِ الأعمالِ، ثم المصيرُ إما إلى الجنةِ وإما إلى النارِ.

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ما من شيءٍ في دعوةِ رسلِ اللهِ استبعدَه الكفارُ وأنكرتْهُ الملاحدةُ واستهزأت به الزنادقةُ أشدُّ من انكارِهم لليومِ الآخرِ، فتراهم أجيالاً من بعد أجيالٍ من أُممِ الكُفرِ والإلحادِ ينكرون ويستهزؤن ويستبعدون، ولقد سجَّلَ القرآنُ الكريمُ افتراءَهم العظيمَ، وإفكَهم المبين: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن

يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون: ٣٥ ـ ٣٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧ ـ ٨] ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق: ٢ ـ ٣].

هذا هو افتراؤهم وهذا هو عجَبُهم؟؟.

ويتولَّىٰ القرآنُ الردَّ والبرهانَ، فحينما يتطاولونَ على اللهِ بعنادِهم، وحينما يكشفون عن بلادتِهم، يأتي الدليلُ ناصعاً بيِّناً، والحجةُ جليةً ظاهرةً: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٦ ـ ٦٧]، ثم تأتي الغيرةُ الإلهيةُ من خلالِ هذا القسم العظيم: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٦٩].

ويأتي آخرُ ليرفعَ عقيرتُه مُتسائلاً: ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٢].

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٤٠] سبحانك فبلىٰ، سبحانك فبلىٰ، سبحانك فبلىٰ.

خلق آدمَ من عدمٍ، وخلقَ حواءَ من غيرِ أمٍّ، وخلق عيسىٰ بكلمة ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وقال له كنْ فيكونُ.

مساكينُ أهلُ المادةِ والإلحادِ ينساقون وراء ماديَّاتِهم ويَغْرقُون في دَناياهم في طيشٍ وغفلةٍ، محجوبون عن البَصرِ والتبصُّرِ، ثم يتساءلون: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [النبأ: ١ ـ ٣].

﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ ﴾ [القيامة: ٥ ـ ٦].

وما كانت هذه النزعةُ الماديةُ النَّزِقَةُ التي تملأُ رؤوسَ هؤلاءِ وأشياعِهم وأشباهِهم إلا لاتباعِ الهوىٰ وتعطيلِ العقلِ: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه: ١٦] ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الشورىٰ: ١٨] ﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [سبأ: ٨].

يا هؤلاء: هل يُسيْغُ العقلُ أن ينفضَّ سوقُ هذه الحياةِ وقد نهبَ من نهبَ، وسرَقَ من سرقَ، وقتلَ من قتَلَ، وبغىٰ من بغىٰ، وتجبَّرَ من تجبَّرَ ثم لا ينالُ أحدٌ من هولاء عقابَه؟؟.

وهل يسيغُ العقلُ أن قوماً آخرين أحسنوا وأصلحوا وأنفقوا وجاهدوا ثم لا ينالون أجرَ ما قدَّموا؟؟؟.

ألأنهم كانوا صادقين مخلصين؟؟ ألأنهم كانوا مغمورين

متواضعين؟ «**إن كان في الساقةِ كان في الساقةِ وإن كان في الحراسةِ كان في الحراسةِ**»[1].

أم لأن الحسدَةَ والجبارين تَنكرَّروا لفضلهم؟ ووقفَ الظالمون في طريقِهم؟ آذَوا وعذَّبوا وشرَّدوا واضطَهدوا؟؟ هل يسيغُ العقلُ أن يبقىٰ المجرمون في أمنٍ وعافيةٍ وأمانٍ في العاقبةِ؟؟ لا وربِّك ثم لا؟؟ وكلاَّ وعزةِ الله وجلالِه ثم كلاَّ؟؟ لابدَّ من موقفٍ ويومٍ يُجزىٰ فيه المحسنُ على إحسانِه، والمسيءُ على إساءتِه، هذا هو نهجُ العقلِ والإيمانِ، والعلمُ والحكمةِ برهان ذلك: «﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧ ـ ٢٨].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ٢١ ـ ٢٢].

ثم هذا الإنسانُ المكرَّمُ المفضلُ سَخَّرَ له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وأسبغَ عليه نعمةَ ظاهرةً وباطنةً، هل يُعاملُ معاملةَ الترابِ والجمادِ؟؟ إن الحكمةَ تقتضي أن يُسألَ كما اُعطيْ، ويُحاسَبَ على ما عمِل وأنجزَ.

ثم ما الذي يُنكَرُ من عجائبِ البعثِ والنشورِ؟ يقولُ بعضُ علمائِنا المتقدمين رحمهم الله: (إيَّاكَ أن تُنكرَ شيئاً من عجائِبِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٩٦ ـ ح٢٨٨٧).

يومِ القيامةِ لمخالفتِه قياسَ عقلِك ومحسوسَ إدراكِكَ!! فإنك لو لم تكنْ قد شاهدتْ عجائبَ الدنيا ثم عُرضتْ عليكَ قبل المشاهدةِ لكنتَ أشدَّ إنكاراً لها. وفي طبعِ الآدميِّ انكارُ كلِّ ما لم يأنسْ به).

ولقد قيلَ للكفارِ والمنكرين: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ [الإسراء: ٥٠ ـ ٥١].

أيُّها الإخوةُ: إن الذين لا يؤمنون بالآخرةِ والذين يكذِّبون بيوم الدين يعيشونَ في بؤسٍ وشقاءٍ لا أملَ لهم ولا رجاءَ، لا يرجون عَدْلاً في الجزاءِ ولا عِوَضاً عما يلاقون في الدنيا من عناءِ.

الذي لا يؤمن بيومِ الحسابِ لا يعدُوْ نَظَرُه حياةَ الدنيا القصيرةَ القاصرة في حدود أرضِه الضيقةِ، ومسافة عمرِه القصيرِ، فهو من ضيقٍ إلى ضيقٍ ومن بؤسٍ إلى مسكنةٍ.

لقد ضَلُّوا وأضَلُّوا، وما ضَلُّوا إلا بما نسوا يومَ الحساب، وما اجترأوا على حرماتِ اللهِ وأفسدُوا في أرضِ اللهِ، وما ظلموا وتظالموا إلا لأنهم كانوا لا يرجون حساباً.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون: ١ ـ ٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧ ـ ٨].

أما المصدِّقون بيومِ الدين، والذين هم من عذابِ ربِّهم

مشفقون، فاستقاموا على الحقِّ والتوحيدِ، ونبذوا الشركَ وأصلحوا عملَهم، وأخلصوا لربِّهم ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

يحملُهم إيمانهم باليوم الآخرِ والتصديقُ بلقاءِ ربِّهم؛ يحملهم على الصبرِ والتحملِ، والبَذلِ والإحسان، لا يبتغون من أحدٍ غيرِ الله جزاءً ولا شكوراً ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الدهر: ٧ ـ ١١].

وما ثبتَتْ أقدامُ المجاهدين، ولا تبيَّنَتْ مواقعُ الشهداءِ إلا بمقدارِ إيمانهم بلقاءِ اللهِ وتصديقِهم بعظمِ جزائه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

أيها المسلمون، أيُّها الناس: وربِّ السماءِ والأرضِ لتخُرجنَّ من قبوركم ولَتُحشَرُنَّ إلى ربِّكم ولَتُحاسَبُنَّ على أعمالِكم ولَتُجْزَوُنَّ بما كنتم تعملون. لَتُجْزَوُنَّ على القليلِ والكثيرِ، والنقيرِ والقطميرِ وذلك على الله يسيرٌ.

يومُ البعثِ ـ أيها المسلمون ـ يومٌ مشهودٌ تعدَّدتْ أسماؤه لعِظَمِ أهوالِه وأعمالِه. فهو يومُ الحشرِ والنشورِ، ويومُ الفصلِ والقيامةِ، ويومُ الدين والحسابِ، يومَ ترجفُ الراجفةُ، تتبعُها الرادفةُ، حين تَحِقُّ الحاقَّةُ، وتقعُ الواقعةُ والقارعةُ، وتجيءُ الصاخَّةُ والطامَّةُ، يومَ الآزفةِ إذ القلوبُ لدى الحناجرِ كاظمين،

ذلك يومُ الخروجِ، يومُ تبلىٰ السرائرُ وتتكشَّفُ خبيئاتُ الضمائرِ، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل: ٣٩].

وحينئذٍ يكون كلُّ إنسانٍ حسيبَ نفسِهِ ورقيبَ عملِه ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤]. تشهدُ عليه صحائفُه، وتحكمُ عليه أعمالُه وتنطقُ عليه جوارحُه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢٠ ـ ٢١]. ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨] ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ [التغابن: ٧ ـ ١٠].

في البعث والنشور

الخطبة الثانية

الحمد للهِ رفعَ قدرَ أولي العلم والإيمانِ فلم يغترُّوا بهذه الدارِ، جدُّوا وأخلصوا وأيقنوا أن الآخرةَ هي دارُ القرار.

أحمدُه سبحانه وأشكره على خيره المدرارِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه النبيُّ المختارُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدينِ.

أما بعدُ فاتقوا الله عبادَ اللهِ، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللهِ، يومئذٍ تعرضون لا تخفىٰ منكم خافيةٌ، يومَ ينفخُ في الصورِ فتأتون أفواجاً حفاةً عراةً غُرلاً، في موقفٍ يُذيب هولَه الأكبادُ، تذهلُ فيه كلُّ مرضعة عما أرضعتْ، وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها، وترىٰ الناسَ سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ، يجمعُ اللهُ الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ يُسْمِعُهم الداعيْ، ويَنْفُذُهم البصرُ، يجمعُ الله فيه بين كلِّ عاملٍ وعملِه، وبين كلِّ نبيٍّ وأمتِه، ومظلومٍ ومظلمته: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

الأبصارُ شاخصةٌ، والشمسُ من الرؤوسِ دانيةٌ، قد علا أهلَ

الموقفِ العرقُ، في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألف سنةٍ، يفرُّ فيه المرءُ من أخيه، وأمِّه وأبيه، وصاحبتِه وبنيه، لكلِّ أمرىءٍ منهم يومئذٍ شان يغنيه، أهوالٌ شدادٌ، وأحوالٌ عظامٌ، تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ، فالسماءُ فرجتْ وكُشِطتَ وانشقتْ وفتحتْ فكانتَ أبواباً، والشمسُ كورتْ وخسفَ القمرَ وجُمعَ الشمسُ والقمرُ. والنجومُ انكدرتْ وطُمِستْ وانتثرتْ، أما الأرضُ فسجرتْ بحارُها تسجيراً، ودكتْ جبالُها دكاً ونسفتْ نسفاً وسيرتْ فكانت سراباً، وزلزتْ الأرضُ زلزالَها، وأخرجتْ أثقالَها، وحَدَّثتْ أخبارَها، وألقتْ ما فيها وتخلتْ.

ولقد سألتْ عائشةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ «أين يكونُ الناسُ يومَ تُبدلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ قال: «**على الصراطِ**»، وفي حديث ثوبانَ«**أنهم يكونون في الظلمةِ دونَ الجِسْرِ**»[1].

وحينئذٍ يُحشرُ المتقونَ إلى الرحمنِ وفداً فنِعمَ الموفِدُ ونعمَ الوافدُون، ويساقُ المجرمون إلى جهنَّم وِردا ظَمْئاَ عطشىٰ، يتمثَّلُ لهم السرابُ كالماءِ وما هو إلا الحرُّ والسعيرُ، والنارُ والزفيرُ، عياذاً باللهِ من غضبِه وأليمِ عقابِه.

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، وأعدُّوا العُدَّة ليوم العرضِ والحسابِ وقراءةِ الكتابِ، وجوازِ الصراطِ، وإثقالِ الميزانِ فالساعة آتيةٌ لاريب فيها لا تأتيكم إلا بغتةً، ولا يجليها لوقتِها إلا اللهُ جلَّ جلالَه.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٥٢ ـ ح٣١٥).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
توحيد الله أولاً	٧
حديث عن القرآن	٢١
الإسلام دعوة عالمية	٣١
التوكل	٤٥
الكهنة والمشعوذين	٥٧
النفاق والمنافقون	٦٨
حياة القلوب وأمراضها	٧٨
فتنة المسيح الدجال	٩٠
حافظوا على الصلاة	١٠٣
حديث في السيرة	١١٤
استقيموا ولا تطغوا	١٢٢
الغيبة والمغتابون آثار وأخطار	١٣٣
أهل الورع	١٤٤
الشيخ محمد بن عبدالوهاب (رحمه الله)	١٥٤
حقيقة السعادة ومصادرها	١٦٥
الغيرة على الأعراض	١٧٦
جريمة الزنا	١٨٥
حق الصديق وآداب الصحبة	١٩٨
في النظافة والتجمل	٢٠٩
الاسراف والتبذير داء خطير	٢٢٢
لا . . لمؤتمر بكين	٢٣٣
المرأة ودعوى التحرير	٢٤٤
العدل أساس قيام الدول وسعادة الأسم	٢٥٦

الموضوع	الصفحة
ميزان السلام	٢٦٩
التفجير في الخبر ـ استنكار ودروس وعبر	٢٨٠
الإعلام والأمن الفكري	٢٩١
رمضان موقف وداع ومحاسبة	٣٠٤
في تاريخ مكة ومآثرها	٣١٧
خطبة عيد الأضحىٰ	٣٢٧
خطبة الاستسقاء	٣٤٤
الاستغفار فضائل وآثار	٣٥٣
في البعث والنشور	٣٦٧
الفهرس	٣٧٧